

التراث و السياحة المقافية و البريلة

المداخلات العلمية للمؤتمر الدولي

المنعقد بسوسة-تونس مارس 2019

إعداد و إشراف

الدكتورة عتيقة حرايرية

دار وسيلة للطباعة و النشر
سيدي موسى الجزائر

2019

ISBN978-9947-901-57-1

المداخلات العلمية للمؤتمر الدولي الثالث حول:
التراث والسياحة الثقافية والبديلة

سوسة 29/23 مارس 2019

إعداد وإشراف : الدكتورة عتيقة حرايرية

بالتعاون مع: د. فؤاد نعوم / أ. نوح خيري / أ. فريال سيفون / أ. تبان فروق

ISBN978-9947-901-57-1

دار الوسيلة للطباعة والنشر

سيدي موسى - الجزائر

فهرس المحتوى	
03	مقدمة
04	إشكالية المؤتمر
06	01 حماية السياحة التراثية بين: النصوص القانونية وآليات التطبيق د. سعدي عبد الحليم
14	02 إشكالية التوسع العمراني في المناطق المصنفة ضمن التراث العالمي دراسة حالة وادي مزاب د. عقابة احمد د. قواس مصطفى
38	03 التراث الأثري بولائتي تيارت والمدية ودوره في ترقية السياحة المحلية د. عائشة حسيني
49	04 مقومات الصناعة السياحية في ظل متطلبات التنمية المستدامة: من أجل عقلنة وترشيد النشاط السياحي د. عتيقة حرايرية
60	05 التكنولوجيا الحديثة ودورها في ترقية السياحة وتحقيق التنمية المستدامة د. زوزو زوليخة د. زوزو هدى
74	06 التراث المعماري الديني بواحات باني جنوب المغرب: المكونات وسبل التثمين وآفاق التنمية المحلية د. البشير أبرزاق
86	07 الموروث الثقافي وإشكالية التحضر في الجزائر د. خلفاوي عزيزة
94	08 تأهيل المدن الأثرية المستدام وأثره على السياحة: مدينة سامراء العباسية أنموذجا أ.د. رفاه جاسم السامرائي
111	09 السياحة الثقافية وعلاقتها بالتنمية المستدامة د. مبروك مريم د. بهاز لويزة
129	10 الاستثمار السياحي في الجزائر: الواقع وآليات التفعيل أ. لامية مشوك أ. وليد معافة
146	11 استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التسويق السياحي: تحليل مضمون الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة والصناعات التقليدية الجزائرية أ. شرفية خديجة أ. بومعروف جعفر
163	12 دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي أ. مصباحي العطرة أ. مصباحي سناء أ. منماني مباركة
174	13 دراسة قانونية حول واقع وآفاق القطاع السياحي الثقافي ودوره في خدمة التراث: بين التطبيق وضرورة التحديث د. برني كريمة
183	14 دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج الخدمات السياحية: دراسة تحليلية لعينة من الصفحات السياحية أ. هارون جفال أ. عزوزي عادل
199	أثر الثقافة السياحية على التنمية المستدامة في الجزائر د. نجوى سديرة
220	15 دور المتحف في تنمية الاقتصاد والتعريف بالتراث الأثري: متحف أحمد زبانه بوهراي نموذجا أ. عائشة فاطمي
233	16 التراث والهوية في فلسفة الحدائثة في الفكر العربي المعاصر: فتحي التريكي نموذجا د. خن جمال د. قصير مهدي
274	17 الحماية القانونية للتراث الثقافي في الجزائر أ. شمس الدين بشير الشريف أ. سميحة لعقابي
263	18 دور الموسيقى الشعبية في إبراز معالم الهوية والحفاظ على التراث د. تروش عز الدين

19	الفرد والدولة عاملان مهمان في المحافظة على الموروث التراثي
272	أ. د احمد مناف حسن القيسي د. وميض فارس صعب أ. م. د غسان عز الدين عارف
20	التراث الاثري الثابت والمنقول وعلاقته بالتنمية: قلعة بني حماد أ نموذجاً "المسيلة" أ. أسيا ليفة
21	القدس في الشعر العربي الحديث أ.د. فائزة عبد الأمير نايف الهديب
22	الاستثمار الثقافي مشروع اقتصادي سياحي مستديم: دراسة نماذج عربية د. عمارة نعيمة أ. خضار فايزة
23	دور المتاحف في تنمية النشاط الاقتصادي د. قوار الحبيب سعيد د. بن حمو محمد عصمت
24	صناعة السياحة ركيزة أساسية لاستدامة النمو الاقتصادي والاجتماعي: الآفاق والتحديات - تجربة دولية المغرب العربي د. بلعابد نجاة د. زاوي شهرزاد د. شامي عبد الرحمن
25	ملامح الحماية القانونية للسياحة الثقافية العربية في ظل الظروف الراهنة: التأطير القانوني وتحديات التطبيق د. أحمد بولمكاحل
26	رقمنة المخطوطات ودورها في حماية التراث الثقافي الجزائري أ. شلي فضيلة أ. صدراة حنان
27	الألعاب التقليدية وتراث تاريخ بني مناصر: دراسة حالة عن جمعية "دادا هياص لإحياء تراث وتقاليد المنطقة" أ. لكحل صليحة
28	التراث اللامادي بالمغرب: زاوية اسأ أنموذجا - دراسة ميدانية د. البشير البونوحي
29	السياحة والتنمية المستدامة د. ساحلي فوزية أ. تيان فاروق
30	زاوية الهامل بوسعادة (الجزائر) بين القيمة الدينية والدور السياحي د. لهاللي إسعد د. لهاللي سلوى
31	الموقع الجغرافي وأثره في التخطيط السياحي لإثراء التراث النوبي أ. د. دوله محمد أحمد سليمان
32	الإعلام المحلي وتنمية السياحة المحلية المستدامة: دراسة في الأشكال والأساليب د. منير طبي د. راضية قراد
33	التأصيل والتحديث في الفنون التشكيلية العربية: الحركة التشكيلية التونسية أنموذجا الباحثة التشكيلية: وهبية الهمامي
34	المؤسسات الثقافية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة بالجزائر أ. سهام ختال
35	تفعيل دور المتاحف للحفاظ على الهوية ودفع التنمية د. جديد عبد الرحيم
36	المثل الشعبي في المنجز الكاريكاتيري العربي بين حجاج الخطاب وحفظ التراث أ.د. عمارة كحلي أ. بختة ختال
37	التراث الأثري في الجزائر وعلاقته بالتنمية - مدينة تبسة أنموذجا- الجزائر أ. معمر نصري
38	علم الاجتماع السياحي وحماية الغرس الثقافي ودورها في تحقيق التنمية المستدامة د. عالية بشيرة د. بن عرفة إبراهيم
39	التسويق السياحي للمواقع الأثرية لتحقيق التنمية الاقتصادية أ.د تومي ميلود د. شلوق فتيحة
40	السياحة سبيلا للثقافة: من المعطى الثقافي إلى العمل التنموي المستدام أ. فريال سيفون أ. نوح خيري
41	دور المتاحف الوطنية العمومية بالجزائر في الحفاظ على الهوية الوطنية: تجربة المتحف الوطني العمومي بتبسة- الطفل مجالا د. دواوي فرادي د. مها عيساوي

592	دور السياحة البيئية في تفعيل التنمية المستدامة والمحافظة على التراث الأخضر: دراسة حالة المحميات الطبيعية في الجزائر د. صليحة حفيفي د. فطيمة سايح	42
615	ماذا على الإعلام أن يقدم للتراث الثقافي؟ د. رجاء مصطفى موسى	43
634	دور الرواية الشفوية في تدوين تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء أ. وردة دهماص	44
640	تجليات التراث في حراك الهوية الوطنية جدل الالتزام والتواصل أ.د خميس غربي حسين	45
652	دور المتحف في حماية التراث وتنمية السياحة أ. أحمد بن عيسى	46
661	دور الإعلام الملموس في التنمية السياحية أ.د شروق عاشور	47
668	الهندسة الثقافية في التراث الفرغوي المسرحي ودوره في تنمية اقتصاد المغرب (جامع الفنا نموذجاً) طالبة الدكتوراه: لطيفة حَمَّان إشراف الدكتورة: هاجر مدقن	48
680	أثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية: دراسة تحليلية لحالة الجزائر في الفترة الممتدة (1990-2017) أ. أحسن صليحة	49
693	التوجهات السياحية في الجزائر دراسة حالة منطقة تيبازة أ. شيباني محمد أ. شيباني مليكة	50
713	التحكيم كآلية لتشجيع الإستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر أ. عبدالنور بوناح أ. سيود سوسن	51
726	L'exploitation du patrimoine culturel pour la promotion du développement touristique durable :Cas des sites historique et archéologiques dans la wilaya de Jijel (Algérie) Dr. MEDJITNA Wafa	52
736	L'Impact des décisions ministérielles sur l'utilisation des matériaux locaux au sud Algérien DJEDOUANI Racha Dr GHERZOULI Lazhar	53
745	Impacto de los movimientos de traducción trasladando culturas sobre la estimulación y el desarrollo turístico -Argelia como caso- Dra. HAMIDECHE Mounira	54
758	Conciliation Développement Durable et Valeurs Patrimoniales dans Les Opérations de Réhabilitation de L'architecture Domestique Patrimonialité. Dr MAHIMOUD Aissa TAIB Hania	55
767	Tourisme culturel: valorisation du patrimoine et développement local cas de Constantine BOULHILA Sabrina Alouat Mohamed, Rezzaz Mohamed Abdessamad,	56
791	Le système BIM comme outil de gestion du patrimoine Zaouia Khalid Said Mazouz	57
798	La rue comme mi-lieu d'exposition plastique: <i>Djerbahood</i> le projet d'un musée d'art en plein air Imene Ouadhén	58
808	Le tourisme culturel en Tunisie: Aménagement et stratégie de mise en valeur dans le cas des maisons d'hôtes à Kairouan MAKTOUF Nour El Imen	59
820	Le tourisme culturel comme facteur de développement économique - Cas de la ville de Tébessa – Sai Said, Tourghi Hani, Kihel Amel, Kolli Faouzi	60
837	Le patrimoine à l'épreuve de l'orientalisme: voyage de Paul Klee Ben Mahfoudh Yasmine	61

مقدمة

تسعى العديد من دول العالم ومنها الدول العربية إلى إدراج السياحة الثقافية والبديلة ضمن أولويات البرامج السياحية الدولية، في محاولة إلى إبراز المخزون التراثي والثقافي للمدن الصغيرة أو المغمورة منها، التي تزخر بأنواع متعددة من أجل العمل على تلبية متطلبات السياح وتطلعاتهم، في هذا الإطار تتميز السياحة الثقافية، التي تعتمد على مكونات التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، والتي تطورت بتطور العلاقة بين الثقافة والسياحة، خاصة في السنوات الأخيرة، وفي جميع أنحاء دول العالم مساهمة لرغبات السياح التي أصبحت تفضل هذا النوع من السياحة من أجل المعرفة واستكشاف المكونات الثقافية والمعالم التاريخية التي تزخر بها مختلف المناطق. ولأن لكل منطقة أو بلد خصائصه التراثية، فإن طبيعة العلاقة القائمة بين التراث والسياحة الثقافية يمكن أن تساهم في تدعيم قطاع السياحة، كما يمكن أن تعرقل تطورها، إذا لم يتم تمييز هذا التراث، أو تهميشه وعدم حمايته. ولأن نجاعة الصناعة السياحية لا يكون إلا بالارتكاز على جميع مقوماتها، فإن ضرورة تطوير العلاقة بين التراث الثقافي والسياحة بمد الصناعة السياحية بعناصر جذب مميزة وموارد سياحية مهمة من خلال عرض التراث وتقديم الحماية اللازمة له.

يبقى الدافع الأساسي لهذا النوع من السياحة هو الثقافة وترسيخها والعمل على غرسها للأجيال كطريقة للتنشئة غير المباشرة بالإعتماد على الموروث العقائدي والتقليدي والثقافي، والتلقين الروائي والتصويري، وتفعيل دور المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف والتعرف على الصناعات التقليدية بمختلف أشكال التعبير الفنية، سيما تنشيط وحضور الفعاليات الثقافية مثل المعارض والمهرجانات. كما تدعم السياحة البديلة - التي يمارسها الناس والسكان الطبيعيون في أماكن الجذب السياحي داخل الدول المضيفة، كالسياحة الريفية والبيئية والصحية والتخييم والجولات الحرة والأيام المفتوحة برفقة دليل سياحي محلي، بعيدا عن تلك السياحة التي تمارس داخل المنتجعات والفنادق والشواطئ والآثار - أنواعا عدة للصناعة السياحية التي فرضت نفسها كواحدة من أهم الصناعات الحيوية. في هذا الإطار تأتي هذه الأوراق العلمية، والتي تندرج ضمن تخصصات متنوعة منها القانون والإقتصاد وعلم الاجتماع والتاريخ والفنون لتناقش محاور المؤتمر وأهم الإشكاليات التي جاءت بها أشغال الورشات، فيما نثمن المشاركات تبقى الأفكار المعروض في الكتاب لا تعبر إلا على رأي أصحابها.

الدكتورة عتيقة حرايرية

إشكالية المؤتمر:

يشكل التراث أحد الأعمدة الحضارية التي تتجسد من خلالها إبداعات الإنسان ومخلفاته عبر التاريخ والعصور والتي تنوعت من حضارة فخرى ومن تجمع لأخر تبعاً لعوامل كثيرة قوامها تفاعل الإنسان مع الطبيعة في محيطه البيئي والحضاري وكذا المؤشرات الخارجية وتأثيرها عبر الأزمنة والعصور، في حين تعد السياحة الثقافية والسياحة البديلة، المحرك الحقيقي لتفاعلات التراث مع التنمية المستدامة.

لقد عرفت البشرية تطورات حمة عبر مسارها الزمني بتحقيق العديد من الاكتشافات والمنجزات الحضارية التي قدمت للإنسان خدمات نوعية في أشكال متعددة تعكس التطور البشري الذي وصلت إليه المجتمعات، والسياحة بكل أنواعها هي مجال لتطوير التراث والإقتصاد معاً، خاصة في ظل المتغيرات الدولية الآنية، لكن يبقى التراث الإنساني لكل حضارة ومجتمع بمكوناته المتنوعة من التراث المادي وغير المادي بتشعباته المختلفة في مجالات العلم المختلفة من أثار وأدب وفنون...وجملة كبيرو من العناصر المشكلة له ، تعد الرصيد الحقيقي لتحقيق التنمية المستدامة المبنية على أسس ثابتة هدفها المساهمة الحضارية في تحقيق التطور والتغلب على مختلف الصعاب التي تقف عائقاً في وجه التنمية، وذلك بتفعيل القطاع السياحي لخدمة التراث والتنمية، والعالم عموماً يزخر بمقومات هامة أسسها التراث الذي يشكل المرجعية الفكرية والاقتصادية لتطويره.

في هذا الإطار يأتي تنظيم هذا المؤتمر العلمي لتدارس الطرائق المناسبة لاستغلال التراث وتفعيله وإبراز القدرات المتوفرة والأفاق المستقبلية لإعادة ترميم التراث بكل فروعهِ وجعله قوة محركة للتنمية وتطوير الشعوب بالإضافة إلى قطاع السياحة بنوعية (الثقافية والبديلة).

المحاور:

- دور السياحة في تفهيم التراث والتداخلون في القطاع
- تحديات وأفاق السياحة والمردودية الإقتصادية والإقتصادية والتنمية المستدامة
- الإعلام وعلاقته بالتراث والسياحة
- التراث الأثري والثابت والمنقول وعلاقته بالتنمية
- التراث الفني والأدبي وتنمية اقتصاديات الشعوب
- المتاحف ودورها في حركة تنمية الإقتصاد والحفاظ على الهويات الحضارية
- المنظومة القانونية في الوطن العربي والعالم ودورها في تنمية التراث
- التراث والهوية الوطنية

مدير المؤتمر: البروفيسور عبد المالك سلاطينية

المنسق العام للمؤتمر: الدكتورة عتيقة حريرية

أعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر:	
أ. د محمد حسين فنطر تونس	أ. د الهاشمي مقراني مدير مخبر علم اجتماع المنظمات والمناجمت الجزائر
أ. د فائزة عبد الأمير الهديب العراق	د. عتيقة حريرية جامعة الجزائر 2 الجزائر
أ. د عبد الحليم العدواني الأردن	د. بلعاليا ميلود جامعة الشلف الجزائر
أ. د عيسى عزام الأردن	د. حضري فضيل جامعة تلمسان الجزائر
أ. د محمد سعيد كلية الأدب والعلوم الإنسانية سوسة	د. مراد زارقة جامعة قالملة الجزائر
د. رضا كعبية كلية الأدب والعلوم الإنسانية سوسة	د. شريفة ماشطي جامعة قسنطينة 3 الجزائر
د. سعاد زبيطة جامعة لقنيطرة المغرب	د. الجوزي وهيبية جامعة تيزي وزر الجزائر
د. محمد سعيد كلية الأدب والعلوم الإنسانية سوسة	أ. د سعد لهلالي جامعة سطيف الجزائر
د. سفيان بن موسى كلية الأدب والعلوم الإنسانية سوسة	

حماية السياحة التراثية بين: النصوص القانونية وآليات التطبيق

د. سعدي عبد الحليم

جامعة قسنطينة منتوري_ قسنطينة 01 - الجزائر

مقدمة:

تعتبر السياحة قطاع استراتيجي قادر على المنافسة على جميع الأصعدة محليا، إقليميا ودوليا وكذا قدرته على تحفيز قطاعات أخرى نتيجة لتكامله معها. كما تكتسب السياحة أهميتها من خلال الأدوار التي تلعبه في نمو اقتصاديات معظم دول العالم السياحية⁽¹⁾، مما يترتب على السياحة تأثيرات تنموية اقتصادية اجتماعية ثقافية وبيئية في المقصد السياحي. ولهذا أولت الجزائر اهتماما بهذا القطاع لما تمتلكه من تنوع ثقافيا ومواقع تراثية معروفة جيدا ، ومميزة عالميا، إلا أنها تواجه تحديات متنوعة منذ فترة طويلة تتمثل في إدارة تلك المصادر الثقافية، وأحد أهم التحديات الكبرى التي تواجه الجزائر هي كيفية حماية التراث الثقافي وتثمينه وتوظيفه في السياحة⁽²⁾ بمختلف أنواعها لتحقيق التنمية الشاملة لحاجات التي تتضمن الجيل الحاضر بالرغم من إصدارها ترسانة من القوانين من بينها القانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي⁽³⁾ والذي ألغى الأمر 281/67.

وقد أصبحت الحماية القانونية لهذه السياحة الثقافية مطلبا ملحا في عصر العولمة والتكنولوجية الحيوية لمكانتها الروحية والمعنوية وقيمتها الاقتصادية⁽⁴⁾ فهي تشكل مرآة عاكسة لعقائد وعادات وتقاليد المجتمعات التي تكونت عبر حقبة زمنية طويلة نتيجة التفاعل الابداع الفردي أو الجماعي مع التاريخ الاجتماعي والبيئة المحيطة بها، لذلك يجب محافظة عليها من الاندثار في ظل العولمة التي تحمل قيم وثقافات غريبة عن هذه المجتمعات. وكما هو الحال ، لأي تطور لقطاع حيوي فهو بحاجة ماسة إلى وجود منظومة قانونية قوية متطورة ومتكاملة تساهم في ابتكار نماذج وأساليب جديدة في تنمية وإدارة مجال السياحي الثقافي ومن هنا كان لابد من وضع قاعدة تشريعية متينة تدعم الحماية القانونية الكفيلة لهذا المجال ومواكبة مع المناخ السياحي المعاصر. ولذا فإن الإشكالية التي يتمحور حولها موضوع المداخلة هي: ما مدى نجاعة النصوص القانونية في مجال السياحة التراثية؟ وكيف يمكن لهذه النصوص القانونية أن توفر الحماية اللازمة والكفيلة في القطاع السياحي؟

(1) التطورات الراهنة على السياسات الثقافية في منطقة العربية، مجلة الإتجاهات العربية، 2014 ، من الموقع الإلكتروني www.djaziress.com

(2) أنظر: فريد بلفراق ، الإجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر ، دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية و عدد 05 ، عدد خاص دور الآثار في ترقية السياحة الثقافية ، 2003 ، ص 24 .

(3) أنظر: قانون رقم 04/98 المؤرخ في 20 صفر 1419، الموافق ل 15 جوان 1998 ، يتعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، عدد 44 .

(4) أنظر: خالد كواشي ، مقومات و مؤشرات السياحة في الجزائر، مجلة إقتصاديات شمال إفريقيا ، عدد 02 ، شلف ، 2010 ، ص 123

و كيف يمكن أن نثمن التراث عن طريق السياحة الثقافية؟.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة أعلاه، سنحاول تسليط الضوء على أهمية السياحة الثقافية كمجال لتطوير التراث والاقتصاد معا باعتباره المحرك الرئيسي لتفاعلات التراث مع التنمية الاقتصادية، إرتأينا تقسيم موضوع المداخلة إلى مبحثين أساسيين ، حيث أخصص المبحث الأول الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية مع إبراز أهمية التراث الثقافي الذي يشكل المرجعية الفكرية والاقتصادية لكل بلد، في حين أخصص المبحث الثاني آليات الحماية للسياحة الثقافية لخدمة التراث والتنمية المستدامة من خلال المبحث الثاني.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية

المبحث الثاني: آليات الحماية للسياحة الثقافية لخدمة التراث و التنمية المستدامة

المبحث 1- الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية

السياحة الثقافية هي التي يكون الباعث الأساسي فيها الثقافة وزيارة المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف والتعرف على الصناعات التقليدية أو أي شكل من أشكال التعبير الفني والحضور في الفعاليات الثقافية، وتظل السياحة الثقافية هي المقوم السياحي غير المتكرر أو المتشابه أو القابل للمنافسة ، إن المحتوى الثقافي المميز الموجه للسياح لا يمكن أن تكون الغاية منه إلا غاية إنمائية للقطاع السياحي وتحقيقا للتنمية الشاملة للبلاد⁽¹⁾، ولتحقيق ذلك لا بد أن تتوفر مجموعة من الأطر التي يمكن من خلالها تقديم النشاطات الثقافية المختلفة التي تساعد على تشجيع الساحة الثقافية، كما أنها لم تعد في وقتنا الحالي مقتصرة في مفهومها على الثروات التاريخية، وإنما أدخلت عليها عناصر جديدة وذلك باستحداث مناسبات واستغلال ظروف معينة بما يحقق تنويع المنتج السياحي⁽²⁾ لجذب شرائح جديدة من السائحين والزوار .

وفي هذا المبحث سندرس معرفة مفهوم السياحة الثقافية من خلال المطلب الأول، ثم نعرض لدراسة أهمية التراث الثقافي من خلال المطلب الثاني.

المطلب 1- مفهوم السياحة الثقافية:

إعتبرت السياحة الثقافية المقوم الرئيسي القابل للمنافسة القطاع السياحي نظرا لاعتماده على التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي⁽³⁾، وقد تطورت العلاقة بين الثقافة والسياحة خلال السنوات الخيرة في جميع أنحاء العالم مسيرة لرغبات السياح التي أصبحت تفضل هذا النوع من السياحة من أجل معرفة واكتشاف المكونات الثقافية التي تزخر بها مختلف البلدان.

(1) أنظر: شوملي قسندي، السياحة الثقافية ودورها في التنمية المستدامة، مجلة الدراسات السياحية و الإجتماعية، 1997، ص 95 .

(2) أنظر: خالد كواشي ، المرجع السابق ، ص 86 .

(3) أنظر: بريان محمد ، السياحة و الثقافة و التنمية، العقد العالمي للتنمية الثقافية، يونسكو ، الرباط ، 2007، ص 103 .

كما إعتبرت السياحة الثقافية نوع من أنواع السياحة عاملها الأساسي هو وجود تراث ثقافي مادي وغير مادي، وقد إزداد اهتمام الدول التي تزخر بتراث الثقافي بهذا النوع السياحة نظرا لآثاره الإيجابية. تتطلب السياحة الثقافية معرفة أشياء جديدة، ليست معروفة لدى السياح وتتم عبر زيارة المناطق الأثرية المشهورة بآثارها القديمة من مختلف الحضارات⁽¹⁾، وينتج عن هذا التنقل الاطلاع على حضارات وثقافات أخرى وإضافة معلومات ومشاهدات جديدة لسلوكيات وثقافات تلك الأجناس فتنشأ رابطة تواصل أو همزة وصل ما بين البلد السياحي وتراث العالم كله، فالمساهم في إحياء السياحة الثقافية في كل بلاد يعمل على تقديم صورة إيجابي عن المؤهلات الثقافية، الغاية منها تلبية رغبة السياح في الراحة والترفيه. بإضافة إلى ذلك فقد كانت العقود الأخيرة شاهدا على العديد من القرارات والدراسات والسياسات، وتطبيق العديد من النماذج المتعلقة بالسياحة والتراث الثقافي⁽²⁾، وكلاهما يعتبران عاملا مهما في التنمية المحلية، وبالرغم من تكاثر المواثيق والمعاهدات حول حماية التراث الثقافي⁽³⁾، فإنه فقط في سنة 1976 حيث نشر ميثاق السياحة الثقافية، تم تعريف التأثيرات الإيجابية والسلبية "للسياحة الثقافية على المواقع والمعالم التاريخية وبناء أسس دمج الممتلكات الثقافية وبرنامج اقتصادي وذلك باحترام هذا التراث الثقافي". ومن أجل حماية ثقافية وتراثية مستقبلية، فإن القيمة الاقتصادية للتراث المادي ذات أهمية من حيث أنها تولد كل أشكال الاستعمال بما في ذلك السياحة، وبالتالي فإن المشكل لا يكمن فقط في عدد زيارات إلى هذه المعالم التراثية ولكن أيضا في كيفية إعادة توزيع الموارد الناتجة عن هذا النشاط.

المطلب 2- أهمية التراث الثقافي

يشكل التراث الثقافي ركيزة هامة في حياة الشعوب لأنه يعتبر ذاكرة الحبة للفرد والمجتمع التي بها يمكن معرفة هويته وإنتمائه إلى شعب وحضارة معينة، وهو يجمع بين شقين المادي والمعنوي، ويكون شهادات حقيقية ملموسة بذكرته التاريخية وبالتالي فهو يعد من أكبر مظاهر الحضارة الإنسانية . ونظرا لأهميته فلقد نص المشرع الجزائري تعريفا له والذي جاء في مضمونه: أنه جميع الممتلكات الثقافية العقارية والعقارات بالتخصيص وحتى الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية أو الأشخاص الطبيعية والمعنوية وحتى الموجودة في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية والموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ كما تشمل أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية ". ونظرا لأهمية التراث الثقافي فإنه يكتسي أهمية كبيرة في جوانب نذكر منها:

- (1) أنظر: حسن كفاي ، رؤية عصرية للتنمية السياحية في دول النامية، القاهرة، هيئة المصرية للكتاب والتوزيع، 2008، ص 218.
- (2) أنظر: هدى سيف لطيف ، السياحة النظرية و التطبيق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر و التوزيع ، 2003 ، ص 90.
- (3) أنظر: شوملي قسندي ، المرجع السابق ، ص 108 .

- **الهوية الوطنية:** إن المخلفات المادية للحضارات التي تعاقب على أرض الجزائر ليست مجرد شواهد حجرية صامتة، ولكنها رموز لهوية متأصلة تغرس جذورها في أعماق التاريخ وتمتد عبر أحقاب الزمن وحتى الاستعمار الذي ظل يشكك في هوية الجزائر وفي تاريخها الحافل بالأبجداد، والبطولات، واجهته آثار مازالت قائمة في العديد من مدن الجزائر الأثرية تؤكد أن هناك شعبا عرف كل طبقات الحضارة البشرية التي تراكمت على أرضه بدءا من عصور ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، وكلها تعبر عن تاريخ ممتد و هوية صلبة ظلت تقاوم محاولات المستعمر طمسها وكانت الآثار ولا تزال عنوان هذه الهوية التي تعتبر أقدم عهدا من العديد من الدول الأوروبية، وعليه فإن الهوية الوطنية بالنسبة لعلم الآثار، تعني كل الشواهد المادية التي توجد تحت الأرض أو فوقها من ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.
- **الأهمية التاريخية:** تعتبر الآثار تاريخ من نوع خاص، فهي تاريخ مادي، تاريخ ملموس وتاريخ حي، وعليه فإن الآثار مصادره أساسية وحية لا يستغني عنها المؤرخ في الكتابة التاريخية فعن طريق الآثار يستطيع المؤرخ أن يؤكد أو ينفي بعض الأحداث التاريخية⁽¹⁾ التي تناولتها أمهات الكتب فهي تقدم للمؤرخ الدعم المادي في الكتابة لأن الأثر والفنية والحضارية، والآثار هي الواجهة التاريخية المشرفة للجزائر وخير دليل على أن للجزائر مكانة رائدة ضمن الحضارات العرقية للإنسانية وتجعل المواطن يعتز بماضيه المادي والتاريخي وبالتالي يعتز بوطنه.
- **الأهمية الاقتصادية:** يعتبر التراث الأثري مصدرا وثروة لاستغلاله في المجال السياحي والاستثماري فيه، حتى يعود بالفائدة على التنمية الاقتصادية ولن يتأتى هذا إلا بتأهيل المواقع الأثرية لإستقطاب الزوار تشجيعا للسياحة الداخلية والخارجية، وهذا سيؤدي إلى أن تأخذ السياحة الثقافية مكانتها في المجتمع للمحافظة على هذا التراث .

9

المبحث 2- آليات الحماية للسياحة الثقافية لخدمة التراث والتنمية المستدامة

بادرت الجزائر إلى القيام بعدة إجراءات لحمايته من بينها على سبيل المثال لا للحصر سن القانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 جوان 1998 المتعلق " بحماية التراث الثقافي " وشرعت في إنشاء مكتب مركزي وخلايا لمكافحة المساس بالتراث الثقافي لما يعرفه هذا النوع من الإجرام من تطور وتنظيم وباحترافية بالإضافة إلى تكتيف المراقبة لحماية الممتلكات الثقافية الجزائرية وردعية الإجراءات لكافة أشكال المساس بالمعالم التاريخية والمواقع الأثرية المصنفة وغير المصنفة⁽²⁾، كما جندت العديد من فرق مكافحة تهريب الإرث الثقافي على مستوى الدرك والجمارك والأمن الوطني لوضع حدّ الشبكات الاحترافية التي تستهدف المتاجرة بالتراث الإنساني.

(1) أنظر: محمد صالح القادري، السياحة إتفاقية تونس ، أعمال الملتقى المنعقد بالحمامات ، يومي 12_13_14 أفريل 1998 .

(2) أنظر: خوادجية سميحة، حماية الممتلكات الأثرية في ظل قانون التراث الثقافي، مجلة السياسية و القانون، جوان 2016 ، العدد 05، ص 83.

وفي هذا المبحث سندرس الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية من خلال المطلب الأول، ثم دراسة العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية من خلال المطلب الثاني.

المطلب 1- الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية

من بين الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية، في قانون التراث الثقافي، نذكر أهمها: إذ نصت المادة 08 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي على ما يلي "يمكن أن تخضع الممتلكات الثقافية العقارية أيا كان وضعها القانوني لأحد الأنظمة الحماية المذكورة أدناه تبعا لطبيعتها والصنف الذي تنتمي إليه:

1. التسجيل في قائمة الجرد الإضافي.

2. التصنيف والاستحداث في شكل محفوظة.

زيادة على ذلك تحتفظ الدولة بآليات أخرى كالتسجيل في قائمة الجرد العام وإمكانية نزع الملكية للمنفعة العامة وممارسة حق الشفاعة الإدارية، لاسيما فرض اتفاقات إدارية لحماية الممتلكات الثقافية.

1_ التسجيل في قائمة الجرد الإضافي :

نصت عليه المادة 10 من القانون 04/98 " الممتلكات الثقافية العقارية التي تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو الفن أو علم الآثار أو الأنثروبولوجيا أو الثقافة والتي لا تستوجب تصنيفا فوريا يمكن أن تسجل في قائمة الجرد الإضافي، ويكون التسجيل بقرار من وزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية فيما يخص الممتلكات والمعالم ذات الأهمية الوطنية، وتكون المبادرة من الوزير أو أي شخص يرى مصلحة في ذلك، والممتلكات الثقافية ذات الأهمية المحلية يكون التسجيل في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي عقب استشارة لجنة الممتلكات الثقافية التابعي للولاية.

ويتضمن قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي المعلومات اللازمة عن طبيعة الممتلك الثقافي ووصفه، موقعه الجغرافي المصادر التاريخية، ومن أثار قرار التسجيل في قائمة الجرد هو إلزام أصحاب الممتلكات العمومية أو الخواص إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة، عند القيام بأي تعديل جوهري يكون من شأنه أن يؤدي إلى إزالة العوامل التي سمحت بتسجيله أو محوها أو حذفها، والمساس بالأهمية التي أوجبت الحماية⁽¹⁾.

وما يمكن ملاحظته، بخصوص التسجيل في قائمة الجرد الإضافي أنه إجراء وقتي وعرضي، مما يجعل آلية التسجيل في قائمة الجرد الإضافي هشة لأن هذه الآلية تستمر مدة 10 سنوات وهو ما أكدته المادة 10 فقرة 02 من قانون 04/98.

(1) أنظر : _ نص المادة 13 فقرة 03 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

2_ التصنيف والاستحداث في شكل محفوظة: لا يدخل تصنيف الممتلكات الثقافية العقارية في إطار التصنيف الذي نصت عليه المادة 31 من قانون الأملاك الوطنية 30/90 لما نص على " لا يترتب عن قرارات التصنيف الإدارية ذاتها... خضوعها لقانون نظام الأملاك الوطنية العمومية وتدخل في هذا النوع من الأعمال الخارجة عن مضمون الأحكام المادة 31 قرارات التصنيف الإدارية الصادرة خصوصا فيما يلي " الأملاك أو الأشياء المنقولة والعقارية والأماكن والحفريات والتنقيب والنصب التذكارية والمواقع التاريخية ذات الأهمية الوطنية في مجال التاريخ والفن أو علم الآثار " .

ويعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، وقرارات التصنيف تشمل كل ممتلكات الثقافية مهما كان طبيعتها القانونية⁽¹⁾ وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية التي يمتلكها الخواص قابلة للتنازل⁽²⁾. وقرار التصنيف الصادر من وزير المكلف بالثقافة يمكن أن يكون ودي أي بمبادرة المالك، أو بطريقة رسمية من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية⁽³⁾، وتسري آثار التصنيف بقوة القانون على المعلم الثقافي وعلى العقارات المبنية أو غير المبنية الواقعة في منطقة الحماية ابتداء من يوم تبليغ الوزير المكلف بالثقافة بالطرق الإدارية فتح دعوى التصنيف إلى المالكين العموميين أو الخواص.

وفي هذا الصدد، عقدت الجزائر مؤتمر دولي سنة 2008 تهدف إلى تبادل الخبرات في البلدان البحر الأبيض المتوسط وإظهار الاهتمام لإنشاء قاعدة بيانات للممتلكات الأثرية وأكد المتدخلين والباحثين في هذا التخصص بصفة قاطعة أن الجزائر لم تكشف كل المواقع الأثرية الفريدة لنقص الخبراء المتخصصين في علم الآثار، مما يستدعي لإحصاء وجرد وتصنيف المعالم الأثرية وبالمقابل فإن هذا الأمر تجاوزته تونس إثر انخراطها بمشروع الشبكة المفتوحة المتوسطة للسياحة المستدامة الذي انطلق منذ سنتين بتمويل من الاتحاد الأوروبي⁽⁴⁾ لتتمين " المخزون الحضاري والثقافي " وترسيخ مفهوم السياحة البديلة المرتكزة أساسا على إبراز خصائص الثقافة الحضارية والتراثية لكل دولة، وأن تعمل كل دولة مشاركة فيه على إبراز المخزون الثقافي والتراثي لها، وكانت أهداف المشروع إدراج السياحة الثقافية والسياحة البديلة ضمن أولويات برامج السياحة الدولية.

وتجدر الإشارة أن مشروع هذا الجرد الذي قامت بها الجزائر يتطلب إرادة سياسية وغياها يعيق تأطير وتتمين وحماية المعالم الأثرية مما يسبب تدهورها وضياعها⁽⁵⁾، مما يصاحبها توقيع العقاب وردع كل من انتهك أو اعتدى على هذه الممتلكات.

(1) أنظر : فريدة بلفراق، المرجع السابق ، ص 1_3 .

(2) أنظر: عيساوي بوعكاز، طرق حفظ وصيانة مواد البناء للمواقع، أثار جميلة كويكل، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ، 2009 ، ص 103

(3) أنظر: نص المادة 47 فقرة 03 من القانون 04/98.

(4) أنظر: رشا كهينة، قاسمي أسيا، التجربة التونسية في مجال السياحة ، واقع و أبعاد و رهانان ، الملتقى الوطني الأول " السياحة في الجزائر " الواقع والأفاق، المركز الجامعي بويرة ، ص 09 .

(5) أنظر: عيساني بوعكاز ، المرجع نفسه، ص 111 .

المطلب 2- العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الاثرية

ومن بين هذه العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الاثرية: حسب ما جاء في نص المادة 91 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي "يمكن للجمعية التي ينص قانونها الأساسي على السعي إلى حماية الممتلكات الثقافية أن تنصب نفسها خصما مدعيا أي تباشر الدعوى بصفة المدعى المدني"، فضلا عن ضباط الشرطة القضائية وأعوانها، يستطيع القيام بهمة البحث والتحري والمعاينة جميع مخالفات أحكام قانون 04/98 أعوان مؤهلين بصورة خاصة حسب الشروط المحددة في التنظيم المعمول به، المفتشون المكلفون بحماية التراث الثقافي، أعوان الحفظ والتشمين والمراقبة، ويعاقب كل من يعرقل أعمال الأعوان المكلفون بالحماية الممتلكات الثقافية ومن بينها ومن بينها الأثرية على أساس جنحة، فعلى سبيل المثال نص المادة 94 من قانون 04/98 تنص "على معاقبة بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات كل من يرتكب المخالفات المتعلقة بإجراء الأبحاث الأثرية دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة"⁽¹⁾ أولا يصرح بالمكتشفات أو عدم التصريح بالأشياء المكتشفة أثناء الأبحاث الأثرية المصرح بها وعدم تسليمها للدولة.

ويعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات كل بيع أو إخفاء أشياء متأتية من عمليات الحفر أو التنقيب مكتشفة بالصدفة أو أثناء القيام بأبحاث أثرية مرخص بها، أو بيع أو إخفاء أشياء متأتية المكتشفة بالصدفة من أبحاث أجريت تحت مياه البحر، أو بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية مصنفة أو مسجلة في قائمة الجرد الاضائي وهو ما يطرح إشكالية بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية أو أثرية لم تصنف أو هي في طور التصنيف⁽²⁾، وكذلك الممتلكات الثقافية المتأتية من تقطيعها أو تجزأتها لاسيما بيع أو إخفاء عناصر معمارية متأتية من تقطيع ممتلك ثقافي عقاري أو عقاري بالتخصيص أو من تجزئته، أما بالمسبة للمسؤولية المدنية تقدر بتعويض يتراوح من 100.000 دج إلى 200.000 دج.

وتنص المادة 98 من القانون 04/98 "يعاقب بغرامة مالية من 2.000 دج إلى 10.000 دج دون المساس بالتعويضات عن الأضرار على المخلفات المتمثلة في شغل ممتلك ثقافي عقاري مصنف أو استعماله لا يطابق الاتفاقات المحددة والمذكورة في الترخيص المسبق الذي سلمه الوزير المكلف بالثقافة. من استقرء هذه العقوبات المقررة أنها جاءت غير ردعية مع مقدار الاعتداء والانتهاك والتشويه أو الهدم الذي يتعرض له المواقع الأثرية، كما أن هذه المقومات التراث المادي لا يمكن أن تعوض وهو غير قابل للتجديد.

(1) أنظر: خوادجية سميحة، المرجع السابق، ص 91.

(2) أنظر: فريدة بلغراق، المرجع السابق، ص 43.

الخاتمة:

تلعب السياحة دورا هاما في اقتصاديات الدول ، وتحتل مكانا مرموقا واهتماما عالميا من جانب الخبراء والسلطات المعنية، حيث الإصرار على أن الدولة التي تأخذ في تطوير وتنمية القطاع السياحي فيها تأخذ طريقها نحو التنمية الاقتصادية وتحسين الهيكل الاقتصادي ويظهر الأثر الاقتصادي للسياحة في زيادة الإيرادات السياحية من النقد الأجنبي مما يعطي الدفعة اللازمة للتنمية بتوفير أكبر قدر من العملات الأجنبية ومن هنا يتضح أنه على الدولة أن توفر للأفراد خاصة السياحة المحلية كأحد العوامل الرئيسية لدفع عجلة التنمية السياحية.

في الأخير، استطعنا أن نخرج بجملة من المقترحات لعلها تكون مجدية والكفيلة بأن تجعل من قطاع السياحة ليس بديل قطاع المحروقات بل موردا مكتملا للإيرادات التي من شأنها ضمان وتعزيز الدخل الوطني من بينها :

- مراجعة نصوص قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، وذلك بتشديد العقوبات أكثر على الانتهاكات التي تهدف إلى طمس هوية هذا الإرث الثقافي.
- إجراء حصر الممتلكات التي يسري عليها وصف التراث العمراني والعمل على تسجيلها لدى الجهات المختصة لسيط الحماية القانونية عليها ومن ضمنها العقوبات للحد من عمليات التشويه والتغيير والتي تؤدي إلى زوال هذا الإرث.
- إرساء دعائم الاستثمار السياحي بالبلاد، وبعث سبل إنجاح نشاط التبادل الحر، فضلا عن إعداد مخطط لتطوير مستوى الخدمات على مستوى البلاد وفقا للنماذج الدولية.
- واجب حماية الموروث الثقافي بحيث يجب أن يشارك فيه الجميع باعتبار أن إصدار و سن القوانين والتشريعات هي خطوة هامة لحمايته وتثمينه، لأن التراث بحاجة ماسة إلى استراتيجية جديدة بما يناسب الوضع المعاصر

إشكالية التوسع العمراني في المناطق المصنفة ضمن التراث العالمي

دراسة حالة وادي مزاب

أ. عقاقبة احمد

جامعة باتنة 02 - الجزائر

أ. قواس مصطفى

جامعة باتنة 02 - الجزائر

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية إشكالية الإسكان في المدن التراثية وكيفية اعتماد الموروث العمراني كمرجع لاستحداث نماذج إسكان بمواصفات بيئية واقتصادية واجتماعية مستدامة انطلاقا من تحليل الطابع العمراني التقليدي المحلي واستخلاص مبادئ وخصائص هذا الطابع لتوظيفها واعتمادها في النماذج العمرانية المستحدثة. تهدف هذه الورقة إلى استلهام فلسفة عمرانية تتميز بتنظيم وهيكلية المجال وفق معطيات اجتماعية وبيئية تساهم في تلبية حاجيات السكان وتجسد استدامة الفكر العمراني المحلي للمنطقة بقراءة عدة نماذج إسكان عتيقة للإمام بمقومات نجاحها وتفاذي أسباب الفشل في مشاريع الإسكان المستقبلية.

اعتمدنا في بداية هذا البحث على تشخيص مقومات وخصائص التعمير التقليدي في القصور القديمة كنماذج إسكان تقليدية والتي استطاعت أن توفر على امتداد ألفية من الزمن سكن ملائم للمناخ الصحراوي وصديق للبيئة.

لنصل إلى عرض مشروع القصر الجديد تينميرين وقصر تافيلالت واللدان يعتبران أهم نماذج الإسكان الناجحة في وادي مزاب والتي من شأنها المساهمة في صياغة مفاهيم جديدة للحفاظ على أمتاننا العمرانية واستمرارها في ظل متغيرات العصر.

ولتفاذي مثبتات نجاح هذه المشاريع استعرضنا قصر الحمريات لاستخلاص أهم النقائص والوقوف على أهم أسباب فشلها.

في نهاية هذا البحث خلصنا إلى عدة توصيات تصب في مجملها إلى ضرورة الاعتماد على مبادئ الإسكان التقليدي كأحد الحلول المقترحة لمشكلة الإسكان من جهة وأداة لثمين وتطوير التراث العمراني من جهة أخرى، وفق معايير عمرانية حديثة بأقل تكلفة وبمواد بناء غير ملوثة ملائمة للظروف المناخية الصحراوية ونمط الحياة الاجتماعية.

الكلمات الدالة: وادي مزاب، التراث العمراني، الإسكان، الاستدامة، النموذج المحلي، التخطيط الحضري.

1. مقدمة:

من مميزات المدن العربية والاسلامية القديمة أنها تؤمن علاقة مزدوجة " مجالية وزمانية" بين الإنسان ومحيطه، هو سر بقاءها واستمرارها، إذ أن الانقطاع في هذا الترابط التقليدي والأساسي بين المكان والزمان يجمع المدينة العربية والاسلامية الحديثة من تحقيق نوعية جيدة من الحياة الحضرية، وهكذا تزدهر المدن وتنمو عندما يزداد التناسق بين هذين العاملين و تندهور عندما تحدث القطيعة بينهما.

والبارز اليوم أن الكثير من المدن العربية والاسلامية القديمة تتعرض للتدهور، حيث بات يخشى زوال المعالم الحضارية العربية الاسلامية ، ذلك أن تضخم المدن الكبرى قد ادى إلى اختناق الأوساط التراثية القديمة، أين يتم في بعض الأحيان إزالة المعالم المهمة والمعبرة عن الأصالة المجتمعية كالمساحات والأسواق والمباني الأصيلة واستبدالها بأشكال عمرانية حديثة يضعها المهندسون الأجانب عادة، مما يعرض بالتأكيد الذاكرة المعمارية والعمرانية لمدننا للاضمحلال.

بالمقابل لمتعد سياسات الحفاظ على التراث العمراني والمعماري في عصرنا تعني تطبيق تقنيات أثرية واستصدار قوانين وقرارات فحسب، وإنما بدأت تلك السياسات تتجه نحو البحث المعمق عن الأساليب الإدارية، العمرانية والمعمارية المثلى، وعن القاعدة المعرفية الواسعة والكفاءات العلمية والمهنية والتقنية الكفيلة بالقيام بأعباء حمايته وإبراز أهميته.

يطرح البحث إشكالية التوسع في المدن المصنفة ضمن التراثي العمراني الحي من حيث متطلبات تحديد وتقييم حالة التراث واستنتاج مقومات استمراره، ثم التعمق في أهم أسباب وعوامل التدهور الطبيعية منها والبشرية لنصل إلى اعتماد كيفية معالجة إشكالية التراث العمراني من خلال شقين:

الشق الأول يتمثل في كيفية ترميم وتأهيل المحميات العمرانية الموجودة، أما الشق الثاني فيشمل البحث في آليات تأصيل وتطوير التراث العمراني في شكل توسعات سكنية جديدة مندمجة ضمن النظام البيئي والوظيفي للمجال. إن استمرار التزايد السكاني في مدن وادي مزاب والذي قد يصل إلى حوالي 500 ألف نسمة سنة 2015 سيزيد في حجم الطلب على العقار الحضري وبالتالي التوسع على حساب الواحات مما قد يؤدي إلى إحداث خلل في نظام استغلال الموارد الطبيعية للمجال وبالتالي تهديد تراث المنطقة الحي بالزوال، هذا الوضع دفع الكثير من الدراسات العمرانية والمعمارية إلى البحث في أنماط إسكان مستدامة تحافظ على تراث المنطقة وتتجاوب مع متطلبات التوسع العمراني في شكل مشاريع حضرية كامتداد للنموذج العمراني المحلي الذي يعتبره الباحثون والجغرافيون وأصحاب فكرة التنمية المستدامة أنه نموذج يجسد فعلا العمران المستدام.

وللوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث اعتمدنا على تشخيص الأنسجة الحضريّة التقليديّة المعقدة وتحليل خصائص مساكنها، ثم استخلاص أهم النتائج والتوصيات اللازمة لإنجاح مشاريع الإسكان الجديدة في منطقة وادي مزاب المصنفة ضمن التراث العمراني العالمي.

2. الموروث العمراني كمرجعية للتعمير الحديث:

1.2. مفهوم التراث العمراني في الدول العربية:

نصت المادة الأولى من مسودة ميثاق المحافظة على التراث العمراني للدول العربية وتنميته الصادر ب شوال 1424هـ / ديسمبر 2003 على أن:

التراث العمراني هو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية، ويتم تحديدها وتصنيفها وفقاً لما يلي:

أ - المباني التراثية، وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بما فيها الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها.

ب- مناطق التراث العمراني، وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها.

ج - مواقع التراث العمراني، وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان .

أما المادة الثانية من مسودة الميثاق فتعرف **التراث العمراني العربي** بأنه كل تراث عمراني يعكس خصائص الحضارة العمرانية العربية أو يمثل إفرازاً لإحدى الحلقات التاريخية المتعددة التي مرت بها الأمة العربية وتوارثتها الأجيال عبر العصور وهو تراث لكافة أبناء الأمة العربية.

و حسب المادة الأولى من اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي أقرها المؤتمر العام في دورته السابعة عشرة بباريس 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1972 فإن التراث الثقافي يعني:

- الآثار: الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر أو التكاوين ذات الصفة الأثرية والنقوش والكهوف ومجموعات المعالم التي لها جميعاً قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ، أو الفن، أو العلم؛
- المجموعات: مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة التي لها بسبب عمارتها أو تناسقها، أو اندماجها في منظر طبيعي، قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ، أو الفن أو العلم.

- المواقع: أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة وكذلك المناطق بما فيها المواقع الأثرية، التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر التاريخية أو الجمالية، أو الإثنولوجية، أو الأنثروبولوجية. وتدخل نماذج الدراسة " نمط القصور بغرداية" ضمن تعريف الشطر الثاني الخاص بمفهوم المجمعات الأثرية، دون أن نستثني وجود النوعين الآخرين.

2.2. أنماط المراكز العمرانية ذات الخصائص التاريخية والتراثية في الجزائر:

يمكن تصنيف المراكز العمرانية ذات الخصائص التاريخية والتراثية في الجزائر إلى خمس مجموعات كبرى حسب الخصائص التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وهي:

*نمط من الأحياء التقليدية التي مازالت محافظة على اندماجها المرفولوجي والوظيفي وتماسكها الاجتماعي والتي تمثلها المدن القديمة لوادي مزاب.

*مجموعة الأحياء القديمة والتي تم إعادة الاستثمار فيها وإعادة إحياء وظيفتها وهي حالات نادرة، وتمثلها مدن الغرب الجزائري وتعود لفترة ما قبل الاستعمار كندرومة، مازونة.

*قصة الجزائر، والتي نجحت في الاستفادة من تمويل دولي، لإعادة ترميمها.

*صنف من الأحياء العتيقة (المدن العتيقة الأصلية Médina) لكل من تلمسان و قسنطينة، وبعض القصور القديمة "أين تزعزعت تركيبها الاجتماعية، وأصبحت لا تتماشى ومختلف المراحل التاريخية التي مر بها البلد، مما أثارت انتباه مختلف المجموعات إلى ضرورة إعادة تأهيلها.

*وأخيرا صنف من الأحياء العتيقة كالمدين أو الأنوية القديمة (كمدينة تنس في الغرب الجزائري) والتي لم تشهد أية استراتيجية حماية ومحافظه، وهذا ما جعلها تصبح أحياءً منكوبة تراثيا بسبب التدهور السريع لها.

3.التعريف بمجال الدراسة:

يتمثل البونتابول (خماسي المدن) في اتحاد مجموعة من المدن القابعة بوادي ميزاب والتي أنشئت منذ ألفية من الزمن، تمتاز بعمران ومعمار متميز جذب كبار العمرانيين المعاصرين أمثال كوربزيي (Corbusier).

غرداية جوهرة ميزاب أسست كمدينة سنة 1048م لتكون معبرا للقوافل المتجهة نحو بلدان الساحل الإفريقي وبلدان المغرب (2005)CRASC .

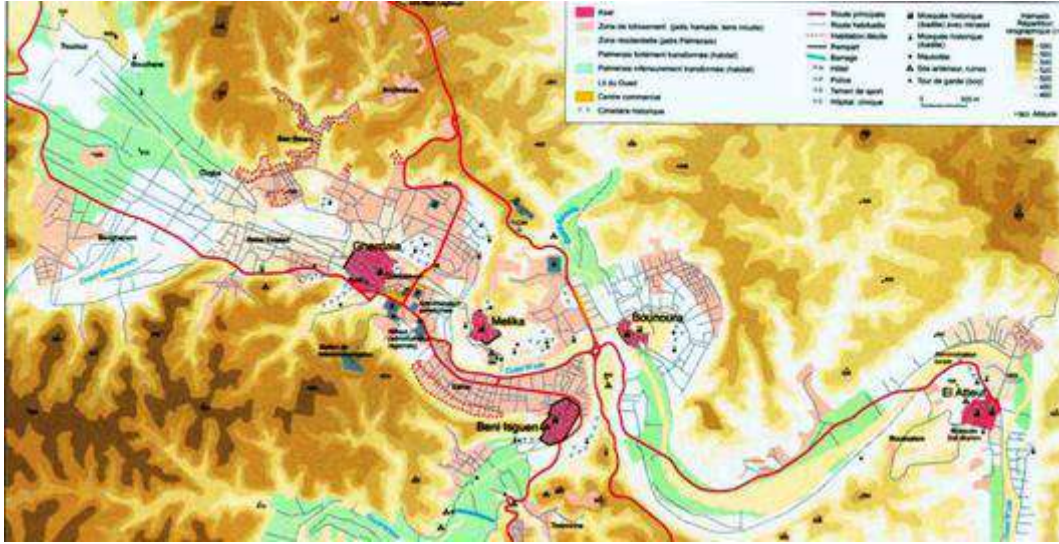


خريطة رقم (01) : موقع منطقة غرداية

المصدر: المعهد الوطني للخرائط والاستشعار عن بعد قسنطينة(2010)

يقع وادي مزاب على بعد 600 كلم جنوب العاصمة الجزائر، ضمن هضبة متوسط ارتفاعها يقدر بـ 600 م على خط الطول 3.45° ودائرة عرض 32.50°، يمتد على مسافة 20 كلم طولاً وبمتوسط 02 كلم عرضاً، بمساحة تقارب 40 كلم² (Kouzmine 2007).

تعد استخدامات الأرض بوادي مزاب نتاج تضافر عدة عوامل طبيعية وبشرية أفضت إلى اعتماد ثنائية الارتباط بين القصر والواحة، بحيث تم توطين القصور الخمسة فوق تلال صخرية كموضع دفاعي وبعيدة عن الفيضانات في شكل أنسجة مترابطة ذات خصائص عمرانية ومعمارية مميزة، أما المساحات المنبسطة داخل الوادي فقد استخدمت للنشاط الزراعي وقسمت إلى خمس واحات أي لكل قصر واحة، هذا التزاوج المستدام بين الطبيعة والعمران شكل لوحات فنية ذات قيمة جمالية نادرة.



خريطة رقم (02) : استخدامات الأرض في منطقة وادي ميزاب

المصدر: THOMAS M, S: Protection du Patrimoine Culturel et Transformation Socioculturelle dans la Vallée du M'Zab

تبين الخريطة رقم 02 انحصار الموارد الطبيعية في المنطقة ضمن المجال المحدود لوادي مزاب ما يفسر الاستغلال المكثف للمجال (746 ساكن/هكتار) وتوسع العمران على حساب الواحات (thomas 2005).

19

4. أهمية نظام الواحة ضمن العمران الميزابي:

إن أغلب الواحات الصحراوية أنشئت على أساس الثلاثية ماء، سكن، وبستان نخيل والتي تشكل مركبا متجانسا ومترابطا بشكل واضح وقوي، ولكن غوار (M.A. Gaouar) يقترح إضافة عنصر مهيكلي ومحرك آخر ألا وهو الإنسان من خلال مساهمته في التنظيم والديناميكية الاجتماعية التي تمنح كل واحة من الواحات الخمس خصوصيتها.

يتم بناء القصر عبر عدة مراحل بحيث يشيد المسجد في أعلى نقطة كمؤسسة ذات قيمة روحية تجاوره مجموعة من المساكن تحاط بسور للحماية أما السوق فيوطن عند مدخل احدي البوابات أو خارج السور، وبازدياد عدد السكان يتم توسيع القصر نحو الأسفل في شكل حلقي و يحاط بسور حماية جديد، أما حاليا فالقصور الخمسة لم تتجاوز في توسيعها موضعها الأصلي المتمثل في التلال، بل امتدت نحو الواحات مما يستوجب التفكير في خيارات جديدة للتوسع.

أما فيما يخص نظام تحويل مياه الفيضان لسقي الواحات فإنه يتم عبر أنفاق تحت الأرض أنجزت من طرف السكان المحليين، لكل نفق مخرج نحو جهة محددة من الواحة ويتم مراقبة الفيضان من خلال أبراج المراقبة وتقسّم

المياه بطريقة متساوية من طرف لجنة مختصة تحدد نصيب كل فرد، وعند حصول الواحة على كفايتها من الماء يتم تحويله نحو السد لتخزينه ضمن الطبقات الجوفية عبر أبار أنجزت داخل حوض السد لتسهيل تغذية السماط المائي.



الصورة رقم (01) و رقم (02): استمرار العمل بنظام السقي التقليدي وفق العرف المحلي

النموذج العمراني المحلي:

5. القصر المزابي: هو وحدة اجتماعية فيزيائية محدودة بسور تتموضع في شكل حلقات مركزية فوق تلة أو مرتفع، أما من الجانب الاجتماعي فيتضمن تركيبة اجتماعية متماسكة مقسمة إلى عشائر لها نظام حكم يتمثل في مجلس العزابة الذي يصدر قرارات (تشريع عربي) تنفذ من طرف الجمعيات والمجتمع المدني مما يحقق الترابط الاجتماعي والإحساس بالانتماء للمجال، ومنه يمكن اعتبار القصر وحدة مجالية عمرانية تضم مجموعة من المساكن المتلاصقة والمتلاحمة ذات الخصائص المعمارية المتشابهة في شكلها الخارجي وشبكة طرق عضوية ضيقة وملتوية مما ينتج في النهاية شكل عمراني بسيط ومتجانس ملائم لخصائص المجتمع المحلي والمناخ الصحراوي الحار والجاف



شكل رقم (01) صورة عامة للقصر الميزابي (قصر غرداية)

يتضمن القصر الميزابي عدة تجهيزات أهمها المسجد الذي يتمركز وسط النسيج وفي أعلى قمة التل، وما يميزه بساطة الشكل وتعدد الوظائف، أما السوق فموقعه يكون إما عند مدخل أو في محيط القصر بالإضافة إلى تجهيزات ومرافق أخرى ذات أهمية في حياة سكان القصر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كالمكتبة والمدرسة القرآنية.

1.5 قصر بني يزقن: يتكون من 12 عشيرة بتعداد سكاني يقدر بـ16000 نسمة، شهد عدة توسعات عبر عدة مراحل محددة بأسوار حماية كشواهد على مراحل التوسع، و حاليا القصر محاط بسور خارجي بمحيط طوله 1500م يحتوي على بوابتين رئيسيتين هما **الباب الشرقي والباب الغربي**، إضافة إلى أبواب ثانوية أخرى ذات أهمية في تنظيم القصر.

ويتميز قصر بني يزقن بنسيج عمراي كثيف ومتضام، الوحدات السكنية فيه متلاصقة، تقلل من المساحات المعرضة للشمس، يستحوذ الإطار المبني فيه على معظم المساحة، إضافة إلى المساكن نجد عدة مرافق مهيكله للقصر تتمثل في المسجد وبرج بوليلة والمدرسة والمكتبة والسوق، هذه المرافق موزعة بشكل وظيفي محكم.

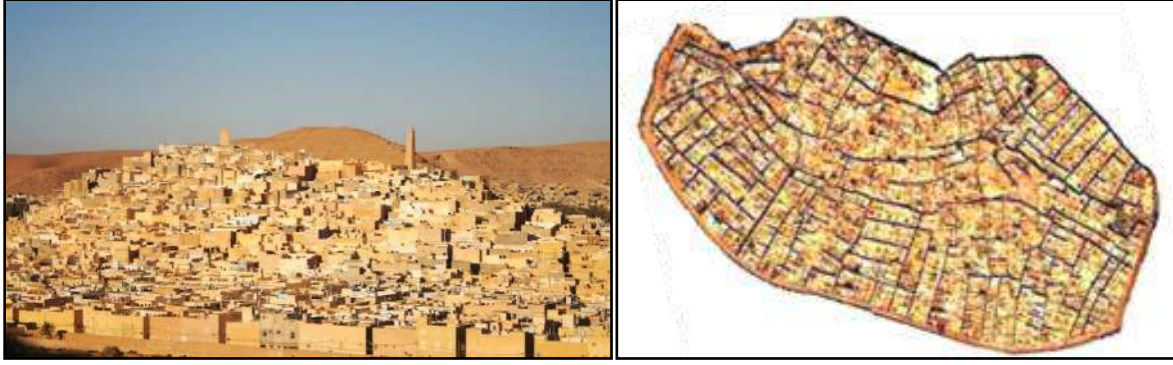
كما يتميز هذا القصر بهيكل عمراي معقد فالشوارع والأزقة الضيقة والمتوتية والمتعرجة للتقليل من درجة الانحدار وتكون مغطاة في بعض الأحيان، كما تنتهي بممر مقطوع كمجال شبه خاص يؤمن الاتصالية لوحدة سكنية محددة، أما فيما يخص عرض الشوارع فهو قائم على قاعدة التقاء و تقاطع حصانين محملين وهذا المبدأ قائم إلى اليوم خاصة في جمع النفايات المنزلية، مما يمنح القصر مخططا عضويا ملائما للمناخ الصحراوي، المونوغرافيا السياحية(2002).

2.5 الخصائص العمرانية وعناصر الاستدامة في قصر بني يزقن:

حسب اللجنة الدولية حول البيئة والتنمية التي شكلتها منظمة الأمم المتحدة، فإن التنمية المستدامة "عبارة عن نمط من أنماط استخدام الموارد المتاحة بهدف تلبية الحاجات البشرية، مع الحفاظ في نفس الوقت على البيئة، بحيث تكون الاستجابة لهذه الحاجات ليس من أجل الحاضر أو المستقبل القريب فقط، بل من أجل المستقبل بجميع أبعاده"، إذن الاستدامة هي مصطلح شامل ومرتبطة بالتنمية المطلوبة للمجتمع الإنساني على أن تغطي ثلاث محاور رئيسية هي البيئة والاقتصاد والمجتمع، أما الاستدامة في العمران فتعرف بأنها تحديد الإطار الإنساني الذي يعنى بحفظ وتدوير الموارد غير المتجددة وإدخال التكنولوجيا المعتمدة على الموارد المتجددة على أن تكون إدارة استخدامها واستغلالها بأسلوب يحافظ على نظام الدعم المعيشي لمعالجة مشكلات التنمية الأساسية، خلف الله (2008). فمفهوم الاستدامة موجود وطبق بشكل تلقائي وعفوي منذ القدم في وادي مزاب و تجلي في طريقة وكيفية توفير مصادر العيش وأسلوب التعمير المندمج في بيئة محدودة الموارد.

لتصميم مشروع إسكان مستدام يتلاءم مع مناخ المنطقة، يستمد أصالته من مبادئ العمارة والعمران التقليدي ويتكيف مع نمط الحياة المعاصرة اعتمد على قصر بني يزقن كمنطلق لفكرة إنشاء القصور الجديدة تينميرين وتافيلالت، ولفهم أهداف وأبعاد هذه المشاريع لابد من استيعاب الخصائص العمرانية ومقومات الاستدامة في قصر بني يزقن والمتمثلة في الأسس التالية:

- توطين القصر في موضع دفاعي محصن بسور للحماية بجوار الأراضي الخصبة ومصادر المياه.
- تم تخطيط القصر بشكل ملائم للمناخ الصحراوي من خلال تبني فكرة الأنسجة المتلاحمة والمتضامنة والشوارع المتتوية والضيقة التي تقلل من امتصاص أشعة الشمس وتعمل على تكسير الرياح.
- خطط القصر بشكل مندمج و متلائم مع البيئة بتناسق و انسجام مواد البناء مع البيئة الطبيعية بشكل وظيفي فعال أعطي مظهر عمرايي ببعده جمالي.
- التقسيم الوظيفي للمجال: يعتبر المسجد كنواة مركزية ومصدر للسلطة و التنظيم، ثم المجال السكني الهادئ في شكل حلقات متتالية، ويوطن السوق والأزقة التجارية كمجال للنشاط والعمل في الحدود الخارجية للقصر.
- تم تخطيط القصر كوحدة اجتماعية تخضع لنظام اجتماعي فعال ومحكم نتيجة لعدد السكان المحدود ضمن مجال مغلق يكسب الساكن إحساسا قويا بالانتماء، هذا ما يفسر قوة التكافل وشدة الروابط الاجتماعية عكس المدينة الحديثة المشكلة من أحياء مفتوحة تضعف العلاقات الاجتماعية.
- اعتماد الجانب الوظيفي في تقسيم شبكة الطرق، إذ أن الطرق الرئيسية الرابطة بين النواة المركزية والأطراف تنطلق منها شوارع أخرى فرعية أقل اتساعا وفق تقسيم عشائري والتي بدورها تتفرع منها أزقة توصل إلى مجموعة من المساكن في كثير من الأحيان مغلقة بدون منفذ، في حين تكتسي الأزقة المغلقة طابع الخصوصية و هي من حيث التصميم غير نافذة ومشاركة الاستعمال لعدد من المساكن فقط، نويات وسعودي (2010).
- يحدد علو المساكن بـ 07 م لاحترام حقوق الجوار، وتكون مغلقة على الشوارع بحيث يتصل المسكن بالمحيط الخارجي بباب للدخول وبعض الفتحات الصغيرة في الأعلى، أما الفراغ فموجه نحو الداخل لحماية الخصوصية السمعية منها و البصرية.
- يعتبر القصر مجال منتج للثروة بممارسة عدة أنشطة تساهم فيها كل أفراد الأسرة كالنسيج والصناعات التقليدية و المبادلات التجارية إضافة إلى الوفود السياحية.



شكل رقم (02): شكل النسيج المتضام لقصر بني يزقن هو تشكيل عمراني يمتاز به باقي قصور التراثية المحمية لوادي ميزاب كتصميم يعالج المتطلبات المناخية

3.5 الخصائص المعمارية للمسكن المزابي التقليدي:

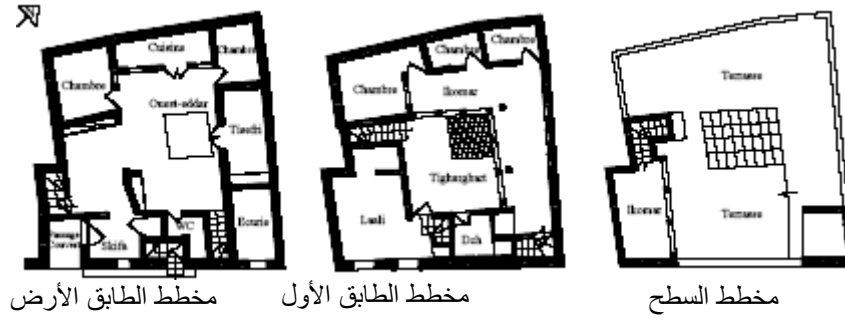
يخضع المخطط المعماري للمسكن لعدة معايير منها مساحة القطعة وشكلها و نسبة الانحدار والإمكانيات المادية لصاحب المسكن وتقنيات البناء المستعملة في فترة البناء، وأغلب هذه المساكن ذات نمط معماري متشابه في الشكل الخارجي تتميزه الفتحات الصغيرة واللون الأصفر والبني الفاتح، وتكون المساكن مغلقة ومفتوحة نحو الداخل عن طريق فراغ داخلي، أما مواد البناء المستخدمة فهي محلية تقليدية مشكلة من الحجارة، الخشب، الطين والجبس

Henriette et all (1986)

تشتمل مساكن بني ميزاب على طابقين و سطح، وأول ما يُلاحظ عند مدخل المنزل هو العتبة، وهي درجة صخرية موضوعة عند مدخل المنزل قبل الباب، يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة سنتيمترات، هذه العتبة تقي الدار من دخول الأتربة الرملية ومياه الأمطار، والحشرات الضارة.

- يبقى باب المدخل عادة مفتوحا طول النهار، إلا أن المار في الشارع لا يستطيع مع ذلك رؤية ما بداخل الدار، نظرا لتصميم المدخل الذي هو عبارة عن رواق صغير ينتهي بحائط مقابل لتكسير مسار الرؤية كما هو موضح في مخطط الطابق الأرضي الشكل رقم (03).

- عند تجاوز المدخل الثاني تجد نفسك في رواق يسمى سقيفة، به مقعد حجري منخفض بني للجلوس أمام المنسج صيفا، والجدير بالذكر أن المنزل المزابي عادة لا يحتوي على أثاث، حيث يكون أثاث البيت مبنيا.



شكل رقم(03): مخطط المسكن التقليدي بقصر غرداية

- وسط الدار مضاء بواسطة فتحة (شَبَاك) في السقف تستقبل منها أشعة الشمس وتسمح بتجديد الهواء، وبالتالي تعتبر بديلا عن النوافذ، وإن وُجدت هذه الأخيرة ففي الطابق العلوي، وتكون عبارة عن فتحة صغيرة في الحائط (OPVM(2010).

- تعتبر غرفة الاستقبال "تيزفري" أنسب موقع للجلوس حول وسط الدار، هذه القاعة التي لا تكاد تخلو منها أي دار مزايية، عبارة عن غرفة لها مدخل عريض نوعا ما لكنه بدون باب، متجه نحو القبلة أو نحو الغرب للاستفادة أكثر من الضوء الطبيعي (OPVM(2010).

24 - المطبخ فضاء صغير مفتوح على أحد جوانب وسط الدار، يتكون من موقد حجري متصل بفتحة تهوية إلى السطح تعلوه رفوف وأوتاد تستعمل لوضع لوازم وأواني الطبخ.

- واجهات منازل بني ميزاب بسيطة وصماء خالية من أشكال الزخارف والنقوش، متساوية الارتفاع، بها فقط الأبواب الخشبية، أي أنها واجهات تلغي الطباقية في المجتمع الميزابي، كما أن مخططات المساكن في معظمها متشابهة حجما (100م²)، متناسقة كتلة وتصميما تبدو في مجملها متسلسلة ومتجانسة ضمن إطارها الكلي، وهذا من شأنه أن يقصي التمايز المحلي.

- الفناء المركزي يتجاوب مع الشروط المناخية المميزة للبحر الأبيض المتوسط ذو الإشعاع الشمسي المعتدل و الأمطار القليلة، يعمل هذا الفناء كمكيف حراري وهوائي، من الناحية الوظيفية فهو مجال داخلي بالنسبة للكتلة البنائية ومجال خارجي بالنسبة للغرفة و باقي المجالات، يضمن بذلك الاتصالية بين مجمل المجالات داخل المسكن، (OPVM(2010).

6. حتمية التوسع وضرورة البحث عن النموذج الملائم: إن دراسة إشكالية التوسع العمراني في وادي ميزاب كمنطقة صحراوية مصنفة ضمن التراث العمراني تتطلب معالجة تعتمد على التشخيص المحلي للمنطقة وتحليل المجال الحضري وفق الأبعاد التالية:

- فهم ديناميكية الوسط الفيزيائي وكيفية تهيئة الموضوع لاندماج العمران في النظام البيئي بحيث تم بناء سدود وحفر أبار لتخزين فائض المياه ضمن الطبقات الجوفية لتفادي التبخر، كما يتم سقي الواحات عبر أنفاق أنجزت لتحويل مياه الفيضان وتقسيمها بكميات تتوافق مع مساحة القطع، أما القصور الخمسة فتوطنت على تلال صخرية محمية من الفيضانات في شكل حضري متجانس وملائم للمناخ الحار.

- تحليل عوامل استدامة العمران وفهم رغبة استمرار السكان في تبنى القصر كوحدة تخطيطية مغلقة تحافظ على القيم الروحية والأخلاقية للمجتمع.

تشخيص المجال استوجب التفكير في استراتيجية تخطيط تجمع بين استمرار النموذج العمراني وتحقيق مواصفات المدينة الحالية بناء على تقدير حاجيات النمو العمراني المستقبلي والأثر الممكن على البيئة والعمران وذلك من خلال:

- البحث عن مناطق توسع بعيدة عن المناطق المحمية لتوطين التجهيزات والمرافق المهيكلة لمختلف الوظائف والأنشطة الحضرية الحديثة .

- ربط المناطق المحمية بالمناطق الجديدة عن طريق شبكة طرق ووسائل النقل المختلفة.

25 - التقسيم الوظيفي للمجال بحيث يتم التركيز على الوظائف السكنية، السياحية والصناعات غير الملوثة في المناطق المحمية (مجتمعات سكنية محافظة لمتنجة للثروة).

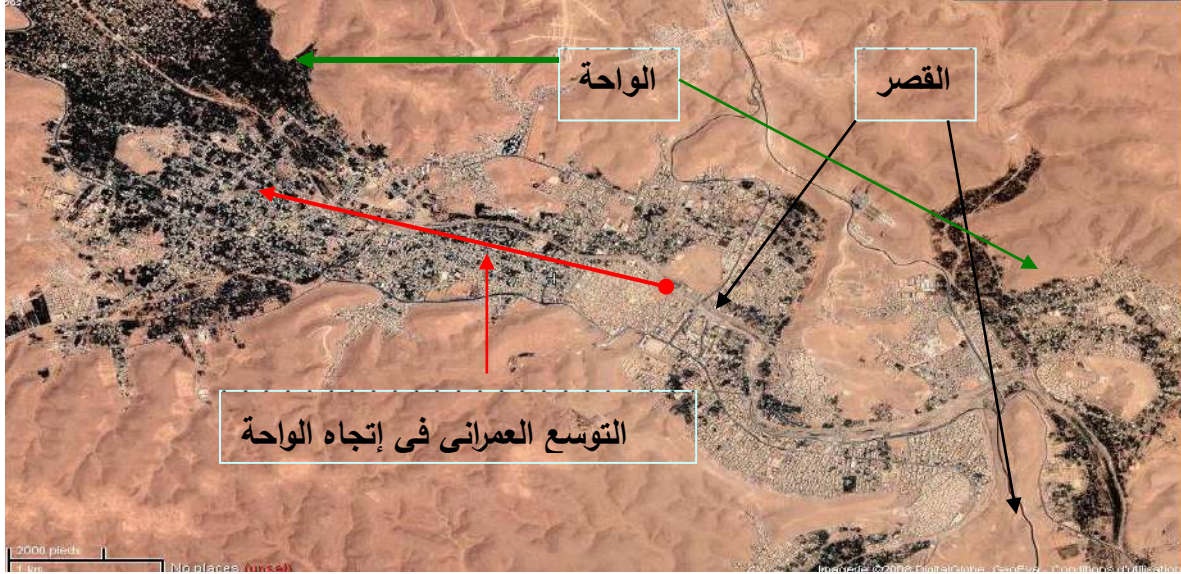
- الحفاظ على الشكل الحضري بتحديد معايير ارتفاع البناء بطابق أو طابقين، تحديد المساحة المبنية والفتحات بشكل وظيفي وبناء على القواعد العرفية المعمول بها، لون الواجهة أصفر أو بني فاتح.

- التعاقد مع السكان كشريك لحماية التراث العمراني بتقديم دعم مادي وفرض شروط ومعايير أشغال الترميم باعتماد عقد المدينة كإطار قانوني للتنفيذ يحدد شروط و مقاييس البناء.

- الحضور الفعلي لمختلف المتعاملين في الاستشارات التقنية المستمرة لمشاريع العمران المختلفة كمشاريع البناء والترميم.

البونتابل لم يُمس في جوهر عمران الأصيل إلا بعد دخول الاستعمار إلى المنطقة، أين عرف التعمير نموا خارج أسوار القصور، ودليل ذلك أن غرداية حاليا تعادل 8 مرات المحيط المبني للقصور الخمسة التقليدية والتي عادة تكون متوضعة في قمم صخرية مشرفة بذلك على الوادي وبعيدا عن فيضاناته، وبعد دخول الاستعمار ترحل السكان إلى أسفل الوادي تدريجيا واقتربوا من الواحات التي توفر لهم جوا منعشا.

ففسق الامتداد الحضري في الوادي كان حتميا بفعل عدة عوامل منها خروج السكان من القصور نحو الأراضي القريبة، وكذلك تحول البدو الرحل إلى الحياة الحضرية.



شكل رقم(04): نمو النسيج العمراني على حساب واحات القصور الخمسة لوادي مزاب

26

تبين الصورة رقم (04) المناطق الصخرية غير المعمرة مما يعبر عن قلة وانعدام الموارد الطبيعية في المنطقة وانحصارها ضمن المجال المحدود لوادي مزاب ما يفسر الاستغلال المكثف للمجال وتوسع العمران على حساب الواحات.

ويمكن إيجاز الدوافع والأسباب المؤدية إلى التوسع التدريجي على الواحات في ما يلي:

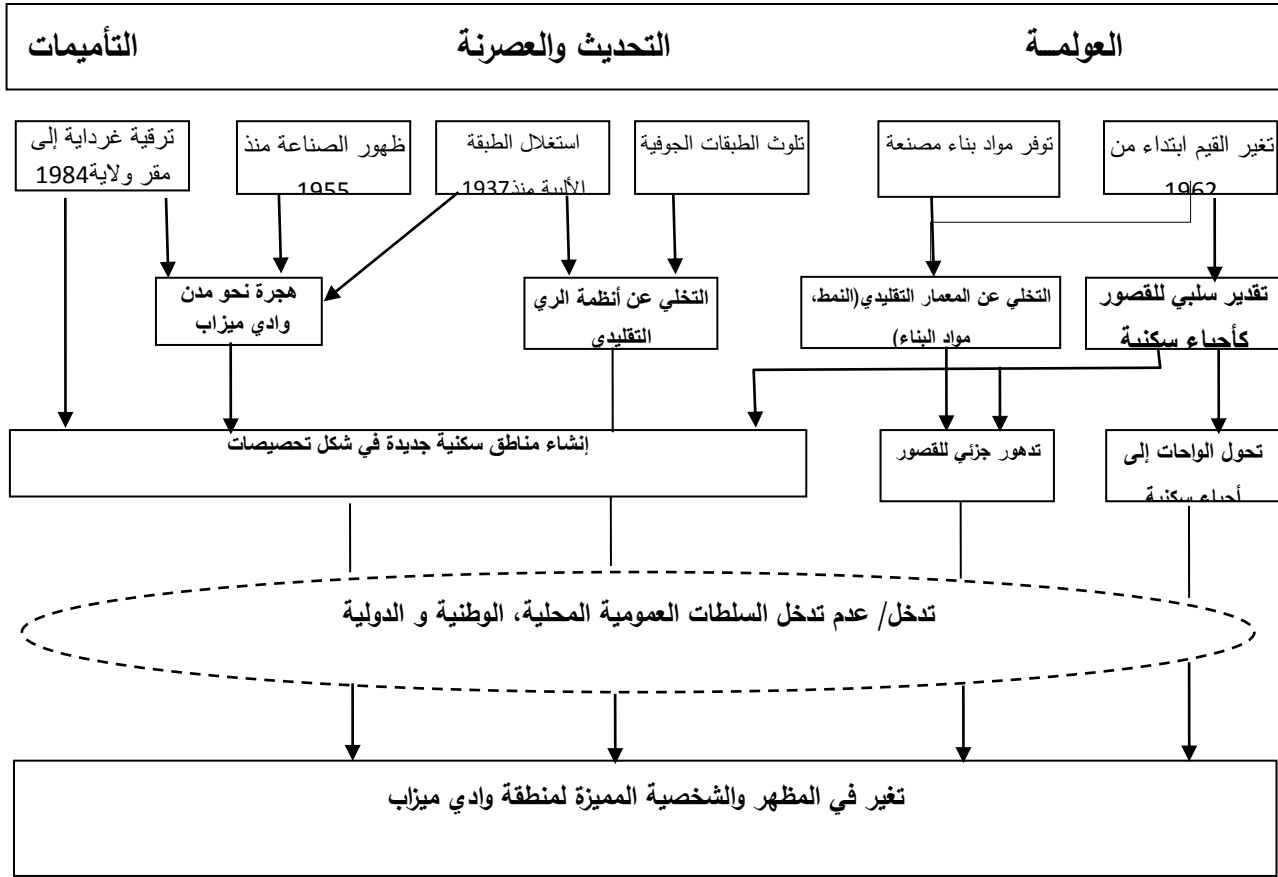
- توسع العمران على الواحات هو حتمية نظرا لانعدام الموارد الطبيعية الضرورية للاستقرار خارج الوادي.
- دخول المستعمر الفرنسي بغرض السيطرة على المجال من خلال القيام بتوطين أنسجة عمرانية تفصل بين القصور الخمسة.

- الزيادة السكانية وارتفاع حجم الطلب على السكن.

- تجزئة الأراضي الفلاحية إلى قطع صغيرة نتيجة لتوارث العقار على امتداد ألفية من الزمن إضافة إلى قوة الارتباط بالمجال، مما دفع بالسكان إلى بناء مساكن للاستقرار داخل الوادي.

- نمو النشاط السياحي والتجاري مما شجع الاستثمار والبناء بالقرب من القصور وعلى امتداد المحاور.

ويبرز الشكل أدناه أهم العوامل التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على آلية التوسع بالمنطقة المحمية



شكل رقم (05): آلية التوسع العمراني بالمنطقة المحمية لوادي ميزاب

وللتوفيق بين التوسع والحفاظ على التراث يوصي البحث بضرورة التخطيط وفق مقومات التراث العمراني التالية:

- السكان باعتبارهم المغير الفاعل بحثا عن الاستمرارية و ترسيخ الذاكرة.
- التفاعل الاجتماعي المتضمن كافة الأنشطة التي يمارسها الإنسان وعلاقة ذلك بمحيطه.
- الموارد التراثية (مادية وغير مادية) باعتبارها أساس الحفاظ على الهوية.
- التكنولوجيا ومختلف الإمكانيات التي تمكن من استخدام الطبيعة بشكل عقلائي.

إن التفاعل بين هذه المكونات الأربعة ضروري لديمومة التراث العمراني

7. نماذج الإسكان الجديدة كبداية للتوسع :

تركزت النماذج الجديدة على الاقتباس من المعايير التصميمية والتخطيطية للنمط العمراني القديم، حيث تساهم من جهة على تحقيق التكامل في عملية الحفاظ على التراث العمراني والتواصل المنسجم بين البيئة القديمة والحديثة، الأمر الذي يكفل استمرارية القيم الحضارية، ومن جهة أخرى كحل لمشكل الاحتياجات السكنية والتجهيزية المتنامية لسكان المنطقة.

ولقد كانت ولا تزال الطبيعة الاجتماعية لسكان وادي ميزاب من الركائز الأساسية لإنجاز أو اقتراح المشاريع السكنية، لذلك فإن المشاريع المنجزة والمبرمجة في مدن وادي ميزاب تأخذ بعين الاعتبار هذه الخاصية، ولعل ذلك يعود إلى فتح مجال البناء أمام الخواص.

1.7 مشروع قصر تينميرين: تجربة تؤكد إمكانية استمرارية العرف العمراني المحلي

بهدف المحافظة على النمط العمراني المحلي وتثمينه وانطلاقاً من فكرة التعمير التشاوري والذي يستند إلى مبدأ إشراك كل الفاعلين في التصور والتفكير ثم الانجاز وصولاً إلى الصيانة والمحافظة على المشروع والعمل على ترقية الحياة الحضرية فقد تم استحداث القصر الجديد "تينميرين" كنموذج عمراني محلي مستلهم من التراث العمراني للمنطقة ومخطط بشكل ملائم لخصائص المناخ ونمط عيش سكان المنطقة بحيث يحمل عدة مميزات عمرانية أهمها:

- يحاط القصر بسور ويتم الدخول إليه عن طريق البوابة الرئيسية.
- البناء وفق طبوغرافية الموضع دون إحداث تسوية أو تكسير للانحدار.
- شوارع ملتوية وضيقة مع وجود ساحات تتوسط المساكن موصولة بطرق عريضة تسمح بمرور الآليات عند الضرورة دون تكسير الهدوء الدائم و المعتمد في تخطيط القصر.
- المساكن ذات واجه بسيطة ومحافظ على نفس المخطط المعماري للمسكن المزابي مع غياب التناظر والتنافس بين الواجهتين وغياب التكرار في الواجهة.
- تخطيط ملائم للبيئة الحارة (مناخ محلي) بتكتل وتراص البناءات وتوجيه الوظائف داخل المسكن والأحياء للحماية من كثافة الإشعاع الشمسي وتقليل استهلاك الطاقة وتفاذي الرياح المحملة بالرمال.



الصورة رقم (03): الدخول إلى القصر عن طريق البوابة الرئيسية

1.1.7 الخصائص المعمارية للمسكن:

مخطط المسكن: لتحديد مخطط المسكن اعتمد المصمم على شكل القطعة ودرجة الانحدار، لأن تسوية موضع البناء ذو الانحدار المعتبر و التركيب الصخري الصلب مكلف مما دفع إلى تخطيط مساكن بعدة مستويات في طابق واحد، هذا ما أنتج عنه 70 مسكن بمخططات مختلفة، وهنا نشير إلى غياب النمطية مما يتيح الفرصة أكثر للتصور و الإبداع.

توزيع المجالات: إن توزيع المجالات داخل المسكن تم وفق مبادئ العرف المعماري المحلي للمنطقة، بحيث يتدرج من المجال العام ليليه شبه الخاص وصولاً إلى المجالات الخاصة، فالمدخل تليه السقيفة ثم وسط الدار وصولاً إلى الغرف.

الواجهة: يقدر علو المسكن بـ 07 أمتار بواجهة مغلقة ذات فتحات صغيرة وغير متقابلة لها نفس اللون البني أو الأصفر.

مواد البناء: البناء تم بتقنية الجدران الحاملة للسقف باستعمال الحجارة المقتلعة من الموضع بسمك يتراوح من 40 إلى 60 سم.

29

2.1.7 مشاركة السكان في تصور و إنجاز المشروع: هذا المشروع موجه للعائلات ذات الدخل الضعيف،

حيث انطلق سنة 1995 من طرف ديوان حماية وترقية تراث وادي ميزاب ، وقد عمد هذا الأخير إلى إدراج إحدى خيارات الأسلاف في التعامل مع المجال المتمثلة في بعض المبادرات المحلية من طرف بعض الجمعيات كجمعية (تويزة) وبمساهمة الدولة وإشراك الخواص وكل الفاعلين من مجتمع مدني لبناء 70 سكن في شكل قصر جديد، تحت شعار القضاء على أزمة السكن وحماية الواحة من التوسع العمراني ودفع المواطن للإحساس بالمسؤولية تجاه التراث العمراني.



صورة رقم (04): توضح شكل من أشكال التضامن الاجتماعي متمثلاً في عادة التويزة

- وكل مستفيد لا بد أن يكمل 150 تويزة-

وقد أسندت تعليمات اختيار وتنظيم المستفيدين كليا إلى العشائر، ومما أضفى على المشروع طابع الاستدامة:

- اعتماد البعد البيئي بالبناء فوق سفح صخري ومن خلال الاستعمال الأقصى لمواد البناء المحلية.
- اعتماد البعد الاقتصادي بتخفيض تكلفة بناء مسكن بمساحة 84 م² كمساحة مبنية مع فناء بمساحة 12م² والتي قدرت بـ 4000,00 دولار أي ما يعادل 400.000 دج، و مشاركة المستفيد بمبلغ 60.000 دينار مع المساهمة في أشغال البناء.
- إن تخفيض التكلفة الإجمالية للمسكن هي نتيجة لتضافر مجهودات الدولة و المجتمع المدني و المستفيد، بالإضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في تخفيض الكلفة أهمها:
- تهيئة مواقع بناء احتياطية يتم فيها التخلص من فائض مواد البناء المتبقية من أشغال البناء المبرمج مما يتيح الاستغلال المثالي و الفعال لمواد البناء دون رمي أو إتلاف.
- قبل الشروع في عمليات البناء تم تخطيط مقارن بين أبعاد و أحجام الكتل البنائية و مواد البناء المستعملة لتفادي التبذير و التكاليف الإضافية
- مساهمة المستفيد مع أفراد عائلته في أشغال البناء مما يخفف تكاليف العمالة.
- استخدام مواد بناء غير مكلفة كالحجارة المقتلعة من موضع البناء.
- إدراج هذا المشروع ضمن صيغة السكن الاجتماعي الممنوح للفئات المحتاجة ترتب عنه مساهمة الدولة بـ:
- مساهمة الصندوق الوطني للسكن بمنحة دعم السكن و على المستفيد دفع مبلغ 60.000 دج جمع المساهمة في أشغال البناء و تسديد باقي المبلغ دون فوائد.
- تحمل الدولة لتكلفة الربط بالشبكات المختلفة كهرباء، صرف صحي و مياه الشرب.
- تنازل الدولة عن الملكية العقارية لمساحة المشروع كدعم لتخفيض التكلفة.
- اعتماد البعد الاجتماعي بالبناء وفق قوانين التعمير في الجزائر بالإضافة إلى الاعتماد على قوانين عرفية معمول بها محليا، كما أن توزيع المستفيدين تم وفق التقسيم العشائري لقصر بني يزقن وذلك للمحافظة على تماسك نفس التركيبة الاجتماعية.

جدول رقم (01) كلفة إنجاز المسكن على مستوى قصر تينميرين

49.60%	200.000,00 دج	مساهمة الدولة بمواد البناء
14.88%	60.000,00 دج	مساهمة المستفيد من السكن
24.81%	100.000,00 دج	وزارة التضامن
10.66%	43.000,00 دج	الشبكة الاجتماعية
100%	403.000,00 دج	المبلغ الكلي للمسكن

المصدر: <http://www.babaammi.com>

3.1.7 المفهوم التخطيطي للمشروع: إن استمرار إنتاج الطابع العمراني للمنطقة يعتبر من أهم معايير الاستدامة وذلك في ظل ظروف طبيعية صعبة وتحولات اجتماعية وسياسية وحضارية متعددة، أما حاليا و أمام التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والعمرانية الناتجة عن العولمة والتي تشكل تحد أكبر يتمثل في الحفاظ على التراث العمراني والتفكير في تطويره وفق مواصفات ومتطلبات المدينة الحالية.

31



صورة رقم (05). أهمية اختيار الموقع لمشروع قصر تينميرين

إن اختيار موقع القصر الجديد على سفح الوادي ذو الانحدار الكبير والأرضية الصخرية يهدف إلى توقيف الامتداد العمراني نحو الواحة وتوفير السكن داخل وادي مزاب بالقرب من الواحة والقصر القديم كامتداد للمجال والزمان تعبيرا عن قوة الارتباط، لتقييم أثر المشروع في ترقية التراث العمراني لا بد من فهم:

- التصور العمراني والذي يحمل تقريبا نفس الخصائص الاجتماعية والعمرانية لقصر بني يزقن مما جعل منه حلقة جديدة في مسار تطوير و استمرار التراث المحلي .

- تقييم المشروع كعنصر مجالي مهيكّل يبين من خلال المشهد العام القصر كوحدة عمرانية مندمجة ومنسجمة ضمن المظهر أو الأشكال الحضرية دون إحداث أي تشوه.
- ويبرز دور هذا النوع من المشاريع في تنمية وترقية المجال الحضري وذلك من خلال المساهمة في:
 - المحافظة على الهوية الاجتماعية و الثقافية والمساهمة في ترقية المنتجات السياحية وخلق الثروة.
 - المحافظة على الأراضي الزراعية و التنوع البيولوجي.
 - استعمال الحجارة المقتلعة من الموضوع كمواد بناء غير ملوثة وملائمة للبيئة و أقل استهلاكاً للطاقة.
 - توفير السكن وفق القدرة الشرائية للمواطن.
 - الحفاظ على نفس الخصائص العمرانية والمعمارية للقصور القديمة ومقارنة الصورتين رقم 06 و 07 تتضح أوجه التشابه مع إدخال بعض التعديلات لمواكبة التطور الحالي.
- ومكنا الاطلاع الميداني على كل من القصر القديم "بني يزقن" والقصر الجديد "تينميرين" من تحديد أوجه التشابه بين القصرين والمجسدة في شوارع ضيقة ومتدرجة، ارتفاع البناءات 7 أمتار، تراص البناءات، واجهة المسكن بسيطة، الإحاطة بسور والدخول عن طريق أبواب مراقبة، أما أوجه الاختلاف فتبرز في غياب السوق في القصر الجديد ووجود شبكة طرق للآليات ومساحات خضراء واستخدام تقنيات بناء حديثة.
- هذه الاختلافات لا يمكن أن تنقص من نجاح هذا المشروع لكونه يعبر عن مرحلة جديدة ضمت كلا من التراكمات والتجارب والخبرة الحضرية القديمة مع التقنيات والتطورات الحالية في مجال البناء والتعمير، وإقبال السكان المحليين والسلطات المحلية والمركزية وحتى العالمية على هذا المشروع هو خير دليل على فعالية العرف العمراني المحلي.



الصورة رقم (06) و (07) تشابه في تخطيط الشوارع بين القصر القديم ونموذج الإسكان الحديث

7.2 القصر الجديد تافيلالت: تجربة عمرانية مزجت بين الأصالة والمعاصرة:

يتربع مشروع قصر "تافيلالت" على مساحة ذات تكوينات صخرية انحدارها يتراوح بين 12-15% وتقدر المساحة الإجمالية للمشروع 22.5 هكتار يضم 870 مسكن تشغل نسبة 35% من المساحة العقارية المخصصة لهذه التجربة، وتم تدعيمها بحديقة خدمة للطبيعة والحياة البشرية أنشئت بجوار القصر القديم.

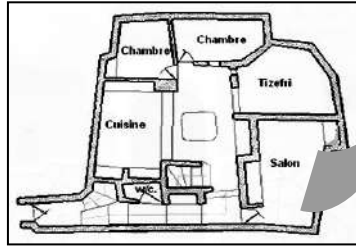


شكل رقم (06) مخطط التهيئة لقصر تافيلالت

أعتمد في تصميم مخطط تهيئة قصر "تافيلالت" الجديد على المقاربة الاجتماعية و العمرانية والايكولوجية من خلال العناصر التالية:

- إشراك المؤسسات الاجتماعية العرفية بحيث وزعت المساكن وفق نظام تدرج مدرّس للطبقات الاجتماعية،
 - إشراك المستفيد وتوعيته بأهمية البعد الثقافي المتعلق بإنشاء منزله،
 - الإنشاء فوق وسط صخري من أجل حماية المحيط الهش (الواحة).
- تم اختيار نموذج التعمير الأكثر ملاءمة للبيئة الصحراوية على نمط القصور تتضمن الخصاص التالية :
- نسبة الفراغ معتبرة بحيث خطط عرض الشوارع بشكل يسمح بمرور الآليات عند الضرورة، كما تم ترك فراغات وسط الكتل البنائية كمساحات للعب ملحقة بمجموعة من المساكن.
 - هيكلية عضوية للاماكن العامة واحترام تدرجها الوظيفي.
 - احترام هوية المدينة من خلال العناصر التحليلية مثل : الأبواب الحضرية، الفضاءات الانتقالية.
 - إنشاء عناصر ذات قيمة رمزية عالية، آبار، مآذن، أبراج.
 - حافظت المساكن على التوزيع المحلي والوظيفي القديم مع إدخال تقنيات ومواد بناء جديدة مما زاد في عدد وحجم القطع داخل المسكن.

- حافظ مخطط المسكن على مبدأ الخصوصية بحيث نلاحظ انكسار مسار الرؤية مباشرة عند الباب الخارجي على مستوى الطابق الأرضي.

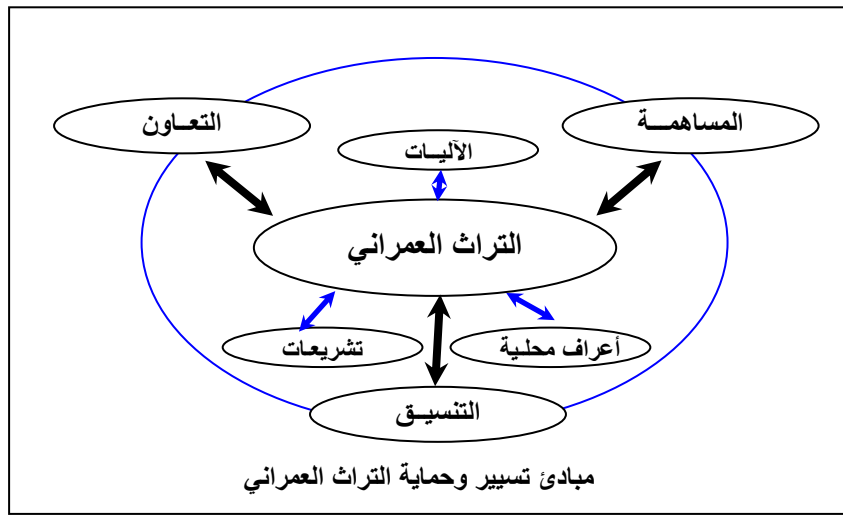


شكل رقم (07) المخطط المرجعي للمسكن التقليدي المعتمد في قصر تافيلالت

الجدول رقم (02): تأثيرات مشروع قصر تافيلالت

تأثير بعيد المدى	التأثير المباشر	النتيجة المتحصل عليها	طبيعة التأثير
إحياء الأمل لدى شباب المنطقة	توقيف المضاربة على العقار	تقليص كلفة المسكن بمقدار 3/1	التأثير الاجتماعي
إيقاف ظاهرة الهجرة	الشاعر والمبني	الكلفة المتداولة حاليا	
تنشيط الحركات الجمعوية	التماسك الاجتماعي	تنوع من حيث التركيبة الاجتماعية	التأثير البيئي
الحفاظ على توازن النظام البيئي	الحد من غزو الاسمنت للوحدات	الإنجاز تم على تركيب صخري صلب	
ضمان انتقال القيم الحضارية بين الأجيال	استعادة التوافق بين الإنسان وانسجام الوسط	البناء اعتمد على روح العرف المحلي القصور القديمة	التأثير الثقافي
تخفيف أزمة السكن	تحرير المبادرة في الإنشاء	تأسيس ممارسات حديثة في البناء	التأثير التقني

حققت هذه المشاريع، الجدلية القائمة بين "المجال البيئي والمجتمع والاقتصاد"، حيث من جهة عملت على تجسيد وتقوية حس الانتماء للمجتمع وتحقيق أواصر العمل التضامني، والذي من بين أهم أهدافه إصلاح وضع غير مرضي لأسباب مختلفة، أو التغلب على تحدٍ معين يتعرض له فردٌ أو مجموعة من الأفراد أو المجتمع بأكمله، ومن جهة أخرى ساهمت هذه المشاريع في التخفيف من التكلفة ورفع رأس مال المجتمع، وبالتالي استحداث هذه القصور الجديدة تأكيداً على الخيارات المثلى لأسلافنا في تسيير الفضاء العمراني، وخاصة تلك المتعلقة بتحقيق الاقتصادية في إنجاز المساكن، في الأخير خلصنا إلى أهم مبادئ تسيير التراث العمراني الحمي و تطوير مجالات التوسع الجديدة مبينة في الشكل رقم (10) :



شكل رقم (10): المشاركة، تعدد الفاعلين والمصادر التشريعية مع إيجاد الآليات ضرورة لتطوير التراث

8. الخلاصة: خلص البحث إلى أهمية فهم الحفاظ على التراث العمراني والمعماري بشقيه الفلسفي والتطبيقي من منظور التنمية الشاملة و المستدامة، حيث انه يتعدى مستويات الحفاظ على الجزء المادي للتراث إلى جميع مكونات البيئة المبنية والطبيعية، كما أن مشاكل تدهور التراث العمراني والمعماري تتسم بأنها تراكمية لعوامل ومؤثرات متعددة بل ومتغيرة تبعا لتطور مستجدات العصر.

كما اتضح من استعراض خصائص منطقة الدراسة مدى استجابة المجتمع الميزابي فكريا وثقافيا واقتصاديا لمحاولات الحفاظ بمختلف صورها والوقوف ضد كل محاولة لطمس هويته وعرف عمرانه المحلي الذي بقي متميزا ولم يختلط بهوية فنون العمارة الأخرى، ويكون ذلك من خلال إنجاز مشاريع قصور مستحدثة مبنية على أساس التوفيق بين حماية التراث العمراني وتطوير الحياة المعاصرة، إلا أن نجاح تلك المشاريع لا بد أن يعتمد على مدى شمولية الرؤية والمشاركة الشعبية في عملية الحفاظ، بدءا من الدراسات الأولية وتحديد الأهداف وتحديد الأولويات، وانتهاءً بالتنفيذ ومتابعة إدماج هذا التراث العمراني في منظومة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبذلك تصبح

مدننا وأحياءنا التراثية كتاباً مفتوحاً يقرأ فيه الجيل الجديد الكثير عن حياة آبائهم وأجدادهم ويمكنهم من التعرف على طبيعة علاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية وعلى حياتهم الفنية وسلوكهم الخاص العام، إضافة إلى تخطيطها العمراني وتراثها المعماري.

9. التوصيات: إن تواصل الحياة الحضرية في القصور الخمسة دون تسجيل أي انقطاع حضري على امتداد ألفية من الزمن، اعتمد كمبرر ومحفز كاف لتطوير واستحداث نماذج إسكان محلية تلي رغبة المجتمع المحلي في استمرارية النموذج المحلي للمنطقة، هذه النماذج مكنتنا من استخلاص بعض النقاط التي أغفلت في مشاريع السلطات العمومية لعدم مراعاة الخصوصيات العمرانية للمنطقة، وعدم ملاءمة هذه البرامج السكنية لنمط الحياة المزاي والبيئة الصحراوية، كما لم يتم إشراك العشائر و مختلف الهيئات المحلية في تخطيطها. في حين نجد أن المشاريع التي أنجزت من طرف الخواص، أخذت بعين الاعتبار هذه الأسباب وجعلت منها مبادئ لإنشاء مشاريعها.

إن دراسة وتحليل نماذج الإسكان الناجحة كمشروع تافيلالت وتينميرين مكنتنا من استخلاص واقتراح أهم التوصيات اللازمة لإنجاح مشاريع الإسكان الجديدة في المنطقة المحمية والتي تتطلب ما يلي:

- يجب أن يتم تخطيط مشاريع الإسكان وفق معايير تصميمية لتنسيق العمراني المتراس والمتضام الملائم للبيئة الصحراوية ونمط العيش الخاص بالسكان.
- توزيع استخدامات الأرض بشكل يضمن الهدوء و الخصوصية بالاعتماد على المجال شبه الخاص كمجال انتقالي من المجال العام إلى المجال الخاص.
- بالإضافة إلى تطبيق الإطار العمراني و المراسيم و التعليمات الوزارية الخاصة، يجب أن تخضع مشاريع الإسكان في المناطق المحمية إلى حقوق الأفراد في تطبيق وممارسة العرف العمراني الموروث الذي استمر تطبيقه على مدى ألفية من الزمن والتأكيد على سنها كتشريع عمري.
- توزيع وتوجيه الكتل البنائية والفراغات بحيث تساهم في تكسير الرياح والحماية من الرمال والمحافظة على رطوبة الهواء وزيادة الظل للتقليل من التعرض للإشعاع الشمسي.
- تخطيط المسكن وفق مبدأ الانغلاق على الخارج والانفتاح نحو الداخل لحماية الخصوصية.
- استشارة المجتمع المدني في تصور إعداد وتنفيذ مشاريع الإسكان، لكون الاستشارة أو المشاركة الشعبية تحمل الساكن المستفيد من السكن على مستوى القصور الجديدة مسؤولية المشاركة في استمرار القيم العمرانية والمعمارية المحلية.

يوصي البحث بأن يخضع التعمير على مستوى وادي ميزاب لمعايير وحقوق أفراد المجتمع المحلي، مما يسهل علينا الحفاظ على التراث العمراني بترميم القصور القديمة وتأصيل القيم العمرانية والمعمارية ببناء قصور جديدة تلبي حاجيات الإسكان والرغبة في الاستمرار بهذا النموذج لدى السكان، إن هذه المشاريع الجديدة تعبر عن نماذج عمرانية تتسم ببيئة هندسية ودية تسير الطبيعة وتندمج معها، حيث تجمع بين التقنية الحديثة والرغبة في استمرار النموذج التقليدي، وكذا تساهم في حماية الواحات من التوسع العمراني وترسخ تقاليد التكافل الاجتماعي والحفاظ على تماسك القصر كوحدة اجتماعية.

المراجع:

- خلف الله بوجمعة (2008)، المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، إصدار موقع مجمع العمران نت، 109-120.
- ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، (2010)، "دليل حول المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع الحمي لسهل وادي ميزاب" ص 8.
- مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية غرداية (فيفري 2002)، المونوغرافية السياحية و الحرفية لولاية غرداية ص 6-46.
- مديرية السياحة لولاية غرداية (2008)، دليل المواقع الأثرية الثقافية الطبيعية السياحية مع برامج الجولات السياحية.
- نويات إ، سعودي هر (2010)، تصميم المسكن الفردي بالمناطق الحارة و الطاقة البديلة، مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، جامعة الملك سعود.

المراجع الأجنبية:

- Centre de recherche en anthropologiesociale et culturelle (2005), éléments d'analyse urbaine, théorie et application, *Edition CRASC*, 78-81.
- Henriette et all, (1986), *Habiter Le désert Les maisons mozabites, édition ISBN*.
- Ministère de la culture, (2010), *Le Secteur Sauvegardé de la Vallée du M'ZAB, office de Protection et de Promotion de la Vallée du M'zab (OPVM)* ,
- THOMAS M, S, (2005), *protection du patrimoine culturel et transformation socioculturelle dans la vallée de M'Zab*, p12
- Yaël Kouzmine, (2007), *dynamiques et mutations territoriales du Sahara Algerian, vers de nouvelles approches fondées sur l'observation* Thèse de doctorat en géographie, université de franche-comté

قائمة الرموز و المصطلحات:

OPVM: ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته.

CRASC: مركز البحث في الانتروبولوجيا و العلوم الاجتماعية

التراث الأثري بولايتي تيارت والمدية ودوره في ترقية السياحة المحلية

د. عائشة حسيني

جامعة محمد أكلي - البويرة - الجزائر

يعتبر الموروث التاريخي المادي والمعنوي المحلي احدي الخاصيات العامة التي يتميز بها إقليم عن آخر والمناطق الحضرية عن المناطق غير الحضرية؛ وقد ينتج عن الاهتمام بهذا التراث وترتيبه وتأهيله احدي الموارد المادية الهامة في الجانب السياحي التي يمكن لها أن تستقطب السواح المحليين والأجانب وتفتح آفاق استثمار جديدة لسكان المنطقة وللوطن كله مع إضافة مورد للدخل القومي الوطني لكل بلاد من جهة، ومن جهة أخرى يعطي كل مكان أهميته في إطاره التاريخي والجغرافي بالنسبة للوطن والثقافات العالمية.

وهذا شان التراث المادي والمعنوي عامة بولايتي تيارت والمدية والذي يمكن القول عنه انه مازال مجالا خصبا وبكرا؛ يحتاج لدراسات كثيرة للوقوف علي المحطات التاريخية بالمنطقة المصنفة وغير المصنفة، حيث نجد الكثير من المواقع الأثرية مازالت غير معروفة وبالتالي غير مصنفة، وبهذا فهي مازالت تطلب الالتفاتة إليها بغرض إعطائها قيمتها وأهميتها التاريخية.

1_ نماذج عن المواقع الأثرية بتيارت.

1_ موقع لجدار: يعتبر هذا الموقع من أهم المناطق السياحية بولاية تيارت، بغض النظر عن الموقع المصنفة الأخرى بالولاية والتي لا يمكن فيها تجاهل مغارة ابن خلدون والآثار الرومانية والرستمية الممثلة في الكثير من المواقع، ولعل موقع لجدار، - دون نسيان آثار تاقدت مع مغارة ابن خلدون-، من بين المعالم الأثرية الهامة بالولاية نظرا لطابعها العمراني الذي أبعدها نوعا ما عن التلف مقارنة بالمدن الرومانية المقامة بالمنطقة وغيرها علي المستوي الوطني، كمدينة تاقدت الرومانية التي بني عليها الأمير عبد القادر عاصمته واستقر فيها مدة أربع سنوات، انطلق منها لتأسيس دولته وتنظيمها وربط علاقاته الخارجية إلي حين انتقل منها سنة 1841 بعد الهجومات الفرنسية، وقد نتج عن استقرار الأمير بها وهجوم الفرنسيين عليها في 1841 أن أحرقت المدينة وفجرت مما ساهم في تدهم الكثير من معالمها.

وفي ظل هذا الزخم الأثري الذي تعرفه ولاية تيارت اخترنا أن نتوقف عند محطة تاريخية معروفة وهامة في تاريخ المنطقة، إلا أنها في جانبها السياحي مازالت لم تأخذ بعد مكانتها التاريخية، يتضح هذا جليا من خلال قلة التردد المحلي و الأجنبي عليها، ألا وهي لجدار، فيلي أي تاريخ يعود بناء هذه الآثار؟ وفيما تتمثل؟ وما واقعها اليوم؟

تؤكد الدراسات التاريخية التي اهتمت بهذا الموقع أن الإمبراطورية الرومانية توسعت في أوج حكمها إلى مناطق عديدة من العالم استهلت عليها لقب الإمبراطورية، ولكنها في أواخر عهدها وحتى في مراحل قوتها عرفت مجموعة من الغزوات الجرمانية المتوالية عليها، إضافة إلى طغيان مظاهر الترف بها هذا ما أدى إلى انتقال السيادة السياسية علي أراضيها منها إلى خليفتها الإمبراطورية البيزنطية، منذ أن تم تقسيمها رسميا بين أكاديوس الذي اخذ القسم الشرقي منها، وهنوريوس الذي انفرد بالقسم الغربي سنة 395م، ولهذا يعتبر تاريخ 395 م بداية رسمية للإمبراطورية البيزنطية، وبما أن الجرمان كانوا كثيري التردد علي الإمبراطورية في هذه المرحلة حتى يتمكنوا من الحصول علي مقاطعات كبري بأراضيها، فان غزواتهم استمرت علي عهد البيزنطيين التي اضطر فيها يوستينيانوس إلى الدخول فيما يسمى بحركات الاسترداد علي مستوي مقاطعات الإمبراطورية بسبب الفوضى التي أفشتها فيها، وقد سيطر البيزنطيون في نهاية القرن السادس علي أكبر جزء من شمال شرق إفريقيا الشمالية، إلا أن سلطتهم صارت مضطربة علي نوميديا باستثناء بعض المقاطعات التي بقيت نائرة عليهم؛ ولهذا فان المحاولات البيزنطية لاسترجاع زمام الأمور ورد العصابات النائرة من بيراسن وزوجيتطان أي تونس الحالية إلى نوميديا، مع غارات السكان الأصليين من أهل الجنوب التي كانت تغذي الفوضى السياسية، زد إلي ذلك الركود الاقتصادي الذي قضى علي القوة السياسية للبيزنطيين بالمنطقة، كل هذه الظروف شجعت علي ظهور بعض الممالك المحلية بمنطقة شمال إفريقيا ومنها مملكة جدار بالقرب من تيارت الحالية⁽¹⁾.

39

يعود تاريخ تأسيس هذه المملكة إلي القرنين السادس و السابع الميلاديين وقد ساهمت الظروف الأنفة الذكر في ظهورها، ومن أهمها ضعف السيطرة السياسية والاقتصادية البيزنطية علي مختلف مناطق شمال إفريقيا، إضافة إلي ظهور بعض الحركات الانفصالية من سيطرتهم، يضاف لها عامل مهم آخر وهو نزوح السكان المحليين إلي الانفصال عن السلطة السياسية البيزنطية، وكان ظهور هذه المملكة علامة عن استعادة الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة لإيجاد تنظيم سياسي راق نسبيا في النواحي التي أهملتها منذ القديم روما، والتي عجزت بيزنطة أيضا عن استعادة سيادتها عليها فيما بعد حسب ما ذكره ايف لاكوست في دراسته عن هذه المملكة⁽²⁾، ما يلاحظ علي هذه المملكة ان الدراسات التاريخية حولها ليست بالوفرة التي تمكن الباحثين من التعرف علي حيثيات الموضوع بتفاصيله؛ وهذا ما أدى إلي عدم إعطاء الموقع أهميته التاريخية والسياسية بالرغم من تصنيفه كتراث عالمي، اشتهرت

هذه المملكة بمملكة جدار أو حسب ما هو معروف ألان بلجدار تعود إقليميا الآن إلى ولاية تيارت التي مازالت بها آثار هذه المملكة كشاهد مادي اثري لمملكة ساهمت الظروف التي تطرقنا إليها سابقا في ظهورها ، تضاهي آثارها في قيمتها التاريخية والأثرية وحتى السياحية إن استغلت المعالم الأثرية العريقة بمختلف بقاع الأرض، نظرا للقيمة التاريخية من جهة؛ وللمسحة الجمالية للمواقع أن استغلت أحسن استغلال .

تمثل هذا الآثار كما يظهر عليها ألان في ثلاثة مواقع علي مرتفعات أو هضاب متقاربة ومتقابلة، وهي عبارة عن أضرحة مأمييه تشهد علي عظمة الملوك الذين دفنوا فيها ؛يعتقد الباحث ستيفان قرال أن هذه المملكة امتدت في وقتها من الملوية إلى القطاع الوهراني كله إلى غاية تخوم الاوراس⁽³⁾، ونظرا لهذه الاعتبارات أي وجود مقابر الأسرة الحاكمة بالمنطقة إضافة إلى موقع المنطقة الاستراتيجي الملائم جدا للزراعة والمتصلة بالتل والسهول العليا ، وبالتالي اعتبارها مركزا تجاريا هاما من المحتمل جدا أن تكون عاصمتها تيارت ،ويدعم هذه الفكرة ظهور عواصم أخرى بالمنطقة في الفترة الإسلامية وازدهارها وتحكمها في البلاد لفترة زمنية أيام الدولة الرستمية، واستمرار تحكم المنطقة في التبادل التجاري وازدهاره مع دول المشرق والمغرب ،مع تهافت العلماء والتجار من مختلف البقاع عليها، أضحت إلى جانب كونها عاصمة سياسية ،منارة علمية هامة ومركزا للعلماء من مختلف المناطق بالداخل والخارج، وهي الأخرى مازالت آثارها شاهدا علي قيام وازدهار الحضارة الإسلامية بالمنطقة أيام الدولة الرستمية تعاني آثارها من النسيان السياحي أيضا.

40 وقد أكد ذلك الأمير عبد القادر في الفترة المعاصرة عند اتخاذه لتناقدت عاصمة لتنظيم دولته أن دل هذا علي شيء، إنما يدل علي أن المنطقة تحتل موقعا استراتيجيا مهما بالجزائر والمغرب الأوسط عموما ، ومنذ القديم حتى كانت عاصمة لأكثر من دولة ، ولهذا يمكن اعتبارها مركزا حضاريا مميذا بكثرة المواقع الأثرية وبجمال مناخها وطبيعتها الملائمة للنشاط البشري، إضافة إلى هدوئها ؛والتي تتشابه فيها الظروف بين مملكة لجدار والدولة الرستمية بالمنطقة، بسبب الاستمرارية التي عرفتها كونها تحتل مركز الاتصال بمنطقتين متكاملتين اقتصاديا وهي السهوب والتل في المنطقة التي يفتح فيها السل ممرا نحو البحر عبر السلاسل التلية مثل سهل المينة ،ونفس الظروف والإمكانيات الاقتصادية مازالت تتوفر بالمنطقة إضافة إلى الإمكانيات السياحية التي نحن بصدد الحديث عنها ، كل هذه الظروف تؤهل المنطقة لان تصبح قطبا سياحيا مهما بالبلاد إن استغل طبعها في المستقبل .

وتعود بداية الاهتمام بهذه المعالم الأثرية إلى منتصف القرن 19 علي اثر تلك الحملة الاستكشافية التي قام بها الكومندون برنار (Bernard) والذي أمد المجلة الإفريقية بمجموعة من المعلومات حول ثلاثة مباني أثرية قديمة يقصد بها لجدار كما اشرنا إليه سابقا والتي ذكر أن هذا الاسم أطلقه عنها السكان المحليين كما ذكر إنها توجد

بضواحي منابع المينا ثم قال بعدها بأنه يتذكر الحملة الاستكشافية التي قام بها مع الجنرال لامورسيار علي بعد فرسخين من مركزهم؛ وعلي بعد بضع كيلومترات أيضا عن فرندة في السهوب العليا ، وفي احدي الأيام ذكر بأنهم خرجوا إلي أن وجدوا أنفسهم في واد محاط بمضاب توجد عليها مباني عريقة مثل آثار قبر الرومية ، أحداها كبيرة يتراوح طولها ما بين 50 الي 60 متر بنيت بحجارة كبيرة ومصقولة بشكل جيد ، وفي كل واحدة منها هناك رسومات شبيهة بالنقوش التي اكتشفت بقبر الرومية كما وجدت الرسومات أيضا داخل المبني ، وهناك كتابة شبيهة بالكتابة الموجودة في بعض المناطق غير البعيدة عن هذا المعلم الأثري وهي عبارة عن لوحات نقشت في أسفل المعلم وكأنها لوحات تذكارية.

كما يذكر بأنه حاول دخول احدي هذه المباني ووجد بها مدخل مشكل من غرفتان مبنيتان أيضا بحجارة مصقولة ، ثم يذكر انه يقابلك بالمدخل عمود منحوت يجذب الزوار إلي الداخل عبر إدراج، حتى يعتقد صاحب المقال انه توجد به توائم تجذب الزائر إلى الداخل ، وحتى هذه الأدراج مبنية بحجارة كبيرة مصقولة جيدا ، ثم يذكر انه لم نستطع الدخول إلي أبعد من ذلك بسبب عدم توفر أي وسيلة يتخذونها لإزالة العوائق التي اعترضتهم في هذا المتبني لكي يتمكنوا من الدخول إلي ابعد من ذلك ، ثم ذكر أن العرب هم من أطلق اسم لجدار علي هذه الآثار التي تعني عندهم العريقة لا غير حسب ما كان يطلقه سكان البلاد علي كل المدن الرومانية المتقاربة ولا تعني أي معني آخر في لغتهم⁽⁴⁾

41

ما يستنتج عن هذه المملكة أن المجتمع الذي عاش تحت سلطتها قد سبق له وان انتقل إلي الجبال ثم نزلت بعض القبائل إلي السهول فتألفت من جديد في هذه النواحي وتحت تأثير قبائل جبلية ، قبائل كان التصرف الروماني والبيزنطي ساهم في تشتيتها ثم استعادت تشكيلها من جديد ، بعد أن تمكنت من بناء أسس اقتصادية مشتركة ، بقيت سلطة الرئيس مستمدة من الجماعة القبلية في الميدان الاقتصادي مثل الميدان الاجتماعي ولهذا يبين تأسيس مملكة لجدار تأليف تنظيم سياسي قوي نسبيا في الأماكن التي نجت من التدمير مقارنة بالأماكن التي كان التأثير الاستعماري القوي بها حيث كانت العلاقة واضحة بين قوي الاستعمار والاستيطان والسكان المحليين الذين استخدموا في بناء الدولة في الجوانب الاقتصادية دون المشاركة السياسية الفعالة علي حسب ما يبدو من نظم الحكم في العهد الوندالي والبيزنطي بالمنطقة .

2_ موقع مدينة تاقدمت: تقع مدينة تاقدمت الأثرية على بعد 8 كلم عن مدينة تيارت الحالية ، وهي

ألان إحدى بلديات هذه الولاية ذات طابع فلاحي بالدرجة الأولى ، يقابل الموقع الأثري بها الزائر عند دخوله

إليها من مقر الولاية ، وينقسم إلى قسمين ، إلى الشمال من الطريق تقع الآثار الرستمية ، و إلى الجنوب منه آثار المدينة الرومانية التي استقر فيها الأمير عبد القادر كمرکز لدولته⁽⁵⁾ ورد ذكر هذه المنطقة عند الكثير من المؤرخين القدامى والرحالة، فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكرها البكري في حديثه عن الدولة الرستمية⁽⁶⁾ . كما ذكرها حسن الوزان في وصف إفريقيا بأنها مدينة قديمة أسسها الرومان حسب قول بعضهم وأطلق عليها الأفارقة هذا الاسم الذي يعني العتيقة ، يبلغ طول محيطها 10 أميال كما لاحظ ذلك من تتبع أسس أسوارها ، وذكر أنه مازال بها أنقاض معبدين كبيرين كانت تعبد فيهما الأصنام مما يعني عودتها تاريخيا إلى الفترة الرومانية ، ولما فتحها المسلمون عادت مدينة متحضرة جدا تضم عددا من وافرا من العلماء والشعراء وخرجت هذه المدينة أثناء الحروب التي شنها عليها خليفة القيروان الشيعي عام 365 هـ ، حتى لم يعد للزائر مشاهدة سوى آثار الأسس القديمة حسب ما لاحظها المؤرخ بنفسه⁽⁷⁾ ، ويتفق محمد بن عبد الرحمان الجليلي في تفسيره كلمة تاقدت مع البكري حيث يذكر عن شرح معنى هذه الكلمة بأنها تسمية بربرية معناها الدف (8) .

ـ ب / نماذج عن المواقع الأثرية بالمدينة: تملك ولاية المدية هي الأخرى إمكانيات سياحية متنوعة، فهي

42 منطقة يمتزج فيها الطابع الجبلي في منطقة الأطلس التلي بالطابع الشبه الصحراوي في الجنوب ، ومنه فهي تجمع بين طابعين متميزين مناخيا ،نتج عنها طبيعة خلابة متميزة ، معروفة بشلالاتها في منطقة الشفة ، وغاباتها الكثيفة، وبحيرة تمزقيدة، ومنطقة بن شكاو الشهيرة ،وبين جنوبها المميز بالطابع الشبه الصحراوي الذي يظهر انه يتميز هو الآخر بطابع مناخي جيد وإمكانيات تساعد على جعل المنطقة قطبا سياحيا ،وهذا دون الحديث عن المناطق الأثرية التي تعود لمختلف الفترات التاريخية التي تزخر بها المنطقة ،ومنها المصنفة منذ مدة كمدينة أشير ناحية شلالة العداورة، ورابيديوم بجواب ،وخربة السيوف ،،،وغيرها من الآثار الأخرى الموجودة بالمنطقة، وقد أخذنا كنموذج عن ولاية المدية مدينة أشير .

ـ موقع مدينة أشير: تقع مدينة أشير فوق ربوة تطل على بلدية الكاف الأخضر ناحية شلالة العداورة،

أسسها زيري بن مناد الصنهاجي في 936م ووقع اختيار مكانها نظرا لوفرة المياه بها ،ويعتبر الباحث الفرنسي بير بريجغر أول من كتب على مدينة أشير التاريخية سنة 1852 ونشر بحث عنها في المجلة الإفريقية عام 1922 من طرف جورج ماسي ، أسس هذه المدينة زيري بن مناد ساعده في بنائها الخليفة الفاطمي، زار مدينة أشير رحالة وعلماء كما كانت الحياة العلمية فيها رائجة ،وقد شيدت بها القصور والحمامات نذكر منها قصر بنت السلطان الذي مازالت إطلاله شاهدة عليه ،ويذكرها ابن خلدون في الجزء السادس من كتاب العبر⁽⁹⁾ .

وقد ورد ذكر مدينة أشير لدى الكثير من الرحالة نورد منهم علي سبيل المثال ابن حوقل الذي قال عنها أنها مدينة يسكنها آل زيري بن مناد لها سور حصين وأسواق وعيون، أما البكري فقال عنها أنها مدينة جلييلة حصينة...تنزل عنها العيون وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها...أما الإدريسي فقال..ومنها إلى أشير زيري مرحلتان، وهو حصن حسن البقعة كثير المنافع وله سوق يوم معروف تجلب إليه كل لطيفة...⁽¹⁰⁾.

ـ الأبحاث والحفريات بمدينة أشير: انتقل بير بريغر مرتين إلى أشير جويلية 1850 وأوت 1852، وبعدها توالت زيارات الباحثين على المدينة ومنهم شابا سيار سنة 1869، والنقيب رودى سنة 1908، وقد أحصى هذا الأخير ثلاثة مواقع وهي منزه بنت السلطان وأشير وبنية، ويعود اكتشاف منزه بنت السلطان إلى بيربريغر سنة 1852، أما أشير فتمتد على مساحة 15 هكتار وهو مكان أشير القديمة حسب رودى، أما بنية فتوجد على بعد 2 كلم جنوب شرق أشير على مساحة 35 هكتار، ويرى رودى انه موقع المدينة الجديدة على يد بلكين بن زيري، وهذا معناه أن أشير بنيت على مراحل على عهد زيري بن مناد وابنه بلكين، وتواصلت هذه الحفريات على عهد من 1954 إلى 1957م على يد وأسفرت عن اكتشاف قصر زيري بن مناد وبعض النقوش الجدارية الأخرى⁽¹¹⁾.

ورغم المحاولات التي قام الباحثين منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر بمدينة أشير، إلا أنها لم تأخذ حقها من البحث والتحري وبرزها إلى الوجود بصفة جيدة وجعلها معلما من معالم الحضارة الإسلامية بالمنطقة، التي لم تأخذ حقها بصفة جيدة في الحفريات مقارنة مثلا بمعالم الحضارة الرومانية بالجزائر عموما، وقد ينتج الاهتمام بهذه المدينة إلى التعريف بالموروث الحضاري الإسلامي بالمنطقة، وبالتالي تصبح منطقة جذب للسياح، وموردا من موارد الدخل القومي.

ـ التأثير السياسي والحضاري لمدينة أشير: تعتبر أشير ثاني عاصمة للمغرب الأوسط بعد مدينة تيهرت عاصمة الرستميين، وتمثلت أدوارها السياسية في إدارة شؤون المغرب الأوسط والوقوف في وجه زناته المدعومين للامويين في الأندلس، وقد أصبحت أعظم مدن المغرب الأوسط بعد أن كانت عاصمة للزييين عام 936م، واعتمدت كقاعدة عسكرية ومنطلقا لتأسيس الدولة الحمادية ثالث دولة بالمغرب الأوسط، وقد ساهمت هذه المدينة في تأسيس مدن أخرى وهي مدينة المدية في 966م، مدينة مليانة في 971م، مدينة جزائر بني مزغنة في 972م، وذلك لجعلهم حواجز إضافية لصد تطلعات زناته غربا، ومن جهة البحر عن طريق جزائر بني مزغنة..⁽¹²⁾.

إلى جانب الوظيفة السياسية والاقتصادية والإدارية ساهمت أشير حضاريا أيضا فمن الناحية الاقتصادية مثلت منطقة عبور تجارية هامة من الفسطاط القيروان أشير سجلماسة السودان الغربي، وهذا ساهم في تعمير أشير بجعلها حاضرة لسكان المنطقة، حيث انتقل إليها العلماء والوجهاء من مختلف أنحاء الجزائر آنذاك، وقد ساهم في بنائها بواسطة طراز عمراي فريد من نوعه آنذاك، وبهذا فقد صارت المدينة قبلة للعلماء والطلبة، واشتهر بها الكثير من العلماء منهم أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري 1165م، ولد ودرس بأشير وانتقل إلى حلب أين فاق نظرائه آنذاك، ووصفه ياقوت الحموي أثناء تواجده بحلب بأنه إمام أهل الحديث والأدب، وقد درس ببغداد وبقي ينتقل بينها وبين الشام ووافته المنية بلبنان سنة 1165م، واشتهر أيضا أبو عمران الأشيري المتوفي في 1193 م الذي استقر بدلس، ثم انتقل إلى اشبيلية وتواصل مع ابن العربي ودخل قرطبة فاحد عن علمائها، ثم إلى المرية ثم إلى دلس أين توفي هناك، وهذه عينة فقط عن بعض العلماء من أشير⁽¹³⁾.

ج- واقع الآثار القديمة بولايتي تيارت والمدية ودورها في ترقية الدخل المحلي والوطني.

بالرغم من العناية التي تحضي بها الآثار عموما بالمنطقة التي تمتد فيها الولايتين في إقليمهما الشاسع، إلا أنها مازالت تطلب المزيد من رد الاعتبار والترميم والاهتمام أكثر، وقد يساهم هذا الاهتمام في إعطائها مكانتها الحقيقية بين الآثار العالمية والوطنية، ويساهم أيضا في ترقية الدخل الوطني والمحلي للمنطقة، هذا بغض النظر عن الكم الهائل الأخر من الآثار القديمة والرائعة وشساعة المنطقة وتنوع مناخها ما بين السهلي والجبلي والصحراوي، وإمكاناتها السياحية الأخرى بغير الإمكانيات الأثرية في مختلف فصول السنة، والتي يمكن لها من خلالها أن تجعل من الولايتين مجتمعين قطبا سياحيا هاما، بالنسبة للآثار المعروفة والمصنفة بغض النظر عن الآثار الأخرى التي لازالت غير معروفة وغير مصنفة بعد، والتي تتطلب هي الأخرى كشفها وتصنيفها ضمن الحظيرة الوطنية للآثار في الآجال اللاحقة لإعطائها قيمتها والتعريف بها على المستوى المحلي والدولي إن أمكن، واستغلالها اقتصاديا في ترقية الدخل عموما عن طريق جعلها محركا أساسيا للتنمية بشرط الاهتمام بهذه المؤهلات وتنميتها وحمايتها.

الهوامش

1. إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب رابح اسطنبولي وآخرون، الرغاية 1984
2. نفسه، ص 87.
3. Stephen Gsell, les monuments Antiques L'Algérie ; t2 ; Paris ; 1901 ;
4. revue africaine ; volume 1; Année 1856 ; pp50_51
5. علي حسب المخطط الذي تحصلت عليه من مصلحة أرشيف دائرة التراث بمديرية الثقافة لولاية تيارت.
6. البكري، المسالك والممالك، ص 68.
7. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1983، ص 41.
8. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ص 243.
9. شعوة علي، تعريف مدينة أشير التاريخية، أعمال الملتقي الأول حول تاريخ تابلاط وما جاورها، المجلة المغاربية للمخطوطات، 2010، دار الهدى، ص ص 277 - 278.
10. نفسه، ص ص 280-282.
11. محمد عياش، مدينة أشير المدينة، أعمال الملتقي الأول حول تاريخ تابلاط وما جاورها، المجلة المغاربية للمخطوطات، 2010، دار الهدى، ص ص 43-44.
12. موسي هيصام، أشير المدينة والعاصمة تأثيرها السياسي وإشعاعها الحضاري، أعمال الملتقي الأول حول تاريخ تابلاط وما جاورها، المجلة المغاربية للمخطوطات، 2010، دار الهدى، ص ص 56-60.
13. نفسه، ص ص 60-62.

مناظر طبيعية قرب مغارة ابن خلدون بفرنندة



بقايا المدينة الرومانية بتناقمت الأثرية الجهة الجنوبية والشمالية، مازال جزء كبير منها مدفون تحت الأرض.





مقومات الصناعة السياحية في ظل متطلبات التنمية المستدامة

من أجل عقلنة وترشيد النشاط السياحي

د. عتيقة حرابرية

جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله

الملخص:

ظهر نشاط السياحة الدولية، خلال العقود القليلة الماضية، كواحد من أكثر الصناعات الواعدة عالميا، وذلك لما يضيفه من حركية على الاقتصاد العالمي، بل وصار التزايد القوي والمستدام للنشاط السياحي يمثل أحد أهم الظواهر الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في وقتنا الحاضر؛ وأصبح يحتل مكانا بارزا في العديد من استراتيجيات التنمية سيما في الدول ذات المقدرات السياحية، بالمقابل خلف هذا الوضع إستغلالا فاحشا في الموارد على إختلافها، حيث تعالت الأصوات المحذرة من مغبة هذا الأمر والمناذية بضرورة العمل على تطبيق مبادئ التنمية المستدامة في هذا المجال، وظهرت التنمية السياحية المستدامة التي تمثل عملية تغيير، يكون فيها استغلال الموارد، واتجاه الاستثمارات، ووجهة التطور التكنولوجي، والتغير المؤسساتي أيضا في حالة الانسجام، مع ضرورة العمل على تعزيز إمكانية ربط الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات الأساسية للسياح في ظل عقلنة وترشيد النشاط السياحي.

في هذا الإطار، سنحاول من خلال هذه المداخلة مناقشة بعض المتطلبات التي تشترطها التنمية السياحية المستدامة من أجل ترشيد وعقلنة النشاط السياحي وبالتالي دعم مقومات الصناعة السياحية، ذلك من خلال إبراز النقاط التالية:

1. دلالات الصناعة السياحية وأهم مقوماتها.
 2. الإدارة السياحية وعلاقتها بالصناعة السياحية.
 3. التنمية السياحية المستدامة وعلاقتها بالصناعة السياحية.
 4. متطلبات عقلنة وترشيد النشاط السياحي.
- الكلمات المفتاحية:** الصناعة السياحية، التنمية المستدامة، الإدارة السياحية، التنمية السياحية المستدامة.

أولاً- دلالات الصناعة السياحية وأهم مقوماتها

السياحة في عصرنا الحالي صناعة قائمة بذاتها، وهي تعتبر صناعة تصديرية وفلسفة ومهنة وفن، كما تعبر السياحة عن مجموعة من النشاطات والخدمات التي يمكن تجميعها وتقديمها كخدمة متكاملة إلى السواح، وهي عبارة عن نظام متكامل ومتداخل لعدة أنشطة ومعارف يتم تنظيمها والتحكم بها بطريقة معينة. هذا وتُعد السياحة اليوم كعلم قائم بذاته كبقية العلوم الأخرى له مقوماته وقواعده الخاصة، التي تدرس في الجامعات والمراكز التكوينية المهنية وبمستوى أعلى الشهادات، كما تفرع عن علم السياحة تخصصات مهمة منها: الاقتصاد السياحي، الإحصاء السياحي، التخطيط السياحي، الجغرافية السياحية، الإدارة السياحية، التسويق والإعلان والترويج السياحي، العلاقات العامة في السياحة وغيرها، حيث تجاوز العالم الحديث عن السياحة إلى التعمق في مبادئ الصناعة السياحية، بل إن صناعة السياحة، بحد ذاتها، قد تجاوزت في بعض المناطق زمن الصناعة أو المرحلة الحرفية وأصبحت اليوم مجموعة من الاختصاصات يتطلب كل منها خبرة وتقنية لا يمكن تطبيقها عن طريق الارتجال والعفوية كما أنها تجاوزت مرحلة التساؤل عنها كظاهرة مرغوب فيها أم لا.

السياحة كصناعة لها كأهمية خاصة تستمد من تأثيرها على بُنيان وأداء الاقتصاد القومي، كما أن الصناعة السياحية بالمقارنة مع الصناعات الأخرى لا تتطلب عمليات تحويل المواد الخام من شكل إلى آخر ولا تعتمد الآلات والمكائن ونحوها، ولا تنبعث من منشآتها الدخان أو ثاني أكسيد الكربون ولا أي نوع من أنواع النفايات إلا ما يعود استخدامه للإنسان نفسه، لذلك يمكن القول أن صناعة السياحة صناعة نظيفة بالمقارنة مع الصناعات الأخرى، وأن الجوانب السلبية التي يمكن أن تظهر فيها بصورة أو بأخرى يمكن معالجتها بطرق كثيرة للحد من آثارها والتقليل من مخاطرها.

السياحة صناعة تختلف عن أي صناعة أخرى لكونها لا تفيد عدداً محدداً من العاملين بها، بل هي أبعد هدفاً وأوسع غاية وفائدة لأكثر عدد من الناس نتيجة لتعدد العاملين وتنوع خدماتها، وبالتالي تؤثر نتائجها على الاقتصاد القومي عن طريق ما تحصل عليه من عمالات صعبة، هذا ما ينعكس على باقي مظاهر الحياة الأخرى الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها.

السياحة صناعة مركبة تضم مرافق عديدة ومتباينة وأنشطة اقتصادية يعتمد على الدراسة والبحث والتأمل والتجارب ومشاركة جميع الأجهزة المعنية بالسياحة سواء كانت عامة أو خاصة ووضع خطط واضحة للمبادئ والأسس تشمل كافة الصناعات الأخرى المرافقة لها مثل صناعة الفنادق، صناعة النقل، البنوك، الفلاحة وغيرها.

بمجال صناعة السياحة يحتاج إلى أسس علمية وعملية تمكن من الإستعمال والإستثمار الأفضل للموارد المادية والطبيعية والبشرية في سبيل تقديم خدماتها في أفضل شكل وصورة ممكنة، وهي تعتمد بشكل أساسي على الحقل البشري في مجال التخطيط والتنظيم والتوجيه والتنسيق والمراقبة، كما أن استخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة والآلات الإلكترونية والحاسوب والأجهزة والمعدات التكنولوجية المتطورة ينعكس على مستوى تطور هذا المجال من الصناعة.

من هذا المنطلق، تعتبر صناعة السياحة من أكبر الصناعات في العالم والتي تساهم في دعم الاقتصاد المحلي والعالمي وينفق المستهلكون في الدول المتقدمة على السفر والسياحة أكثر مما ينفقون على المواد الأخرى، وتزداد أهمية صناعة السياحة في الدول النامية التي تهدف إلى تحقيق فائض أو موازنة في مجال ميزان المدفوعات وتحقيق فائض في مجال العملة الصعبة، وتحقيق صناعة السياحة على شكل صادرات غير منظورة.

1-1. أسباب توسع وانتشار الصناعة السياحية

- ومن الأسباب التي أدت إلى التوسع وانتشار الصناعة السياحية، تشير المصادر والدراسات إلى ما يلي:
- 1- الانتقال الأفراد من الريف إلى المدينة أدى إلى زيادة الطلب على الخدمات في المدينة وانخراط الناس في الأعمال المكتبية الخاضعة إلى الروتين واستعمال الفكر والعقل بدلاً من القوة الجسمانية كما في الريف وهذا بدوره أدى إلى ضرورة التمتع بإجازة سنوية والهروب من جو الروتين والعمل وزخم المدينة.
 - 2- تقليل ساعات العمل نتيجة دخول الآلات والمكائن الحديثة أدى إلى زيادة أوقات الفراغ وأصبحت فرص السفر متوفرة.
 - 3- شغف الأفراد بالتمتع بالإجازات المدفوعة الثمن بعد تعديل قوانين العمل والتنظيم والتشريعات التي تحدد الإجازات الإجبارية المدفوعة الثمن.
 - 4- زيادة وحدات الإنتاج أدى إلى حصول فائض في الإنتاج وبدء التجار والصناعيين في البحث عن أسواق جديدة لتصرف بضائعهم وهذا يحتاج إلى السفر.
 - 5- تراجع حدة الحروب وانتشار السلام بين العالم.
 - 6- تطور وسائل وطرق النقل والتنقل بالنسبة للأفراد والسلع.
 - 7- تلوث البيئة وخاصة جو المدن الصناعية الكبيرة أدى إلى هروب الناس فترة من الزمن إلى المناطق الأخرى.
 - 8- تطور وسائل الاتصالات الحديثة، والتي ساهمت بشكل فعال في السياحة والسفر إذ يستطيع الشخص أن يسافر إلى أبعد دولة في العالم، كما يستطيع من غرفته في الفندق أن يدير أعماله ومصالحه في أي دولة من العالم باستعمال أجهزة الحاسوب والتلفزيون والفاكس.
 - 9- زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي والثقافة العامة وانتشار المعلومات أدت إلى هذه الزيادة إلى الرغبة لدى كثير من الناس لزيارة البلدان الأخرى لغرض الإطلاع على ثقافتهم وأمور معيشتهم.
 - 10- التقدم العلمي في مجالات الطب والأدوية ومعالجة الأمراض والقضاء على الأوبئة ساعد على زيادة السياحة وعدم خوف السائح من تعرضه للإصابة بالأمراض.
 - 11- تطور البنية التحتية في العالم وزيادة طرق المواصلات وسهولة الحصول على سيارة حديثة آمنة أدت إلى سهولة الانتقال من مكان لآخر.

12- انتشار الحروب أدى بطريقة وأخرى إلى انتقال الأفراد والقوات المسلحة من مكان لآخر واثناء إقامة أفراد القوات المسلحة في بلد ما أصبح تبادل ثقافي واجتماعي وزواج بين هؤلاء الأفراد ومواطني البلد أو رغبة الجنود في زيارة الأماكن التي حاربوا بها أو التي لهم فيها ذكريات.

1- 2. عناصر الصناعة السياحة

تقوم صناعة السياحة على عناصر هامة منها:

1. **المادة الأولية، تعتبر المادة الأولية أو المادة الخام** من مقومات السياحة الأساسية وتتضمن المغريات والأماكن الأثرية والحضارية التي تنفرد بها منطقة معينة عن أخرى وتمثل القيمة الأصلية للمنتوج السياحي وتظهر في شكل عوامل جذب الطبيعية وتشمل المناظر الطبيعية الساحرة، طبيعة الجو السائد، طبيعة التضاريس من جبال، غابات، سهول، أنهار، بحار، بحيرات،... إلخ، عناصر بيئية متنوعة من الحيوانات، النباتات، الأحجار، الصدف طبيعي وغيرها. اما الشكل الثاني فيتمثل في عوامل الجذب غير الطبيعية، وتشمل المدن الحضارية، الآثار، المسارح، المنشآت الرياضية، الأضرحة والأماكن الدينية، نوعية الخدمات المقدمة سيما ما تعلق بالفنادق، المطاعم، وسائل تسلية، وسائل مواصلات، خدمات أخرى.

2. **رأس المال**، يتطلب إنشاء أي مشروع سياحي أو تطويره إلى رأس مال عالي، فتركيز عوامل الجذب والخدمات السياحية تحتاج إلى جهود ورأس المال لكي تصبح في قائمة المنافسة مع المناطق المشابهة، سواء كان ذلك في المناطق الأثرية والطبيعية أو في المدن، وحتى تسهل عملية جذب السواح لا بد لها من توفر الخدمات والبنية التحتية والتسهيلات والتي لا يمكن أن تنشأ وتتطور بدون رأسمال كبير، فمثلاً إنشاء فنادق، مطاعم، مدن، ملاهي، بنوك، مكاتب سياحية، تعبيد طرق المواصلات وتحسين وسائل النقل وغيرها، كلها تحتاج إلى رأس مال.

3. **العمل**، يحتاج العمل في مجال السياحة إلى دراسة وإعداد مسبق وتخطيط علمي ثم التنفيذ، ويهذهذا الوضع في الواقع هو نتيجة مباشرة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي يشهده العالم، لذلك تعمل الدول على تطوير برامج العمل والاهتمام بها في مجال السياحة من أجل تقديم خدمات أفضل، لهذا السبب نرى أن أغلب الدول التي تهتم بالسياحة عملت على إدخال مواد السياحة وتدريب السياحة كعلم مستقل في المدارس والمعاهد والجامعات لغرض الاهتمام بهذا المجال وتحسين نوعية العمل المقدم في السياحة.

4. **الدعاية والإعلان والترويج**، وهي من أهم الأسس التي تقوم عليها صناعة السياحة تعتمد على الترويج الإعلامي وطبيعة الإعلانات التي تروج للمناطق السياحة عن طريق وسائل الاعلام المختلفة التي تخدم أغراض التسويق السياحي، وقد ازدهر هذا المجال أكثر بتطور التكنولوجيا ووسائل الاتصال.

5. **النقل**، يلعب قطاع النقل دوراً مهماً في تطور ونجاح السياحة في أي مكان من العالم، فتوفر وسائل المواصلات السريعة والمرحبة وتوفر طرق المواصلات يساعد على نجاح في أي منطقة سياحية، خاصة إذا

تنوعت بها وسائل النقل البرية والبحرية والجوية، لأن أول ما يفكر به السائح عندما يفكر في زيارة منطقة ما هو طريقة وسهولة وسرعة الوصول إليها، ومنه فإن نجاح السياحة - في أي منطقة كانت - يجب أن يصاحبه تطور وتقدم في كافة مجالات النقل الممكنة.

6. **البنية التحتية**، يحتاج نجاح أي مشروع سياحي أو أداء خدماته بصورة كاملة إلى توفر خدمات أولية مثل شبكات المياه الثقيلة، المياه العذبة، الكهرباء، الغاز، شبكة الهاتف، الخدمات الصحية، الطرق، البنوك وغيرها، حيث تعتمد صناعة السياحة بصورة أساسية على نوعية البنية التحتية المتوفرة.

ثانياً- الإدارة السياحية وعلاقتها بالصناعة السياحية

تهتم الدول السياحية من خلال إهتمامها بتوسع صناعتها السياحية إلى زيادة عدد ونوعية الخدمات التي تقدم إلى السياح، والذي يعتبر نتيجة لزيادة الطلب السياحي على منطقة ما، ويكون التوسع بزيادة عدد الفنادق، المنتجعات، الأسرة الفندقية، المخيمات، ووسائل الإيواء الأخرى، بالإضافة إلى توسيع الطرق وخطوط النقل والتنقل وتنويعها (برية، بحري، جوية)، وكذلك زيادة عدد العاملين في مجال صناعة السياحة أي توسع ونمو صناعة السياحة عن طريق زيادة العرض السياحي، ورغم كل ما يتحقق من إيجابيات تكون هناك سلبيات لهذه الصناعة، يحددها المختصون فيما يلي:

- 1- تساعد على ازدياد مستوى الجريمة والغش، خاصة في دول العالم النامي.
- 2- تساعد على تغير عادات وتقاليد المجتمعات، خاصة المحافظ، وبعض الحالات تساعد على انتشار الدعارة والفساد الأخلاقي، مع ذلك فقد تمكنت كثير من الدول من معالجة هذه المشكلة عن طريق تشديد الرقابة وتنمية الوعيين أفراد المجتمع.
- 3- يتولد في بعض الحالات حقد وكراهية من قبل أهل البلد إلى السياح (في ظاهرة يطلق عليها Xenophobia) خاصة في الدول الفقيرة.
- 4- تساعد على انتشار الأمراض والأوبئة، لكن أغلب الدول عاجلت هذه المشكلة بطلب من السياح الحصول على تلقيح ضد أمراض معينة عند الحصول على الفيزا (أو سمة الدخول).
- 5- إقامة كثير من المشاريع السياحية يؤدي إلى تلوث البيئة.

كل هذه الأوضاع وغيرها فرضت ما يمكن أن نصلح عليه بـ*الإدارة السياحية أو السياحة المسؤولة* وجاء هذا مصطلح ليعبر عن مفهوم متشابه المعاني، يشمل كلا من السائح، والمنظم، والمنشأة السياحية؛ مشيراً إلى مسؤولية الشخص عن السياحة في بلاده، من حيث الحفاظ على البيئة، والتراث، وكيفية مساعدته على ديمومة السياحة، وسلامة الوعي السياحي. لتعكس السياحة المسؤولة، مدى التزام الدول بجعل السياحة أداة فعالة في سبيل تحقيق السلام، والتضامن العالميين، خاصة في مواجهة التحديات الاقتصادية الحالية، من خلال العمل على

توليد الفرص الاجتماعية، والاقتصادية على النحو الذي يساهم في تقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء، إضافة إلى احترام الإنسان، والطبيعة، والبيئة، وكذا القواعد، والقوانين التي تنظم عمل القطاع؛ وعلى هذا الأساس، فرض الرؤية السياحة المسؤولة مجموعة من التدابير، نشير إلى أهمها في ما يلي:

- **احترام القيم الأصيلة**، إذ يتعين على الفاعلين في الميدان السياحي أن يولوا للتقاليد، والثقافة المحلية، والشعبية الأهمية التي تستحقها؛

- **احترام الثروات الثقافية**، وذلك من خلال بلورة الأنشطة السياحية، بشكل يسمح بمتابعة، وتنمية المنتجات الثقافية، والتقليدية، والفولكلورية وعدم إخضاعها لنمط معياري واحد، أو الحد من غناها؛

- **لمحافظة على البيئة**: من واجب كافة المتدخلين في إنعاش قطاع السياحة العمل على المحافظة على البيئة، وعلى الموارد الطبيعية، في إطار تنمية اقتصادية مستدامة، تستجيب بشكل عادل لاحتياجات، وتطلعات الأجيال الحاضرة، والمستقبلية؛

- **احترام الطفولة**: بعدم الاستغلال الفاحش للعنصر البشري، بأي شكل من أشكال، وخاصة الأطفال. في هذا الإطار، تبرز أهمية الأبعاد الأخلاقية في العمل السياحي؛ إذ لم يعد الوعي البيئي، والرغبة في الحفاظ على الحياة الطبيعية على كوكب الأرض قاصراً على الجماعات المناهضة للتجارب النووية، أو لعمليات إزالة الغابات، ولكنه امتد إلى صناعة السياحة؛ من خلال وضع العوامل الثقافية، والسياسية، بالإضافة إلى البيئة عند اتخاذ قرار التوجه إلى أحد المقاصد السياحية.

ثالثاً- التنمية السياحية المستدامة وعلاقتها بالصناعة السياحية

تشير تقارير دولية إلى أن السياحة والسفر تمثل نشاطا رئيسيا وقوة اقتصادية كبيرة، تسهم بمقدار 9 في المائة من إجمالي الناتج المحلي العالمي، و6 في المائة من الصادرات، وتسهم (بشكل مباشر أو غير مباشر) بوحدة من كل إحدى عشر وظيفة. ويشهد قطاع السفر والسياحة نمواً سريعاً، فبين عامي 2011 و2013، ازداد مجموع السياح الدوليين بمقدار 9.2 في المائة، حيث وصل إلى 1,087 مليون سائح، مما أدى إلى ازدياد عائدات السياحة بوتيرة أسرع (بمقدار 11,2 في المائة)، محققة 1,1159 مليار دولار أمريكي¹. وتشير توقعات منظمة السياحة العالمية إلى أن ازدياد أعداد السياح الدوليين بمعدل 3,3 في المائة سنوياً حتى عام 2030. وتضيف هذه التقارير إلى توقعاتها، تسارع وتيرة النمو في الاقتصادات الناشئة (4,4 في المائة سنوياً) مقارنة بالاقتصادات المتقدمة (2,2 في المائة سنوياً). وتتفاوت معدلات النمو المتوقع سنوياً حتى عام 2030 بين المناطق (5,2 في المائة في أمريكا الوسطى؛ و5,0 في المائة في أفريقيا؛ و4,9 في المائة في آسيا/المحيط الهادئ؛ و4,6 في المائة في أمريكا الجنوبية؛ و2,3 في المائة في أوروبا؛ و1,7 في المائة في أمريكا الشمالية).

¹ تقرير Tourism Highlights الصادر عن منظمة السياحة العالمية، طبعة 2014، منظمة السياحة العالمية، 2014.

هذا وثمة اتجاه عام جار في أسواق المصدر الأكثر نضجا، لا سيما من أوروبا وأمريكا الشمالية، نحو المغامرة الناعمة والتجارب الفريدة التي تحدث تغييرا،² والتي غالبا ما تتضمن عنصر زيارات إلى المناطق الطبيعية ومشاهدة الحياة البرية، لكن هذا النوع من " الأنشطة السياحية تؤثر على الظروف البيئية الأخرى والتي يمكن أن تؤثر سلبا بدورها على التنوع البيولوجي، مثلا من خلال استهلاك المياه أو انبعاثات غازات الدفيئة التي تسهم في تغير المناخ، كما يمكن أن يشكل تهديدات مباشرة لفرادى الأنواع، من خلال الأنشطة الترفيهية أو استخدامها كأغذية أو هدايا تذكارية، أو من خلال المنافسة التي تتعرض لها من الأنواع الدخيلة الغازية المستحدثة بسبب النشاط السياحي، كما تشكل هذه النشاطات ضغطا على الموائل، مما يؤدي إلى فقدان التنوع البيولوجي الناجم عن التنمية والعمليات والأنشطة السياحية سيئة التصميم والإدارة والحارية في مواقع غير مناسبة "

وإقرارا بالأهمية القصوى للسياحة، واقتصادات المناظر الطبيعية الخلابة، والتنوع البيولوجي الغني، تبرز الأهمية السياسية والاقتصادية للحفاظ عليها وتنمية مواردها، بالإضافة إلى:

- تصميم وتشغيل منتجات السياحة الطبيعية التي تحقق إيرادات وغيرها من أشكال الدعم لحفظ التنوع البيولوجي؛
- دعم سبل عيش المجتمعات المحلية والأصلية وتنوعها الثقافي من السياحة مما يوفر بديلا للأنشطة غير المستدامة ويعمل على زيادة وتعزيز وعيها بقضايا الحفظ.

55

بالإضافة إلى تزايد الوعي العام بالاعتبارات البيئية، حيث كشفت استطلاعات للرأي أجرتها الجمعية الدولية للأنظمة البيئية، أن غالبية من استطلعت آراؤهم يضعون المسؤولية الاجتماعية تجاه البيئة على رأس أولوياتهم، ففي الولايات المتحدة قال 38 % مثلا إنهم مستعدون لدفع المزيد من المال، من أجل التعاقد مع شركات سياحية، تعطي قدراً أكبر من الاهتمام للحفاظ على البيئة، وقال 39 % إنهم مستعدون لدفع أموال أكثر مقابل التعاقد مع شركات سياحة تحمي المعالم التاريخية، والثقافية للمقاصد السياحي، من هذا المنطق تطور الاهتمام بالسياحة البيئية والتنمية السياحة المستدامة.

ويقصد بالسياحة المستدامة "تطوير إرشادات وممارسات إدارية للسياحة المستدامة قابلة للتطبيق على كل أنواع السياحة في جميع أنواع الوجهات، بما في ذلك السياحة الجماعية والسياحة المتخصصة بقطاعاتها المختلفة. وتعلق مبادئ الاستدامة بالمظاهر البيئية، والاقتصادية والاجتماعية- الثقافية للتنمية السياحية، ويجب إقامة توازن مناسب بين هذه المظاهر الثلاث لضمان استدامتها على المدى البعيد، وعليه، فإن السياحة المستدامة موجهة نحو:

² تقرير World Travel Trends لعام 2013/2012 الصادر عن معرض البورصة الدولية للسياحة.

- (1) تحقق الاستخدام الأمثل للموارد البيئية، التي تشكل عنصراً أساسياً في التنمية السياحية، والمحافظة على العمليات البيئية الرئيسية، والمساعدة في الحفاظ على التراث الطبيعي والتنوع الحيوي؛
- (2) تحترم الأصالة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية المضيئة، والحفاظ على الموروث الثقافي المشيد والحي والقيم التقليدية، والمساهمة في التفاهم والتسامح بين الثقافات؛
- (3) ضمان عمليات اقتصادية قابلة للاستمرار على المدى الطويل، من خلال توفر منافع إجتماعية- إقتصادية لجميع المعنيين وأصحاب المصلحة بحيث تكون موزعة بشكل عادل، بما في ذلك العمالة الثابتة وفرص كسب الرزق، والخدمات الإجتماعية في المجتمعات المضيفة، وتسهم في القضاء على الفقر. وتتطلب التنمية السياحية المستدامة المشاركة الواعية من المعنيين اصحاب المصلحة، فضلا عن قيادة سياسية قوية لضمان المشاركة الواسعة وبناء آراء توافقية، كما يتطلب تحقيق السياحة المستدامة الإستمرارية ورصداً مستمراً للتأثيرات المحتملة، وتقديم التدابير الوقائية و/ أو التصحيحية اللازمة كلما استدعت الضرورة. هذا، ويترتب على السياحة المستدامة الحفاظ على مستوى عالٍ من الرضى السياحي، وضمان حصول السائحين على تجربة ذات معنى، في الوقت الذي تتم فيه رفع توعيتهم حول موضوع الاستدامة وتعزيز ممارسات السياحة المستدامة فيما بينهم.

تدعم السياحة المستدامة الحفاظ على المناطق الطبيعية التي تستخدم كعامل جذب للسياحة البيئية وذلك من خلال:

- جني فوائد اقتصادية للمجتمعات المحلية والمنظمات والسلطات التي تدير المناطق الطبيعية بطريقة هدفها المحافظة،
- توفير بدائل للعمل وفرص للدخل بالنسبة للمجتمعات المحلية،
- زيادة التوعية حول الحفاظ على الممتلكات الطبيعية والثقافية فيما بين السكان المحليين والسياح على حد سواء.

وتصف السياحة بالإضافة إلى أنها مصدراً رئيسياً للعمالات الصعبة، مورداً هاماً للدخل القومي والنتائج القومي، عاملاً مؤثراً في ميزان المدفوعات، مصدراً مولداً للعمالة وتقليل نسب البطالة، أنها صناعة نظيفة لا تلوث البيئة، لكن الكثير من الممارسات التي ارتبطت بالصناعة السياحية أصبحت تهدد البيئة والتنوع البيئي وهو ما يتطلب نوع من العقلنة والترشيد السياحي.

رابعاً- متطلبات عقلنة وترشيد النشاط السياحي

لعبت مجموعة من العوامل في تطور السياحة وتحويلها إلى صناعة قائمة بذاتها، ومنها

1- تطور النظرة إلى السياحة مع تعدد أنواع وأهداف السياح سواء كانت الدينية والتاريخية والعلاجية والثقافية والرياضية وغيرها.

2- نمو أسواق جديدة ذات فعاليات وأنشطة سياحية خاصة من خلال ظهور منتجات سياحية جديدة جعلت المنتجات السياحية أكثر تنوعاً.

3- تطور نظم الإجازات حيث كانت في البداية مقتصرة على رحلة رئيسية واحدة **Main Holiday** ومن ثم تطور إلى مفهوم الإجازة الثانية **Second Holiday**، والتي تتضمن تقسيم فترة الإجازة بحيث يمكن قضائها في العديد من المدن والدول في رحلات قصيرة، وتطور المفهوم إلى الإجازة الثالثة والرابعة بحيث أصبح لدى السائح إمكانية تقسيم العطل والوقت والمسافة، بحيث يمكنه ذلك من السفر أربع مرات خلال العام الواحد.

4- تطور الأسواق السياحية التقليدية التي كانت تعتمد على العناصر التقليدية المكونة للسياحة كالشمس والبحر والرمال (**Sun, Sea, Sand**) وذلك بإضافة منتجات جديدة تتضمن استخداماً واستثماراً متقدماً لهذه المواقع كإضافة الفنادق والمنتجعات والتي تخاطب مختلف الشرائح من السكان.

5- استخدام شبكة الإنترنت سهل على السائح الحصول على المعلومات عن المواقع السياحية، خاصة استخدام نظم المعلومات الجغرافية **GIS** والإطلاع على الخدمات الفندقية وإمكانية الشراء والحجز داخل الفندق عن طريق المواقع الإلكترونية للمؤسسات السياحية والذي سهل اتخاذ القرار للسائح وخفض من درجة المخاطر التي كانت في السابق.

6- ظهور أنواع جديدة للسياحة **New Tourism** ومن أهمها السياحة المستدامة **Sustainable Tourism** والسياحة البديلة **Alternative Tourism** وسياحة الاهتمامات الخاصة **Special from Tourism** وسياحة المعوقين **Armchair Tourism** والسياحة الريفية أو الزراعية **Argo-Tourism** والسياحة التعليمية **Educational Tourism** وسياحة المؤتمرات **Meeting Tourism** والسياحة العلاجية **Medical Tourism** وأنواع أخرى سوف نتناولها بشيء من التفصيل لاحقاً.

كل هذه العوامل والظروف وغيرها أدت إلى ضرورة التخطيط للتنمية والتطور السياحي، لأن عملية الصناعة السياحية، تعرف تطوراً مع اعتماد مبادئ التنمية السياحية المخطط لها وفق برنامج أو خطة استراتيجية تعتمد الإمكانيات المتاحة في الإقليم من أجل:

1- الحفاظ على البيئة الطبيعية وتقليل الضغط عليها: لقد تنوعت وسائل وأساليب المحافظة على البيئة سواء كان من جراء التلوث بكافة أشكاله فضلاً عن تقليل الضغط على المصادر الطبيعية النادرة كاستخدام المياه والتربة والنقل، حيث أن المحافظة على التوازن البيئي يحتل أهمية أكبر خاصة في المناطق السياحية التي تشهد كثافة في عدد الزوار الاستثمارات بكافة أشكالها.

2- الرقابة الصحية: للحد من الأمراض الوافدة أو الأمراض الوبائية التي تنقل بواسطة الإنسان عن طريق الملابس أو نحوها، وعلى سبيل المثال يقوم المراقب الصحي بمنع دخول السياح من بلد عندما تنشر الأوبئة المعدية فقد يمنع زوار بلد ما لفترة معينة أو قد يخضع الزوار إلى الحجر والفحص الصحي الدقيق عند معابر الدخول، أو قد يتطلب تزويدهم بالوثائق الصحية اللازمة لتثبيت سلامتهم من الأمراض المعدية.

3- الرقابة الأمنية الداخلية: وهذه الرقابة تحقق للسياحة هدفين رئيسيين وهما الحفاظ على حقوق السائح وعلى واجباته، فعند دخول السائح لبلد الزيارة يعد كالمواطن في ذلك البلد فإلى جانب الهدف التي جاء لتحقيقها في البلد المزار فإن عليه واجبات يخضع لها قانونياً تتعلق باحترام منطقة الزيارة وسكانها في عقائدهم وتراثهم ومشاعرهم ولا يمسها بسوء حتى لا تتصادم العادات والتقاليد والأعراف.

4- دور المرشد السياحي: فالمرشد السياحي والذي يقود المجموعة السياحية عليه في دور كبير في الحد من الجوانب السلبية عن طريق التخطيط الجيد لإنجاح عملية الزيارة وذلك من خلال دوره الدبلوماسي فهو الذي يعمل مع المجموعات السياحية الأجنبية وعليه أن يتقن فن التعامل مع الضيوف ويمارس دور الصحفي الذي ينقل واقع الحدث في منطقة الزيارة ودور المحامي عن بلده وتراثها وتقاليدها ودور المعلم الذي يعرف أسلوب نقل المعلومات للسائح.

5- دور المجتمع أو ما نسميه بموقف مواطني البلد المزار تجاه السياح الأجانب:- فإذا كانت النظرة للسياح بأنهم أجناب وافدون من أجل التمتع والراحة ونحوها على حساب أبناء منطقة الزيارة، أو كانت النظرة فيها نوع من الشعور بالمنافسة أو بأن هذا الأجنبي أصبح يشارك مواطن البلد في رزقه وطرقه ومباهه وكهربائه ونحوها عندئذ تنشأ المشاكل من خلال مثل هذه الظروف، أما إذا كانت النظرة للسائح الأجنبي مرحباً بقدومه وأنه مصدر للعملات الأجنبية وجاء ليتعرف على البلد وتطوره وثقافته وسوف يتعلم عن طريق هذه الزيارة الشيء الكثير عن تاريخ البلد وحضارته فإن المشاكل ربما تكون في حدها الأدنى.

في الختام يمكن التأكيد على أن بناء مقومات صناعة سياحية متينة يتطلب بالضرورة الإهتمام بـ:

1- إعطاء الأهمية المناسبة للتخطيط السياحي السليم من خلال التركيز على دراسات الجدوى الاقتصادية والبحوث السياحية والتسويق السياحي.

- 2- التركيز على بناء مؤسسات تعليمية وتدريبية وفندقية بمستويات عليا والاستفادة من خبرة الدول المتقدمة في هذا المجال، لأن السياحة تعتمد على الخدمة والخدمة يقدمها الإنسان إذن يجب التركيز على تدريب وتثقيف العاملين في مجال السياحة لأنهم يعتبرون سفراء لبلدهم في أي مكان يعملون به.
- 3- التنظيم المتكامل والفعال للمؤسسات السياحية.
- 4- الاعتماد على الإحصائيات والبحوث والاستبيانات وتطويرها بما يسمح بالحصول على المعلومات الصحيحة والدقيقة، والتي يمكن تطويرها وبناء احتمالات عليها، أساسها دراسة الواقع المثالي والاعتماد على الأرقام الفعلية.
- 5- تطوير البرامج السياحية الشاملة وجعلها تشمل كافة قطاعات ونشاطات السياحة وعدم اقتصرها على خدمة واحدة بمعنى عدم التركيز على إنشاء الفنادق بدون التركيز على المطاعم أو النقل أو البنية التحتية

المراجع:

- تقرير Tourism Highlights الصادر عن منظمة السياحة العالمية، طبعة 2014، منظمة السياحة العالمية، 2014.
- جلييلة حسن حسنين، الطلب السياحي الدولي والتنمية السياحية في مصر، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية
- عثمان محمد غنيم وبنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي: في سبيل تخطيط مكاني شامل متكامل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
- عليا شكري، ص 33. عن حسن رجب، النهضة السياحية ومستقبلها، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.
- قويدري محمد ودولي سعاد، نحو صناعة سياحية في إطار رؤية تنمية مستدامة ومسؤولية مداخله مقدمة في إطار فعاليات الملتقى العلمي الدولي الثالث: منظمات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية 15/14 فيفري 2011، بشار، الجزائر.
- صلاح الدين خربوطلي، السياحة المستدامة، دار الرضا، دمشق، 2004.
- ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 1997.
- منظمة الأمم المتحدة، مؤتمر الأطراف في اتفاقية التنوع البيولوجي والتنمية السياحية، الاجتماع الثاني عشر، بيونغشانغ، جمهورية كوريا، 6-17 أكتوبر/تشرين الأول 2014.
- نبيل الروي، نظرية السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، دت.
- ندى الروابدة، مقدمة في علم السياحة، الجامعة الأردنية (وثيقة إلكترونية).
- هدى سيد لطيف، السياحة: النظرية والتطبيق، العربية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، دت.
- <https://www.academia.edu/34534536>

التكنولوجيا الحديثة ودورها في ترقية السياحة وتحقيق التنمية المستدامة

د. زوزو زوليخة

عباس لغور حنشلة - الجزائر

د. زوزو هدى

جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر

الملخص

ساهم عصر التقنية والتكنولوجيات الحديثة في ترقية السياحة كأحد سبل دعم التنمية المستدامة، في الوقت الذي تتسابق فيه العديد من الدول على دعم الطابع السياحي واثراء قطاع السياحة والسفر وكافة الخدمات السياحية المقدمة في هذا المجال، وفي هذا السياق كشفت العديد من الدراسات الحديثة التي أجريت في الدول العربية والغربية منها بما فيها الجزائر عن ميل واضح نحو توسيع افق السياحة ودعمها عبر استخدام كل ما هو حديث مستغلين التكنولوجيا والتطور الحاصل فيها، وظهر ما يسمى بالسياحة الالكترونية جامعة لمختلف الخدمات السياحية ذات العلاقة المباشرة من مؤسسات النقل والفنادق والمطاعم ووكالات السفر ما يسهل للفرد السائح الخدمة والمنتج السياحي بأبسط وأسهل الطرق .

60

الكلمات المفتاحية افق السياحة، تطوير الخدمات السياحية، وسائل الاتصال الحديثة، تكنولوجيا الاعلام والاتصال.

Résumé

L'ère de la technologie et des technologies modernes a contribué à la promotion du tourisme en tant que moyen de soutenir le développement durable, alors que de nombreux pays s'unissent pour soutenir le tourisme, enrichir le tourisme et les voyages et tous les services touristiques fournis dans ce domaine.

Dans ce contexte, de nombreuses études récentes menées dans les pays arabes et occidentaux, y compris l'Algérie, ont révélé une nette tendance à élargir les horizons touristiques et à les soutenir en utilisant toutes les technologies modernes et en les développant. Le prétendu tourisme électronique est devenu une université pour divers services touristiques, Transports, hôtels, restaurants et agences de voyages: quel est le moyen le plus simple pour le service touristique individuel et le produit touristique?

مقدمة

تلعب السياحة دورا بارزا في تحقيق التنمية المستدامة كونها احد اهم الانشطة التي تدعم وتساهم في تقدم العديد من الدول والمجتمعات وتظهر مدى اصالتها وعراقتها عبر ما لها من تراث وأماكن سياحية، لذا فان نجاح أي نظام اقتصادي مرهون بقدرته على تلبية متطلبات العصرية وتقديم ترويج سياحي عبر العديد من البرامج تمكن السائح من التعرف على وجهات جديدة تلائم احتياجاته ومتطلباته، وعرفت العديد من الدول اهمية المجال السياحي وأولته اهمية كبرى في برامجها التنموية وترويج السياحة الداخلية.

وتساهم تكنولوجيا المعلومات والاتصال بشكل كبير في تقديم العروض السياحية والتعريف بالعديد من المناطق التي لا تكون للسياح أي فكرة عنها، فواقع العصرية والتقدم التكنولوجي يتيح للعديد فرصة الاطلاع على أكثر المدن والمناطق السياحية روعة وجمالا، وهذا بفضل ما لها من امكانيات متعددة تقرب وتوضح للسياح ما هو موجود في أقصر وقت ممكن.

ويمكن للأفراد السياح الحصول على كل المعلومات المتعلقة بالأماكن والمنتجعات السياحية الراقية منها والعادية وترتيب طريقة قضاء عطلةهم ومقارنة حتى العروض المتاحة من خلال استخدام التكنولوجيا والرقمنة والاطلاع على المواقع الالكترونية السياحية في ما توفره وتعرضه، لان السياحة عبارة عن أنشطة متصلة ببعضها البعض تبدأ بمعرفة الهياكل والمناطق والعروض المتاحة من وسائل النقل طرق الاستقبال نوعية الخدمات المتعلقة بالإيواء والوجبات المقدمة وسبل الترفيه وكل ما يدخل ضمن العروض السياحية لقضاء فترات العطل والاستجمام.

اهداف الورقة البحثية:

تهدف هذه الدراسة الى دراسة مدى مساهمة التكنولوجيا الحديثة في ترقية ودعم السياحة من خلال:

- استخدام مختلف الوسائل التكنولوجية في تجميع المعطيات السياحية .
- اضافة الى سياسة الوسائط الالكترونية المتعددة ودورها في نشر المعلومات للسائح والمقارنة بين كافة العروض السياحية.
- التعرف على مدى مساهمة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تطوير ودعم السياحة والخدمات السياحية والخدمة الفندقية الالكترونية.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على دراسة الجديد في تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومدى مساهمتها في دعم السياحة كما هي في واقع الحال، ويتم اعماله اساسا حيث يهتم

المنهج بوصف سبل ترقية السياحة وصفا دقيقا ووصف الخدمات وتوضيح خصائصها، والتطرق الى سياسة ترقية الخدمات السياحية لأجل دعم السياحة وتحقيق التنمية المستدامة، والدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصال كمكون اساسي في ترويج الخدمات السياحية.

انطلاقا من هذه المعطيات تعالج الورقة البحثية الاشكالية التالية:

ما مدى مساهمة التكنولوجيا الحديثة والوسائط الالكترونية في دعم وترقية السياحة لتحقيق التنمية المستدامة؟

للإجابة على الاشكالية الرئيسية لموضوع الورقة البحثية قسمنا الموضوع الى ثلاثة محاور اساسية كالتالي:

المحور الأول: ماهية التكنولوجيا الحديثة.

المحور الثاني: سياسة ترقية الخدمات السياحية والتعريف بها.

المحور الثالث: دور التكنولوجيا الحديثة في دعم السياحة.

المحور الأول: ماهية التكنولوجيا الحديثة:

طبيعة العالم الذي نعيشه اليوم هي طبيعة اتصالية بالدرجة الأولى تزخر بمتغيرات تمثل في حقيقتها بداية عصر جديد له ادواته الاتصالية، التي تعبر عنه من خلال تكنولوجيا الاتصال التي تعرف بأنها مجمل المعارف والخبرات المتراكمة والمتاحة والأدوات والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية المستخدمة في جمع المعلومات ومعالجتها وإنتاجها وتخزينها واسترجاعها ونشرها وتبادلها اي توصيلها للأفراد والمجتمعات³.

إن مصطلح التكنولوجيا من اللفاظ الأكثر شيوعا واستخداما في الوقت الحالي، حتى من قبل المواطن العادي ولكل الأفراد وكلمة تكنولوجيا هي كلمة يونانية في الأصل وتتكون من مقطعين الاول Techno ويعني حرفة أو مهارة او فن أما الثاني Logy فيعني علم او دراسة، من هنا يمكن القول ان كلمة تكنولوجيا تعني علم الاداء أو علم التطبيق⁴.

ويقصد بتكنولوجيا الاتصال انها وجود تغيرات واسعة في انماط الاتصال مصادره وقنواته وهو ما اتاح الفرصة امام الدول الأكثر تقدما في أحكام سيطرتها على عقول ومقدرات الدول الاخرى حيث أن أكثر من 85% من الايرادات الخارجية في بعض الدول المتقدمة تأتي من تسويق المعلومات لذلك بقيت سيطرة هذه الدول على

⁰¹ - امال عبد العزيز، الاتصال السياحي في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في علوم الاتصال والاعلام فرع وسائل الاعلام والمجتمع،

كلية العلوم الانسانية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005، 2006، ص16.

⁰⁴ - محمود علم الدين، تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص16.

تكنولوجيا الاتصال في أوج سطوتها وتوسعي الى ابقاء هذه السيطرة والعمل على اتساعها عن طريق استغلالها احسن استغلال⁵.

وهناك من يعرف تكنولوجيا المعلومات والاتصال على أنها " مجموعة الطرق والتقنيات الحديثة المستخدمة بغرض تبسيط نشاط معين ورفع أداءه وهي تجمع اجهزة الضرورية لمعالجة المعلومات وتداولها من حواسيب وبرامج ومعدات حفظ واسترجاع ونقل الكتروني سلبي ولاسلبي عبر وسائل الاتصال بكل اشكالها وعلى اختلاف أنواعها المكتوب والمسموع والمرئي، والتي تمكن من التواصل الثنائي والجماعي وتؤمن انتقال الرسالة من مرسل الى متلقي عبر الشبكات المغلقة والمفتوحة"⁶.

من التعاريف السابقة يظهر ان تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة من الادوات القوية للمشاركة في تحسين وتوفير الخدمات السياحية وتعزيز فرص التنمية المحلية والاستثمار فيها يعد احد المحركات الاساسية ودفع العجلة الاقتصادية وأحد العوامل الهامة والحاسمة في تحقيق التنمية المستدامة، ولذلك لا بد من اقامتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء وضمن الخدمات السياحية .

واتجهت معظم دول العالم الى الاهتمام بالتطور الإتصالي وماله من أثر كبير على السياحة الوطنية والدولية على حد سواء، وهو اتجاه فرضه التطور الكبير في تقنيات الاتصال والإعلام، ولعل المؤتمر العالمي للاتصال في مجال السياحة تور كوم الذي جرى في مدريد الاسبانية في جانفي 2003 كان من اهم الاحداث ولفت اهتمام المجتمع الدولي بالاتصال في مجال السياحة، وقد وصفته الدول المشاركة بالسابقة التي لا مثيل لها في تاريخ السياحة العالمية والتي تجاوزت نسبة المشاركة فيه توقعات المنظمة العالمية للسياحة⁷.

وفي هذا الصدد وصف جل المراقبين تعدد وتنوع امكانيات شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) يمثل القوى الخفية لنجاح اي نشاط اقتصادي فالطبيعة التفاعلية لشبكة الانترنت قد اتاحت وسطا مثاليا للاتصال بين المنتج والمستهلك السياحي مما يعزز الى امكانية وصول الى اكبر عدد ممكن من السياح مما يؤدي الى زيادة المداخيل السياحية وبالتالي نمو وتطور قطاع السياحة⁸.

⁰⁵ - عبد المجيد شكري، تكنولوجيا الاتصال، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص32.

⁰⁴ - بختي ابراهيم، شعوي محمود فوزي، دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنمية قطاع السياحة والفندقة، مجلة الباحث، العدد السابع، جامعة ورقلة، 2009، 2010، ص275.

⁰⁵ - امال عبد العزيز، مرجع سابق، ص13.

⁰⁶ - كواش خالد، قمرابي نوال، دور السياحة الالكترونية في تنمية القطاع السياحي في الجزائر، بالرجوع الى تجارب بعض الدول العربية، مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة، العدد رقم 28، المجلد الاول، 2013، ص32.

المحور الثاني: سياسة ترقية الخدمات السياحية والتعريف بها:

ان السياحة تشكل عنصرا اساسيا في تقدم الدول، وتتنافس هذه الاخيرة لتفريتها والنهوض بها، واقتناع الدول بأهمية الصناعة السياحية دفعهم لتطوير سبلها ودعمها كونها المحرك الاساسي لاقتصاديات الدول وتساهم بطريقة ملموسة في توفير قدر من العملات الصعبة الاجنبية اللازمة لعمليات التنمية، وذلك من خلال مساهمة رؤوس الاموال الاجنبية في الاستثمارات الخاصة بقطاع السياحة (بناء الفنادق)، والمدفوعات السياحية التي تحصل عليها الدول مقابل منح تأشيرات الدخول الى البلد وفروق تحويل العملة والإنفاق اليومي للسائح على السلع والخدمات السياحية⁹. من هنا دعت الحاجة للتعريف بالسياحة باعتبارها احد اهم القطاعات الداعمة للبلاد اقتصاديا واجتماعيا على النحو التالي:

أولا: تعريف السياحة:

كلمة السياحة من المصطلحات التي بحث المفكرون كثيرا لوضع تعريف جامع ومانع لها، كون السياحة ينظر اليها من عدة زوايا وجوانب مختلفة الابعاد والأهداف، بالإضافة الى ان السياحة عرفت ولازالت تطورات عديدة جعلت من تعريفها يتطور تبعا لذلك.، وفي سنة 1643 Torno المشتقة من الكلمة اللاتينية (Tour) ويرجع مفهوم السياحة الى كلمة، ليدل على السفر او التجوال من مكان الى اخر، ويتضمن هذا المفهوم Tourism تم استخدام المفهوم

كل المهن التي تشبع الحاجات المختلفة للمسافرين، كما ان السفر او الترحال يمكن ان يعتبر سياحة اذا كان مؤقت وغير اجباري بحيث لا يكون فيه البحث عن العمل او نشاطات ربحية مادية¹⁰. وتشكل السياحة أحد أهم مصادر الدخل الوطني لدى كثير من الدول، بل انها تحتل مكانة متقدمة في حفز نمو الدخل والتوظيف في قطاعات الاقتصاد المختلفة بالنسبة لبعض الدول مثل فرنسا وتركيا وماليزيا وغيرها من الدول، وتتنوع الجوانب الايجابية للتنمية السياحية في جذب الاستثمارات في المشاريع السياحية والمشاريع الاخرى ذات الصلة وزيادة مصادر الدخل وتنمية الاقتصاد الوطني¹¹.

⁰⁷ - محمد الناصر حميداتو، نصر حميداتو، اثر النشاط السياحي في الجزائر على النمو الاقتصادي، دراسة قياسية للفترة 1997، 2003، مجلة رؤى اقتصادية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد التاسع، ديسمبر، 2015، ص75.

⁰⁸ - رواجية عيسى، جمال كززة، واقع صناعة السياحة بولاية عنابة في ظل المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية افاق 2030، اقتصاديات الاعمال والتجارة، العدد الرابع، ديسمبر، 2017، ص195.

⁰⁹ - عبد الرحمن بن عبدالله الوابل، الاستثمار السياحي في المنطقة الشرقية، الفرص والتحديات، قطاع الشؤون الاقتصادية، مركز الدراسات والبحوث، غرفة الشرقية، يناير، 2011، ص04.

فهي عبارة عن عملية سفر قصد الترفيه عن النفس، وعبارة عن مجموعة من الاجراءات التقنية المالية والثقافية المتاحة في كل دولة او في كل منطقة والمعبر عنها بعدد السياح¹².

ومن منظور اجتماعي وحضاري هي حركة ديناميكية ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان بمعنى انها رسالة حضارية وجسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية للأمم و الشعوب، ومحصلة طبيعية لتطور المجتمعات السياحية وارتفاع مستوى معيشة الفرد¹³.

كما عرفتها المنظمة العالمية للسياحة على أنها " تلك السياحة التي تلي احتياجات السياح والمواقع المضيفة الى جانب حماية وتوفير الفرص للمستقبل، وإنها القواعد المرشدة في مجال ادارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويتحقق معها التكامل الثقافي والعوامل البيئية والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة¹⁴.

ثانيا: سبل ترقية ودعم السياحة لتحقيق التنمية المستدامة:

يتحقق النشاط السياحي بالانتقال المؤقت للأفراد والجماعات الى مناطق خارج اماكن اقامتهم الاصلية وخارج بيئتهم المعتادة البيئة التي يزورها الانسان بصورة متكررة حتى وان بعدت عن مكان اقامته سواء كانت داخل او خارج الوطن، سواء كانت داخل أو خارج الوطن، وفي الاونة الاخير تزايدت اهمية فكرة تطوير الخدمات الفندقية لترقية قطاع السياحة من جهة، لما لها دور كبير في تلبية الحاجيات الاجتماعية والنفسية للأفراد وتنمية القطاع الاقتصادي وجلب العملات الاجنبية من جهة اخرى التي يصرفها السياح اثناء اقامتهم كما تساعد على ابراز اسم الدولة ومرافقها السياحية¹⁵.

وللنهوض بقطاع السياحة لابد من السعي عبر تطوير وسائل وسبل دعم القطاع السياحي من خلال استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال التي تساعد في تقديم و توفير العروض السياحية الملائمة ترقى الى المستويات العالمية والاستفادة من تجارب الدول في هذا المجال، وتبني سياسة ترويجية ملائمة تسمح للتعريف بالمنتوج السياحي لأن صناعة السياحة او الانشطة السياحية ان صح التعبير تتعلق بصورة مباشرة وغير مباشرة بنوعية الخدمات المقدمة للسياح والتي تعرف بالمنتوج السياحي وتتضمن تلك الانشطة حسب منظمة السياحة العالمية 185 فرعا

¹² - المرجع نفسه، ص195.

¹¹ - عبد الرحمن بن عبدالله الوابل، مرجع سابق، ص04.

¹² - عبود زرقين، احسن العايب، اهمية السياحة المستدامة ضمن استراتيجية التنمية السياحية في الجزائر، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، العدد

14، جامعة 20 اوت 1955 سكيكدة، 2017، ص295.

¹³ - مها عارم برسيم، دور التسويق الالكتروني في تطوير الخدمات الفندقية، دراسة استطلاعية لاحد الفنادق في بغداد، مجلة الدنانير، العدد العاشر،

2017، ص328.

من النشاطات الاقتصادية التي ترتبط بالسياحة تندرج ضمن التصنيف الموحد للنشاطات السياحية من بينها النقل، الفنادق، والإيواء ومؤسسات تقديم الاطعمة والمشروبات والمصارف والمؤسسات المالية المؤسسات الثقافية والترفيهية ومؤسسات الدعاية والترويج لذلك تعد السياحة من أكبر القطاعات في العالم فضلا عن كونها عنصرا مهما في التجارة الدولية¹⁶.

وتمثل السياحة سوقا يلتقي فيه العرض والطلب، ويتشكل الطلب السياحي من مجموع اعداد من السياح الوافدين الى المنطقة السياحية، ويشمل العرض السياحي على مجموعة مقومات السياحة الطبيعية وعناصر الجذب السياحية الاخرى التي انشاها الانسان وكذلك الخدمات والتسهيلات السياحية التي تقدمها الدولة للسائحين، من المقومات الطبيعية، المقومات الصناعية الخدمات والمرافق والتسهيلات السياحية¹⁷، خاصة وان الخدمات السياحية يجب ان تتميز بخصائص وأشكال تتميز بها، فقد تكون هذه الاخيرة غير ملموسة لكن تعتمد في تقييمها ويتم اختيارها على اساس شهرتها وسمعتها وتجربتها السابقة.

ومع التوجه العالمي نحو تبني مفاهيم وأساليب وممارسات مستدامة مست مختلف المجالات والقطاعات بما في ذلك السياحة، حيث اصبحت صناعة السياحة ايضا مقترنة بفكرة الاستدامة ومفهوم السياحة المستدامة والتي تعني القدرة على التواصل والاستمرار من خلال الاستخدام الامثل للموارد الطبيعية والبشرية مع المحافظة على التنوع الحيوي والحد من الاثار السلبية على البيئة والثقافة وإشراك المجتمعات المحلية من المكاسب التنموية، حيث تلي السياحة المستدامة احتياجات السياح مثلما تعمل على الحفاظ على المناطق السياحية وزيادة في فرص العمل للمجتمع المحلي¹⁸، وإنعاش اقتصاد الدول خاصة ان السياحة تعد احد اهم المجالات التي تجلب العملة الصعبة وتساهم في تغطية عجز ميزان التجارة الخارجية وكذا الى دفع النشاطات الاقتصادية الاخرى والنهوض بقطاع النقل البري والجوي والبحري، والقطاع الحرفي وتعمل على تنشيط الاقتصاد الجهوي في الاقاليم التي تعرف محدودية في الموارد من خلال مدها بالطرق والماء وتشغيل اليد العاملة وتحسين الدخل القومي وهو ما تطمح اليه غالبية الدول، وتعطي ايضا فرصة ترويج المنتوجات المحلية خاصة الصناعات التقليدية للمناطق السياحية التي تسعى للتعريف بمنتوجاتها الخاصة وتنشط المناطق التي تتوفر على الحمامات المعدنية والبحرية الى جانب القيام بمهمة

¹⁴ - بن مويزة مسعود، دور السياحة في تعزيز اهداف التنمية المستدامة وفقا لتقارير المنظمة السياحية في العالمية، اشارة لحالة الجزائر، جريدة الاقتصاد والاعمال الدولية، رقم 03، 2018، ص378.

¹⁵ - طوايية احمد، السياحة الالكترونية كأسلوب لترقية القطاع السياحي، المعهد الوطني للتخطيط والاحصاء، مجلة جديد الاقتصاد، العدد السادس، ديسمبر، 2011، ص84،83.

¹⁸ - رواجية عيسى، جمال كنز، مرجع سابق، ص 196.

حفظ الارث الحضاري والثقافي المتنوع للدول وتحقيق التنمية في المناطق الاثرية والسياحية من خلال عائدتها المستمرة باستمرار الحركة السياحية.¹⁹

وفي الوقت الحاضر تتبنى الكثير من الدول استراتيجيات اتصالية حديثة لترقية الخدمات السياحية ودعمها أكثر، تبرز من خلالها خصائص منتجاتها ومدى نجاحها في فترات سابقة، وتلجأ أيضا إلى تحضير بيانات عن الخدمة المقدمة والترويج لها وتسليط الضوء على مزاياها من اجل بيعها للمستخدم السياحي الذي يقدمها بدوره إلى زبائنه.²⁰

المحور الثالث: دور التكنولوجيا الحديثة في دعم السياحة:

يساعد استخدام التكنولوجيا ووسائل الاعلام والاتصال في وضع تصور مبني على فهم افضل للمقومات السياحية البيئية والطبيعية والثقافية والإنسانية وتضمن توزيعا عادلا للفوائد والكلف، وتساهم في تعزيز نشاطات بعض القطاعات المحلية المرحة كالفنادق وأماكن الاقامة المختلفة المطاعم، نظم النقل، الصناعات التقليدية، والحرف اليدوية، وخدمات المرشدين السياحيين.²¹

ومع بداية ظهور واستخدام خدمة الشبكة العنكبوتية ظهر ما يسمى بالسياحة الالكترونية اي تزامنا مع استخدام الانترنت ما بين المؤسسات والمستهلكين، ويعتبر مفهوم السياحة الالكترونية من المفاهيم الحديثة في علم السياحة الذي يتداخل ويرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم التجارة الالكترونية التي تعرف على انها نمط سياحي يتم تنفيذ بعض معاملاته التي تتم بين المؤسسة السياحية والأخرى، او بين مؤسسة سياحية ومستهلك (سائح)، من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بحيث تتلاقى فيه عروض الخدمات السياحية من خلال شبكة المعلومات الدولية الانترنت، مع رغبات جميع السائحين الراغبين في قبول هذه الخدمات السياحية المقدمة عبر شبكة الانترنت.²²

وظهر ديكريفتور Degriftour.com كأول موقع سياحي سنة 1990²³، اذ احتل فيه قطاع المعلومات والاتصالات الصدارة بين جميع القطاعات حيث يعد استخدامها مصدرا اساسيا ذا تأثير قوي وواضح

¹⁹ - امال عبد العزيز، مرجع سابق، ص 40.

²⁰ - المرجع نفسه، ص 36.

²¹ - عبود زرقين، احسن العايب، مرجع سابق، ص 296.

²² - رشا علي احمد، السياحة الالكترونية حلم دبي القادم نظرة قانونية، مقال منشور عبر موقع الكتروني، تاريخ الاطلاع 20/04/2017.

²³ - بختي ابراهيم، شعبي محمود فوزي، مرجع سابق، ص 276.

على جميع الأنشطة التي يقوم بها الافراد او المؤسسات، مع ظهور انظمة اتصال حديثة تعمل على توفير كل الشروط الملائمة لنقل السياح في وقت وبأفضل التكاليف.

وهو ما يعبر عنه بالاتصال السياحي وهو استخدام وسائل الاتصال والإعلام في التنمية السياحية من اجل التعريف والترويج للمنتجات السياحية والمناطق السياحية الهامة التي تزخر بها كل دولة، ونشر شروط انجاح اقامة السياح وتقديم التوضيحات والمعلومات الهامة بالنسبة للسائح باستخدام مختلف وسائل الاتصال من مطويات ونشرات توضح مختلف الاتجاهات الممنوحة²⁴، وهو الاسلوب المعتمد من قبل عارضي الخدمات السياحية للترويج لعروضهم السياحية المختلفة من والتي تمكن السائح من الاطلاع عليها والتفاعل مع العارضين من خلال تبادل المعلومات من اجل تلبية طلبهم السياحي المتمثل في حجز اماكن في ما هو متاح ومرغوب فيه من وسائل النقل والإقامة والإطعام وهذا في اسرع وقت وبأقل تكلفة ممكنة²⁵.

وتساهم هذه الاخير في انجاز وترويج الخدمات السياحية والفندقية عبر مختلف الشبكات المفتوحة والمغلقة بالاعتماد على مبادئ وأسس التجارة الإلكترونية وتتعدى في ذلك مفهومها الى ابعد من ذلك فهي تشمل حتى السياحة المتنقلة / الجواله المستخدمة للأجهزة الإلكترونية الجواله كالهواتف المحمولة والمفكرات الإلكترونية المحمولة وغيرها، ولذلك فان تكنولوجيا المعلومات والاتصال تستخدم من طرف جميع شركاء القطاع السياحي من مؤسسات وهيئات وأفراد، وقد تستغل ايضا هذه التكنولوجيا في تشييد وإقامة كيانات سياحية يتطلب تشغيلها قدرا كبيرا من المعرفة التكنولوجية لدى روادها مثل الفنادق الذكية التي تعتمد في بنائها وتشغيلها وإدارتها على التقنيات الحديثة²⁶.

وتتطلب وظيفة التسويق ودعم السياحة تعاونا وثيقا بين المسوقين، حيث يتوقف نجاح الدول في جذب السياح على نشاط التسويق القادر على تصريف الثروات السياحية عن طريق امتلاك وسائل متطورة للترويج السياحي وفي هذا المجال تتصدر استراليا دول العالم من حيث قائمة الترويج السياحي بمبلغ 88 مليون دولار في سنة 2000²⁷.

²⁴ - امال عبد العزيز، مرجع سابق، ص 43.

²³ - مغازي عبد الرحمن، شبيخي بلال، انعكاسات تكنولوجيا الاعلام والاتصال على السياحة الداخلية في الجزائر، الملتقى الوطني فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، المنظم من قبل جامعة الحاج لخضر باتنة، يومي 19، 20، نوفمبر 2012، ص 08.

²⁶ - المرجع نفسه، 276.

²⁷ - ياسين الكحلي، اسس التسويق السياحي والفندقي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، دون ذكر سنة النشر، ص 06.

ويساهم استخدام التكنولوجيا الحديثة والانترنت في بناء قطاع سياحي جذاب للسياح، حيث تمكن من استحداث سياسية سياحية جديدة تهدف الى تنمية وترقية المنتج السياحي الجزائري وإدماجه في السوق السياحية العالمية في اطار شروط التنمية السياحية المستدامة²⁸، ويكون ذلك من خلال عمل برامج عبر العديد من المواقع الالكترونية والتي هي عبارة عن صفحة على شبكة الانترنت تصمم بحيث تستخدم كواجهة عرض تقدم للمستهلكين معلومات متنوعة عن الشركة ومنتجاتها، باقل تكلفة ممكنة وتتيح الاتصال المباشر بين عرض الخدمة السياحية والطلب عليها، ويمكن للشركات والمنشآت والهيئات السياحية ان تنشئ لنفسها موقعا يتضمن كل ما تريد طرحه على المزارات السياحية سواء في شكل نص مكتوب او في شكل مصور، وعن البرامج السياحية وعن الاستثمارات وعن الدراسات والبحوث، وكذلك معلومات تاريخية وأثرية عن معالم النهضة وعن المزايا التي توفرها للسائح وأماكن الحجز لهذه الخدمة وأسعارها²⁹.

تهتم هذه المواقع بالتعريف بآركان السياحة وما هو موجود في كل منطقة سياحية وعرض ابرز المقومات التي تقوم عليها السياحة بصفة عامة في اي دولة من دول العالم وتشمل على:

أولاً: البرنامج السياحي المقترح:

69 لا تنجح اي سياحة دون برنامج معين يتمتع به السائح، وتمثل هذه البرامج في زيارة المتاحف والأماكن الاثرية والتاريخية والترفيهية، والمناطق العلاجية او الطبيعية او الدينية او الرياضية، بالإضافة الى الخدمات السياحية الاخرى مثل المحلات الاسواق المنتزهات... الخ³⁰، اضافة الى ضرورة التعريف بالحضارات القديمة والمراكز العلمية والثقافية والبحثية كالفن والعمارة القديمة فهي تمثل عمق المعرفة الانسانية وربط الماضي بالحاضر³¹. وتتكون الخدمات السياحية من عدد من الانشطة السياحية الفرعية والمترابطة المتكاملة والتي تتصف بصعوبة قابليتها للتجزئة والتقسيم والانفصال فهي كل متكامل من اجزائه وعناصره حتى يحقق الهدف منها خاصة وان الشيء الرئيسي لعملية التسويق والترويج السياحي قصد ترفيتها تتحقق عبر خلق منافع التي هي محور النشاط التسويقي وركيزته الاساسية³².

²⁶ - حميد حملاوي، مجالات واليات تنمية القطاع السياحي في الجزائر في ظل المخطط التوجيهي للهيئة السياحية لأفاق 2025، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد 14، مارس، 2016، ص153.

²⁷ - امال بدرين، الخدمة الاتصالية عبر الموقع الالكتروني السياحي، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد رقم 16، جوان 2017، ص246.

³⁰ - رواجية عيسى، جمال كززة، مرجع سابق، ص198.

³¹ - طه الحوري مثنى، مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2001، ص16.

وغالبا ما يقوم السائح باختيار المركز او المكان السياحي لإشباع رغباته ويطلع الى زيارة اماكن ذات مقومات جذب سياحي، تتوفر على اماكن اقامة ميسورة من اجل تحقيق الرغبة السياحية الاولى المتمثلة في تغيير المكان.³³ ويحتاج قطاع السياحة الى الكثير من الترويج للوجهات السياحية التي تزخر بها البلاد عبر لاستقطاب السياح المحليين والأجانب طيلة السنة، و خاصة في موسم الاصطياف من خلال اعطاء صورة لاثقة عن البلاد ترفع من مستواها السياحي، بعيدا عن الازواضع الامنية التي من شأنها ان تنفر السياح وتشعرهم بالخوف ، فالسياحة كقطاع اقتصادي بإمكانها ان تكون سببا في رفع نسبة الاقبال او تراجعها وتكون اكثر القطاعات تضررا اذا ضرب الجانب الامني للبلد³⁴ ، لذا يمكن القول ان الترويج السياحي هدفه الاساسي تسويق الخدمة السياحية من خلال نقل صورة للجوانب الايجابية ويزود السائح بمعلومات عن البرامج السياحية الموجودة، ويعمل على تحفيز وتشجيع السائحين على التعاقد مع احد البرامج السياحية التي تقدمها الشركة من خلال اساليب الترويج والإقناع للتعاقد مع برنامج سياحي معين³⁵ .

ويعتبر القطاع السياحي جزء من قطاعات الخدمات الا انه يتشكل من سلع مادية تتمثل في الفنادق المطاعم والمقاهي كما يتكون من سلع غير مادية كالإجراءات الادارية والخدمات والتجهيزات السياحية وغيرها من العوامل كأسعار خدمات السياحة الاساسية³⁶ .

ثانيا: العروض السياحية:

وهي جميع ما تقدمه وتعرضه المنطقة السياحية على سواحلها الفعليين والمتوقعين، ويتضمن العرض السياحي عوامل الجذب السياحية الطبيعية والتاريخية والصناعية وكذلك تحسين الخدمات السياحية من خلال تقديم الافضل من حيث الكفاية والتنوعية والمواصفات الفنية والتكنولوجية، وإجراء تحسينات للمنتج الخدمة والسلع التي قد تؤثر على الافراد لزيارة بلد معين وتفضيله على بلد آخر ويشمل العرض السياحي على نشرات ومطويات تساهم في ابراز وإعطاء صورة جيدة توضح المناخ وما يتصف به من اعتدال وجفاف وشمس وهواء، المراكز الصحية الطبيعية من عيون معدنية وحمامات ذات خصائص الشفائية، والمناطق التي يوجد بها المنتجعات السياحية المناسبة لهم

³¹ - امال عبد العزيز، مرجع سابق، ص38.

³² - كحيط إيمان، الترويج السياحي والاعلام السياحي في الجزائر، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، العدد التاسع، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص408.

³³ - فريد كورتل، تسويق الخدمات، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2008، ص285.

³⁴ - حميدة بوعموشة، دور القطاع السياحي في تمويل الاقتصاد الوطني لتحقيق التنمية المستدامة، دراسة حالة الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير تخصص اقتصاد دولي وتنمية مستدامة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، 2011 / 2012، ص23.

ويستمتعون بكل المقومات السياحية الموجودة بهذه الدول ويستخدمون مختلف الخدمات السياحية كوسائل الاتصالات والإقامة والترفيه³⁷، فترسخ في اذهان السياح والعملاء انطبعا جيدا حول نوعية الخدمات التي سوف تقدمها هذه المنتجعات والمناطق السياحية على اختلاف اشكالها خاصة عندما يتعلق الامر بالعملاء الذين لم يسبق لهم الاستفادة من الخدمة، حيث تساهم الدلائل والمطويات بإعطاء مؤشر لهم وتعكس نوعية الخدمات المقدمة داخل المنشأة السياحية لذا فقد اصبحت المطويات والنشرات احدى اهم عناصر الترويج السياحي.

ثانيا: النقل وحجز الرحلات الالكترونية:

تطورت الخدمة الالكترونية في مجال السياحة والأسفار من الحجز عبر الخط الى بيع التذاكر الالكترونية وغيرها من الخدمات عبر الموقع الالكتروني وحلول اخرى لتكنولوجيا المعلومات والاتصال وذلك قصد تحقيق اهداف مختلفة منها تسهيل وتدقيق الاجراءات في المطارات والفنادق، تحسين جودة الخدمات والسعي نحو تخفيض تكاليف ووقت معالجة الحجوزات³⁸.

وتعتبر خدمة الحجز الالكتروني من اهم الخدمات التي يهتم بها مستخدم الانترنت وتمكنه من التأكد من توفر الغرف الشاغرة في الفندق او المخيم بفضل نظام شبكة المعلومات، والاطلاع على ثمن المنتج السياحي وإمكانيات الدفع عبر الخط، وبالتالي تمكين مستخدم الانترنت من التحضير للعطل السياحية بنفسه دون اللجوء الى المؤسسات الوسيطة³⁹، وتعد الانترنت احسن وسيلة لمقارنة العروض السياحية المتوفرة، فالاطلاع الافتراضي على مختلف الخدمات السياحية تتيح للزائر امكانية التعرف على المعالم السياحية بسهولة اعتمادا على صورة مرئية مدعمة ببيانات توضيحية تسمح له باتخاذ القرار المناسب بأقل تكلفة ممكنة وتتيح هذه الوسيلة الفرصة لمرتادي مواقع السياحة الالكترونية من قضاء الوقت الكافي لفهم العروض السياحية ومعرفة تفاصيلها دون احراج وهو ما لم يكن متوفرا بشكل كامل في حالة وكالات الاسفار التقليدية⁴⁰.

ولتسهيل هذه الخدمة على السياح تمكنهم المواقع السياحية عبر الولوج الى الشبكة العنكبوتية وتكنهم من الحصول على معلومات مجانية وسريعة عن الخدمات السياحية المختلفة مواقيت الرحلات، اسعار تذاكر النقل، الفنادق والمطاعم، في اي وقت كان وفي اي مكان تتوفر فيه وسائل الاتصال الحديثة، كما تسهل لهم اجراء مقارنات المتأنية بالاطلاع على مختلف المواقع الالكترونية السياحية، وتسمح هذه الاخيرة لزبائنهم من اقتراح

³⁷-حميدة بوعموشة، المرجع السابق، ص34،33.

³⁸-طوايبيبة أحمد مرجع سابق، ص90.

³⁹-امال بدرين، مرجع سابق، ص251.

⁴⁰-مغازي عبد الرحمان، بلال شيخي، مرجع سابق، ص08.

برانامجهم الخاص واقتراح تكلفة ذلك، فموقع Travelocity.com مثلا هو اليوم يدرس طلبات زبائنه من خلال التعرف على الوجهات التي يرغبون في زيارتها والميزانية التي يتوفرون عليها، مع تحديد طبيعة الرحلة المراد القيام بها، ثم يتولى بعد ذلك عرض كل الخيارات الممكنة في ظل هذه القيود والشروط المحددة من قبل الزبون⁴¹.

الخاتمة

لنهي هذه الدراسة بخاتمة تتضمن عرضا موجزا لأهم الافكار التي جاءت بها الورقة البحثية على النحو التالي: ان القطاع السياحي يلعب دورا هاما وبارزا في الوقت الحاضر، كونه اصبح نشاطا اقتصاديا يساهم في التنمية المحلية من خلال زيادة الناتج المحلي وتخفيض نسبة البطالة وترقية القطاعات الاقتصادية المرتبطة بها مثل: النقل والصناعات التقليدية وغيرها، بالإضافة الى تطوير وترقية المناطق السياحية، لذا اتجهت غالبية الدول الى تطوير ودعم وترقية هذا القطاع وإعطائه اولوية وأهمية بعد تفننها لدوره البارز في تحقيق التنمية المستدامة.

وتساهم السياحة في دعم القطاع الاقتصادي خاصة والنهوض به من خلال زيادة الدخل الوطني وحصيلة العملات الاجنبية وفرص العمل، ودعم التنمية الاقتصادية والمستدامة في ان واحد، للعديد من الدول المتقدمة والنامية، وما ساعد في تحقيق ذلك استخدام التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال والإعلام في السياحة والفندقة اذ ادى الى ظهور ما يسمى بالسياحة الالكترونية هذه الاخير هي تلك الخدمات التي تقدمها تكنولوجيا المعلومات والاتصال بهدف انجاز وترويج الخدمات السياحية على اختلاف انواعها وأشكالها عبر مختلف الشبكات المفتوحة بالاعتماد على مبادئ وأسس تنمية حديثة، ولا شك ان استخدام التكنولوجيا بهذا المفهوم يوفر امكانية كبيرة للتواصل بين عارضي الخدمات السياحية وطالبيها.

أهم النتائج:

انطلاقا من مجمل الدراسة التي تناولت دور التكنولوجيا الحديثة في ترقية السياحة وتحقيق التنمية المستدامة، وعلى ضوء ما تم طرحه توصلنا للنتائج المتمثلة في النقاط التالية:

- ضرورة استحداث استراتيجيات تنموية للمنتجات السياحية ودعمها وترقيتها لترقى للمستويات المطلوبة والتي تحقق رغبات المستهلكين السياح من كل دول العالم.
- التركيز على نقاط القوة الموجودة لدى كل بلد ودولة والعمل عليها المتمثلة في المناطق السياحية والمواقع المتميزة التي من شأنها استقطاب اهتمام السائحين.

⁴¹ - مغازي عبد الرحمان، بلال شيخي، المرجع السابق، ص 08.

- تطوير سبل التسويق والترويج السياحي من خلال اعتماد تقنيات الاتصال الحديثة، من خلال انشاء مواقع سياحية متخصصة في تقديم الخدمات السياحية، وتشجيع وكالات السفر والسياحة المحلية على تبنيها في اعمالهم.
- تساعد تكنولوجيا الاتصال والعلام الحديثة في التغلب على الحواجز الجغرافية، اذ يتمكن المستهلكين من معرفة ما هو متاح من سلع وخدمات على مستوى السوق العالمي.
- العمل على الاستخدام الصحيح للإنترنت وشبكات الاتصال السلكية واللاسلكية باعتبارها أحد الوسائل الاتصالية والتفاعلية ولها القدرة على توفير العديد من التسهيلات في عمليات الاعلان والترويج للمناطق والخدمات السياحية بهدف تحقيق رضا الزبون.
- ضرورة ان تحدد كل الجهات الفندقية مسارات عملها والعمل على تطوير الخدمات وابتكار خدمات جديدة من خلال استخدام التقنيات الحديثة التي تساهم في تلبية احتياجات الزبائن والسياح، وان تحذوا حذو الفنادق العالمية التي لازمت الانسان حتى في أفكاره إذ سعت هذه الاخيرة الى تصميم الغرف بشكل الكتروني حديث ومتطور تستشعر بالسائح عند نومه واستيقاظه فإذا ما شعر هذا الاخير بالنعاس فإن ستائر الغرف والتلفاز والإضاءة تغلق تلقائيا.

التراث المعماري الديني بواحات باني جنوب المغرب المكونات وسبل التثمين وآفاق التنمية المحلية

د. البشير أبرزاق

أستاذ التاريخ بجامعة ابن زهر أكادير- المغرب

مقدمة

انطلقت الدراسة في إثارها للأبعاد الدينية ضمن المنظومة التراثية لمنطقة باني جنوب المغرب، من منطلقات تاريخية ارتبطت أساسا بما تكشف عنه الشواهد المادية والرمزية عن قدم الاستقرار اليهودي في المنطقة، وكذا التأثير الملفت الذي أحدثته الحركة الصوفية الجزولية -نسبة لمحمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870هـ/1465م- في المنطقة خلال نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م. وهو الأمر الذي يكشف عن جوانب مهمة من عمق الشخصية الدينية والروحية للمنطقة.

74

إن ما تسعى إليه هذه الدراسة، هو رصد معالم وتحليلات التراث الديني المادي داخل إطار جغرافي محصور في مجال بلاد باني. وذلك من خلال الوقوف عند مختلف البنايات ذات الأبعاد والوظائف الدينية والروحية، من مساجد وزوايا ومدارس عتيقة، وأضرحة...، وتقديم بعض المقترحات من أجل حماية هذا الموروث وصيانه واستثماره، من أجل إدماجه في "السياحة الدينية"، في أفق تحقيق تنمية شاملة ومستدامة في المنطقة.

وهكذا، فإن أساس هذه الدراسة قائم على نتائج التحريات الميدانية، واستقراء ما تحتزنه الذاكرة المحلية للسكان بشأن الموضوع، وفق منهج جامع بين المنهج التاريخي، والانفتاح على حقول معرفية أخرى، خاصة علم الآثار، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع الديني، وبناء على ما سبق، جاءت محاور البحث على الشكل الآتي:

أولا: لمحة تعريفية بمنطقة باني بالجنوب المغربي؛

ثانيا: مكونات التراث المعماري الديني لواحات باني؛

ثالثا: التراث المعماري الديني: سبل وآليات التثمين وآفاق التنمية المحلية.

أولاً: لمحة تعريفية بمنطقة باني بالجنوب المغربي

تمتد بلاد باني على الشريط الجنوبي لجلال الأطلس الصغير. وقد استمدت تسميتها من الكتلة الجبلية المسماة بجبل "باني" والتي تربط ما بين مشارف واد نون في الجنوب الغربي ومشارف جبل صاغرو بمنطقة زاكورة في الجنوب الشرقي⁴²، وبشكل موازي لوادي درعة. ولعل من مميزات منطقة باني تلك التقطعات التي تتخلل سلسلة باني بين الحين والآخر، والتي تعرف بـ"الأفوام" أو "إيماون" بالأمازيغية، وهي مجموعة من الفجاج والممرات التي تتخللها أودية جافة، شكلت مراكز لمجموعة من الواحات التي تعرف استقرار السكان. وغالبا ما نجد أسماء هذه الواحات تحمل اسم "فم"، ومن ذلك نجد واحات: فم الحصن، وتمنارت، وفم تيسينت، وفم زكيد...

وتكشف الدلائل الأثرية، أن الانسان استقر في بلاد باني منذ فترات موعلة في القدم تعود إلى فترات ما قبل التاريخ. إذ بينت الأبحاث وجود بقايا حضارات ما قبل التاريخ بالمنطقة ما بين واحات تيسينت وطاطا، وخاصة الحضارة الآشولية، والعتيرية، والنوليتية⁴³، وكذا الحضارة الموسستيرية بنواحي واحة أفا⁴⁴. وهكذا تعاقب على الاستقرار بالمنطقة جماعات بشرية مختلفة: يهودية، ومسيحية، ومسلمة؛ شملت قبائل أمازيغية وعربية. لكن تبقى فئة الكوشيين أو الدرانتين أو ما يعرف فيما بعد بـ"الحراطين" ذوي البشرة السمراء أو السوداء، هي أقدم وأكثر من استقر إلى اليوم في واحات باني.

75

و تندرج منطقة باني في عمومها، ضمن المجالات الواحية؛ باعتبارها مجالات طبيعية وحيوية خاصة وسط بيئة صحراوية قاحلة نادرة الموارد المائية، مما جعل منها "مجالا حساسا للغاية"⁴⁵. لكن وفي مقابل ذلك ظلت هذه الأوساط مجالات حيوية عبر التاريخ، إذ استطاع الانسان المستقر في هذه المجالات أن يتكيف مع

⁴² - أرجع بعض الدارسين، استنادا إلى الرواية الشفوية، تسمية "جبل باني" إلى قائد قبيلة "المغربين" والذي يدعى بـ"باني"، والذي استقر بجيوشه تحت أقدام هذا الجبل لغزو قبيلة أخرى. وبعد أن تم الغزو والبطش بتلك القبيلة، أخذ هذا الجبل اسم "باني". يرجع إلى مبارك أو سديد، "باني" معلمة المغرب ج 3، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر دار الأمان، الطبعة الثانية، الرباط، 2014، ص 1016.

⁴³ - Lafanechere. Cap. R. « Recherches de Préhistoire de la région Bani-Draâ », Bull, de la Soc. de Préhist. du Maroc, nouvelle série, N° 5-6, 1952, p. 43-89

⁴⁴ - Rodrigue .A, « Nouveaux éléments sur le Moustérien du Maroc , La station d'Akka(Maroc saharien), L'Anthropologie Tome N°91, 1986, pp 483-486.

⁴⁵ - محمد بنعتو، الواحات المغربية والنموذج التنموي: الممكن والمستحيل، ضمن ندوة طاطا وبلاد باني: التاريخ والإنسان والمجال، المنظمة بطاطا ما بين 07 و 09 أبريل 2016، طبعت ضمن منشورات مختبر القيم والمجتمع والتنمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، طباعة ونشر سوس-أكادير، الطبعة الأولى 2017. ص 255.

خصوصيات الواحة وأن "يشيد بها لنفسه محيطا بيغيا، وثقافة اجتماعية واقتصادية متميزة وخاصة"⁴⁶، أو إن شئنا قلنا "تراثا واحيا" تشكل في مقوماته نتيجة مختلف التفاعلات بين المجال باعتباره قاعدة طبيعية، و الانسان باعتباره عنصرا فاعلا⁴⁷. ذلك أن ارتباط الإنسان الواحي بالأرض، أعطى للواحة معنى أكثر شمولية ذو أبعاد ثقافية متميزة، وبمكونات تراثية عريقة ومتنوعة⁴⁸.

إن تكيف الانسان الواحي مع بيئته الطبيعية القاحلة وتدبيره لاستقراره بها، جعل من الواحة منظومة بيئية واجتماعية ذات أبعاد ثقافية وحضارية عبر التاريخ، وهو الواقع الذي جعل من هذه الأوساط المهشة أقطابا حضارية و تراثا ثقافيا عبر التاريخ⁴⁹.

وإذا كانت قحولة المناخ الواحي عاملا مؤثرا في اقتصاد واحات باي وجعل منه "اقتصاد قلة وكفاف"⁵⁰، قائم بالدرجة الأولى على النشاط الزراعي الذي يمارس الانسان الواحي المستقر على ضفاف البحاري المائية القليلة والنادرة، بهدف تنمية محاصيله المختلفة من ثمر وزرع وخضر وحناء. فإن موقعها الجغرافي والاستراتيجي جعل منها خلال فترات تاريخية عديدة ممرا للقوافل التجارية العابرة للصحراء وصلة وصل حضارية بين شمال الصحراء الافريقية الكبرى وجنوبها، إلى الحد الذي جعل من دراسة تاريخ تجارة القوافل جزء لا يتجزأ من تفسير ازدهار الواحات وتأثيرها في التاريخ⁵¹.

⁴⁶ - عبد الرحمان العثماني، التعمير والعمران الواحي: قصور وواحات فكيك نموذجا، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص 74.

⁴⁷ - Mouhiddine Mohamed, *Protection et valorisation du patrimoine naturel du Bas Drâa, en conférence internationale: patrimoine culturel matériel dans la Région Sous - Massa – Drâa, à la faculté des lettres et des science humaines Agadir(13- 14 Mars 2009), publication de l'Institut Royale de la Culture Amazighe, Série : Colloques et séminaire N° 35, Imprimerie El Maarif Al jadida, Rbat, 2013, p308.*

⁴⁸ - مصطفى نامي، مجتمع الواحات: تراث ثقافي بأبعاد إنسانية، مجلة المأثورات الشعبية، العدد 91، السنة 24، يوليوز 2015 ص 52.

⁴⁹ - حسن رامو و أسماء بوعوينات، الواحات المغربية من مجال مركزي إلى مجال هامشي: أية بدائل، ضمن ندوة الواحات: رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي، المنعقدة بأسا أيام 12، 22، 23 نونبر 2014، طبع ضمن منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2016، ص 13.

Mouhiddine Mohamed, Protection et valorisation du patrimoine naturel du Bas Drâa, en conférence internationale: patrimoine culturel matériel dans la Région Sous - Massa – Drâa, op .cit, p308.

⁵⁰ - محمد أعيف، توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، مطبعة أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2014، ص 136.

⁵¹ - نفسه، ص 58.

ثانيا: مكونات التراث المعماري الديني لوائح باني

1- مفهوم العمارة الدينية: استقر رأي دارسي فنون العمارة، على تصنيفها إلى ثلاثة أصناف كبرى: العمارة الدينية، والعمارة المدنية أو الدنيوية - بتعبير جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث- ثم العمارة العسكرية، ودون الدخول في تفاصيل الإشكالات التي أثارها تعريف مصطلح الدين من قبل الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، يمكن القول أن الدين منهج حياة وتصور اعتقادي؛ لحقيقة الوجود وغاياته المثلى ولوسائل تحقيق تلك الغايات⁵².

والديانة باعتبارها "إحدى الإنشاءات المؤسسة لتجربة الوجود الجماعي للناس"⁵³، فإن ما يرتبط بها من تقاليد وطقوس، تولدت عنه أصناف محددة من العمارة تتناسب وأهداف تلك الممارسات، إما تعبيرا عن الشعور الديني أو من أجل التأثير والتأطير الدينيين على مجتمع من المجتمعات⁵⁴، وهكذا، فالعمارة الدينية تشمل كل الأمكنة الشاهدة على مختلف الأنشطة الدينية لفترات تاريخية معينة⁵⁵، قد تمتد في الحاضر، وهي مقيدة حيث أشكالها المختلفة ووظائفها المتنوعة بمقاصد إنشائها⁵⁶.

إن كل أصناف المعمار ذات السلطة الروحية على المجتمع، أو بتعبير آخر الفضاءات المحركة أو التي يشتغل فيها ما يسمى في الأدبيات السوسولوجية بـ"المقدس"⁵⁷، هي مظهر للعمارة الدينية في معناها النظري العام. وضمن هذا السياق برز مفهوم العمارة الإسلامية (L'architecture islamique)، تعبيرا عن مختلف أشكال العمارة العالمية المرتبطة تاريخيا بيزوغ رسالة الدين الإسلامي خلال القرن الميلادي السابع، وما واكب ذلك من تحولات حضارية متعددة.

⁵² - عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، الطبعة الثانية، رامتان حدة، 1990، ص

36-35

⁵³ - نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2011، ص 105.

⁵⁴ - فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية - عصر الولاة- المجلد الأول، م س، ص 231.

⁵⁵ - أحمد بومزكو، التراث الديني المادي لإقليم تيزنيت: التحليلات وآفاق التثمين، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص 127.

⁵⁶ - أحمد بومزكو، التراث الديني المادي لإقليم تيزنيت: التحليلات وآفاق التثمين، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، م س، ص 127. جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، تراث الإسلام، ج 1، م س، ص 305.

⁵⁷ - يشير بعض الباحثين إلى أن تدقيق طبيعة العلاقة بين المقدس والديني وتداخلهما، لم تكن أمرا يسيرا. وحول هذا الموضوع، يرجع إلى نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، م س، ص 35-58. وحول التداخل الحاصل بين المعتقدات والممارسات ومجال المقدس، يرجع إلى:

E, Durkheim, Les Formes élémentaires de la vie religieuse, paris, 1927, p 65.

وبتتبع الإشارات القرآنية المختلفة حول العمارة يتضح حضور أصناف مختلفة من العمائر وفي سياقات مختلفة. سواء في باب العمارة الدينية، كالبيع والمساجد⁵⁸، أو باب العمارة المدنية كالبيوت والقصور⁵⁹، أو في باب العمارة العسكرية كالحصون والأبراج⁶⁰.

لقد شكلت مسألة "عمارة الأرض" في مدلولها الشمولي الإستخلافي، إحدى الغايات الكبرى للإسلام، حتى برز ما يعرف بـ "فقه العمران" تمثلاً لتلك النظرة، وبالرغم مما أثارته دراسة العمارة الإسلامية في عمومها من تساؤلات متشعبة، سواء تلك التي تهم أصول الأساليب والأشكال الفنية المرتبطة بتلك العمارة والمميزة لها، أو تلك التي تهم علاقة العمائر الإسلامية بعمائر الحضارات السابقة للإسلام على مستوى التأثير والتأثر. وغيرها من التساؤلات⁶¹، فالثابت أن العالم الإسلامي شهد عبر تاريخه أصنافاً متعددة من العمائر ذات الوظائف الدينية والروحية، فقد بدأت هذه العمارة بالمسجد وبصفة خاصة مسجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. و بالإضافة إلى المسجد، نجد عمارة المدارس والرباطات، ولكل هذه المنشآت وظائفها المتخصصة⁶²، هذا إلى جانب الأضرحة والمزارات أو ما يصطلح عليه بـ "العمارة الجنائزية" (L'architecture funéraire).

2- مكونات العمارة الدينية ببلاد باني

شكل المغرب وبحكم موقعه الجغرافي الاستراتيجي والمتميز، وتاريخه العريق الموهل في القدم، إلى جانب موارده البشرية الغنية والمتعددة، ملتقى لأحاط ثقافية وحضارية مختلفة اختلطت وتلاقحت فيما بينها عبر الزمن نتجت عنها حضارة مغربية أصيلة تظهر تجلياتها فيما تركته وتزخر به من تراث متنوع؛ مادي وغير مادي، وتعكس منطقة الجنوب والجنوب الشرقي من المغرب، مظهرها من مظاهر الغنى والتنوع في التراث الحضاري المغربي، وضمن هذا الإطار تبرز منطقة باني، حيث تتعدد مظاهر التنوع والغنى في تراثها الثقافي، سواء من حيث أصناف هذا التراث أو من حيث روافده.

⁵⁸ - وردت كلمة المسجد في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى في الآية 18 من سورة الجن: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا).
⁵⁹ - قال الله تعالى في سورة الأعراف (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعتوا في الأرض مفسدين)، الآية 74.

⁶⁰ - من الإشارات القرآنية قوله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)، سورة النساء، الآية 78.

⁶¹ - حول تجليات تدخلات العمارة الإسلامية مع نظيرتها في الحضارات الأخرى، يرجع إلى:

- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

- John Hoag, *Islamique Architecture*, Harry N. Abrams, Publishers, New York, 1977.

⁶² - حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص

والمتتبع للخريطة الدينية لمنطقة بائي سيلحظ ذلك الحضور المتنوع للمعالم المعمارية الدينية بمختلف أصنافها ومميزاتها المعمارية ووظائفها المجتمعية. ويمكن تصنيف هذه المعالم وفق التقسيم الآتي:

- **المساجد:** وتعد من أقدم المؤسسات الدينية التي ارتبط بناؤها بظهور وانتشار الإسلام في المنطقة، إذ يغطي انتشارها مناطق مختلفة من واحات طاطا، مما يؤشر على تجذر النشاط الديني بها. ولا تزال العديد من المساجد القديمة بمنطقة بائي تحتفظ بمعالمها الأصيلة، مثل المسجد القديم بأكادير تيسينت، والمسجد القديم بأكرض تمنارت، و جامع أم حنش(تمزيكدا ن أم حنش).الجامع القديم لقصر أقا. الجامع القديم لقصر تمزوروت، الجامع القديم لقصر بوكير، بقم زكيد، والمسجد القديم لإنفكن بقم الحصن. وغيرها.



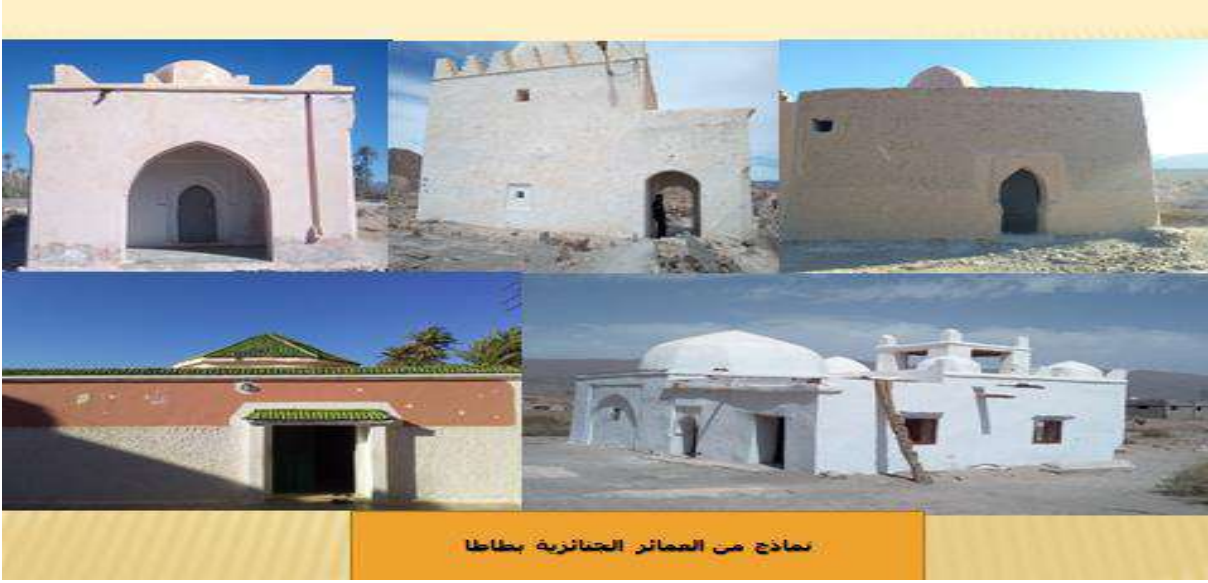
صور لنماذج من عمارة المساجد بواحات طاطا

- **الزوايا:** ساهمت جملة من التحولات السياسية والمجتمعية إلى جانب الموقع الجغرافي لبلاد بائي البعيد والنائي، في بروز عدد من الزوايا اضطلعت بأدوار دينية وسياسية ومجتمعية خلال فترات مهمة من تاريخ المنطقة. ومن أبرز زوايا منطقة بائي، نذكر: زاوية سيدي محمد بن مبارك الأقاوي بأقا، باعتبارها أول زاوية تظهر في منطقة بائي، والتي تعود إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. إلى جانب زاوية سيدي محمد بن يعقوب نسبة إلى مؤسسها، وتوجد بإمي نتالت بقيادة أفايغان، وزاوية سيدي أحمد بن علي بدوار الجباير الذي يبعد بحوالي 20 كلم من مدينة طاطا، أسسها سيدي أحمد بن علي الجبيري، أحد أحفاد سيدي بوعبيد الشرقي؛ دفين أبي الجعد ومؤسس الزاوية الشرقاوية. وزاوية مغميمة التي تقع ضمن الحدود الجغرافية لجماعة تيسينت،

وتأسست خلال القرن 11هـ/17م على يد الشيخ الصوفي سيدي مبارك بن عبد الله بن محمد بن بوبكر الركراكي، وزاوية أيت حساين بقرية أديس، والتي أقامها سيدي محمد أوحمد نايت حساين المتوفى سنة 1235هـ/1819م. وزاوية الصرب بجماعة تليت، أسست في بداية القرن 11هـ/17م.



- الأضرحة والمزارات: إن ملاحظة الخريطة الدينية لواحات بائي تكفي للخروج باستنتاج مهم، مفاده أن المنطقة تعج بعدد وافر من المزارات والأضرحة. فلا يكاد يخلو قصر من قصور طاطا من وجود بنايات خاصة لمن اعتقد الناس بولايته وصلاحه، سواء أكانوا من أرباب الزوايا وشيوخها أو غيرهم. ومن تلك الأضرحة نذكر: ضريح سيدي اسماعيل، وسيدي امحمد أو يحيى، وسيدي عبد الرحمان أولحسن، وسيدي علي أوعزى، وسيدي عبد الله أو محمد، بواحات تيسينت، وفي تمنارت نجد ضريح سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التمنارقي، وضريح سيدي شناويل بتمدولت، وضريح سيدي محمد بن حسين بأكادير الهناء في طاطا، وضريح سيدي صالح في فم الحصن، وغيرهم كثير.



- المغارات والكهوف والكراركر: تتوزع بمجال بائي عموما وواحات طاطا خصوصا مجموعة من المغارات والكهوف، التي كانت تشكل ملاذا روحيا لبعض السكان، نظرا لما تمثله تلك الأماكن من فضاءات وأمكنة للتواصل مع مجال مخوف باطني مظلم، ومسكون بالأرواح⁶³. وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد مغارة سيدي شمروش بمدخل واحة تيسينت، وكركور "كراكرامن" أي بين المرابطين، وواحة مغميمة.

81



- المدارس العتيقة: برزت بمنطقة بائي عدة مدارس تعليمية عتيقة ارتبطت في مجملها بشيوخ التصوف الذين برزوا في المنطقة منذ أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، ويتعلق الأمر بكل من الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي الذي أسس مدرسته بأقا والشيخ محمد بن ابراهيم التمنارقي بتمنارت، والشيخ محمد بن

63- إدموند دوتي، السحر والدين بإفريقيا الشمالية، منشورات مراسم، 2008، ص 277.

يعقوب التالي بمنطقة إمي نتاتلت، وغيرهم. وقد اضطلعت هذه المدارس عبر مختلف الفترات بأدوار تعليمية مهمة.



ثالثا: التراث المعماري الديني: سبل وآليات التثمين وآفاق التنمية المحلية

يعكس التراث بمفهومه العام تجليات إبداعات الأفراد والجماعات في شتى المجالات، ومع ما يمثله ذلك كشف للهويات والخصوصيات المحلية، فإن حماية هذا التراث عامة والديني خاصة، هو حماية لتلك الهوية وإبراز لها. ولعل تلك الأهمية هي التي جعلت بعض الباحثين يعتبرون أن حماية التراث لا تقل أهمية عن الاهتمام بمختلف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وقضايا التنمية للمجتمعات في وقتنا الراهن⁶⁴.

ومن المنطلق السابق، وبحكم الأدوار التاريخية والمميزات المعمارية للتراث الديني بواحات طاطا، وما يواجهه اليوم من إكراهات وتحديات، فإن تمة جملة من التدابير والآليات التي تفرض نفسها بهدف إعادة الاعتبار لتلك العمائر، في أفق إدماجها واستثمارها ضمن السياحة الثقافي البديلة وفي مجالات التنمية المحلية بالمنطقة. ومن تلك التدابير نذكر:

- جرد مكونات العمارة الدينية لطاطا خاصة، ورسم معالم الخريطة الدينية لبلاد باي عامة. وكذا "إعداد خريطة أركيولوجية للمواقع الأثرية، كخطوة أساسية لتتهيئ بنية تحتية سياحية"⁶⁵

⁶⁴ - أحمد بومزكو، التراث الديني المادي لإقليم تيزنيت: التجليات وآفاق التثمين، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، م س

، ص144.

⁶⁵ - نفسه، نفس الصفحة.

- الدراسة التاريخية والمعمارية للعمائر الدينية بواحات طاطا: ذلك أن وضع تلك العمائر في سياقها التاريخي ودراستها من الناحية المعمارية من حيث هندستها ومواد بنائها وعناصرها الفنية... إلخ، من شأنه الكشف عن جوانب من تاريخ وخصوصيات الهوية الثقافية والمعمارية للمنطقة؛
- تأهيل وترميم بنايات المساجد القديمة والزوايا بالمنطقة؛
- إعادة الاعتبار للمدارس العتيقة، مع ما يقتضيه ذلك ضرورات التكيف مع تحولات العصر؛
- إقامة متاحف محلية خاصة بالوثائق والممتلكات المادية للزوايا والمدارس العتيقة، وكذا أثار المساجد، وفتحها أما الباحثين والسياح؛
- إنجاز دراسات علمية حول مكانة المقدس والصالح في تمثل وممارسات الساكنة المحلية؛
- استثمار المواسم السنوية لزوايا ومزارات المنطقة كموسم تمنارت، وموسم بن يعقوب، وموسم زاوية تيسينت...، في المجالين الاقتصادي والسياحي. وكذا تأهيل فضاءتها" تخليدا للأدوار الروحية والاجتماعية لشيخ الزوايا، الذين ساهموا بأدوار في حماية السكان وتأطير القبائل"⁶⁶
- ضرورة انفتاح العمل الجماعي بالمنطقة من خلال المهرجانات السنوية (كمهرجان أصداء الواحة) على التعريف بالموروث الثقافي بالمنطقة.

وعلى وجه العموم، فإن التعرف على بعض تجليات العمارة الدينية وعمقها التاريخي وتأثيرها المجتمعي وحضورها المعماري، يطرح العديد من التحديات أمام الباحثين والمهتمين والجهات المدنية والحكومية بالمنطقة حول مدى الوعي بأهمية وآليات التثمين والتوظيف في مجالات التنمية المحلية.

⁶⁶ - مبارك آيت عدي والوايي نوحى، الزوايا في منطقة باني جنوب المغرب، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص 180.

البليوغرافيا:

- القرآن الكريم (رواية ورش).
- الرواية الشفوية
- البحث الميداني.
- أعفيف، محمد، توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، مطبعة أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2014.
- أو سديد، مبارك، "باني" معلمة المغرب ج 3، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر دار الأمان، الطبعة الثانية، الرباط، 2014.
- آيت عدي، مبارك ونوحي، الوافي، الزوايا في منطقة باني جنوب المغرب، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و 14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص ص 173-184.
- الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.
- بنعتو، محمد، الواحات المغربية والنموذج التنموي: الممكن والمستحيل، ضمن ندوة طاطا وبلاد باني: التاريخ والإنسان والمجال، المنظمة بطاطا ما بين 07 و 09 أبريل 2016، طبعت ضمن منشورات مختبر القيم والمجتمع والتنمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، طباعة ونشر سوس- أكادير، الطبعة الأولى 2017. ص ص 255-276.
- بومزكو، أحمد، التراث الديني المادي لإقليم تيزنيت: التحليلات وآفاق التثمين، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و 14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص ص 125-153.
- الخريجي، عبد الله، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع، الطبعة الثانية، رامتان جدة، 1990.
- دوتي، إدموند، السحر والدين بإفريقيا الشمالية، منشورات مراسم، 2008.
- رامو، حسن، و بوغوينات، أسماء، الواحات المغربية من مجال مركزي إلى مجال هامشي: أية بدائل، ضمن ندوة الواحات: رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي، المنعقدة بأسا أيام 12، 22، 23 نونبر

2014، طبعت ضمن منشورات مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2016، ص ص 13-29.

- الزاهي، نور الدين، **المقدس والمجتمع**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2011.

- لوبون، جوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

- نامي، مصطفى، مجتمع الواحات: تراث ثقافي بأبعاد إنسانية، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 91، السنة 24، يوليو 2015 ص ص 49-67.

- العثماني، عبد الرحمان، التعمير وال عمران الواحي: قصور وواحات فكيك نموذجاً، ضمن ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة، المنظمة يومي 13 و 14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص ص 73-89.

- شافعي، فريد، **العمارة العربية في مصر الإسلامية- عصر الولاية- المجلد الأول**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994.

- A. Rodrigue « Nouveaux éléments sur le Moustérien du Maroc, La station d' Akka (Maroc saharien), L'Anthropologie Tome N°91, 1986, pp 483-486.

- Mouhiddine Mohamed, Protection et valorisation du patrimoine naturel du Bas Drâa, en conférence international: patrimoine culturel matériel dans la Région Sous - Massa – Drâa, à la faculté des lettres et des science humaines Agadir (13- 14 Mars 2009), publication de l'Institut Royale de la Culture Amazighe, Série: Colloques et séminaire N° 35, Imprimerie El Maarif Al jadida, Rbat, 2013, p p 307- 319.

- Durkheim. E, Les Formes élémentaires de la vie religieuse, paris, 1927.

- Hoag, John. Islamique Architecture, Harry N. Abrams, Publishers, New York, 1977.

- R. Cap .Lafanechere « Recherches de Préhistoire de la région Bani-Draâ », Bull, de la Soc. de Préhist du Maroc, nouvelle série, N° 5-6, 1952, pp. 43-89

الموروث الثقافي وإشكالية التحضر في الجزائر

د. خلفاوي عزيزة

جامعة قسنطينة - 2 - الجزائر

الملخص :

تعتبر الثقافة الاطار الذي يتحرك داخله الفرد والوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، والجزائر غنية بتراثها الثقافي الذي تشكل عبر محطات تاريخية عديدة، يعاني المجتمع الجزائري من أزمة غياب الوظيفة الحضارية للثقافة والتي كان لها آثارها الواضحة على مستوى الفرد والمجتمع، وأبرزها المساس بالهوية الوطنية. عاجلت هذه الورقة البحثية مظاهر هذه الازمة وأسبابها، وآثارها على تنمية المجتمع وتقدمه، كما قدمت الحلول الممكنة لها.

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي، التحضر، الأزمة، الأسباب، الحلول

Résumé :

La culture est considérée comme le cadre qui permet le mouvement des individus et le milieu dans lequel se forment toutes les spécificités de la société civilisée, et l'Algérie est riche de par son patrimoine culturel qui s'est constitué a traversé son histoire. La société algérienne souffre de la crise de l'absence de l'utilisation de la civilisation culturelle, et qui a eu des effets claires et palpables sur l'individu et la société, l'identité nationales a été le plu touchée.

Cette recherche aspire a bien étudier cette crise et ses causes ainsi que ses conséquences sur l'organisation et le progrès de la société en essayant de présenter des solutions.

Mot clés : L'héritage culturel, La fonction civilisation, La crise, Les cause, Les solution.

المقدمة

يعتبر الموروث الثقافي الوسط الذي تتشكل فيه الشخصية النمطية للأفراد ويطلع المجتمع بطابعه الخاص، إذ يعد رمزا للهوية الوطنية، وله دورا بالغ الأهمية في استمرار المجتمعات ونموها وتطورها. ينقسم الموروث الثقافي إلى جانبين أساسيين هما الجانب المادي وهو كل ما أنتجته الإنسانية في شكله الملموس، والجانب اللامادي وهو كل ما أنتجته الإنسانية في شكله المعنوي من بينه الموروث الفكري، وللموروث الثقافي بكل أشكاله بالغ الأهمية في استمرار المجتمعات وتطورها ونموها، ويعد الموروث الفكري عاملا أساسيا في التطور العلمي، والتكنولوجي وبناء الحضارات.

تشكل الموروث الفكري الجزائري عبر مراحل تاريخية، ساهمت هذه الأخيرة في بلورته وتنوعه وغناه، إلا أن المرحلة الإستعمارية الفرنسية كان لها دورا سلبيا ومحاولة لمسحه و تشويهه، إذ بتت فيه أفكارا هدامة مازالت سارية المفعول إلى حد يومنا هذا، و شكلت أزمة حضارية للمجتمع الجزائري.

نحاول في هذه المداخلة تحليل أزمة الموروث الفكري وإشكالية التحضر في المجتمع الجزائري؛ من خلال إبراز أسباب هذه الأزمة، وآثارها على تنمية الفرد والمجتمع، وتقديم الحلول الممكنة معتمدين على تحليل العناصر التالية :

أولا - الموروث الثقافي و بناء الحضارة اية علاقة .

ثانيا- أزمة الثقافة الجزائرية و إشكالية التحضر(الاسباب، المظاهر)

ثالثا - الحلول الممكنة للأزمة.

أولاً- الموروث الثقافي وبناء الحضارة اية علاقة

تعددت التعريفات الخاصة بالثقافة واختلفت باختلاف المشارب الفكرية، وأهداف الباحثين، ومن أقدم التعريفات و أشهرها نجد تعريف الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور الذي قدمه في كتابه الثقافة البدائية عام 1871 ومفاده "الثقافة هي ذلك الكل المركب المشتمل على المعارف، والمعتقدات، والفن، والقانون، والاخلاق، والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع" (1) . إذا كان هذا التعريف ذو نزعة واقعية وركز على الجانب اللامادي للثقافة فهناك تعريفات أخرى ركزت على جوانب مادية مثل تعريف روبرت بيرشد حيث يعرفها "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه ونقوم بعمله ونمتلكه كأعضاء في مجتمع" (2)

بالرغم من كثرة التعريفات لمفهوم الثقافة وتنوع مضامينها إلا أنه يمكننا أن نحدد أغلب الافكار التي تتقاطع فيها لتسهيل الدراسة، فالثقافة تتكون من جانبين الجانب المادي والجانب غير المادي وكل جانب ينقسم إلى عدة مكونات كما يلي :

1- التراث المادي :و ينقسم إلى التراث المادي الثابت والتراث المادي المنقول .

أ- التراث المادي الثابت ويشمل المدن التاريخية، المدافن، المنشآت المائية والزراعية وغيرها.

ب- التراث المادي المنقول و يشمل المنحوتات، المنقوشات، المنسوجات وغيرها.

2- التراث اللامادي :وينقسم إلى :

أ- التراث الفكري :ويشمل :العلوم و المعارف الدينية،العلوم و المعارف الطبيعية،الفنون الادبية .

ب- التراث الاجتماعي و يشمل:

- الموروث الثقافي الشفوي كالحكايات، اللهجات وغيرها.

- العادات و التقاليد و الازياء...الخ.

- الفنون الشعبية: كالغناء، الرقص...الخ.

88 إن المقصود بالثقافة في مداخلتنا هذه هو الجانب اللامادي منها اي الموروث المتمثل في الجانب الفكري والاجتماعي بكل أنواعه ويرجع ذلك إلى كون الانسان رجل الحضارة فعال بفكره فبالأفكار تبني الحضارات بشقيها المادي واللامادي.

إن الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي (3) "فهو ذلك الدم في جسم المجتمع يغدي حضارته ويحمل أفكار النخبة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الافكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والاذواق المتناسبة" (4).

إذن تلك هي الوظيفة الاساسية للثقافة في اي مجتمع على مر الازمان، لان التراث في عمق مفهومه هو الاستمرار و النقل لما كان موجودا .

إن الثقافة هي المحيط الذي تتشكل فيه شخصية الفرد وتعطي لأفراد المجتمع الواحد تلك الوحدة في الهوية وتمنحه روح الجماعة وتطبعه بطابعها الخاص. إذ يعرفها المفكر الجزائري مالك بن نبي "هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته، كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (5)

كما يعتبرها "الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي و التمدن ، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط فوق الجسر إلى الهاوية ."(6)

أما الحضارة حسب المفكر مالك بن نبي فتبنى وفق المعادلة التالية: إنسان + تراب + وقت ، وإذا كان الانسان هو الفاعل و العنصر الاساسي في هذه المعادلة من منطلق أنه القادر على استخدام وتسيير التراب والوقت؛ فإن قدرته على التسيير و فاعليته في المعادلة مرهون بطبيعة الثقافة (المحيط) التي شكلته ، وبالتالي فالموروث الثقافي يلعب دورا أساسيا في بناء رجل الحضارة ، ومن ثم بناء الحضارة .

يرى مالك بن نبي أن رجل الحضارة هو مجال مركب الحضارة؛ أي أنه حلقة الوصل بين الفكر والسلوك بين المبدأ والتطبيق، بين المجرد والواقع، وله القدرة على تفعيل الفكرة في الواقع، أي أنه فعال ويتميز بالنشاط والحركة، كما أنه يجيد استغلال الوقت والتراب لما يتميز به من فكر سليم ومنطقية في التفكير والتخطيط والتسيير، كما يجيد توجيه قواه المتمثلة في الفكر والمال والعمل، نحو هدف جماعي محدد، ويتميز أيضا بعمله الجماعي المنظم وفق مبدأ أصيل.

هكذا بنيت الحضارات على مر الازمان وعلى رأسها الحضارة الاسلامية، عندما شكلت ثقافتها الاصيلة رجالا صنعوا التاريخ وحركوه، فالثقافة الاصيلة هي أساس بناء كل حضارة عظيمة .

ثانيا - أزمة الثقافة الجزائرية واشكالية التحضر في الجزائر :

يتموقع المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية المسلمة خارج دورة الحضارة و يطلق على الفرد الجزائري اسم إنسان ما بعد الحضارة ، لأنه تفسخ حضاريا و سلبت منه حضارته بسبب الازمة التي أصابت ثقافته . وترتبط جذور هذه الازمة بعوامل كثيرة أولها وأهمها الازمة التي أصابت الحضارة الاسلامية وسقوطها، على اعتبار أن المجتمع الجزائري مجتمع مسلم وهو جزء لا يتجزأ عنها. إن أزمة الثقافة الاسلامية عامة، والجزائرية خاصة هي أزمة أفكار بالدرجة الاولى فعالم الافكار الذي يشكل هذه الثقافة مريض وغير متجانس مع بقية العوالم الاخرى والمتمثلة في عالم الاشخاص والاشياء، ويرجع سبب مرض هذه الافكار إلى مايلي:

1-توارث الافكار الميتة :

يرى مالك بن نبي أنه من الخطأ الاعتقاد بأن مجتمع ما بعد الحضارة يواصل سيره على طريق حضارته الآفلة، ومن الخطأ أيضا الاعتقاد أنه يقف مكانه ، بل يتقهقر إلى الوراء ويرجع سبب تقهقره هذا إلى محافظته على الافكار التي اقتلعت حضارته وأصبحت بعد أفولها أفكارا ميتة معيقة لإقلاعه الحضاري "إن الافكار الميتة التي ورثناها عن عصر ما بعد الموحدين، أخطر علينا من الفئة الاخرى ، ويكفيها كي نتأكد من هذا أن نلقي النظر

على قائمة الافكار التي فعلت فعلتها في التاريخ فقتلت المجتمع الاسلامي... إن هذه الافكار التي لازالت- باعتبارها أصبحت مية -تكون الجانب السلبي في نهضتنا قد كانت تكون الجانب الايجابي او "القتال" في عهد التفهقر و الافول الذي مر على الحضارة الاسلامية، هذه الافكار إذن كانت قتالة في مجتمع حي قبل أن تصبح مية في مجتمع يريد الحياة" (7).

إن الفكر الاسلامي الموروث عن الحضارة الآفلة هو جنوحه نحو الغلو "و حينها يكون الفكر الاسلامي في أفوله كما هو شأنه اليوم فإن المغالاة تدفعه إلى التصوف، و المبهم، والغامض و عدم الثقة و التقليد الاعمى و الافتتان بأشياء الغرب" (8) إن كل مجتمع يصنع بنفسه الافكار التي تقتله، ولكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي "أفكارا مية" تمثل خطرا أشد عليه من خطر "الافكار القتالة" إذ الاولى تضل منسجمة مع عاداته، وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنما تكون ما لم نجر عليها عملية تصفية، تكون الجرائم الموروثة الفتاكة التي تفتك بالكيان الاسلامي من الداخل وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه" (9).

حسب منظور المفكر مالك بن نبي فإن المجتمع الاسلامي المعاصر لا يستطيع "أن يتابع مسيرته بعقول حاوية، أو محشوة بأفكار مية و ضمائر حائرة، و شبكة من الروابط المتهدمة ليس تجمعها وحدة" (10).

2- امتصاص الافكار القتالة :

تمثل الافكار القتالة في الفكر الغربي الذي امتصه الانسان المسلم انسان ما بعد الحضارة لغاية الالتحاق بالركب الحضاري واستعادة المجد الضائع دون تمحيص أو تنقية، لان موت الافكار لديه جعله يتخبط في ظلام فولى وجهه شطر الحضارة الغربية و امتص افكارها الموروثة المية و الافكار القتالة المحتثة من جذورها الغربية لتنتقم من هذا العالم كما ينتقم جسر سييى البناء بالانهيار على من بناه" (11).

"فقد نجد دور "الافكار المية" ودور "الافكار القتالة" يتمثلان في شخصية واحدة تمثل المظهرين لأنها تحمل الجرثومة الموروثة في كيائها تلك الجرثومة المستوردة وتقرها في المجتمع الاسلامي المعاصر" (12). وبالتالي فإن الافكار القتالة ماهي إلا إفرزات للأفكار المية، إنما من دفعت فكر ما بعد الموحدين إلى امتصاصها في جامعات العواصم الغربية . فمشكلة إنسان المسلم انسان ما بعد الحضارة الانسان الذي يحمل أفكارا مية ليس لديه موقفا صحيحا اتجاه مشكلة الثقافة، "فموقفنا إزاء مفهوم الثقافة بصفة عامة، و الثقافة الغربية على وجه الخصوص، هو السبب الرئيسي في الشر كله" (13)

إن الافكار القاتلة التي ورثها المجتمع الجزائري عن الاستعمار الفرنسي مازالت فاعليتها في أوساط أفرادها وتمثل حجر عثرة أمام تنميته وتقدمه، إن هذا الارث الثقافي المسموم هو من شكل شخصيات مزدوجة الهوية تعاني من أمراض اجتماعية عديدة منها ما يلي:

- داء التكديس، عقدة الرفض، ظاهرة التبديد والتبذير، استصعاب الأمور، تساهل الامور، التقليد الاعمى... الخ. فكيف يمكن دخول باب الحضارة بشخصيات راكدة تعاني من ضباية في هويتها .

ثالثا - الحلول الممكنة للأزمة

قلنا سابقا أن الموروث الثقافي الجزائري مر بمحطات تاريخية استعمارية شوهته، وأهمها المرحلة الاستدمارية الفرنسية التي مازال مفعولها ليومنا هذا وآثاره واضحة على مستوى الفرد (ضباية في الشخصية) والمجتمع (قطاع التعليم، الصحة، الاقتصاد... الخ).

إن دخول الحضارة يحتاج إلى رجال يصنعون التاريخ ويحكونه؛ أي أن الانسان هو مجال الداء والدواء، هو أساس البناء والهدم. إن حل مشكلة الانسان والمجتمعات الاسلامية عامة هو "أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى" (14). و صناعة الرجل في فكر مالك بن نبي تتطلب توجيهه في ثلاث نواحي يوضحها في قوله "إن حل مشكلة الانسان يتكامل في ثلاثة عناصر أساسية هي: توجيه الثقافة و توجيه العمل و توجيه رأس المال" (15).

إذن قبل صناعة التاريخ يجب صناعة الرجال و هذه الاخيرة لا تتأتى إلا بوسط ثقافي نقي إذن الحل يتمثل في :
تنقية الموروث الثقافي من الافكار المعيقة للنهضة: إن الموروث الفكري الجزائري المسموم و المشوه عبر مختلف المحطات التاريخية بحاجة إلى تنقية لإزالة كل الشوائب التي علقت به على مر الزمن، فالثقافة هي نظرية في السلوك كما يقول الأستاذ مالك بن نبي، لذلك يجب أن يتخذ الشعب من مركبها الاجتماعي دستوراً لحياته ويتمثل هذا المركب في :

- عنصر الاخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية .

- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام .

- منطلق عملي لتحديد أشكال النشاط العام .

- لفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع (الصناعة).

" وإنه ليجب بادئ الامر تصفية عاداتنا وتقاليدينا وإطارنا الخلقى والاجتماعي، مما فيه من عوامل قتالة، ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية و الداعية إلى الحياة. إن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد، يحطم

ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو من وضع النهضة و نخلص من ذلك إلى ضرورة تحديد الاوضاع بطريقتين:

الأولى، سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي،
الثانية، إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل" (16).

الخاتمة :

من خلال ما سبق اتضح لنا دور الاستعمار الفرنسي في تحطيم الموروث الثقافي الجزائري و خاصة الموروث الفكري منه ، إذ بث سمومه القاتلة التي تمثلت في تلك الافكار الدخيلة على موروثنا الاسلامي الاصيل ، تلك الافكار القاتلة التي شوهدت الهوية الوطنية والهوية الفردية ، لقد أفرزت شخصيات غير فعالة ، تستهلك أكثر مما تنتج ، شخصيات قابلة للاستعمار ، مازالت لحد الان تستورد أنظمتها التعليمية و الاقتصادية و السياسية ... إلخ من مستعمرتها ، إنها الافكار التي شكلت لنا شخصيات تستصعب الامور ، و تقلد الاقوى تقليدا أعمى ، غير قادر على قبول الاخر ، مبددة ومبذرة ، مريضة بداء التكديس. إن هذه الشخصية الفردية و المجتمعية عائق في طريق بناء الحضارة، عائق في طريق التنمية والتطور.

92 إن بناء الحضارة يتطلب بناء الشخصية الفعالة بناء رجل الحضارة الرجل الفعال، المنجز، ودخول المجتمع الجزائري باب الحضارة يتطلب تجديد للموروث الفكري، إذ لا بد من تنقيته من الافكار الميتة والافكار القاتلة حتى يتسنى للفكر الاصيل البروز والقيام بدوره في تشكيل الشخصية النمطية الجزائرية الاصلية.

1. قائمة المصادر و المراجع :
2. القرآن الكريم .
3. تأليف مجموعة من الكتاب : نظرية المعرفة ، ترجمة علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، 1997، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت، ص 9.
4. نفس المرجع و الصفحة .
5. مالك بن نبي : شروط النهضة ، 1986 ، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، دمشق. صص 92-93
6. نفس المرجع ، ص 93.
7. نفس المرجع ، ص 89
8. نفس المرجع ، ص 93.
9. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1981، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص 130.
10. مالك بن نبي، 1988، ص 24.
11. مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سابق، ص 130
12. نفس المرجع، ص 56.
13. نفس المرجع، ص 13.
14. المرجع نفسه، ص 131.
15. نفس المرجع، ص 134.
16. مالك بن نبي ، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 113.

تأهيل المدن الأثرية المستدام وأثره على السياحة: مدينة سامراء العباسية أنموذجا

أ.د. رفاه جاسم السامرائي

كلية الآداب - جامعة بغداد - العراق

يعد العراق من الاول التي تضم انواعاً من السياحة ومقوماتها، وذلك بسبب تنوع تضاريسه ونشوء اقدم الحضارات على ارضه، متمثلاً بالحضارة السومرية والكندية والبابلية والاشورية. واستمرت سلسلة الحلقات الحضارية وصولاً الى العصر الاسلامي، حيث كان للعراق، حيث كان للعراق نصيباً وافراً برفد الحضارة العربية الاسلامية بالنتائج الحضارية المتمثلة بالأثار الشاحصة فضلاً عن النتاجات الفنية المتمثلة بالأثار المنقولة. ان المقومات الحضارية التي تمتلكها مدن العراق يجعل مدنه بحاجة الى تأهيل مستدام وذلك للنهوض بالواقع السياحي من قبل الجهات الرسمية وذوي الاختصاص وتوفير كل المستلزمات من خلال اجراء الدراسات الاكاديمية والبحوث.

94

وتزداد اهمية التأهيل المستدام بصورة متوالية وذلك بسبب الحاجة الماسة اليه، حيث اصبح من الضرورات التي تساهم في استمرار الواردات الاقتصادية التي لها الاثر في زيادة مدخولات الدولة من القطاع السياحي والمتمثل بالمدن الاثرية والسياحة الطبيعية والسياحة الدينية والسياحة الثقافية. ويعد مصطلح التأهيل المستدام من المصطلحات الحديثة التي فرضها الواقع السياحي في الوقت الحاضر، وهي مزوجة مهمة وضرورية لمفهومين نتج عنهما هذا المصطلح الحديث. وتضم كل مفردة في هذا المصطلح مفهوماً واهمية مؤثرة في مستقبل وموارد العديد من الدول وخاصة السياحة التي تقع فيها مدن ومواقع أثرية. ان تأهيل المدن يجعلها مقصد سياحي أو ترفيهي، ويعتبر من عوامل الجذب السياحي المحلي أو العالمي، لذلك لا بد ان ترتبط هذه العملية بمفهوم التنمية السياحية والتطوير السياحي والتي ترتبط بشكل وثيق بمبدأ الاستدامة والحفاظ على الموارد للأجيال القادمة. ويمثل التأهيل لغة انه التحويل الى الافضل والانتقال من حال الى اخر أكثر ايجابية وقبولاً، كما ورد في معجم اللغة العربية (أهل) الرجل تزوج، وقولهم مرحباً و(أهلاً) اي اتيت سعة واتيت أهلاً فأستأنس ولا تستوحش، وأهله الله للخير تأهيلاً⁽¹⁾. وبشكل عام يمكن النظر الى التأهيل على انه اعداد أو

تهيئة الشيء المراد تأهيله سواء.

كان ماديا أو معنويا بعد ان يزود بكافة المؤهلات والامكانيات التي تجعل منه قادرا وفعالا في اداء وانجاز الوظيفة المعد من أجلها⁽²⁾.

ومما تجدر الاشارة اليه ان عملية اعادة التأهيل قد تشمل الاشياء المادية والمقصود بها الملموسة والتي تكون على هيئة ابنية أو مواقع سياحية، وكذلك تشمل الاشياء المعنوية غير الملموسة مثل اعادة تأهيل القطاع السياحي أو اعادة تأهيل الخدمات المقدمة للزوار⁽³⁾.

ويمثل اعادة التأهيل للمباني أو المدن الاثرية نشاط يتم من خلاله القيام بأعمال الاصلاح والتعديل والصيانة الضرورية للمبنى أو المباني الاثرية ليكتسب الكفاءة بالاستخدام وبالشكل المعاصر وبما يتناسب مع خصوصيته ووظيفته وبيئته الطبيعية والتاريخية⁽⁴⁾. واذا ما انتقلنا الى مصطلح الاستدامة فهي من المفردات الحديثة وذلك بسبب الحاجة لها نظرا للاستخدام الجائر للمواد في شتى المجالات، الامر الذي استوجب وضع حد لهذا الاستنزاف والمحافظة على كمية تلك الموارد. وعند ظهور مفهوم الاستدامة في البداية كانت النظرة اليه من زاوية واحدة، وهو استدامة البيئة ولكن مع تقادم السنين أخذ هذا المفهوم مدلول واسع ليشمل كل نواحي الحياة وقطاعاتها. وصارت تعقد بهذا الصدد الندوات والمؤتمرات نحو التوجيه بالتحقيق باستخدام مبدأ الاستدامة في جميع مجالات الحياة المعاصر يشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والزراعية والصناعية والسياحية⁽⁵⁾.

ويشمل مفهوم الاستدامة العديد من التعاريف وهي:

أ- الاستدامة تعني تحقيق الموازنة للرخاء الاقتصادي.

ب- تحقيق حاجات الحاضر دون التأثير على الاجيال القادمة.

ج- تشجيع استخدام المواد والموارد الطبيعية المحلية وتجنب استخدام الموارد والمواد المضرة بالبيئة⁽⁶⁾.

(1) الرازي، محمد ابي بكر بن عبد القادر، ت 666هـ، مختار الصحاح، دار الرسالة الكويت، 1403هـ- 1983م، ص31.

(2) محمد سلمان داود، اعادة تأهيل وتخطيط أنشطة السياحة الاثرية في مدينة بابل التاريخية وأثرها في حركة التدفق السياحي، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية، 2012.

(3) محمد عبد الهادي، دراسات علمية في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية، القاهرة، 1997، ص3.

(4) الغوري، عبد الله عبد الله سعد، الاطار القانوني لتنظيم المدن التاريخية في الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، 2010.

(5) اسامة باسم صبري يعقوب، التأهيل المستدام للمدن الاثرية والتاريخية وأثره في مستقبل السياحة الثقافية في العراق دراسة ميدانية- مدينة اور انموذجا، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياحية، الجامعة المستنصرية، 2018/ 2019.

(6) نجيل كمال عبد الرزاق والدباغ، شمائل محمد وجيه، استدامة المدن التقليدية بين الامس والمعاصرة اليوم (دراسة مقارنة، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، 2008، ص14 و 15).

ومن تعريفها بأنها التطور المستمر للموارد والمحافظة عليها لمقابلة الاحتياجات الحالية دون المساس في فرص وحاجات الاجيال⁽¹⁾.

ويشير احد الباحثين مؤكداً على هذا الجانب حيث يذكر، بان التنمية السياحية المستدامة تلبي حاجات السواح الحالية والمناطق المضيفة، وتعمل على توفير فرص الحماية والتحسين للمستقبل ويمكن ان يكون الاداء بادارة جميع الموارد بطريقة تجعل الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والجمالية منجزة⁽²⁾.

واما بخصوص التنمية السياحية المستدامة فهي تركز على ثلاثة محاور وهي
أ- مراعاة قواعد البيئة ونظمها.

ب- احترام الثقافة المحلية وطابعها.

ج- ترشيد استخدام الموارد السياحية لتبقى صالحة للأجيال والمستقبل⁽³⁾.

وتمثل المدن الاثرية وتأهيلها محورا اساسيا في مجال السياحة لكونها تعتبر من عوامل الجذب المهمة والمؤثرة على الطلب السياحي المحلي والخارجي⁽⁴⁾. وان التاريخ القديم وما خلفه الانسان من المواقع الاثرية والتاريخية والمآثورات الشعبية، كلها تمثل المادة الخام الاولية التي تقوم عليها السياحة والتي تخلق من مكان ما مركزا سياحيا يقبل عليه الناس ويمكن للبلد الاستفادة منه. فمنجزات الانسان الحضارية هي من مسببات الحركة السياحية والتي تخص نتاجاتها، اي كل ما صنعه وهي المواقع الاثرية والتاريخية والمدن والمراكز الحضارية، كذلك تمثل اقدم ما صنعه وانجزه الانسان والتي تكون اكثر انتشارا وبالتالي فان زيارة المواقع الاثرية تغذي الحركة السياحية في موسم الركود السياحي⁽⁵⁾.

واما بخصوص اهمية المواقع الاثرية مما لاشك فيه فأنت باتت تشكل دعما للسياحة الوطنية حيث تعتبر احد اهم المنتجات السياحية والتي لا يختص دورها على احد لذلك يجب المحافظة على هذه الاثار والمواقع في مأمّن من اي عبق او تخريب يحتمل ان يلحق بها، من اي طرف سواء بسبب الاهدال أو بعمل قصدي وهذا الامر لا يتوفر إلا بوجود مجموعة من الانظمة التي تخص حماية هذه المواقع والكنوز الاثرية. وتحدد انواعا من العقوبات الجسدية والمالية والنفسية التي تردع كل من تحدته نفسه العبث بهذه المكاسب والمقدرات.

⁽¹⁾ Preston, Lynelle, Sustainability at Hewlett- Packard, California Management Review, Vol. 43. No, 3. Spring, 2001.

⁽²⁾ اسامة بارود.

⁽³⁾ صلاح الدين خربوطلي، السياحة المستدامة (دليل الاجهزة المحلية) دار الرضا للنشر، سوريا، 2004، ص25.

⁽⁴⁾ اسامة باسم، المرجع السابق، ص23.

⁽⁵⁾ محفوظ صالح مخخير ونضال امين عبد العال، مبادئ الاثار السياحية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988، ص11 و 12.

وعلى الرغم من افتقار بعض الدول لهذه الانظمة الا ان الكثير منها صارت تدرك اهمية الاثار والمواقع التي تتوفر على العديد من الانظمة واللوائح لتنظيم هذه المجالات المختلفة وترتيب اوضاعها بما يتناسب مع دورها في تطوير وتسهيل السياحة لديها، فهي مواقع ذات اهمية خاصة كمرافق سياحية ترتادها اعداد لا يستهان بها من السياح من جميع انحاء العالم للتعلم واكتساب العبر لذلك فهي تدر على البلاد والمجتمعات اموالا طائلة وتساهم في تنشيط الاقتصاد الوطني بشكل لا يمكن تجاهله⁽¹⁾.

مدينة سامراء ومقوماتها الاثرية

تقع مدينة سامراء على بعد 130 كم شمال العاصمة بغداد⁽²⁾، وتشمل المدينة على مساحة مستطيلة الابعاد يتراوح طولها من الشمال الى الجنوب ما بين 35-41 كم بمحاذاة نهر دجلة ويتراوح عرضها من الشرق الى الغرب ما بين 3-5 كم⁽³⁾.

وكانت مدينة سامراء الحاضرة الثانية للخلافة العباسية بعد بغداد (مدينة السلام) وقد شهدت المدينة منذ اول نهضة عمرانية امتدت على الجانب الشرقي لنهر دجلة ثم تواصل العمران ليشمل قسما من الجانب الغربي للنهر. بخصوص سنة بناء المدينة فأن اغلب المصادر تتفق على ان الخليفة العباسي المعتصم بالله 2018-227هـ، شرع ببنائها سنة 221هـ⁽⁴⁾.

وبقيت مدينة سامراء على مدى نصف قرن ونيف عاصمة للخلافة العباسية وقد اولها الخلفاء العثمانية⁽⁵⁾ الذين كانت عاصمة لهم جل اهتمامهم ورعايتهم حتى امست حاضرة كبيرة من حواضر العالم عندئذ. وخلال المدة التي شغلتها مدينة سامراء كعاصمة ساد الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادي والازدهار، ولعل السبب في ذلك هو امتداد رقعة الدولة شرقا وغربا والذي ادى بدوره الى ازدياد موارد الدولة، فعم الرخاء الاقتصادي والذي انعكس بدوره على الجانب العمراني، فبنيت في المدينة العديد من العمائر والمنشآت الترفيهية.

(1) اكمحموفيوم مسلم، السياحة صناعة العصر، بيروت، 2007، ص 69.

(2) احمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، بغداد، 1948، ج 1، ص 46.

(3) حارث جاسم محمد، المنشآت الترفيهية في مدينة سامراء العباسية، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، 2018، ص 9.

(4) اليعقوبي، احمد ابي يعقوب، كتاب البلدان، النجف 1337هـ - 1918م، الصفحات 22-35، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، النجف 1358هـ، ج 3، الصفحات 197-232. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة 1358هـ - 1939م، ج 7، الصفحات 231-608، ح 8 الصفحات 3-163، المسعودي، ابي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عد، بدون تاريخ، ج 4، الصفحات 3-163.

(5) ابو اسحاق محمد المعتصم (218-227هـ) ابو جعفر هارون الواثق بالله (227-232هـ) ابو الفضل جعفر المتوكل على الله (232-247هـ) ابو جعفر محمد المنتصر بالله (247-248هـ) ابو العباس احمد المستعين بالله (248-252هـ) ابو عبد الله محمد المعتز بالله (252-255هـ) ابو اسحاق محمد المهدي بالله (255-256هـ) ابو العباس احمد المعتمد على الله (256-279هـ) السامرائي، المرجع السابق، ص 7.

ومن خلفاء مدينة سامراء الذين اولوا البناء اهتماما كبيرا الخليفة المتوكل على الله الذي شيد ما لا يقل عن خمسة عشر قصرا في المدينة وحدها وقد ذكر اسمائها جميعها المؤرخ اليعقوبي⁽¹⁾.

وتكامل العمران في المدينة من حيث كثرة القصور والمباني العامي حتى اصبحت مدينة لها شأن كبير حتى صارت على حد رواية القزويني بانها (اعظ بلد الله بناء وأهلا)⁽²⁾. وتمثل مدينة سامراء في الوقت الحاضر بما تبقى من اثارها اكبر مدينة اثرية في الوطن العربي حيث تمتد اطلالها لعدة كيلو مترات. وتنوعت الاثار الباقية لمدينة سامراء العباسية ما بين عمائر دينية أو مدنية او ترفيهية.

وفي مقدمة عمائر المدينة المسجد الجامع وهو الجامع الثاني الرئيس بعد المسجد الجامع الذي شيده الخليفة المعتصم بالله عند بناء المدينة عام 221هـ.

واشار اليعقوبي ان الخليفة المعتصم بالله خط القطائع للقواد والكتاب والناس وخط كذلك الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع⁽³⁾.

وبقي الجامع قائما لأداء صلاة الجمعة حتى مجيء الخليفة المتوكل على الله عام 232هـ⁽⁴⁾. وفي بداية حكمه اصبح الجامع صغيرا جدا لا يتسع عدد المصلين، لذلك شيد المتوكل جامعا رئيسيا عند اول الحير في موضع واسع خارج المنازل ولا يتصل به شيء من القطائع والاسواق واتقن الخليفة بنائه ووسعه واحكم تشييده⁽⁵⁾.

وتبلغ مساحة المسجد الجامع الكلية حوالي 238.000م² وعلى هذا الاساس فأن الجامع يكون أكبر جامع في العالم⁽⁶⁾. بنيت الجدران الخارجية من الطابوق المفخور وقيمت ابراج مستديرة على مسافات على طول الجدران وفي الزوايا.

وتتميز الابراج الركنية بكونها اقطارها من تلك الابراج القائمة على امتداد الجدران⁽⁷⁾.

وتمتد جدران سورها الخارجي من الشمال الى الجنوب 444م ومن الشرق الى الغرب 376م، وتتميز جدرانها 44 برجاً ذات شكل نصف اسطواني ترتفع بارتفاع الجدران⁽¹⁾. ويزين اعلى الجدران الجامع سلسلة من دوائر مقعرة مؤطرة بشكل مربع منخفض عن مستوى وجه الجدار عن مستوى وجه الجدار⁽²⁾.

(1) السامرائي، المرجع نفسه، ص 11.

(2) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، اثار البلاد واخبار العباد، بيروت، 1380هـ - 1960، ص 385.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص 35.

(4) العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في عهدي المعتصم والمتوكل، بغداد، 1976، ص 129.

(5) اليعقوبي، البلدان، ص 35.

(6) العميد، المرجع السابق، ص 130.

(7) العميد، المرجع السابق نفسه، ص 131.

ويتألف الجامع من اربعة اقسام تحيط بالصحن، بيت الصلاة وثلاثة مجنبات، ويتألف بيت الصلاة من 24 صف من الاكتاف 25 رواف، وفي جدار القبلة 24 شبك⁽³⁾.

وفي وسط جدار القبلة محراب يتألف من حنية داخلية مستطيلة عرضها 2.59م وعمقها 1.75م محاطة بزوجين من الاعمدة المندمجة في الجدار⁽⁴⁾.

ومن اهم الاثار الشاخصة في المدينة والتي تعد احد معالمها البارزة المئذنة الملوية، وهي فريدة في شكلها بين مآذن العالم الاسلامي. ولاتزال باقية لحد الان

ان اهم ما يميز المئذنة هو الشكل اللولبي. تقع المئذنة خارج جدران المسجد، ومعزولة تماما وعلى بعد 27.20م⁽⁵⁾.

اقيمت المئذنة على قاعدة مربعة مؤلفة من مربعين الواحد فوق الاخر والارتفاع الكلي للمربعين 4.60م، ويزين كل جانب من جوانب القاعدة حنايا صماء مستطيلة الشكل ويعلو القاعدة برج لولبي مؤلف من خمسة دورات حلزونية ولها سلم خارجي يصل الى قمة اسطوانية يبلغ ارتفاعها 6م، وهي مزخرفة بحنايا. ويبلغ ارتفاع المئذنة 50م⁽⁶⁾.

99 ويتدرج متناسق حيث يتقلص حجم الدوان الحلزونية اي ان كل طابق يتراجع قليلا عن الطابق الذي يدنوه، وهي باتجاه معاكس بعقرب الساعة⁽⁷⁾.

ان اهم ما يميز المئذنة عن مآذن العالم الاسلامي هو ارتفاعها وشكلها الفريد المؤلف عن عدة طبقات. ويمثل الجامع بصورته الحالية وما يحتفظ به من عناصر عمارية وزخرفية أنموذجا فريدا للجوامع التي بنيت خلال العصر العباسي، ويكشف بجلاء عن عبقرية المعمار العربي المسلم الذي شاد هذا الصرح العماري، فضلا عن ازدهار فن العمارة في المدينة.

(1) عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، 1982، ج1، ص112، و 113.

(2) عيسى، المرجع السابق نفسه، ج1، ص116.

(3) العميد، المرجع السابق نفسه، ص140.

(4) العميد، المرجع نفسه، ص100.

(5) العميد، المرجع السابق، ص157.

(6) عيسى واخرون، المرجع السابق، ج1، ص120.

(7) عيسى، العمارات الدينية، حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد، 1985، ج9، ص58.

قصر البركة

يضم القصر بركة واسعة المساحة يقع الى الجهة الشمالية الشرقية من باب العامة⁽¹⁾، المطل على نهر دجلة⁽²⁾ ويعود تاريخها الى عهد الخليفة المتوكل على الله الذي امر بإنشائها عندما قام بتطوير المدينة⁽³⁾.

وقد اجريت اعمال التنقيب فيها من قبل المديرية العامة للأثار في سنة 1978م واستمرت حتى سنة 1989م. ومن نتائج التنقيب ظهر ان هذه البناية تمثل البركة التي اقامها الخليفة المتوكل على الله من اجل اتخاذها مكانا للتسلية والترفيه⁽⁴⁾. وهي تشغل مساحة من الارض ابعادها 180 × 180، ومحاطة سور مدعم بأبراج نصف دائرية مبنية بالاجر والحص يبلغ سمكها 1.50م. وتمت اقامة هذه البناية في باطن الارض بعمق (13م) وهي تتألف من طابقين الطابق السفلي الذي بني في باطن الارض، بعد ان حفر له مساحة في الارض الصخرية بلغت ابعادها (122.5م) من الشمال الى الجنوب و (123.5م) من الشرق الى الغرب لتؤلف مساحة تبلغ (15128.75م)⁽⁵⁾.

ولهذه البركة مجموعة من المداخل الرئيسية والفرعية بلغ عددها اربعة مداخل وهي موزعة على الجهات الاربعة، وكل مدخل من هذه المداخل مستطيل الشكل يؤدي الى سلم عدد درجاته (47)، وهو يؤدي الى الجزء الاسفل من البركة حيث ينتهي هذا السلم بمدخل وسقف السلم بقبو⁽⁶⁾ ويفضي كل سلم منها على اجتياز المدخل الموجود في نهايته اسفل السلم الى قاعة كبيرة يتقدمها ايوان كبير ومفتوح على الحوض الدائري وزينت جدرانها لارتفاع (1م) بالزخارف الحصية التي تحمل اشكال بنائية⁽⁷⁾.

قصر المعشوق

يقع القصر على الطريق الرئيس الذي بغداد بالموصل على القرية لنهر دجلة مقابل باب العامة⁽⁸⁾. وقد شيد على ربوة مرتفعة مكونة من عدد من التلال المتجاورة وقد اعطاه ذلك الارتفاع موقعا استراتيجيا ممتازا، اشرف به على

(1) باب العامة: هو البناء الفخم الوحيد المتبقي من القصر الذي بناه الخليفة المعتصم بالله ويطل على نهر دجلة وما تبقى منه ثلاثة أواني كبيرة، عيسى، العمارات الدينية، ج9، ص156.

(2) السامرائي، اسماعيل محمود، صيانة بركة سامراء لعام 2003، مجلة سومر، بغداد، 2005-2006، حج53، ج1-2، ص377.

(3) الحياني، حافظ عيسى، وعلي حسين عبدي، البركة الدائرية داخل قصر الخليفة- سامراء تنقيب وصيانة، مجلة سومر، بغداد، 1995-1996، حج48، ج1 و2، ص89.

(4) الحياني وعلي، المرجع السابق، ص91.

(5) الحياني وعلي، المرجع السابق، ص91.

(6) الحياني وعلي، المرجع نفسه، ص92.

(7) السامرائي، اسماعيل، المرجع السابق، ص381.

(8) سوسة، المرجع السابق، ج1، ص88.

مدينة سامراء، فضلا عن سيطرته على الطرق الرئيسية بين بغداد والموصل، يحيط بخ من جانبه الشمالي والشرقي نهر الاسحاقى على شكل ملتويات نصف دائرية.

واما بخصوص تاريخ البناء فان يعود لعهد الخليفة المعتمد على الله العباسي الذب بناه في سنة 275هـ⁽¹⁾، وسمي القصر بالمعشوق حيث اطلقها عليه الخليفة المعتمد على الله، وقيل انه سمي بذلك لجمال مظهره ومتانة بنائه⁽²⁾. ويمثل المخطط العام للقصر بوضعه الحالي المحصلة النهائية للجهود التي قام بها الباحثون الاجانب والعراقيون وهو مستطيل ابعاده (136م) من الشمال الى الجنوب و (90م) من الشرق الى الغرب.

ولا يختلف تخطيط قصر المعشوق عن تخطيط بعض القصور العربية الاسلامية التي شيدت في العراق والشام في العهد السابق على تشييده، فطراز التخطيط حيري حيث يتألف من جملة من المرافق تتكون كل وحدة منها من مجموعة من الحجر تطل على ساحة وسطية أو ترتبط بها مداخل وتتصل مع الوحدات البنائية.

شيد القصر بلبن كلسي والبناء متين وبنصف بسمك جدرانها الخارجية ومناعتها، وجدرانها الخارجية هي سور يبلغ سمكه (2.60م) مرتفع ومدعم بأبراج، وتتميز ابراج المعشوق بقواعدها العالية وشكلها المستطيل.

وقد اقتضت الضرورة ذلك حيث جعلت اساسات الجدران عالية لترتبط بين عدد من تلول بني فوقها القصر⁽³⁾.

ويدعم جدران القصر (16) برج بضمنها ابراج الازكان وتوزع بصورة غير متساوية⁽⁴⁾. وتميزت جدران القصر بسمكها وهذا السمك الكبير صمم لكي يتحمل الثقل الكبير للجدار الذي يصل ارتفاعه الى مايزيد عن (20م). ومما تجدر الاشارة اليه ان قسما من الجدران الخارجية قد شيدت على الارض دون حفر اسس وذلك لصلابة وهي احدى السمات لارض سامراء⁽⁵⁾.

ومع تقادم الزمن تهدمت اجزاء كبيرة من جدران القصر فضلا عن تهدم الحجر والقاعات والساحات. واوسع اقسام القصر قاعة مربعة الشكل طول لعها (20م) يتوسط كل من جدرانها مدخل يؤدي الى اوادين ومشمتملات القصر.

وكان يرتب جدران القصر لوحات مشغولة حفرا بزخارف جصية جميلة تفصح عن طراز واسلوب هذا الفن الذي انتشر في مدينة سامراء انتقل الى اقاليم العالم الاسلامي⁽⁶⁾.

(1) العبيدي، عباس فاضل عبد، قصر المعشوق، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، 1987، ص26.

(2) حميد، عبد العزيز، دراسة لبعض التحف الاسلامية في المتحف العراقي، مجلة سومر، مج23، سنة 1967، ص147.

(3) عيسى واخرون، العمارات العربية، ج2، ص57.

(4) عيسى، المرجع السابق، ج2، ص59.

(5) العبيدي، المرجع السابق، ص6 و66.

(6) عيسى واخرون، المرجع نفسه، ج2، ص57.

ويقع المدخل الرئيسي في الضلع الشمالي وبمستوى اساس الجدران الخارجية، لذا استوجب ان تبني دكة لتسهيل مهمة الوصول الى المدخل. ودكة المدخل كبيرة بحيث تشغل (41.5م) من وجه الجدار الشمالي وتبرز عنه (26م) وتتألف من تكوين عماري كبير، تبدأ واطئة عند مستوى سطح الارض ثم ترتفع تدريجيا وانسيابيا ثم تلتوي بطريقة معينة لتؤدي الى مدخل القصر. وهذه الطريقة في الوصول الى القصر فريدة في نوعها بين مداخل القصور. ويظن بعض الباحثين المتخصصين ان الغاية من هذا التكوين هي دفاعية حربية صرفة⁽¹⁾.

وقبل الختام البحث لابد من الاشارة الى ان مدينة سامراء العباسية امتازت بكثرة ما تبقى من مبانيها التي تنوعت، حيث لا مجال لذكرها في البحث، ومنها جامع ابي دلف في مدينة المتوكلية التي تبعد 10 كم شمال مدينة سامراء حيث ان مئذنة الملونة تشبه مئذنة الملوية لجامع سامراء الكبير الا ان عدد لفاتها الحزونية مؤلفة من (3) لفات. وكذلك قصر بلكوار وسور اشناس، وقصر الجوسق الخاقاني الذي بقى اطلاله على نهر دجلة وقصر الحويصلات واقطاعات الجند ومبان ترفيهية منها حلبات السباق والبرك. وهكذا فأن اثار لمدينة بين مدن العالم العربي الاسلامي. وهذا مما يجعلها من مواطن الجذب السياحي لكثرة اثار ولجمال طبيعة المنطقة جغرافيا حيث تطل المدينة على نهر دجلة.

ان مدينة سامراء وما تمتلكه من مقومات سياحية يجعلها في مقدمة المدن التي هي بحاجة الى التأهيل المستدام، ومما يجب التنويه له ان المدينة تتسم بتنوع مقومات السياحة فيها، وعلى الرغم من كثرة اثارها الباقية، الا ان هناك نوع اخر من السياحة المتمثل بالسياحة الدينية حيث تضم ارض المدينة مرقد الامامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) أحد ائمة ال بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث يتوافد على المدينة الاف الزوار من الدول المجاورة لأداء مراسيم الزيارة لهما.

ولم يقتصر الامر على ذلك بل ان موقع المدينة الجغرافي ووقعها على نهر دجلة مع وجود بحيرة الثرثار التي تعد مرفق سياحي طبيعي مهم وعامل جذب لزيارة المدينة.

وتمثل المدينة بأثارها الشاخصة ومقوماتها الاخرى موطن سياحي مهم، هو بحاجة الى تأهيل مستدام، الا ان الظروف التي يتعرض لها العراق تقف حائلا دون تنفيذ المشاريع السياحية سواء في المدينة أو باقي مدن العراق التي لا تقل شأنًا عن مدينة سامراء.

وفي ختام البحث هناك بعض الاستنتاجات التي توصلنا لها بأن اثار المدن العراقية ومنها مدينة سامراء تتبوء مكانة عالمية وذلك لكون ارض العراق تضم حضارات بدأت قبل الميلاد واستمرت مع توالي وصولا الى العصر

(1) عيسى واخرون، العمارات العربية، ج2، ص57.

الاسلامي، والان يزخر المتحف العراقي ومخازنه بألاف القطع الاثرية فضلا عما تضمه متاحف العالم من اثار تعود للحضارة العراقية بمختلف عصورها ومن ضمنها الحضارة العربية الاسلامية. وعلى الرغم من كثرة ما موجود بين اثار شاخصة وما كشفته نتائج التنقيبات التي أجرتها البعثة الالمانية وما تلاها من تنقيبات عراقية الا ان المدينة لاتزال تحفظ بالعديد من المواقع الاثرية التي لم تجر عليها عمليات التنقيب. وتعيش المدن الاثرية التي لم تجر عليها عمليات التنقيب. وتعيش المدن الاثرية العراقية بشكل عام ومدينة سامراء بشكل خاص حالة اهمال وعزلة اعلامية سياحية. ومن مكملات التأهيل المستدام هو الوعي المجتمعي المحلي وتواضع مستوى السياحة الثقافية عند المجتمع ادى الى عدم اهتمام الناس بالسياحة الثقافية وعدم اكتراثهم بوجود مدن ومواقع اثرية بالقرب منها حتى ولو كانت تعتبر من الكنوز العالمية ومن التراث الانساني. الامر الذي ساهم بقلة الطلب السياحي المحلي والخارجي بشكل واضح.

ومن الاسباب الاخرى التي لها اثر على السياحة الثقافية تعرض المدن الاثرية لعوامل التخريب، سواء الطبيعية أو ما يقوم به سكان المدن القريبة من المدن الاثرية باقتلاع أجر الاثار واستعماله في البناء وهي حالة تكاد تكون موجودة في اغلب البلدان. ان مثل هذه الامور تتطلب جهدا يتمثل من الجهات المسؤولة وذلك من خلال اصدار قوانين صارمة تحد من هذه التجاوزات وذلك للحفاظ على هذه الكنوز المهمة للأجيال القادمة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- احمد سوسة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، بغداد، 1948
- 2- اسامة باسم صبري يعقوب، التأهيل المستدام للمدن الاثرية والتاريخية واثره على مستقبل السياحة الثقافية في العراق دراسة ميدانية- مدينة أور أنموذجا، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية 2018
- 3- أكمجو، أفيوم مسلم، السياحة العصر، بيروت 2007
- 4- حارث محمد جاسم، المنشآت الترفيهية في مدينة سامراء العباسية،/جامعة بغداد- كلية الآداب، بغداد 2018.
- 5- الحياني حافظ عيسى، وعلي حسين عبيد، البركة الدائرية داخل قصر الخليفة، سامراء، تنقيبات وصيانة مجلة سومر، 1956-1995
- 6- خربوطلي، صلاح الدين، السياحة المستدامة (دليل الاجهزة المحلية)، سوريا، 2004
- 7- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، الكويت، 1983
- 8- السامرائي، اسماعيل محمود، صيانة بركة سامراء لعام 2003، مجلة سومر، بغداد، 2005 و 2006
- 9- السامرائي، رفاه جاسم، مدرسة سامراء في التصوير العربي الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد- كلية الآداب، بغداد، 1985
- 10- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، 1939
- 11- عبد العزيز حميد، دراسة لبعض التحف الاسلامية في المتحف العراقي، مجلة سومر، بغداد، 1967.
- 12- العبيدي، عباس فاضل عبد، قصر المعشوق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد- كلية الآداب، 1987.
- 13- العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في عهدي المعتصم والمتوكل، بغداد، 1976
- 14- عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، 1982
- 15- محمد داود سلمان، اعادة تأهيل وتخطيط أنشطة السياحة الاثرية في مدينة بابل التاريخية واثرها في حركة التدفق السياحي، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية، بغداد، 2012
- 16- محمد عبد الهادي، دراسات علمية في ترميم وصيانة الاثار غير العضوية القاهرة، 1997
- 17- محفوظ صالح مخير ونضال امين عبد العال، مبادئ الاثار السياحية، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988
- 18- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، كتاب البلدان، النجف، 1917، تاريخ اليعقوبي، النجف، 1358هـ.

الاشكال



شكل رقم (1) المسجد الجامع



شكل رقم (2) أبراج المسجد الجامع



شكل رقم (3) المسجد الجامع من الداخل



شكل رقم (4) صورة لأحد مجنبات المسجد الجامع



شكل رقم (5) احد مداخل المسجد الجامع



شكل رقم (6) مأذنة المسجد الجامع (الملوية)



شكل رقم (7) صورة للمأذنة الملوية



شكل رقم (8) قصر البركة من الداخل



شكل رقم (9) الأواوين المطلة على البركة



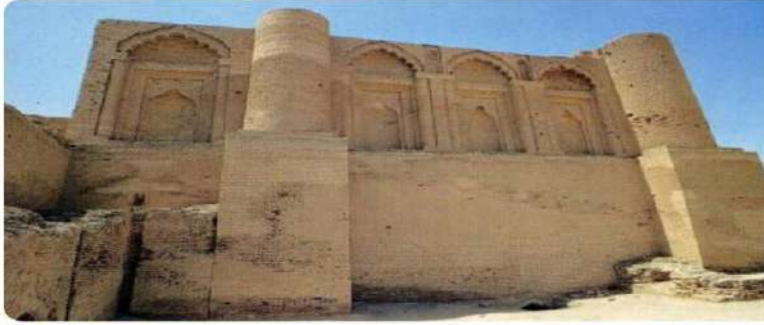
شكل رقم (10) قصر المعشوق



شكل رقم (11) صورة لقصر البركة



الشكل رقم (12) صورة قصر البركة من الخارج



شكل رقم (13) قصر المعشوق



شكل رقم (14) زخارف جصية من قصر المعشوق

السياحة الثقافية وعلاقتها بالتنمية المستدامة

د. مبروك مريم

جامعة علي لونيبي البلدية 02 - الجزائر

د. بهاز لويزة

جامعة غرداية - الجزائر

مقدمة:

السياحة ظاهرة اجتماعية عرفت المجتمعات البشرية منذ القدم بخصائص ومعطيات معينة تعكس الجانب التاريخي والتطوري لكل مجتمع إبان حقبة زمنية معينة، كما أنها ظاهرة اقتصادية تعكس أبعاد تنموية مختلفة ذات انعكاسات على مستوى الموارد المالية الخاصة بكل بلد إضافة إلى ذلك هي ظاهرة تعكس الجانب الحضاري والثقافي للمجتمعات، وهي تعرف تطور ونمو متزايد في العديد من الدول العالمية، كما تعد نشاط يهدف إلى البحث عن المتعة والترفيه والبحث عن الراحة النفسية بالنسبة للإفراد، إلا أن دورها لم يقتصر على ذلك فقط وإنما أصبح النشاط السياحي احد القطاعات الهامة ذات خطط استراتيجية تنموية مهمة لدى العديد من البلدان باعتبارها احد القطاعات الأكثر ديناميكية وأهمية ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان؛ فهي رسالة حضارية ومحطة للتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية بين الدول والمجتمعات وتعد السياحة المستدامة منهجاً وأسلوباً تقوم عليه العديد من المؤسسات السياحية العالمية، له عائدته المعنوي والمادي، ويعود بالربح والفائدة على المؤسسات السياحية بالدرجة الأولى وعلى الدولة والفرد بالدرجة الثانية .

وتعد الجزائر إحدى الدول التي تتمتع بمناظر طبيعية جذابة تمثلت في التنوع بين الجبال والصحراء والشواطئ والغابات إلى جانب السهول والهضاب وتنوع المناخ كلها تعد عناصر جذب للقطاع السياحي، فهي قطاع إنتاجي له دور فعال ومهم في زيادة الدخل القومي وتحسين ميزان المدفوعات، ومصدراً للعمالات الصعبة، وتوفير مناصب العمل لتشغيل اليد العاملة، وهدفاً لتحقيق برامج التنمية، كما أنها حركة ديناميكية مرتبطة بالجوانب الثقافية والفنية والحضارية للإنسان؛ وهي محطة للتواصل بين مختلف الثقافات والمعارف الإنسانية التي تميز الدول والمجتمعات، وتعتبر السياحة الثقافية منهجاً وأسلوباً تقوم عليه العديد من المؤسسات السياحية العالمية، له عائدته المعنوي والمادي حيث يعود بالربح والفائدة على المؤسسات السياحية بالدرجة الأولى وعلى الدولة والفرد بالدرجة الثانية لذا التفكير في السياحة بالجزائر كنشاط ديناميكي له تأثير متبادل وفعال يشمل جميع الأنشطة الاقتصادية في الدولة وخارجها، فهي تتأثر وتؤثر على مختلف الأنشطة الداخلية والخارجية للبلد.

أولاً: السياحة

1- مفهوم السياحة:

لقد عرفت السياحة كمنشأ إنساني منذ القدم فكانت تشير إلى تنقل الأفراد من مكان إلى مكان قصد أغراض معينة قد تكون في أغلبها بحثاً عن المعرفة والاكتشاف والمتاجرة في المناطق التي تستهوي القادمين إليها. وفي هذا الصدد اختلفت وجهات النظر وتعددت تعاريف السياحة.

- تعرف السياحة بأنها "سفر الإنسان أو ترحاله أو قيامه برحلة للإقامة مؤقتاً ولفترة محدودة في مكان آخر بعيد عن مكان إقامته الأصلي سواء في بلده أو في بلد أجنبي بغرض الترويح الذهني والجسمي، وهي تتأثر بعدة عوامل كالمواصلات، ودخل الفرد وثقافته ودرجة تحضره الموقع، البيئة، وتوافر المعالم السياحية"¹.

- كما تعرف السياحة على أنها "مجموعة من العلاقات المتبادلة التي تنشأ بين الشخص الذي يتواجد بصفة مؤقتة في مكان ما، وبين الأشخاص الذين يقيمون في هذا المكان، وهذه العلاقات والخدمات تكون ناجمة عن التغيير المؤقت والإرادي لمكان الإقامة دون أن يكون الباعث على ذلك أسباب العمل أو المهنة"².

- السياحة عبارة عن "تحوّل الإنسان من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان آخر، وهذا يعتبر سياحة عالمية، أو الانتقال في البلد نفسه، أي سياحة داخلية لمدة يجب أن لا تقل عن 24 ساعة. قد تكون لأغراض ثقافية أو دينية أو رياضية أو اجتماعية أو أعمال... الخ"³

- عرفها صلاح الدين عبد الوهاب أنها: "السياحة هي مجموعة من العلاقات والخدمات المرتبطة بعملية تغيير المكان تغييراً وقتياً وتلقائياً وليس لأسباب تجارية وحرفية"⁴.

- عرفها الألماني "جويبر فرويلر" سنة 1905 أنها: السياحة ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وتغيير الهواء وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس والشعور بالبهجة والمتعة والإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة وأيضاً نمو الاتصالات وخاصة بين

الشعوب وأوساط مختلفة من الجماعات الإنسانية، وهي الاتصالات التي كانت ثمرة اتساع نطاق التجارة والصناعة سواء كانت كبيرة أو متوسطة أو صغيرة وثمرتها تقدم وسائل النقل"⁵

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن السياحة نشاط يقتضي السفر أو التنقل من مكان إلى مكان آخر لمدة محدودة ولأغراض مختلفة قد تكون ثقافية أو اقتصادية أو رياضية... الخ.

¹: محمد إبراهيم عراقي، فاروق عبد النبي عطا الله: التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية" المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي - السيوف الإسكندرية، ص 4.

²: ماهر عبد العزيز توفيق: صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص ص 23/22.

³: أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط 01، 2007، ص 24.

⁴: بهدى عبد اللطيف، السياحة النظرية والتطبيق، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1994، ص 4.

⁵: أحمد الجلاد: التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، ط 1 القاهرة، 1988 ص 108

2- خصائص السياحة:

- تمتاز السياحة بالعديد من الخصائص التي جعلت منها محل دراسة من قبل الباحثين والمهتمين بتنمية هذا القطاع و ترقيته وفيما يلي نستعرض أهم تلك الخصائص:
- تعتبر من أهم القطاعات الخدمية التي أصبحت تشكل مصدرا رئيسيا للدخل الوطني في الاقتصاديات الحديثة، لأنها تمثل منظومة متكاملة من الأنشطة المختلفة؛
 - نطاق المنافسة التي يتحرك فيه القطاع السياحي يمتد إلى خارج النطاق الإقليمي للدولة الواحدة، لهذا فهو أيضا يتأثر بالتغيرات التي تطرأ على البيئة العالمية؛
 - مقومات العرض السياحي تتميز بالندرة الشديدة والحساسية الشديدة للتغيرات التي تطرأ على قطاعات النشاط الإنساني الأخرى في المجتمع، سواء تعلق الأمر بالهبات الطبيعية التي تتمتع بها الدولة، الموروثات الحضارية القديمة والحديثة أو بالمكتسبات الحضارية المعاصرة من بني أساسية وخدمات تكميلية.

3- أنواع السياحة

لقد تعددت واختلقت أصناف السياحة تبعا للأسس والأغراض التي دعت إلى القيام بها فمنها ما يصنف حسب عدد الأشخاص وأخرى حسب الغرض وأخرى حسب الدخل وغيرها من المعايير تأتي على ذكرها كالاتي⁽¹⁾:

1- السياحة حسب الغرض، وفق هذا المعيار نجد عدة أنواع منها:

- السياحة العلاجية، وتكمن أهداف السائح في العلاج الجسمي والنفسي وأمراض أخرى.
- السياحة الترفيهية، والحاجة فيها تكمن في استعادة القوى النفسية والفرزائية للفرد.
- السياحة الرياضية، وغرضها القيام بتسلق الجبال رياضة الصيد رياضة ركوب السيارات والدراجات.
- السياحة الثقافية، تهدف هذه السياحة إلى زيادة المعرفة لدى الشخص وهي مرتبطة بالتعرف على التاريخ والمواقع الأثرية والشعوب وعاداتها وتقاليدها الأكثر شيوعا في مصر واليونان وإيطاليا
- السياحة الدينية، وتعتبر من أقدم أنواع السياحة ونخص زيارة الأماكن المقدسة مثل الكعبة الشريفة والمسجد النبوي.
- السياحة الرسمية، وقد تكون سياسية مثل مشاركة أعضاء الوفود في احتفالات دولية أو محادثات رسمية وقد تكون اقتصادية مثل مشاهدة المعارض التجارية والصناعية.
- السياحة الاجتماعية، وتكون هذه السياحة للمحافظة على بقاء العلاقات الاجتماعية بين الأسر والأفراد ومن أبرزها السفر من أجل زيارة الأقارب وهذا النوع مشهور في الدول التي لها جاليات تعيش في الدول المجاورة

(1) إبراهيم بظاظو: السياحة البيعية وأسس استدامتها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ط01، ص48.

- السياحة العنبرية، برزت هاته السياحة نتيجة الحاجة على العبور لوقت قصير من خلال أراضي دولة معينة للوصول إلى دولة أخرى وهي تتراوح بين يوم وأربعة أيام.
- 2- حسب الجنس، وتتميز السياحة هنا بنوعين من السياحة هما:**
 - سياحة الرجال، هذه السياحة تخص فئة الرجال فقط.
 - سياحة النساء، والتي تخص فئة النساء فقط.
- 3- حسب عدد الأشخاص، وتصنف السياحة هنا كالأتي:**
 - سياحة فردية: والتي يقوم بها الفرد أو مجموعة من الأفراد دون الاعتماد على برنامج منظم ووقت محدد.
 - سياحة جماعية: هي عكس الأولى ويتم ترتيبها من طرف شركات سياحية
- 4- حسب وسيلة النقل المستعملة، وتنقسم السياحة وفق هذا المعيار إلى سياحة برية، وسياحة بحرية أو نهرية، وسياحة جوية.**
- 5- حسب السن، من خلال هذا المعيار نجد:**
 - سياحة الطلائع، وترتبط بالأطفال ذوي الاعمار من 07 إلى 14 سنة.
 - سياحة الشباب، وتخص فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 15 و20 سنة.
 - سياحة الناضجين، وهي موجهة للأشخاص الذين تتراوح أعمارهم ما بين 35 و55 سنة.
 - سياحة المتقاعدين، تتعلق بكبار السن حيث تخص فترات طويلة وأسعار مرتفعة.
- 6 - السياحة حسب الحدود السياسية، وفقا لهذا المعيار نجد نوعين هما:**
 - السياحة الداخلية، ويقوم بها السائح داخل أماكن أو حدود إقامته (من بلد إلى آخر).
 - السياحة الخارجية، وتكون هذه السياحة بين دول أخرى ولا أكثر من ليلة على الأقل.
- 7- السياحة حسب الدخل: وتنقسم هذه السياحة إلى عدة أنواع منها:**
 - سياحة أصحاب الدخل المرتفع مثل رجال الأعمال الذين يتنقلون عبر الطائرات والبواخر.
 - سياحة أصحاب الدخل المتوسط مثل الرحلات التي يقوم بها الموظفون بالشركات.
 - سياحة اجتماعية وتعلق بـسياحة الدخل المحدود (الرحلات).
- 8- سياحة حسب مدة الإقامة، وتنقسم إلى عدة أنواع وهي:**
 - سياحة موسمية، وتكون حسب مواسم السنة وبدورها تنقسم إلى سياحة صيفية وسياحة شتوية
 - سياحة أيام، تكون مدة السياحة قصيرة جدا فغالبا ما تكون بين يومين وأسبوع.
 - سياحة عابرة، تنتج بسبب تنقل الإنسان من مكان لآخر ويسبب عطب تزويد بالطاقة يمس وسيلة النقل مثلا تقوم شركات سياحية بتنظيم رحلات مبرجة تكون قصيرة جدا حسب وقت التوقف.

4- أهمية السياحة

تبرز أهمية السياحة من خلال ما تحقّقه من مزايا ومنافع على جميع الأصعدة إذ أصبحت هذه الصناعة مورداً سريعاً للعملة الحرة في العديد من الدول وتشير الدراسات إلى أن هذه الصناعة ستكون أضخم صناعة في العالم لما توفره من مناصب للشغل وما توفره من مداخيل هامة للاقتصاديات الدول وقطاعاتها وفيما يلي سنتعرض إلى مجالات الآثار الإيجابية للسياحة.

أ- **على الصعيد الاقتصادي:** تعتبر السياحة مصدراً مهماً للعملة الأجنبية المختلفة كما أنها تساهم في توفير العديد من فرص العمل وتساعد على رواج السلع والخدمات وتنشيط الأسواق مما يعود بالنفع على الميزان التجاري، كما تعمل السياحة على تنمية البنى التحتية من فنادق ومطاعم وشركات مختلفة نتيجة تزايد وارتفاع الإنفاق السياحي.

ب- **على الصعيد الاجتماعي:** تعد السياحة أداة هامة تساهم في رفع المستوى الثقافي لشعوب نتيجة احتكاكهم بالثقافات المختلفة للسياح القادمين من الخارج مما يساعد على ترسيخ مبدأ السلام والتسامح بين الدول وتعمل السياحة أيضاً على تغيير بعض العادات والثقافات والتقاليد لدى العائلات من خلال الإقامة في الفنادق قصد قضاء العطل وكذا إقامة الحفلات داخل قاعات الاحتفالات بالفنادق.

ت- **على الصعيد السياسي:** تسمح السياحة بتزويد العالم بالقضايا السياسية المختلفة التي تواجهها البلدان عن طريق السياح الذين يعتبرون ممثلين عن بلدانهم إضافة إلى أن تقدم السياحة في بلد ما تشير إلى توافر الظروف الأمنية والسياسية المناسبة والمستقرة وهو ما يدفع إلى رفع مكانة الدولة عالمياً وفيما يلي بعض الرتب.

ثانياً: السياحة المستدامة

1- مفهوم السياحة المستدامة: يمكننا أن نعرف السياحة المستدامة على أنها "نقطة التلاقي ما بين احتياجات الزوار والمنطقة المضيفة لهم، مما يؤدي إلى حماية ودعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث يتم إدارة جميع المصادر بطريقة توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية الروحية، ولكنها في الوقت ذاته تحافظ على الواقع الحضاري والنمط البيئي الضروري والتنوع الحيوي وجميع مستلزمات الحياة وأنظمتها"¹.

كما تعرف أيضاً أنها "الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية بما في ذلك مصادر التنوع الحيوي، وتخفيف آثار السياحة على البيئة والثقافة، وتعظيم الفوائد من حماية البيئة والمجتمعات المحلية"²

¹ - فؤاد بن غضبان، السياحة البيئية المستدامة بين النظرية والتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 98.

² - نفس المرجع، ص 98.

كما وضعت منظمة السياحة العالمية تعريفا لمفهوم السياحة المستدامة على النحو التالي " أن التنمية المستدامة للسياحة تقتضي من جهة أولى تلبية الاحتياجات الحالية للسياح و للمناطق المضيفة , و تستوجب من جهة ثانية وقاية و تحسين فرص المستقبل. و التنمية تستدعي إدارة شؤون الموارد بطريقة تتيح تلبية الاحتياجات الاقتصادية و الاجتماعية و الجمالية مع الحفاظ على كل المميزات الثقافية و ملامح البيئة الفطرية و أنظمة دعم الحياة"¹.

2- أهمية السياحة المستدامة :

يعتبر قطاع السياحة قطاعا اقتصاديا رئيسيا لخدمة الاقتصاد والمجتمع، و يعد مطلب تنميته في غاية الأهمية لما تقدمه السياحة بشكل عام والسياحة المستدامة بشكل خاص للمجتمع وللإقتصاد، وفيما يلي نقدم بعض النواحي التي من خلالها تتجسد أهمية السياحة المستدامة.²

- **الأهمية الاقتصادية:** يعد النشاط السياحي مساهمة فعالة في التنمية الاقتصادية لكونه قطاع خاص وتكامل خصوصيته بأنه نشاطا اقتصاديا متجددا، لا ينقرض ولا يختفي مادامت البيئة تقدم للسياحة ما يسمح بنموها وتطورها. وتتلخص الأهمية الاقتصادية للسياحة المستدامة فيما يلي :

- توفير فرص عمل جديدة؛

- توفير العملة الصعبة؛

- مساهمة السياحة في إيرادات الدولة.

- الأهمية الاجتماعية:

- المساهمة في امتصاص نسبة من البطالة.

- تحسين مستوى المعيشة.

- خلق حركة اجتماعية.

- **الأهمية البيئية:** تتجلى أهمية السياحة البيئية في كون أن إقامة تنمية سياحية مستدامة من شأنها الحفاظ على تنوع الأنظمة البيئية الموجودة، كما وأن عملية التغيير التي تعمل على إحداثها تهدف أساسا إلى استغلال الموارد واتجاه الاستثمارات، ووجهة التطور التكنولوجي... الخ

بالإضافة إلى تعزيز إمكانية ربط الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات الأساسية للسياح. وهو ما يؤثر على البيئة فالبيئة السليمة تعد من أهم عوامل تنمية وتطور السياحة.

¹ - ثريا فرج الرميح، السياحة المستدامة - المفهوم، الأهداف والأهمية، على الموقع

3- خصائص السياحة المستدامة:

يمكننا أن نشير إلى أهم السمات التي تميز هذا النوع من السياحة والتي جعلت منها مطمح الكثير من الدول وهذا كالأتي¹:

- أنها تقدم المعلومة للسياح والمسافرين للسياح والمسافرين ليتعلمو ليس فقط عن المواقع السياحية مقصدهم بل لمساعدتهم في المحافظة على المعطيات البيئية لها.
- أنها تحافظ على الميزات المحلية للمواقع السياحية من حيث المعمار والتراث والبيئة.
- تكون السياحة المستدامة موجهة بشكل أساسي لمنفعة السكان المحليين بحيث يتم إعطاء الأولوية في الوظائف والتدريب للسكان المحليين.
- تحافظ السياحة المستدامة على الموارد الطبيعية وخاصة غير المتجدد منها وتعمل على التقليل من سلبيات التلوث والنفايات كما تسعى إلى الحد من استخدام الموارد بشكل غير مدروس.
- تحقق السياحة المستدامة أعلى درجات الرضا بين الزوار للمواقع السياحية بحيث يشجع هؤلاء غيرهم من الأصدقاء على زيارة تلك المواقع وهو ما يعمل على إدامة النشاط السياحي فيها.
- تعمل جاهدة للمحافظة على الجودة، حيث أن نجاح السياحة يترجم بعدد الأيام التي يقضيها السياح في المواقع أو المناطق السياحية وحجم الأموال التي ينفقونها.

ثالثا: السياحة الثقافية

1- مفهوم السياحة الثقافية: كل استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة من خلال اكتشاف تراث عمراني على غرار المعالم التاريخية والدينية أو تراث روحي على غرار التقاليد والعادات الوطنية والمحلية.² والسياحة الثقافية هي تجسيد فعلي للبعد الإنساني والاجتماعي الذي يتمثل في معرفة ثقافات أخرى مختلفة عن ثقافة السائح.³ كما تعرف المنظمة العالمية للسياحة الثقافة السياحية بأنها " تنقلات الأشخاص المحفزة بالدوافع الثقافية مثل الدراسات، الدورات الفنية، التنقلات من أجل المشاركة في التظاهرات الثقافية وزيارة المواقع والمعالم الأثرية.⁴

¹ - مصطفى يوسف كافي، السياحة البيئية المستدامة - تحدياتها وآفاقها المستقبلية، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 2014، ص 93-94.

²: الجريدة الرسمية، العدد 11، فيفري 2003، ص 5

³: قسطندي شوملي، السياحة الثقافية في الضفة الغربية، مستوى أبحاث السياسات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، القدس، 1999، ص 7

⁴: le congrès des pouvoirs locaux et régionaux ; promotion du tourisme culturel en cant que développement des régions ; paris ; édition du conseil de l'Europe.

2- مكونات السياحة الثقافية: يعد التراث هو المكون الأساسي للسياحة الثقافية فهو موضوعها وقاعدتها التي تجذب إليها السائح الذي يرغب في إثراء معلوماته الحضارية وتلبية حاجاته الثقافية، والتراث يمكن حصره في التراث المادي الذي يتمثل في المباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وتضمه المتاحف، وتراق فكري يتمثل في ما قدمه السابقون من علماء وكتاب ومفكرين كانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها، كما يوجد التراث الاجتماعي الذي يتمثل في قواعد السلوك والعادات المجتمعية والأمثال والتقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية، وقد حددت منظمة اليونسكو التراث الثقافي في العناصر التالية¹:

- الآثار، تشمل جميع الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني وجميع العناصر والتكوينات ذات الصفة الأثرية والنقوش والكهوف ومجموع المعالم التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن.

- المجمعات، مجموع المباني المنعزلة أو المتصلة بسبب اندماجها أو تناسقها في منظر طبيعي له قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم.

- المواقع، هي أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة وأيضا المناطق بما فيها المواقع الأثرية التي لها قيمة استثنائية من الوجهة التاريخية أو الجمالية أو الأثولوجية أو الأثروبولوجية.

ما يمكن قوله هو أن التراث يمثل هوية الشعوب وخصوصيتها الثقافية وتطورها الثقافي والفكري مع إبراز الجانب الجمالي والإبداعي للإنسان، فالسياحة الثقافية قائمة على أساس التراث بشقيه المادي وغير المادي إذ يمثل التراث الأدبي والاجتماعي والموسيقى مادة ثقافية سياحية معبرة عن واقع المجتمعات وهذا بتفعيل مسرحيات وحفلات موسيقية وعروض كشفية في الأماكن التاريخية والأثرية، كما تعد المعارض انعكاسا لصور المواقع السياحية نتيجة خلق تفاعل مع المشاهد الذي يقرر السفر بناء على قناعاته وقيمه، تكون إقامة المعارض الخاصة بالحرف والصناعات اليدوية ومعارض الفنون التشكيلية وكذا معارض الأزياء والمأكولات الشعبية و هذا ما يمثل المرأة العاكسة للتعريف بالتراث الثقافي، إضافة إلى ذلك تعد المشاركة في المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية وحضور المهرجانات التاريخية والأعياد الدينية والذكريات الشعبية الفلكلورية والفنية وكذا زيارات الوفود والزيارات الجماعية، كلها تظاهرات تشكل مصدر ترويج ودعاية لسياحة البلد، فالعلاقة بين السياحة والتراث هي علاقة تلازم.

كما يمكن الإشارة إلى مفهوم الثقافة السياحية التي عرفها "مارك لابلونت" mark laplante في كتابه حول التجربة السياحية " هي جزء من ثقافة الفرد الذي يعيش في المجتمع الصناعي، هذه الثقافة تدعى بالثقافة العضوية وهي التي تضم المجال الذي يمكن أن نطلق عليه اسم الثقافة السياحية مثلما ندعوه في اختصاصات أخرى، ثقافة طبية، ثقافة علمية، ثقافة دينية... الخ⁽²⁾.

¹: منظمة اليونسكو، النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي، 1972، نشره 2005.

²: mark la plante; ph en sociologie en département d'étude urbaine touristique du Québec de Montréal.

والثقافة السياحية " كل المعطيات والمعلومات والسلوكيات والمحيط وأنماط الحياة بما تحمله من معاني والتي تخدم المجال السياحي من قريب أو من بعيد تدخل ضمن حقل الثقافة السياحية"⁽¹⁾ فالمفهومان لهما دلالة واحدة وهي تفعيل الكل الثقافي بأشكاله وأبعاده المختلفة من تراث مادي وغير مادي المتضمن للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والدينية والنحت والصناعات التقليدية اليدوية من نسيج وفخار والنمط العمراني التاريخي والمسرح والمهرجان والندوات والمؤتمرات ومعارض الكتب والمسابقات الشعرية... الخ في الجانب السياحي، فالسياحة مرتبطة بالمعرفة فهي ذات بعد معرفي وثقافي تعتمد على مكونات التراث الثقافي وعليه تمثل شكل أساسي من أشكال الحوار الثقافي والحضاري ومن وسائل التنمية في المجتمع بفعل التعريف بالتراث وتأهيله بالاستثمار فيه والذي يتجلى من خلاله الجانب الفكري والإبداعي والجمالي للمجتمع ، فالتراث هو المعبر عن تعاقب الحضارات وبفضل الجانب السياحي يتم التعرف على الشعوب وثقافتها بإبراز التراث المادي واللامادي الذي يجسد الذاكرة الجماعية ويدعم الشعوب بالهوية كنظام ثقافي وكيان متطور يميز المجتمع ويحافظ عليه من الذوبان والانصهار في عالم العولمة، فالتراث الثقافي يضم مجمل الممتلكات الثقافية ذات الأهمية الكبرى للحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات، فالثقافة بفعالها يمكن التقدير الجيد لما يملكه المجتمع المحلي من قيم اجتماعية وثقافية شعبية وفنون وفلكلور واحتفالات لأجل التعريف بها في مختلف المناسبات والأعياد مع حسن الاستغلال والاستثمار وفقا لمقاييس عالمية أو وطنية للزوار القادمين للمنطقة السياحية لأجل معرفة الثقافات المختلفة أين يعكس تراث البلد.

رابعا: التنمية المستدامة:

1- مفهوم التنمية المستدامة:

لقد حظي مفهوم التنمية المستدامة باهتمام دولي خلال عقد السبعينيات في مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية البشرية عام 1972م²، الذي ركز أساساً على قضايا البيئة التي كانت واضحة بصورة كبيرة في الشمال إلا أن هذا الاهتمام اقتزن بجدل كبير، دار حول التعريف الدقيق لمعنى التنمية المستدامة، وهذا بالنظر لاختلاف وجهات الدارسين وأصحاب الاختصاص.

في عام 1980 سجل فيه أول محاولة حقيقية للتعريف بالتنمية المستدامة في الإستراتيجية العالمية للحفاظ على البيئة، أوضحت ضرورة التكامل بين قيم المحافظة على البيئة وعملية التنمية وقد أشارت إلى أنه " حتى تصبح التنمية مستدامة لا بد وإن تأخذ في اعتبارها العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية كذلك وقاعدة الموارد الناضبة والمتجددة"³

¹ Fernand choger bourg, tourisme un atout développer présentent, 1996, p143

² -Jean Marie DEBLONDE, Redéveloppement durable, une réponse une cri globale, éditions Ellipses, Paris, 2011, P28.

³: الموسوعة العربية للمعرفة، من أجل التنمية المستدامة، الدار العربية للعلوم، المجلد الأول، ب ب، ط1، 2006، ص414.

وقد عرفت اللجنة العالمية البيئية للتنمية برندوتلاندر Brundthland عام 1987م أن التنمية المستدامة هي " تلك التنمية التي تلي حاجات الحاضر دون تعرض لخطر لقدرة الأجيال في المستقبل على تلبية الحاجات الخاصة بها"¹ أما مفهوم التنمية المستدامة في التشريع الجزائري فقد جاء في القانون رقم 10/3 المؤرخ في 19 جمادى الأولى 1424هـ الموافق لـ 19 جويلية 2003 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة: تعني التوفيق بين تنمية اجتماعية واقتصادية قابلة للاستمرار وحماية البيئة، أي ادراج البعد البيئي في إطار تنمية تتضمن تلبية حاجات الأجيال الحاضرة والأجيال المستقبلية"²، وقد أعطى الإسلام للبيئة ولمواردها ولاستعمالها واستغلالها وكذا التوازنات البيئية والتنوع البيولوجي... الخ³، وانطلاقاً مما أخذ به المنظرون نجد أن مفهوم التنمية المستدامة مبني أو يدور على العدالة في الفرص بين الأجيال الحالية والأجيال المستقبلية، بحيث أن استغلال الموارد المتاحة بالشكل العقلاني الذي يحقق احتياجات المجتمعات الحالية وهو هدف التنمية يتيح إمكانية تلبية حاجات الأجيال اللاحقة التي تعتبر جوهر الاستدامة.

1.1 2- أهداف التنمية المستدامة

تسعى التنمية المستدامة من خلال آلياتها ومحتواها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف السامية والتي يمكن أن نوجزها في الآتي⁴:

- احترام البيئة الطبيعية: إذ تركز على العلاقة بين نشاطات السكان والبيئة وتعامل مع النظم الطبيعية ومحتواها على أنها أساس حياة الإنسان ولهذا تعمل على تطوير تلك العلاقة لتصبح علاقة تكامل وانسجام.
- تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان: إذ تسعى التنمية المستدامة إلى تحسين نوعية الحياة الساكنين في المجتمع اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً وروحياً من خلال عمليات التخطيط وتنفيذ السياسات التنموية مع التركيز على الجوانب النوعية للنمو وليس الكمية وبشكل عادل ومقبول وديمقراطي.
- تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة: وهذا قصد تنمية إحساسهم بالمسؤولية تجاهها وحثهم على المشاركة الفاعلة في إيجاد حلول مناسبة لها من خلال مشاركتهم في إعداد وتنفيذ ومتابعة وتقييم برامج ومشاريع التنمية المستدامة.

¹ - Karin Boras, **Le développement durable, l'avenir des PME, pour une économie partenariale**, afnor éditions 2011,

²: عبد القادر رزيق المخادمي، التلوث البيئي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ب س، ص 117.

³: صالح خليل أبو أصعب، الاتصال والتنمية المستدامة في الوطن العربي، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ط1، 2009. ص 271

⁴: عثمان محمد غنيم، ماجدة أبو زنت، التنمية المستدامة فلسفتها وأساليب تخطيطها، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2010،

- تحقيق استغلال واستخدام عقلاني للموارد: وهذا مبني على فرضية أن الموارد الطبيعية موارد محدودة ولذلك تسعى الدول والهيئات للحفاظ عليها من التدمير والحلول دون استنزافها وتعمل على استخدامها وتوظيفها بشكل عقلاني.

- ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع: إذ تسعى التنمية المستدامة إلى توظيف التكنولوجيا المدنية من أجل خدمة أغراض المجتمعات وهذا من خلال توعية السكان بأهمية التقنيات المختلفة في مجال التنمية وكيفية استخدامها المتاح والحديد منها في تحسين نوعية حياة المجتمع وتحقيق أهدافه المنشودة وهذا دون إهمال جانب عدم الأضرار البيئية.

- إحداث تغيير مستمر ومناسب في حاجات وأولويات المجتمع: وبطريقة تلائم إمكانيته وتسمح بتحقيق التوازن الذي بواسطته يمكن تفعيل التنمية الاقتصادية والسيطرة على جميع المشاكل البيئية ووضع الحلول المناسبة لها.

3- أبعاد التنمية المستدامة: تجدر الإشارة إلى أن منظمات الأمم المتحدة اكتفت بعدد من الأبعاد المختلفة نجملها فيما يلي¹:

- **البعد الاجتماعي:** ويتجسد من خلال ما يلي:

- أوضاع الفقر وحدوثه (السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي)؛
- الصحة (حالة التغذية معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة والوفيات النفاسية نسبة السكان الذين لا يحصلون على مياه عذبة عدد الأطباء والمرضى للمواطنين الأطفال البالغون من العمر سنة واحدة ومحصولون تحصيلنا كاملا)؛

- التعليم (معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين الإنفاق على مراحل التعليم المختلفة كنسبة مئوية من الإنفاق أو الناتج القومي الإجمالي)؛
- الأوضاع الديموغرافية؛
- أنماط الاستهلاك.

- **البعد الاقتصادي:** ويتجسد من خلال ما يلي:

- معدل النمو في الإنتاج والناتج؛
- الفائض العجز في الميزانية العامة؛
- المعدل السنوي للتضخم؛
- وضع قطاع الصناعة وتطوره وتحديثه بالتقدم التقني؛
- استخدامات الطاقة والمياه والموارد الأخرى؛

¹: إبراهيم بظاظو، السياحة البيئية وأسس استدامتها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص 118.

- أوضاع شبكات الطرق ووسائل النقل؛
- أوضاع الدين الخارجي وأعباء خدمة الديون.
- **البعد البيئي:** ويتجسد من خلال ما يلي:
 - الموارد المائية المتجددة،
 - السحب من المياه الداخلية المتجددة،
 - السحب من المياه العذبة،
 - معدل إزالة الغابات،
 - تلوث المياه (السطحية الجوفية والبحيرات والبحار والشواطئ)،
 - إدارة البيئة (النفائات النووية الخطيرة عدد السكان المستفيدين من خدمات الصرف الصحي إعادة تدوير النفائات)،
 - تغيرات المناخ.
 - أوضاع الثروة السمكية (تلوث المياه الصيد الجائر الإنتاجية والإنتاج).

خامسا: الثقافة كمصدر جذب سياحي وتنمية مستدامة

كثير من دول العالم تتكلم عن مصادر الدخل وكيف يمكن تنميتها؟ الجواب غالبا النفط وربما السياحة، ولكنكم قد تستغربون أن دولة كلبنان ثلث دخلها القومي من الكتب، أي أن الكتاب صار يوازي في دولة كلبنان ما يوازيه في دولة أخرى برميل النفط، وهنا السؤال كيف؟ ولمن لا يصدق عموما يمكن لزائر شارع الحمراء في بيروت أن يعي السبب.¹

الثقافة في لبنان وفي بيروت ليست فقط معرفة، بل تجارة، و سياحة، وبشر يزورون بيروت لأجل الثقافة لان الثقافة ليست للهو، بل اقتصاد بلد، ولا نقول هذا على بيروت ففي القاهرة كان سور الأزيكية مصدر جلب سياحي هام فالناس كانت تذهب لسور الأزيكية من أجل الكتب فقط، ومازال السياح يقصدون السور رغم أن كثيرا من المحلات التجارية تحولت لبيع منتجات كالأواني والألبسة وهذا حدث في الجزائر ودول كثيرة كالأردن وهذا الشيء مثبت بالأدلة والإحصائيات، وهذا لان الثقافة ليست شيئا هامشي في لبنان بل هي رافعة من روافع الاقتصاد، ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد فمن يعلم زوار بيت نجيب محفوظ هائل، ونجيب محفوظ مجرد رجل بسيط، لكن حب الناس له حول بيته لمزار يجلب آلاف السواح.

وعموما كل هذا الذي قلناه يعتبر شيء متواضع نسبة لما يحدث في العالم لان الثقافة ليست الكتب فحسب فالثقافة هي فنون النحت و الرسم والموسيقى وأشياء كثيرة و العالم الذي ندعوه عربيا رغم انه مليء بهذه الأشياء

1: أبرز 10 معالم أثرية تستحق الزيارة في الوطن العربي تاريخ التصفح 10 مارس 2019 <https://www.sasapost.com>.

فإنه لا يقارن بما في دول العالم فبلد كفرنسا يعتبر اللوفر أشهر معلم بعد برج باريس في جذب السياح لأنه يجوي قطعاً فنية لا تقدر بثمن وكذلك متحف كالارميتاج في روسيا يضاها في القيمة الساحة الحمراء في موسكو، أما بالنسبة لإيطاليا فالبنديقية تعتبر متحف عمراي بكاملها تجلب ملايين السياح ، أما روما فهي متحف عمراي بذاته لا يمكن للإنسان السائح إلا الانبهار به، وطبعاً هذا دون أن ننسى إسبانيا وكنيسة غرادا فاميليا لانطونيو غاودي، وأية صوفيا في تركيا وماتشويتشو في تشيلي، والكثير من المتحف كالتحف الهندية الخالدة كتاج محل وسور الصين العظيم في الصين والأهرامات في مصر ، ولا يمكننا تعداد الروائع الثقافية التي أبدعها الإنسان، وهنا يتجلى لنا إن الكتابة التي هي الأيسر رفعت دولاً وفي مستوى أعلى لما نتكلم عن الفن أصبحت دول كثيرة لها مداخيل بالملايير الدولارات.

فالثقافة رغم اعتقاد الكثيرين أنها بسيطة فهي تعتبر قادرة على أن تكون مصدر مداخيل هائل لأنها دائمة ومتجددة ومستمرة في نفس الوقت ولا تكلف الدول أو الحكومات الشيء الكثير.

سادساً: المقومات السياحية الطبيعية والثقافية في الجزائر

1- المقومات الطبيعية: تعد الجزائر إحدى الدول المغاربية ذات إمكانات سياحية متنوعة لها مكائنها على المستوى الإقليمي والدولي فهي أكبر مساحة في قارة إفريقيا حيث تقدر بـ 2381741 كم مربع كما تتوفر على الشريط الساحلي الذي يمتد على طول 1200 كم، لها مناخ متوسط معتدل ، كما لها عدة شواطئ وتضاريس تتربع على أربعة أنواع متباينة تتابع من الشمال إلى الجنوب إذ تتواجد سهول التل الجزائري شمالاً كسهل متيجة ووهران وعنابة ، كما توجد سهول داخلية كسهل تلمسان وسيدي بلعباس، والهضاب العليا، تتميز بسلسلة جبلية متفاوتة الارتفاع كجبال "شيليا" بالاوراس ذو ارتفاع 2328م ، وقمة "الألا خديجة" بجزيرة بمنطقة القبائل الكبرى 2308م، وجبال القصور 2320م، و" الونشريس " 1985م، وجبال " العمور " 1930م، وتلمسان 1834م وغيرها من الجبال التي تتميز بها تضاريس الجزائر والتي يمكن توظيفها في السياحة الجبلية⁽¹⁾ كما تتميز بالصحراء جنوباً وهي أكبر منتج سياحي تتربع على مساحة 2 مليون كم مربع أي 80 بالمائة من المساحة الكلية للبلد ذات رمال وجبال غرانيتية وبركانية ، وواحاتها الخلابة وبغابات النخيل ولا سيما "واحات واد سوف"، "واد ميزاب"، "الساورة"، "القرارة"، "الزيبان" فصحراء الجزائر بخصائصها تمثل الإطار الأنسب للسياحة البيئية بمواقعها المعروفة "كالهقار"، "تاسيلي"، "هضبة الاسكرام"، التي تحتضن أجمل لحظات غروب وشروق الشمس⁽²⁾.

(1): صليحة محمد عشي: جغرافية السياحة في بلدان المغرب العربي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ص ص 83/84.

(2): نفس المرجع، نقلاً عن وزارة تهيئة الإقليم والبيئة السياحية، الديوان الوطني للسياحة، الواحات بوابة الصحراء.

أما ما يتعلق بالثروة الحموية المعدنية فالجزائر تتميز بمخزون حموي يزيد عدده عن 202 منبع للمياه الحارة الجوفية موزعة على مختلف ولايات الوطن الداخلية والساحلية يمكن توظيفها كقاعدة في سياحة الحمامات المعدنية وجذب السواح للعلاج الطبيعي⁽¹⁾.

2- المقومات السياحية الثقافية والتاريخية والدينية⁽²⁾:

تتمتع الجزائر بموارد سياحية متنوعة ومن أهمها نجد المعالم المصنفة من طرف اليونسكو والمتمثلة فيما يلي:

- تيمقاد، تم إنشاؤها من طرف الإمبراطور "ترجان" عام 100 م تقع بباتنة.
- تيبازة، من المدن الرومانية العتيقة
- جميلة، تقع بسطيف من اقدم المدن الرومانية بالجزائر .
- الطاسيلي، تحتوي على اكثر من 15000 لوحة تعكس تحولات المناخ وهجرة الحيوانات و تطور الحياة البشرية في الصحراء خلال 6000 سنة قبل الميلاد.
- قلعة بني حماد، تقع ببشارة بالمسيلة وهي من المدن الإسلامية تأسست سنة 1007م وكانت عاصمة للدولة الحمادية .
- القصبة، توجد بالعاصمة وهي مدينة إسلامية.

هذه أهم الموارد الثقافية التي يمكن توظيفها وتفعيلها في المجال السياحي ، كما توالى على الجزائر حضارات على مر العصور تركت إرثا ثقافيا حضاريا وفنيا ودينيا وتاريخيا يتواجد في اغلب مناطق الجزائر ويمكن ذكر أهم المراحل كما يلي :

- الحضارة الرومانية، جميلة، تيبازة، شرشال، قلمة، تبسة، تمقاد.
- الحضارة الإسلامية، من أهم المعالم القديمة للحضارة الإسلامية التي لا تزال أثارها في العديد من المواقع الأثرية نجد قلعة بني حماد بالمسيلة، المنصورة بتلمسان، المساجد العتيقة بالجزائر العاصمة، إضافة إلى الزوايا كالزاوية التيجانية و الرحمانية .
- المرحلة الاستعمارية، شيد المستعمر عدة فنادق لخدمة المستوطنين الأوروبيين إضافة إلى المواقع الحربية والمعتقلات أصبحت مناطق أثرية تاريخية.
- إن الصناعات التقليدية والتظاهرات الثقافية المختلفة لهما دور في تفعيل وتحسين النشاط السياحي واعطاء الصورة السياحية للبلاد، كما لها دور كبير في ترقية القطاع السياحي، وتتميز الجزائر بصناعات مختلفة كصناعة الفخار، صناعة الحلبي الفضية والذهبية، صناعة الزرابي، التطريز على القماش.

(1): نفس المرجع، نقلا عن الديوان الوطني للسياحة، حمامات معدنية، منشورات الديوان الوطني للسياحة، الجزائر، 2009، ص1.

(2): عيسى مرازقة: مداخلت بعنوان التنمية السياحية المستدامة في الجزائر، ملتقى دولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة يومي 9-10 مارس 2010، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، بسكرة ، 2010، ص ص 10-11.

ما يمكن قوله هو أن العوامل الجغرافية من مواقع وتركيب جيولوجي، ومناخ معتدل، وسلاسل جبلية، وشواطئ وصحراء وسهول، وكذا تنوع حيواني ونباتي وغيرها من العوامل الثقافية والتاريخية والدينية من لغة وفنون وفلكلور وأمثال وشعر ومسرح وندوات ومؤتمرات وعادات وتقاليد... الخ ومختلف أشكال الصناعة التقليدية ووعي سياحي ومختلف العوامل المادية من البنى التحتية كالطرق والجسور والمطارات والموانئ والفنادق والمرافق الترفيهية، فتفاعل وتكامل هذه العناصر مع بعضها البعض تساهم في تحقيق التنمية المستدامة بشكل عام والتنمية السياحية بشكل خاص بالجزائر.

الخاتمة:

السياحة هي ظاهرة قديمة تطورت وتغيرت ضمن متغيرات جديدة كالتطور التكنولوجي والعولمة وتحرير التجارة الدولية خاصة تجارة الخدمات وهذا ما شهدته القرن العشرين، حيث عرف ظاهرة السياحة الحديثة التي توسعت وعرفت انتشار في مختلف أرجاء العالم، فلم تقتصر على المجتمعات الغنية فقط وإنما توسعت لتشمل بلدان مختلفة من العالم وهذا راجع لانتشار الظاهرة وانعكاساتها على مختلف مجالات الحياة، لذا السياحة هي عامل مهم في دعم النشاط الاقتصادي باعتبارها الصناعة الأولى في العالم نتيجة لما توفره من عملة صعبة وتوفير مناصب شغل ولا سيما ما يتعلق بالمناطق الفقيرة والمعزولة وإنشاء مشاريع سياحية وبالتالي تحقيق التوازن الجهوي ودعم الاقتصاد بشكل عام، فالسياحة تقوم عليها اقتصاديات العديد من الدول، فهي عبارة عن صناعة قائمة بذاتها لها مدخلاتها ومخرجاتها، وأصبحت مصدرا رئيسيا للدخل لدى العديد من الدول، كما يتميز المردود المادي لصناعة السياحة عن غيره من مردودات المرافق الإنتاجية بأنه مردود متفرع ومتشعب، وتستفيد منه مختلف الأنشطة من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية أو الفنية والثقافية والترفيهية التي تنعكس على السائح وعلى البلد المستقطب له، ومن خلال ما تناولناه حول السياحة الثقافية وأثرها على تحقيق التنمية المستدامة نجد أن السياحة بوجه عام تشكل ظاهرة إنسانية وقطاع اقتصادي واجتماعي هام يمثل قوى فاعلة ومؤثرة في حياة المجتمعات الحاضرة والمستقبلية كونها أصبحت تحتل حيزا لا يستهان به في ثقافات الأفراد واقتصاديات الدول بالنظر لحجم مناصب الشغل التي تخلقها السياحة إضافة إلى حجم الإيرادات والمدخيل الهائلة نجد أنها قاطرة لتحقيق رفاهية المجتمعات من جهة وأداة أساسية تسمح بالحفاظ على حقوق الأجيال المستقبلية في الاستفادة من المعالم والمقومات السياحية الثقافية التي تعبر عن تاريخهم ووجودهم.

وإذا ما تحدثنا عن الدول العربية بوجه عام، والجزائر بوجه خاص نجد أنها تتمتع بتراث ثقافي متنوع وثري يسمح لها بجعل الجزائر تحتل المراتب الأولى عالميا وهو الأمر الذي تعول عليه ضمن سياساتها الحكومية في الآونة الأخيرة تحت ما يسمى بمخطط التهيئة السياحية لأفاق 2030، فالجزائر إحدى الدول التي تتمتع بآيات ربانية تمثلت في التنوع بين الجبال والصحراء والشواطئ والغابات إلى جانب السهول والهضاب وتنوع المناخ كلها تعد عناصر جاذبة للقطاع السياحي إضافة إلى الآثار التاريخية والهندسة المعمارية وكذا تنوع الصناعات التقليدية والحرفية التي إذا تم

توظيفها بشكل فعال وإيجابي يصبح القطاع السياحي الجزائري عاملا من عوامل التطور الاقتصادي ونشاط ديناميكي يكمل بقية الأنشطة الاجتماعية والثقافية ويتفاعل مع مختلف القطاعات الاقتصادية الأخرى وهذا بفعل الاستثمار لتطوير مختلف الخدمات الأساسية وإعطاء الدفع للتنمية الشاملة لان السياحة هي من أكثر الصناعات نموا وتطورا، ويظل السوق العالمي للسياحة يستوعب العالم كله فهي صناعة العالم من العالم والى العالم.

الاقتراحات:

- بعث إيرادات مالية معتبرة لتحفيز مشاريع البنية التحتية .
- الاهتمام بالتكوين في مجال السياحة الثقافية والفندقة .
- الاهتمام بالسياحة البيئية والتربية السياحية وهذا بتفعيلها كمواضيع يتم تدريسها ضمن المقررات التعليمية .
- نشر الوعي السياحي والاهتمام بالتراث الثقافي على مستوى الفرد والجماعة.
- الاهتمام بمختلف القطاعات ذات التفاعل المستمر و المكمل للنشاط السياحي كقطاع الصناعات التقليدية مع العمل على تطويره .
- تشجيع القطاع الخاص للاستثمار في المجال السياحي .
- توفير تحفيزات استثمارية وإعفاءات ضريبية خاصة بالقطاع السياحي .
- الاهتمام بمجال الإشهار لأجل تفعيل المجال السياحي وهذا بالتعرف على أهم المناطق الأثرية والتاريخية ومختلف القيم الاجتماعية والثقافية التي تعكس التراث الفكري والأدبي والثقافي للمجتمع لتفعيل سياسة جذب السواح.
- الاهتمام بالمشاركة في المعارض الدولية و المهرجانات السياحية لعرض المنتج السياحي الجزائري .
- الاهتمام بالسياحة الصحراوية وبالمنتجات الحرفية والتقليدية ذات الطابع الصحراوي.
- توعية وإرشاد سكان المناطق لإقامة مشاريع استثمارية صغيرة توفر احتياجات السائح مثل المنسوجات والمصنوعات الجلدية والوجبات الخفيفة.
- تأهيل الكوادر الوطنية من خلال فتح المعاهد المتخصصة في مجال السياحة والسفر ووضع البرامج المحفزة للخريجين للعمل في مجال السياحة ونشر التراث الثقافي للمجتمع.
- تقوية وسائل الإشراف والمتابعة في توجيه الاستثمارات وتوزيعها على مناطق الجذب السياحي حسب الطلب.
- إنشاء وحدة الإعلام السياحي لوضع برامج إعلامية متخصصة في القطاع السياحي ضمن الإعلام المحلي والإقليمي والعالمي.
- العمل على نشر التراث بتفعيل الثقافة السياحية وزيادة الوعي السياحي في مختلف المؤسسات.

المراجع

- 1- الجريدة الرسمية، العدد 11، فيفري 2003.
- 1- محمد إبراهيم عراقي ، فاروق عبد النبي عطا الله : التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية" المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي - السيوف الإسكندرية.
- 2- إبراهيم بظاظو : السياحة البيئية وأسس استدامتها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط01، 2010.
- 3- إبراهيم بظاظو، السياحة البيئية وأسس استدامتها، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010.
- 4- احمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط 01، 2007.
- 5- الموسوعة العربية للمعرفة، من أجل التنمية المستدامة، الدار العربية للعلوم، المجلد الأول، ب ب، ط1، 2006.
- 6- صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والتنمية المستدامة في الوطن العربي، جامعة فيلاديلفيا، الأردن، ط1، 2009 .
- 7- عبد القادر رزيق المخادمي، التلوث البيئي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- 8- عثمان محمد غنيم، ماجدة أبو زنت، التنمية المستدامة فلسفتها وأساليب تخطيطها، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2010.
- 9- فؤاد بن غضبان، السياحة البيئية المستدامة بين النظرية والتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- 10- ماهر عبد العزيز توفيق: صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997.
- 11- مصطفى يوسف كافي، السياحة البيئية المستدامة -تحدياتها وآفاقها المستقبلية، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 2014.
- 12- احمد الجلاد: التخطيط السياحي و البيئي بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، ط1 القاهرة، 1988.
- 13- صليحة محمد عشي :جغرافية السياحة في بلدان المغرب العربي ،دار وائل للنشر والتوزيع،الأردن، ط1.
- 14- عيسى مرازقة: مداخله بعنوان التنمية السياحية المستدامة في الجزائر، ملتقى دولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة يومي 9-10 مارس 2010، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، بسكرة ، 2010.
- 15- قسطندي شوملي، السياحة الثقافية في الضفة الغربية ،مستوى أبحاث السياسات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، القدس، 1999.

من الأنترنت

- 16- منظمة اليونسكو، النصوص الأساسية المتعلقة باتفاقية التراث العالمي، 1972، نشره 2005.
- 17- هدى عبد اللطيف، السياحة النظرية والتطبيق، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1994.
- 18- ثريا فرج الرميح، السياحة المستدامة: المفهوم، الأهداف والأهمية، على الموقع:
<https://geopot.wordpress.com/turismo-sostenibile>
- 19- ابرز 10 معالم أثرية تستحق الزيارة في الوطن العربي تاريخ التصفح 10 مارس 2019
<https://www.sasapost.com>

مراجع باللغة الأجنبية:

- 20 - le congrès des pouvoirs locaux et régionaux ; promotion du tourisme culturel en cant que développement des régions ; paris ; édition du conseil de l'Europe.
- 21 -mark la plante ; ph en sociologie en département d'étude urbaine touristique du Québec de Montréal
- 22 -Fernand choger bourg, tourisme un atout développer présentent, 1996.
- 23-Jean Marie DEBLONDE, Ledevveloppement durable, une reponse une crisir globale, éditions Ellipses, Paris, 2011.
- 24- Karin Boras, Le développement durable, l'avenir des PME ,pour une économie partenariale ,afnor éditions 2011

الاستثمار السياحي في الجزائر: الواقع وآليات التنفيع

أ. لامية مشوك

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية - الجزائر

أ. وليد معافة

جامعة باتنة 01 - الجزائر

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية لدراسة الاستثمار السياحي في الجزائر، وذلك من خلال التركيز على البرامج والسياسات التي اعتمدها الدولة الجزائرية لتنشيط قطاع السياحة، والذي يعد من أهم الآليات الدافعة نحو تنويع الاقتصاد الوطني وتحقيق النمو بعيدا عن المحروقات .

الكلمات المفتاحية: السياحة، السائح، الاستثمار، الاستثمار السياحي، التنمية السياحية، العرض السياحي، الطلب السياحي.

Abstract

This paper aims to study tourism investment in Algeria by focusing on the programs and policies adopted by the Algerian state to activate the tourism sector, which is one of the most important mechanisms to diversify the national economy and achieve growth away from hydrocarbons.

Keywords: tourism, tourism, investment, tourism investment, tourism development, tourism supply, tourism demand.

مقدمة

تعد السياحة صناعة دون مداخن، تحظى بأهمية كبيرة في أجندة السياسات العامة لكل دولة، بصرف النظر عن طبيعة مستوياتها الاقتصادية، ونتيجة لأهميتها المتعددة الأبعاد سعت كل الدول لاسيما تلك التي تتمتع بمقومات جذب سياحية طبيعية وتاريخية وحضارية الى الاستثمار فيها، على اعتبار أن السياحة تلعب دورا كبيرا في توفير مناصب الشغل وجلب العملة الصعبة، و تساهم في دعم الاقتصاد الكلي للدولة و دعم الميزانية العامة. ونتيجة لهذه الأهمية أيضا لاسيما الأهمية الاقتصادية، فقد سعت كل الدول إلى البحث عن الآليات والميكانيزمات الكفيلة بتطوير قطاع السياحة، من اجل تحقيق التنمية الاقتصادية ومنه التنمية السياحية المستدامة، ومن جهة ثانية فإن الوصول إلى هذا الهدف لا يتحقق إلا بفتح مجال الاستثمار الداخلي للقطاع الخاص أو ما تعلق منه بالاستثمارات الأجنبية من خلال توفير مناخ استثمار ملائم.

وتتمتع الجزائر كغيرها من الدول في منطقة المغرب العربي بمقومات جذب سياحية ممتازة طبيعية وتاريخية وحضارية، وتتوفر فيها أقطاب سياحية هامة، لكن قطاع السياحة فيها لا يزال يراوح مكانه، إذ أن كل الإحصائيات والمؤشرات المصرح بها من طرف الفاعلين في قطاع السياحة توحي أن القطاع يعيش حالة من الركود الاقتصادي وعدم القدرة على المنافسة مع دول الجوار سيما المغرب وتونس. وبناء عليه يمكن طرح الاشكال التالي: فيم يتمثل دور الاستثمار السياحي في الجزائر كآلية لتنويع مداخل الاقتصاد الوطني؟

المحور الأول: ماهية الاستثمار السياحي.

المحور الثاني: دور الاستثمارات السياحية في تنمية الصناعة السياحية في الجزائر.

المحور الثالث: تقييم أداء الاستثمار السياحي في الجزائر.

المحور الأول: ماهية الاستثمار السياحي

يعد مفهوم الاستثمار السياحي واحدا من بين المفاهيم المعقدة والمركبة في العلوم الاجتماعية، حيث عرف تنوعا وتعددا خاصة فيم يتعلق بالبحث بقصد ضبط تعريف خاص به يكون جامع وشامل، ويعكس مختلف خصائص ومكونات هذا المفهوم. ويعود سبب هذا التعدد الى الاختلاف في المرجعيات والخلفيات الايدولوجية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للدارسين والباحثين.

وعليه يتم التطرق في هذا المحور لمفهوم الاستثمار السياحي بغية ضبط والتحكم في المفهوم.

1- تعريف الاستثمار السياحي:

يعتبر مفهوم الاستثمار السياحي مفهوما مركبا من كلمتين " استثمار "، " السياحة " وبناء عليه وحسب ما تقتضيه منهجيات البحث الاكاديمي ينبغي أولا التفصيل في كل كلمة على حدا، ومن ثمة ضبط المصطلح الكلي.

1-1 **تعريف الاستثمار:** عرف مفهوم الاستثمار تعددا في التعاريف وسنحاول فيم يلي التعرض لبعض منها.

✓ تعريف الاستثمار لغة: (1)

- استثمار: يستثمر، استثمارا، فهو مستثمر، والمفعول مستثمر، الجمع: استثمارات.
- استثمار أمواله: أي استغلها وجعلها تثمر.
- يقال: " عليه أن يستثمر جهوده " أي عليه أن يستغلها، أن يوظفها.
- " يرغب في استثمار أمواله " أي الانتفاع بها في عمل ما، استغلالها.

✓ تعريف الاستثمار اصطلاحا:

لقد وردت الكثير من التعاريف حول مصطلح الاستثمار نذكر من بينها:

(1) - معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي - متوفر على الموقع: <http://www.almaany.com>

- 1- يعني الاستثمار توظيف المال من أجل تحقيق العائد أو الدخل أو الربح. (1)
- 2- يعرف الاستثمار على انه "ذلك الجزء المستقطع من الدخل المستخدم في عملية إنتاجية من اجل تكوين رأس المال". (2)
- 3- الاستثمار هو "تخصيص رأس المال للحصول على وسائل انتاجية جديدة او لتطوير الوسائل الموجودة لغاية زيادة الطاقة الانتاجية، كما يعني تكوين الرأسمال العيني الجديد الذي يتمثل في زيادة الطاقة الانتاجية". (3)
- 4- الاستثمار "هو تضحية بقيم -مبالغ - مالية مؤكدة في سبيل الحصول على قيم أكبر غير مؤكدة في المستقبل". (4) وقد تضمن هذا التعريف العناصر الرئيسة للاستثمار وهي: (5)
 - التضحية بقيم مالية أو مبالغ في الوقت الحالي.
 - توقع الحصول على قيم أكبر مستقبلا مما يعني انتظار عائد من الاستثمار.
 - أن هذا العائد المنتظر الحصول عليه ليس مؤكدا، أي تصاحبه درجة ما منعدم التأكد.
- 4- الاستثمار هو "ارتباط مالي يهدف إلى تحقيق مكاسب على مدى زمني طويل مستقبلا، فهو بهذا المعنى نوع من الانفاق على أصول يتوقع الحصول من ورائها على عائد لفترة طويلة من الزمن، لذلك يطلق عليه اصطلاح "إنفاق رأسمالي" «تميزا له عن المصروفات الجارية والتشغيلية». (6)
- 5- عرف المشرع الجزائري "الاستثمار" على النحو التالي: قد ورد مصطلح "الاستثمار" في القانون الجزائري في المادة الثانية (02) من الامر رقم 01-03، الصادر سنة 2001 والذي تعلق بتطوير الاستثمار، حيث حدد المقصود به على النحو التالي: (7)
 - 1- اقتناء أصول تدخل ضمن استحداث نشاطات جديدة، أو توسيع قدرات الانتاج، أو إعادة التأهيل أو إعادة الهيكلة .
 - 2- المساهمة في رأسمال مؤسسة فيشكل مساهمات نقدية أو عينية.
 - 3- استعادة النشاطات في إطار خصوصية جزئية أو كلية.

(1)- طاهر حيدر حردان، مبادئ الاستثمار، دار المستقبل للنشر والتوزيع، الاردن، 1997، ص 13

(2)- عبد الكريم بعداش، "الاستثمار الاجنبي المباشر واثاره على الاقتصاد الجزائري خلال الفترة - 1996، 2005 - أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008، 2007، ص 30

(3)- سعيد توفيق عبيد، الاستثمار في الأوراق المالية، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1998، ص 23

(4)- عبد الكريم بعداش، مرجع سبق ذكره، ص 30.

(5)- زهية حوري، "تقييم المشروعات في الدول النامية باستخدام طريقة الأثار"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، سبتمبر 2007، ص 06

(6) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، عدد 47، الصادر بتاريخ: 22-08-2001، ص 05

(7)- عبد الكريم بعداش، مرجع سبق ذكره، ص 37، 38، ص 35

وعليه يمكن تعريف "الاستثمار" إجرائيا على النحو التالي :

الاستثمار هو نشاط اقتصادي يقوم على ضرورة توفر رؤوس أموال، يتم توجيهها وتشغيلها في مشاريع اقتصادية واستثمارية بغية مضاعفتها في المستقبل، أي العمل على تحقيق عائد أكبر يتجاوز قيمة المبالغ المستثمرة.

• أنواع الاستثمار: ⁽¹⁾

توجد العديد من المعايير التي يتم من خلالها تصنيف وتحديد نوع الاستثمار مثل المعيار الجغرافي و معيار طبيعة الادوات ومعيار ملكية الاستثمارات، ومعيار نوعية الاستثمار... الخ، وسوف يتم التعرض الى بعض هذه الانواع على سبيل الذكر وليس الحصر كما يلي:

1- معيار ملكية الاستثمارات : هذا النوع من الاستثمارات يصنف الاستثمار حسب مالكة، من حيث ما اذا كان هذا الاستثمار ملكا للدولة أو للفرد أو لمجموعة من الافراد، أو موزع بين فرد واحد أو مجموعة من الأفراد والدولة ممثلة بمؤسسة واحدة أو عدة مؤسسات من جهة أخرى، وعلى هذا يمكن من خلال هذا التصنيف التمييز بين ثلاثة أنواع من الاستثمارات وهي الاستثمار العام والاستثمار الخاص والاستثمار المختلط .

1- الاستثمار الخاص : وهو ذلك الاستثمار الذي يقوم به شخص أو مجموعة من الأشخاص تحت أي شكل قانوني من أشكال الشركات الخاصة .

2- الاستثمار العمومي : وهو الذي تقوم به مؤسسة أو مجموعة من المؤسسات تكون ملكا للدولة، تحت أي شكل قانوني من أشكال الشركات العمومية .

3- الاستثمار المختلط : هذا النوع تكون من خلاله ملكية الاستثمار مقسمة بين طرف خاص وطرف عمومي، حيث يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد أو مؤسسة خاصة أو مجموعة المؤسسات الخاصة بمنجحة ومؤسسة أو مجموعة من المؤسسات العمومية منجحة ثانية، تحت شكل قانوني من أشكال الشركات المختلطة.

2- معيار ملكية الاستثمار : حسب هذا المعيار يوجد أربعة أنواع من الاستثمارات وهي :

1- استثمارات اقتصادية : والغاية منها إنتاج سلع وخدمات تخصص للاستهلاك وللاستثمار مثل المشروعات الصناعية والزراعية والخدمية .

2- استثمارات اجتماعية : وتتعلق بالأنشطة الثقافية والرياضية والصحية والترفيهية وتهدف في مجملها لتحقيق الرفاه الاجتماعي للفرد .

3- استثمارات إدارية : وتسعى هذه الاستثمارات لتطوير المرافق الادارية وتنظيم الاداء في المجتمع .

⁽¹⁾ - زهية حوري، مرجع سبق ذكره، ص 11

4- استثمارات في الموارد البشرية: ويتمحور هذا الاستثمار حول المورد البشري حيث تتعلق هذه الاستثمارات ببرامج تدريب المواطنين والمدارس الرسمية .

• أهداف المشاريع الاستثمارية⁽¹⁾

تسعى المشاريع الاستثمارية لتحقيق مجموعة من الاهداف وتوجد اهداف خاصة بالمشاريع الخاصة وأخرى خاصة بالمشاريع العامة.

• أهداف المشاريع الاستثمارية الخاصة :

- 1- تحقيق أقصى قدر ممكن من الربح .
- 2- زيادة الإيرادات وتحقيق الاهداف الخاصة للمديرين الذين ترتبط مصالحهم برقم الاعمال .
- 3- حماية النشاط الرئيس للمشروع من خطر توقف النشاط .

• أهداف المشاريع الاستثمارية العامة :

- 1- تحقيق المنفعة العامة .
- 2- السعي لتحقيق الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية والمالية والاجتماعية ،حيث أن الربح ليس الهدف الاسمي للمشاريع الاستثمارية ذات الطابع العمومي ،إذ أن الربح يشكل جزء أو هامش بسيط من أهداف هذا النوع من الاستثمارات .

1-2 : تعريف السياحة :شهد مصطلح "السياحة" تعددا في المفاهيم ويمكن تعريفها على النحو التالي :

• تعريف " السياحة " لغة :

- السياحة تعني الضرب في الأرض ومنها يسبح الماء وسيحان الماء يعني جريانه.⁽²⁾
- السياحة تعني التجوال وعبارة " ساح في الأرض " تعني ذهب وسار على وجه الأرض، وفي اللغة الانجليزية فإن لفظ "TOUR" يعني ان يجول وأن يدور ،أما "TOURISME" أي السياحة فمعناها الانتقال والدوران .⁽²⁾

- وقد ورد لفظ السياحة في القران الكريم في أكثر من موضع حيث قال تعالى " براءة من الله ورسوله إلى الذين عهدتم من المشركين فسبحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله

⁽¹⁾ - زهير بوعكريف، "التسويق السياحي ودوره في تفعيل قطاع السياحة - دراسة حالة الجزائر -" رسالة ماجستير كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011-2012، ص10.

⁽²⁾ - نصر حميداتو، "النشاط السياحي في الجزائر وأثره على النمو الاقتصادي"، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة ماستر أكاديمي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الوادي، الجزائر، 2014-2015، ص06.

⁽²⁾ - نبيل فيصل موسى، "أثر الاستثمار السياحي على التواصل الحضاري للمجتمع" مجلة: كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد: (36)، 2013، ص192.

مخزي الكافرين " - سورة التوبة الآية (01). ولفظ "فسيحوا" هنا تعني سيروا أيها المشركون سيروا لسائحين آمنين مدة أربعة أشهر لا يتعرض لكم من خلالها أحد .

1- تعريف " السياحة " اصطلاحا : هناك العديد من التعريفات التي تناولت مفهوم "السياحة"، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

2- السياحة هي "مجموعة من الأنشطة والخدمات والصناعات التي تتكون منها خبرة السفر، والنقل والمواصلات ومؤسسات الطعام والشراب والمحلات ووسائل التسلية وتسيير الأنشطة، وخدمات الضيافة الأخرى المتاحة للأفراد أو المجموعات التي تسافر بعيداً عن موطنها."⁽¹⁾

3- تعريف "جويير فولير" السياحة هي: "ظاهرة تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وتغيير الهواء، وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس، والشعور بالبهجة والمتعة، وخاصة بين الشعوب وأوساط مختلفة بين الجماعات الإنسانية، وهي الاتصالات التي كانت ثمرة اتساع نطاق التجارة والصناعة وثمرتها وسائل النقل."⁽²⁾

4- تعريف "هيرمان فان شولترون" السياحة هي "الاصطلاح الذي يطلق على كل العمليات المتداخلة وخصوصا العمليات الاقتصادية التي تتعلق بدخول الأجانب وإقامتهم المؤقتة، وانتشارهم داخل وخارج حدود منطقة دولة معينة."⁽³⁾

5- تعريف "المنظمة العالمية للسياحة": تعتبر السياحة "انتقال الأفراد من مكان لآخر لأهداف مختلفة، ولفترة زمنية تزيد عن 24 ساعة، وتقل عن سنة، مع توفير الخدمات المتعلقة بهذا النشاط."⁽⁴⁾

6- ولقد تبنت "الجزائر" التعريف الخاص "بالمنظمة العالمية للسياحة" لكن أضافت له بعض المفاهيم نذكرها فيم يلي:⁽⁵⁾

1-الدخول : يعتبر داخلا كل مسافر عبر الحدود، ودخل التراب الوطني خارج مساحة العبور .

2-المسافر : وتعني كل شخص دخل التراب الوطني مهما كانت أسباب هذا الدخول، ومهما كان مقر اقامته أو جنسيته باستثناء الجوالين في رحلة بحرية.

3-الزائر : هو كل شخص دخل حدود الوطن من غير أن يقيم فيها عادة ولا يمارس أي عمل يؤجر عليه .

(1)-أحمد الجلاد، التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، مصر، 1988، ص 18.

(2)-جليلة حسن حسين، اقتصاديات السياحة، منشورات جامعة الإسكندرية، مصر، 2003، ص 07.

(3)-أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار الكنوز والمعرفة والنشر، الأردن، 2007، ص 24

(4)-زهير بوعكريف، مرجع سبق ذكره، ص 12.

(5)- نصر حميداتو، مرجع سبق ذكره، ص 07.

4- السائح : هو كل زائر للجزائر يظل 24 ساعة كحد أدنى، وتتلخص أسباب زيارته في إما

الاستمتاع - عطلة، أسباب رياضية، صحية، دينية، دراسية - أو أشغال - زيارة الأقارب، مهمة، اجتماع -.

وبناء عليه يمكن تعريف " السياحة " إجرائيا على النحو التالي :

السياحة هي العملية التي يتم خلالها انتقال الأشخاص من منطقة الى أخرى من أجل تحقيق أهداف متنوعة اقتصادية واجتماعية وثقافية، وتخضع عملية انتقال الاشخاص لمجموعة من الضوابط تحددها قوانين الدولة .

وتشتمل السياحة حسب كل من "ماتيسون و ووال " على ثلاثة عناصر أساسية وهي :⁽¹⁾

- عنصر ديناميكي - حركي - يتضمن السفر إلى منطقة أو مناطق معينة.
- عنصر ستاتيكي - ساكن - يتضمن البقاء في المنطقة المضيفة.
- عنصر سببي - تبعي - ناتج عن العنصرين السابقين، والذي يهتم بالتأثير ما الذي يحدثه السائح مباشرة أو غير مباشرة في الأنظمة الاقتصادية والطبيعية والاجتماعية؟

• أنواع السياحة :

توجد العديد من المعايير التي يتم من خلالها تصنيف السياحة وسنذكر بعضها فيما يلي:⁽²⁾

1- حسب المعيار الجغرافي : ويتضمن هذا المعيار الانواع التالية :

• **السياحة المحلية :** وتشمل الأشخاص المقيمين في البلد المعني، المسافرين داخل هذا البلد فقط

• **السياحة الوافدة :** وتشمل الأشخاص غير المقيمين، المسافرين في البلد المعني .

• **السياحة الخارجية :** وتشمل السكان المسافرين إلى بلد آخر .

• **السياحة الداخلية :** وتشمل السياحة المحلية والسياحة الوافدة .

• **السياحة الوطنية :** وتشمل السياحة المحلية والسياحة الخارجية .

• **السياحة الدولية :** وتشمل السياحة الوافدة والسياحة الخارجية .

• وهناك تصنيفات أخرى للسياحة من بينها :⁽³⁾

2- حسب معيار عدد الاشخاص المسافرين : ويندرج تحت هذه المعيار الانواع التالية :

• **السياحة الفردية :** هي سياحة غير منظمة، يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد وتتراوح مدة

إقامتهم حسب قدراتهم المادية وحسب وقت فراغهم وتمتعهم بالمكان .

⁽¹⁾ -أحمد ديب أحمد، "تحليل الأنشطة السياحية في سورية باستخدام النماذج القياسية - دراسة ميدانية"، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد، سوريا،

2005-2006، ص 12.

⁽²⁾ -نصر حميداتو، مرجع سبق ذكره، ص ص 19، 20.

⁽³⁾ -رعد مجيد العاني، الاستثمار والتسويق السياحي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 200، ص 19.

- **السياحة الجماعية:** هي سياحة منظمة من طرف الشركات السياحية، حيث تجمع الأفراد في شكل مجموعات و أفواج، حيث تحدد برنامجا خاصا وسعرا لهذه الرحلة .

3- حسب معيار وسيلة النقل : ويتضمن هذا المعيار الأصناف التالية :

- **السياحة البرية :** ويقصد بها السياحة التي تتم عن طريق السيارات الخاصة والحافلات العامة والخاصة والسكك الحديدية.
- **السياحة البحرية أو النهرية :** وتتم عن طريق البواخر والسفن .
- **السياحة الجوية :** وتتم عن طريق الطائرات المختلفة .

✓ وبناء على ما سبق يمكن تعريف "الاستثمار السياحي" على النحو التالي :

لقد وردت الكثير من التعريفات لهذا المصطلح ونذكر من بينها :

1- **تعريف المنظمة العالمية للسياحة :** "التنمية الاستثمارية للسياحة والتي تلبي احتياجات السياح والمواقع المضيفة الى جانب حماية وتوفير الفرص للمستقبل، إنها القواعد المرشدة في مجال ادارة الموارد بطريقة تحقق فيها متطلبات المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويتحقق معها التكامل الثقافي والعوامل البيئية والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة."⁽¹⁾

2- "الاستثمار السياحي يتمثل في مجموع ما ينفق في قطاع السياحة، وما تستقطبه الدولة من استثمارات أجنبية موجهة لهذا القطاع، ويعتبر الاستثمار السياحي من الانشطة الواعدة لما تتيحه من فرص كبيرة للنجاح وتحقيق عوائد مالية معتبرة، كما أن تطور الاستثمار السياحي يتوقف على مدى تدفق رؤوس الأموال المحلية والأجنبية للاستثمار في مجال السياحة، الى جانب قوة المنتج السياحي المعروض وحجم الطلب عليه في سوق السياحة العالمية ومدى اهتمام الدولة بعنصر التسويق السياحي للتعريف بمنتوجها السياحي."⁽²⁾

وعليه يمكن تعريف "الاستثمار السياحي" إجرائيا على النحو التالي :

الاستثمار السياحي هو ذلك النشاط الاقتصادي المخطط والمهادف لتفعيل الموارد التي تزخر بها كل منطقة، من أجل تلبية الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية للمجتمع ومن ثمة تحقيق الانفتاح و التواصل والتكامل بين مختلف الشعوب والمجتمعات .

2- خصائص الاستثمار السياحي : يتميز الاستثمار السياحي بمجموعة من المميزات نذكرها فيم يلي :⁽³⁾

⁽¹⁾ -حيزية هني، حنان بن الطيب، "معوقات الاستثمار السياحي في الجزائر مخطط التهيئة السياحية 2025-دراسة نموذجية لولاية الشلف"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الشلف، الجزائر، 2015-2016، ص 12.

⁽²⁾ -الطيب داودي وعبد الحفيظ مسكين، " الاستثمار السياحي في المناطق السياحية- دراسة حالة ولاية جيجل -"، ورقة بحثية مقدمة فيا للنتقى الدولي "الاستثمار السياحي بالجزائر ودوره في تحقيق التنمية المستدامة"، يومي 26 و 27 نوفمبر 2014، المركز الجامعي تيبازة، ص 9.

⁽³⁾ - حيزية هني وحنان بن الطيب، مرجع سبق ذكره، ص ص18-20.

- استقطاب اليد العاملة العادية والمتخصصة، مما يساهم في امتصاص البطالة وتوفير مناصب الشغل .
- كلما كان الجانب التشريعي الخاص بالاستثمار في المجال السياحي يتصف بالمرونة كلما أدى ذلك لتنشيط المشاريع الاستثمارية وتقليص التعقيدات التي تقلص من العمليات الاستثمارية .
- يتميز النشاط السياحي بالطابع الموسمي، وهو السبب الذي يدفع بعض أصحاب رؤوس الاموال خاصة المتوسطة بالإحجام عن الاستثمار في هذا المجال، على عكس الدولة وأصحاب رؤوس الاموال الضخمة والذين يستطيعون تحمل ومواجهة بعض المخاطر .

3- محددات نمو الاستثمار السياحي :⁽¹⁾

بالإضافة للمحددات الرئيسة للنمو السياحي والتي تتركز حول :

- مستوى الدخل وتوزيعه .
 - درجة التحضير ومستوى التعليم .
 - الهيكل الاجتماعي والعطل .
- هناك محددات اخرى تحكم نمو الاستثمارات السياحية وتعلق بالدولة وهي :

1- الموقع الجغرافي :

يعد الموقع الجغرافي من أهم العناصر التي تحقق التدفق السياحي، ومن أهم ما يجب أن يتوفر في المواقع الجغرافية السياحية هو ان تكون قريبة من الاسواق الرئيسة، إذ يعد هذا الشرط عاملا اساسيا لصناعة سياحة ناجحة فالقرب من هذه الأسواق يوفر الوقت ويخفض من التكاليف فضلا عن تنوع وسائل المواصلات.

2- طبيعة ومصدر الاستثمارات :

الاستثمار السياحي يتطلب أغلفة مالية ضخمة وهو ما يجعل المستثمرين يترددون للدخول في هذا النوع من الاستثمارات وذلك للأسباب التالية:

- بقاء الاستثمار في أصول ثابتة لمدة طويلة تتراوح من 20 الى 25 سنة مع مخاطر ما يحدث من تغيرات في ظروف السوق بالإضافة للتغيرات السياسية والاجتماعية.
- موسمية الطلب في المناطق السياحية يبنى عن انعدام امكانية تحقيق معدلات مرتفعة من الأعمال وبالتالي عدم امكانية تحقيق الأرباح المرجوة.
- إن العائد الصافي من الاستثمار في المشاريع السياحية يكون ضئيل لا يغري المستثمرين الذين يرغبون في تحقيق معدلات أكبر.

⁽¹⁾ -الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 64 الصادرة في 10/10/1993

3- التنظيم السياحي الفعال:

من أجل نجاح الاستثمارات السياحية لابد من تنظيم جيد وفعال، خاصة في ظل التطور الذي شهده الاستثمار في المجال السياحي من حيث اتساع الطلب العالمي وتنوعه وهو ما زاد من المنافسة في هذا المجال .

4- التخطيط السياحي الواعي :

ويعتبر التخطيط وسيلة علمية منظمة ومستمرة تتضمن رسم صورة تقديرية للمستقبل، ويحصل التخطيط السياحي الواعي من خلال حصر وتعبئة الموارد والطاقات السياحية في المجتمع قصد تحقيق النمو السياحي.

5- التسويق السياحي الفعال :

يعتبر التسويق السياحي من العوامل المهمة جدا لنجاح الاستثمار السياحي، إذ بفضل عنصر التسويق يتمكن المستهلك من التعرف على المنتج السياحي وذلك عن طريق توظيف كل الدعاية والاعلان .

6- تقديم حوافز للمشاريع السياحية :

ويتعلق هذا العنصر خاصة بتهيئة المناخ المناسب للاستثمار وذلك من خلال :⁽¹⁾

- تقديم مساعدات مالية في شكل اعانات نقدية أو عينية و منح قروض طويلة الاجل للمستثمرين من اجل تشجيعهم على الاستثمار في القطاع السياحي .
- تقديم مساعدات فنية من خلال القيام بدراسات شاملة للتأكد من الجدوى الاقتصادية والفنية للمشاريع السياحية والفندقية، وايضا تكوين العاملين لضمان تنفيذ المشاريع بكفاءة وفعالية .
- توفير المناخ المناسب للمستثمر الاجنبي .

المحور الثاني : دور الاستثمارات السياحية في تنمية الصناعة السياحية في الجزائر

تلعب الاستثمارات السياحية دور محوريا في تنمية الصناعة السياحية لأي دولة لما لها من آثار اقتصادية مباشرة على النمو الاقتصادي، العمالة، ميزان المدفوعات والنتاج المحلي الاجمالي، خاصة اذا ما توفرت الشروط المناسبة لا سيما ما تعلق منها بالأطر القانونية التشريعية والتنظيمية.

⁽¹⁾ - حيزية هني وحنان بن الطيب، مرجع سبق ذكره، ص ص 18-20.

الجدول رقم (1):

تطور عدد المستخدمين في القطاع السياحي في الجزائر خلال الفترة 1985-2001

السنوات	1985	1995	2000	2001
عدد المستخدمين	7706	7920	8390	8708
في القطاع العام أو الحكومي	907	3118	4730	4800
في القطاع الخاص	8613	11038	13120	13508
الإجمالي	-	28,15	18,86	2,96
معدل التغير %				

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات، للمجموعة الإحصائية للجزائر، العدد 35، 2003.

يظهر من الجدول أعلاه ان العمالة في قطاع السياحة في الجزائر تزايدت خلال الفترة 1985-2001 بنحو 4895 منصب عمل ، أي بمعدل نمو متوسط 16.66%. و يعتبر هذا النمو ضئيلا مقارنة بطاقات البلاد السياحية غير المستغلة.

و الجزائر كغيرها من الدول في ظل التغيرات الجديدة اتبعت سياسة اقتصادية جديدة، وهي فتح المجال أمام الاستثمار الخاص الوطني أو الأجنبي في القطاع السياحي، وكذا الشروع في حوصصة قطاع السياحة، وقامت بوضع عدة قوانين لتشجيع الاستثمار كالتسهيلات المالية والإعفاءات الجمركية والجبائية، وذلك حسب قانون الاستثمار الصادر في 05 أكتوبر 1993⁽¹⁾.

واهم هذه الامتيازات ما يلي:

الجدول رقم (2)- الامتيازات الممنوحة ضمن قانون الاستثمار لسنة 1993 و الجدول التالي

يوضح ذلك :

الجنوب الكبير	الطوق الثاني لجنوب	المناطق الخاصة	النظام العام	امتيازات النظام
3 سنوات	3 سنوات	3 سنوات	3 سنوات	المساعدات على الانجاز
إعفاء	إعفاء	إعفاء	إعفاء	حقوق التسجيل
0.5%	0.5%	0.5%	0.5%	حقوق التسجيل بعقود تأسيس الشركات ورفع رؤوس أموالها

(1)-الجريدة الرسمية رقم 47 الصادرة بتاريخ 2002/08/22

إعفاء 10 سنوات	إعفاء من 7 سنوات على الأقل	إعفاء من 5 إلى 10 سنوات	إعفاء من 2 إلى 5 سنوات	الرسم العقاري
إعفاء	إعفاء	إعفاء	إعفاء	TVA
3 سنوات	3%	3%	3%	الحقوق الجمركية
تكفل كلي او جزئي	50%	تكفل كلي او جزئي	لا شيء	أشغال المنشآت القاعدية
امتيازات يمكن ان تصل الى الدينار الرمزي	تخفيض 50%	امتيازات يمكن ان تصل الى الدينار الرمزي	إتاوة التأجير بقيمة حقيقية	التنازل على الاراضي العمومية
لا شيء	لا شيء	لا شيء	لا شيء	التخصيص على نسبة الفوائد

المصدر : مجلة الاستثمار و الشراكة في السياحة، وزارة السياحة و الصناعة التقليدية، 1994، ص 15.

140 وقد تضمن قانون الاستثمار لسنة 1993 عدة ضمانات داخلية و دولية كمبدأ المعاملة العادلة بين المستثمرين المحليين و الاجانب فيما بينهم ، وعدم امكانية اللجوء الى التسخير من طرف العدالة إلا في الحالات التي ينص عليها التشريع المعمول به، وكذا ضمانات التحويل او التنازل مرسوم تشريع 12/23 الذي نص على امكانية تحويل راس المال المستثمر الناجم عنه.

قانون الاستثمار لسنة 2001:⁽¹⁾ حيث واصلت الحكومة جهودها الترويجية لجلب الاستثمارات الاجنبية منها والخاصة من خلال استحداث قوانين جديدة، انشاء صندوق لدعم الاستثمار في شكل حساب تخصيص يوجه لتمويل والتكفل بمساهمة الدولة في مختلف المزايا الممنوحة للاستثمار لا سيما المنشآت الضرورية لإنجاز الاستثمار، كما تم إنشاء الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار عوضا عن الوكالة الوطنية المكلفة بترقية ومتابعة الاستثمار.

✓ استراتيجية الخوصصة الجزائرية في قطاع السياحة:

تميزت مرحلة خوصصة المؤسسات السياحية الجزائرية بتحديد الإطار القانوني الضروري لتطوير الاستثمارات، ولكن تدهور الأوضاع الأمنية، انعكس سلبيًا على القطاع السياحي، إذ تراجع عدد السياح الوافدين إلى الجزائر من سنة 1990 إلى غاية 1996، بحوالي 359895 سائح إلى 18000 سائح، ولكن مع رجوع الاستقرار والأمن إلى

⁽¹⁾ - وزارة السياحة، تطور قطاع السياسة للعشرية 2004-2013، ص 12.

الوطن عاد الانتعاش إلى القطاع، إذ بلغ رقم الأعمال لفرع السياحة 3.622 مليون دينار جزائري، أي ما يعادل 26 % مقارنة بنفس الفترة لسنة 1999، والجدول التالي يوضح الفنادق التي عرضت للخصوصية:

الجدول رقم 03: الفنادق التي عرضت للخصوصية

المدينة	الفندق	المساحة	عدد الغرف	الغرف الفاخرة	قدرة الاطعام
غرداية	ميزاب	26827	141	9	400
تيزيوزو	عمراوة	35155	152	4	300
بومرداس	رايس	1003	61	7	300
ورقلة	مهري	5234	48	4	200
بوسعادة	القائد	/	45	/	200
قسنطينة	بانورميك	4734	66	1	240
تلمسان	الزيبانيين	30000	135	7	200
تلمسان	المغرب	4000	107	/	125
عنابة	الشرق	2939	49	/	1125
الجزائر	السفير + السوفيتال	/	/	/	/
الجزائر	البيير الاول	3695	/	40	160
سطيف	الهضاب	1105	308	26	334
باتنة	ثيلية	143645	68	03	186
عنابة	سيبوس	9996	71	03	200
الطارف	المرجان	23000	288	/	200
وهران	الكبير	/	103	02	180
وهران	الشاطوناف	2344	81	04	160

المصدر: وزارة السياحة، بتصرف.

من خلال الجدول أعلاه، يتضح أن القطاع العمومي قد أنشأ مشاريع سياحية هامة ذات سعة متوسطة (03 سنوات)، في مواقع استراتيجية هامة من الناحية السياحية، إلا أن التهاون وعدم نجاعة التسيير، وسياسة الاتكال أدت بدهه المؤسسات إلى عدم تأدية الدور المنوط بها.

خامساً: استراتيجية النهوض بالقطاع السياحي في الجزائر آفاق 2025 (افاق التطوير)

بالنسبة للاستراتيجية السياحية لآفاق 2013، قد بدأت الوزارة الوصية على قطاع السياحة خلال سنة 2000، في إعداد استراتيجية من أجل تطوير قطاع السياحة في آفاق 2010، وخلصت إلى صياغتها النهائية سنة

2011 تحت عنوان: "مخطط أعمال للتنمية المستدامة للسياحة في الجزائر آفاق 2010"، وأدخلت تعديلات عليه فأصبح مشروعًا جديد في آفاق 2013.

ومن أهداف هذا البرنامج⁽¹⁾ ترمين الطاقات الطبيعية والثقافية والدينية والحضارية، وتحسين نوعية الخدمات السياحية، وكذا إعادة الاعتبار للمؤسسات الفندقية والسياحية، والمساهمة في التنمية المحلية، والمحافظة على البيئة والفضاءات الحسنة لتوسع السياحة البيئية. هذا، بالإضافة إلى تلبية حاجات الطلب الوطني المتزايد باستمرار، قصد تقليص عدد المتوجهين إلى الخارج لقضاء العطل، وكذا زيادة التدفقات السياحية، فالتدفقات السياحية خلال الفترة 2008 و 2013 تم الحصول عليها بتطبيق نسبة نمو متوسط التدفقات عند بداية العشرية 10%، أعيد تعديلها سنويًا بنصف نقطة 0.5% ابتداءً من سنة 2008، وبناءً على التقديرات السابقة والاستقرار المرهلي لدخول السياح الأجانب، فإن عدد السياح المرتقبين في 2013 سيقارب 3.100.000 سائح، منهم 1900.000 سائح أجنبي.

و قد اهتم هذا المخطط برفع طاقات الإيواء عبر المرحلة الممتدة ما بين 2004 و 2007، والمرحلة ما بين 2008 و 2013 كما يلي

1- المرحلة ما بين 2004-2007:

أنجز فيها حوالي 55000 سرير، بطاقة سنوية تصل إلى حدود 13750 سرير تدخل حيز الاستغلال، وتم تسجيل 387 مشروع في طور الانجاز، إذ بلغت نسبة الإنجاز بحوالي 75%، وبطاقة إيواء تقديرية في حدود 38000 سرير .

2- المرحلة ما بين 2008-2013:

تم تسجيل طاقة إيواء ستكون أكثر من 60000 سرير، المتوسط سنوي قدره 10000 سرير، ومنه إضافة إلى 72000 سرير التي تم إحصاءها في نهاية 2002، والطاقات التي تم توقعها للمرحلة 2004-2017 هي 55000 سرير، والمرحلة الممتدة بين 2008 و 2013 هي 60000 سرير، أي بمجموع كلي قدره 187000 سرير في آفاق 2013.

وفيما يخص الاستثمار السياحي في المرحلة ما بين 2004 و 2013 سيصل إلى نحو 232.5 مليون دينار جزائري، وأهم إجراءات دعم الاستثمار السياحي آفاق 2013 تتمثل فيما يلي:

أ- التهيئة والتحكم في القطاع السياحي: يتم تهيئة والتحكم في العقار السياحي من خلال مواصلة ودعم الأعمال التي تم إنجازها خلال الفترة 2002 و 2003، والتي تمثلت في الانجازات التالية:⁽¹⁾

- استحداث القطاع لنصوص قانونية متعلقة بالتنمية المستدامة، كالقانون رقم 01/03 المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة، الذي صدر في 17 فيفري 2003.

⁽¹⁾-حيزية هني وحنان بن الطيب، مرجع سبق ذكره، ص ص18-20.

⁽¹⁾- الجريدة الرسمية رقم 11 الصادرة في 19/02/2003.

- المساهمة في التنمية والتوازن الجهوي والمحافظة على البيئة، وتنويع العرض السياحي، والعمل على رفع الإيرادات السياحية.

ب- قانون متعلق باستغلال الشواطئ: ويهدف إلى تامين وحماية الشواطئ للاستفادة منها، وتوفير شروط تنمية منسجمة ومتوازنة، مع تحديد نظام تسليية مدمج ومنسجم مع النشاطات السياحية الشاطئية.

ت- قانون متعلق بمناطق التوسع السياحي والمواقع السياحية: جاء القانون رقم 03-03 المؤرخ في 2003/02/19، والمتعلق باستغلال الشواطئ بما يلي:

- مناطق التوسع السياحي، وهي كل منطقة أو امتداد من الإقليم يتمتع بصفات أو خصائص طبيعية، وثقافية، وبشرية، وإبداعية، مناسبة للسياحة مؤهلة لإقامة أو تنمية منشأة سياحية، يمكن استغلالها في تنشيط أو جعل السياحة ذات المردودية الأكثر.

- الموقع السياحي، فكل موقع أو منظر يتميز بجاذبية سياحية، بمظهره الخلاب أو بما يحتوي عليه من عجائب أو خصائص طبيعية، أو بنايات مشيدة عليه.

- منطقة محمية، وهي جزء من منطقة التوسع السياحي أو موقع سياحي.

وفي آفاق 2025، تخطط الوزارة الوصية إلى استقبال 11 مليون سائح، وهذا ما يتطلب استراتيجية حكيمة من أجل جعل الجزائر مقصد سياحي من الدرجة الأولى، إن اختيار هذه الفترة الزمنية لم تحدد عفويًا، بل كان ذلك لأخذ الوقت الكافي، من أجل تشجيع الشراكة مع ذوي الخبرات الواسعة في الجزائر وعبر العالم، والذين يريدون الاستثمار في الجزائر في ميدان السياحة، بفضل ما جاءت به الترتيبات القانونية من آليات وبرامج جد مغرية معمول بها حاليًا في بلادنا.

المحور الثالث: تقييم أداء قطاع السياحة في الجزائر تبعًا للاستثمارات السياحية:⁽²⁾

تشير الكثير من الدراسات و الابحاث العلمية عن واقع الاستثمارات السياحية بشكل خاص و قطاع السياحة بشكل عام، انه مازال بعيدا عن قطاع السياحة في دول الجوار لاسيما تونس، مصر و المغرب تبعاً لمدى مساهمة القطاع في التنمية الاقتصادية وفق عدة مؤشرات كتدفق السياح الدولي، الناتج المحلي الاجمالي الدولي وكذا الايرادات السياحية الدولية، وسيتم التركيز في هاته المداخلة على عدد السياح باعتباره أهم مؤشر حقيقي من خلاله يمكن الحكم على مكانة القطاع السياحي في اي دولة

تطور عدد السياح في الجزائر:

تشير التقارير ان حصة الجزائر من السياحة الدولية لا تزال تقدر ب 2% من التدفقات السياحية، وبما ان اهم مؤشر حقيقي يبرز مكانة القطاع السياحي هو عدد السياح، فحصة الجزائر من السياحة العالمية ضعيفة جدا ،

(2) - وزارة السياحة، تطور قطاع السياسة لل عشرية 2004-2013، ص 12.

فقد بلغ عدد السياح عام 2004 نحو 1.112.518 سائح في الوقت الذي كان فيه عدد السياح في العالم يقارب 800 مليون سائح اي بنسبة 800/1 من السياحة العالمية.

خاتمة

تملك الجزائر إمكانات سياحية معتبرة، سواء كانت طبيعية، تاريخية، حضارية أو بشرية، أو حتى مادية، إلا أن عدم التركيز على هذا القطاع والاهتمام به، جعله قطاعاً هامشياً، فهذه الإمكانيات والتي كان قد اعترف بها حتى المستعمر، واهتم بها وشجع على الاستثمار فيها لم تستغل بالشكل الأمثل للآن، وبالتالي الشيء الذي يقال عن القطاع السياحي في الجزائر، أنه يشكو التهميش من القائمين عليه و يعود ذلك الى:

1- اهتمام السلطات بعد الاستقلال بقطاعات أخرى على حساب القطاع السياحي، ساهم كثيراً في إضعاف هذا القطاع.

2- مرحلة التسعينات أو مرحلة اللاأمن في الجزائر، قضت على الآمال التي كانت قائمة للنهوض بهذا القطاع، لما أصاب الجزائر من عزلة، وعزوف السائحين الأجانب للدخول إلى الجزائر.

وفي المقابل يمكن القول، ان للاستثمار السياحي اهمية بالغة تكمن اساسا في تنوع موارد الاقتصاد الوطني، لما له من اثار اقتصادية اذا ما تم توظيف رؤوس الاموال بشكل عقلاي ورشيد وتخطيط استراتيجي، حيث يسمح بحلب العملة الصعبة وتوفير مناصب الشغل والتخفيف من حدة البطالة، حيث تشير الاحصائيات ان قطاع السياحة وفر ازيد من 70000 منصب في الفترة من 1993-2006.

قائمة المراجع

- الوثائق الرسمية

1. الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 64 الصادرة في 1993/10/10
2. الجريدة الرسمية، رقم 47، الصادر 22-08-2001، -
3. الجريدة الرسمية رقم 47 الصادرة بتاريخ 2002/08/22
4. الجريدة الرسمية رقم 11 الصادرة في 2003/02/19.
5. وزارة السياحة، تطور قطاع السياسة لل عشرية 2004-2013

- الكتب

1. أحمد الجلاد، التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، مصر، 1988.
2. أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار الكنوز والمعرفة والنشر، الأردن، 2007،
3. جلييلة حسن حسنين، اقتصاديات السياحة، منشورات جامعة الإسكندرية، مصر، 2003،.
4. طاهر حيدر حردان، مبادئ الاستثمار، دار المستقبل للنشر والتوزيع، الاردن، 1997،
5. سعيد توفيق عبيد، الاستثمار في الأوراق المالية، مكتبة عين شمس، القاهرة، 1998،
6. رعد مجيد العاني، الاستثمار والتسويق السياحي، داركنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 200.

- الرسائل و المذكرات

1. أحمد ديب أحمد، "تحليل الأنشطة السياحية في سورية باستخدام النماذج القياسية - دراسة ميدانية"، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد، سوريا، 2005-2006.
2. زهير بوعكريف، "التسويق السياحي ودوره في تفعيل قطاع السياحة - دراسة حالة الجزائر" - رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011-2012.
3. زهية حوري، "تقييم المشروعات في الدول النامية باستخدام طريقة الأثار"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، سبتمبر 2007.
4. حيزية هني، حنان بن الطيب، "معوقات الاستثمار السياحي في الجزائر مخطط التهيئة السياحية 2025- دراسة نموذجية لولاية الشلف"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الشلف، الجزائر، 2015-2016.
5. نصر حميداتو، "النشاط السياحي في الجزائر وأثره على النمو الاقتصادي"، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة ماستر أكاديمي، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الوادي، الجزائر، 2014-2015.
6. عبد الكريم بعداش، "الاستثمار الاجنبي المباشر واثاره على الاقتصاد الجزائري خلال الفترة - 2005، 1996- "أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية جامعة الجزائر، الجزائر، 2008، 2007.

- المقالات والأوراق البحثية

1. الطيب داودي وعبد الحفيظ مسكين، "الاستثمار السياحي في المناطق السياحية: دراسة حالة ولاية جيجل"، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولي "الاستثمار السياحي بالجزائر ودوره في تحقيق التنمية المستدامة"، يومي 26 و 27 نوفمبر 2014، المركز الجامعي تيبازة.
2. نبيل فيصل موسى، "أثر الاستثمار السياحي على التواصل الحضاري للمجتمع" مجلة: كلية بغداد للعلوم الاقتصادية - الجامعة، العدد: (36)، 2013.

- الأنترنت

1. معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي - متوفر على الموقع: <http://www.almaany.com>

استخدام تكنولوجيا المعلومات والإتصال في التسويق السياحي

تحليل مضمون الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة و الصناعات التقليدية الجزائرية

طالب دكتوراه: بومعروف جعفر

جامعة الجزائر 3 - الجزائر

طالبة دكتوراه: شرفية خديجة

جامعة بوندير صالح - قسنطينة 3 - الجزائر

الملخص:

إن التطورات التي عرفها القطاع التسويقي السياحي سمحت بظهور أسواق موازية ذات طابع رقمي أصبحت تحتل مكانة كبيرة يومنا هذا بسبب ما توفره من تسهيلات لا تتوفر عليها الأسواق التقليدية، ومن خلال هذه المداخلة البحثية، سنسلط الضوء على كيفية تمكن المواقع السياحية من تفعيل تسويق إلكتروني ناجح وسط المجتمع الجزائري من خلال موقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية.

يعتمد هذا البحث على استمارة تحليلية للبيانات الإحصائية التي يعرضها موقع Hypestat العالمي، ومن خلال التحليل يظهر جليا دور المواقع الإلكترونية في التسويق الحديث للقطاع السياحي المنفتح على كل المستهلكين والذي يخضع لخصوصية كل زبون بما يسمح بالسيالة الديناميكية بين العرض السياحي و الطلب أو احتياجات السياح وبذلك تقدم تسهيلات لا توجد في السوق السياحي التقليدي.

الكلمات المفتاحية: التسويق الإلكتروني السياحي - الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة و الصناعات التقليدية - تكنولوجيا التسويق و الترويج.

Abstract

The developments in the tourism marketing sector have allowed the emergence of parallel markets of a digital nature, which are now very important because of the facilities they do not have in the traditional markets.

Through this research intervention, we will highlight how tourism sites can activate successful e-marketing within the Algerian community through the Ministry of Tourism and Handicraft website.

This research is based on an analytical form of statistical data presented by the global site Hypestat.

The analysis shows the role of websites in the modern marketing of the tourism sector, which is open to all consumers and is subject to the specificity of each customer. This allows for a dynamic flow between tourism and demand or tourists' needs, thus providing facilities that are not available in the traditional tourist market.

Keywords: Tourist e-marketing - Website of the Ministry of Tourism and Handicraft - Marketing and promotion technologies .

مقدمة

تحتل السياحة في الوقت الحالي موقعا متميزا في اقتصاديات دول العالم، فهي تعتبر من أكبر القطاعات نموا في العالم وذلك لما تحققه من نتائج معتبرة من حيث التدفقات والايادات ومن حيث مناصب الشغل التي تحدثها بصورة مباشرة وغير مباشرة لارتباطها في العديد من القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وسعيا للنهوض بالقطاع السياحي والذي يتمتع بأدواره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، عملت العديد من دول العالم على تطوير التسويق السياحي والاستثمار في الموارد والمقومات المتوفرة والاستفادة من التنوع الحضاري والطبيعي والمناخي، فأصبحت تسعى إلى إدراج استراتيجية التسويق في قلب اتصالاتها السياحية.

ومع الانتشار الهائل لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات TIC، والتي مست جميع القطاعات، أصبحت لهذه التكنولوجيا أهمية بالغة في تنشيط السياحة العالمية، فعززت في تطور القطاع العالمي، وأبرزت تغيرات كثيرة في البنية الاقتصادية والخدمية فأصبحت التكنولوجيا ميزة تنافسية في مجال الأعمال السياحية، فقامت بتقريب المسافة للسياح دون الحاجة إلى وسطاء، حيث تمكنهم من البحث عن الخدمات السياحية المعبرة عن حاجياتهم الفعلية. وعلى هذا الأساس فالسياحة اليوم هي سوق افتراضية تتأثر بفعل التطور التكنولوجي، ويظهر هذا من خلال الاهتمام بالمحتوى الرقمي الذي يتطلب تجميع المعلومات السياحية عبر شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للترويج للخدمات السياحية. ونتيجة لهذا فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصال ستتحسد في تعزيز الشراكات الاستراتيجية بالقطاع السياحي، والارتقاء بالقطاعات السياحية الصاعدة كالسياحة الطبية، الثقافية والرياضية.

وتهتم الجزائر على غرار معظم الدول بالترويج السياحي لمقوماتها الطبيعية ومنتجاتها السياحية لتحفيز السياح على زيارتها لما فيها من وسائل جذب سياحية، والزيادة من الحركة السياحية على المستوى المحلي، وبشكل خاص على المستوى الدولي، وتؤكد في هذا السياق على دور المؤسسات السياحية في التعريف بالجزائر كمقصد جذب للسياحة، وعلى ضرورة استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة في الترويج للسياحة في الجزائر حتى تلتحق بالمستوى العالمي في هذا المجال.

و نجد في قاعدة هرم المؤسسات السياحية وزارة السياحة و الصناعات التقليدية التي تستخدم الموقع الإلكتروني كأداة اتصالية إعلامية. وعلى ضوء هذا نطرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة تكنولوجيا المعلومات و الاتصال في التسويق للقطاع السياحي بالجزائر؟ وللإجابة على هذه الإشكالية قسمنا الدراسة إلى: ثلاث محاور:

المحور الأول: التسويق السياحي.

المحور الثاني: التسويق السياحي الإلكتروني

المحور الثالث: تحليل مضمون الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة والصناعات التقليدية الجزائرية.

أولاً: التسويق السياحي

يحتل التسويق مكانة هامة في القطاع السياحي نظرا لكونه مفهوما حديثا و أنه موجه للمنتفع(السائح)، وأنه يعتمد على إرضاء و إشباع تشكيلة متنوعة من الحاجات والرغبات والأذواق، وأن التسويق السياحي كمفهوم حديث ومتجدد يعتمد على مبدأ تعاضد جهود العاملين في المؤسسات السياحية.

1. تعريف السياحة: بهدف توحيد أسس الاحصائيات قامت المنظمة العالمية للسياحة Organisation Mondiale du Tourisme "OMT" بتحديد تعريف لهذه الظاهرة وهو كالآتي: "السياحة تشمل أنشطة الأشخاص الذين يسافرون إلى أماكن خارج بيئتهم المعتادة، ويقومون فيها لمدة لا تزيد عن سنة بغير انقطاع للراحة أو لغرض أخرى، وتتألف البيئة المعتادة للشخص من منطقة محددة من مكان إقامته مضافا إليه كافة الأماكن التي يزورها بصورة مستمرة ومتكررة"¹.

2. أنواع الخدمات السياحية: فالخدمات السياحية تعرف على أنها: "مجموعة من الأعمال التي تؤمن للسياح الراحة ومختلف التسهيلات عند استهلاك الخدمات والسلع السياحية وذلك خلال وقت سفرهم أو خلال إقامتهم في المرافق السياحية بعيدا عن مكان سكنهم الأصلي"². وتختلف الخدمات السياحية تحت تأثير العديد من العوامل حيث يمكن تقسيمها إلى³:

أ. **الخدمات السياحية من حيث أهميتها:** بما أن الخدمات السياحية هي مجموع الوسائل المادية الضرورية لتأمين أو تسهيل إشراك الناس في السياحة وتحقيق أهدافها وخلق واستعمال الخدمات للسياح، ومن هذا المنطلق يمكن التمييز بين الخدمات السياحية الأساسية والخدمات السياحية التكميلية.

❖ **الخدمات السياحية الأساسية،** تتمثل الخدمات الأساسية في خدمات النقل بجميع وسائله التي تساهم في نقل السياح إلى وجهاتهم المرغوبة فيها داخل المنطقة السياحية، وخدمات الإيواء في الفنادق والشقق وغيرها، وكذا خدمات الطعام والشراب الموجهة للسياح.

¹ نسبة سماعيني، دور السياحة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، مذكرة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة وهران، 2014/2013، ص8.

² سميرة عميش، دور استراتيجية الترويج في تكييف وتحسين الكلب السياحي الجزائري مع مستوى الخدمات السياحية المتاحة خلال الفترة 1995-2015، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية زعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، 2015، ص 56.

³ المرجع نفسه، ص-ص، 58-59.

❖ **الخدمات السياحية التكميلية**، وهي تتمثل في الرياضة والترفيه بأنواعه، المتاجر التي تقدم السلع الاستهلاكية، الخدمات الثقافية كالمسارح ومواقع الحفلات، الخدمات الأخرى الخاصة بالسياح كمحلات تصنيف الشعر، ورشات التصليح والبنوك بالإضافة إلى خدمات الاستقبال التي تشمل مكاتب السفر ومراكز الاستعلامات.

ب. **الخدمات السياحية من حيث سوقها**، ويمكن تقسيم الخدمات السياحية من حيث السوق السياحي إلى صنفين أساسيين هما:

❖ **الخدمات السياحية من وجهة نظر العرض السياحي**، بالنظر لشكل القيمة الاستهلاكية للسلع والخدمات السياحية يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات تضم الخدمات السياحية المختلفة كالحفلات التي تؤمن المبيت والإطعام في المواقع السياحية، الخدمات التي توفر الرفاهية للسياح والخدمات الصحية، بالإضافة إلى السلع الأخرى التي تستهلك في الموقع السياحي.

❖ **الخدمات السياحية من وجهة نظر الطلب السياحي**، أما أنواع الخدمات من وجهة نظر الطلب فهي قد تكون خدمات المواصلات، أو خدمات تأمين المبيت والإطعام في المرافق السياحية، أو الخدمات الترفيهية في المناطق السياحية.

ت. **الخدمات السياحية من حيث طبيعتها**، تتضمن الخدمات السياحية بالنظر إليها من حيث الطبيعة السياحية، جميع خدمات السياح والتسهيلات المقدمة لهم، بالإضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى نوضحها فيما يلي:

❖ **خدمات الضيافة**، إن دور المنطقة المضيفة يفترض بها تقديم الاهتمام للسائح سواء من طرف المواطنين أو الهيئات والمؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، لأن التجربة الإيجابية للسائح تجعله يشعر بالارتياح والأمان أي احتمالية أكبر في تكرار الزيارة والتأثير على الآخرين لزيارة البلد.

❖ **الخدمات الأمنية**، وتتمثل في بعض الخدمات المقدمة للسياح والتي من شأنها تفادي بعض المشاكل التي قد تعيق الحركة السياحية في المنطقة السياحية ومن ضمنها إعداد رجال الأمن وتوزيعهم، وحتى عمليات الإرشاد السياحي وتوفير مراكز الاستعلام السياحية والترفيه السياحي والمشتريات السياحية.

❖ **التسهيلات المختلفة**، وتندرج ضمن التسهيلات المختلفة التسهيلات الصحية والخدمات الطبية عند الحاجة، الخدمات المالية، وغيرها من التسهيلات التي يحتاجها السائح أثناء رحلته السياحية، فالخدمات السياحية تحتاج للعملية التسويقية من أجل تسويقها للزبائن

3. مفهوم التسويق: يرجع أصل هذه الكلمة إلى الإنجليزية، وهي تتألف من مصطلحين وهما: Market والتي تعني السوق، و ing التي تعني داخل أو ضمن، وهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Mercari والتي تعني المتجر، وكذلك المصطلح اللاتيني Mercateurs والذي يعني السوق، ومنه يمكن القول أن مصطلح التسويق يعني: تلك الأعمال والوظائف التي تتم داخل السوق¹.

ويعرف أيضا على أنه: "عبارة عن منظومة من الأنشطة المتكاملة والبحوث المستمرة التي يشترك فيها كل العاملين في المنظمة وتختص بإدارة منتوج تسويقي متكامل ومتميز من خلال البناء، والحفاظ عليه، وتدعيم علاقات مستمرة مع الزبائن تهدف إلى تحقيق انطباع إيجابي في الأجل الطويل، وإلى تحقيق منافع وعود متبادلة لكل أطراف تلك العلاقات"².

4. مفهوم التسويق السياحي: يعرف التسويق السياحي على أنه: "هو التنفيذ المنظم والمنسق للسياسات السياحية من خلال المؤسسات السياحية الحكومية والخاصة على المستوى المحلي، الوطني، الإقليمي والدولي، لتحقيق الإشباع لدى الأسواق السياحية المستهدفة، والحصول على عائد مناسب سواء كان تقديم خدمة، نمو سياحي أو دخل سياحي"³.

ويمكن تعريفه أيضا على أنه: "مجموعة من تقنيات التسويق المخصصة لتصميم وترويج وتسويق المنتجات والخدمات والوجهات السياحية، فالتسويق السياحي هو جزء من تسويق الخدمات"⁴.

5. الركائز الأساسية للتسويق السياحي: يعتمد التسويق السياحي بصورة عامة على عدد من الركائز الأساسية التي يتوقف عليها نجاح وتقدم هذا النشاط الإنساني المتطور، الذي يتصف بالحركة الدائمة والتغير المستمر وفق العوامل والظروف المختلفة التي تسود كلام الدول المصدرة للسياح والمستقبل لهم وتتضمن ما يلي⁵:

أ. التخطيط التسويقي: يعتبر التخطيط التسويقي أحد الوظائف الإدارية الرئيسية لأي نشاط من الأنشطة، ويهدف التخطيط التسويقي السياحي إلى تحقيق أهداف عامة على مستوى الدولة، أو على مستوى القطاع، أو

¹ غنية شليغم، رضا سيف الدين جلولي، التوجيهات الحديثة في إدارة السياحة ودورها في تطوير وتحسين أداء الخدمات السياحية: التسويق السياحي الإلكتروني نموذجاً، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد العاشر (10) 2017، ص 193.

² فاطمة الزهراء أونيس، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب دراسة حالة ولاية بشار أمودجا، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة وهران 2، 2016/2015، ص 06.

³ سليمة بوعوبنة، متطلبات تفعيل التسويق السياحي لتنمية السياحة في الجزائر، مجلة جديد الإقتصاد، عدد رقم 11 ديسمبر 2016، ص 56.

⁴ <https://www.definitions-marketing.com/definition/marketing-touristique/> consulter

le:11.03.2019, 15:08

⁵ إيمان العلمي، واقع التسويق السياحي في الجزائر وآفاق تطوره دراسة حالة ولاية قسنطينة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، رسالة الماجستير، 2013/2012، ص 33.

على مستوى المؤسسة، وينقسم التخطيط التسويقي إلى: التخطيط الترويجي، تخطيط المنتج السياحي، التخطيط السعري، تخطيط بحوث التسويق، تخطيط التكلفة التسويقية.

ب. توفير المعلومات التسويقية: تعتبر المعلومات التسويقية السياحية هي الركيزة الثانية التي يعتمد عليها التسويق السياحي، لأنها تمثل الأساس الذي يقوم عليه النشاط التسويقي، ذلك أن اتخاذ القرارات التسويقية يجب أن يكون مبنيًا على معلومات وبيانات ووقائع محددة وواضحة وليس على بيانات غير مؤكدة، أو معلومات غير صحيحة. فالتسويق السياحي يعتمد على بيانات خاصة بالسوق السياحي الخارجي، الذي يمثل المصدر الرئيسي للحركة السياحية، وكذلك بيانات عن السوق الداخلي الذي يضم مكونات العرض السياحي والمنشآت الفندقية والسياحية المنافسة مما يتطلب أن يكون هناك تدفق مستمر من المعلومات والبيانات السياحية التي تساعد الإدارة على اتخاذ القرارات التسويقية الناجحة.

ت. دراسة السوق السياحي: تمثل دراسة السوق الركيزة الثالثة من الركائز الأساسية التي يجب أن يقوم عليها التسويق السياحي، وتتضمن هذه الدراسة دراسة السوق السياحي الداخلي وتمثله الدولة السياحية المستقبلية للسائحين، بقطاعاتها المختلفة وكذا السوق السياحي الخارجي وتمثله الدول المصدرة للسائحين، لتصميم البرامج السياحية التي تناسبهم وتشبع رغباتهم وأهدافهم السياحية، كذلك العمل على تطوير الخدمات السياحية المقدمة لهم في مناطق الزيارة.

6. المزيج التسويقي السياحي: لأجل إشباع حاجات المستهلك من الخدمات فإنه يتطلب مزيج تسويقي فعال، فالمزيج التسويقي للخدمات السياحية يختلف عن المزيج التسويقي للسلع وعناصره الأساسية.

أ. مفهوم المزيج التسويقي السياحي: المزيج التسويقي السياحي هو "عبارة عن مجموعة من الأنشطة التسويقية التي تعمل بانسجام وترابط وتكمل بعضها البعض، حيث تسيطر المؤسسة السياحية عليها وتتحكم فيها. كما تسعى المؤسسة من خلال تطبيق مفهوم المزيج التسويقي إلى التشخيص السليم لاحتياجات الزبائن (السياح) وتوقعاتهم، والعمل على إشباعها لتحقيق استمرارية ورضا الزبائن و الاحتفاظ بهم لأقصى زمن ممكن"¹.

ب. عناصر المزيج التسويقي السياحي: تتمثل عناصر المزيج التسويقي السياحي فيما يلي²:

¹. عبد الرحيم شنيني، دور التسويق السياحي في إنعاش الصناعة التقليدية والحرفية دراسة ميدانية حالة مدينة غرداية، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2010/2009، ص 60.

². إيمان العلمي، مرجع سبق ذكره، ص 44

- المنتج (product): أو هدف السائح أو مزيج الخدمة السياحية ويشمل الموقع والتصميم والمناخ الدولي للمكان والصورة الذهنية للمكان السياحي (image) وجودة الخدمة والعملية التجارية التي لا ينساها السائح وترتبط بالخدمة السياحية.
- السعر (price): يعتبر السعر عنصرا هاما في المزيج التسويقي وهو من أقوى العوامل التي تحدد الحركة السياحية وكذلك من أهمها عند اختيار السائح رحلة سياحية.
- الجهود الترويجية (promotion): التي تشمل الإعلان وترويج المبيعات والتسويق المباشر وغير المباشر.
- المكان السياحي (place): أو مستوى الخدمة السياحية والراحة التي يجدها السائح في المكان.
- العامل البشري (people): ويقصد به كل من يتعامل معه السائح في رحلته سواء العاملين في خدمة الزبائن أو عنصر الخدمة أو الفريق العام في المكان السياحي نفسه، أو أهل البلد المضيف أنفسهم.
- العملية السياحية (process): وما يتم فيها من تعاملات مع السائح وسلوك العاملين في المجال السياحي وتأثيره على شعور السائح بالرضا.
- البيئة المادية (physicale vidence): ونعني به كل ما يحيط بالسائح من تفاصيل صغيرة تؤثر عليه من ديكورات أو أثاث أو مفروشات وألوانها، مما يكون له تأثير على طلبه للخدمة السياحية مرة أخرى.

ثانيا: التسويق السياحي الإلكتروني:

في إطار التوجه التسويقي الحديث والفلسفة الفكرية الجديدة نحو المستهلك، زاد اهتمام المنظمات الحديثة بضرورة دراسة السوق السياحي ومكوناته، فاعتمدت على الطرق الحديثة للتسويق السياحي وهذا من خلال توظيفها لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في استراتيجية التسويق السياحي وهو ما يسمى بالتسويق السياحي الإلكتروني، وهو من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في عالم التسويق الإلكتروني.

1. مفهوم التسويق السياحي الإلكتروني: "هو تسويق خدمة أو عرض أو برنامج سياحي عبر الانترنت ويعتبر التسويق السياحي الإلكتروني الأكثر تحقيقا في الأهداف والأقل في التكلفة من الوسائل التقليدية الأخرى مثل: المقروءة والمرئية والسمعية¹.

2. مميزات التسويق السياحي الإلكتروني: وتتمثل في²:

- انخفاض أسعار المنتجات السياحية التي يتم تسويقها عبر الانترنت مقارنة بالسلع الأخرى المباعة.

¹. فاطمة الزهراء أونيس، مرجع سبق ذكره، ص 72.

². سليمة بوعوبنة، مرجع سبق ذكره، ص 57.

- يمنح التسويق السياحي الإلكتروني المستهلكين الفرصة لإجراء مقارنات لسعار الخدمات السياحية قبل شرائها بشكل أفضل وأسرع.

- يساعد على التغلب على الحواجز الجغرافية حيث تمكن المستهلكين من معرفة المتاح في الأسواق من منتجات وخدمات سياحية داخليا وخارجيا.

- تظهر أهمية التسويق السياحي الإلكتروني من خلال المنافع الضخمة التي يوفرها سواء لمقدمي الخدمات السياحية، أو للسائحين أنفسهم، والتي تساهم في تجاوز الحواجز التقليدية في المعاملات السياحية النمطية.

3. أهم الطرق المعتمدة في التسويق الإلكتروني ومتطلبات التسويق السياحي الفعال:

أ. أهم الطرق المعتمدة في التسويق الإلكتروني: وتتمثل في¹:

- التسويق الإلكتروني عن طريق محركات البحث: وهي تعتبر من أهم الطرق للحصول على زوار لأي موقع، فهي تعتمد على عدة معطيات منها: كثافة الكلمة المفتاحية، طريقة تصميم الموقع وطريقة ربط الصفحات داخل الموقع، معدل تحديث محتويات الموقع...

- التسويق من خلال الإعلانات: وفيه تصنف مواقع الويب إلى فئتين: المواقع التي تباع الخدمات الإعلانية والمواقع التي تشتري الخدمات الإعلانية.

- التسويق باستخدام الرسائل الإلكترونية: وهو يعتبر من أشكال التسويق المباشر، وهو وسيلة لإيصال الرسائل إلى الجمهور، فهو يهدف إلى تحسين العلاقة مع الزبائن وتشجيع التواصل ورفع مستوى الولاء ومستوى الشراء أو حتى الحصول على زبائن جدد عن طريق الإعلانات المرفقة بهذه الرسائل.

ب. متطلبات التسويق السياحي الفعال: وتتمثل في²:

- الاهتمام بتقديم وعرض البرامج السياحية بشكل جذاب يلفت انتباه مستخدمي شبكة الانترنت واثارتهم لشرائها.

- الاهتمام بتدريب العاملين في شركات السياحة ووكالات السفر والشركات الفندقية على كيفية استخدام شبكة الانترنت في الترويج السياحي لتحقيق الأهداف التسويقية السياحية بأعلى مستوى ممكن من الكفاءة وأقل تكلفة

- ضرورة التغلب على مشكلة المدفوعات التي تتم عن طريق بطاقات الائتمان حتى لا تنهار التجارة الإلكترونية.

¹. أونيس فاطمة الزهراء، نفس المرجع، ص 73.


². أونيس فاطمة الزهراء، نفس المرجع، ص 74.

الاهتمام بتخطيط وتصميم الموقع على الانترنت بشكل يساعد على إبراز الصورة السياحية بشكل جيد، والتي تتمثل في:

- الصور: فهي توفر للسائح تجربة بصرية قوية.
 - الفيديو: يعطي معلومات قيمة للسائح.
 - خرائط google وقوائم yahoo للأعمال: فالاشتراك بهم سيضع ملك في صدارة نتائج البحث.
 - المدونة والمقالات: كتابة المحتوى وانتاج كمية كبيرة من المعلومات الغنية بالكلمات الدلالية ستفيد السائح في عملية البحث.
 - المواقع الاجتماعية : الفيسبوك وتويتر وغيرها.
 - التسويق بالبريد الإلكتروني: ذلك بإرسال نشرات إخبارية للأفراد المهتمين بالسياحة وكذا الأصدقاء وتشجيعهم للقيام برحلات سياحية.
 - يجب تحديث البيانات والمعلومات التسويقية السياحية باستمرار على شبكة الانترنت.
- إن التسويق الإلكتروني بفاعليته الكبيرة يساعد في تعزيز مجموعة الأنشطة السياحية القابلة للتطوير في الأسواق العالمية والإقليمية والمحلية.

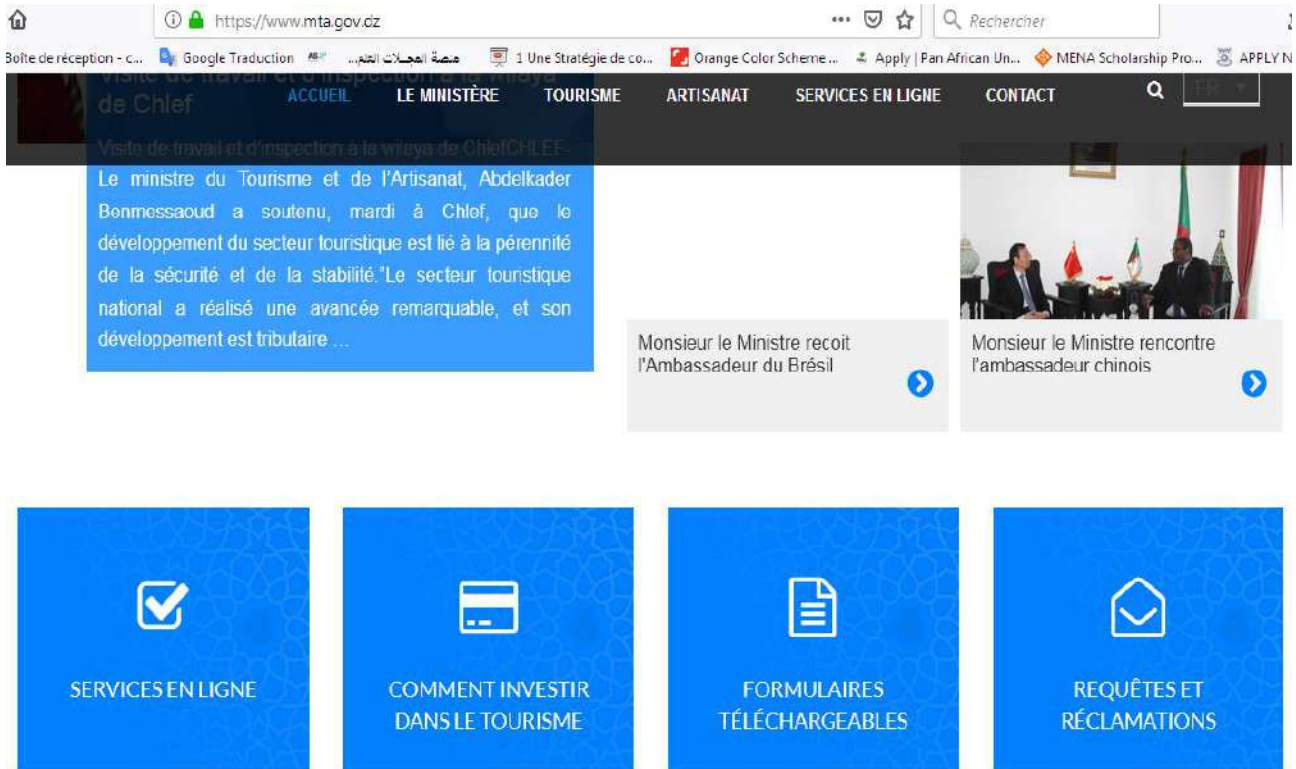
ثالثا: تحليل مضمون موقع وزارة السياحة والصناعات التقليدية الجزائرية: تحليل المعطيات البيانية والإحصائية للموقع الإلكتروني الجزائري التسويقي وزارة السياحة و الصناعات التقليدية من خلال موقع Hypestat :

معلومات حول موقع وزارة السياحة والصناعات التقليدية:

معلومات	
اسم الموقع	وزارة السياحة و الصناعات التقليدية
الشعار	
الموقع الجغرافي	119 شارع ديدوش مراد، الجزائر العاصمة، الجزائر
النشاط	خدمات تسويقية و ترويجية سياحية
موقعها الإلكتروني	www.mta.gov.dz
موقع ال IP	37.187.137.67
قيمة الموقع	\$ 1.355.60
الترتيب العالمي للموقع	483 حسب ترتيب Alexa العالمي

الجدول 01: معلومات حول الموقع الإلكتروني وزارة السياحة و الصناعات التقليدية (مصدر المعلومات Hypestat، 2019/02/18).

المحور الأول: الخدمات التسويقية لموقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية



The screenshot shows the homepage of the Ministry of Tourism and Handicrafts of Algeria. The navigation menu includes: ACCUEIL, LE MINISTÈRE, TOURISME, ARTISANAT, SERVICES EN LIGNE, and CONTACT. The main content area features a news article about the Minister's visit to Chlef and two news items: 'Monsieur le Ministre reçoit l'Ambassadeur du Brésil' and 'Monsieur le Ministre rencontre l'ambassadeur chinois'. At the bottom, there are four blue buttons for services: 'SERVICES EN LIGNE', 'COMMENT INVESTIR DANS LE TOURISME', 'FORMULAIRES TÉLÉCHARGEABLES', and 'REQUÊTES ET RÉCLAMATIONS'.

1- نوعية الخدمات المقدمة و مجالها :

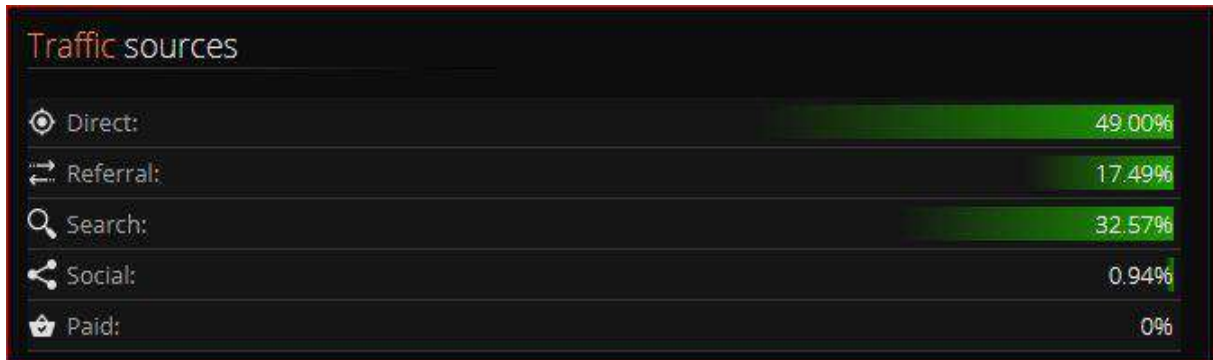
يتضح من خلال موقع الرسمي لوزارة السياحة والصناعات التقليدية أنه يعرض مختلف الخدمات السياحية سواء للزبون السائح أو الزبون المستثمر وهذا من خلال نوافذ إلكترونية تسمح للمستثمر بالاطلاع على الاجراءات والتسهيلات المقدمة وكذلك للزبون بحجز رحلته واختيار وجهته. علما أن الموقع مقسم بين جزئين الخاص بالسياحة والخاص بالصناعات التقليدية وبذلك فالاستثمار هنا يكون للمجالين، هذا التنوع يساعد على جذب زبائن محتملين مهتمين بالصناعات التقليدية و بذلك الترويج للجانب السياحي.



156

لا يحقق الموقع حسب موقع Alexa ترتيبا ذو دلالة يمكنه من تحقيق تصنف عالمي. كما أنه لا يستحوذ على عدد كبير من الزوار ما يجعله يحقق فقط 5-6.4% من الانترنت العالمي. و هي نسبة قليلة جدا بالنسبة إلى وزارة تختص بالمجال السياحي .

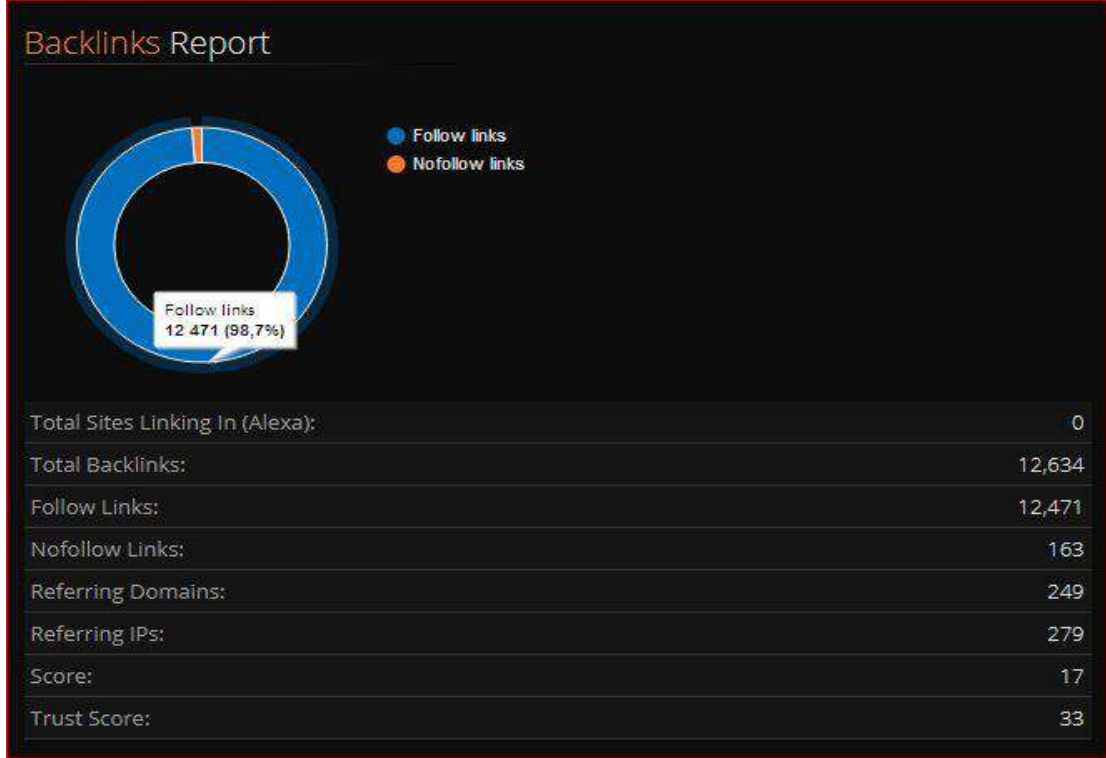
2- مصادر الوصول إلى الموقع:



من خلال المعلومات الإحصائية الواردة أعلاه يتضح أن أعلى نسبة تقدر بـ 49.00% يعود الفضل لتصفح الموقع إلى الاتصال المباشر بموقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية و بذلك يمكن القول أن متصفح الموقع يعرفون عنوانه ما يجعل البحث مباشرا ، رغم ذلك فالموقع بحاجة إلى ترويج على المواقع الأخرى للبحث لأنه أمر

ضروري أثبتته نسبة الدفع 0 و مواقع التواصل ب 0.94% رغم أن للموقع صفحة فيسبوك لكن لم يكن هناك إحالة من صفحة الفايسبوك إلى الموقع بالكم الكافي الذي يحدث فرقا في النسب.

3- الروابط الاتصالية للموقع:

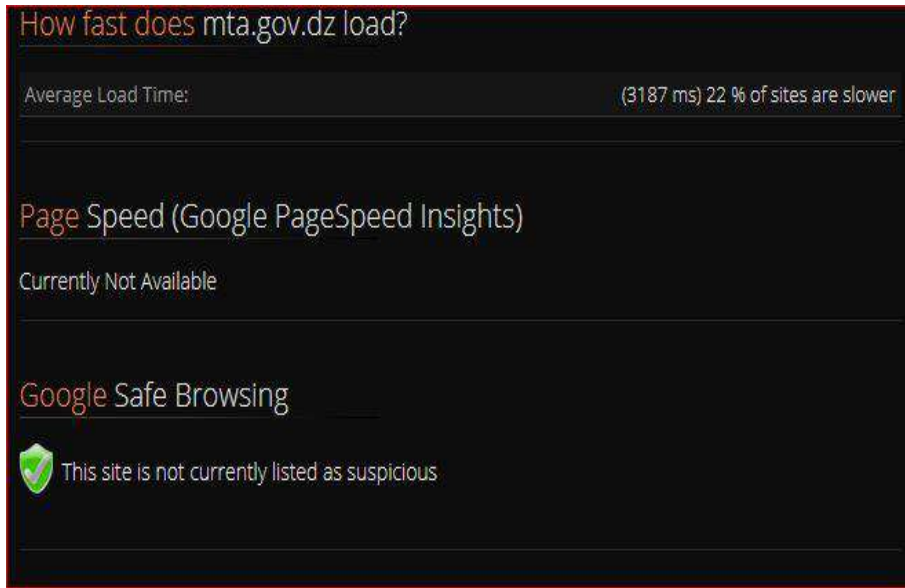


من خلال البيانات المعروضة يتضح أن توسع الموقع الإلكتروني راجع لمجموعة الروابط الخلفية التي يجوزها فالموقع يعتمد على تصفح الآخرين لبعض المواقع ما يسمح بظهور معلومات عن موقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية وعدد تتبع الروابط يقدر ب 12.634 بعدد 12.471 رابط متتبع بينما عدد الروابط الخلفية الإجمالي 0 وهذا دليل على أن الموقع لا يقوم بالترويج لنفسه عبر مواقع أخرى، و تتنوع هذه الروابط حسب مجالاتها إلى 249 مجال ما يسمح لموقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية بجذب أكبر عدد ممكن من الزوار.

المحور الثاني: نوعية الخدمة واستقطاب موقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية للمعلنين

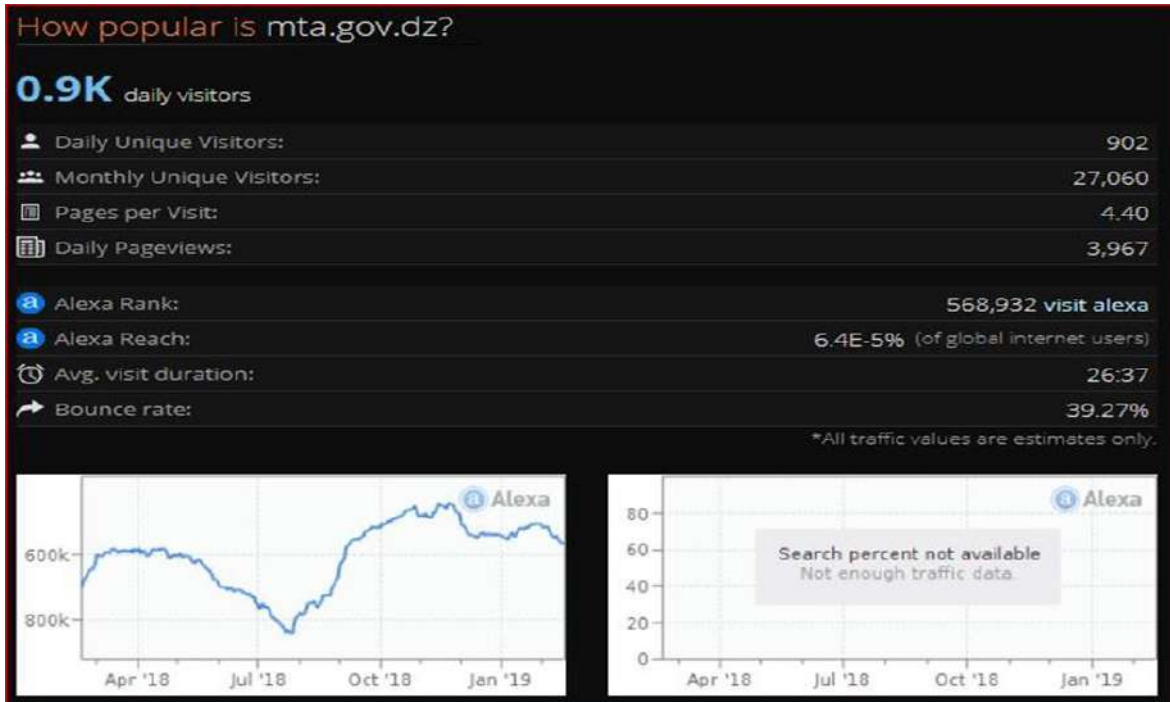
والمستهلكين

4- تأثير سرعة التدفق على نوعية الخدمة التسويقية الإلكترونية:



تعد سرعة تدفق المعلومات في موقع الإلكتروني أحد أهم العوامل في التصفح و المتابعة الدائمة للموقع التسويقي وتحقيق الأهداف المسطرة بذلك. من خلال الأرقام المبينة في إحصاءات الموقع فان سرعة الموقع بالنسبة للمستخدم تقدر بـ 22 % و هو من بين 22 % من المواقع أقل سرعة في العالم، و لهذا يجب أن يعمل الموقع على هذه النقطة من خلال الشراكة مع الشركات الاتصالية بالجزائر و موزعي الانترنت.

5- الانتشار والشعبية:



تعرض البيانات أهم العناصر المثبتة لمدى شعبية الموقع و هي عدد زوار الموقع يوميا و الذي يقدر ب 902 زائرا و 27.060 شهريا . ليس هذا فقط ما يثبت صيت و سمعة الموقع فقط بل كذلك المعلومات حول مدة التصفح والذي بلغ متوسط المدة 26:37 دقيقة و هي مدة فعلا مطولة مقارنة بباقي المواقع.

أما بالنسبة للرسومات البيانية فهي توضح تذبذب مكانة الموقع حسب التصفح أين تراوح عدد المتصفحين من بداية شهر فيفري 2018 إلى غاية بداية شهر جويلية 2018 ما يقارب 600 ألف متصفح في شهر جانفي إلى 800 في شهر جويلية ويعود ذلك إلى خصائص المواقع الإلكترونية والمنافسة الإلكترونية الذي يشهدها العالم اليوم.

إن شهرة وشعبية الموقع يؤثر على العائدات المالية له وهذا ما سترهمن عنه الإحصاءات الخاضعة للتحليل القادمة.

6- متبقي وزوار الموقع:

Rank	Pageviews%	Users%	
Algeria	4295	97.8%	
Where do visitors go on this site?			
	PerUser	Pageviews%	Reach%
mta.gov.dz	1.7	24.98%	74.62%
portail.mta.gov.dz	8.6	71.66%	43.08%
mail.mta.gov.dz	2	3.36%	9.62%

الهدف من هذا الجدول هو معرفة ترتيب الموقع من حيث التصفح عند كل بلد و عدد المستخدمين فيه. يمثل الجزائريون المتصفحون الوحيدون للموقع . كما توضح الإحصاءات المواقع التي يتصفحها المستخدم والتي لها علاقة بالسياحة.

إن الهدف من المواقع الإلكترونية هو جذب الزبائن الذين لا يستطيعون الوصول إلى المعلومات أو المنتج النهائي والمتمثل في الخدمة السياحية هنا والتي لها جملة من الخصائص تجعل التكنولوجيا والصورة الوسيلة الوحيدة للترويج لها لذلك فاستقطاب متصفحين جدد لجعل هذا الموقع عالمي يجب أن يدخل ضمن الأطر الاستراتيجية للأهداف طويلة المدى للموقع.

7- التنافسية التسويقية (المنافسين):

بما أن المواقع الإلكترونية التسويقية دخلت حيز الاستخدام أيامنا هذه فأى شركة تسويقية إلكترونية تعاني من المنافسة حيث تشير إحصاءات Hypestat أن ليس للموقع أي منافس هذا لا يشكل أي فرق لأنه موقع ناشئ كما يهمل الموقع الترويج له عبر مواقع التواصل الاجتماعي و التي ستحدث فعلا الفرق المنافسين .

المحور الثالث: العائدات المالية و مداخيل موقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية التسويقية

8- مصادر الموقع المالية:

How much mta.gov.dz can earn?	
Daily Revenue:	\$3.49
Monthly Revenue:	\$104.70
Yearly Revenue:	\$1,273.85
*All earnings values are estimates only.	

تقدر عائدات الموقع المحتملة بـ 104.70 دولار يوميا و يشير الموقع الإحصائي إلى أن هذه الإحصاءات ليس متبناة من موقع وزارة السياحة و الصناعات التقليدية لكن من إحصاءات احتمالية لموقع hypestat، وبهذا فهي عائدات سنوية قدرت بـ 1.273.85 دولار. نستنتج من ذلك أن مداخيل المواقع التسويقية ليست كبيرة مقارنة بتكاليف الإنتاج أو العمل .

9- خسائر الموقع:

How much money do mta.gov.dz lose due to Adblock?	
Daily Revenue Loss:	\$0.17
Monthly Revenue Loss:	\$5.24
Yearly Revenue Loss:	\$63.72
Daily Pageviews Blocked:	194
Monthly Pageviews Blocked:	5,820
Yearly Pageviews Blocked:	70,805
*All earnings values are estimates only.	

بعد الإشارة إلى الأرباح المحققة فيجب التنويه إلى الخسائر التي يتكبدها الموقع نتاجا للحجب سواء حجب المواقع أو سوء الاستخدام والذي يخصص الموقع جزءا من مساحته الإلكترونية له، ويتكبد الموقع ما يساوي 0.17 دولار يوميا و 194 حجب يوميا لسوء استخدام مبلغ عنه . إن هذه الخسائر تؤثر على عدد الزوار لكنه من جهة أخرى يحافظ على صورته ومصداقيته ما يجعل عامل الثقة الذي يجب أن يتوفر في الأسواق الحقيقية موجودا في العالم الرقمي أيضا.

خاتمة ونتائج الدراسة:

إن هذه الدراسة اهتمت بالوظيفة التسويقية الترويجية للتكنولوجيات الحديثة و بالتحديد المواقع الناشئة بالجزائر لتحقيق احتياجات المستهلكين من جهة و أهدافها الربحية من جهة أخرى و تم ذلك من خلال استمارة تحليل توصلت نتائجها إلى جملة من النقاط الرئيسة و التي نلخصها فيما يلي :

إن الخدمات التسويقية لموقع وزارة السياحة والصناعات التقليدية تعد العامل الأول لتحقيق لأهدافها المسطرة خاصة في إطار تنوع الخدمات السياحية، بالإضافة إلى مصادر الوصول إلى الموقع فكلما كان هناك مصادر للولوج إليه زاد تحقيق إشباع للمستهلك، وتعدد المصادر دليل على تعدد الروابط الاتصالية للموقع. ويعد موقع وزارة السياحة والصناعات التقليدية موقعا ناشئا ليس لحداثته ولكن للتحديثات المتعددة للموقع لذلك فهو لا يستقطب معلنين ومستهلكين كثير.

أثرت سرعة التدفق على نوعية الخدمة التسويقية الإلكترونية حيث يواجه الموقع بعض الصعوبات في تحميل كل الإعلانات به و هذا راجع إلى الشركات الاتصالية المزودة للأنترنيت بالجزائر، كما نلاحظ عدم اهتمام واضح لتحقيق إيرادات مالية من خلال الشركة التي تعرض إعلاناتها على الصفحة ما يجعل قيمة الموقع حاليا جد متدنية.

من خلال كل ما تم الإشارة إليه يظهر جليا دور المواقع الإلكترونية في التسويق السياحي الحديث المنفتح على كل المستهلكين و الذي يخضع لخصوصية كل زبون بما يسمح بالسيالة بين العرض و الطلب و بتسهيلات لا توجد في السوق التقليدي السياحي.

المراجع:

1. سماعيني نسبية، دور السياحة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، مذكرة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة وهران، 2013/2014.
2. عميش سميرة، دور استراتيجية الترويج في تكيف وتحسين الكلب السياحي الجزائري مع مستوى الخدمات السياحية المتاحة خلال الفترى 1995 - 2015، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، 2015.
3. شليغم غنية ،جلولي رضا سيف الدين ، التوجيهات الحديثة في إدارة السياحة ودورها في تطوير وتحسين أداء الخدمات السياحية: التسويق السياحي الإلكتروني نموذجا، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد العاشر(10) 2017.
4. أونيس فاطمة الزهراء ، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب دراسة حالة ولاية بشار أنموذجا، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة وهران 2 ، 2015/2016.
5. بوعويبة سليمة، متطلبات تفعيل التسويق السياحي لتنمية السياحة في الجزائر، مجلة جديد الاقتصاد، عدد رقم 11 ديسمبر 2016.
6. العلمي إيمان، واقع التسويق السياحي في الجزائر وآفاق تطوره دراسة حالة ولاية قسنطينة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، رسالة الماجستير، 2012/2013.
7. شنيبي عبد الرحيم، دور التسويق السياحي في إنعاش الصناعة التقليدية والحرفية دراسة ميدانية حالة مدينة غرداية، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2009/2010
8. <https://www.definitions-marketing.com/definition/marketing-touristique/> consulter le:11.03.2019, 15:08

دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي

منماني مباركة	مصباحي سناء	مصباحي العطرة
جامعة سكيكدة	جامعة سوق أهراس	جامعة سوق أهراس

ملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع "دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي"، واعتمدت هذه الدراسة التحليلية على وصف وتحليل أهم الأدوار التي يمكن أن تضطلع بها وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي لدى أفراد المجتمع.

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف والكشف عن مدى مساهمة وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي لدى أفراد المجتمع من خلال تزويدهم بمختلف المعلومات والمعارف السياحية، والبحث عن مدى تأثيرها وقدرتها على إكسابهم اتجاهات إيجابية تجاهها، وفي هذا السياق نطرح إشكالية بحثنا كما يلي:

كيف تساهم وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي لدى أفراد المجتمع؟

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، الوعي السياحي، تنمية، الدور.

مقدمة

إنّ عنصر الوعي السياحي هو مؤثر فاعل في عملية ترويج السياحة في أي منطقة من العالم، فهو عامل مهم في توسع الأفق السياحي لدى السكان في كيفية التعامل من قبلهم مع السائح المحلي أو الأجنبي الذي يروم التعرف على الظواهر السياحية والتمتع بالمناظر الطبيعية التي قد تشتهر بها مدينة عن مدينة أخرى، كذلك للتعرف على تاريخ الشعوب من خلال المناطق والشواهد التاريخية والأثرية. ونحن اليوم نلاحظ كثرة الشواخص والأماكن التاريخية والأثرية والدينية والظواهر الطبيعية ذات الطابع السياحي والإستجمامية منها والعلاجية.. إذ تتنوع في بلدنا الظواهر السياحية والتي بالإمكان استثمارها باتجاه الجانب السياحي لتكون رافداً آخر للاقتصاد الوطني. إن تحقيق علاقة التوازن بين الإنسان والسياحة لا بد أن يمر عبر قناة التوعية، هذه الأخيرة التي من أبرز أهدافها توجيه سلوك الأفراد للتعامل بصورة إيجابية ورشيده مع السياحة.

فقد أضحى السبيل الأمثل والكفيل بمعالجة مختلف القضايا المتعلقة بالسياحة تمتع أفراد المجتمع بوعي سليم، والوعي السياحي ليس موضوعاً إنشائياً فقط، بل هو سلوك فردي و مجتمعي حيث يتمثل في ممارسة تصرفات متحضرة وأساليب حياتية عصرية، فهو يبدأ وينتهي بثبات حس خاص ومجتمعي شامل بأهمية المواطنة الصالحة

وارتباطها المصيري بما يحدث للبيئة السياحية من حولنا، ولا يتحقق وعي الأفراد إلا من خلال التوجيهات والنصائح التي تقدم له والتي يتلقاها من قبل مختلف مؤسسات المجتمع. و يعد الإعلام في الوقت الراهن من أهم المصادر التي تسهم بشكل فعال ومباشر في تنمية الوعي السياحي لأفراد المجتمع وتوجيه سلوكياتهم للتعامل بشكل إيجابي و سليم من شأنه أن يحافظ عليها و يسهم في حمايتها وتطويرها. وعليه ركزنا في هذه الدراسة على الدور الذي يمكن أن تضطلع به وسائل الإعلام - باعتبارها من أهم مؤسسات الاجتماعية - في تنمية الوعي السياحي لأفراد المجتمع.

أولاً: وسائل الإعلام

لقد قاس بعض العلماء و الباحثين تطور المجتمعات من خلال تطور وسائل الإعلام فيها بالرجوع إلى التفسير الإعلامي للتاريخ، على غرار التفسير المادي والتفسير السيكولوجي في إطار ما يعرف بدراسة عمليات التحول التي شهدتها المجتمعات ، وأيضاً وسائل الإعلام الحديثة عبر العصور التاريخية وكيف ارتبطت هذه التطورات مع بعضها البعض¹. فقد شهدت وسائل الإعلام تطوراً كبيراً، خاصة في السنوات الأخيرة، مما جعل العديد من الباحثين في مجال الإعلام يتفقون على أن هذا الأخير بوساطة الوسائل الإعلامية لا يخرج عن كونه عملية يتم بموجبها بث أعداد كبيرة من الرسائل المعلوماتية والإخبارية والتفسيرية والترفيهية لأعداد ضخمة من الجمهور المتفاوت في العمر والخلفيات والجنس والمستوى الاجتماعي ومنتشر في مواقع متباعدة جغرافياً . فالإعلام عموماً هو تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق والأخبار الصادقة بقصد معاونتهم على تكوين رأي عام سليم ومتوازن إزاء مشكلة من المشاكل، ودوره يبقى نقل صورة الشيء لا إنشاء هذه الصورة، أما عملياً فإن الإعلام يستخدم للتأثيرات الانفعالية على الأفرادⁱⁱ، كما أن التطورات الهائلة في حقل الإعلام جعلت وسائل الاتصال الجماهيري تقوم بصناعة الأحداث والأخبار ، ولا تكفي بتقديمها فقط ، إلى جانب أنها تستطيع صناعة صورة عن الواقع ليس حتماً أن تكون متوافقة كلياً أو جزئياً مع الواقع الحقيقي.

1- وظائف وسائل الإعلام:

عندما نسأل شخص ما لماذا تقضي الكثير من الوقت في التعرض لوسائل الإعلام؟ نلاحظ أن معظم الأفراد سيردون بالإجابة التقليدية وبدون تردد نحن نتعرض لوسائل الإعلام من أجل المعلومات أو من أجل الترفيه أو من أجلهما معا ومثل هذه الإجابات تعد مبسطة وغير واقعية، فوسائل الإعلام تلعب دوراً أكثر تعقيداً لمعظم الناس في معظم الأوقات فنحن نستخدم وسائل الإعلام لأغراض متنوعة كل غرض منها يحدد قائمة التوقعات التي تختار من خلالها الوسيلة في الوقت المعين وعند التفكير في وظائف وسائل الإعلام بالنسبة للفرد يجب أن نتذكر أن الدليل على إثبات معظم هذه الأغراض ليس قويا وبالرغم من حقيقة أننا نستخدم وسائل الإعلام لأغراض عديدة، إلا أن الدراسات العلمية السابقة أثبتت الدليل لعدد قليل نسبياً من هذه الأغراض وتبدو الوظائف التي أثبتت البحوث تواجدها مرتبطة بعضها ببعض ومتداخلة ومتشابكة ويمكن تحديد وظائف وسائل الإعلام للفرد في سبع وظائف أساسية: مراقبة البيئة أو التماس المعلومات، تطوير مفاهيمنا عن الذات، بديل للتفاعل

الاجتماعي، المساعدة في التحرر العاطفي، المساعدة في الهروب من التوتر والاضطراب، خلق طقوس يومية تمنحنا الاحساس بالنظام والأمن.

أما بالنسبة لوظائف وسائل الإعلام للمجتمع فمن الصعب أن نتخيل وجود المجتمع الحديث بدون وسائل الإعلام كذلك فإن وسائل الإعلام لا يمكن أن تدار بكامل طاقتها بدون المجتمع الحديث ومن الصعب أن نقرر أيهما السبب وأيهما الأثر بمعنى هل المجتمع الحديث يؤدي إلى وجود وسائل الإعلام الحديثة أم العكس؟ وهذه النقطة الجدلية ليست مهمة وإنما المهم هو أن نفهم كيف يخدم كل منهما الآخر وما هي الوظائف التي يقدمها كلاهما للأفراد فيلاحظ المتابع للدراسات الإعلامية أنه لا يوجد اتفاق أساسي حول وظائف وسائل الإعلام في المجتمع وكثيرا ما يتم الخلط بين الوظائف والتأثيرات بينما تقسم الوظائف بالدور العام الذي تؤديه وسائل الإعلام نجد أن التأثيرات هي نتائج وتحديد لهذه الأدوار العامة وسوف نعرضها فيما يلي:

- وظيفة المراقب: وذلك لاستكشاف الآفاق واعداد التقارير عن الأخطار والفرص التواجه المجتمع.
- الوظيفة السياسية: وتتم من خلال المعلومات التي تتيح اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة والقرارات القيادية وإصدار التشريعات.

- التنشئة: وذلك من خلال تعليم أفراد المجتمع الجدد المهارات والمعتقدات في المجتمع.
وهناك من يحددها في:

- الإعلام: ويعني نشر المعلومات الخاصة بالوقائع والأحداث التي تقع داخل المجتمع وارجح وتحديد اتجاهات القوى الفاعلية والعلاقات بينهما وتسهيل عملية التحديث والتقويم من خلال التعرف على المستجدات في التجارب الأخرى.

- تحقيق التماسك الاجتماعي: وذلك من خلال الشرح والتفسير والتعليق على الأفكار والأحداث والمعلومات، ثم تدعيم الضبط الاجتماعي والمعايير الخاصة به وكذلك التنشئة الاجتماعية ودعم الإجماع حول القضايا والمواقف المختلفة.

- تحقيق التواصل الاجتماعي: وذلك من خلال التعبير عن الثقافة السائدة والكشف عن الثقافات الفرعية والثقافات النامية ودعم القيم الشائعة.

- الترفيه: ويتمثل في تقديم التسلية وتهيئة الراحة والاسترخاء والقضاء على التوتر الاجتماعي.

- التعبئة: وتتمثل في المساهمة في الحملات الاجتماعية وبصفة خاصة في الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

- التسويق: وهدفه ترويج السلع والخدمات.

- الرقابة على مصالح المجتمع وأهدافه.

أما عن استخدامات وسائل الإعلام فقد رأى شرام أن استخدامات وسائل الإعلام على مستوى جماهيري من قبل المتصلين تتمثل فيما يلي:

- استخدام الاتصال للمساهمة في الشعور بالانتماء للأمة.
- استخدام الاتصال ليكون صوتا للتخطيط القومي ومعبرا عنه.
- استخدام الاتصال للمساعدة في تعليم المهارات للأفراد.
- استخدام الاتصال لتهيئة الناس لتأدية أدوار جديدة تتلاءم مع خطوات الخطة القومية.
- استخدام الاتصال لتهيئة الناس للعب أدوارهم كأمة بين الأمم الأخرى.
- استخدام الاتصال للمساعدة في توسيع السوق.

ويرى لي ثاير (Lee Thayer) أن استخدامات الناس لوسائل الإعلام وكيف يتعاملون معها تتمثل في:

- تزويد الاس بأشياء يتحدثون عنها شكل لا يحتمل مواجهات أساسية مع الآخرين فيمكن للناس بعضهم مع بعض التحدث عن الأخبار والمشهورين بنفس الطريقة.
- أن الناس يجعلون وسائل الإعلام ومما تقدمه من حيث الأهمية كعنصر رمزي لتحديد طقوس واقعهم أو لتحديد الهوية الشخصية.
- الاستخدام الثالث لوسائل الإعلام استخدام أسطوري أي تقوم وسائل الإعلام بخلق الصفات لأسلوب الحياة والعمل على دوامها وأن الاستخدام الأسطوري لوسائل الإعلام لا يرتبط فحسب بمضمونها وعلى النقيض من ذلك يمكن للوسيلة والمضمون أن يكون لهما تأثيرهما معا.
- يستخدم الناس وسائل الإعلام بهدف امدادهم بخبرات متنوعة.
- هناك استخدامات أخرى محددة للوسائل الإعلامية فالبعض يستخدم التلفزيون كرمز للوضع الاجتماعي، والبعض الآخر يستخدم راديو الأذنين كوسيلة لعزلهم عن الناس واستخدام مكبرات الصوت أو زيارة المتحف للدلالة على الهوية أو استخدام الجريدة لهدف آخر غير القراءة مثل الأكل عليها أو لف القمامة بها، كما يستخدم البعض وسائل الاعلام كمصدر للمعلومات حول المشتريات والبعض يستخدمها لأهداف التسلية والبعض الآخر يستخدمها لأهداف التعليم، وهذه الأهداف لا تعني عدم تداخلها عند المرء إذ يمكن أن تكون استعمالات المرء لوسائل الإعلام تحقق لديه أكثر من هدف ولا تعني كذلك أن المرء يكون دائما واعيا باستخداماته لها .

2- مميزات وسائل الإعلام:

إن المؤسسة الإعلامية بمقدورها الوفاء بوظائفها ووظائف المؤسسات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوساطة وسائل الإعلام وفعاليتها في الوصول والتأثير بدرجات تفوق أدوات المؤسسات ووسائلها الأخرى في المجتمع، وفي الحقيقة فإن مؤسسات الإعلام أصبحت الحاضن الطبيعي لأنشطة المؤسسات الاجتماعية الأخرى، لأنها أصبحت أكثر حضورا في الحياة الاجتماعية³، والتي أصبحت تدار بدرجة كبيرة من قبل وسائل

الإعلام، هذه الأخيرة ساعدت على توحيد رؤية ومشاعر البشر للعالم وأحداثه القريبة والبعيدة ، وتمدد حواس الإنسان ومدركاته خارج نطاق الزمان والمكان بدرجة أصبحت معه التجربة الإنسانية غير محدودة الأبعاد⁴.

كما تلعب وسائل الإعلام دورا محوريا في بناء الخلفية المعرفية والثقافية للجمهور، حيث أن معاني وتفسيرات الواقع يتم بناؤها على أساس اجتماعي، وقد أصبح من الواضح أننا نتعامل وبشكل متزايد مع عالم لم نختبر نحن واقعه بأنفسنا، إنما نعتمد على وسائل، ولذلك فإن ما ندركه بالفعل ليس هو الواقع بالفعل حتما، وإنما صورة ممثلة عن الواقع. ولعل أحد السمات الأساسية لتحول الإنسان إلى عصر الجماهيري هو أن صلة الإنسان بصور من الواقع المادي والاجتماعي من خلال هذه الوسائل تفوق صلته كما وكيفما بالواقع الحقيقي الضيق المحيط به⁵.

كما تقوم المؤسسات الإعلامية بمهمة توجيهية إلى جمهور كبير ومتنوع من حيث الأفكار والاتجاهات والميول والانتماءات، وذلك بهدف التأثير عليهم بصورة أساسية ، وبالتالي تسعى إلى خلق تقارب بين مستويات هذه الجماهير ثقافيا واجتماعيا ، من خلال تكييف الرسائل وخصائص الجمهور .

وتؤدي وسائل الإعلام دورا هاما في تكوين الرأي العام المستنير الذي يستطيع أن يصل إلى إطلاق حكم على الأمور بشكل صائب ، حيث لن يتأتى له ذلك إلا من خلال توافر المعلومات الكافية حول أي قضية ، كما تستطيع أن تجعل الجماهير على وعي كامل بما يجري حولهم من تطورات في المجالات المختلفة ، ومن هنا كانت أهمية الإعلام في تنمية المجتمعات من خلال الأخبار الصادقة ، والآراء الجديدة الهادفة إلى تحقيق التقدم والرخاء للمجتمع⁶.

إن عملية الاتصال الجماهيري تتم في سياق خاص، يستند إلى خصائص المجتمع الذي تنشط فيه، والسياق في أي مجتمع من المجتمعات يشتمل على مجموعة من المتغيرات الشخصية والثقافية والاقتصادية والسياسية والإيديولوجية والقيادية، بالإضافة إلى البنية التحتية، ولذا فإن وسائل الاتصال يمكنها أن تكون فعالة في أي مجتمع حينما نأخذ في الاعتبار المتغيرات السابقة، علما أن هذه الوسائل تخضع في ممارسة نشاطها لمعطيات البيئة السياسية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية. إضافة إلى أن الأدوار الاستراتيجية لهذه الوسائل تختلف من مجتمع لآخر تماشيا مع المتطلبات الاجتماعية المنتظرة⁷.

ثانيا : الوعي السياحي

1- مفهومه: للتعرف على مفهوم الوعي السياحة ، يجب أولا الوقوف عند:

أ- مفهوم السياحة:

- لغة: يعني لفظ السياحة "التجوال"، وعبارة ساح في الأرض، تعني ذهب وسار على وجه الأرض (وسيحوا في الأرض قرآن كريم)⁸.
- اصطلاحا: السياحة ليست ظاهرة ولا نموذجا صناعيا بسيطا، بل هي نشاط انساني يحيط بالسلوك، واستخدام الموارد والتفاعل مع الآخرين⁹.

بذل الكثير من الباحثين محاولات عدة لتعريف السياحة كظاهرة مستقلة متميزة، وتعددت التعريفات والمفاهيم لها، كما تناولوا الجوانب المختلفة للسياحة (الاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، وتعرفها منظمة السياحة العالمية بأنها نشاط إنساني، وظاهرة اجتماعية تقوم على انتقال الأفراد من أماكن الإقامة الدائمة لهم إلى مناطق أخرى خارج مجتمعاتهم، لفترة مؤقتة لا تقل عن أربعة وعشرون ساعة، ولا تزيد عن عام كامل، لغرض من أغراض السياحة المعروفة ما عدا الدراسة أو العمل¹⁰.

والسياحة تعبر عن تلك العلاقة المؤقتة زمنيا بين إنسان ومكان، ولكل منها صفات خاصة، كما وأن هذه العلاقة لكونها مؤقتة زمنيا، تتميز بخواص معينة، تختلف عن العلاقة الممتدة زمنيا، والتي تعني الإقامة الدائمة والمستمرة. فالسياحة تفاعل حضاري اجتماعي ثقافي واقتصادي، بين أفراد يمضون فترة زمنية محدودة، وأن لهذا التفاعل آثار اجتماعية وثقافية واقتصادية، بعضها ايجابي والآخر سلبي.¹¹

- وتعد السياحة أحد الأنشطة الطبيعية المهمة للإنسان، وتتعلق بالحركة والتنقل، وقد يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد، ويتم الانتقال من مكان إلى آخر بغرض الترفيه، أو قضاء وقت الفراغ، أو لحضور المؤتمرات والمهرجانات، أو لقضاء الإجازات وللعلاج والاستشفاء، وزيارة الآثار والمتاحف، ولا يكون الغرض العمل أو الإقامة الدائمة.¹²

- أما علماء الاجتماع فينظرون إلى السياحة على أنها رغبة في التعرف على أنماط أخرى من العلاقات الاجتماعية، أو ثقافات وعادات وتقاليد لشعوب أخرى، ويرى البعض الآخر أن السياحة تعني الحركة الاجتماعية التي تتم إراديا أو اختياريا¹³.

- وتعد السياحة أحد أشكال قضاء وقت الفراغ، إلا أن الأساس الجغرافي أو المكاني يعد الاختلاف الأساسي بين السياحة والأشكال الأخرى، مثل تلك التي تمارس في المنزل بمشاهدة التلفزيون أو الذهاب إلى السينما، أو التجول في الحدائق، فيعتبر السفر عنصر أساسي للسياحة¹⁴.

ب- مفهوم الوعي: يشير الوعي لغة إلى المعرفة أو الإدراك والاحتواء، فوعي الشيء وعيا أي جمعه وحواه، ووعي الحديث فهمه وقبله وتدبره وحفظه ووعت الأذن أي سمعت ووعي فلان أي أنتبه من نومه أو من غفلته، ووعي الشيء أخذه كله، وواعى اليتيم أي حافظه، والوعي أي الشعور الظاهر في مقابل فقدان الوعي، فوعي أي حفظ وفهم.

و يعرف "الوعي" على أنه إدراك الفرد لنفسه والبيئة المحيطة به، وهو على درجات من الوضوح والتعقيد، والوعي بهذا المعنى يتضمن إدراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وإدراكه لخصائص العالم الخارجي، وأخيرا إدراكه لنفسه باعتباره عضوا في جماعة، في حين نجد علماء علم النفس يرون أن الوعي - ويطلقون عليه أحيانا " الشعور" - هو مجموع عمليات إدراك الفرد لنفسه والعالم الخارجي والاستجابة لها، وهو ينعدم عندما يكون الإنسان نائما أو في حالة إغماء. و يقابل الوعي اللاوعي أو اللاشعور.

بالمقابل يرى الباحثون في علم الاجتماع أن المقصود بالوعي هو إدراك الفرد لنفسه كعضو في جماعة، أما عبد الله بوجلال فإنه يشير إلى وجود مفهومين للوعي ينبغي التمييز بينهما¹⁵:

المفهوم الأول، الذي حصر الوعي في التبنّي السلي ل فكرة أو مجموعة أفكار يلقتها حاكم فرد أو حزب للمواطنين بالاستخدام لمكتشف لكل وسائل الثقافة والتعليم والإعلام مع حظر كامل على كمصدر لمعلومات مختلفة ورأي مخالف، فالتلقين على هذا النحو يظل عادة في مستوى الوعظ والإرشاد الذي لا يتأثر به إلا قلة من المواطنين. أما المفهوم الثاني للوعي، فهو إدراك المواطن في حرية بحقيقة قضايا المجتمع، الذي يعيش فيه واشتراكه في البحث على حلولها، وإبداء الرأي في ما يقترح من قرارات بشأنها الإسهام على مستويات مختلفة في صنع القرار النهائي ومتابعة تنفيذه، وهذا النوع من الوعي هو وعي المواطن الذي تحرر من القهر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والذي يمارس بالفعل دوره في صنع المستقبل بشعور كامل بالمسؤولية، إذا الوعي هو "إدراك الفرد لنفسه باعتباره عنصراً في جماعة ما، وكذلك للعالم الخارجي المحيط به والاستجابة له".

ج - الوعي السياحي: يعد مفهوم الوعي السياحي ضرورة لا غنى عنها لمختلف أفراد المجتمع لأنه يمثل الوسيلة الفاعلة التي تحقق الفوائد المرجوة من النشاط السياحي وهو يساهم إسهاماً فاعلاً في تنمية السياحة بشتى أنماطها وتحقيق أهدافها الإيجابية والتقليل من آثارها السلبية¹⁶.

ويعرف الوعي السياحي بأنه إدراك الفرد لمقومات الجذب السياحي سواء الطبيعية أو البشرية وفهمه لخصائص النشاط السياحي وأنواع السياحة، وتقييمه لفوائدها الاقتصادية وتقديره لمشروعات التنمية السياحية واحترامه للسائح وحسن معاملته وحفاظه على الثروات السياحية ومشاركته الإيجابية في النشاط السياحي¹⁷، كما يعرف الوعي السياحي بأنه إحساس المجتمع المحلي بعائد وقيمة السياحة بما ينعكس في المعرفة والفهم العميق للسياحة والحرص على المحافظة عليها والنظرة الواعية لحاضرها ومستقبلها مما يؤدي إلى اكتساب الأفراد للسلوكيات والعادات السوية في التعامل مع السائح¹⁸.

2- أهمية الوعي السياحي:

تكتسب السياحة صورة حسنة وجيدة لدى جميع الأفراد عند توافر الوعي السياحي وذلك لأنهم مدركين للأهمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدولية للوعي السياحي، ومدى الاستفادة التي تتحقق لأفراد المجتمع كنتيجة لازدهار العمل السياحي مما يدفع الأفراد إلى اتخاذ موقف إيجابي وفعال بالنسبة للسياحة وأنشطتها المختلفة، حيث يرتبط نجاح النشاط السياحي في أي دولة ارتباطاً وثيقاً بمدى ما يصل إليه الوعي السياحي من تطور ونمو، وللوعي السياحي عدة اهميات سنتطرق لأبرزها وهي:

- اقتصادياً: تعد السياحة من القطاعات الإنتاجية الهامة في اقتصاديات دول كثيرة سواء أكانت دولاً نامية أو دولاً متقدمة وكان اهتمام هذه الدول في النشاط السياحي مبنياً على مزايا اقتصادية حيث ثبت بالدليل القاطع أن النشاط السياحي يوفر مزايا اقتصادية كقطاع مركب من عدة نشاطات تتفاعل بالضرورة مع غيرها من النشاطات الاقتصادية في الدولة، لذلك تتجلى الأهمية الاقتصادية للوعي السياحي من خلال توفره من فوائد كزيادة الدخل

القومي وتدفق العملات الأجنبية وتوفير فرص عمل لعدد كبير من العمالة وخلق فرص استثمارية جديدة وغيرها من الفوائد التي تبرز بشكل مباشر أو غير مباشر .

- اجتماعيا: تبرز الأهمية الاجتماعية للوعي السياحي من خلال كون النشاط السياحي المخطط تخطيطاً علمياً متوازياً يؤدي إلى تعميق العلاقات الاجتماعية بين السائحين وأفراد المجتمع المضيف مما يشجع على التبادل الحضاري والعمل على حماية قيم المجتمع وتقاليد مع تشجيع الاختلاط الجيد بين السائحين والمواطنين لزيادة التفاعل والتبادل الحضاري بينهما مما يؤدي إلى بناء علاقات طيبة قائمة على التفاهم والاحترام والتعاون بين الأمم. لان من المعروف ان السائحين هم من بيئات متباينة ولهم عادات واتجاهات اجتماعية تختلف عن تلك الخاصة بدول الزيارة وبالتالي كل هذا يجعل الاختلاط بينهم وبين المجتمع المضيف أرضاً خصبة لنمو الاحتكاك الاجتماعي.

- دوليا: تعمل هذه الأهمية إلى تقوية العلاقات الدولية بين الحكومات المختلفة في بعض المجالات مثل اتفاقيات النقل السياحي ومنح التأشيرات والجمارك وغيرها التي تعد من أسس التعامل الدولي بين الدول بفضل السياحة¹⁹، لذا فإن تنامي الوعي السياحي في أي دولة سيعمل على إدراك أهمية السياحة كمجال من المجالات المهمة في تنمية العلاقات الدولية وبذلك تتزايد قاعدة التفاهم الدولي. مما ينعكس في السلوكيات الايجابية الجيدة تجاه السائحين الوافدين مما يؤدي إلى زيادة حركة السياحة الوافدة في تلك الدولة.

- ثقافيا:

إن النشاط السياحي يؤدي بشكل طبيعي إلى تعرف السائحين من البلدان المختلفة على ثقافات الشعوب التي تستقبلهم وتستضيفهم وكما أن أبناء هذه الشعوب يتعرفون على ثقافات وعادات السياح ولذلك تتقارب المسافة بينهم ما يعمل على دعم التراث الثقافي والإنساني واتساع الحلقة الثقافية على مستوى العالم²⁰.
لذا فان الأهمية الثقافية للوعي السياحي تتجلى عندما يدخل السائح في علاقات مع سكان المجتمع المزار وذلك بهدف التعرف على ثقافة وعادات وطريقة حياة ذلك المجتمع. أي أن السياحة توفر المعارف والخبرات والمهارات الثقافية المختلفة من خلال الاحتكاك الثقافي بين الضيف والمضيف وما تمده من معلومات ثقافية حول أي موقع من مواقع الجذب السياحي الثقافي.

ثالثا : دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي:

- لقد أدرك الإنسان على مر العصور كثيرا من التطور في حياته، وأصبحت له احتياجات متعددة كلما دخل في مضمار الحضارة قدما، فظهرت بعض الكماليات، وكأنها ضروريات، ولذا نجد أن نظرتة في أمور الحياة اختلفت عما كانت، وبدأ يبحث عن الراحة والمتعة والرفاهية، وذلك عن طريق احتكاكه بغيره من المجتمعات، وبدأت رغبته تظهر في زيارة الكثير من معالم الدنيا عن طريق السياحة.

- وفي العصر الحديث أصبحت مصطلحا يعبر عن مظاهر اجتماعية واقتصادية وثقافية، ذو أبعاد كثيرة، فتطورت السياحة وامت ، وأصبحت صناعة لها دور كبير في حل مشكلات كثيرة، فهي تعمل على إضافة مورد جديد حيوي للدولة، كما يعود لها الفضل في توطيد العلاقات الإنسانية والمعنوية بين شعوب دول العالم.

1- مساهمة وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي:

- وسائل الإعلام المسموعة والمرئية: و تعتمد على حاسي السمع و البصر عمدي الحواس الإدراكية ومنها التلفزيون والأفلام وأشرطة الفيديو ولها فاعلية فريدة في نقل كل ما هو متعلق بالسياحة، حيث تقدم لجمهورها من المشاهدين معلومات متكاملة معتمدة على الصور الحية المقترنة بصوتها الذي يضيف عليها مزيدا من الواقعية و يضيف عليها مزيدا من الواقعية و يزيد من قوة تأثيرها، وتعد الوسائل السمعية البصرية أحسن الأساليب الإعلامية و أكثرها تصديقا، و يشير الباحثين والنقاد إلى أن التلفزيون يبلغ ذروة الكفاءة الإعلامية عند تغطية الأحداث الهامة كإكتشاف مناطق أثرية ونقلها بطريقة فورية تتجاوز للمشاهدين حدود الزمان والمكان و بالتالي تساعد في بناء صور إدراكية ومعرفية تؤثر في اتجاهات الرأي العام والصفوة. كما أن السينما إحدى وسائل الإعلام الهامة، والتي يمكن أن تؤدي دورا هاما في مجال السياحة وتنمية الوعي تجاهها، من خلال ما تقدمه من أفلام في مناطق سياحية متنوعة فتكون كدليل للتعريف بها.

171

- الوسائل السمعية: وأهمها الإذاعة، وهي أكثر الوسائل انتشارا واستخداما للإعلام عن الكوارث والأزمات، وتعتبر أقلها تكلفة، حيث تعتمد على حاسة السمع في توصيل المعلومات والحقائق والأخبار المتعلقة بالسياحة، كما لها أثر قوي في الإيحاء وتكوين الصور الذهنية، ولقد أظهرت التجارب أن المواد السهلة والبسيطة التي يمكن تقديمها بالراديو يسهل تذكرها مما لو قدمت مطبوعة خاصة بالنسبة للأفراد ذوي مستوى تعليمي محدود.

- الصحافة المكتوبة: إن الاهتمام بنشر الوعي السياحي لدى الجمهور من خلال الصحافة اليومية مؤثر هام وإيجابي يساهم في خلق اتجاهات ومواقف تجاه السياحة. ولذا فإن تدخل الصحافة في نشر الوعي السياحي رسالة حضارية بالدرجة الأولى خاصة وأن الصحافة تحتل مكانة متميزة بين وسائل الإعلام.

- أكدت الدراسات العديدة التي أجريت في كل من الدول المتقدمة في الشمال والدول النامية في الجنوب للتعرف على مستوى الوعي السياحي السائد في هذه الدول ، أن وسائل الإعلام المقروء و المرئي و المسموع تلعب دورا مركزيا في تشكيل الوعي تشكيل الوعي السياحي لدى الجمهور العام سواء في مجال تزويده بالمعلومات الكاملة و الصحيحة عن المناطق السياحية ، أو في تشكيل الاتجاهات و المواقف تجاه هذه المناطق السياحية ، وأيضا في تحديد وتكوين مواقف على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية ، وهناك مجموعة من الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية تحدد الأدوار المتشابكة التي تقوم بها

وسائل الإعلام في مجال تشكيل الوعي السياحي بصورة صحيحة أو تزييف هذا الوعي ، وكذلك يتفاوت الدور الذي تقوم به كل وسيلة إعلامية في هذا المجال طبقا للقدرة على التأثير والفاعلية الذاتية التي تنفرد بها كل وسيلة إعلامية مقروءة كانت أم مرئية و مسموعة.

2- العقبات التي تواجه الإعلام في المساهمة في تنمية الوعي السياحي:

- **قلة الاهتمام الإعلامي بالسياحة:** في الحقيقة أن الإعلام لا يعطي السياحة ما يناسبها من الاهتمام، ويتمثل ذلك في قلة المساحات الصحفية المخصصة لذلك، وقلة عدد البرامج الإذاعية والتلفزيونية، مع ضيق مساحتها الزمنية وربما عدم الاستعانة بالمتخصصين في شؤون السياحة، وكذلك قلة المواقع الالكترونية المهتمة بالسياحة، وكذلك قلة عدد المحطات الفضائية والصحف المتخصصة المتهممة بشؤون السياحة بشكل عام.
- **غياب المهنية في تناول الإعلاميين:** ويتمثل ذلك بطريقة جلية في أن العلاقة بين الإعلاميين ومصادر المعلومات حول المناطق السياحية، لا تخضع لاعتبارات مهنية بقدر خضوعها لاعتبارات المصالح المشتركة أو المتبادلة.
- **عدم اهتمام المسؤولين بالسياحة:** من المؤسف أن بعض القائمين على وسائل الإعلام المختلفة لا يمتلكون رؤى وقناعات حقيقة بشؤون السياحة وأهميتها للجماهير.
- **عزوف الإعلام عن العمل في مجال السياحة:** يعد موضوع السياحة أحد الموضوعات المهمة، والتي تؤثر سلبا على الإعلام السياحي، ويمكن إيجاز الأسباب الحقيقية لعزوف الإعلاميين عن العمل في مجال الإعلام السياحي في ما يلي:
- إن تناول السياحة كمورد يتطلب الماما علميا متنوعا، لأن السياحة ذات أبعاد متداخلة مع الاقتصاد والتنمية والاجتماع والسياسة وغيرها، ولافتقار أغلب الصحفيين إلى ثقافة علمية فيبتعدون عن العمل في مجال الإعلام السياحي.
- عدم تشجيع القائمين على المؤسسات الإعلامية الصحفيين ودفعهم إلى الخوض في مجال السياحة، وعدم تخصيص صفحات في الجرائد أو برامج في الإذاعة والتلفزيون تهتم بشؤون السياحة، وانخفاض الأجور التي يمنحها عن الموضوعات والروبرتاجات التي تحتاج إلى جهد ومال كبيرين.

خاتمة:

الإعلام حلقة أساسية لبلورة وتشكيل الوعي حيال موضوع السياحة وتنميتها، لكن يجب أن تتظافر الجهود بداية من التربية والتعليم، وصولا إلى وسائل الإعلام الجماهيرية حتى يمكن في الأخير بلوغ الغايات والأهداف المنشودة وتحقيق سبل الإرشاد والوعي السياحي.

المراجع:

- 1- تيتي حنان: "دور وسائل الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الرأي العام"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2014، ص13.
- 2- أحمد بدر: "الاتصال الجماهيري بين الإعلام والتطويع والتنمية"، مصر، دار قباء للنشر والتوزيع 1998، ص 20.
- 3- الطويرقي عبد الله: "صحافة المجتمع الجماهيري"، مكتبة العبيكان، السعودية، 1997، ص88.
- 4 - المرجع نفسه، ص 101.
- 5 - المرجع نفسه، ص 101.
- 6- المرجع نفسه، ص 101.
- 7 - المرجع نفسه، ص 102.
- 8 - لولو عبد الغاني: "المعالجة لقضايا البيئة في التلفزيون الجزائري"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علوم اعلام واتصال، جامعة باجي مختار، عنابة، 2010/2011، ص135.
- 9 - المرجع نفسه، ص136.
- 10- المرجع نفسه، ص137.
- 11 - عبد اللطيف عابد، أحمد العابد أبو السعيد: "الإعلام و البيئة بين النظرية و التطبيق"، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2014، ص25.
- 12 - المرجع نفسه، ص 161.
- 13- لولو عبد الغاني: مرجع سبق ذكره، ص165.
- 14 - زهير عبد اللطيف عابد، أحمد العابد أبو السعيد: مرجع سبق ذكره، ص37.
- 15- المرجع نفسه، ص39.
- 16 - المرجع نفسه، ص40.
- 17- المرجع نفسه، ص ص41، 42.
- 18- خالد مصطفى قاسم: "إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة". الدار الجامعية، الإسكندرية 2007، ص81.
- 19- إبراهيم ناصر: "أصول التربية - الوعي الإنساني - ط1. مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، 2004، ص330.
- 20 - المرجع نفسه، ص 330.

دراسة قانونية حول واقع وآفاق القطاع السياحي الثقافي ودوره في خدمة التراث " بين التطبيق وضرورة التحديث "

الدكتورة: برني كريمة

جامعة قسنطينة منتوري _ قسنطينة 01

مقدمة:

إن زيادة الاهتمام بالتراث باعتباره إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها السياحة في كافة بلدان العالم، وشريانا حيويا للنمو الاقتصادي ولما لهذا القطاع من أثر بالغ في تنمية وبناء قاعدة متينة للاقتصاد الحيوي تنعش البلدان في مجال السياحة، كما أن الثقافة والتراث يرتبطان مع السياحة بعلاقة منفعة، يمكن من خلالها أن تعزز من جاذبية وتنافسية المناطق والوجهات السياحية مع البلدان الأخرى مع التأكيد على دور التراث في تنمية السياحة المستدامة، فالتراث كواحد من عناصر المنتج السياحي الأكثر أهمية يخلق وعلى نحو متزايد التميز في السوق العالمية⁽¹⁾، وفي الوقت نفسه تكون السياحة هي الوسيلة الحيوية المهمة لإزدهار الثقافة والتراث وتوليد الدخل، حيث يمكن أن تدعم وتعزز التراث والإنتاج والإبداع الثقافي كما ذكر في مقال لرئيس برنامج السياحة في منظمة التنمية الاقتصادية للإتحاد الأوروبي ريتشارد جريج: أن بناء علاقة تفاعلية قوية بين السياحة والثقافة يمكن أن تساعد المدن كي تصبح أكثر جاذبية وأماكن ذات قدرة أكبر على المنافسة وتدفع بالسائحين الإقبال عليها لغرض الزيارة والعمل وتشجيع الاستثمار⁽²⁾.

وتمتلك الجزائر تنوعا ثقافيا ومواقع تراثية معروفة جيدا، ومميزة عالميا، لكنها تواجه تحديات متنوعة منذ فترة طويلة تتمثل في إدارة تلك المصادر الثقافية، وأحد أهم التحديات الكبرى التي تواجه الجزائر هي كيفية حماية التراث الثقافي وتنمينه وتوظيفه في السياحة⁽³⁾ بمختلف أنواعها لتحقيق التنمية الشاملة.

وكما هو الحال، لأي تطور لقطاع حيوي فهو بحاجة ماسة إلى وجود منظومة قانونية قوية متطورة ومتكاملة منظمة للحراك التكنولوجي يتطلب تشريعات ونصوص قانونية مثل إصدار ترسانة من القوانين من بينها القانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي⁽⁴⁾ والذي ألغى الأمر 281/67، الذي جاء تماشيا مع التوجهات السياسية

(1) أنظر: _ زكريا بن مصطفى، السياحة و إنعكاسها الثقافية، ندوة، السياحة الثقافية شكل من أشكال الحوار الثقافي و الحضاري، تونس 23_24 أبريل 2003، ص 88.

(2) أنظر: _ حسن كفاي، رؤية عصرية للتنمية السياحية في دول النامية، القاهرة، هيئة المصرية للكتاب و التوزيع، 2008، ص 221.

(3) أنظر: خالد كواشي، مقومات و مؤشرات السياحة في الجزائر، مجلة إقتصاديات، شمال إفريقيا، عدد 02، شلف، 2010، ص 118.

(4) أنظر: _ قانون رقم 04/98 المؤرخ في 20 صفر 1419، ل 15 جوان 1998، يتعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، عدد 44.

ومحاولة لتحديث وإعطاء نظرة عصرية رغم النقائص التي تشوبه، ويساهم في ابتكار نماذج وأساليب جديدة في تنمية وإدارة مجال السياحي الثقافي ومن هنا كان لابد من وضع قاعدة تشريعية متينة تدعم الحماية القانونية الكفيلة لهذا المجال، وقد أصبحت الحماية القانونية لهذه السياحة الثقافية مطلباً ملحا في عصر العولمة والتكنولوجية الحيوية لمكانتها الروحية والمعنوية وقيمتها الاقتصادية فهي تشكل مرآة عاكسة لعقائد وعادات وتقاليد المجتمعات التي تكونت عبر حقبة زمنية طويلة نتيجة التفاعل الإبداع الفردي أو الجماعي مع التاريخ الاجتماعي والبيئة المحيطة بها، لذلك يجب محافظة عليها من الاندثار فيظل العولمة التي تحمل قيم وثقافات غريبة عن هذه المجتمعات ومن جهة، تعتبر هذه الدراسة أرضية تشارك ومجال التقاء بين القانوني والمؤرخ في عملية البحث والدراسة ولكل منها رؤية علمية فكرية تهدف إلى بناء المجتمعات والمحافظة على سيرها العادي سواء من خلال الدراسة والتحليل والتنظير والتطبيق⁽¹⁾، مما جعل التاريخ والقانون يشكلان مساران ملتقيان على مستوى التشكيل والدراسة والممارسة، من خلال اعتماد أحدهما على الآخر لتحقيق التكامل الهادف إلى البناء، وتحقيق الأهداف المرجوة⁽²⁾.

ومن أسباب إختيارنا لهذا الموضوع، ترجع أسبابه إلى معرفة مدى اهتمام الدول الوطن العربي والعالم ومنها الجزائر بالسياحة الثقافية من خلال سنها مجموعة من النصوص القانونية والتنظيمية لهيكله القطاع السياحي وإستحداث آلياته بسن قوانين لها علاقة بالتراث والتاريخ أما الأسباب الذاتية فإن التطرق لهذا الموضوع نابع عن رغبة ذاتية في معرفة الأسباب الحقيقية التي جعلت هذا القطاع الحساس لا يرقى إلى المصاف الدولي مقارنة بالضمانات القانونية المتوفرة وكذا ما تزخر به بلادنا من مواقع السياحية مع تعدد أشكالها، ولذا فإن الإشكالية التي يتمحور حولها موضوع المداخلة هي:

- ما مدى فعالية الآليات القانونية في تفعيل القطاع السياحي الثقافي لإستغلاله لخدمة التراث والاقتصاد معا؟
 - إلى أي مدى يمكن للتشريعات والقوانين الاستثمارية المعمول بها في الدول العربية لزيادة الاستثمار السياحي؟
 - وما هي أنجع السبل لاستغلال وتثمين التراث لخدمة السياحة ودورها الإيجابي على اقتصاد الوطني والدولي؟
 وللإجابة على الإشكالية المطروحة أعلاه، سنحاول تسليط الضوء على أهمية السياحة الثقافية والبديلة كمحرك رئيسي لتفاعلات التراث مع التنمية الاقتصادية والتراث كأحد أعمدة المضاربة للسياحة، إرتأينا تقسيم موضوع المداخلة إلى مبحثين أساسيين، حيث أخصص المبحث الأول الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وإبراز علاقتها بالتنمية، في حين أخصص المبحث الثاني الملامح الحماية القانونية للسياحة الثقافية لخدمة التراث والتنمية من خلال المبحث الثاني.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وإبراز علاقتها بالتنمية.

المبحث الثاني: الملامح الحماية القانونية للسياحة الثقافية لخدمة التراث والتنمية.

(1) أنظر: _ حسن كفاي، المرجع نفسه، ص 256 .

(2) أنظر: _ هدى سيف لطيف، السياحة النظرية و التطبيق، القاهرة، الشركة العربية للنشر و التوزيع، 2004، ص 302 .

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وأبعادها

تطورت السياحة الثقافية وامتدت إلى ميادين متنوعة وأصبحت صناعة قائمة بذاتها وشملت العديد من الأنشطة الإنسانية ماضيا وحاضرا ومستقبلا وإلحاق الثقافة بالساحة يندرج ضمن هذا الإطار التي وصلت إليه العلاقات الإنسانية في تفاعلها وتطورها المعولم من مكان والزمان، حتى ليسعنا القول مع الكاتب البريطاني في كتابه "شرق وغرب" ليس هناك شرق وغرب بل هناك كفاءة وعجز وتقدم وتخلف ففي دراسة أجريت في الولايات المتحدة تبين أن "الغنى والثقافي بات من أسباب السفر الرئيسي لمجموعة كبيرة من السياح الذي يحرصون على زيادة معارفهم⁽¹⁾، وفي هذا المبحث سندرس مفهوم السياحة الثقافية من خلال المطلب الأول، ثم نعرض لدراسة علاقة السياحة الثقافية بالتنمية من خلال المطلب الثاني.

المطلب الأول: مفهوم السياحة الثقافية

تعتبر السياحة الثقافية نوع من أنواع السياحة عاملها الأساسي هو وجود تراث ثقافي مادي وغير مادي وقد ازداد اهتمام الدول التي تزخر بتراث ثقافي بهذا النوع من السياحة نظرا لأثاره الإيجابية، فهي كل نشاط هدفه اكتشاف التراث الثقافي الموجود في المدن التاريخية، أي كل ما يستعيره المجتمع من ثقافة يعمل على التكيف معها حيث يصبح جزءا من الإرث الثقافي⁽²⁾، وهذا يعني أن هناك العديد من المجتمعات تستعير من ثقافات أخرى من خلال مختلف الرحلات السياحية بأنواعها والتردد على نفس المناطق وبالتالي تعمل على ضم هذه الثقافة إليها وتصنف ضمن تراثها، وبذلك تتضح العلاقة المتبادلة بين الثقافة والسياحة، فالثقافة تولد السياحة والسياحة تولد الثقافة.

كانت ترجع اרהاسات السياحة الثقافية إلى السفر الثقافي الذي كان قائما منذ العصور اليونانية القديمة عندما كان الكثير من الطلبة اليونان يحاولون دراسة تاريخهم فوجدوا أنفسهم ملزمون على زيارة المعالم التاريخية التي لا تزال تشهد عن الأحداث التي ميزت ماضيهم⁽³⁾. ومن بين هذه المعالم التي وصفت من طرف العديد من الكتب خلال رحلاتهم السياحية الثقافية والإكتشافية والتي أشاروا إليها في قصص وأدلة السفر والإرشاد السياحي مثل كتاب⁽⁴⁾ "هيرودوت - Hérodote"، وعرفت السياحة الثقافية في كتاب "السياحة الحديثة علما وتطبيقا" بأنها ذات طبيعة ذهنية على الأخص، وهي السياحة التي تنشُد معرفة أشياء جديدة وأشخاص جدد كما تنشُد الاطلاع على تاريخهم وعاداتهم في نفس الإطار الحقيقي الذي يعيشون فيه⁽⁵⁾.

(1) أنظر: _ صالح القادري، السياحة الثقافية، تونس، أعمال الملتقى المنعقد بالحمامات، يومي 12_13_14 أبريل، 1998.

(2) أنظر: _ صالح القادري، المرجع نفسه، ص 213.

(3) أنظر: هدى سيف لطيف، المرجع السابق، ص 308.

(4) أنظر: _ زهير بوعكريف، التسويق السياحي و دوره في تفعيل قطاع و السياحة دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة كلية العلوم الإقتصادية و التجارية، 2011، ص 112.

(5) أنظر: _ زكريا مصطفى، المرجع السابق، ص 117.

وإهتمت منظمة اليونسكو بشكل خاص " يتضمن السياحة الثقافية في إطار وضع السياسات الثقافية الوطنية، ليس فقط لأنها تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية... وإعادة إحياء الصناعات الحرفية والمهن التقليدية، بل لأنها تؤمن فرص العمل للشباب وتحُدّ من الهجرة، وتحافظ على معالم وممارسات ثقافية مهددة بالضياع، ضمن هذه المفاهيم صدر أول اعتراف رسمي بالسياحة الثقافية سنة 1963 عن المجلس الاقتصادي الإجتماعي في الأمم المتحدة " ... لدعم مفهوم الصداقة والتفاهم بين الشعوب "، وفي سنة 1966 أعلنت منظمة اليونسكو " أن السياحة الثقافية تساهم في تدعيم مسيرة السلام...".

و في سنة 1976 تم تبني المبدأ الأول للثقافة السياحية في بروكسل وأهم بنودها " احترام التراث الثقافي العالمي والطبيعي الذي يجب أن يتقدم على أي اعتبار آخر... على الأصعدة السياحية والاقتصادية "، ثم نقحت هذه المبادئ عام 1988 داعية السياح إلى " احترام كل مجتمع في تراثه وبيئته".

عند تحديد موارد السياحة الثقافية في العديد من البلدان نفع على بند التالي " الحرف والصناعات التقليدية وما يرتبط بها من أسواق شعبية وورش مزاولة العمل الحرفي." وتندرج هذه الحالة أو المردود الاقتصادي على مجمل دول العالم فتساهم السياحة الثقافية في تطوير ونمو القطاع الحرفي وتتراوح نسبة مساهمته في الدخل القومي، تبعا لاهتمام الدولة به وتشجيعها للعاملين فيه على شتى المستويات. أما المنظمة العالمية للسياحة تعرفها هي الأخرى على أنها " تنقلات الأشخاص بالدوافع الثقافية مثل الدراسات والدورات الفنية، التنقلات من أجل المشاركة في التظاهرات الثقافية وزيارة المواقع والمعالم الأثرية ".

من خلال هذه النقاط الموحزة عن السياحة الثقافية يتبين لنا أنها اتجهت إلى مفهومين ، الأول وهو مفهوم تقليدي والذي يتجسد في جعل السياحة الثقافية من أقدم أنواع السياحة وربطها بمفهوم السفر الثقافي، أما المفهوم الحديث للسياحة الثقافية فيربط السياحة بالتراث وبتزايد عدد السياح والزوار المترددون على المعالم الثقافية والسياحية مثل " المعالم الأثرية وتاريخية والمتاحف... " والمشاركة في التظاهرات الثقافية وزيارة المواقع والمعالم الأثرية.

المطلب الثاني: علاقة السياحة الثقافية بالتنمية

إن أحد مؤشرات التنمية يتمثل في القدرة على توظيف المادة الثقافية و الاجتماعية في الخطط التنموية في مختلف القطاعات، وتعتبر السياحة من بين القطاعات التي مثلت المادة الثقافية فيها منطلقا رئيسيا في ظل التحولات العالمية لتطويرها وتمكينها من أسس المنافسة في السوق العالمية ، ولهذا يجب استخدام هذه المادة السياحية ودمجها في البرامج السياسية ⁽¹⁾ بحيث تنعكس نشاطات السائحة بصورة إيجابية على الأماكن التي تتواجد فيها هذه الأماكن الدينية والتاريخية .

(1) أنظر : _ هدى لطيف، المرجع السابق، ص 221 .

إن المفهوم الجديد للسياحة الثقافية، يقوم على أساس أن تكون المادة المقدمة للسائح وسيلة لكي يصنع الإنسان محيطه وينمي مجتمعه، ويحافظ على كيانه، وهي القناة المثلى لتكريس المفهوم الإنساني الذي تتمحور حوله العلاقات التنموية في العالم اليوم، كما أنها نشاط حركي، ذات تأثير متبادل وفعال يشمل جميع الأنشطة الاقتصادية فهي تتأثر وتتأثر على نشاط الإنتاج والمواصلات والنقل والمطارات والفنادق والبنوك ومختلف النشاطات التجارية.

وكون السياحة الثقافية تولد دخلا للدول من العملات الصعبة التي يدفعها السائح لقاء العملات الصعبة كغيرها من الصادرات، فالسائح، باختلاف أسباب الزيارة والبلد الذي يقيم فيه، ومن خلال إنفاقه على السلع والخدمات⁽¹⁾، يؤثر على اقتصاد ومجتمع البلد الذي يزوره، إن معرفة متطلبات السائح من السلع والخدمات وطبيعة إنفاقه مهمة جدا لمضاعفة العوائد المتأتية، ويفترض الربط بين السياحة والثقافة حتما تطوير المجالات الثقافية المتنوعة، ولهذا لا بد من وضع السياسات والنظم والقوانين السياحية من أجل المحافظة على نمط التراث الثقافي والهوية المحلية، والتوازن بين الوظائف السياحية والوظائف السكانية لأهالي تلك المناطق مع توفير محيط ثقافي يأخذ بعين الاعتبار التراث المعماري والاجتماعي بصفة عامة⁽²⁾. وحتى تصبح السياحة الثقافية وسيلة من وسائل التنمية، لا بد أن ترتبط بالمجتمع المحلي، حتى لا تؤدي إلى التسرب الاقتصادي والثقافي، ولا بد من تطوير وتفعيل مشاركة المجتمعات المحلية في تطوير وتنظيم وإدارة العملية السياحية.

المبحث الثاني: الملامح الحماية القانونية للسياحة الثقافية لخدمة التراث والتنمية

تعتبر السياحة من القطاعات الحساسة والاستراتيجية التي تعول عليها في تنمية الاقتصاد الوطني، ولا يخفى على أحد بأن هناك اهتماما متزايدا بقطاع السياحة في الآونة الأخيرة من طرف المسيرين لهذا القطاع، وبالنظر للمقومات السياحية المتعددة في الجزائر فإن هناك مجموعة من الآليات أن توفرت بإمكانها أن تعطي دفعا إضافيا للسياحة الثقافية لتشجيع السياحة المحلية، وفي هذا المبحث سندرس الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية من خلال المطلب الأول، ثم دراسة العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية من خلال المطلب الثاني.

المطلب الأول: الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية

لا بد أن نشير إلى أن مسؤولية حماية التراث الثقافي مسؤولية الجميع ضد أعمال النهب والتشويه والسرقة والتي تؤدي إلى استنزاف الذاكرة الجماعية للإنسانية، كما تعتبر حلقة مفقودة في التاريخ الحضاري للإنسانية⁽³⁾، وإدراكا من السلطات الدولة واهتمامها المتزايد بالتراث الثقافي المتنوع في الجزائر.

(1) أنظر: زهير بوعكريف، المرجع السابق، ص 118.

(2) التطورات الراهنة على السياسات الثقافية في منطقة العربية، مجلة الاتجاهات العربية، 2014، من الموقع الإلكتروني www.djaziress.com

(3) أنظر: شريط حسين الأمين، فعالية التخطيط الاستراتيجي للتنمية السياحية في الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير، العدد 14، 2015.

بادرت الجزائر إلى القيام بعدة إجراءات لحمايته من بينها على سبيل المثال لا للحصر سن القانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 جوان 1998 المتعلق " بحماية التراث الثقافي " وشرعت في إنشاء مكتب مركزي وخلايا لمكافحة المساس بالتراث الثقافي لما يعرفه هذا النوع من الإحرام من تطور وتنظيم وباحترافية بالإضافة إلى تكتيف المراقبة لحماية الممتلكات الثقافية الجزائرية وردعية الإجراءات لكافة أشكال المساس بالمعالم التاريخية والمواقع الأثرية المصنفة وغير المصنفة⁽¹⁾، كما جندت العديد من فرق مكافحة تهريب الإرث الثقافي على مستوى الدرك والجمارك والأمن الوطني لوضع حدّ للشبكات الاحترافية التي تستهدف المتاجرة بالتراث الإنساني.

من بين الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية، في قانون التراث الثقافي، نذكر أهمها:

إذ نصت المادة 08 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي على ما يلي "يمكن أن تخضع الممتلكات الثقافية العقارية أيا كان وضعها القانوني لأحد الأنظمة الحماية المذكورة أدناه تبعا لطبيعتها والتصنيف الذي تنتمي إليه: - التسجيل في قائمة الجرد الإضافي.

- التصنيف والإستحداث في شكل محفوظة .

زيادة على ذلك تحتفظ الدولة بآليات أخرى كالتسجيل في قائمة الجرد العام وإمكانية نزع الملكية للمنفعة العامة وممارسة حق الشفاعة الإدارية، لاسيما فرض ارتفاعات إدارية لحماية الممتلكات الثقافية.

1_ التسجيل في قائمة الجرد الإضافي: نصت عليه المادة 10 من القانون 04/98 " الممتلكات الثقافية العقارية التي تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو الفن أو علم الآثار أو الأنتروبولوجيا أو الثقافة والتي لا تستوجب تصنيفا فوريا يمكن أن تسجل في قائمة الجرد الإضافي. ويكون التسجيل بقرار من وزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية فيما يخص الممتلكات والمعالم ذات الأهمية الوطنية، وتكون المبادرة من الوزير أو أي شخص يرى مصلحة في ذلك، والممتلكات الثقافية ذات الأهمية المحلية يكون التسجيل في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي عقب استشارة لجنة الممتلكات الثقافية التابعي للولاية.

ويتضمن قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي المعلومات الآتية " طبيعة الممتلك الثقافي ووصفه، موقعه الجغرافي المصادر التاريخية، ومن آثار قرار التسجيل في قائمة الجرد هو إلزام أصحاب الممتلكات العمومية أو الخواص إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة، عند القيام بأي تعديل جوهري يكون من شأنه أن يؤدي إلى إزالة العوامل التي سمحت بتسجيله أو محوها أو حذفها، والمساس بالأهمية التي أوجبت الحماية⁽²⁾، وما يمكن ملاحظته، بخصوص التسجيل في قائمة الجرد الإضافي أنه إجراء وقفي وعرضي، مما يجعل آلية التسجيل في قائمة الجرد الإضافي هشة لأن هذه الآلية تستمر مدة 10 سنوات وهو ما أكدته المادة 10 فقرة 02 من قانون 04/98.

(1) أنظر: خوادجية سميحة ، المرجع السابق ، ص 83 .

(2) أنظر: _ نص المادة 13 فقرة 03 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

2_ التصنيف والإستحداث في شكل محفوظة: لا يدخل تصنيف الممتلكات الثقافية العقارية في إطار التصنيف الذي نصت عليه المادة 31 من قانون الأملاك الوطنية 30/90 لما نص على " لا يترتب عن قرارات التصنيف الإدارية ذاتها... خضوعها لقانون نظام الأملاك الوطنية العمومية وتدخل في هذا النوع من الأعمال الخارجة عن مضمون الأحكام المادة 31 قرارات التصنيف الإدارية الصادرة خصوصا فيما يلي " الأملاك أو الأشياء المنقولة والعقارية والأماكن والحفريات والتنقيب والنصب التذكارية والمواقع التاريخية ذات الأهمية الوطنية في مجال التاريخ والفن أو علم الآثار "

ويعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية ، وقرارات التصنيف تشمل كل ممتلكات الثقافة مهما كان طبيعتها القانونية⁽¹⁾ ، وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية التي يمتلكها الخواص قابلة للتنازل⁽²⁾ ، وقرار التصنيف الصادر من وزير المكلف بالثقافة يمكن أن يكون ودي أي بمبادرة المالك ، أو بطريقة رسمية من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية⁽³⁾ ، وتسري آثار التصنيف بقوة القانون على المعلم الثقافي وعلى العقارات المبنية أو غير المبنية الواقعة في منطقة المحمية ابتداء من يوم تبليغ الوزير المكلف بالثقافة بالطرق الإدارية فتح دعوى التصنيف إلى المالكين العموميين أو الخواص.

وفي هذا الصدد، عقدت الجزائر مؤتمر دولي سنة 2008 تهدف إلى تبادل الخبرات في البلدان البحر الأبيض المتوسط وإظهار الاهتمام لإنشاء قاعدة بياناتية للممتلكات الأثرية وأكد المتدخلين والباحثين في هذا التخصص بصفة قاطعة أن الجزائر لم تكشف كل المواقع الأثرية الفريدة لنقص الخبراء المتخصصين في علم الآثار ، مما يستدعي لإحصاء وجرد وتصنيف المعالم الأثرية، وبالمقابل فإن هذا الأمر تجاوزته تونس إثر انخراطها بمشروع الشبكة المفتوحة المتوسطة للسياحة المستدامة الذي انطلق منذ سنتين بتمويل من الإتحاد الأوروبي⁽⁴⁾ لتتميم " المخزون الحضاري والثقافي " وترسيخ مفهوم السياحة البديلة المرتكزة أساسا على إبراز خصائص الثقافة الحضارية والتراثية لكل دولة، وأن تعمل كل دولة مشاركة فيه على إبراز المخزون الثقافي والتراثي لها، وكانت أهداف المشروع إدراج السياحة الثقافية والسياحة البديلة ضمن أولويات برامج السياحة الدولية.

وتجدر الإشارة أن مشروع هذا الجرد الذي قامت بها الجزائر يتطلب إرادة سياسية وغياها يعيق تأطير وتتميم وحماية المعالم الأثرية مما يسبب تدهورها وضياعها⁽⁵⁾ ، مما يصاحبها توقيع العقاب وردع كل من انتهك

(1) أنظر: فريدة بلفراق، الاجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر، دراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية ، عدد05، عدد خاص دور الآثار في ترقية السياحة الثقافية ، 2003 ، ص ص 3/1 .

(2) أنظر: عيساوي بوعكاز، طرق حفظ وصيانة مواد البناء للمواقع ، أثار جميلة كويكل، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ، 2009 ، ص 103.

(3) أنظر : نص المادة 47 فقرة 03 من القانون 04/98 .

(4) أنظر : _ رشا كهينة ، قاسمي أسيا ، التجربة التونسية في مجال السياحة ، واقع و أبعاد و رهانان ، الملتقى الوطني الأول " السياحة في الجزائر " الواقع و الأفاق ، المركز الجامعي بويرة ، ص 09 .

(5) أنظر : عيساوي بوعكاز ، المرجع نفسه، ص 111.

أو اعتدى على هذه الممتلكات.

المطلب الثاني: العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المواقع الأثرية

ومن بين هذه العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية حسب ما جاء في نص المادة 91 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي " يمكن للجمعية التي ينص قانونها الأساسي على السعي إلى حماية الممتلكات الثقافية أن تنصب نفسها خصما مدعيا أي تباشر الدعوى بصفة المدعى المدني.

فضلا عن ضباط الشرطة القضائية وأعوانها، يستطيع القيام بهمة البحث والتحري والمعاينة جميع مخالفات أحكام قانون 04/98 أعوان مؤهلين بصورة خاصة حسب الشروط المحددة في التنظيم المعمول به، المفتشون المكلفون بحماية التراث الثقافي أعوان الحفظ والتممين والمراقبة.

ويعاقب كل من يعرقل أعمال الأعوان المكلفون بالحماية الممتلكات الثقافية ومن بينها الأثرية على أساس جنحة فعلى سبيل المثال نص المادة 94 من قانون 04/98 تنص " على معاقبة بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات كل من يرتكب المخالفات المتعلقة بإجراء الأبحاث الأثرية دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة⁽¹⁾، أولا يصرح بالمكتشفات أو عدم التصريح بالأشياء المكتشفة أثناء الأبحاث الأثرية المصرح بها وعدم تسليمها للدولة.

ويعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات كل بيع أو إخفاء أشياء متأتية من عمليات الحفر أو التنقيب مكتشفة بالصدفة أو أثناء القيام بأبحاث أثرية مرخص بها ، أو بيع أو إخفاء أشياء متأتية المكتشفة بالصدفة من أبحاث أجريت تحت مياه البحر، أو بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية مصنفة أو مسجلة في قائمة الجرد الإضافي وهو ما يطرح إشكالية بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية أو أثرية لم تصنف أو هي في طور التصنيف⁽²⁾، وكذلك الممتلكات الثقافية المتأتية من تقطيعها أو تجزأتها، لاسيما بيع أو إخفاء عناصر معمارية متأتية من تقطيع ممتلك ثقافي عقاري أو عقاري بالتخصيص أو من تجزئته، أما بالمسبة للمسؤولية المدنية تقدر بتعويض يتراوح من 100.000 دج إلى 200.000 دج.

وتنص المادة 98 من القانون 04/98 " يعاقب بغرامة مالية من 2.000 دج إلى 10.000 دج دون المساس بالتعويضات عن الأضرار على المخلفات المتمثلة في شغل ممتلك ثقافي عقاري مصنف أو استعماله لا يطابق الإرتقاات المحددة والمذكورة في الترخيص المسبق الذي سلمه الوزير المكلف بالثقافة.

وما نستخلصه من هذه العقوبات المقررة أنها جاءت غير مشددة مع مقدار الانتهاكات والتشويه أو الهدم الذي تتعرض له المواقع الأثرية كما أن هذه المقومات التراث المادي لا يمكن أن تعوض وهو غير قابل للتجديد.

(1) أنظر : خوادجية سميحة، المرجع السابق، ص 91.

(2) أنظر : فريدة بلفراق، المرجع السابق ، ص 43.

الخاتمة :

إن السياحة الثقافية التي كانت تقتصر على هامش برنامج السياحة بشكل عام قد أصبحت اليوم عاملا هاما بل أساسيا بفضل الدور الاقتصادي الذي تلعبه ، كما أنها تعمل على خلق تعايش أو مساكنة بين حماية التراث والنمو الاقتصادي. إن الجزائر بما لها من رصيد حضاري وتراكمات إبداعية ثقافية وتقاليد سياحية عريقة، قادرة على تجسيد هذه المعادلة الضرورية فمورثها الحضاري يعتبر بكثافة وتنوع أثارها من أغنى موروث في العالم، وهو عنصر أساسي في مسيرتها التنموية الذي يجب تثمينه وحمايته، ولأن النمو المتوقع للقطاع السياحي في دول عالم الثالث والجزائر خاصة يفرض علينا تحديات قانونية واقتصادية واجتماعية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وفي الأخير، استطعنا أن نفرز جملة من الأفكار والمقترحات الكفيلة بأن تجعل من قطاع السياحة ليس بديلا لقطاع المحروقات بل موردا مكملا للإيرادات التي من شأنها تأمين وضمان وتعزيز الدخل الوطني أهمها:

- ضرورة وجود إطار قانوني يتماشى مع المعايير الدولية في حفظ وإدارة التراث الثقافي ويتوافق مع متطلبات المواثيق والمعاهدات التي انضمت إليها الجزائر في حقل التراث الثقافي.

- تفعيل القوانين حماية التراث السياحة وعصرنتها بما يتماشى والوضع المعاصر خاصة قانون رقم 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، ووضع قوانين ومراقبة تنفيذها بخصوص النظافة ، تقسيم المواقع السياحية إلى المناطق حسب أقدميتها وأهميتها التاريخية ووضع قوانين خاصة بالتراخيص وعدم الإطاحة بالأبنية التقليدية والحفاظة عليها لأنها مكوّن أساسي من مكونات السياحة ويجب استغلالها لأهداف سياحية تنموية.

- إعادة النظر في القوانين والتشريعات والأنظمة السياحية المعمول بها حاليا مع تحيينها وتحديثها بما يناسب ومتطلبات العصر ويساعد تحقيق هذا الجهود والبرامج في توظيف الثقافة وتفاعلها مع آليات الحركة السياحية.

- تفعيل الإشهار السياحي، من خلال عقد المؤتمرات والندوات و المعارض، من خلال تبادل الأفكار والتجارب والأبحاث المختلفة بين الدول الجوارية.

- كما أن النهوض بالسياحة الثقافية مسؤولة وطيدة لا تتوقف عند حدود مؤسسات الدولة بل تستدعي مشاركة جماعية لكل فعاليات المجتمع المدني ، ولنا كل الأرضية اللازمة والمناخ الضروري لكي نعمل على تطوير المسالك السياحية.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج الخدمات السياحية

دراسة تحليلية لعينة من الصفحات السياحية

عزوزي عادل

جامعة باتنة 1 - الجزائر

هارون جفال

جامعة باتنة 1 - الجزائر

ملخص:

نظرا للتطور المتلاحق في التقنيات والأدوات والوسائل المستخدمة في التسويق والتنشيط السياحي عالميا، والتي تعددت وتنوعت في العقد الأول من القرن الحالي، والتي من أبرزها الاتجاهات الدولية لتطبيقات تكنولوجيا المعلومات في التسويق الإلكتروني، فقد كانت هناك حاجة ملحة لملاحقة تلك التطورات، وفي سبيل هذه الإشارة تهدف هذه المداخلة إلى إلقاء الضوء على أحد تلك الأدوات وهي مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، والتي سنحاول إبراز الدور الفعال الذي تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي في الترويج للخدمات السياحية، ولمعالجة إشكالية الدراسة " ما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج الخدمات السياحية " الفيس بوك "، تم القيام بدراسة تحليلية لصفحة الشمس السياحية على شبكة الفيس بوك، خلصت نتائج الدراسة إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي تلعب دورا هاما في التسويق بصفة عامة وفي الترويج للخدمات السياحية بصورة أخص، كونها تتيح التواصل والتفاعل دون قيود مكانية ولا زمانية.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، الترويج السياحي، الفيس بوك.

Abstract:

Due to the continuous development of the techniques, tools and means used in the marketing and revitalization of tourism internationally, which varied and diversified in the first decade of this century, the most prominent one is the international trends of the applications of information technology in the marketing of electronic, there was an urgent need to pursue these developments, This intervention spots light on one of these tools, social networking sites on the Internet, which will try to highlight the effective role that social networks allow in the promotion of tourism services. To address the problem of the study "What is the role of social networking sites in the promotion of tourism services" Facebook ", an analytical study of the sun page tourist on the Facebook network was carried out. The results of the study concluded that social networks play an important role in marketing in general and in promotion of tourism services in particular, because they allow communication, dialogue and interaction without local or temporal constraints.

Keywords: social networking sites, tourism promotion, Facebook

مقدمة

تعتبر السياحة ظاهرة اجتماعية وثقافية واقتصادية، وبل أصبحت تعتبر أكبر الصناعات نمواً في العالم وذلك لما حققته من نتائج معتبرة من حث التدفقات والايادات ومن حث مناصب الشغل التي تحدثها بصورة مباشرة وغير مباشرة لارتباطها مع العديد من القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافة، بالإضافة إلى ذلك فهي تعتبر مصدراً مهماً للعمالات الصعبة لتحتل بذلك مكانة هامة عند أغلب الدول، غير أن ما أحدثته التطورات التكنولوجية الحديثة في منتصف عقد التسعينات من القرن الماضي من نقلة نوعية وثروة حقيقية في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، حيث انتشرت شبكة الانترنت على مستوى العالم، مما مهد الطريق لكافة المجتمعات للتقارب والتعارف وتبادل الأفكار والخبرات فيما بينهم، واستفاد كل متصفح لهذه الشبكة من الوسائط المتعددة المتاحة فيها، وأصبحت أفضل وسيلة لتحقيق التواصل بين الأفراد والجماعات، ثم ظهرت المواقع الإلكترونية والمدونات الشخصية ومواقع التواصل الاجتماعي.

ونظراً للانتشار والرواج الكبير الذي عرفته هذه الأخيرة ”مواقع التواصل الاجتماعي وأشهرها الفيس بوك، لجأت عديد الشركات العاملة في عديد الميادين والقنوات السياحية ومن بينها قناة الشمس إلى التواجد عبر هذه المواقع لما تزخر به من مجتمع كبير ومتنوع، واتخذت منها وسيلة فعالة من خلالها يتم تصميم إعلانات ونشرها لما لها من أثر في ترويج المنتجات والخدمات في ظل اشتداد المنافسة ولتحقيق الانتشار الأكبر والتمكن من الوصول إلى أكبر شريحة من الجمهور، قناة الشمس اتخذت من صفحتها في موقع فايسبوك منبراً من أجل جعل حظوظنا لنجاح سياسة تواصلهم، وبالتالي توفر أرضيات لتبادل الصور، المحادثات ومقاطع فيديو عن المقاصد السياحية، وتعد وسيلة للتواصل والتفاعل بين المؤسسة وزبائنها، كونها يلتقون عبرها بدون وسائط زمنية ولا حواجز مكانية، فهي تتيح إمكانية التواصل المستمر بينهم.

الإشكالية

تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي إحدى وسائل الاتصال الجديد، من خلال شبكة الانترنت، التي تسمح للمستخدم أو المستخدم من التواصل مع الآخرين، وتقديم خدمات متنوعة في العديد من المجالات ومن بين هاته المجالات المجال السياحي الذي أصبح ذا أهمية قصوى في وقتنا الحالي خاصة في الجزائر، باختلاف قدراتها السياحية ومواردها الطبيعية التي تعتبر أقطاباً سياحية هامة، وتعتبر قناة الشمس إحدى الوسائل الإعلامية الناشطة في هذا المجال في الجزائر وحتى نعطي قراءة للموضوع ونكون قريبين من الواقع والميدان ستكون لنا دراسة تحليلية للصفحة الفايسبوكية للقناة السياحية الشمس وهي قناة فضائية خاصة بإبراز مختلف الامكانيات السياحية الهائلة التي تتوفر عليها الجزائر وهي عبارة عن اول قناة سياحية في الجزائر تسعى الى خلق فضاء جد مناسب في هذا المجال، وبناء على ما سبق يمكن بناء إشكالية البحث انطلاقاً من طرح وصياغة التساؤل الرئيسي التالي:

ما هو دور صفحة قناة الشمس الفضائية في ترويج الخدمات السياحية عبر الفايسبوك؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية تتمثل فيما يلي:

- 1- ماهي أهم الخدمات الترويجية التي تعرضها صفحة قناة الشمس الفضائية على الفايسبوك؟
- 2- من هم المستهدفون من الترويج السياحي لموقع قناة الشمس الفضائية على الفايسبوك؟
- 3- ماهي درجة تفاعل الجمهور مع منشورات صفحة قناة الشمس في الفايسبوك؟
- 4- ماهي أساليب الترويج السياحي التي تعتمد عليها صفحة قناة الشمس الفضائية في الفايسبوك؟
- 5- ماهي أهداف صفحة قناة الشمس الفضائية في ترويج السياحي؟

أولاً: الإطار العام للدراسة

1- أسباب اختيار الموضوع: إن لكل باحث أسباب تدفعه إلى اختيار الموضوع الذي يرغب إلى دراسته ونحن بدورنا لم نخرج من هذه القاعدة بل كانت لدينا أسبابنا ودوافعنا الخاصة والموضوعية والتي في العوامل التالية: الأسباب الذاتية:

- الشغف العلمي والاهتمام الشخصي للموضوع بحكم تخصصنا.

- الاهتمام بمواقع التواصل الاجتماعي والإيمان بمدى قدرتها في التأثير على الجماهير.

الأسباب الموضوعية:

- يعتبر موضوع الدراسة حيوي وحديث الساعة باعتبار الدور الكبير الذي يحظى به قطاع السياحة في اقتصاديات الدول.

- يعتبر الترويج في مواقع التواصل الاجتماعي أهم عنصر في مجال التسويق فهو أداة تستحق الدراسة.

2- أهداف الدراسة:

- كشف أهم الخدمات الترويجية التي تعرضها صفحة قناة الشمس الفضائية على الفايسبوك.

- التعرف على المستهدفون من الترويج السياحي لموقع قناة الشمس الفضائية على الفايسبوك.

- كشف درجة تفاعل الجمهور مع منشورات صفحة قناة الشمس في الفايسبوك.

- التعرف على أساليب الترويج السياحي التي تعتمد عليها صفحة قناة الشمس الفضائية في الفايسبوك.

- كشف عن أهداف صفحة قناة الشمس الفضائية في الفايسبوك في الترويج السياحي.

3- أهمية الدراسة: ترجع أهمية هذه الدراسة باعتبار قطاع السياحة أحد أكثر القطاعات أهمية وحركية في العالم وكذلك نظراً لأثارها المباشرة على القطاعات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الأخرى، وكما أن لتطبيقات التواصل الاجتماعي وبالتحديد الفايسبوك أثر كبير على المناهج والأليات المتبعة في الترويج للمقصد السياحي وعلى السائح وقراراته، من جهة أخرى تكمن كذلك أهمية الدراسة كون أن موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك موقع متاح للجميع ويمكن الولوج إليه بيسر.

4- تحديد مفاهيم الدراسة:

- مواقع التواصل الاجتماعي: يعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي: منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات.¹

التعريف الإجرائي: هي فضاء ضمن شبكة الانترنت تسمح للعديد من الأفراد الالتقاء في مساحة واحدة لتبادل الآراء والأنشطة والصور والتعليقات، كما تفسح المجال أمامهم للمحادثات الجماعية والفردية في مختلف المواضيع.

- الفايس بوك: عرف الباحث دحدوح فايس بوك على أن "أحد مواقع التواصل الاجتماعي والتي يمكن الوصول إليها على الشبكة العنكبوتية وتتيح الشبكة لمستخدميها التعارف والتواصل ومشاركة المعلومات وتبادل الخبرات من خلال أدوات تقنية تفاعلية"²

تعريف الإجرائي لفايس بوك: هو مجتمع افتراضي شبه متكامل يجمع اهتمامات ومصالح الافراد والمؤسسات في مكان واحد له استخدامات متعددة تتميز هذه الشبكة بتطبيقاتها المتنوعة ومفيد

- الدور: هو الأسلوب أو مجموعة الأساليب التي يؤدي بها الشخص السلوك المطلوب أو المتوقع منه في موقف ما حسب المعايير الموضوعية .

- ويعرفه ليمان "lyman" الدور بأنه تنظيم لاتجاهات وعادات الأفراد التي تنسب وضعا معيناً في نظام العلاقات الاجتماعية.³

تعريف الدور إجرائياً: يقصد بالدور في هذا البحث الوظيفة التي تؤديها الصفحة الرئيسية لقناة الشمس في الفاييسبوك في الترويج السياحي.

الترويج السياحي: قام العديد من الباحثين ومفكري التسويق بتقديم عدة تعاريف للنشاط الترويجي ومن بين هذه التعاريف ما يلي: عرف الترويج على أنه: "الاتصال بالآخرين وتعريفهم بالمنتج وحثهم للحصول عليه وبالتالي تنشيط الطلب لزيادة المبيعات، وتحقيق الأرباح للمؤسسة"⁴.

لكنها لا تخرج عن الإطار العام لمفهوم الترويج، فقد عرف الترويج السياحي على أنه " كافة أنواع الاتصالات والمجهودات التي تقوم بها البائع من أجل إعلام الزبائن الحاليين والمرتقبين وتعريفهم بالخدمات السياحية وأقناعهم بها ودفعهم لشرائها بالإضافة إلى الجهود المبذولة من أجل توضيح صورة الدولة السياحية والتأثير على السائحين

¹ راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد15، جامعة عمان الأهلية، 2003، ص23.

² دحدوح علاء، مقترح لتوظيف الشبكة الاجتماعية في الجامعات الفلسطينية، شهادة لنيل ماجستير في مناهج وطرق التدريس، جامعة الإسلامية، غزة، 2002، ص 7.

³ خليل عبد الرحمان مصعب المعاينة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان 2000، ص 145

⁴ محمود جاسم الصميدعي، ردينه عثمان يوسف، سلوك المستهلك مدخل كمي وتحليلي، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص181.

لزيارتها¹، وعرف أيضا على أنه "مجموعة من أدوات الاتصال التي يمكن استخدامها على مستوى الطلب على السلع والخدمات السياحية".

- التعريف الاجرائي: الترويج السياحي هو كافة الجهود الإعلامية والدعائية عبر صفحة الفاييس بوك الرامية إلى إعداد ونقل رسالة أو رسائل معينة عن الصورة السياحية لدولة ما أو منظمة ما إلى أسواق محددة بالوسائل الفعلية بغرض جذب الجماهير ودفعهم إلى ممارسة نشاط سياحي في تلك المناطق المستهدفة أي أنّ الهدف هو الطلب السياحي".

5_ منهج الدراسة واداتها: تندرج دراستنا ضمن البحوث الوصفية التحليلية التي تهدف إلى تصوير وتحليل وتقديم خصائص ظاهرة أو مجموعة من الظواهر، ويعرفها "هوينتي" بأنها "تلك الأبحاث التي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع"². إن المنهج الوصفي التحليلي لم يتم استخدامه في دراستنا في حدود وصف مضمون موضوعات الدراسة الواردة في صحيفة الدراسة، بل نقوم بتحليل وتفسير المعلومات التي حملتها عينة الدراسة لاستخلاص الدلالات منها وإصدار تفسيرات بصدد الظاهرة المدروسة، أما بالنسبة لأداة الدراسة فاعتمدنا على تحليل المضمون مستخدمين استمارة تحليل المضمون، وهي عبارة عن اشكال هندسية في معظم الحالات ينجزها الباحث ليصب فيها نتائج الحسابات التي قام بها، ثم يجمعها ليتم تفرغ محتواها في جداول التحليل الكمي لتحليل بيانات عينة الدراسة.

6_ مجتمع البحث وعينة الدراسة:

6-1- مجتمع الدراسة: يقصد بمجتمع البحث في تحليل المضمون: مجموع المصادر التي نشر أو أذيع فيها المحتوى المراد دراسته خلال الإطار الزمني للبحث³، كما يعرفه "موريس انجرس" "هو مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحددة مسبقا والتي تركز عليها الملاحظات"⁴. وعليه فمجتمع البحث في دراستنا يتكون من جميع الاعداد التي صدرت عن صفحة الرئيسية في الفاييس بوك لقناة الشمس الفضائية خلال سنة 2018.

6-2- عينة الدراسة: العينة في البحث العلمي هي "الجزء الذي يختاره الباحث وفق طريقة محددة ليمثل مجتمع البحث تمثيلا علميا سليما"⁵، وتستخدم طريقة العينة في البحث في حالات المجتمعات الكبيرة، حيث يتعذر اجراء الدراسة عن طريق الحصر الشامل. وفي دراستنا تم اختيار أسلوب الدورة الذي يتم بطريقة منتظمة والذي يضمن عدم تكرار التواريخ او الأيام الخاصة بالصدور، وكذلك يساعد الباحث على اختصار الكثير من الوقت والجهد.

¹ فؤاد الحاج عبد القادر، أهمية المزيج التسويقي في ترقية الخدمات السياحية: دراسة حالة فندق الزينيين تلمسان، مذكرة ماجستير غير منشورة،

تخصص تسويق، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009، ص 101

² محمد منير حجاب، أساسيات البحوث العلمية والاجتماعية، القاهرة، مصر، دار الفجر، ط3، 2002، ص 86.

³ محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الاعلام، بيروت، لبنان، دار مكتبة الهلال، 2009، ص 91.

⁴ موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة صحراوي بوزيد واخرون، الجزائر، دار القصة، 2009، ص 298.

⁵ محمد بن مرسل، منهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003، ص 170.

لذا فإن عينة الدراسة الحالية تتشكل من 12 مفردة، حيث تم سحب العدد الأول عشوائيا لأيام الأسبوع الأول من شهر جانفي 2018، فكانت المفردة (7جانفي) ثم تم اختيار المفردة الثانية من اليوم الموالي من الأسبوع الثاني من شهر فيفري، ثم اليوم الموالي من الأسبوع الثالث من شهر مارس، وهكذا انتظمت عملية السحب لباقي المفردات بحيث تم احترام المسافة في السحب مما مكن من تمثيل كل أيام الأسبوع، وكذلك كل شهور السنة.

ثانيا: الإطار النظري للدراسة

1-1- ترويج الخدمات السياحية

1-1- أهداف الترويج السياحي: تتمثل أهداف الترويج السياحي فيما يلي 3

- التعريف بالخدمات السياحية المقدمة وامتيازاتها خلال الترويج والإشهار السياحي.
- الوصول إلى إقناع أكبر قدر ممكن من السياح بالإقبال على الخدمات السياحية المعروضة وكذا ترغيبهم وجلبهم بإعطاء صورة حسنة للمؤسسة السياحية.
- إقناع وترغيب السياح من خلال تقديم التسهيلات والاعراضات
- مراجعة الأخطاء المرتبكة سابقا.
- تنمية الخدمات السياحية وتطويرها لضمان أو للمحافظة على الأقل على السياح الحاليين.
- جعل المنتج السياحي عادة في الشراء لدى السائح
- وضع قيمة خاصة للصورة والعلامة لكسب ولاء الزبون.

1-2- استراتيجيات الترويج السياحي: يمكن التعبير عن الاستراتيجية السياحية بأنها "كافة الجهود المباشرة وغير المباشرة التي تهدف إلى تحقيق الأهداف المحددة لها في الإستراتيجية التسويقية السياحية العامة لهذا البلد أو هذا الموقع، وباستخدام المزيج الترويجي الأكثر ملاءمة والذي يتم تنفيذه وفق أولويات وتفضيلات تتصل بعادات الوسيلة الترويجية لدى منافذ التوزيع السياحية وصولا إلى المستهلكين أو المستخدمين للمنتجات السياحية. ويمكن تقسيم استراتيجية الترويج إلى نوعين¹:

أ - إستراتيجية الدفع: وتعتمد على دفع الأنشطة الترويجية خلال قنوات التوزيع حتى تصل إلى المستهلك النهائي إذ يسعى المنتج إلى إقناع تاجر الجملة بشراء المنتج، والذي يسعى بدوره إلى إقناع تاجر التجزئة بالتعامل في المنتج، ثم يسعى تاجر التجزئة إلى إقناع المستهلك النهائي بالشراء، وعند استراتيجية الدفع يكون التركيز الأساسي في المزيج الترويجي على البيع الشخصي ولا يستخدم الإعلان إلا بقدر محدود لتعريف المشترين بالمنتج، وتناسب استراتيجية الدفع الحالات التالية:

¹ - فارح رشيد، بودة يوسف، دور التسويق السياحي في دعم التنمية السياحية والحد من أزمات القطاع السياحي، مجلة الأبحاث الاقتصادية والإدارية، العدد 12، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التجارة والتمويل، جامعة بسكرة، 2012، ص 113

- المنتجات ذات الأسعار والجودة المرتفعة
- المنتجات الجديدة التي تقدم للسوق لأول مرة
- صغر حجم ميزانية الترويج

ب - استراتيجية الجذب: وتعتمد على إقناع المستهلك النهائي بشراء المعلن عنه ومن خلق طلب على المنتج من جانب المستهلك النهائي بسؤاله عن المنتج لدى تجار التجزئة، وعند استخدام استراتيجية الجذب يكون التركيز الأساسي في المزيج الترويجي على الإعلان الموجه إلى المستهلك النهائي. وتعتبر استراتيجية الجذب مناسبة في حالة المنتجات التي تتميز بانخفاض سعرها وهامش ربح الوحدة منها وقيمة مبيعاتها وارتفاع معدل دوران البضاعة.

2- دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج الخدمات السياحية: إن شبكات وأدوات التواصل الاجتماعي أضحت اليوم عنصر أساسي ضمن عناصر المزيج الترويجي لمنتجات وخدمات ومنظمات الأعمال بمختلف أنشطتها الصناعية والتجارية والخدمية والمصرفية والمالية، كما نجدها تحظى باهتمام واسع من مقدمي خدمات السفر، كونها أصبحت وسيلة من وسائل الترويج السياحي، فهي تعتبر بمثابة العامل الرئيسي الذي يحقق أهداف أي مؤسسة، لأنه يضمن التفاعل الإيجابي، وذلك بمعرفة المتواصلين فيه معظم مواقع السياحة العالمية، من خلال المتابعة وتبادل المعلومات والمناقشات مع الأصدقاء، والتعرف على عادات وتقاليدها البلد المستهدف للزيارة.

2_1- دورها في الإعلان عن الخدمات السياحية: مع ارتفاع مواقع الشبكات الاجتماعية، تزامنت الشركات في وضع إعلاناتها بحيث مكنت من تضمين المعلومات التجارية، والوصول إلى الأشخاص والتواصل معهم على أقرب مستوى، فالوقت الذي انتهى فيه عصر الإعلان التقليدي بظهور الشبكات الاجتماعية على الانترنت الذي أوجدت عصر الإعلان الشعبي (الإعلان عبر مواقع التواصل الاجتماعي)، وهو الذي يعتمد على تقنية جديدة تعرف بالتسويق الشعبي هذه التقنية نعيشها الآن في عصر المعرفة الرقمية والانترنت، فبظهور الشبكات الاجتماعية أصبح ترويج المنتج يعتمد على الناس أنفسهم عبر تداول وتبادل المعلومات حول المنتج فيما بينهم من خلال تبادل الفيديو كليب، الكتب الإلكترونية، والرسائل الإلكترونية المختلفة¹، من أهم فوائد الإعلان عبر الشبكات الاجتماعية مايلي²:

- تيسير عملية إدارة العلاقة مع الزبائن بالنسبة لأرباب الشركات ومدراء التسويق من خلال التفاعل والتواصل المستمر الذي يتاح خلالها بناء وتحسين سمعة المنظمة لدى الزبائن .
- التعريف بموقع المؤسسة على الشبكات العنكبوتية وزيادة الحركة عليه.

¹ - بوشنافة أحمد، ناصر نفيصة، الشبكات الاجتماعية أداة للتسويق الافتراضي في المجال السياحي، مداخلة ضمن الملتقى الدولي الخامس

ص - 9 حول الاقتصاد وانعكاساته على الاقتصاديات، المركز الجامعي خميس مليانة، يومي 13 - 14 مارس 2012.

² - سعود صالح كاتب، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: التحديات والفرص، المؤتمر العالمي الثاني حول الإعلام في الدول الإسلامية، جامعة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، يومي 13 - 15 ديسمبر 20.

- تصحيح ورد الإشاعات عن المؤسسة.
- زيادة المبيعات وانخفاض التكلفة .
- استنباط كفاءات جديدة والتعرف على الموظفين من خلال مواقعهم وصفحاتهم .
- أداة فاعلة للعلاقات العامة ونشر أخبار المؤسسة .
- الانتشار الواسع بدون معوقات وتنوع شرائح الزبائن .
- زيادة عرض وترسيخ العلامة التجارية.

2-2- دورها في تنوع المعلومات المتاحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي: لزيادة تفعيل العلاقة بيمين موقع التواصل الاجتماعي والمستخدمين الأعضاء يرى (Berthom) ضرورة أن تتضمن مواقع التواصل الاجتماعي العديد من الموضوعات التي تحقق رضا المستخدم عن الموقع والذي يتواصل مع المقصد من خلاله ومن ثم ينتج عن ذلك زيادة ولاء السائح للمقصد السياحي¹، ومن الموضوعات التي يقترحها (Berthom) أن تتضمن تلك المواقع بجانب الموضوعات التسويقية الأساسية كافة المعلومات التي تجعل السائح المرتقب يتعلق بالصفحة مثل معلومات عن موردي الخدمات وشركات النقل والأخبار الاقتصادية والرياضية والفنية، والأخبار الاجتماعية لموظفي المؤسسة أو المؤسسة، حتى الأزمات والكوارث التي ربما يتعرض لها المقصد السياحي، حيث أنه في ظل وجود تلك المواقع فإن السائح سوف يكون على دراية بكل ما يحدث في العالم، فالمصادقية عبر وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت صفة هامة لا مفر منها.

2-3- دور مواقع التواصل الاجتماعي في البيع الشخصي وتنشيط المبيعات السياحية: يتميز البيع الشخصي السياحي عبر مواقع التواصل الاجتماعي بمجموعة من المميزات نذكر منها²:

- تمكن الخدمات الاتصالية للانترنت من الحصول على استجابة فورية من طرف العميل، كما يمكن أن تتجسد هذه الاستجابة في شكل معاملة تجارية إذا كان موقع المؤسسة يتيح البيع على الخط مباشرة
- إمكانية توظيف موقع المؤسسة السياحية في جمع معلومات عن السياح والزائرين لتغذية قاعدة بيانات خلفية خاصة بالسياح الحاليين والمحتملين .
- إن أئمة العمل التجاري لا يعني بالضرورة إلغاء البيع الشخصي بل على العكس من ذلك فإن شبكة الانترنت وما توفره من مزايا للاتصال الشخصي مثل خدمة الدردشة عبر الصوت والصورة يمكن أن تدعم هذا النوع من البيع عن طريق التحضير المسبق لعملية البيع من خلال ربط الاتصال بين البائع (المؤسسة السياحية) (والمشتري)

¹ - محمد فراج عبد السميع، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تسويق مصر كمقصد سياحي دولي، ورقة بحثية مقدمة لقطاع التخطيط والبحوث والتدريب، وزارة السياحة المصرية، أبريل، 2012، ص 18

² - Claude demeure, marketing, edition dalloz, Paris; 2001, P 269.

(السائح) يمكنهما إجراء اتفاق أولي حول نوعية المنتج السياحي وطرق التسليم وإجراء عملية الدفع الكترونياً، وهذا يصب في مصلحة الطرفين من حيث أنه يمكن من توفير الكثير من الوقت الذي كانت تستغرقه عملية البيع الشخصي بالطرق التقليدية.

- إن دور رجل البيع سيتغير في القرن الواحد والعشرين من مجرد مندوب للبيع لدى المؤسسة إلى رجل بيع متخصص ذو كفاءة مهنية عالية يتقن الإعلام الآلي والإبحار في شبكة الانترنت، يعرف جيداً المنتجات التي يبيعها ومنتجات المنافسين ويحسن التفاوض مع العملاء وله القدرة على الإقناع، أي أن مفهوم القائم بالبيع سينتقل من مجرد مندوب للبيع إلى مهندس أعمال.
- تمثل تنشيط المبيعات عنصراً مهماً من عناصر المزيج التسويقي، ومن الطرق المستخدمة لتنشيط المبيعات العينات المجانية، الكوبونات، الطوابيع... إلخ.
- أما في العالم الافتراضي عبر شبكة الانترنت (فتجد بعض هذه التقنيات تطبيقات لها، فيما يصعب تطبيق تقنيات ترويجية أخرى بحكم طبيعة الانترنت، حيث تمنح المؤسسات تخفيضات تجارية في حالة الشراء عبر الخط، كما يتم تنظيم مسابقات على الخط ومنح هدايا ومكافآت للفائزين¹.
- وتتضاعف أهمية تنشيط المبيعات على الخط عندما تتزامن مع الإعلان عبر الانترنت، وربما لهذا السبب تلجأ معظم المؤسسات إلى المزاوجة بين هذين الأسلوبين لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الزائرين لموقعهم الشبكية.
- وتساهم أساليب تنشيط المبيعات على شبكة الانترنت في تزويد المؤسسة بقائمة كبيرة لعناوين البريد الإلكتروني الخاص بالزائرين الذين زاروا الموقع وشاركوا في الحملات الترويجية والمسابقات السابقة، حيث تعرض المؤسسة استمارة معلومات على الخط يتم تعبئتها من قبل الزائرين ليتم توجيهها.

2-4- دور مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للسائح²:

- إمداد المسافر بطرق جديدة للبحث واكتشاف المعلومات وتقييمها عن المقصد السياحي والرحلة.
- تزود المسافر بالقنوات الآمنة لحجز وشراء منتجات الرحلة.
- تبادل ونشر المعلومات والبرامج السياحية السابقة.
- تقليل وقت الانتظار لدى الأفراد والعملاء للحصول على المعلومات المطلوبة عن الخدمات.
- تحسين جودة القرارات الشرائية لدى قطاعات وشرائح العملاء نظراً لتوفر غالبية المؤسسات على موقع على الأقل من مواقع التواصل الاجتماعي

¹ - بشير عباس العلق، الاتصالات التسويقية الإلكترونية، مؤسسة الرواق، عمان، الاردن، 2005، ص 1

² - محمد محمد فارح عبد السميع، مرجع سابق، ص 14 .

2_5 - دور مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للمؤسسات السياحية¹:

- إمكانية توفير المعلومات وإتاحة المساحات السوقية بلا توقف أو انقطاع طوال ساعات اليوم.
- تحسين القدرة التنافسية للمؤسسات السياحية ودعم إمكانياتها لخلق ميزة تنافسية تساعدها في احراز مكانة استراتيجية.
- إتاحة فرص دخول أسواق جديدة عالمية تساعد المؤسسة على زيادة حصتها السوقية، وبناء صورة ذهنية مميزة عالميا ومحليا.
- التواجد المستمر مع العملاء والرد على تساؤلاتهم واستفساراتهم وكسب المزيد منهم وزيادة درجة ارتباطهم العاطفي مع المؤسسة.

ثالثا: نتائج الدراسة التحليلية

1- النتائج المتعلقة بالمضمون

جدول رقم (1) يبين مواضيع السياحة المنشورة في صفحة قناة الشمس في الفايس بوك.

النسبة	التكرار	
34,88%	15	السياحة الشاطئية
16,27%	07	السياحة الصحراوية
06,97%	03	السياحة المناطق الأثرية
13,95%	06	السياحة الفندقية
16,27%	07	السياحة الجبلية
11,62%	05	سياحة الحمامات الطبيعية
100	43	المجموع

يتضح من خلال القراءة المتأنية لجدول رقم 01 تركيز صفحة قناة الشمس السياحية في الفايس بوك من خلال مواضيعها بالدرجة الأولى على السياحة الشاطئية وذلك بنسبة مئوية تقدر بـ 34,88% فيما تتقاسم المرتبة الثانية كل من السياحة الصحراوية والجبلية بـ 16,27% لكل منهما، فيما نلاحظ أن السياحة الأثرية لا تحظى بالقدر الكافي من اهتمام صفحة القناة رغم امتلاك الجزائر لعدد كبير من المناطق الأثرية والتاريخية المؤهلة بأن تكون مقصدا سياحيا بامتياز كتمقاد وجميلة وشرشال وقلعة بني حماد ... وغيرها من المناطق والتي تحمل بعدا حضاريا عميقا.

¹ - محمد محمد فراج عبد السميع، مرجع سابق، ص 15

الجدول رقم (2): يوضح المستهدفون من ترويج السياحي لصفحة قناة الشمس الفضائية على الفيسبوك

النسبة	التكرار	
69,76%	30	السائح المحلي
24,30%	13	السائح الأجنبي
100%	43	المجموع

أظهرت الدراسة من خلال بيانات الجدول رقم (2) اهتمام صفحة قناة الشمس الفضائية أكثر على السائح الداخلي أو المحلي في ترويج الخدمات السياحية التي تزخر بها الجزائر وذلك بنسبة 69,76% من منشورات الصفحة، فيما نسجل أن السائح الأجنبي لا يحظى بالقدر الكافي من اهتمام هذه الصفحة رغم أهميته كمصدر من مصادر جلب العملة الصعبة.

جدول رقم (3): يبين أهداف صفحة قناة الشمس الفضائية في الفيس بوك في الترويج السياحي.

النسبة	التكرار	
37,20%	16	الإعلام
09,30%	04	الدعاية
25,58%	11	الإعلان
16,27%	07	تحقيق الربح المادي
11,62%	05	التوعية ونشر الثقافة السياحية
100%	43	المجموع

يتبين من جدول رقم 03 أن أهداف صفحة قناة الشمس الفضائية من خلال الترويج السياحي كانت بالدرجة الأولى إعلامية وذلك بنسبة مئوية تقدر بـ 37,20% يليها في المرتبة الثانية الإعلان بنسبة 25,58% ثم الإقناع بنسبة 16,27% وفي المرتبة الأخيرة نجد كل من الربح المادي والتوعية. وتنعكس الأهداف الإعلامية لصفحة قناة الشمس الفضائية في مجرد تقديم أخبار و معلومات عن المنتج السياحي.

جدول رقم (4) يوضح تفاعل الجمهور مع منشورات صفحة قناة الشمس الفضائية في الفايس بوك

النسبة	التكرار		
04,65	02	لا توجد إعجابات	الإعجابات
11,65	05	من 1 إلى 09	
11,65	05	من 10 إلى 19	
72,09	31	من 20 فما فوق	
100	43	المجموع	
23,25	10	لا توجد تعليقات	التعليق
65,11	28	من 1 إلى 09	
6,97	03	من 10 إلى 19	
04,65	02	من 20 فما فوق	
100	43	المجموع	
11,65	05	لا توجد مشاركات	المشاركات
53,48	23	من 01 إلى 09	
25,58	11	من 10 إلى 19	
09,30	04	من 20 فما فوق	
100	43	المجموع	

يتضح من خلال نتائج الجدول (4) أن الإعجابات صفحة قناة الشمس على الفايسبوك كانت في المركز الأول لفئة من 20 فما فوق إعجابا بنسبة 72,09% تليها كلمن فئتي من 10 إلى 19 و من 1 إلى 09 إعجاب بنسبة مئوية تقدر بـ 11,65% لكل منهما، ذلك ما يبين أن التفاعل مع هذه الصفحة من حيث الإعجاب كبير، أما بخصوص التعليقات فيبين الجدول رقم 4 أن فئة من 1 إلى 09 تعليق هو الذي يحتل الصدارة بنسبة 65,11% ثم فئة لا توجد تعليقات في المرتبة الثانية بنسبة 23,25% فيما احتلت فئة من 20 فما فوق المرتبة الأخيرة بواقع تعليقين، مما يدل على أن التعليق على منشورات قناة الشمس ضعيف جدا. ومن جانب المشاركات نجد كذلك نفس الشيء حيث تحتل فئة من 01 إلى 09 المرتبة الأولى بنسبة مئوية تقدر بـ 53,48% ثم فئة المرتبة الثانية بنسبة 23,07% مما يدل كذلك أن عدد المشاركات مع منشورات الصفحة ضعيفة جدا. وتعتبر النتائج الخاصة بكل من (الإعجابات والتعليق والمشاركات) مؤشر ضعيف على مدى تفاعل رواد التواصل الاجتماعي مع منشورات صفحة قناة الشمس الفضائية.

2_ نتائج متعلقة بالشكل

جدول رقم (5) يوضح أساليب النشر في صفحة قناة الشمس على الفايسبوك

النسبة	التكرار	
11,62%	05	نص مرفق بصورة
09,30%	04	نص فقط
58,13%	25	فيديو
20,93%	09	تعدد الوسائط
100%	43	المجموع

تشير أرقام الجدول (5) اعتماد الصفحة الرئيسية لقناة الشمس السياحية في الفايسبوك بشكل أكبر في إبراز مواضيعها على عنصر الفيديو وذلك بنسبة مئوية تقدر بـ 58,13% يليه في المرتبة الثانية نص مرفق بالصورة بنسبة 20,93% ثم بعد ذلك تعدد الوسائط بنسبة 11,62% فيما احتل النص فقط المرتبة الأخيرة بـ 09,30% ذلك ما يفسر أن صفحة قناة الشمس الفضائية لم تستغل أهم خاصية من الخصائص التي يتيحها موقع فايسبوك وهو إمكانية تعدد الوسائط أو الجمع بين مخلف الوسائط في رسالة واحدة مما يمنح الرسالة قوة تأثيرية أكبر من اعتماد على وسيط واحد.

جدول رقم (6) يبين اللغة المستخدمة في منشورات صفحة قناة الشمس السياحية في الفايس بوك

النسبة	التكرار	
60,46%	26	العربية الفصحى
02,32%	01	العامية
09,30%	04	الفرنسية
27,90%	12	مختلط
100%	43'	المجموع

نلاحظ في الجدول رقم (6) أن اللغة السائدة في منشورات صفحة قناة الشمس السياحية هي اللغة العربية الفصحى وذلك بنسبة مئوية تقدر بـ 60,46% فيما حلت المنشورات التي تحمل أكثر من لغة في المرتبة الثانية بـ 27,90% فيما لم تحظى اللغة العامية بالقدر الكافي من الأهمية بالنسبة للصفحة والتي وردت في مضمون واحد فقط، ذلك ما يبين حرص القائمين على هذه الصفحة على تقديم مواضيعها في طبق لغوي راق.

3- الاستنتاجات والتوصيات: وفي ختام هذه الدراسة يمكن ان نوجز النتائج المتوصل اليها من خلال تحليل مواضيع السياحة في صفحة قناة الشمس الفضائية في الفايسبوك وفقا لإشكالية الدراسة وكذا أهدافها في النقاط التالية:

- لم تستطع قناة الشمس الفضائية من خلال صفحتها على الفايسبوك تحقيق التوازن في تناول مختلف المواضيع المتعلقة بالسياحة رغم التنوع وثراء المنتج السياحي الذي تزخر به الجزائر إلا أن بعض المجالات السياحية لم تنل حظها الكافي من الأهمية لدى هذه الصفحة والتي لم تكن اهتمامها منصب أكثر على الترويج للسياحة الشاطئية.

- أغلب مواضيع صفحة قناة الشمس السياحية على الفايسبوك كانت موجهة للسائح المحلي عكس السائح الأجنبي والذي تم تجاهله، ذلك ما يعكس واقع قطاع السياحة في الجزائر والذي يعاني من تأخر كبير مقارنة ببعض القطاعات رغم كونه حيوي ويمكن الاعتماد عليه كبديل عن المحروقات خاصة مع تهاوي أسعار البترول في السوق العالمية.

- سعت صفحة قناة الشمس الفايسبوكية إلى تحقيق عدة وظائف خلال ترويجها السياحي منها الإعلام، والإعلان، والدعاية والربح المادي، والتوعية ذلك بنسب متفاوتة ومع التركيز أكبر على الإعلام.

- يظهر أن درجة تفاعل الجمهور مع منشورات الصفحة ضعيف ولا يرقى إلى المستوى المطلوب وكما أن أغلب تفاعلات الجمهور كانت للاستفسار وفي كلمات محدودة، مما يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في أساليب المتبعة للترويج السياحي للصفحة قصد دفع الجمهور إلى أن يكون أكثر إيجابية في المستقبل في التعامل مع المنشورات صفحة قناة الشمس السياحية في الفايسبوك.

- لم تستغل صفحة قناة الشمس السياحية في الفايسبوك جيدا الخدمات التي يتيحها موقع فايسبوك في ترويجها لمنشوراتها حيث اعتمدت بصفة أكبر على الفيديو رغم إمكانية تدعيم ذلك بالنص والصورة.

- حرص القائمين على صفحة قناة الشمس السياحية على تقديم مضامينها ومخاطبة الجماهير باللغة العربية الفصحى

ومن خلال ما تم التوصل إليه في الدراسة يوصي الباحث:

- ضرورة فتح أبواب الحوار والتواصل أكثر مع القراء والرد على استفساراتهم.
- تضمين واستغلال كل الوسائط التي يتيحها موقع فايسبوك باعتبار الوسائط تزيد من تفاعل المتابعين سواء بالرد أو الإعجاب أو إعادة المشاركة.

- ضرورة اهتمام الحكومة الجزائرية بمواقع التواصل الاجتماعي وتسخيرها للتعريف بالسياحة، خاصة في ظل تراجع أسعار البترول باعتبارها الحل البديل للخروج من الأزمة الاقتصادية التي تتخبط فيها البلاد من خلال تشكيل صفحات ومجموعات معتمدة ورسمية.

- ضرورة تكثيف الدراسات والتعمق أكثر في الموضوع.

- تجنيد المؤسسات السياحية موظفين وتكوينهم في هذا المجال للاحترافية وحسن استغلال هذا الموقع.

الخاتمة:

تستخدم المؤسسات السياحية مواقع التواصل الاجتماعي "الفييس بوك" لجذب انتباه الجمهور والمستهدف من السياح إليها أو إلى منتجاتها، وذلك عن طريق عناصر مزيج الاتصالات التسويقية "الترويج" عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو عن طريق استخدام وسائل الاتصال التقليدية لدفع الجمهور لزيارة مواقعها عبر الشبكات الاجتماعية، فمواقع التواصل الاجتماعي فرصة كبيرة للسياح للحصول على معلومات التي لا تقدمها وسائل الاتصال الأخرى، مما جعل عملية الشراء أسهل بالنسبة إليهم، حيث يستطيعون اختيار المنتجات وعمل الطلبات بعد مشاهدة مواصفات المنتجات السياحية و اجراء المقارنات ثم القيام بعملية الشراء بسرعة وسهولة وبتكلفة منخفضة نسبيا، وان الانتشار الواسع في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في حياتنا اليومية تحولت تلك التقنية من مجرد شبكة لتبادل المعلومات الى احد الركائز المهمة في مجال التسويق الرقمي العالمي وفتحت آفاقا واسعة امام صناعة السياحة، حيث يعتمد نجاح السياسات الترويجية على توفير المعلومات اللازمة والجاذبة القادرة على استقطاب أكبر عدد ممكن من السياح.

المراجع:

- 1- بوشنافة أحمد، ناصر نفيسة، الشبكات الاجتماعية أداة للتسويق الافتراضي في المجال السياحي، مداخلة ضمن الملتقى الدولي الخامس، حول الاقتصاد وانعكاساته على الاقتصاديات، المركز الجامعي خميس مليانة، يومي 14/13 مارس 2012.
- 2- خليل عبد الرحمان مصعب المعاينة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2000.
- 3- دحدوح علاء، مقترح لتوظيف الشبكة الاجتماعية في الجامعات الفلسطينية، شهادة لنيل ماجستير في مناهج وطرق التدريس، جامعة الإسلامية، غزة، 2002.
- 4- راضي زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، العدد 15، جامعة عمان الأهلية، 2003.
- 5- سعود صالح كاتب، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: التحديات والفرص، المؤتمر العلمي الثاني حول الإعلام في الدول الإسلامية، جامعة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، يومي 13/15 ديسمبر 20.
- 6- فارح رشيد، بودة يوسف، دور التسويق السياحي في دعم التنمية السياحية والحد من أزمات القطاع السياحي، مجلة الأبحاث الاقتصادية. والإدارية، العدد 12، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التجارة والتمويل، جامعة بسكرة، 2012.
- 7- فؤاد الحاج عبد القادر، أهمية المزيج التسويقي في ترقية الخدمات السياحية - دراسة حالة فندق الزينيين تلمسان-، مذكرة ماجستير غير منشورة، تخصص تسويق، كلية العلوم الاقتصادية والتمويل والتجارة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009، ص 101
- 8- محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الاعلام، بيروت، لبنان، دار مكتبة الهلال، 2009..
- 9- موريس انجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة صحراوي بوزيد واخرون، الجزائر، دار القصة، 2009.
- 10- حمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003.
- 11- (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة، متاح على الموقع <http://qn.wikipedia.org>، تم التطلع عليه يوم 2018/02/24 على الساعة 14.30.
- 12 - محمد فراج عبد السميع، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تسويق مصر كمقصد سياحي دولي، ورقة بحثية مقدمة لقطاع التخطيط والبحوث والتدريب، وزارة السياحة المصرية، أبريل، 2012.
- 13- محمد منير حجاب، أساسيات البحوث العلمية والاجتماعية، القاهرة، مصر، دار الفجر، ط3، 2002.
- 14- محمود جاسم الصميدعي، ردينه عثمان يوسف، سلوك المستهلك مدخل كمي وتحليلي، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص 181.
15. Claude demeure, marketing, edition dalloz, Paris; 2001.

أثر الثقافة السياحية على التنمية المستدامة في الجزائر

د. نجوى سديرة

جامعة محمد الشريف مساعديه - سوق أهراس

ملخص:

يعد قطاع السياحة من أهم القطاعات نموًا في العالم، إذ أصبحت اليوم تمثل قطاعًا إنتاجيًا يكتسي أهمية كبيرة في زيادة الدخل الوطني، وتحسين ميزان المدفوعات، ومصدرًا للعملة الصعبة، وهدفًا لتحقيق برامج التنمية الاقتصادية، ومحرك جديد للتنمية المستدامة ودعم النمو باعتباره تقوم على مقومات هي التراث سواء الثقافي أو الطبيعي الذي يعمل على جذب السياح، لاسيما أن الجزائر تتوفر على طاقات لا نظير لها على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي تصبو إلى الارتقاء بالسياحة إلى مصاف القطاعات الدارة للثروة وبناء قطاع سياحي جذاب للسياح.

وباعتبار أن الجزائر من البلدان العربية التي تتوفر على مجموعة من المقومات الطبيعية والجغرافية والاثريّة، حرصت على أن تتجه في الوقت الحالي، وبكل عزم وثبات نحو إعطاء بعد جديد للسياحة الثقافية بما يحقق تنمية مستدامة في حدود ما تحويه من إمكانات.

الكلمات المفتاحية: السياحة، الثقافة السياحية، تنمية مستدامة، الجزائر

Abstract:

The impact of touristic culture on sustainable development in Algeria

The tourism sector is one of the most important sectors in the world. Today, it becomes a productive sector of importance in increasing national income, improving the balance of payments, a source of hard cash, a goal for economic development programs and a new engine for sustainable development and supporting growth, as it is based on the elements of the heritage, whether cultural or natural, which works on the attractions of tourism, especially that Algeria has an unparalleled potential at the level of the Mediterranean sea, and is striving to promote tourism to the ranks of the sectors of wealth management and the construction of tourism sector attractive to tourists.

Considering that Algeria is one of the Arab countries that have a range of natural, geographical and archaeological components, it is keen, at this time, to move with the utmost determination and stability to give a new dimension to cultural tourism to achieve sustainable development within its potential.

Keywords: tourism, tourism culture, sustainable development, Algeria...

مقدمة:

يشهد النشاط السياحي نمواً وتطوراً كبيراً في الوقت الراهن، حيث أصبحت السياحة من أهم الظواهر الاقتصادية والاجتماعية وهي تحتل موقعا مهماً في إقتصاديات العديد من الدول المتقدمة والنامية، إذ تعد أحد الركائز في معظم إقتصادياتها نظراً لمساهمتها الفعالة في الدخل الوطني وفي مستوى الإستثمارات الوطنية والدولية في المناطق السياحية.

ونظراً لإرتباط السياحة بشكل أساسي بالبيئة فقد بدأ الإهتمام والتركيز على مبدأ الإستدامة في السياحة وذلك منذ ثمانينيات القرن الماضي، حيث لم يعد يقتصر المفهوم الجديد للسياحة المستدامة على المنظور الإقتصادي فحسب، بل أصبحت هناك إستجابة لمقتضيات التنمية المستدامة بخصوص إنعكاسات النشاط السياحي على البيئة الطبيعية والبشرية بما تتضمنه من حماية للبيئة الإجتماعية والثقافية ورعاية حقوق الأجيال المقبلة، ومن خلال نمو القطاع السياحي وإستدامة وزيادة منافعه وتأثيراته على العديد من الظواهر داخل المجتمع، فإنه يمكن القول بأنه حان الوقت لتبني فكر الاستدامة واعتباره الفكر الأساسي لها وتبني مبادئ التنمية المستدامة في المجال السياحي.

وعليه تبدو أهمية الدراسة فيما يلي:

- تعد السياحة ظاهرة إنسانية واجتماعية تعكس ثقافة المجتمع وتسهم في الحفاظ على موروثه الثقافي. فالسياحة اليوم هي صناعة وميدان تنافسي لدى العديد من الدول الكبرى التي تسعى للسيطرة على المجال السياحي والنجاح فيه باستغلال مختلف مواردها الطبيعية والمواقع السياحية التي تميزها وكذا طاقتها البشرية المستغلة في القطاع السياحي، والفرد السائح كمستهلك لمختلف السلع والخدمات.

- تعتبر السياحة مورداً من الموارد الاقتصادية التي تعتمد عليها معظم دول العالم، ومصدر ومدخل أساسي في النهوض بالاقتصاد من خلال المداخيل الحالية التي تساهم في خزانة الدولة وترتبط أساساً بمختلف القيم الحضارية والثقافية، فالثقافة تعتبر شكلاً من أشكال التعبير الفني، وتعد مقوم أساسي للسياحة تعمل على إنماء القطاع السياحي ككل وتحقيق تنمية شاملة.

أما عن أهداف الدراسة فتتمثل فيما يلي:

- تبيان أهمية الثقافة السياحية ودورها في النهوض بالقطاع السياحي في الجزائر خاصة وأن السلطات الجزائرية أولت أهمية كبيرة لهذا القطاع.
- إستعراض أهم المشاكل والمعوقات التي تواجه القطاع السياحي في الجزائر.
- إبراز دور أهم المؤسسات من أجل تحسين الوجهة السياحية للجزائر.

أما عن منهج الدراسة فتعتمد هذه الدراسة سعياً لتحقيق أهدافها على منهجين: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي غير جوانبها المختلفة وذلك بتشخيص وتحليل واقع القطاع السياحي في الجزائر ومدى إهتمام المؤسسات المختلفة بدعم وتنمية القطاع السياحي.

لهذا فالإشكالية المطروحة في هذا الصدد هي: ما مدى مساهمة الثقافة السياحة على تحقيق التنمية المستدامة في القطاع السياحي؟

وسنحاول الإجابة على هذه الإشكالية ضمن المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للثقافة السياحية والتنمية المستدامة

المبحث الثاني: دور المؤسسات في عملية تنمية الثقافة السياحية وعوائق تحقيقها.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للثقافة السياحة والتنمية المستدامة:

المطلب الأول: مفاهيم أساسية حول السياحة والثقافة السياحية:

تجسد السياحة نموذجاً للعلاقات المختلفة بين شعوب العالم وحضاراتهم المتعددة وذلك لتبادل المعرفة والتقارب الفكري وإحلال التفاهم بين هذه الشعوب، كما أنها تعتبر كيوابة تساعد على الإطلاع الفكري والتنوع الحضاري والثقافي وحتى الإقتصادي، لهذا من الضروري إعتبارها كعنصر فعالاً في التغيير الإجتماعي وتطوير العلاقات بين أفراد الجيل الواحد وحتى الأجيال القادمة.

أولاً: مفهوم السياحة بالمعنى العام

1- تعريف السياحة: تعرف السياحة بأنها سفر الإنسان أو ترحاله أو قيامه برحلة للإقامة مؤقتاً ولفترة محدودة في مكان آخر بعيد عن مكان إقامته الأصلي سواء في بلده أو في بلد أجنبي، بغرض الترويح الذهني و/أو الجسمي، وهي تتأثر بعدة عوامل كالمواصلات، ودخل الفرد وثقافته ودرجة تحضره، الموقع، البيئة، وتوافر المعالم السياحية.¹

كما أنها تمثل جميع أشكال السفر والإقامة للسكان غير المحليين، وإنتقال الأفراد خارج الحدود السياسية للدولة التي يعيشون فيها مدة تزيد على أربع وعشرين ساعة وتقل عن عام واحد، على أن لا يكون الهدف من وراء ذلك الإقامة الدائمة أو العمل أو الدراسة أو مجرد العبور الدولة الأخرى.²

ومن جهة أخرى يمكن أن تكون السياحة عبارة عن إستخدام محدد لوقت الفراغ ولكل أشكال الإستجمام، وأنها تشمل معظم أشكال السفر، وما هي إلا حركة مؤقتة للسكان أو للناس إلى مناطق معينة خارج مناطق

¹ - محمد إبراهيم عراقي وفاروق عبد النبي عطا الله، التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية" المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي - السيوف الإسكندرية، ص 4.

² - عثمان محمود غنيم وبنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، الطبعة الثانية، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2003، ص. 22، 23.

سكناهم وإقامتهم الدائمة، بحيث تشمل جميع النشاطات التي تمارس في المناطق المستهدفة وكذلك جميع الخدمات والتسهيلات التي تم توفيرها لممارسة هذه النشاطات¹.

ويمكن أن تعرف السياحة على أنها تشمل أشكال السفر المرتبطة بالمهنة والعلاج والسياحة المهنية والسياحة النقاهاة، وكذلك كل أشكال السفر الحر الذي يهدف إلى الإستحمام والترفيه بالمفهوم العام². وهي مجموعة من العلاقات المتبادلة التي تنشأ بين الشخص الذي يتواجد بصفة مؤقتة في مكان ما، وبين الأشخاص الذين يقيمون في هذا المكان، وهذه العلاقات والخدمات تكون ناجمة عن التغيير المؤقت والإرادي لمكان الإقامة دون أن يكون الباعث على ذلك أسباب العمل أو المهنة³.

ومن خلال العديد من التعاريف المقدمة للتعريف بالسياحة فإنه يمكن إعتبارها على أنها عبارة عن حركة ونشاط إجتماعي، ثقافي وإقتصادي يقوم به العديد من الأفراد بإختلاف جنسياتهم وأعمارهم ومستوياتهم المادية، شرط أن تكون لمدة تزيد على أربع وعشرين ساعة وتقل عن عام واحد، ويكون الهدف من وراء ذلك مجرد الترفيه والإستحمام.

كما أن محاولات العديد من المتخصصين للوصول إلى تعريف دقيق للسياحة، تشير إلى أن جميعها تتفق على أن هناك عنصرين أساسيين يحددان السياحة هما الإنتقال والغاية.

2- خصائص السياحة: تأسيساً على التعاريف السابقة التي توضح بأن السياحة تشمل كافة الأنشطة التي تتعلق بصفة مباشرة أو غير مباشرة بتقديم مجموعة من الخدمات المختلفة للسياح، فإن هذه التعاريف تؤكد على خصائص السياحة التالية⁴:

- أنها من أهم القطاعات الخدمية التي أصبحت تشكل مصدراً رئيسياً للدخل الوطني في الإقتصاديات الحديثة، لأنها تمثل منظومة متكاملة من الأنشطة المختلفة.
 - نطاق المنافسة التي يتحرك فيه القطاع السياحي يمتد إلى خارج النطاق الإقليمي للدولة الواحدة، لهذا فهو أيضاً يتأثر بالتغيرات التي تطرأ على البيئة العالمية.
 - مقومات العرض السياحي تتميز بالندرة الشديدة والحساسية الشديدة للتغيرات التي تطرأ على قطاعات النشاط الإنساني الأخرى في المجتمع، سواء تعلق الأمر بالهبات الطبيعية التي تتمتع بها الدولة، الموروثات الحضارية القديمة والحديثة أو بالمكتسبات الحضارية المعاصرة من بنى أساسية وخدمات تكميلية.
- إضافة إلى خصائص أخرى نذكر منها¹:

¹ - المرجع نفسه، ص.23.

² - مثنى طه الحوري، إسماعيل محمد علي الدباغ: مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2001، ص47.

³ - ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص ص 23/21.

⁴ - سعيد محمد المصري، إدارة وتسويق الأنشطة الخدمية " المفاهيم والاستراتيجيات "، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001.

- السوق المستهدف لقطاع السياحة هو سوق متنوع الخصائص والانتماءات والأنماط السلوكية، لأنه يمتد من مواطني الدولة الواحدة إلى مواطني الدول الأخرى.
 - كل فئات المجتمع تساهم في تشكيل الطابع أو الصورة المميزة لمزيج الخدمات السياحية المقدمة للسائح من طرف الدولة، لأنها كلها تشترك في تقديم الخدمات السياحية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
 - أثر هذا القطاع على القطاعات الأخرى يأخذ طابع تأثير المضاعف أي أن هذا الأثر يكون مركبا ومتوسعا بصفة دائمة.
 - عدم إمكانية إحتكار المقومات السياحية في الكثير من الأحيان خاصة بالنسبة لبعض المقومات السياحية النادرة، إضافة إلى صعوبة القيام بإنتاج سلع سياحية بديلة.
- 3- أنواع السياحة:** يعد قطاع السياحة من أهم قطاعات النشاط الإنساني في الدولة الحديثة، وهناك عدة أنواع للسياحة طبقاً للمعايير التي تُؤخذ في تصنيف السياح وفيما يلي نذكر أهمها:
- أ- **أنواع السياحة على أساس الموقع والحدود:** هناك نوعان أساسيان هما: سياحة دولية (خارجية) وهناك سياحة داخلية (محلية) وهناك نوع آخر يُعرف بالسياحة الإقليمية: كإقليم أميركا اللاتينية وشرق آسيا.
- ب- **أنواع السياحة على أساس فترة إقامة السائح وخصائص المنطقة السياحية:** هناك سياحة دائمة: وهي سياحة تتم على مدار السنة (سياحة ثقافية، دينية) وهناك سياحة موسمية: تقتصر على فترة من السنة كالسياحة الصيفية أو الشتوية.
- ج- **أنواع السياحة على أساس مناطق الجذب السياحي:** توجد ثلاثة أنواع هي:
- **سياحة ثقافية:** وتشمل هذه السياحة زيارة الأماكن التاريخية والمواقع الأثرية والدينية والمتاحف، وهذه السياحة غالباً ما تكون دائمة إذا ما توافرت الظروف المناخية الملائمة لحركة السياح وتنقلاتهم.
 - **سياحة طبيعية:** وهي سياحة متعددة الوجوه (مناخية، نباتية، طبيعية، عامة) ومتنوعة الأغراض (ترويحية، علمية، استشفائية) ولكن يُعد المناخ عنصرها الأساسي ومحركها الفعال.
 - **سياحة اجتماعية:** وهي سياحة متعددة الجوانب، فهي سياحة علاقات اجتماعية وسياحة ترويح وترفيه عن النفس وربما تكون سياحة المدن ضمن هذه السياحة.
- د- **أنواع السياحة على أساس الهدف:** هناك سياحة ترويحية، وسياحة ثقافية، وسياحة علاجية، ودينية، ورياضية، وسياحة المؤتمرات، وسياحة رجال الأعمال.

¹ - أحمد ماهر وعبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة المنشآت السياحية والفندقية، المكتب العربي، الطبعة الثانية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص.14.

هـ- أنواع السياحة على أساس التنظيم: هناك ثلاثة أنواع سياحة عائلية أو فردية وقد تكون جماعية (مجموعات سياحية).

و- أنواع السياحة على أساس أعمار السياح: هناك ثلاثة أنواع أيضاً هي: سياحة الشباب بين (16-30) سنة، وسياحة الناضجين بين (30-60) سنة، وسياحة كبار السن (المسنين) أي سياحة من تجاوز 60 سنة وسياحة هؤلاء تزداد أهميتها كلما ازداد الوعي الصحي وطال عمر الإنسان.

ز- أنواع السياحة حسب وسيلة النقل: هناك السياحة الجوية عن طريق الطيران، والسياحة البرية عن طريق السيارات والقطارات، والسياحة البحرية عن طريق السفن واليخوت، وهناك نوع جديد من السياحة يُسمى سياحة الفضاء وهذه السياحة محصورة حتى الآن ببعض الأشخاص القلائل جداً حيث تكلف الرحلة ملايين الدولارات.

4- أهمية السياحة: لقد أصبحت السياحة من أهم صناعات العالم، فهي تلعب دوراً كبيراً في الاقتصاد العالمي، فلقد تنامت وازدهرت، حتى أصبحت الآن غذاء الروح وصناعة العصر والمستقبل، وخاصة في ظل مفهوم التنمية المستدامة، حيث أصبحت السياحة الصناعة التي لا حدود لتطورها والأكثر حضارة والأقل تلويثاً للبيئة. وتلعب السياحة دوراً هاماً في التنمية المستدامة، على اعتبار أنها تبرر عمليات المحافظة على التوازن الثقافي في المواقع السياحية، وتحافظ على عناصر الجذب السياحي من حيث:

أ- الأهمية البيئية والعمرانية: تساعد السياحة على تحقيق إستغلال أمثل للموارد الطبيعية وتدفع للمحافظة عليها وعدم إساءة إستخدامها، على اعتبار أنها ثروة وطنية، كذلك تدفع النشاطات السياحية على تنظيم وتخطيط وتحديث إستخدامات الأرض بالشكل الذي يحقق أقصى منفعة مع الإهتمام بالبيئة وبالبعد الجمالي للمعطيات، سواء كانت طبيعية أم من صنع الإنسان، وتبرز هذه الأهمية خاصة من خلال¹

- المحافظة على المعطيات العمرانية: تساعد السياحة في تبرير تكاليف عمليات الحفاظ على المواقع الطبيعية الهامة، كتطوير العمليات الطبيعية وإنشاء الحدائق الوطنية والإقليمية، والبنائات ذات الطابع الجمالي وذلك لكونها عناصر جاذبة للسياح.

- تحسين نوعية البيئة: توفر السياحة الحوافز لتنظيف البيئة من خلال مراقبة الهواء، الماء، التلوث، الضجيج، معالجة النفايات، كما تساهم السياحة في تحسين الصورة الجمالية للبيئة من خلال برامج تنسيق المواقع، والتصاميم الإنشائية المناسبة، إستخدام اللوحات التوجيهية وصيانة المباني.

ب- الأهمية الإجتماعية والثقافية: بالإضافة إلى أنه من خلال السياحة يمكن تعلم ثقافة مختلف المناطق، وبالتالي يزداد التفاهم المشترك والإحترام وتلاقي القيم والعادات قبولاً من الجانبين وتخلق روح الوحدة بين المجتمعات، وتقريب المسافات الثقافية بينهم، إضافة إلى أن السياحة تمكن من معرفة ماضي الشعوب وتاريخها

¹ - www.algeriantourism.com/articles.(11/04/2006)

وحماية التراث التاريخي والحضاري للشعوب مما يزيد من حركة الإتصال والتواصل فيما بينها، مما قد يؤدي لتطوير السياحة المحلية في الكثير من دول العالم، كما توفر السياحة الحوافر وتساعد على دفع تكاليف المحافظة على المواقع الأثرية والتاريخية، والتي إذا لم يتم الحفاظ عليها ستعرض للدمار والتدهور، وبالتالي إلى ضياع التراث التاريخي للمنطقة، إضافة إلى ما يلي¹:

- المحافظة على الموروثات التاريخية والثقافية والأنماط المعمارية المعاصرة المميزة.
- إحياء الفنون والمناسبات التقليدية والصناعات التقليدية وبعض مظاهر الحياة المحلية.
- تساعد العائدات السياحية مختلف المتاحف والمرافق الثقافية المختلفة مثل المسارح، كذلك تنظيم المهرجانات والمناسبات الثقافية كونها عناصر جذب للسياحة الداخلية والخارجية.
- دعم التبادل الثقافي بين المجتمعات (السياح والسكان).

ج- الأهمية الاقتصادية: للسياحة العديد من الآثار الاقتصادية الأخرى والتي من ضمنها ما يلي²:

- **تحقيق الرواج الاقتصادي:** إن المبالغ التي تدخل قطاع السياحة تدور في حركة الإقتصاد الوطني، فالإستثمار في القطاع السياحي يؤدي في كل الأحوال إلى زيادة العمالة التي بدورها تحصل على رواتبها والتي تمثل قدرة شرائية جديدة، كما أن الأموال التي تدخل للدولة من السياحة تستخدم في غالب الأحيان لتنمية هذا القطاع، وبالتالي تدخل ضمن الدورة الإقتصادية للدولة.

إضافة إلى أن الضرائب والرسوم المفروضة على هذه البضائع والخدمات المستوردة وكذا المدخول من إعادة بيع المنتج السياحي إلى المستهلكين وأصحاب الأعمال، تؤدي إلى دورات جديدة من الشراء والإنفاق داخل الدولة، وبالتالي تؤدي إلى مضاعفة الدخل السياحي.

- **تسويق بعض السلع:** غالبا ما يقدم السياح عند زيارة بلد ما على شراء سلع تذكارية أو سلع تشتهر بها تلك الدول المستقبلية، وطبيعة هذا الإنفاق على هذه السلع يعد بمثابة تصدير لمنتجات وطنية دون الحاجة إلى شحن أو تسويق خارجي، فكلما زاد عدد السياح القادمين من الخارج كلما زادت الصادرات.

- **تنمية المرافق الأساسية والبنى التحتية:** تحتاج السياحة حتى تؤدي مهمتها على أكمل وجه، إلى بنى تحتية متنوعة كالطرق ومشروعات صرف المياه، ومياه الشرب، وسائل النقل، بالإضافة إلى مطارات وموانئ مناسبة، إضافة إلى التطوير العمراني للمناطق الرئيسية من أجل الجذب السياحي، وبالتالي فإن زيادة الحركة السياحية تتطلب تطوير خدمات النقل وخدمات البنية التحتية الأخرى خصوصا مصادر المياه وشبكة الصرف الصحي وأنظمة التخلص من النفايات والإتصالات، من أجل تلبية حاجات قطاع السياحة.

¹ - Ministère du tourisme: plan d'action pour le développement durable du tourisme en Algérie, horizon 2010, p 8.

² - www.algeriantourism.com/articles. (11/04/2006)

- **زيادة الإستثمار الوطني والأجنبي:** تتضمن السياحة مجالات مختلفة للإستثمارات مثل بناء الفنادق، المطاعم، الملاهي، مراكز الرياضة، القرى السياحية، شركات السياحة ووكالات السفر ووسائل النقل، وبالتالي ترتفع الإستثمارات في هذا المجال، كما تؤدي السياحة إلى دعم الأنشطة الإقتصادية الأخرى في قطاعات الزراعة والصناعة والخدمات وذلك من خلال زيادة الطلب على المنتجات الزراعية والصناعية والإستثمارات فيها. وتأسيسا لما سبق يمكن تأشير أهمية تنمية الصناعة السياحية من خلال¹:

- **تحسين ميزان المدفوعات:** وذلك من خلال تدفق رؤوس الأموال الأجنبية للإستثمار في المشاريع السياحية وكذلك من خلال الاستخدامات الجيدة للموارد الطبيعية وما ستحققه السياحة من موارد نتيجة إيجاد علاقات اقتصادية بينها وبين القطاعات الأخرى في الدولة، متزامنا مع ما تحصل عليه الدولة من منافع اقتصادية حيث من الإيرادات المتحققة من العملات الصعبة الناجمة عن الطلب السياحي للسياحة الخارجية وكذلك الداخلية مما يسهم في زيادة الناتج القومي للدولة بشكل مباشر وغير مباشر وبالتالي المساهمة في عملية البناء الاقتصادي فضلا عما تحققه هذه الصناعة من انتعاش شرائح واسعة من المجتمع.

- **توفير فرص عمل وحل مشكلة البطالة:** ذلك أن التوسع في صناعة السياحة والمشروعات المرتبطة بها يساهم في توفير فرص عمل جديدة مما يخفف من البطالة وبالتالي يؤدي ذلك إلى ارتفاع مستوى الدخل والرعاية للمجتمع وزيادة معدل نمو إنفاق السياح والتأثير المباشر للسياحة في توفير فرص عمل يكون أولا من القطاع السياحي للقطاعات المرتبطة به.

ثانيا: مفهوم الثقافة السياحية

1- تعريف الثقافة السياحية

تعرف الثقافة السياحية على أنها شكل من أشكال الوعي الاجتماعي الذي ظهر نتيجة توسع نشاط الانسان وحاجاته ومتطلباته، فالوعي يعني ادراك الفرد وفهمه للسياحة وأهميتها الاقتصادية وتقديره لتنمية السياحة، كما وتعتبر زيادة معرفة المواطنين بالمعلومات حول المناطق السياحية ومقومات الجذب بها وصور النشاط السياحي فيها هي بداية الطريق لبناء قاعدة قوية من الثقافة والوعي السياحي حيث تتراكم المعلومات المستقاة من الخبرات والمشاركات في مختلف النشاطات السياحية وكذا الأدوار المهمة التي تقدمها وسائل الاعلام السياحي مما تسهم في اشراك المواطن المحلي إيجابيا في التنمية السياحية واتباع سلوك سليم اتجاه مختلف العناصر السياحية وممارستها.² فهي امتلاك الفرد قدرا من المعارف والمعلومات والمفاهيم والاتجاهات والقيم التي تمثل في مجملها خلفية مناسبة لكي يسلك سلوكا سياحيا رشيدا نحو المظاهر السياحية وكذا العمليات اللازمة لتخطيط وتنظيم والتعامل مع

¹ - www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar أحمد الكردي

² - داليا محمد تيمور زكي، الوعي السياحي والتنمية السياحية مفاهيم وقضايا، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 109-110.

المؤسسات والأماكن السياحية والسياح، كما لا بد على الدولة تنشيط التوسع السياحي محليا للمواطن وعلى نفس درجة الأهمية للمستويات الأخرى، ويجب أن يتم اعلام المواطنين أولا بفوائد السياحة وطبيعة هذا النشاط، واقناهم بأن هذه الفوائد تستحق التكلفة والعناء.

وتجدر الإشارة الى أن الثقافة تتأثر بالعديد من مكونات البيئة الحاضنة لنشاط سياحي والتي تتمثل في الآتي:

- القيم السائدة في المجتمع وهي تحدد أنواع الأهداف والسلوك الذي يجوز القيام به وموافقة المجتمع عليه أولا.

- نظم التعليم ومناهجه وفلسفته السائدة في المجتمع حيث تساهم في تكوين الشخصية من حيث الرغبة في الحصول على المزيد من الثقافة داخل الوطن وخارجه.

- الأعراف والممارسات والسلوكيات السائدة في المجتمع مثل أساليب قضاء أوقات الفراغ وأنواع الإجازات وهي أمور يجب دراستها داخل المجتمع وداخل كل فئة من فئاته.

- اللغة التي تميز تلك البيئة المجتمعية على غيرها، أي اللغة التي يستخدمها افراد المجتمع والتي تمثل مختلف أساليب التواصل ومختلف التقاليد والممارسات الموروثة من جيل لآخر.¹

هذا وتعتمد الثقافة السياحية على ثلاثة جوانب هي كالتالي:

- الجانب المعرفي، حيث تعتمد عليه الثقافة السياحية بشكل كبير لأن العمليات والمفاهيم هي أساس المعرفة والبحث. ويحتوي هذا الجانب على التعريف بالسياحة الداخلية والمحلية والتخطيط السياحي ومستقبل السياحة في البلد.

- الجانب المتعلق بالمهارات، وهو الجانب الذي يتعلق بالأداء الذي تعلمه الفرد، ويركز على المهارات لدى الفرد وقدرته على اعداد وتخطيط برنامج سياحي متكامل، وقدرته على التعامل مع السائحين وكيفية التعامل مع معطيات السياحة، بالإضافة الى قدرته على قراءة خريطة السياحة وحسن استخدامها.

- الجانب الوجداني، ويركز على اكتساب الفرد لسلوكيات إيجابية ومرغوبة فيها نحو السياحة والسائحين والبيئة السياحية².

2- أهمية الثقافة السياحية: تكمن أهمية الثقافة السياحية فيما يلي:

- فهم وتنمية التراث الاجتماعي والثقافي والمحافظة عليه من خال انتقاله من جيل الى جيل خاصة حينما نتحدث عن انتقال واحتكاك الذي يحدثه تواصل فئات المجتمع الواحد في بيئة معينة.

¹ - غادة صالح، المرجع السابق، ص100.

² - هدير عبد القادر، واقع السياحة في الجزائر وآفاق تطويرها، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص67.

- عالمية الثقافة السياحية وهنا نتحدث عن أهمية معرفة الفرد لثقافة السياحة المحلية التي تعني بالضرورة اكتسابه لسلوكيات معينة تحدد له مساراته واتجاهات وتمنحه الطريقة الصحيحة والواعية في كيفية القيام بنشاط سياحي على المستوى المحلي والذي سيمكنه أيضا القيام بنشاط سياحي على المستوى آخر وفي مناطق أخرى.
- احتياج المجتمع لتغيير وذلك على مستوى العلاقات الاجتماعية وانماطها والتي لا يمكن ان تحدث الا على مستوى الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية وهو ما يمكن ان نحققه من خلال تحقيق تقدم في تنمية الثقافة السياحية التي تخلق وعيا سياحيا لدى افراد المجتمع، وبذلك نحقق ارتفاعا للجهد المبذول في تحقيق التنمية الاقتصادية اما كمردود للسياحة كنشاط اقتصادي او كتأثير إيجابي على الفرد السائح كمنتج، وكذا دور السياحة في خلق تماسك وتعارف اجتماعي وبذلك تقوية الروابط الاجتماعية وتماسك النسق الاجتماعي للأفراد¹
- ضرورة الثقافة السياحية من اجل تحقيق التنمية حيث تعمل على إحلال قيم وتقاليد جديدة تتماشى مع البيئة المحيطة بالفرد والتي هدفها التغيير ورفع مستوى المعيشة، كما وأنها تساهم في إشراك الجماهير في وضع خطط تنموية ومساهمة فيها بشكل إيجابي.
- تعرف المواطنين بفوائد السياحة الاقتصادية وأهميتها بالنسبة لمستقبلهم فهناك الكثير من المواطنين يستفيدون بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال مشاركتهم في السياحة بدء من الفنادق والمطاعم والوكالات السياحية ومؤسسات النقل، وكذا فيما يخص الافراد والسكان المحليين الذين يستفيدون من تأجير مساكنهم القديمة والأثرية وكذا التسويق لمنتجاتهم التقليدية والحرفية.
- اكتساب سلوكيات محترمة في التعاملات مع السائح المحلي والذي سيؤهل الافراد المحليين لاكتساب طرق ومناهج التعامل مع السياح الأجانب².

3- مبادئ الثقافة السياحية وأسس تنميتها

- أ- مبادئ الثقافة السياحية: تقوم الثقافة السياحية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي تميزها عن بقية الثقافات الاجتماعية والإنسانية الأخرى والتي نوضحها كالتالي:
 - تعد الثقافة السياحية عملية متكاملة معرفيا ووجدانيا كونها تتعلق بالجوانب القيمية والمعتقدات والاتجاهات التي تترجم على شكل سلوكيات من قبل الافراد في بيئة معينة.
 - إقامة خطط مستقبلية خاصة بالبرامج التنموية الشاملة لثقافة سياحية لدفع عجلة النمو بالتوازي مع مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في الدولة وذلك لتجنب العشوائية في العمل.
 - المحافظة على البيئة والاهتمام بها كون من اهم أسس التنمية الثقافية الحث على المحافظة على البيئة والتراث الثقافي والحضاري للمنطقة.

¹ - دادن عبد الغني/ تلي سعيد، الثقافة السياحية للمجتمع ودورها في تحقيق التنمية الصحراوية Biskra -univ.dz

² - داليا محمد تيمور زكي، المرجع السابق، ص 111/112.

- ان تعميق المفاهيم الصحيحة للثقافة السياحية في المجتمع التعليمي تسهم في تعزيز الانتماء الوطني من خلال استشعار أهمية المكتسبات الوطنية، والاعتزاز بالمقومات السياحية ومظاهر الحضارة والأماكن التاريخية في المناطق المحلية والعمل على المحافظة عليها¹
- العمل على مضاعفة الجهود لتحقيق أعلى مردود مادي للبلد المضيف من خلال استخدام الموارد المحلية الطبيعية والإمكانات البشرية.
- العمل على ان يسير التطور السياحي جنبا الى جنب مع التطور الاجتماعي والبيئي.
- هذا وقد وضعت العديد من الخطط من أجل تدعيم السياحة داخل المجتمع ولدى العديد من الدول والتي تعتمد من خلال مخططات التي تطبق من خلالها برامج التوعية السياحية ونبرز أهمها في:
 - صياغة وتقديم قواعد السلوك بالنسبة للمسافرين والسياح وصناعة السياحة.
 - ادخال السياحة في المناهج الدراسية وتلقيها للأطفال منذ السنوات الأولى من وعيهم وجعلها مكتسبا ثقافيا لديهم.
 - تشجيع تنمية السياحة في المناطق الريفية والعمل على مراقبة الآثار الاجتماعية والثقافية والسياحية وتقومها².
- ب- أسس تنميتها: تتحقق عملية تنمية الثقافة السياحية من خلال العمل على الجوانب المهمة والتي تعد عناصر أساسية في تحقيق التنمية ونوجزها كالتالي:
 - تنمية الوعي العمومي بقضية السياحة في إطار المصلحة الوطنية والمحلية بمعنى انها مصدر مهم في تحقيق التنمية المحلية من خلال توفير فرص عمل لفئات اجتماعية أخرى.
 - تنمية دافع المحافظة على البيئة الأساسية في مجال النشاط السياحي مثلا المحافظة على سلامة الأماكن المخصصة للاستراحة كالمتاحف، المزارات الاثرية...
 - الاهتمام بتوعية المواطنين الذين لهم تعامل مباشر مع السائحين الى أهمية عنصر الصدق والالتزام في التعامل معهم خاصة فيما يتعلق بالمشرفين على وسائل النقل وكذا أصحاب الأماكن المخصصة للراحة والفنادق والشقق المعدة للإيجار³
 - تشجيع القطاع الخاص والتوسع في إقامة وبناء منشآت الخدمات السياحية لزيادة الطاقة الايوائية للمنشآت السياحية الفندقية وبما يتناسب مع الطلب السياحي.

¹ - دادن عبد الغني/تلي سعيد، المرجع السابق، ص04.

² - سالم حيد سالم، الاصاله التفاعلية بين السياحة والتنمية المستدامة، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، مجلد1، العدد02، بغداد، 2009.

³ - غادة صالح، المرجع السابق، ص145.

- إيجاد اعلام سياحي فاعل يتمتع بالمهنية ويستخدم أكفأ الوسائل وأكثرها تقدما ومواكبة لمتطلبات العصر الاتصالية وذلك من اجل تقديم رسائل الإعلامية والمعرفية والإقناعية باعتماد أفضل المداخل ويساهم في نشر الثقافة السياحية.
- بناء قدرات ومهارات عمالية في القطاع السياحي عبر التعليم والتدريب والتأهيل لتوفير العامل المتميز بالوعي وقادر على أداء المهنة السياحية وتلبية احتياجات السوق المحلية والعمالة الفندقية والسياحية.
- ضرورة وجود قوانين وأنظمة تضمن السيطرة على أعداد السياح الوافدين وتأمينهم وتوفير الخدمات والمعلومات والامن والحماية دون الحاق الضرر بالبيئة المحلية.
- دعم اعتبار السياحة كمكون أساسي للتنمية المحلية، وتشجيع المنظمات التي تروج لذلك وبالتنسيق بين الخطط المحلية والإقليمية وترسيخها كمفاهيم واهداف لدى السكان المحليين¹
- رفع المهارات المتعلقة بالعنصر البشري العامل في القطاع من خلال دورات تكوينية وبرامج التأهيل، الى جانب العمل على إغناء التراث الثقافي عن طريق الاحتكاك بمختلف الثقافات الأخرى وكذا خلق نوع من التمازج والتجانس والاستثمار في التنوع الثقافي المحلي.
- خلق مجتمع غير طارد للسياحة وذلك من خلال بناء ثقافة مشجعة على ترويج السياحة ويتعلق ذلك بفن الاستضافة وتعميق الوعي بأهمية السياحة وعوائدها ليس لدى أصحاب القطاع والباحثين فقط، وانما لدى المواطن العادي²

المطلب الثاني: مفاهيم أساسية حول التنمية السياحية المستدامة

تعد التنمية السياحية المستدامة هي المحور الأساسي في إعادة التقويم لدور السياحة في المجتمع، لهذا سنتطرق لمفهومها وأهدافها وأساليب تطبيقها:

1- مفهوم التنمية السياحية المستدامة: تعرف التنمية السياحية المستدامة والمتوازنة بأنها تنمية يبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة في إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية داخل الدولة ككل أو داخل أي إقليم تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية وحضارية. وعرفها الإتحاد الأوروبي للبيئة والمتنزهات القومية سنة 1993 التنمية السياحية المستدامة على أنها نشاط يحافظ على البيئة ويحقق التكامل الاقتصادي والاجتماعي ويرتقي بالبيئة المعمارية، كما تعرف على أنها التنمية التي تقابل وتشبع إحتياجات السياح والمجتمعات الضيفة الحالية وضمان إستفادة الأجيال المستقبلية، كما أنها التنمية التي

¹ - دليّة طالب، عبد الكريم الوهراني، السياحة كأحد محركات التنمية المستدامة، الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2011، ص56.

² - كرمية إبراهيم، العلاقات العامة في المؤسسة السياحية (دراسة حالة وزارة السياحة)، رسالة ماجستير، قسم علوم الاعلام والاتصال كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر، 2005، ص273.

تدير الموارد بأسلوب يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الإبقاء على الوحدة الثقافية وإستمرارية العمليات الإيكولوجية والتنوع البيولوجي ومقومات الحياة الأساسية¹.
والجدول يوضح المقارنة بين التنمية السياحية المستدامة والسياحة التقليدية:

جدول رقم (1): مقارنة بين التنمية السياحية التقليدية والتنمية السياحية المستدامة :

أوجه الاختلاف	التنمية السياحية التقليدية	التنمية السياحية المستدامة
من حيث الخصائص:	تنمية سريعة	تنمية تتم على مراحل
	قصيرة الأجل	طويلة الأجل
	ليس لها حدود	لها حدود وطاقات إستيعابية معينة
	سياحة الكم	سياحة الكيف
من حيث الإستراتيجيات:	إدارة عمليات التنمية من الخارج	إدارة عمليات التنمية من الداخل عن طريق السكان المحليين
	تخطيط جزئي لقطاعات منفصلة	تخطيط شامل ومتكامل
	التركيز على إنشاء البناءات	مراعاة الشروط البيئية في البناء وتخطيط الأرض
	برامج خطط لمشروعات	برامج خطط لمشروعات مبنية على مفهوم الإستدامة.

المصدر: أ.د محمد إبراهيم عراقي وفاروق عبد النبي عطا الله: التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية" المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي - السيوف الإسكندرية، ص.5. بتصرف

2- مبادئ وأهداف التنمية السياحية المستدامة: إن الاهتمام المتزايد بالسياحة دفع إلى تعاظم دورها في التنمية من حيث تشجيع الاستثمار في إنشاء المشروعات السياحية في إطار الإعفاءات الضريبية على واردات السياحة، كما ستوفر فرصا مهمة لمساهمة الدول في إنشاء مشاريع البنى التحتية، خاصة في ظل مفهوم الإستدامة، وتمثل مبادئ وأهداف التنمية السياحية المستدامة في النقاط التالية:²

أ- حماية البيئة وزيادة التقدير والاهتمام بالموارد الطبيعية والموروثات الثقافية للمجتمعات.

ب- تلبية الإحتياجات الأساسية للعنصر البشري والإرتقاء بالمستويات المعيشية.

ج- تحقيق العدالة بين أفراد الجيل الواحد وبين الأجيال المختلفة من حيث الحق في الإستفادة من الموارد البيئية والدخول.

- د- خلق فرص جديدة للإستثمار وبالتالي خلق فرص عمل جديدة وتنوع الإقتصاد.
- هـ- زيادة مداخيل الدولة من خلال فرض الضرائب على مختلف النشاطات السياحية.
- و- تحسين البنى التحتية والخدمات العامة في المجتمعات المضيفة.
- ز- الإرتقاء بمستوى تسهيلات الترفيه وإتاحتها للسياح والسكان المحليين على حد سواء.

¹ - محمد إبراهيم عراقي / فاروق عبد النبي عطا الله، التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية"، المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي ، السيوف الإسكندرية، ص.4.

² - المرجع نفسه، ص5، 6.

- ح- الإرتقاء بالوعي البيئي والقضايا البيئية لدى السياح والعاملين والمجتمعات المحلية.
- ط- مشاركة المجتمعات المحلية في إتخاذ قرارات التنمية السياحية وبالتالي خلق تنمية سياحية مبنية على المجتمع.
- ي- التشجيع على الاهتمام بتأثيرات السياحة على البيئة والمنظومة الثقافية للمقاصد السياحية.
- ك- إيجاد معايير للمحاسبة البيئية والرقابة على التأثيرات السلبية على السياحة.
- ل- الإستخدام الفعال للأرض وتخطيط المساحات الأرضية بما يتناسب مع البيئة المحيطة.
- 3- أساليب تطبيق مبادئ ومعايير التنمية المستدامة:** تعد التنمية السياحية أحد أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة للدولة لما لها من قدرة على تحسين ميزان المدفوعات وتوفير فرص عمل وخلق فرص مدرة للدخل، فضلا عن المساهمة في تحسين أسلوب ونمط الحياة الاجتماعية والثقافية لجميع أفراد المجتمع.
- حيث تشير الدراسات إلى أن نظريات وفلسفات التنمية السياحية المستدامة تظل على هيئة مسلمات إذا لم تتوفر لها مقومات أساسية عند تنفيذ مخططات التنمية السياحية، وعلى الرغم من الصعوبات التي تواجه تطبيق التنمية السياحية المستدامة إلا أنه لا يوجد خلاف على أهمية تبني مبادئ الإستدامة لإدارة وحماية الموارد الطبيعية.
- كما أنه من الضروري لإنجاح التنمية السياحية المستدامة في المستقبل تكيف الأجهزة والمنظمات القائمة على النشاط السياحي مع التغيير للأسلوب الذي يحقق الإستدامة للنشاط السياحي بمختلف أنواعه.
- ويعتبر مفهوم أفضل ممارسة لإدارة بيئية بمثابة الأسلوب الأمثل للإستجابة للتغيير وما يتطلبه من إعادة هيكلة للعمليات المختلفة، كما أنه يعتبر الإطار الشامل الذي يقدم المعايير البيئية المختلفة التي من خلالها يتم تحقيق الجودة البيئية والإرتقاء بمستوى التخطيط والتنمية في المناطق السياحية، ويهدف مفهوم أفضل ممارسة لإدارة البيئة إلى:
- أ- الإستخدام الرشيد للموارد الطبيعية مثل الأرض، التربة، الطاقة والمياه وغيرها.
 - ب- العمل على خفض نسب التلوث بأشكاله المختلفة، الصلبة والسائلة والغازية.
 - ج- الحفاظ على التنوع البيولوجي من خلال حماية النباتات والحيوانات والنظام الإيكولوجي.
 - د- الإبقاء على التراث الثقافي بأشكاله المختلفة من عادات وتقاليد وتراث معماري وغيرها.
 - هـ- المشاركة المحلية لكافة طوائف المجتمع في عمليات التنمية مع العمل على تكامل الثقافات المحلية.
 - و- إستخدام العمالة والمنتجات المحلية.
 - ز- التقليل من المواد الكيماوية الملوثة للتربة.
 - ح- وضع سياسة تراعي الشروط البيئية في كافة مراحل التنمية السياحية.
 - ط- الأخذ بعين الاعتبار شكاوى السائحين.

¹ - المرجع نفسه، ص.6

كما نشير في هذا الصدد أن هناك مداخل عديدة لمفهوم أفضل ممارسة لإدارة البيئة مثل فرض مبالغ مالية وغرامات نقدية على المنشآت التي تلوث البيئة (المدخل القانوني)، إضافة إلى التشريعات والتعليمات المتعلقة باستخدام الموارد السياحية فضلا عن توفير الهيكل الإداري الذي يحقق ذلك (المدخل الإداري)، وكذلك ضرورة استخدام التكنولوجيا الصديقة للبيئة في إدارة العمليات السياحية (المدخل التكنولوجي)، وأخيرا المدخل الثقافي من خلال قياس اتجاهات المجتمعات المضيفة تجاه السياحة¹

المبحث الثاني: دور المؤسسات في عملية تنمية الثقافة السياحية وعوائق تحقيقها

لا بد من أي عملية تنموية يراد من خلالها تحقيق أهداف على المستوى الكبير ان تتضافر جهود عديدة ومختلفة، وعلى مستويات مختلفة تتسم بالعمل الجماعي والمنظم والهيكل يؤدي فيه كل طرف دوره ووظيفته بشكل مطلوب وفعال، فعملية تنمية الثقافة السياحية هي عملية مهمة واسباسية في صيرورة تحقيق التنمية والنهوض بالقطاع السياحي، لذا من الضروري تحديد مختلف المؤسسات والأطراف التي لها دور في عملية التنمية.

المطلب الأول: المؤسسات الفعالة في عملية تنمية الثقافة السياحية

أولاً: وسائل الاعلام والاتصال تتمثل وظيفة هذه الوسائل في بث ونقل القيم والعادات والتقاليد، وكل ما هو ذا قيمة في ثقافة او حضارة البلد، والتنبيه على ترك السلوكيات التي تتعارض وقيم ومعتقدات البيئة التي تنشط فيها هذه المؤسسات الإعلامية او التي تتعارض مع مصالح السياحة، ولتوسيع انتشار قاعدة الثقافة السياحية والوعي السياحي لدى المواطن من خلال الاعلام المرئي والمسموع فانه لا بد من:

- تخصيص البرامج السياحية المتخصصة والاهتمام أكبر من حيث الكم والنوع في البرامج التلفزيونية والاذاعية.
- تناول البرامج التي تتمحور حول قضايا التنمية عموما والقضايا السياحية باعتبار ان السياحة جزء من هذه التنمية الشاملة.²
- احتواء البرامج الاذاعية والتلفزيونية على العناصر السياحية التي تهدف الى توعية الجماهير بالدور الذي يلعبه النشاط السياحي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- التسويق للسياحة الداخلية وللمختلف الأنماط (علاجية، دينية، ترفيهية، ثقافية) وحث المواطنين على القيام بهذه الرحلات، وان تقوم الجهات المسؤولة عن السياحة بتوفير هذه الرحلات بأسعار في متناول اغلب المواطنين.
- بيان أهمية السياحة الخارجية مع التركيز على بعض النماذج السياحية التي منا الممكن الاستفادة منها في تطوير السياحة الداخلية.

¹ - المرجع نفسه، ص.7

² - حسين محمد أبو العسل، مستوى الوعي السياحي لطلبة المدارس لإقليم الشمال <http://Kenanaonline.com>

- عقد الندوات والدورات في الثقافة السياحية لرجال الاعلام لتسهيل نقل المعلومة الى المواطن.

ثانيا: الاسرة: تعتبر الاسرة البيئة الأولى التي يتلقى فيها الفرد دروسه الأولى في التنشئة الاجتماعية من خلال ملاحظاته لسلوكيات افراد عائلته سواء الوالدين او افراد العائلة الكبيرة، ولذا فلا شك ان للأسرة دور كبير في ارشاد أبنائها الى أهمية السياحة واحترام مختلف التقاليد والتراث الثقافي الخاص ببيئتهم وتعريفهم بمختلف مكنوناتها الطبيعية وغرس فيهم ثقافة الانتقال والسفر بين مختلف مناطق بيئتهم واعتزاز بالانتماء لها، بالإضافة الى غرس مفاهيم حماية البيئة والمحافظة عليها¹.

والى جانب الدور الذي تقوم به الاسرة كمؤسسة الأولى والصغرى في تكوين الثقافة السياحية للفرد لا يمكن ان نغفل عن دور الجماعات المرجعية التي لها دور حقيقي وملحوس ومؤثر على الأفراد وطرق عيشهم وبناء سلوكياتهم².

ثالثا: المؤسسات التعليمية والتربوية والجامعات: وذلك من خلال ادراج المحاور الدراسية والتربوية من اجل تلقينها للتلاميذ في المراحل الأولى لتعليمهم، كما لا يجب ان يقتصر دور الجامعة على اعداد خبراء سياحيين، بل يجب عليها ان تقوم بإعداد مواطنين مثقفين سياحيا من خلال تعريف الطلاب بأهمية السياحة في التنمية الاقتصادية والتأكيد على ضرورة النهوض بالقطاع فتتبع الثقافة السياحية لدى طلاب الجامعة من خلال اعداد برامج خاصة بالأنشطة السياحية في المنطقة التي فيها او من خلال ادراجها كذلك ضمن مقرراتها الدراسية والندوات والمؤتمرات والجمعيات، كما وتعمل الثقافة السياحية السليمة على تجنب التصادم والصراع الفكري والثقافي فئات المجتمع وذلك من خلال احتكاك والتعريف بالثقافات والقيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية مختلفة³.

رابعا: المؤسسات السياحية العمومية والخاصة: وذلك من خلال اشراك مختلف فئات المجتمع والاستفادة من خبراته وكفاءات ما أمكن واشراك مؤسساته الاجتماعية والاقتصادية في مختلف القطاعات والجمعيات والمنظمات والأخذ برأيها في وضع الاستراتيجيات وتطبيقها لترسيخ الثقافة السياحية وذلك بتضافر الجهود كلها⁴، فهي تسعى دائما لتنمية وترسيخ الثقافة السياحية من خلال الوظائف التالية:

- التعريف بالمنتج السياحي المحلي وتوجيهه وترقيته.
- اعداد برامج التظاهرات المحلية المرتبطة بالسياحة المناخية والحمامات المعدنية.
- اعلام السياح تنظيم الرحلات السياحية المحلية وعرض خدمات المرشدين السياحيين المحليين.

1 - داليا محمد تيمور زكي، المرجع السابق، ص114-115.

2 - باديس لونيس، الطلبة الجزائريين والانترنت (دراسة في الاشباع والاستخدامات)، رسالة ماجستير قسم علوم الاعلام والاتصال كلية العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008، ص113.

3 - دادن عبد الغني/تلي سعيد، المرجع السابق، ص06.

4 - خليفة مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية الواقع والمأمول، دار القنديل للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص32.

- المشاركة في احياء الأعياد المحلية، وذلك بالتنسيق مع مختلف المؤسسات المحلية وفئات المجتمع
 - العمل على تقديم وتوفير مختلف الخدمات السياحية للسياح المحليين¹
- كما تعمل هذه المؤسسات وباختلافها العمومية والخاصة والتي ترعى عادة القطاع السياحي ومن خلال النشاطات المختلفة لأجهزة العلاقات العامة على التكوين الإيجابي للصورة الذهنية لدى السياح الذين يمثلون مختلف الطبقات الاجتماعية للبيئة المحلية والذين يحملون عادة مجموعة من الصور الذهنية حول الأماكن التي يختارها السائح لتكوين وجهته والتي تعبر عن المعتقدات والأفكار والادراك التي حملها الناس حول سلوكيات واحداث التي تحدد سلوكهم السياحي، والتي نوضحها كما يحددها الباحثون في المستويات الآتية:
- الصور الذهنية المدركة وهو التقييم الذي يحدده السائح من خلال الخواص المعروفة للمنتج السياحي ومستخلصة من تجربته في الواقع، كما انها المعتقدات والمواقف التي يكونها عن منتج او شيء معين انطلاقا من خواصه الظاهرة والمعروضة.
 - الصور الذهنية المؤثرة وهي المشاعر التي يحملها السائح عن أي شيء في بيئتنا المحلية والذي يؤسس للدوافع التي توجه السائح لما يرغبه كالإحساس بالضغط والملل والقلق... الخ
 - الصور الذهنية الارادية والتي تمثل سلوكيات الفرد حيث تتدخل المؤثرات الخارجية والداخلية لدى الفرد في اتخاذه لقرار السفر والقيام بالأنشطة السياحية الى منطقة معينة².

المطلب الثاني: عوائق تحقيق تنمية الثقافة السياحية

تتعدد العراقيل التي تواجه أي عملية تنموية وتختلف حسب نوعيتها واطرها المكانية والزمانية، فهناك العديد من العراقيل التي تحدث اضطرابات في عملية التنمية وتسبب في ايقافها او تأخير الوصول الى أهدافها او فشلها أحيانا خاصة وان عملية التنمية الثقافية هي عملية تتم على مستوى الافراد وتعني تغيير توجهاتهم ومحاولة توجيه معتقداتهم وطرق تفكيرهم وإعادة تكوين آرائهم حول محيطهم وبيئتهم، لذا فهي تتعرض لمجموعة من العراقيل والمعيقات التي نوضحها كالتالي:

- **المعوقات الثقافية:** تشكل الجوانب الثقافية العائق الأخطر على عملية التنمية نظرا لكون الثقافة السائدة في المجتمع مازالت تتوجس من مصطلح السياحة، اذ ان هناك بوادر توحى بتجاوز قضية الثقافة الاجتماعية ومدى قبولها للسياحة بالتفاعل ولو جزئي مع معطيات السياحة، حتى وان كان هذا التفاعل على استحياء.
- ويبقى الاشكال انه في مجتمعنا تبقى قضية عالقة بين السياحة كمفهوم وبين الثقافة السائدة التي تتوجس كثيرا من مصطلح السياحة، حيث علقت في الأذهان مفاهيم لم تكن واردة فقط من الممارسات التي واكبت مفهوم

¹ - عيسى مزاقة /محمد الشريف شخشاخ، السياحة المستدامة في الجزائر (دراسة في أداء وفعالية المؤسسات السياحية في الجزائر)، ملتقى الدولي الأول حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة، كلية الاقتصاد والسياسات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010، ص12-14.

² - عصام حسن السعيد، إدارة مكاتب وشركات وكالات السياحة والسفر، دار الراية/ عمان، 2008، ص124.

السياحة على المستوى الاجتماعي، ولكنها أتت من تقييم مسبق من الثقافة نفسها التي تردد عدم احتمالها لمفاهيم سياحية مثل زيارة الآثار أو الترفيه، إضافة إلى الصور السلبية التي رسمت عن السياح والسياحة الخارجية من المجتمع. فمشكلة السياحة في المجتمع أن الثقافة (الفكر الاجتماعي) مازالت لا تحتمل إمكانية وجودها كمصطلح وكممارسة، ومع أن السياحة في أنظمتها العالمية (قوانين منظمة السياحة العالمية) لا تتعارض مع القيم والأخلاق والثقافات، إلا أن السياحة مازالت تشكل الكثير من المعاني غير المرغوب فيها في ثقافة المجتمع العربي¹.

- المعوقات الاجتماعية والاقتصادية: تؤثر العوامل الاجتماعية والاقتصادية بشكل كبير على ترسيخ الثقافة السياحية لدى أفراد المجتمع وذلك انطلاقاً من أن معظم أفراد مجتمع يهتمون هذا الجانب الضروري في حياتهم، وفي أغلب الأحيان نظراً لتدني مستوياتهم الاجتماعية وانخفاض الدخل الاقتصادي حيث نلاحظ أن الفئة مرتفعة الدخل هي التي لها القدرة أكثر على القيام بالنشاط السياحي وعلى المستوى المحلي والدولي أيضاً، فهي مهتمة دائماً بأي جديد خاص بالجانب السياحي على عكس الفئة المتوسطة²، إلى جانب ذلك فيعود فشل تنمية الثقافة السياحية وغياها أحياناً إلى العديد من النقائص التي تعود للسائح المحلي رؤيتها في السياحة الداخلية وذلك لكونها تتميز بعدم توافر كل الخدمات الترفيهية في معظم المناطق الجنوبية، عدم توافر كذلك التجهيزات الخاصة بالإقامة المريحة، كما ينصرف السكان المحليون عن ممارسة الأنشطة السياحية في بيئتهم لعدم توافر مختلف الأنشطة السياحية التي تلبي رغبات جميع أفراد الأسرة مع ارتفاع أسعار الخدمات المتوفرة عادة بالمقابل تعرف هذه الخدمات انخفاضاً في الجودة³.

- المعوقات الأمنية لتنمية الثقافة السياحية: يمثل الوضع الأمني إحدى العراقيل الأساسية لتنمية الثقافة السياحية كون الأفراد مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية أو مكانتهم الاجتماعية، ومهما تجاهلوا توافر حل الخدمات التي توفر رفاهية وراحة لنشاطهم السياحي في قطب سياحي يبقى توافر الأمن وحرصهم على ضمان حياتهم هو ما يتحكم في انتقالهم وتواجدهم في أماكن معينة وبخصوص الوضع الأمني في الجزائر فقد عرفت انتكاسات مختلفة وخطيرة أثرت على صورة الجزائر السياحية الداخلية والخارجية كذلك، حيث لا يزال العديد من المواطنين المحليين يجتنبون التواجد في مناطق تعتبر مهمة للسياحة كونها عرفت نشاط غير آمن سابقاً، كما أن هذا الوضع غير آمن كرس الرفض لممارسة أي نشاط سياحي محلي من قبل مواطني المنطقة⁴.

¹ - علي حشيبان، ترسيخ الثقافة السياحية في المجتمع... الصعوبات والتطلعات: <http://www.aleqt.com>

² - لمياء حنفي السيد، الاتجاهات الحديثة في السياحة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 112.

³ - محمد بن عبد العزيز الدغيشم، اتجاهات الشباب في المملكة السعودية العربية نحو الوجهات السياحية الداخلية والخارجية، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، المملكة السعودية العربية، 2013، ص 14.

⁴ - عوينان عبد القادر، السياحة في الجزائر الإمكانات والعراقيل (2000-2025) في استراتيجيات السياحة الجديدة لمخطط التوجيهي لهيئة السياحة، رسالة دكتوراه، تخصص نقود ومالية، قسم العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية، جامعة الجزائر، 2013، ص 242.

خاتمة:

يتبين لنا من خلال ما تقدم، أن السياحة ظاهرة إنسانية ونشاط اقتصادي-اجتماعي يمثل قوى فاعلة ومؤثرة في حياة المجتمعات، حيث أنها أصبحت تحتل حيزا لا يستهان به في حياة الأفراد والدولة ككل على حد سواء، وهي مثل أي نشاط إقتصادي وإنساني آخر لها آثارها ونتائجها الإيجابية والسلبية، لذلك كانت الحاجة ماسة وملحة لتخطيط وتفعيل هذا القطاع من أجل ضمان تحقيق أقصى منفعة ممكنة منه.

والسياحة لها أهمية خاصة تستمد من تأثيرها على بنيان وأداء الإقتصاد الوطني، ويمكن النظر إليها على أنها نشاط ديناميكي ذو تأثير متبادل وفعال يشمل جميع الأنشطة الإقتصادية في الدولة وخارجها، فهي تتأثر وتتأثر على نشاط الإنتاج، الإستهلاك، الرحلات، الإتصالات، الموانئ، الفنادق، البنوك، عمليات التجارة الداخلية والخارجية... الخ. بالإضافة إلى أن توزيع المشاريع السياحية على المناطق السياحية المختلفة يعمل على تطويرها وتحسين مستويات المعيشة فيها.

وبالتالي تعتبر السياحة كعامل للتوسع الجهوي خاصة، لأنها تؤدي إلى تطور النشاط الإقتصادي وخلق مناصب شغل، وإنشاء مشاريع سياحية فيها، إضافة إلى تطوير نشاطات أخرى بهذه المناطق والنهوض بها، وبالتالي تحقيق التوازن الجهوي ودعم الاقتصاد بشكل عام في ظل الاوضاع والمشاكل التي يعاني منها قطاع السياحة وفي إطار تتصف بها مقومات النهوض بالصناعة السياحية لما يدره هذا القطاع من فرص مدرة للدخل، والارتقاء بواقع الاقتصاد يمكن تأشير عدد من التوصيات التي يمكن من خلالها تقريب خطط التنمية وعملياتها من صفة الإستدامة التي ينبغي أن تتصف بها.، والتي من أهمها الإهتمام بحماية البيئة الطبيعية وتنمية مواردها وذلك من خلال التنسيق بين وزارة السياحة ووزارة البيئة للحفاظ على الموروث الحضاري (من آثار ومتاحف ومواقع سياحية أثرية ودينية)، لما تشكله الطبيعة من أهمية باعتبارها احد عناصر البيئة ووجوب حمايتها وتنميتها، كما يجب الإسراع في إدخال التعديلات على التنظيم السياحي لكي يصبح تنظيم وزارة السياحة والآثار والهيئات والدوائر التابعة لها في المحافظات أو الأقاليم تنظيما عضويا يعمل كنظام ذي اتجاه تسويقي قادر على مواكبة التطور السريع في العلاقات السياحية الدولية ويقضي ذلك اختيار العناصر الكفؤة" والقوى البشرية المدربة والمتخصصة.

كما يجب رصد المخصصات المالية اللازمة للشرع في النهوض بواقع السياحة في الخطط والبرامج الإنمائية وتطويرها ومن خلال اجراء مسح دقيق وشامل حول الإمكانيات السياحية وضمان مشاركة الخبرات الوطنية والأجنبية بهذا الشأن فضلا عن دعم الإمكانيات المادية للهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات لكي يمكنها من تطوير المناطق الأثرية القائمة الى المستوى اللائق حضاريا وزيادة عدد المتاحف الأثرية الإقليمية والتوسع في أعمال التنقيب والصيانة والترميم في المناطق الأثرية الجديدة والتاريخية القائمة والكشف عن المزيد منها وتوسيع حجم الخدمات السياحية .

قائمة المراجع:

- 1- محمد إبراهيم عراقي وفاروق عبد النبي عطا الله، التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تفويجية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية" المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي - السيوف الإسكندرية، ص.4.
- 2- عثمان محمود غنيم وبنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، الطبعة الثانية، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2003، ص ص 23/22.
- 3- المرجع نفسه، ص.23.
- 4- مثنى طه الحوري، إسماعيل محمد علي الدباغ: مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2001، ص 47.
- 5- ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1997، ص 23/21.
- 6- سعيد محمد المصري، إدارة وتسويق الأنشطة الخدمية " المفاهيم والاستراتيجيات "، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001، ص.
- 7- أحمد ماهر وعبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة المنشآت السياحية والفندقية، المكتب العربي، الطبعة الثانية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص.14.
- 8- [www.algeriantourism.com/articles.\(11/04/2006\)](http://www.algeriantourism.com/articles.(11/04/2006))
- 9- Ministère du tourisme: plan d'action pour le développement durable du tourisme en Algérie، horizon 2010, p 8.
- 10- [www.algeriantourism.com/articles. \(11/04/2006\)](http://www.algeriantourism.com/articles. (11/04/2006))
- 11- أحمد الكردي www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar
- 12- داليا محمد تيمور زكي، الوعي السياحي والتنمية السياحية مفاهيم وقضايا، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 109-110.
- 13- غادة صالح، المرجع السابق، ص 100.
- 14- هدير عبد القادر، واقع السياحة في الجزائر وآفاق تطويرها، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص.67.
- 15- دادن عبد الغني/ تلي سعيد، الثقافة السياحية للمجتمع ودورها في تحقيق التنمية الصحراوية Biskra-. dz
- univ
- 16- داليا محمد تيمور زكي، المرجع السابق، ص 111-112.
- 17- دادن عبد الغني/تلي سعيد، المرجع السابق، ص.04.
- 18- سالم حيد سالم، الاصاله التفاعلية بين السياحة والتنمية المستدامة، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، مجلد1، العدد02، بغداد، 2009.
- 19- غادة صالح، المرجع السابق، ص.145.
- 20- دليلة طالب، عبد الكريم الوهрани، السياحة كأحد محركات التنمية المستدامة، الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2011، ص.56.

- 21- كرمية إبراهيم، العلاقات العامة في المؤسسة السياحية (دراسة حالة وزارة السياحة)، رسالة ماجستير، قسم علوم الاعلام والاتصال كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر، 2005، ص 273.
- 22- محمد إبراهيم عراقي / فاروق عبد النبي عطا الله، التنمية السياحية المستدامة في جمهورية مصر العربية " دراسة تقويمية بالتطبيق على محافظة الإسكندرية"، المعهد العالي للسياحة والفنادق والحاسب الآلي، السيوف الإسكندرية، ص 4.
- 23- المرجع نفسه، ص 5، 6.
- 24- المرجع نفسه، ص 6.
- 25- المرجع نفسه، ص 7.
- 26- حسين محمد أبو العسل، مستوى الوعي السياحي لطلبة المدارس لإقليم الشمال: Kenanaonline.com : http
- 27- داليا محمد تيمور زكي، المرجع السابق، ص 114-115.
- 28- باديس لونيس، الطلبة الجزائريين والانترنت (دراسة في الاشباع والاستخدامات)، رسالة ماجستير قسم علوم الاعلام والاتصال كلية العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 113.
- 29- دادن عبد الغني/تلي سعيد، المرجع السابق، ص 06.
- 30- خليفة مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية الواقع والمأمول، دار القنديل للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص 32.
- 31- عيسى مرزاقه /محمد الشريف شخشاخ، السياحة المستدامة في الجزائر (دراسة في أداء وفعالية المؤسسات السياحية في الجزائر)، ملتقى الدولي الأول حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة، كلية الاقتصاد والتمويل، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010، ص 12-14.
- 32- عصام حسن السعيد، إدارة مكاتب وشركات وكالات السياحة والسفر، دار الراية/ عمان، 2008، ص 124.
- 33- علي خشيبان، ترسيخ الثقافة السياحية في المجتمع...الصعوبات والتطلعات: <http://www.aleqt.com>
- 34- لمياء حنفي السيد، الاتجاهات الحديثة في السياحة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 112.
- 35- محمد بن عبد العزيز الدغيشم، إتجاهات الشباب في المملكة السعودية العربية نحو الوجهات السياحية الداخلية والخارجية، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، المملكة السعودية العربية، 2013، ص 14.
- 36- عوينان عبد القادر، السياحة في الجزائر الإمكانيات والعراقيل (2000-2025) في استراتيجيات السياحة الجديدة لمخطط التوجيهي لتهيئة السياحة، رسالة دكتوراه، تخصص نقود ومالية، قسم العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية، جامعة الجزائر، 2013، ص 242.

دور المتحف في تنمية الاقتصاد والتعريف بالتراث الأثري "متحف أحمد زبانة بوهران نموذجاً"

الأستاذة: عائشة فاطمي

جامعة تلمسان

الملخص:

لم تعد المتاحف في العالم كما في السابق تدور وظائفها حول الجمع والتوثيق والعرض والدراسة فقط، وإنما تعددت مهامها وتشعبت وأصبحت تلبي حاجات أكبر في المجتمع فقد كان زائر المتحف في السابق يبحث عن معارف بعينها وبالتالي هو زائر من نوع خاص أما اليوم مع انفتاح المجتمع وتطور الحياة في كافة ميادينها أصبح المتحف مركز ومؤسسة شاملة تجذب كافة أفراد الجمهور بثقافته المتعددة وأعمارهم المختلفة وشرائحه المتنوعة فامتد احتياج الزائر للمتحف لأغراض المتعة والترفيه والتسلية وغيرها...

الكلمات المفتاحية: المتاحف، التنمية الاقتصادية، التراث الأثري.

Résumé:

Les musées du monde ne sont plus les mêmes que par le passé. Ils sont centrés sur la collection, la documentation, la présentation et l'étude, mais de nombreuses fonctions diversifiées et répondant aux besoins de la communauté plus large visitent le musée dans le passé à la recherche de connaissances spécifiques et sont donc un visiteur d'un genre spécial, mais aujourd'hui avec l'ouverture de la société et le développement de la vie Dans tous ses domaines, le musée est devenu un centre et une institution complète qui attire tous les membres du public, qu'il s'agisse de cultures, d'âges et de types divers, et dont le visiteur a besoin pour se divertir, se divertir, se divertir, etc...

مقدمة

الكثير يعرف عن المتاحف أنها عبارة عن مبنى يعرض بداخلها مجموعة من القطع الأثرية القديمة، التي تعود لحضارتنا المختلفة، ولكن هذا ليس دور المتحف فحسب، بل يظهر دور المتحف في تنمية المجتمع وبنائه الثقافي من خلال مجموعة من الأنشطة التي تعمل بدورها في المساهمة في رفع مناحي التعليم والثقافة والمساهمة كذلك في تحسين المستوى الاقتصادي لأفراد المجتمع.

يهدف كل متحف عموماً إلى حماية التراث والأعمال الفنية ذات القيمة التراثية، لكن سياسة المتاحف تهتم أيضاً بإثراء هذا التراث والتعريف به في إطار ثقافي يتأقلم مع حاجيات ومتطلبات المجتمع، لذلك عملت المؤسسة المتحفية دائماً على النجاح في مهمتها الأولى ألا وهي المحافظة على المجموعات الفنية ذات القيمة وذلك في إطار مهمة سامية كخدمة عامة أو كقطاع عام على الأقل، فالهدف الأسمى هو توصيل المعلومة إلى الجمهور الكبير وتحقيق العدالة في حق الجميع في التربية والثقافة، كما يوضح ذلك أ. مالرو في كتابه (المتحف الخيالي) "دور المتاحف كبير في رسم علاقتنا مع التحف الفنية إلى درجة أننا نتصور بصعوبة أنها لم تكن أو أنها لم تكن لتوجد". تؤدي المتاحف رسالة عظيمة لا تقل في الأهمية عن غيرها من الأجهزة الثقافية من حيث التنمية الحضارية والارتقاء بأذواق الشعوب.. وأيضاً المتاحف إحدى الوسائل الخدمية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد في المجتمع بلا استثناء للترؤد بالعلم والثقافة والمعرفة المباشرة التي يعطيها أي متحف باعتباره ممثلاً للثقافة من خلال المشاهدة.. الأمر الذي يساعد على اصطحاب أطفالنا وشبابنا لزيارة المتاحف.. وذلك لأهميتها في تحريك الوجدان وتنوير العقول.. وتوضيح أن المتاحف ليس مهمتها فقط الحفاظ على الثروات الفنية، ولكن أيضاً تعميق الثقافة الفنية.

221

الدور الاقتصادي للمتحف: تعد المتاحف أحد الميادين المهمة في الحضارة العالمية، وتقوم دول العالم على تأسيسها لأهداف تعليمية وثقافية وتاريخية واقتصادية لجلب أعداد كبيرة من الزوار تسهم رسوم دخولهم في توفير العوائد الاقتصادية للبلد المعني، وتوفير فرص العمل، وكذلك الموارد المالية التي من شأنها المساهمة في الحفاظ على مقتنيات المتحف بدلا من الاعتماد على ميزانيات الدول وخاصة النامية منها، الأمر الذي يشكل عبئا ماديا قد يخفق المتحف في تحقيق الأهداف التي قام من أجلها، وتعد السياحة واحدة من أهداف إنشاء المتاحف لتعريف السياح بتاريخ وثقافة وحضارة المنطقة، حيث تبين من خلال الدراسة التي تمت في كل من فرنسا وبريطانيا أن المتاحف تأتي في المرتبة الثانية كعامل جذب للسياح الثقافيين بعد المواقع التاريخية والنصب التذكارية التي تقاسمت المرتبة الأولى.¹

الدور السياحي للمتحف: بدأ الدور السياحي للمتاحف حالياً يزداد على حساب الجانب التعليمي، وذلك لما للسياح ورسوم دخولهم من دور في تحقيق أهداف حفظ وصيانة المقتنيات الأثرية وحمايتها خاصة في ظل تراجع التمويل الحكومي الرسمي لتحقيق تلك الأهداف، من هنا بدأت المتاحف تعمل على ابتكار وسائل ترويجية

¹-EIU, The marketing for cultural tourism in Europe, EIU travel and tourism,1993 p, 6, 30-46

لإيصال منتجها إلى أكبر شريحة من الزوار كي لا يختفي أو يضعف موقعها على خارطة عوامل الجذب السياحي المتزايدة والمتنافسة سواء كانت وسائل ترفيه داخلية أو خارجية¹.

تلعب المتاحف اليوم دورا هاما في مجال التنمية السياحية، خصوصا في المقاصد التي تواجه نمو سياحيا متزايدا فهي بمثابة ميادين التفاعل بين السياح والمجتمعات المحلية، فقد أشير إليها على أنها الحارس التقليدي للهوية الثقافية، والتي من الممكن أن تصبح كالوسيط الأمين في علاقات التبادل السياحي والثقافي، لذلك يجب أن تركز على إطلاع السائح على تاريخ وارث المناطق التي يزورها²، فالعلاقة بين السياحة والمتاحف علاقة تبادلية، فالسياحة تلعب دورا هاما في تنشيط المتاحف وزيادة عدد زوارها وبالتالي زيادة دخلها من العملة الصعبة، أما المتاحف فتساهم في جذب المزيد من السياح³، خاصة في المناطق التي تركز على السياحة الثقافية فالمتاحف من الخيارات الشائعة أمام السياح عندما يقصدون وجهة سياحية ما، لكونها تقدم لهم الفرصة لكسب الخبرة والثقافة حول تلك الوجهة، فهي تختزل ثقافة مجتمع ما وتقدمه وتفسره للزائر الذي لا يستطيع التعرف على هذه الثقافة موزعة في جميع أنحاء المقصد الثقافي في مدة إقامة محدودة، وكما يشير البعض فإن المتاحف من عناصر الجذب الواجب زيارتها ومشاهدتها من قبل السائح الثقافي⁴.

أهمية المتحف ودوره في الجذب السياحي: تبرز أهمية المتاحف كونها تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية، تساعد المواطنين والباحثين على فهم تاريخ أمتهم، فهي نوافذ ثقافية تطل على الأمم، ومفتاحاً لثقافة المجتمع وتضم المعروضات والأشياء الثمينة لحمايتها، وعرضها، والاطلاع عليها، وهي أحد وسائل الاتصال⁵، التي تعرض ثقافة وتاريخ وآثار وتقاليد حياة الشعوب، وتُظهر المتاحف علاقة الحاضر بالماضي، والمتاحف في العلم الحديث أصبحت مركزاً علمياً مهماً يُسهم في نشر وإبراز المعرفة، والعلوم والتعريف بالتراث الإنساني في جميع المجالات.

احتفاليات المتحف وتحديد شعار الخاص بها: لما كانت المتاحف تشكّل مركزاً للحفاظ والدراسات والتأمل في التراث والثقافة، فلم يعد بإمكانها البقاء بمعزل عن القضايا الأساسية المرتبطة بعصرنا، لذلك اقترح المجلس الدولي للمتاحف (الإيكوم)⁶ في عام 1992م أن يكون هناك شعار خاص لكل احتفالية سنوية، لإلقاء الضوء على

¹-Van der Brog, J. and Zago, M, **Museum Management**, Quaderni Ciset, 1995 p 10.

²- د.عيس، محمد يسري، متاحف التراث الشعبي والجذب السياحي: دراسة في أثروبولوجيا المتاحف (متحف التراث السيناوي)، مصر، الإسكندرية، المنتدى المصري للإبداع والتنمية، ط1. 1990

³ - Kelly(L), **Visitors and learner: "Adult Museum visitors learning identities"** University of Technology. Sydney. 2007

⁴- أكرم عاطف رواشده، دور المتاحف الأثرية الأردنية في جذب السياحة، العدد2، المجلد 41، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية 2014 ص 576.

⁵- عبد الحق معزوز، "المتحف عامل اتصال"، **حوليات المتحف الوطني للأثار**، العدد06، 1997م-1418هـ، ص39.

⁶- أنشئ المجلس الدولي للمتاحف عام 1946، وهو منظمة غير حكومية يشتمل دورها على وضع معايير مهنية للمتاحف، وتعزيز التدريب وتطوير المعرفة ورفع مستوى الوعي العام، حول أهمية المحافظة على التراث من خلال شبكة من المتاحف التي هي جزء من

قضية محددة تساهم المتاحف في إبرازها، وكان شعار الاحتفال في ذلك العام هو «المتاحف والبيئة»، ثم تعددت وتنوعت الشعارات في الأعوام التالية، فمثلا كان شعار عام 2008م «المتاحف وسائل للتغيير الاجتماعي والتنمية»، وفي عام 2009م «المتاحف والسياحة» وعام 2011م «المتحف والذاكرة، معروضات تحكي قصتنا» وعام 2012م كانت الاحتفالية تحت شعار المتاحف في عالم متغير "تحديات جديدة...لهامات جديدة" أما عام 2013م تحت شعار المتاحف « (الذاكرة + الإبداع) التغيير الاجتماعي » وشعار 2015م كان « التنمية المستدامة»، وفي عام 2016م كان «المتاحف والأماكن الحضارية الأثرية»، وفي العام 2017م فشعاره «ما لا يقال بالمتاحف» وهدفه هو تصحيح الكثير من الأفكار عن بعض الموضوعات لدى العامة.

المتاحف ودورها في المعرفة والتربية والتعليم والثقافة: المتاحف لها دور هام في عملية المعرفة والتربية والتعليم والثقافة على اختلاف أنواعها فهي مركز ثقافي وعلمي وتربوي وتعليمي يفتح المجال لكل من سعى لزيادة معرفته، وتطوير ثقافته في عصر يناهز بشعار الثقافة والمعرفة للجميع، فالوثائق المحفوظة في المتحف هي وثائق تاريخية وحضارية ووسائل تعليمية نادرة ومهمة في مختلف الدراسات التاريخية والاجتماعية والثقافية، فهي مصدر لمعلومات مهمة من شأنها أن تفيد الباحث، وتوحي له بأفكار ونظريات جديدة، وتعتبر من المصادر والمراجع والوثائق في بحوثه ودراساته¹، ومن خلال المتاحف أيضاً يتعرف الناس على الموروث الثقافي للشعوب والعادات والتقاليد إلى جانب دورها في تنمية روح الانتماء للوطن، كما أن زوار المتحف يشعرون بزيادة معلوماتهم وبتطوير تفكيرهم. كما أصبح للمتاحف أيضاً دور في التفاعل بين الثقافة والطبيعة، حيث يقوم عدد متزايد منها بتركيز اهتمامه على العلم والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا.

وتتعدد في الوقت الراهن أنواع المتاحف، ولكل منها أهدافه وأسلوب عمله ومنها: متاحف التاريخ الطبيعي - المتاحف العلمية - متاحف الآثار - المتاحف الزراعية - متاحف الشمع - متاحف الأحياء المائية - متاحف الجيولوجيا - متاحف الطوايع - متاحف الأطفال.... وغيرها.

لمحة عامة عن المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة بوهراي: يعد متحف زبانة من بين المتاحف الأولى في الجزائر والتي دشنت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر وهو يضم مجموعة شاملة من آثار الشعوب التي توافدت على المنطقة وقد تم جمع هذه الأخيرة عن طريق الهبات أو الشراء وكذلك نتيجة التنقيبات الأثرية. **موقع المتحف:** يقع متحف أحمد زبانة في وسط مدينة وهران بنهج أحمد زبانة بالقرب من المدينة الجديدة وبجانبه مدرسة الفنون الجميلة، بحيث يمتد على مساحة إجمالية تقدر بـ3906م².

"أيكوم" (International Council of Museum) المنظمة العالمية للمتاحف التي تضم أكثر من 32 ألف عضو من الخبراء العاملين في المتاحف من 136 دولة وإقليم حول العالم.

¹ - هشام محمد محمد حسين، عصام محمد موسى محمد، "أثر التنقيبات الحديثة على تطوير المتاحف في مصر" مجلة العلوم كلية الهندسة، العدد 41 الجزء 02، مارس 2013، ص 652.

نبذة تاريخية عن المتحف ومراحل تطوره: جاءت فكرة إنشاء متحف في مدينة وهران سنة 1879م، من طرف جمعية الجغرافيا والآثار لمقاطعة وهران وفي هذه الفترة لم يكن هناك متحف بأتم معنى الكلمة، وإنما كان هناك تراث مادي مشتت بمقر البلدية القديمة في ساحة الجمهورية داخل القاعة المسماة "قاعة الطيور" والتي احتوت على مجموعة من الطيور وبيض النعام، وكذلك بعض الصور والرسوم التي تسجل الحفريات الرومانية وقد عرضت آنذاك في الساحة المسماة اليوم "ابن باديس"¹.

إن فكرة إنشاء المتحف جاءت بفضل الرائد "دومايت" **Demaeght*** وهو أثري مختص في علم النقوش والذي حاول بفضل مراسلاته إلى المواطنين بإثراء المعروضات، وفي سنة 1882م جمع مجموعة هامة من الأشياء والتحف قسمها إلى ثلاثة أقسام هي:²

- قسم المسكوكات وقد احتوت على 13 قطعة، قسم الآثار الرومانية والإفريقية وكانت تحتوي على 16 قطعة، قسم تاريخ الطبيعة وكانت تحتوي على قطعتين متحجرتين (**Les fossiles**) وبعد ذلك أُضيف إليها أقسام أخرى.

- قسم ما قبل التاريخ والإثنوغرافيا، قسم تاريخ الجزائر (المجاهد)، قسم النحت والرسم الذي كان يحتوي على رسوم أصلية طبيعية وأخرى محفورة ومنقوشة.

- وفي أبريل عام 1885 استقر مؤتمر الجمعية الفرنسية للجغرافيا على ضرورة البحث عن مكان مناسب لهذه التحف النادرة وكانت قاعة في المستشفى القديم كافية لهذا الغرض.

ولقد تم تدشين المكان بصفة رسمية يوم 8 مارس 1885 وعين دومايت **Demaeght** محافظا للمتحف وحمل اسمه، و في نفس السنة (1885) تنازلت جمعية الجغرافيا والآثار عن المتحف لصالح البلدية، وذلك لأسباب مادية لعدم القدرة على تحمل تكاليف الصيانة وإعادة تهيئة المتحف، وفي سنة 1891 تم تحويل المجموعة المتحفية إلى مدرسة بحري سيد الهواري العتيق، وذلك ما شجع سكان المدينة على إثراء متحفهم بهبات وتبرعات لها علاقة بتاريخ المنطقة³، وبمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر تم تدشين المتحف الجديد الحالي سنة 1930 وكان الافتتاح الرسمي سنة 1935 وبعد الاستقلال سلم المتحف إلى المجلس الشعبي البلدي لمدينة

¹ - عائشة فاطمي، وسط الحفظ بمتحف أحمد زبانه "دراسة تطبيقية لجناح العرض والتخزين"، رسالة ماجستير، علم الآثار والمحيط، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2007-2008، ص 38.

* دومايت لويس: ولد في 1831 كان عالم آثار وعالم كتابات منقوشة في اجتماع ماي 1880 عين نائب الرئيس وكانت له الفرص ليصبح رئيسا إلا أنه رفضها، وكانت كل اهتماماته للآثار وقد كانت له فيها عدة كتابات وأبحاث عديدة توفي في 1898 للاستزادة انظر....

Mr. Blanchère- Description de l'Afrique du nord musée de l'Algérie de la Tunisie (Musée d'Oran) Ernest Leroux Editeur, Paris 1893, p 752.

² - Musée national Ahmed Zabana, une richesse à conserver, 2006, p1.

³ - Domergue François, Catalogue raisonne des objets archéologiques contenus dans le musée municipal d'Oran, Paris 1984, et F Domergue, Histoire de musée d'Oran de l'année 1882 à l'année 1998. Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran 925, p 09-p32.

وهران ثم أصبح تابعا لوزارة الثقافة سنة 1986م. واستبدلت بعد ذلك تسميته من اسم متحف دومايت إلى اسم متحف الشهيد أحمد زبانة عرفانا بروحه التي قدمها للوطن إبان الثورة التحريرية المجيدة، وفي تاريخ 27 ماي 1986 صنف ضمن المتاحف الوطنية الجزائرية.¹

المجموعات المتحفية: يعد المتحف من المصادر الهامة للمعلومات لما يحتوي عليه من مجموعات أثرية أو تاريخية أو علمية أو جيولوجية فهي في حد ذاتها معلومات محسوسة وملموسة، ولكنها في الوقت نفسه تخفي بين عناصرها أسراراً ومعلومات لا بد من كشفها وإبرازها للزائر سواء كان الزائر دارساً أو باحثاً أو زائراً عادياً، فبالمجموعات تقام المتاحف ومن دونها لا وجود للمتحف، ويضم المتحف اليوم مجموعة من مقتنيات التراث الأثري والثقافي وهي مقسم داخل المتحف كما يلي:

1- فرع المسكوكات: تمتاز مسكوكات المتحف بتنوعها الكبير، حيث جمعت بين العصور الزمنية المختلفة والحضارات البشرية المتعددة في الوقت ذاته وقد سكت بمواد مختلفة منها الذهب والفضة والبرونز، والنحاس. وبعض هذه التحف تعود إلى العصر القديم وهي تضم مجموعات وقلادات كل من الحضارة المصرية، والبونية*²، والموريتانية والرومانية. وكذلك العصر الوسيط ويضم مجموعات تعود إلى العهد الفاطمي، والمرابطي، والموحدي، والزياتي، والمريني. أما العصر الحديث والمعاصر فتعود مجموعاته إلى الإمبراطورية العثمانية، سكت بالجزائر ومصر، وتونس وإسطنبول، ونقود الدولة السعدية والعلوية بالمغرب الأقصى وكذا مجموعة هامة من القطع لدولة الأمير عبد القادر بتاقدمت (تيارت)، يقدر عدد تحف هذا الفرع بحوالي 250 تحفة، وهذا الفرع يسمى حالياً بالآثار الإسلامية.

2- مجموعة الآثار القديمة: يضم فرع الآثار القديمة مجموعات أثرية أهمها يعود إلى الفترتين البونية والرومانية، جلبت من مواقع مختلفة بالجزائر خلال القرنين 19 و 20 م، يقدر عددها 2508 قطعة أثرية تمثلها الفترات التالية:

– **الفترة البونية:** ممثلة بأواني فخارية، مصابيح ونقوش حجرية منها شواهد القبور ونصب تذكارية.
– **الفترة الرومانية:** أهم ما يميزها الفسيفساء المستوحاة من الميتولوجيا الرومانية، اكتشفت سنة 1862 ببورتوس ماغنوس وتضم أيضاً مجموعة من المصابيح المزخرفة وتمائيل "بطيوة حالياً" وتضم أيضاً مجموعة من المصابيح المزخرفة وتمائيل مصنوعة من المرمر والبرونز والحجر إلى جانب شواهد القبور، والتي عثر عليها بمناطق مختلفة من الوطن

¹ - عائشة فاطمي، المرجع السابق، ص 40.

² - الفترة البونية أو البونيقية عرفت الآلهة "ديميتار" أو ما كان يعرف بإلهة حماية الزراعة، حيث كان يعتقد ان المنطقة كانت اغنى مواقع إنتاج الحبوب، وهي الإلهة التي يوجد تماثلها في أروقة المتحف، للاستزادة انظر:

- M.M.C.H .Daremberg et E.D .Msarglio .dictionnaire des antiquités. greques et romaines d'après les textes et les monuments. Libraire hachette et C.I.E. PARIS 1892, P1250.

لاسيما الغرب الجزائري، ويوجد إلى جانب تلك الآثار مجموعة من العناصر المستخدمة في البناء مثل الأعمدة الكورنثية والتيجان.

3- مجموعة ما قبل التاريخ: تعود المجموعات الأثرية لفرع ما قبل التاريخ إلى مختلف العصور الحجرية وقد اقتنيت في معظمها من مواقع الغرب الجزائري. تمثلت في أدوات من صناعات حجرية لمختلف فترات ما قبل التاريخ أهمها متعددة الأدوات التي عثر عليها في موقعي عين الحنش (سطيف) وتيغنيف (معسكر)، إضافة إلى تحف تعود لفجر التاريخ توحى إلى نشاطات إنسان ذلك العصر وعدد التحف الموجودة يفوق 100 ألف قطعة أثرية.

4- مجموعة العظام: تحتوي هذه القاعة على مجموعة كبيرة من العظام والهيكل العظمية التي اكتشفت من مغارة كيفان بن غماري تازة*¹، وهي تحتوي على حوالي 2000 قطعة عظمية.

5- مجموعة وهران القديمة: نظرا لأهمية مدينة وهران من الناحية التاريخية، خص لها فرع يشمل مجموعات هامة تعد نافذة إطلال على أهم الفترات التاريخية التي مرت بها المدينة (ما قبل التاريخ، والرومانية، والمرينية والإسبانية، والعثمانية، والفرنسية) حيث نجد تحفا أثرية خاصة بالعمران منها النقوش المكتوبة باللغة اللاتينية والإسبانية، والعربية، وشعارات النبالة وكذلك تحفا رمزية مثل مفاتيح المدينة المهداة لنايليون الثالث من قبل أعيان وهران في سنة 1865، إلى جانب مجموعة من الأسلحة البيضاء والنارية.

6- المجموعة الإثنوغرافية: يشمل فرع الإثنوغرافيا تحفا تعكس الحياة اليومية لقبائل وشعوب بلاد المغرب العربي وإفريقيا وآسيا، وتبرز التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته هذه المناطق، ويضم هذا الفرع تحفا تعكس جميع الحرف والصناعات التقليدية التي برهن من خلالها الإنسان المغاربي على إبداعه الفني، وتتمثل في تحف من الخزف والخشب المنقوش وأنواع الحلبي، وأواني نحاسية وأسلحة بيضاء ونارية يعود تاريخها إلى القرن 18 م.

7- مجموعة إفريقية: أما بالنسبة للمجموعات الخاصة ببلدان إفريقيا، فهي تتمثل في أدوات للصيد كالرماح والسهام، والنبال وإلى جانب ذلك نجد تحفا أخرى كالنعال، والألبسة والحلي ومجموعة من الأقنعة والتعويذات المرتبطة بمعتقدات وعادات الشعوب الدينية، وهي تحتوي على 647 قطعة.

8- مجموعة الفنون الجميلة: تتكون مجموعات هذا الفرع من قسمين متميزين القسم الأول يمثل الفن التشكيلي الجزائري المعاصر إذ يمكننا من خلاله مشاهدة نتاج الفنانين الجزائريين أمثال معمري، وإسيانم وباية، وحدة القسم الثاني يخص الفن الأوربي بمختلف مدارسه منها الفلاموندي، والهولندية والفرنسية واتجاهاته المختلفة كالكلاسيكية والانطباعية والفن التجريدي، ومما يجلب الانتباه تلك الحركات الاستكشافية التي عبر من خلالها

¹ * كيفان بن غماري تازة موقع أثري قديم بالمغرب الأقصى .

* سوايان عبارة عن كهف موجود في فرنسا.

* مغارة ميدان الرماية، منطقة من ما قبل التاريخ في جبل المرجان بمدينة وهران.

الرسامون عن مشاهد محلية تعكس الحياة اليومية في بعض المناطق الجزائرية نذكر من أهمها لوحات ديني، كما يعرض في القاعة أيضا بساطة فريدة من نوعها تعبر عن ذروة الإبداعات الفنية ويعود تاريخها إلى القرن 18م تمثل مشهد " موسى يضرب الصخرة بالعصي"، أما فيما يخص فن النحت فنجد مجموعات من التماثيل معظمها برونزية لمختلف النحاتين أمثال رودان بالموندو كما نجد منحوتات مختلفة لمبدعين جزائريين أمثال بوكروش وبوهداج وهذه التماثيل تعكس بعض المعتقدات الدينية والأخرى عقائدية مستوحاة من الفن الطاسيلي.

9- مجموعة تاريخ الطبيعة: تحتل المجموعة الحيوانية لتاريخ الطبيعة مكانة معتبرة نظرا لقيمتها الإيكولوجية والتاريخية حيث تضم عينات محنطة وعظمية، تم اقتناؤها إثر عمليات استكشافية مند بداية القرن التاسع عشر الميلادي منها ما انقرض تماما من مناطق تواجدها كالأرورية من التل الجزائري وبعض الأنواع النادرة للسلاحف البحرية من البحر الأبيض المتوسط ومنها ما هي مهددة بالانقراض نظرا لعدة عوامل تسببت فيها يد الإنسان والطبيعة معا وبالتالي تم تصنيفها ضمن الحيوانات المحمية دوليا ونذكر منها الفقمة والفهد بالإضافة إلى أنواع أخرى من الطيور والزواحف، والأسماك وبعض الحشرات والرخويات وغيرها من الأنواع ذات الأهمية الطبيعية والثقافية. كما يضم هذا الفرع مجموعات متنوعة خاصة بالنباتات والحيوانات المتحجرة يعود تاريخها من الحقبة الجيولوجية الأولى إلى الحقبة الجيولوجية الرابعة، إضافة إلى نماذج هامة من المعادن كالنحاس والزنك والفحم وغيرها من العناصر الضرورية للحياة وإلى جانب هذا نجد عينات متنوعة من النباتات منها ما نستعمل في الصناعة وأخرى في الطب.

10- مجموعة فرع المجاهد: تخليدا لروح الشهيد أحمد زبانة حمل المتحف اسمه إجلالا لكل شهداء الواجب الوطني المقدس ويضم هذا الفرع مجموعة خاصة بتاريخ الثورة التحريرية للولاية الخامسة تتمثل في أرشيف ووثائق تخص المنطقة، كما نجد عينات من الذخيرة والألبسة العسكرية مع بقايا أسلحة وآلي رفن وسحب كتب بها أولى منشورات الثورة بالناحية. كما نجد لوحة للشهيد أحمد زبانة قبيل إعدامه بالمقصلة في 19 جوان 1956 م.

الترويج والإعلام المتحفي: يعتبر الترويج والإعلام من أهم الوسائل التي تربط الزائر بالمتحف وتجذبه تجاهه وهي عملية مهمة للتعريف بالمتاحف ومعرفة برامجها وأهدافها، ويمكن أن تقوم بعملية الترويج والإعلام المتاحف نفسها من خلال أقسام العلاقات العامة والإعلام أو الجهات الحكومية الأخرى ذات الصلة.

المهرجانات والمعارض المؤقتة: إقامة مواسم ومهرجانات للسياحة تهتم باستقطاب السياحة الداخلية وان تكون المتاحف كمرتكز ومحور رئيسي لها، وكذلك إنشاء وإقامة المعارض المؤقتة بصفة دورية في مواضيع متحفية مختلفة من شأنها جذب جمهور إضافي ومختلف للمتاحف، كما يمكن إقامة بعض الفعاليات المجتمعية الأخرى التي لا علاقة لها بالمتحف مباشرة مثل معارض الفنون واحتفالات المؤسسات الخاصة وإقامة المؤتمرات مما يلفت الانتباه للمتاحف.

نشاطات متحف أحمد زبانة الثقافية: يعد المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة أكثر المتاحف الوطنية توافدا للزوار، حيث بلغ عددهم سنة 2017 (43917 زائر) من بينهم 2578 ممتدرس، 648 أجنب و188 وفود رسمية، ومن بين الزيارات الرسمية وفئات طلاب الجامعات والمتمدرسين لسنة 2019/2018 ما يلي:

1- الزيارات الرسمية:

- زيارة السيد رفاعي المطيري سكرتير أول بسفارة دولة الكويت للمتحف العمومي الوطني زبانة يوم 2018/9/13.

- زيارة عائلة القنصل الإسباني لمدينة وهران صبيحة يوم الاثنين 17 سبتمبر 2018، للمتحف العمومي الوطني زبانة.

- زيارة الأمين العام لمجلس الشيوخ الفرنسي للمتحف العمومي الوطني أحمد زبانة اليوم 2018/08/28.

- زيارة سفير اليونان السيدة "كوتراكو" والسيد "يوانيس كتساراس" مستشار أول بالسفارة اليونانية يوم 4 أكتوبر 2018 للمتحف العمومي الوطني زبانة.

- زيارة سفير كلومبيا بالجزائر لمتحف زبانة يوم 14 أكتوبر 2018.

- زيارة الكاتب الصيني "مويان" الحاصل على جائزة نوبل للآداب للمتحف العمومي الوطني زبانة في الفاتح من نوفمبر 2018.

- زيارة سفير البيرو بالجزائر إلى متحف زبانة يوم 07 نوفمبر 2018.

- زيارة السيدة مارجريتا بوولاس أول مستشارة سفارة إسبانيا في مالي يوم 2019/01/20.

- زيارة وفد سياحي تايباني للمتحف العمومي الوطني زبانة يوم 11 فبراير 2019.

- زيارة السيد "دانيال ستورك" نائب رئيس البعثة لسعادة سفير مملكة هولندا بالجزائر للمتحف العمومي الوطني زبانة يوم 17 فبراير 2019.

- زيارة سفير دولة كرواتيا للمتحف العمومي الوطني زبانة وهران يوم 22 فبراير 2019.

- زيارة سفير دولة إثيوبيا للمتحف العمومي الوطني زبانة يوم 23 فبراير 2019.

2- المعارض والندوات والأيام الدراسية:

- نظم المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة معرض خاص بمناسبة ذكرى 20 أوت، هذا التاريخ المزدوج الذي يرمز لهجوم 20 أوت 1955 ومؤتمر الصومام 20 أوت 1956 وقد أطلق اسم "المجاهد" على هذا اليوم الرمز الذي يعتبر من الأيام الخالدة في تاريخ ثورة التحرير بصفة خاصة وفي تاريخ الجزائر بصفة عامة.

- يوم 12 يناير 2019 تم افتتاح معرض خاص بمناسبة الاحتفال بالسنة الأمازيغية 2969 بالمتحف العمومي الوطني زبانة وذلك بعرض مجموعات متحفية تتمثل في الحلبي القبائلي منطقة " بني بني " والفخار الخاص بهذه المنطقة في القرن 19 والقرن 20. مجموعات متحفية خاصة بالتوراق إضافة إلى عرض مجموعة من الكتب الخاصة بمكتبة المتحف باللغة الأمازيغية، والذي تواصل إلى غاية 31 جانفي 2019.
- في إطار البرنامج المسطر من طرف المتحف العمومي الوطني زبانة لسنة 2019، والذي يتضمن نشاطات علمية وثقافية تستهدف المؤسسات التربوية وفق الاتفاقية المبرمة بين وزارة الثقافة ووزارة التربية الوطنية، توجه إدارات المتحف إلى ثانوية ابن باديس يوم 03 فيفري 2019 من أجل يوم تحسيسى توعوي تحت عنوان " المتحف في مؤسستكم"، شمل البرنامج معرض للتعريف بالمتحف وعرض مصور "Projection" بالإضافة إلى ورشات علمية تجسدت في نموذج مصغر لحفرية وورش حفرية وصيانة التحف، وقد تم من خلالها تقديم لمحطة وجيزة حول تاريخ المتحف وتبيان دوره في المحافظة على التحف والأثار وحماية التراث المادي وإبراز أشهر قاعاته ودوره في استقطاب الزوار وتثقيفهم.
- الهدف من هذا اليوم التحسيسى التوعوي هو التعريف بأهمية التراث الثقافى في نقل الهوية الوطنية لدى تلاميذ طور الثانوي وكذا تدعيم البرنامج التربوي والتعريف بمختلف التخصصات خاصة بالنسبة لأقسام النهائي.
- يوم الشهيد 18 فبراير، هذا التاريخ الذي تحتفل به الجزائر منذ 1991 بمبادرة من تسيقية أبناء الشهداء، تكريما لما قدموه وتذكيرا لاستشهاد مليون ونصف مليون شهيد لتحرير الجزائر، اتخذ الثامن عشر من فبراير من كل سنة يوما للاحتفال بهذه الذكرى عرفانا بما قدموه من تضحيات دفاعا عن الوطن ومن أجل الحرية، وتخليدا لهذه الذكرى ينظم المتحف العمومي الوطني زبانة وهران معرض لكتب وصور إلى جانب عرض كتيب تحت عنوان "من شهدائنا" أمثال زبانة، العقيد عميروش، زدور إبراهيم القاسم، حمو بوتليليس، شرفاوي علي، الشهيدة بن سليمان هوارية... إلخ، هؤلاء كان لهم الفضل في استرجاع السيادة الوطنية المجد والخلود لشهدانا الأبرار.
- إقامة معرض تخليدا لذكرى يوم الشهيد المصادف لـ 18 فبراير خاص بصور وكتب حافلة بشهادات حية تعبر عن تاريخ وبطولات الشهداء الأحرار وذلك يوم 18 فيفري 2019 على مستوى متحف زبانة وهران.
- افتتاح معرض للفنان التشكيلي كريم مزياني بعنوان " الصبغ في وهران" تحت رعاية وزير الثقافة، السيد عز الدين ميهوبي بمتحف الفن الحديث والمعاصر وهران - ملحقة زبانة يوم 2019/02/23.
- تنظيم يوم تكويني تحت عنوان "القيادة والتخطيط" لفائدة متطوعي جمعية الشباب المثقف في يوم 23 فبراير 2019 بالمتحف العمومي الوطني زبانة وهران.
- محاضرة تحت عنوان كيفية العيش في سلام بين النقل والعقل من تقديم الأستاذ الشيخ مجدوب، من تنظيم الزاوية العلاوية وبالتنسيق مع المتحف العمومي الوطني زبانة وهران، يوم 2019/02/25 على مستوى المتحف.

- حظيت تظاهرة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية التي احتضنها المتحف العمومي الوطني زبانة وهران، برنامج متنوع وثرى ميزته المحاضرات القيمة التي قام بها مجموعة من الأساتذة الجامعيين وكذا موظفي مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية أين أعطوا للغة العربية حقها في جميع المجالات، إلى جانب الورشات التي أقيمت في الخط العربي مع تلاميذ متوسطة الشيخ المقراني وأيضا أساتذة وطلبة مدرسة الفنون الجميلة وهران وكانت هذه الأخيرة بمثابة الرسالة القيمة التي يحاول المتحف إيصالها بالمعنى الصحيح لجيل المستقبل.

3- زيارات تعليمية ثقافية:

- بمناسبة ذكرى 01 نوفمبر 1954 وتخليدا لأرواح شهدائنا الأبرار، استقبل المتحف العمومي الوطني زبانة فوجا من الكشافة الإسلامية الجزائرية (مرشدات عبد الحميد ابن باديس - حي جمال الدين - وهران). واللاقي قمن برفع العلم وتحتيته في بهو المتحف، كما حضرت مجموعة خاصة من جمعية أهل الخير وشاركوا المناسبة في جو مفعم بالحيوية وروح الوطنية والإخلاص.

- قيام مجموعة من أفراد جمعية كافل اليتيم لعين تموشنت وكذا جمعية أبو طه للمعرفة بسيدي بلعباس بزيارة موجهة للمتحف العمومي الوطني أحمد زبانة يوم 2019/01/02.

- زيارة فوج الكرامة من الكشافة الإسلامية الجزائرية للمتحف العمومي الوطني أحمد زبانة يوم 2019/01/02.

- زيارة مجموعة من تلاميذ أشبال الأمة الطور الثانوي بوهران الناحية العسكرية الثانية للمتحف العمومي الوطني زبانة رفقة مجموعة من الإطارات العسكرية يوم 29 جانفي 2019.

- زيارة طلبة جامعة معسكر، فرع علم الآثار مرفقين بأساتذتهم للمتحف العمومي الوطني زبانة وهران، يوم 30 جانفي 2019، حيث قاموا بزيارة جميع فروع المتحف منها قاعة الآثار القديمة، التي كانت الوجهة الأساسية لهذه الزيارة، وقد تحصل الطلبة على جميع المعلومات اللازمة التي تفيدهم في دراساتهم وخصيصا أن هذه القاعة تشهد تاريخ الحضارة الليبية البونية والرومانية بما فيها المواقع الأثرية دون نسيان تدخل أعضاء من مصلحة الترميم الذين قاموا بإعطاء بعض الشروحات والتقنيات في هذا المجال حول كيفية حفظ وترميم التحف.

- زيارة مجموعة من تلميذات أشبال الأمة الطور الثانوي بوهران الناحية العسكرية الثانية للمتحف العمومي الوطني زبانة رفقة مجموعة من الإطارات العسكرية يوم 05 فيفري 2019.

- زيارة مجموعة من طلبة الماستر رفقة أستاذتين مختصتين في البيولوجيا من جامعة العلوم والتكنولوجيا محمد بوضياف وهران إلى المتحف العمومي الوطني زبانة يوم 2019/02/17.

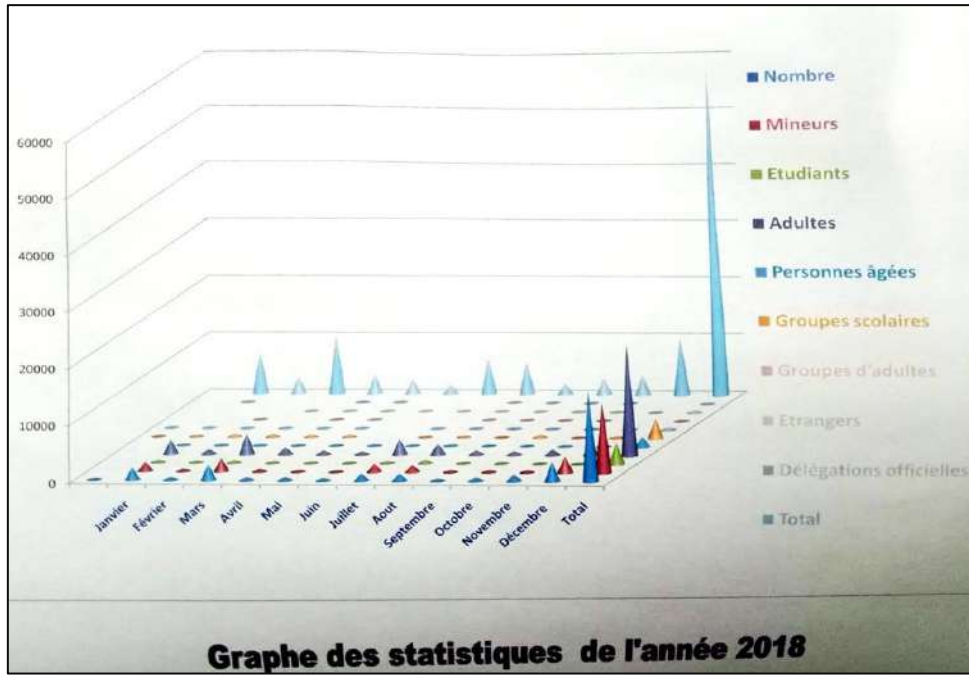
- زيارة مجموعة أطفال جمعية التنشيط العلمي للشباب التابعة لدار الشباب "سويدي أحمد" حي المناخ HLM وهران رفقة 16 مؤطر، للمتحف العمومي الوطني زبانة يوم 18 فيفري 2019.

- زيارة مجموعة أطفال الجمعية الولائية لترقية نشاطات الشباب والطفولة "المستقبل" ولاية عين تموشنت، أطفال الكشافة الإسلامية فوج عبد الحميد ابن باديس وجمعية الإسرائ الثقافية وهران لمتحف زبانة مع تقديم النشيد الوطني من طرف أطفال الكشافة في يوم 19 فيفري 2019.

- زيارة مجموعة تلاميذ من المدرسة الابتدائية "بن إسماعيل بومدين" العقيد لطفي وهران لمتحف زبانة يوم 19 فيفري 2019.

يلاحظ مما سبق بأن كل هذه النشاطات والزيارات المتعددة للمتحف تثبت بأن للمؤسسة المتحفية دور سياحي واقتصادي للمنطقة التي يتواجد بها المتحف بصفة خاصة وللوطن بصفة عامة والشكل التالي يوضح نسبة الزوار لسنة 2018.

رسم بياني يوضح نسبة زوار متحف أحمد زبانة بوهران:



خاتمة:

يعتبر المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة بوهران من أكثر المتاحف الوطنية التي تشهد توافد كبير من الزوار من مختلف الشرائح فمنهم أفواج المتمدرسين، وكذا طلاب الجامعات وحتى الأجانب إذ وصلت النسبة سنة 2018 إلى 58346 زائر مما يؤكد أن هذا العدد الكبير المسجل يعتبر بمثابة المعيار الأساسي الذي يحدد أهمية زيارة الأماكن التاريخية وأن هناك تواصل كبير بين المجتمع والمتاحف التي تعد مركز ثقافي لكل من يسعى إلى البحث عن العلم والمعرفة، وكذلك يوضح لنا دور ومساهمة هذه المؤسسة في الاقتصاد والتنمية السياحية داخل البلاد، ورسالة المتحف عظيمة لا تقل في الأهمية عن غيرها من الأجهزة الثقافية من حيث التنمية الحضارية والارتقاء بأذواق

الشعوب... وأيضاً المتاحف إحدى الوسائل الخدمية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد في المجتمع بلا استثناء للتزود بالعلم والثقافة، والمعرفة المباشرة التي يعطيها أي متحف باعتباره ممثلاً للثقافة من خلال المشاهدة.. الأمر الذي يساعد على اصطحاب أطفالنا وشبابنا لزيارة المتاحف... وذلك لأهميتها في تحريك الوجدان وتنوير العقول، وتوضيح أن المتاحف ليس مهمتها فقط الحفاظ على الثروات الفنية، ولكن أيضاً تعميق الثقافة الفنية. وعن رسالة مثل هذه المتاحف هي إتاحة الفرصة لتحقيق الثراء الفني لأفراد الشعب بتأمل محتوياتها التي تضم إبداعات ممتازة لقيمتها الفنية حيث يتوفر في العمل الفني صفة الخلود لما فيه من أصالة وصدق الفنان في التعبير عن مشاعره وأفكاره التي هي انعكاس لمجتمعه.. وهذه الأعمال تكون دائماً معبرة عن روح الشعب، وأي متحف يعتبر مركزاً وصرحاً ثقافياً مهماً لما يضمه من إبداعات ومحتويات لا بد أن تلقى استجابة من شباب مجتمعنا متفاعلاً مع تلك الفنون والكنوز العالمية التي تساعد على تأصيل القيم الروحية والثقافية بدلاً من تبديد وقت فراغهم فيما لا ينفعهم ولا يرتقي بأذواقهم.

قائمة المراجع:

- عبس، محمد يسري، متاحف التراث الشعبي والجذب السياحي: دراسة في أنثروبولوجيا المتاحف (متحف التراث السيناوي)، مصر، الإسكندرية، الملتقى المصري للإبداع والتنمية ط1. 1990.
- أكرم عاطف رواشده، دور المتاحف الأثرية الأردنية في جذب السياحة، العدد2، المجلد 41، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية 2014.
- عائشة فاطمي، وسط الحفظ بمتحف أحمد زبانه "دراسة تطبيقية لجناح العرض والتخزين رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، علم الآثار والمحيط، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان 2008/2007.
- هشام محمد محمد حسين، عصام محمد موسى محمد، "أثر التقنيات الحديثة على تطوير المتاحف في مصر «مجلة العلوم كلية الهندسة، العدد 41، الجزء02، مارس2013. - عبد الحق معزوز، "المتحف عامل اتصال" حوليات المتحف الوطني للآثار العدد1997، 06م-1418هـ.
- Mr. Blanchère- Description de l'Afrique du nord musée de l'Algérie de la Tunisie (Musée d'Oran) Ernest Leroux Editeur, Paris 1893.
- Musée national Ahmed Zabana, une richesse à conserver, 2006.
- Domergue François, Catalogue raisonne des objets archéologiques contenus dans le musée municipal d'Oran, Paris 1984, et F Domergue Histoire de musée d'Oran de l'année 1882 à l'année 1998. Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran 925.
- M.M.C.H .Daremberg et E.D .M Sergio .dictionnaire des antiquités. grecques et romaines d'après les textes et les monuments. Librairie hachette et C.I.E. PARIS 1892.
- Kelly(L), Visitors and learner: "Adult Museum visitors learning identities" University of Technology. Sydney. 2007
- EIU, The marketing for cultural tourism in Europe, EIU travel and tourism,1993.
- Van der Brog, J. and Zago, M. Museum Management. Quaderni Ciset, 1995 .

التراث والهوية في فلسفة الحدائثة في الفكر العربي المعاصر "فتحي التريكي نموذجاً"

د. قصير مهدي

المركز الجامعي أحمد زبانة غيليزان - الجزائر

د. خن جمال

المركز الجامعي أحمد زبانة غيليزان - الجزائر

الملخص:

إن عملية استبعاد التراث العربي من الكونية قد تمت بعملية تعسفية، فالتفكير في نظر الآخر هو ميزة يتميز بها الغرب دون سواه، فحسب زعمه فان التفكير نبت وولد في اليونان وشاخ في الغرب، أما الفلسفة العربية فماهي إلا حلقة واسطة قد عرفت الغرب باليونان، ونقلت الحضارة اليونانية إلى الحضارة الغربية المسيحية، وفي هذا يذهب الفرنسي رنيون فيقول "وليس العرق السامي هو ما ينبغي لنا أن نطالبه بدروس في الفلسفة. ومن غرائب النصيب ألا ينتج هذا العرق، الذي استطاع أن يطبع على بدائعه الدينية أسمى القوة، أقل ما يكون من بواكير خاصة به في حقل الفلسفة " ¹ و كأن هذا الجنس قد استنفذ كل قوته في الدين، ومما يلاحظ في هذه النظرة هو أنها نظرة عنصرية. تدل على أن المستشرقين حاولوا بكل جهد أن يفرغوا الفلسفة العربية والإسلامية مما هو أساسي فيها. فهم يعتبرون التفكير العربي تفكير بدائي، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك إذ أن الرومان لم يفهموا فلسفة أفلاطون وأرسطو رغم وجود الترجمات اللاتينية فبقوا دون فلسفة حتى جاء العرب وعلموهم التفكير الفلسفي.

Abstract:

The process of excluding the Arab heritage from the cosmos has been carried out by an arbitrary process. Thinking in the eyes of others is a characteristic of the West alone. According to his claim, the thought was born and born in Greece, and it was rife in the West. The Arab philosophy is only a circle of means that the West knew about Greece and Greek civilization was transferred to Western Christian civilization. Strangely enough, this race, which has been able to print on its highest religious fervor, does not produce less than its early beginnings in the field of philosophy. "As if this race had exhausted all its power in religion, it is a racist view. Indicates that the orientalist tried with all effort to escape the philosophy of Arabic and Islamic, which is essential. They consider Arab thinking primitive, but reality proves otherwise, since the Romans did not understand the philosophy of Plato and Aristotle despite the existence of Latin translations remained without philosophy until the Arabs came and taught them philosophical thinking.

¹ التريكي فتحي ، الفلسفة الشريفة ، ص 29 .

مقدمة:

يعتبر الأستاذ فتحى التريكي واحداً من الذين أولوا اهتماماً بالغاً بمسألة التراث وعلاقته بما يعيشه العالم العربي اليوم من أزمات وتخلف ونكسات على مختلف الأصعدة، وما يميزه عن سائر المفكرين والباحثين في هذه المسألة هو انفتاحه على مقاربات متنوعة ومختلفة، منها مقارنة العقلانية النقدية التي وظّفها في بحوثه حول التراث بطريقة ذكية، وذلك من خلال دعوته إلى فلسفة مفتوحة مبنية على التنوع والاختلاف تلك الفلسفة الناقدة والمتجاوزة للواحدية والمتبينة للتعددية والداعية للمعقولية. فهي محاولة تعتبر بحق من أنضج المحاولات حيث أنها مؤسسة على قراءة سليمة وأصيلة للتراث العلمي القديم منه والجديد. فكيف ينظر إذن التريكي إلى التراث كواقع، وماهي القراءة الصحيحة للتراث؟ وكيف نتعامل معه؟ وما علاقته بالآخر؟ وهل تعاملنا معه يعني إقصاء الآخر العربي بحضارته؟ وماهي النتائج المترتبة عن النظرة والموقف السائدين من التراث؟ وماهي النتائج والمتبعات التي ترتبت عن القراءة الجديدة التي يدعو إليها المفكرون العرب المعاصرون؟

الموقف من التراث

أولاً- التراث، الواقع و النتائج:

1- الوضع الحالي للتراث:

إن الفكر العربي يقتصر على التعامل مع التراث كماضي دون إرادة تجاوزه فهو بذلك فكر جامد وجنّة قضت عليها الديدان. والذي ما يزال سائداً عندنا هو أن الأمة العربية لم تعرف بعد طريقها الخاص نحو الحياة السياسية أو الاقتصادية أو العلمية أو التكنولوجية أو الحياة الثقافية، ولا يمكن الاكتفاء بهذا القدر من التشخيص للوضع الحالية للتراث، بل يجب أن نقف عند وصف كيفية قراءة هذا التراث حيث يمكن وصفها بالقراءة الوصفية التي تصب في الذاتية، أما نظرنا إليه فهي نظرة تمجيدية ودفاعية وهي التي أنجبت ما نسميه " الفهم التراثي للتراث " ومن ثم سيطرت الماضي على الحاضر والتحكم فيه والهيمنة عليه.

ولقد بين الأستاذ الزواوي بغورة في دراسته " ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر " في مطلب خاص بمنزلة الفلسفة العربية أن هناك واقعان للتراث في نظر التريكي واقع التراث الذي يدرسه المؤرخ وواقع الحاضر الذي منه تنبع الطريقة العلمية لدراسة التراث و الماضي، وهذا الواقع الأخير هو " الذي يحدد في آخر الأمر نمط فهم التاريخ و التراث و الممارسة المناسبة لاستخراج المعاني " ¹ .

إننا نعيش في اعتقاد الاستاذ التريكي تحت قيد التراث، وأننا نعيش التراث كماضي و ليس كحاضر كما أننا بقينا تابعين للتراث لا مختلفين عنه و في هذا يقول: " مازلنا نفكر ونتحرك تحت إمرة التراث مكبلين بإيدولوجيا ما ضوية، أناخت

¹ - الزواوي بغورة ، ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة بيروت ، ط1 2001 ، ص 98 .

علينا بكلها . بينما يجب علينا من منطلق فلسفي تفكيري فتح وجودنا على الهنا والآن بالتساؤل الملائم الذي لا يكون دعوة للأصل فقط بل اختلافنا عنه"¹.

وهكذا فإن تعاملنا مع التراث يلزمه مفاهيم خاصة، من شأنها أن تجعله واقعا حيا ومتحركا إلا أن مفاهيمنا التي نقرأ بها التراث مازال يكتنفها الغموض مما جعل حضورنا في العالم محتشما. وهذا ما أدى إلى الانحطاط العربي الذي كان من أسبابه القوية الوجيهة التراثية التي عرف بها الفكر العربي الحديث منه والمعاصر، إنه وجهة تشيد بالميثولوجيا واختزال الحقل المعرفية الأخرى وهذه النظرة هي نظرة سلفية مرفوضة لأنها تعبر عن فكر يتميز باحتراره لماضوية ملفقة خالية من كل إبداع وابتكار أو تجدد ومن هنا يتبين لنا ما يرفضه التريكي في مسألة التراث. إنه يرفض استنساخ التراث، والتأكيد على ضرورة عدم الاتفاق معه إلى حد التماهي، وبالتالي ضرورة الاختلاف معه، وذلك بترك كل أشكال النكوص والارتداد. ولكن هذا لا يعني الاستغناء عن التراث و تركه لذا نجد يقول " هذا التحرر من الأصول و الجذور لا يعني الاستغناء عن التراث ولا تقييدا أصلا تحويل الاهتمام عن تجليات تاريخنا و لغتنا و علومنا و بلاغنا و إبداعاتنا"² والجدير بالملاحظة هنا هو أن نضرتنا الحالية للتراث نظرة وصفية و تمجيدية وهي لا تخدم مفاهيمنا وطرق بحثنا .

ولاشك أن ما يلاحظه القارئ هنا هو التقاء التريكي و الجابري حول القراءة التراثية للتراث أو ما يسميه الجابري فعل الاستنساخ حيث يرى الجابري "أن ثقافتنا الراهنة محكومة بالآخر و بثقافتنا و التحرر من الغرب في نظره لا يتم إلا عبر التحرر من هيمنة التراث، إن التحرر من الغرب معناه التعامل معه نقديا أي الدخول مع الثقافة التي تزداد عالمية في حوار نقدي وذلك بقراءتها في تاريخها و فهم مقولاتها و مفاهيمها في نسبتها و أيضا التعرف على أسس تقدمها والعمل على استنتاجاتها في تربتنا الثقافية وهي بصفة خاصة العقلانية و الروح النقدية"³.

2- التراث كما يجب أن ننظر إليه

إن المقصود بالتراث كما يجب أن يكون، أو كما يجب أن ننظر إليه هنا، لا يقتصر على مستوى القراءة أو على كيفية إحيائه وبعثه، وإنما المقصود أوسع و أشمل. فالتراث حتى يكون له مفعول في بعث الفكر العربي يجب أن يكون له قواعده وأدواته ووسائله الخاصة مما يجعله يتماشى مع متطلبات العصر فماهي إذن القواعد والأدوات والوسائل و الميكانيزمات التي يجب وضعها لإعادة قراءة التراث كمجال حيوي يساعد على بعث المجتمعات العربية من جديد؟

لا شك أن القراءة الصحيحة والناجحة للتراث هي القراءة التي تكون من أجل إرادة التحاوز الذي يكون وفق الخطوات التالية.

أ- تشخيص التراث: وفي هذه الخطوة تبرز الفلسفة وعلاقتها بالتراث، فيما أن الفلسفة أصبحت بدون موضوع محدد. فلا بد أن يكون التراث موضوع من مواضيعها الجديدة، ومن ناحية أخرى فإن الوظيفة الجديدة للفلسفة تكمن في

¹ التريكي فحفي، العقل و الحرية، تبر الزمان، الدار التونسية للنشر، 1988، ص 06.

² نفس المصدر، ص 09.

³ الجابري محمد عابد، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص 43.

التشخيص "إنها نشاط تشخيصي". ومن ثم فالفلسفة بوظيفتها و نشاطها التشخيصي و تناولها للتراث كأحد موضوعاتها الجديدة سينتج عنه تشخيص للتراث و هذا ما يتجلى من خلال قول الأستاذ فتحي التريكي: " وما الفلسفة الآن إلا عملية تشخيص للواقع المعاش. ومعالجة أمراضه مع بيان خصائصه و مميزاته ، حتى نتمكن من إصلاحه إن لزم ذلك ، أو من تغييره إن لزم التغيير"¹ ومن هذا المنطلق ستكون نظرتنا للتراث نظرة تجاوية .

ب- قراءة التراث بعيون الحاضر: ونعني بالقراءة هنا الأدوات و الوسائل و الطرق المستعملة في القراءة ، فكثيرا ما كانت قراءتنا الحاضرة للتراث بعيون الماضي أي بأدوات ووسائل الماضي ، فالتراث حتى يكون حاضرا و متحركا و متحررا من الماضي يجب قراءته بطرق ووسائل الحاضر. وهذه الأدوات هي التي تجعل التراث حاضرا وواقعا اجتماعيا فهناك تداخل وارتباط وثيق بين الواقع الاجتماعي و الواقع المعرفي ، فلا يمكن إنكار ما يقدمه الواقع الاجتماعي إلى الواقع المعرفي من أدوات و طرق علمية ووسائل بحث وقراءة ، و تأكيداً منه على أهمية هذا الواقع يقول التريكي: " وفي الحقيقة ، هذا التوتر بين الواقعين صفة أساسية يتصف بها علم التاريخ كما يتصف بها العلم الإنساني عامة... فالفكر في كلتا الحاليتين هو قبل كل شيء نتيجة الواقع الحاضر بمناخه الثقافي ووضعه الاقتصادي والاجتماعي، ومواقفه الإيديولوجية والسياسية. فهو الذات المفكرة لا محالة ولكن موضوعه أي الواقع الحاضر أو الواقع الماضي ما هو إلا جزء لا يتجزأ من ذاته"²

ج- روح التجاوز: إن القراءات المعاصرة للتراث في غالبيتها تنادي إما بالقطيعة مع التراث أو نحو احتواء التراث، وسواء تعلق الأمر بالنظرة الأولى أو الثانية هناك إهمال و تغييب لروح التجاوز الذي يمثل ويعبر عن قوة القراءة والتحدي الخلاق. و هذا ما أدى إلى غموض مفاهيمنا حيث "مازالت مفاهيمنا غامضة ومازالت أفكارنا عن ذاتنا تحتاج إلى التدقيق، ومازال حضورنا في العالم محتشما "³.

د- رفض النزعة التمجيدية : لا بد من التخلص من فكرة تمجيد التراث، اذ لا ينبغي أن نبقي نظرتنا للتراث نظرة تمجيدية دفاعية لأنها نظرة جامدة و قاتلة حيث " نظرتنا للتراث نظرة وصفية وهي تصب في الذاتية كما أننا مازلنا ننظر إليه نظرة تمجيدية و دفاعية وهذه النظرة هي التي أنتجت الفهم التراثي للتراث ومن ثم يسيطر الماضي على الحالي و يتحكم فيه ويهيمن عليه في ثقافتنا الحاضرة "⁴.

هـ- ضرورة التعامل مع المنتج العالمي : إن الذات العالمي لا ينبغي رفضه وتركه و إهماله بحجة أنه يتنافى ويتعارض مع التراث بل ينبغي التعامل معه تعاملًا حضارياً ، فالتراث عالمي و ليس حكراً على شعب معين ، ومن ثم لا ينبغي عزل قراءتنا لتراثنا عن التراث العالمي اذ " لا يجب أن نعزل تعاملنا مع التراث ، عن الاتصال بالثقافة العالمية كذلك و يجب أن

التريكي فتحي ، الفلسفة الشريفة ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، 1988 ، ص 07 .¹

التريكي فتحي ، نمص ، ص 09 .²

التريكي فتحي ، العقل و الحرية ، نمص ، ص 05 .³

التريكي فتحي ، فلسفة الشريفة ، نمص ، ص 12 .⁴

نبحث عن تراثنا في ماضي الحضاري فقط " ¹ ، ولكن من جهة أخرى هذا التعامل مع الحضارة الغربية يجب أن يكون بحدٍ فلا يكون خضوعاً و استكانة بل تعاملًا علمياً وديناميكياً.

تلك إذن هي أهم الخطوات الأساسية حتى يكون التراث حياً وحيوياً، فعالاً وبنياً وهكذا يكون التراث إحدى الموضوعات الأساسية للفلسفة في وظيفتها الجديدة من أجل رسم مساحة للأمل. والنظرة السابقة التي قلنا عنها بأنها متحجرة ومنغلقة بخصوص قراءة التراث، لم تكن نتيجة الصدفة بل لها أسبابها وعواملها التي ساعدت على ظهورها وانتشارها منها مبدأ "المركز والمحيط" الذي عمل على إقصاء الفلسفة العربية عن تاريخ الفلسفة.

1- استبعاد الفلسفة العربية عن تاريخ الفلسفة :

إن عملية الاستبعاد قد تمت بعملية تعسفية، فالتفكير في نظر الآخر هو ميزة يتميز بها الغرب دون سواه. فحسب زعمه فإن التفكير نبت وولد في اليونان وشاخ في الغرب أما الفلسفة العربية فماهي إلا حلقة واسطة قد عرفت الغرب باليونان، ونقلت الحضارة اليونانية إلى الحضارة الغربية المسيحية، وفي هذا يذهب الفرنسي رنيون فيقول "وليس العرق السامي هو ما ينبغي لنا أن نطالبه بدروس في الفلسفة. ومن غرائب النصيب ألا ينتج هذا العرق، الذي استطاع أن يطبع على بدائعه الدينية أسمى القوة، أقل ما يكون من بواكير خاصة به في حقل الفلسفة " ² وكأن هذا الجنس قد استنفذ كل قوته في الدين، ومما يلاحظ في هذه النظرة هو أنها نظرة عنصرية. تدل على أن المستشرقين حاولوا بكل جهد أن يفرغوا الفلسفة العربية والإسلامية مما هو أساسي فيها. فهم يعتبرون التفكير العربي تفكير بدائي، ولكن الواقع يثبت عكس ذلك إذ أن الرومان لم يفهموا فلسفة أفلاطون وأرسطو رغم وجود الترجمات اللاتينية فبقوا دون فلسفة حتى جاء العرب وعلموهم التفكير الفلسفي.

هذه بعض المواقف والآراء التي عملت على إقصاء الفلسفة العربية من تاريخ الفلسفة ولا شك أنها مواقف وأفكار خطيرة، ولكن الغريب في الأمر هو أننا نجد هذه الأفكار حتى عند بعض المفكرين في الثقافة الإسلامية، ومن بين هؤلاء سامي النشار. الذي نعت التحليل السابق بالمتماز كما أنه ينعت الفلسفة الإسلامية بأنها تابعة لليونان فالعرب لم يبدعوا شيئاً على حد زعمه لذا نجد في العديد من الأحيان ينعت الفلسفة العربية الإسلامية بأنها فلسفة أرسطاليسية ممزوجة بالأفلاطونية المحدثة أحياناً وبالأفلاطونية أحياناً أخرى.

ولقد وصف التريكي هؤلاء الفلاسفة الذين عملوا على تضيق الخناق على الفلسفة العربية والإسلامية بالعماء الفكري وبالمتعصبين والمتحجرين. والدوغماتيين والإيديولوجيين والعنصرين الاستعماريين. وهم يعتبرون أن التفكير العربي هو تفكير ديني لا غير، وكان العرب لا يمكنهم الإبداع لأن، عقليتهم قاسية بدائية.

إن عملية استبعاد الفلسفة العربية كما يوردها التريكي في كتاباته تتم وفق مبدأ التطاحن بين البلدان المهيمنة أي بلدان (المركز) و البلدان المضطهدة أي بلدان (المحيط) ومن ثم هناك بلدان مركزية بقوتها وحضورها العلمي و التكنولوجي

نفس المصدر، ص 10. ¹

التريكي فتحي، الفلسفة الشريفة، نخص، ص 29. ²

والسياسي والعسكري، أما بلدان المحيط، فهي بلدان تغيب فيها الشروط السابقة، فكل فلسفة تم استبعادها هي فلسفة غير مركزية أي أنها نشأت و تطورت في المحيط. ومن هنا ظهر عامل آخر إلى جانب عملية الاستبعاد التي سبق الإشارة إليها، هو عامل المركزية الغربية التي عملت على إقصاء كل أشكال التفكير الأخرى الغير غربية.

2- المركزية الغربية :

إن فكرة المركزية الغربية نجدها حاضرة بقوة عند الفلاسفة الألمان منهم Herder الذي يذهب في كتابه " أفكار في التاريخ الفلسفي للإنسانية " إلى أن "الحضارات القديمة تمثل طفولة الإنسانية. وأن الحضارات الإغريقية الرومانية تمثل شبها و الحضارة الجرمانية ماهي إلا كهولة الإنسانية و نضجها"¹ ويؤكد Condorcet " على أن الفلسفة ستنتعق من حالة التنوع، وستنزع إلى عدم القبول إلا بالحقائق التي قام البرهان على صحتها، و طبقا لهذا التصور فإن اليونان يشغل مكانة خاصة، و النوع الإنساني مطالب بأن يعرف أنها رائدة لأنها فتحت عبقريتها أبواب الحقيقة كلها "² وهذا الاعتقاد يورده كذلك الأستاذ عبد الرحمن بدوي في مؤلفه ربيع الفكر اليوناني بقوله " فالروح اليونانية هي أول روح استطاعت أن تكشف الحقيقة اكتشافا عقليا ومن هنا ذهبت الفلسفة البربرية إلى غير رجعة و أصبح التاريخ للفلسفة اليونانية "³.

هذا ولقد جعلت فلسفة هيكل رسالتها الأساسية تأصيل الشعور الغربي تاريخيا وعرقيا ودينا وتشكيله استنادا إلى منظور رتب المكونات الفلسفية والتاريخية والدينية مما يجعل الغرب هو الوارث والمطور لكل الفكر الإنساني عبر التاريخ وذلك يجعل الغرب مركز نشاط العقل البشري في أنقى أشكاله حيث يقول هيكل: "إن إفريقيا ترقد وراء التاريخ الواعي لذاته يلفها حجاب الليل الاسود "⁴ فالرجل الزنجي في نظر هيكل هو إنسان في حالته الطبيعية الهمجية الغير مروضة تماما. ولا شيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية.

وفي هذا المستوى من البحث لا يمكننا أن نرى سوى طابع الهيمنة الذي مارسه أوروبا و الغرب عامة على دول العالم، و لقد أبرز العروبي الأبعاد التاريخية لهذه السيطرة فيقول " بدأت أوروبا بفرض سلاحها وإلاهها وقانونها وتجارها ولغاتها، حينئذ تكلمت أوروبا عن آسيا النائمة و الشرق المنحط، وتركيا المريضة وتلونت علاقات أوروبا بغيرها بلون خاص يمتزج فيه العنف و الإقناع و التهديد "⁵.

هناك إذن نموذج واحد للمعرفة و العقل هو النموذج الغربي، وعند معاينة تطور الفكر عبر التاريخ يتم تهميش البعد الحضاري للمسلمين. وهكذا تبقى الحضارة هي الغرب و يبقى المثال هو أوروبا و يبقى التاريخ العالمي هو تاريخ أوروبا وهذا ما يؤكد ماركس وإنجلز كذلك. فالمركزية الغربية إذن أبعدت التفكير الفلسفي العربي من تاريخ الفلسفة والعلوم

الحباري محمد عابد، التراث و الحداثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 99 .¹

بريهيه اميل، الفلسفة اليونانية، ت - ج، طرابشي، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص 26 .²

بدوي عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، دار القلم، بيروت، ط5، 1979، ص 48 .³

هيكل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ت امام عبد الفتاح امام، القاهرة، دار الثقافة، 1986، ص 30 .⁴

العروبي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، بيروت، مركز الثقافي العربي، 1983، ص 145 .⁵

وجعلته تفكيراً أدبياً بحجة واحدة وهي أن العقلية العربية هي عقلية رجعية دينية أما العقلية الأوروبية فهي عقلية تقدمية ارتقائية. ومما لا شك فيه أن عملية التمركز هذه ساعدت على انغلاق النسق وتكون النظرة الكلية والشاملة.

3- انغلاق النسق : ما هو النسق؟ وماذا نعني بالنسق المفتوح وماذا نعني بالنسق المغلق؟ "إن كلمة نسق هي ترجمة لكلمة سيستام **Systeme** المشتقة من كلمة سيستيم **Sytema** الإغريقية. وتعني أن نضع الأشياء مع بعضها في كل ، فهي مجموعة من القضايا والأطروحات و الأقوال التي تكون كلاً عضويًا متماسكًا منطقيًا . فالنسق هو الذي يحول التعدد إلى وحدة"¹ . و يجمع العلماء على أن فلسفة أفلاطون هي أول فلسفة حاولت الوصول إلى النسق . أي ان أفلاطون هو مبتكر النسق .

ان المغلق ينفي و يرفض الآخر و لا يعترف به . و يرفض الاختلاف معه دائما، ومن ثم يجب إقصاءه عكس المنفتح الذي يتقبل الآخر و يري فيه مكملا أو مماثلا وقد يتماهى معه وذلك بصرف النظر عن فوارق اللغة و العرق أو الدين أو الثقافة أو أي انتماء آخر .

إن النظرة الواحدة والكلية و المغلقة نجدها حاضرة عند العلماء عبر التاريخ ، و لقد جزم ابن تيمية بأن العلم الموروث عن النبي (ص) " وحده يستحق أن نسميه علما"² مستبعدا العلوم التي ليس مصدرها النبوة . وكذلك الشهرزوي الذي أفتى بأن " الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيف والزندقة..."³ ، وفي الجانب الآخر فإن النظرة المنفتحة قد صاغها ابن رشد في كتابه فصل المقال كالاتي : " يجب علينا أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم . فما كان منها موافق للحق قبلناه وسررنا به ونشكرهم عليه . وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه و غدرناهم فيه "⁴ وكذلك نجد صورة أخرى من صور الانغلاق عند سامي النشار الذي أقصى من دائرة تفكيره الفضاء الفلسفي معتقدا أن " هناك فلسفة إسلامية أصلية صافية يمثلها علم الكلام و حده "⁵ .

وهكذا فالحديث عن فكرة الانغلاق كان نتيجة لما عرفه العالم المعاصر بعد الحرب العالمية الاولى والثانية من أزمات وحروب سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وفي هذا السياق نجد مؤلفا لكارل بوبر "المجتمع المفتوح و أعداءه " الذي اعتمد فيه منهجه في الدحض أو التكذيب، والذي وصفه برترند راسل بأنه على أعلى درجة من الأهمية حيث تحمل فيه الفلاسفة مسؤولية ما أصاب الإنسانية من محن و كرب من أفلاطون إلى ماركس.

ولقد أكد بو بر أن برنامج أفلاطون السياسي هو برنامج شمولي، كما شنّ هجوما على فكرة أن الفلسفة يجب أن تسعى إلى ماهية الألفاظ الكلية مثل (العدالة، الديمقراطية، الطغيان... الخ)

التركيبى فتحى ، أفلاطون و الديالكتيكية ، الدار التونسية ، 1985 ، ص 85 .¹

حرب علي ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2، 1995 ، ص 81 .²

نفس المصدر ، ص 81 .³

نفس المصدر ، ص 84 .⁴

نفس المصدر ، ص 86 .⁵

أما هيجل فيرى بوبر أن فلسفته كانت لها دوافع خفية، تمثلت في مصلحته الخاصة في عودة الحكومة البروسية. لفردريك وليام الثالث. ولقد كانت الحكومات تستخدم الفلسفة كأداة لخدمة مصالحها. من ثم لا يمكن انتظار ظهور الحقيقة، والرأي ذاته ينطبق على النزعة السيكولوجية عند مل التي حاولت رد كل شيء إلى السيكولوجيا.

هذا الانغلاق تجسد في ميادين عديدة فظهر في شكل قوالب جاهزة كالمثالية والمادية والروحانية، أو كتلك المتعلقة بالتاريخ لموضوعات ما، كتاريخ الفلسفة الذي تحدد بدايته من اليونان، أو كتلك التي تعمل على استبعاد كل الفلسفات الأخرى ومنها الفلسفة العربية الإسلامية، و هذه النظرة المنغلقة طبعاً مرفوضة من جذورها.

لقد أدت هذه النتائج والمتبعات التي ترتبت عن تمركز الغرب وانغلاق النسق إلى ظهور أصوات تنادي بضرورة إعادة النظر في نظام الكونية من قبل فلا سفة غربيون وإعادة النظر في الطرق والأدوات والوسائل التي من خلالها نقرأ التراث قراءة تجاوزية من قبل فلاسفة ومفكرون عرب حيث تجسد ذلك في المعارضة الشديدة التي قوبلت بها فكرة التمرکز الغربي.

4- نقد المركزية الغربية :

لقد قوبلت فكرة المركزية الغربية بالمعارضة الشديدة من قبل العديد من الفلاسفة كما بيناه سابقاً. غربيون منهم و عرب ، نجد من بين هؤلاء أرنولد تونبي في مؤلفه الشهير " مختصر دراسة التاريخ " ، حيث حاول نقض الفكرة القائلة بأن لا حضارة سوى الحضارة الغربية بقوله "إن هذا رأي خاطئ تردى فيه المؤرخون الغربيون المحدثون تحت تأثير محيطهم الاجتماعي ، وأوحى به مظهر الحضارة الغربية الخداع ، إذ استطاعت في العصور الحديثة أن تلقي شبكة نظامها الاقتصادي على جميع أنحاء العالم و بلا توحيد العالم اقتصادياً على أساس توحيد سياسياً إلى نفس المدى تقريباً وعلى نفس الأساس الغربي " ¹ كما وجه دريدا نقداً جوهرياً إلى المقولات الفكرية التقليدية ، وسعى جاهداً لقهر التقسيم التقليدي بين الخطاب الفلسفي و الخطاب الجمالي ، و اكتشف أن الحضارة الغربية تخضت حول العقل و المنطق . وقد كان برنامج دريدا التفكيكي يهدف إلى نقد سلطة العقل والمنطق في الفلسفة الغربية وتعد مقولة الاختلاف **Difference** إحدى المرتكزات الأساسية لمنهجية التفكيك. وفي نفس السياق نجد مشروعاً آخر عمل في نفس الاتجاه هو مشروع هابرماس في نقده لبؤر التمرکز حيث ينتظم عمله النقدي في كشف تناقضات العقل الغربي ومعطياته وفق خطة منهجية شبيهة بخطة دريدا في نقد ذلك العقل، ففي حين يدعو دريدا إلى تفكيك نظم العقل المتمركز حول نفسه، يدعو هابرماس إلى تفكيك العقل الأداقي، وفيما يدعو دريدا إلى غراما تو لوجيا تقوم بإرساء عقلانية جديدة لا تركز فيها. يدعو هابرماس إلى " عقلانية نقدية " توقف طغيان العقل الأداقي. فهذا النقد الموجه لتمرکز الغرب كان نتيجة حتمية للانغلاق الذي شهدته الأنساق والمجتمعات والعلوم وغيرها.

أما عندنا فقد تم نقد المركزية الغربية والنسق المغلق انطلاقاً من التصورات المرتبطة بإشكالية التراث وذلك بالدعوة إلى إعادة النظر في الأدوات والوسائل التي نتعامل بها معه ولن يتحقق ذلك إلا بربط التراث بالحدثة والحدثة بالهوية.

تونبي أرنولد ، مختصر دراسة التاريخ ، ت فؤاد محمد شبل ، القاهرة ، 1966 ، ج 1 ، ص 80 .¹

- **ثانياً: التراث و الحداثة:** يرى الأستاذ فتحي التريكي أنه لا يمكن فصل التراث عن الحداثة لأنها " مصيرنا ، وأن علينا فتح كياننا على تاريخنا لا من حيث إنها تربط حاضرتنا بمجذورتنا و بالحضارات التي تعاقبت علينا فقط ، بل و أيضا من حيث أنها انفتاح على الإقبال و المصير "1.

فليس المهم إذن العودة إلى الأصل و لكن المهم هو فتح هذا الأصل على الحداثة وعلى مسارها في تمظهرات الفكر العالمي ، و يؤكد التريكي على هذه العلاقة بين التراث و الحداثة في مؤلفه الذي وضعه بالاشتراك مع رشيدة التريكي " فلسفة الحداثة " حيث يرفض النظرة الوصفية المنغلقة للتراث كما سبق و أن أكدنا عليه ، لأنها في نظره نظرة ذاتية لا تحدم مفاهيمنا و طرق بحثنا و هنا يلتقي التريكي مع المفكر المغربي محمد عابد الجابري رغم ما بيديه صاحبنا من معارضة لهذا الأخير ، أما الفكرة التي تشكل نقطة الالتقاء بينهما تتمحور حول القراءة التراثية للتراث أو فعل الاستنساخ كما يسميها الجابري . فهي نظرة مستبدة وقائلة ولا يمكن قتلها إلا من خلال فتح التراث على الحداثة وعلى الهوية.

1 - الحداثة والهوية : إذا كان هارماس قد حدد عصر الحداثة ببداية الخمسينات من القرن الماضي فإن مفهوم الهوية مفهوم قديم يعتمد عليه التريكي كأداة لتحقيق مشروعه الخاص بالانفتاح . وقد توصل هذا الأخير إلى أن أفلاطون في تحديده لهذا المفهوم كانت تعترضه دوما معضلة الغيرية، ومن ثم كل إقرار للهوية هو أيضا تعيين للآخر باعتباره عدواً أو على الأقل منافسا في الحياة.

ولقد اعتقد الغرب الصناعي أن حضارته كونية عالمية صالحة لكل زمان ولكل مكان وأصبح معنى الحداثة يعني محق الاختلافات والتغيرات ويعني توحيد أنماط العيش بحسب النموذج الغربي المتمثل في الحضارة الصناعية الرأسمالية والاشتراكية. و بمجرد إعلان الغرب عن دخوله عصر ما بعد الحداثة و إعلانه نهاية الحداثة اعتقد العديد من المفكرين العرب بفشل مشروع الحداثة ولكن التريكي يرى عكس ذلك ، لأن نهاية الحداثة تعني اكتمال مشروع وانتقاله إلى مرحلة جديدة ، ومنه فإن الاعتقاد بفشل مشروع الحداثة هو اعتقاد خاطئ أدى إلى تقوقع العديد من مفكري العرب من خلال دعواتهم إلى ضرورة العودة إلى ماضيهم ومن هنا بدأ الخلط بين الحداثة و الاستعمار ، متناسين بذلك القضية الأم وهي الحرية والتحرر من الماضوية الضيقة ، فنحن ما زلنا في عصر التحرر و لم ندخل بعد عصر الحداثة، " مازال الفكر العربي يعاني الصدمة ، صدمة التحولات الكبرى التي تقع أمام أعينه بدون أن يساهم فيها مازلنا اذن على عتبة الحداثة فكيف نعلن فشل مشروعها عندنا؟"2. و هكذا فإن ربط عملية التحديث بمركزية الغرب و مشاريعه الاستعمارية ضرب من الانغلاق لأن الحداثة ليست منتج غربي فقط بل يجب أن تنتبه هنا إلى قنوات الاتصال العلمي والفكري بين الغرب و الإسلام في القرن الثاني عشر، حيث لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته فلسفتنا و علومنا و ثقافتنا في تأسيس حداثة النهضة الأوروبية ومنه يجب أن يكون تعاملنا مع الحداثة كتعاملنا مع أنفسنا ومع كياننا ، فالحداثة إذا ما فهمت بهذا المعنى ستكون عنصراً هاماً لتحديد هويتنا ، هذا إلى جانب التراث الذي لا يزيدنا إلا تماسكا بكياننا و انفتاحنا على الحضارات

التريكي فتحي ، مع رشيدة التريكي ، فلسفة الحداثة ، مركز الامناء القومي ، 1992 ، ص 06 .¹

نفس المصدر ، ص 26 - 27 .²

الأخرى ففي الحداثة شيء من تراثنا و شيء من كياننا وبهذا تصبح الحداثة نقطة التقاء بين الشعوب والأمم وتعتمد على الإنجازات العلمية و التقنية و الثقافية في جميع الحضارات بدون استثناء .

فالإعلان بفشل الحداثة هو انتكاس وتراجع، لأن الحداثة تقترن بالعقل وإعلان فشلها هو إعلان فشل العقل وانقراض المعقولة. وهذا الإعلان ناتج عن جهل مقومات الحداثة ومعانيها ومتبعاها. ولا سبيل لتحقيق الانفتاح المزعوم إلا بجعل الحداثة هي القضية الأم للعالم العربي حاليا لأن الحداثة هي عقلنة وتحرر وهي انفصال عن التعصب والجهل، وابتعاد عن الماضي الضيقة، فالحداثة قاتلة للهيمنة والتعصب وتحديث نمط عيشنا هو انفتاح لحضورنا، باعتبارنا نريد من حاضرنا إن يكون دعوة إلى المستقبل وليس دعوة إلى الماضي.

فالحداثة إذن هي مفهوم حركي يتغير بتغير الأجيال ولا يمكن أن يتصف بها جيل دون آخر أو بلد دون آخر، ومن ثم يصبح الصراع بين التراث والحداثة مغلوطا لأن التراث في حد ذاته يستوجب التغير والتجديد والحركة، حتى يكون تراثا يميز شعبا عن غيره. فالفكر العربي إذن مدعو إلى تجاوز هذا الحوار بين الهوية والحداثة وبين الأصالة والتفتح لأنها مفاهيم إيديولوجية وغير مجدية على الصعيد الفكري والفلسفي. هذه هي إذن استراتيجية التريكي التي اعتمدها في حل معضلة الحداثة وهي استراتيجية ترمي إلى رفض الهيمنة الغربية وذلك بتسجيل حضورنا عن طريق الإبداع لفكر المتحرر وبإيماننا بأن تراثنا لا يوجد في ماضينا وفي حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل يوجد أيضا في ماضي الشعوب الغربية، هذا بالإضافة إلى البحث في الذاكرة التاريخية عن مقومات الخطاب الديمقراطي المفتوح. هذا ولا يمكن عزل الحداثة عن مظهراتها، حيث أنها تعبر عن أرقى أشكال التطور العلمي والسياسي والفلسفي فما هي إذن علاقة الحداثة بالفكر العلمي والسياسي والفلسفي؟

2- الحداثة ومظهراتها:

لقد أستبعد الفكر العلمي العربي عن تاريخ العلوم بنفس الطريقة التي استبعدت بها مختلف الإنجازات الأخرى، ولنفس الأسباب كذلك. ولقد اعتبرت هذه المرحلة العربية الهامة بأنها مرحلة وسطى بين المعجزة الإغريقية واكتمال العلم في الغرب. ولكنها في الحقيقة مرحلة بينت قدرة العرب على فهم اليونان وفي نفس الوقت بينت عجزهم عن الإبداع في الفكر العلمي الصحيح، بما أنهم لم يتمكنوا من تطويرها فيصبح العلم بمفهومه الصحيح خاصية للمرحلة المتقدمة أي للفكر الغربي الذي كان هو المؤسس الحقيقي لكل العلوم ومن ثم اعتبرت العلوم غريبة المنشأ و التطور.

ومن أجل تحديد ما هو علمي وما هو لا علمي يحدد التريكي مجموعة من المقاييس يجب أن تتوفر في العلوم حتى تصبح علمية و متميزة عن اللاعلمية هي كالاتي: الأول حذف الظرفي والآنوي حذفا كليا، الثاني التعبير عن الأشياء بأكثر جزئية و ذرية وعمومية، الثالث المصادقية، الرابع المطابقة مع الواقع، والخامس الاستقلالية أي أن الخطاب العلمي يجب أن يكون مستقلا بذاته و هويته.

فهل تستجيب العلوم إذن لهذه المقاييس؟ إن العلم الذي يستجيب لهذه المقاييس في نظر التريكي غير موجود حاليا، حيث أنه في كل خطاب علمي هناك نقص، حتى الرياضيات التي تمثل في نظر برتراند راسل الخطاب العلمي الكامل، لا تستطيع أن تستجيب لهذه المقاييس جميعها وهذا ما يعترف به راسل نفسه، إذ و إن حققت الرياضيات المقياس الأول

والثاني والثالث والخامس فهي تبقى بعيدة عن تحقيق المقياس الرابع و هو المطابقة مع الواقع ، وهذا ما جعل راسل ينتقد بشدة الفلاسفة المنطقيين بحجة أنهم أهملوا مسألة الواقع و المطابقة .

ولقد أكد العديد من الفلاسفة كذلك على أن عصر السكونية العلمي قد مضى أي أن العلم قد تجاوز السكونية، ولم تعد الطبيعة ذلك العلم النموذجي، فالجتمعات والاقتصاد والتاريخ والسياسة كلها أصبحت اليوم بتغيراتها وتحولاتها مواضيع لأقوال علمية يمكنها بلوغ درجة عالية من الدقة واليقين وحتى الطبيعة أصبحت غنية بالتنوع والاختلاف.

أما الفكر السياسي فقد عرف في عصر الحداثة سيطرة مفاهيم، الدولة، السلطة، القومية..... الخ ومن ثم كان الشغل الشاغل للفكر العربي المعاصر على المستوى السياسي التساؤل عما ينبغي أن تكون عليه السلطة في تعاملها اليومي مع الأفراد، أما عن التريكي فيرى أن معضلة الفكر السياسي في صورتها العامة تدعو في نهاية المطاف إلى اختيارات أساسية ثلاثة. اختيار المشروعية الماضية، أو التقدمية، أو محاولة التوفيق بينهما.

يتساءل التريكي في حديثه عن الحداثة و الفكر السياسي في مؤلفه فلسفة الحداثة عن مفهوم السلطة وعن الإحداثيات السياسية التي طورت تصوراتنا لهذا المفهوم، فيؤكد في هذا المجال على أن ثمة تساؤل عن منزلة الفرد في النسق التعسفي للسلطة و عن إمكانية تحرر الفرد و هذا التساؤل ظهر بجدة عندما بدا للعيان فشل المجتمع الرأسمالي و المجتمع الاشتراكي المبني على ديكتاتورية البروليتاريا مما أدى إلى قيام الفاشية والنازية و حرب عالمية مدمرة ، أما عن موقف فلسفة التنوع من العنف والسلطة التي تميزت بهما الدولة فإن فلسفة الاختلاف و التنوع هي الدرع الذي يحمي الإنسان الفرد من غطرسة النسق والدولة وهذا ما تجسد فعلا مع النزعة التهديمية التي تريد تهدم النظام القائم للأشياء والنزعة النقدية مع هابرماس من خلال نقد العقل الأوروبي والنزعة السوقية التي تترجمها مدرسة شيكاكو التي ترى أن السوق هو أحسن ضمان للخروج من بوتقة و غطرسة السلطة، وهذا عبر عنه التريكي بقوله " و أمام تأرجح السلطة بين الكليانية والهوية لا تستطيع الفلسفة الشريفة إلا أن تكون مناضلة من أجل الحرية والاختلاف و من ثم تكون الفلسفة المعاصرة بشكل عام قد قامت على نقد فكرة الدولة ووضعها موضع النقد والتمحيص. فالفلسفة اللانظامية هي الدرع الذي يحمي الإنسان الفرد من غطرسة النسق"¹.

ان علاقة الحاكم بالمحكوم في الدولة هي علاقة سلبية بحكم أن الحاكم هو الوازع وهو الذي يردع ويخيف ويعاقب بجانب عمله التشريعي، أما عن الدولة القومية التي نشأت في القرون الوسطى فإنها قد تحولت إلى أداة للهيمنة على المجتمعات الأخرى و ذلك بواسطة عملية الاستعمار التي ظهرت بحسب التريكي بأشكال ثلاث : الاستعمار النهي الذي يعتمد سرقة خيرات المجتمعات الأخرى بحد السلاح . و الاستعمار التجاري الذي أفرز إيديولوجيات تعتمد العنصرية و استبعاد الآخر و الذي يعتبر الحياة للأفضل و الأقوى ، وهذا ما تجسد في دعوة بنجمان كير إلى " فرض هيمنة العنصر الإنجليزي على العالم ، لأنه الأفضل و الأقوى حتى تعم السعادة في الكون وذلك لأن الإمبراطورية الإنجليزية بحسب رأيه ، نتيجة

التريكي فتحني ، الفلسفة الشريفة ، نحص ، ص 106 .¹

القدر الإلهي ونتيجة العنصر الممتاز ، وهي أساس زمن الحداثة المتجدد بفعل الصناعة وتطورها¹. و لصبغة الثالثة لعملية الاستعمار فتتمثل في الهيمنة الإدارية كالحماية والمعاهدات ، والاستعمار بهذه الصيغ الثلاث نتيجة حتمية لعملية الحداثة في صبغتها السياسية ، وقد دافع عنها أكثر المثقفين الغربيين بشقهم الرجعي والتقدمي ، وهذا ألبرت بايات يحاضر في مؤتمر جمعية حقوق الإنسان سنة 1935 " إن الاستعمار عملية مشروعة إذا قدم الشعب المستعمر كنزا من الأفكار و العواطف التي تثري الشعوب الأخرى ، وعندئذ لا يكون الاستعمار حقا فقط بل وأيضا واجبا ... فإنني أرى أن فرنسا الحديثة ابنة النهضة واثرة القرن الثامن عشر و ثلثة تمثل في العالم مثالا له قيمته الخاصة وهي تستطيع أن تنشره في الكون بل يجب عليها ذلك"². ولا شك أن التريكي لا يريد بهذا العرض إبراز سلبية عملية التحديث ولكنه يريد ربط الحداثة بمتبعاتها حتى يبين تجلياتها، و نتيجة هذا الوعي السياسي وعلاقته بالحداثة بدأت تظهر بالدولة الأمة جملة من التناقضات بين التحرر و القمع و بين الهيمنة و الانتفاضات، بين الحرية والدكتاتورية كما بدأت تظهر في الأفق معالم نظام مفتوح يخول الشعوب ممارسة شيء من الديمقراطية نشارك بواسطتها في الحكم وهذا ما نشهده اليوم في بعض بلداننا كالجائز و تونس و مصر و سينغال ... الخ فهل يمثل هذا بداية معالم الحداثة عندنا ؟

ولنا أن نتساءل الآن عن وضع الفلسفة وظيفتها في مجال الحداثة؟

لقد عرف الفكر الفلسفي في مجال الحداثة تغيرات وتحولات كبرى فبعد أن كانت الفلسفة بمفهومها العام تكون في النظريات الكبرى وفي الأنساق والمذاهب أصبحت في ظل عملية التحديث التي عرفتها تدخل في العلوم والممارسات الخطائية الأخرى وأصبحت وظيفتها تفكيرية توضيحية يحددها فوكو كما يلي: " ماهي إذن الفلسفة اليوم ، أعني النشاط الفلسفي إذا لم تكن العمل النقدي لنفكر بالفكر و إذا لم ترتكز على عملية معرفة كيف يمكن أن نفكر بوجه آخر وإلى أي حد، عوض أن نشرع ما نعرفه و نبرره"³ فالتفكير بوجه آخر جعل الفلسفة الحالية في كل الميادين و الحقول و تدمج في المعرفة كل ما كان مستبعدا في المعقولة الكلاسيكية ، دراسة الجنسانية والجنون وحقوق الإنسان أو مشاكل التحرر عند المرأة. وفي ظل عملية التحديث التي عرفتها الفلسفة استنتج التريكي أن التفلسف يخضع إلى ثوابت ووظائف يحددها كالتالي:

أولا: التحديد، حيث تتدخل الفلسفة في ميادين أخرى لتحديد المفاهيم والمقولات والأفكار وتخدم المفهوم أو تنقله خارج ميدان ولادته.

ثانيا: النقد، حيث يتدخل الخطاب الفلسفي في كل المجالات المعرفية الأخرى لينقد ويدحض حيث اعتمدت فلسفة أفلاطون على الدحض في محاوراته السفسطائية. فالفلسفة نقد مستمر لأوضاع الفكر وحركة تنشيط العقل وإعادة بناءه.

ثالثا: التوضيح، حيث يقول فتحشتين " إن الغاية من الفلسفة هي التوضيح المنطقي للتفكير والفلسفة ليست مذهبا وعقيدة بل هي ممارسة ونشاط، لا تكمن نتيجة الفلسفة في عدد من "القضايا الفلسفية" بل إن القضايا في الفلسفة

التريكي فتحي، الحداثة و الفكر السياسي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي ، بيروت العدد 78 – 79 ، 1990 ، ص 19 .¹

نفس المصدر ، ص 19.²

التريكي فتحي مع رشيدة التريكي ، نفس ، ص 73 .³

تصبح واضحة، وللأسف غاية أن تجعل الأفكار واضحة ومحددة تحديدا متينا إذ بدون ذلك تكون هذه الأفكار غامضة وضبابية"¹. فالممارسة الفلسفية توضيحية لا غير.

رابعا: التشخيص، إذ لم تعد الفلسفة بحث في الحقيقة المطلقة أو ماهيات الحياة والموت والإله والحرية. بل أصبحت نشاطا نظريا داخل المجالات العلمية المختلفة داخل الرياضيات والفيزياء واللسانيات، والتاريخ وعلم الأديان والسلالة. وقد بين فوكو أن ثمة فلسفة خارج الميادين العلمية تكمن في عملية البحث عن أمراض الواقع الذي نعيشه فهو يعتقد أنه: " إذا وجد الآن نشاط فلسفي مستقل، أي أن إذا كانت هناك فلسفة لا تكون نشاطا نظريا داخل الرياضيات و علم اللسان أو علم السلالة، أو داخل علم الاقتصاد السياسي إذا كانت هناك فلسفة حرة مستقلة عن كل هذه الميادين نستطيع أن نحدد كما يلي: هي نشاط تشخيصي "².

خامسا: التنظير، أي تجريد الواقع وتعالي المعرفة الظاهرية عن الشعور وعن الطبيعي حيث لا حظ هابرماس أن المعرفة المطلقة قد ضعفت وتهدمت وأصبحت انعكاسا سلبيا للواقع أي أن القول الفلسفي المبني على المعرفة المطلقة قد وهن وضمحل. وهنا ينبه الأستاذ التريكي على أن ثمة فرق بين التنظير الكلي والتنظير الشامل " إذ أن الأول أساسه هو الخطاب الموحد والمختزل لتنوع الواقع، أما التنظير الشامل فهو الذي يأخذ بعين الاعتبار بتنوع الواقع وتعدد معطياته فيحدد شروط إمكان توحيد التنوع وظروفه وعوائقه "³.

خاتمة:

وهكذا فإنه يستحيل علينا قراءة التراث بمعزل عن الحداثة، فالحداثة هي التي تجعله حيا متحركا ومتطورا وحاضرا كما لا يمكن عزل الحداثة عن الفكر العلمي والسياسي والفلسفي، وهذه الحقول المعرفية الأخيرة ظلت إلى عصور ليست بالبعيدة حقول جامدة منغلقة تتناول مفاهيم مطلقة تعرقل مسيرتها نحو التطور لولا عملية التحديث التي عرفتها هذه الحقول حيث مكنتها من تجاوز واقعها وحاضرها المنغلق. ومن ثم انفتاحها على فضاءات علمية أخرى. والتراث إذا ما تم قراءته بنفس الكيفية وبنفس الوسائل والأدوات حتما سيتخلص من النظرة الكلاسيكية المنغلقة حتى يتسنى له الانفتاح على الحداثة وهذا ما ندعوه بتحديث التراث.

1. نفس المصدر، ص 85.

2. نفس المصدر، ص 86.

3. نفس المصدر، ص 87.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الجابري محمد عابد، التراث و الحداثة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1991.
- 2- الجابري محمد عابد، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990.
- 3- بدوي عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني ، دار القلم ، بيروت ، ط 5 ، 1979.
- 4- برييه اميل ، الفلسفة اليونانية ، ت - ج ، طرابشي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1987.
- 5- هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، ت امام عبد الفتاح امام ، القاهرة ، دار الثقافة ، 1986.
- 6- الزواوي بغورة ، ميشال فوكو في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة بيروت ، ط 1 2001 .
- 7- حرب علي ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2، 1995.
- 8- العروي عبد الله ، ثقافتنا في ضوء التاريخ ، بيروت ، مركز الثقافي العربي ، 1983 .
- 9- التريكي فتحي ، أفلاطون و الديالكتيكية ، الدار التونسية ، 1985 ، ص 85 .
- 10- تويني أرنولد ، مختصر دراسة التاريخ ، ت فؤاد محمد شبل ، القاهرة ، 1966 ، ج 1.
- 11- التريكي فتحي ، مع رشيدة التريكي ، فلسفة الحداثة ، مركز الانماء القومي ، 1992.
- 12- التريكي فتحي ، العقل و الحرية ، تبر الزمان ، الدار التونسية للنشر ، 1988 .
- 13- التريكي فتحي ، الفلسفة الشريفة ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، 1988 .
- 14- التريكي فتحي ، الحداثة و الفكر السياسي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الانماء القومي ، بيروت العدد 78 - 79 ، 1990.

الحماية القانونية للتراث الثقافي في الجزائر

شمس الدين بشير الشريف

سميحة لعقاي

جامعة سطيف 02 - الجزائر

جامعة سطيف 02 - الجزائر

الملخص:

تزخر الجزائر بتراث ومقدرات ثقافية مادية وغير مادية على قدر كبير من الثراء والتنوع، لذلك تناول الدراسة الحماية القانونية التي أقرها المشرع الجزائري لهذا التراث، وذلك وفق مقارنة قانونية، تستهدف الإجابة عن إشكالية محورية، تتعلق بمدى كفاية هذه الحماية في تحصين تراثنا الثقافي ضد الأخطار التي تتهدده. وللإجابة عن هذه الإشكالية، فقد تم بحث وتقييم المصادر المعيارية لهذه الحماية، آلياتها أو وسائلها، والإطار المؤسسي الذي أناط به المشرع إنفاذ أو تفعيل هذه الحماية.

الكلمات المفتاحية: التراث، الثقافة، الحماية القانونية، الممتلكات الثقافية.

Résumé:

L'Algérie possède un patrimoine culturel matériel et immatériel riche et diversifié. L'étude traite de la protection juridique accordée par le législateur algérien à ce patrimoine, selon une approche juridique visant à répondre à une problématique centrale concernant la suffisance de cette protection dans l'immunisation de notre patrimoine culturel contre les risques qu'il menace. Pour répondre à cette problématique, nous avons examiné et évalué les sources normatives de cette protection, ses mécanismes ou moyens, ainsi que le cadre institutionnel chargé par le législateur de la mise en œuvre de cette protection.

Mots clés: patrimoine, culture, protection juridique, biens culturels.

مقدمة

يشكل التراث الثقافي حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته البشرية والحضارية، ويقصد به ما خلفته الحضارات أو الأجيال السابقة من ممتلكات ثقافية، ذات قيمة فنية أو علمية أو تاريخية، والتي ينبغي التفاعل معها ونقلها للأجيال القادمة في إطار مبدأ الاستدامة. وهو يتكون من تراث ثقافي مادي مشكلا من ممتلكات ثقافية عقارية ومنقولة، وتراث ثقافي غير مادي يشمل مجموعة المعارف أو التصورات الاجتماعية أو المعرفية المستخلصة من تقاليد ونمط حياة الأجداد.

يكتسي التراث الثقافي بهذا المدلول أهمية قصوى سواء من الناحية المعنوية، حيث يعتبر مكونا من مكونات الهوية الوطنية، و يترجم ماضيا ينبغي المحافظة عليه من أجل الحاضر والمستقبل، أو من الناحية الاقتصادية، حيث يشكل عامل جذب سياحي في غاية الأهمية، ومن ثم مقورا أساسيا لتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة.

ترخر الجزائر بتراث ثقافي مادي وغير مادي على قدر كبير من الثراء، يعكس التنوع الثقافي الذي عرفته الحضارات المتعاقبة التي مرت عليها، غير أنه عرضة في الكثير من الأحيان لأخطار متعددة ناتجة سواء عن فعل الطبيعة أو عن فعل الإنسان. لذلك عملت الدولة الجزائرية على وضع إطار قانوني لحمايته والمحافظة عليه، يظهر في الاعتراف به في المنظومة القانونية الوطنية بمختلف مصادرها الدستورية أو تحت الدستورية، في إقرار أنظمة حمائية متعددة وفي وضع إطار مؤسسي مكلف بإنفاذ وتفعيل هذه الحماية.

استنادا لما سبق، تتمثل إشكالية هذه الورقة البحثية في التساؤل عن مدى كفاية الحماية القانونية التي كفلها المشرع الجزائري للتراث الثقافي في توفير حماية فعلية له؟ للإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدنا الخطة الآتية:

أولا: تعدد المصادر المعيارية لحماية التراث الثقافي

ثانيا: آليات الحماية القانونية للتراث الثقافي

ثالثا- الإطار المؤسسي لحماية التراث الثقافي

أولاً: تعدد المصادر المعيارية لحماية التراث الثقافي

نظرا لأهمية وتنوع التراث الثقافي في الجزائر، فإنه يحظى في ظل الوضعية القانونية الحالية بحماية قانونية ذات مصادر معيارية متفاوتة القيمة القانونية، تترد إلى حماية دستورية (أ) وتحت دستورية (ب).

أ- الحماية الدستورية للتراث الثقافي: تسفر قراءة الدساتير المتعاقبة في الجزائر، على معاينة غياب أي سند دستوري لحماية التراث الثقافي في ظل أول دستور للجزائر المستقلة وهو دستور 1963. يرجع هذا الموقف للمؤسس الدستوري في هذه الفترة، من وجهة نظرنا، إلى حداثة الدولة الجزائرية في هذه المرحلة، والذي جعل المؤسس الدستوري يوجه انشغالاته نحو القضايا الكبرى في بناء الدولة الوطنية، كالتوجه السياسي والعقيدة الاقتصادية التي ينبغي تبنيتها لتشديد دولة ما بعد الاستعمار، هذا بالإضافة إلى عدم تنامي الاهتمام العالمي أو الجهود الدولية بالتراث الثقافي في ذلك الوقت، والتي تعتبر من أهم العوامل الملهمة أو المحفزة للاهتمام بحماية هذا التراث على الصعيد الوطني للدول المختلفة.

أما دستور 1976، فقد جاء في فترة تعاضم فيها الاهتمام الدولي بمسألة حماية التراث الثقافي والمحافظة عليه، من جهة، وفي ظل استقرار بناء الدولة، من جهة ثانية، وهو ما انعكس على توجه المؤسس الدستوري إزاء هذه المسألة، حيث نص صراحة في المادة 23/151 وهو بصدد تعداد المجالات المحجوز التشريع فيها للمجلس الشعبي الوطني، على أن حماية التراث الثقافي والمحافظة عليه يدخل في الاختصاص التشريعي للبرلمان.

ونفس المسلك نعاينه في دستوري 1989 و 1996، حيث جعلنا بدورهما مسألة حماية التراث الثقافي والمحافظة عليه اختصاصا حصريا للبرلمان، مما يعكس الأهمية النسبية التي أولاها المؤسس الدستوري للتراث الثقافي، حيث وبوصفه ملكا للمجموعة الوطنية، فيتعين أن ينعقد الاختصاص برسم نظامه القانوني للممثل عن الإرادة الشعبية وهو البرلمان.

أما التعديل الدستوري لسنة 2016¹، فقد أشار لأول مرة وبشكل مباشر إلى حماية التراث الثقافي، حيث وبعدها ضمنت المادة 45 منه في فقرتها الأولى الحق في الثقافة للمواطن، وضعت الفقرة الثانية التزاما على الدولة بحماية التراث الثقافي الوطني المادي وغير المادي والمحافظة عليه، وهو أمر بديهي إذ لا يمكن الحديث عن ضمان الحق في الثقافة دون توفير الحماية القانونية للتراث الثقافي بوصفها من متطلبات فعلية التمتع أو ممارسة هذا الحق، ذلك أنه وكما يقول Wachsmann أننا: " لم نفعل شيئا إذا اكتفينا بمجرد التصريح بحقوق الإنسان: ما

¹- القانون رقم 01/16 المؤرخ في 6 مارس 2016 المتضمن التعديل الدستوري (ج.ر، عدد 14 لسنة 2016).

يهم حقيقة هو تجسيدها، وهو ما يفرض وضع آليات ضامنة تكون فعليا في خدمة وتحت تصرف أصحاب هذه الحقوق"¹.

لا يعتبر الحق في الثقافة إذن، حقا نظريا أو مجردا *un droit abstrait*، بل حقا ملموسا وفعليا *un droit concret et effectif*، لذلك يتطلب الأمر وضع الميكانيزمات اللازمة لتفعيله، أحصها ضمان الحماية والحفاظة على التراث الثقافي بأبعاده المادية وغير المادية، وهو ما كرسه التعديل الدستوري لسنة 2016.

ب- الحماية تحت الدستورية للتراث الثقافي: تشمل الحماية تحت الدستورية للتراث الثقافي، الحماية المكرسة له بواسطة الاتفاقيات الدولية التي انضمت إليها الجزائر، وكذلك الإطار التشريعي لهذه الحماية.

ب-1- الحماية الاتفاقية للتراث الثقافي: انخرطت الجزائر في الجهود الدولية لحماية التراث الثقافي، من خلال المصادقة على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بهذا المجال، أحصها:

- اتفاقية "لاهاي" الخاصة بحماية التراث الثقافي زمن النزاعات المسلحة المؤرخة في 14 ماي 1954².
- الاتفاقية الخاصة بالتدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع الاستيراد والتصدير والنقل غير المشروع للممتلكات الثقافية، المبرمة بباريس في 17 نوفمبر 1970³.
- الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، المبرمة بباريس في 23 نوفمبر 1972⁴.
- اتفاقية توحيد القانون الخاص حول الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة، المعتمدة بروما في 24 يونيو 1995⁵.
- الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه لسنة 2001⁶.
- الاتفاقية المتعلقة بالتراث الثقافي غير المادي المعتمدة بباريس في 17 أكتوبر 2003⁷، والتي شاركت الجزائر بقوة في إعدادها، وحصلت نظير ذلك على شرف استضافة المركز الجهوي للحفاظ على التراث الثقافي غير المادي¹.

¹ - P. WACHSMANN, *les droits de l'homme*, 4 éd., Dalloz, Paris, 2002, p.121.

² - المرسوم الرئاسي رقم 268/09 المؤرخ في 30 أوت 2009 (ج.ر. عدد 59 لسنة 2009).

³ - الأمر 37/73 المؤرخ في 25 يوليو 1973 (ج.ر. عدد 69 لسنة 1973).

⁴ - الأمر رقم 38/73 المؤرخ في 25 يوليو 1973 (ج.ر. عدد 69 لسنة 1973).

⁵ - المرسوم الرئاسي رقم 267/09 المؤرخ في 30 أوت 2009 (ج.ر. عدد 51 لسنة 2009).

⁶ - المرسوم الرئاسي رقم 269/09 المؤرخ في 30 أوت 2009 (ج.ر. عدد 51 لسنة 2009).

⁷ - المرسوم الرئاسي رقم 27/04 المؤرخ في 7 فيفري 2004 (ج.ر. عدد 9 لسنة 2004).

تعتبر هذه الاتفاقيات الدولية المصادق عليها من الدولة الجزائرية، جزءاً من المنظومة القانونية الوطنية، ومن ثم فهي قابلة للتطبيق بذاتها، كما أن لها قيمة معيارية أسمى من التشريع إعمالاً لنص المادة 150 من التعديل الدستوري لسنة 2016.

ب-2- الحماية التشريعية للتراث الثقافي: بالإضافة إلى الحماية الدستورية والاتفاقية، يتمتع التراث الثقافي في الجزائر بحماية تشريعية خاصة، يوفرها القانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 يونيو 1998 المتعلق بحماية التراث الثقافي²، بالإضافة إلى قوانين أخرى ذات صلة، أحصها القانون رقم 30/90 المؤرخ في 1 ديسمبر 1990 المتعلق بالأموال الوطنية³ المعدل والمتمم، القانون رقم 01/03 المؤرخ في 17 فبراير 2003 والمتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة⁴ والقانون رقم 03/03 المؤرخ في 17 فبراير 2003 والمتعلق بمناطق التوسع والمواقع السياحية⁵.
ثانياً: آليات الحماية القانونية للتراث الثقافي: أرسى المشرع حماية قانونية للتراث الثقافي وفق آليتين أساسيتين هما: تقنية المال العام (أ)، وأنظمة حمائية متعددة (ب).

أ- حماية التراث الثقافي وفق تقنية المال العام: يعتبر مالا عاما في الفقه والقضاء الإداريين، كل ملك يعود إلى أحد الأشخاص المعنوية العامة، ووقع تخصيصه سواء للاستعمال المباشر للجمهور أو لمرفق عمومي، وكان محلاً لتهيئة خاصة⁶، وعليه، لا يكتسب المال الصفة العامة إلا إذا استوف شرطين أو معيارين أساسيين، أولهما عضوي، ومؤداه ملكية المال للدولة أو أحد أشخاصها المعنوية العامة. وثانيهما وظيفي، ومفاده وجوب تخصيص هذا المال للمنفعة العامة⁷. وعليه، إذا تخلف أحد هذين المعيارين، فقد المال الصفة العامة، و ألق بملكية الخواص أو بأموال الدولة الخاصة حسب الحالة.

وقد تبني القانون رقم 30/90 المتعلق بالأموال الوطنية هذه المقاربة المزدوجة في تحديد المال العام، حيث نصت المادة 12 منه المعدلة والمتممة بمقتضى المادة 6 من القانون رقم 14/08 المؤرخ في 20 يوليو 2008

¹ - سعيدي كريم، الحماية القانونية للتراث الثقافي في الجزائر، مذكرة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2015-2016، ص ص. 115-116.

² - ج.ر، عدد 44 لسنة 1998.

³ - ج.ر، عدد 52 لسنة 1990.

⁴ - ج.ر، عدد 11 لسنة 2003.

⁵ - ج.ر، عدد 11 لسنة 2003.

⁶ - J.-Y- VINCENT et autres, **Droit public général**, 5 éd., Lexis Nexis, Paris, 2011, p.1169.

⁷ - voir: René CHAPUS, **Droit administratif général**, Tome 2, 8 éd., Montchrestien, Paris, 1995, p.328 et suivant.

على أنه: " تتكون الأملاك الوطنية العمومية من الحقوق والأملاك المنقولة والعقارية التي يستعملها الجميع والموضوعة تحت تصرف الجمهور المستعمل إما مباشرة و إما بواسطة مرفق عام...".

يرجع الهدف الأساسي من إلحاق صفة المال العام بملك ما إلى منحه حماية قانونية خاصة، حيث يعتبر هذا التكيف بمثابة تقنية حمائية تستفيد منها الممتلكات ذات الأهمية القصوى للمصلحة العامة. وتطبيقا لذلك، تستفيد الأموال العامة من الامتياز الثلاثي المنصوص عليه في المادة 4 من القانون رقم 30/90 المعدلة والمتمة بالقانون رقم 14/08 والمتمثل في عدم قابليتها للتصرف وللتقادم وللحجز.

تستفيد إذن الممتلكات الثقافية المصنفة ضمن الأملاك الوطنية العمومية سواء بصفة تلقائية من طرف المشرع، أو من طرف القاضي بعد استيفائها لشرطي الملكية العمومية والتخصيص للمنفعة العمومية، من الحماية الثلاثية المقررة في المادة 4 المشار إليها أعلاه، حيث يحظر على الشخص العمومي المالك لهذه الممتلكات الثقافية التصرف فيها أو التنازل عنها سواء طواعية أو جبرا عن طريق نزع ملكيتها للمنفعة العمومية، كما لا يجوز أن تكون محلا لارتفاقات **des servitudes** أو لحقوق عينية **des droit réels**. أما بالنسبة لمبدأ عدم القابلية للتقادم **le principe d'imprescriptibilité**، فإنه يعتبر نتيجة منطقية لمبدأ عدم القابلية للتصرف، ويقصد به عدم قابلية هذه الممتلكات لأن تكون محلا لتقادم مكسب من شأنه حرمان الشخص العمومي من ملكيتها¹، غير أن هذه الحماية ورغم أهميتها، لا تخلو من بعض أوجه القصور أو عدم الكفاية، تتجسد في مأخذين أساسيين: يظهر أولهما في معايير اكتساب الممتلكات الثقافية لصفة المال العام في حد ذاتها، حيث يلزم، كما سبق القول، لاعتبار ملكا ما مالا عاما يستفيد من الحماية المقررة للأموال العامة، أن يستوفي الشرط العضوي وهو التبعية لشخص عمومي، مما يعني حرمان ممتلكات ثقافية كثيرة لا يتوافر فيها هذا الشرط بفعل تبعيتها للأشخاص الطبيعيين أو المعنويين الخاضعين للقانون الخاص من هذه الحماية الممتازة. وثانيهما الجمود التسييري²، حيث يفرض تصنيف ملكا ثقافيا ما ضمن الأموال العامة إكراهات على صعيد إجراءات تسييره أو حركيته القانونية والمادية، حيث لا يمكن للأشخاص العمومية مثلا التصرف في ملك ثقافي يعود إلى ملكيتها العمومية، حتى ولو كان هذا التنازل يسمح لها بالحصول على الأموال الضرورية لاقتناء ملكا آخر أكثر أهمية أو منفعة³.

¹ - Franck BIGLIONE, « Domanialité publique et protection des biens culturels », LEGICOM, 2006, 2, n 36, p p. 68-69.

² - Hervé BASTIEN, « A quoi sert le domaine public mobilier ? l'exemple des bien culturels », AJDA, 1993, p.679.

³ - Hervé BASTIEN, « A quoi sert le domaine public mobilier ? l'exemple des biens culturels », AJDA, 1993, 1993, p.679.

ب- أنظمة الحماية القانونية للتراث الثقافي: تختلف وتتعدد الأنظمة الحماية التي أقرها القانون رقم 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، وذلك بحسب طبيعة الممتلكات الثقافية المطلوب حمايتها (مادية أو غير مادية).

ب-1- بالنسبة للتراث الثقافي المادي: يتكون التراث المادي الجزائري من ممتلكات ثقافية عقارية وأخرى منقولة.

ب-1-1- الممتلكات الثقافية العقارية: خصها القانون رقم 04/98 بثلاثة أنظمة حماية هي: التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، التصنيف والاستحداث في شكل قطاعات محفوظة (المادة 2/8).

ب-1-1-1- التسجيل في قائمة الجرد الإضافي: طبقا لنص المادة 10 من القانون رقم 04/98، يمكن أن تسجل في قائمة الجرد الإضافي الممتلكات الثقافية العقارية التي تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو علم الآثار أو العلوم أو الاثنوغرافيا أو الانتروبولوجيا أو الفن والثقافة، وتستدعي المحافظة عليها، إذا لم تستوجب تصنيفا نهائيا خلال مدة 10 سنوات. ومن الناحية الإجرائية، يتم التسجيل في هذه القائمة بقرار من الوزير المكلف بالثقافة بعد استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، وذلك بالنسبة للممتلكات الثقافية العقارية ذات الأهمية الوطنية، وبقرار من الوالي بعد استشارة لجنة الممتلكات الثقافية التابعة للولاية، إذا تعلق الأمر بممتلكات عقارية ذات أهمية محلية.

ويرتب هذا التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، التزامات على عاتق أصحاب الممتلكات الثقافية (أشخاص عمومية أو خاصة)، أحصها إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة بأي مشروع تعديل جوهرى للعقار يكون من شأنه أن يؤدي إلى إزالة العوامل التي سمحت بتسجيله أو محوها أو حذفها أو المساس بالأهمية التي أوجبت حمايته¹. كما لا يمكن لهم القيام بأحد هذه التعديلات إلا بعد الحصول على ترخيص مسبق بذلك من الوزير المكلف بالثقافة². ما يؤخذ على هذا الالتزام (إخطار الوزير المكلف بالثقافة)، أنه قاصر فقط على التعديلات الجوهرية للعقار، مما يعني إقصاء التعديلات غير الجوهرية من وجوبية الإبلاغ أو الإخطار المسبق، والسؤال المطروح في هذا الصدد هو ما هي الجهة التي تملك تقدير جوهرية التعديل من عدمه، هل هي وزير الثقافة أم أصحاب العقار؟

يظهر من قراءة نص المادة 14، أن مالك العقار هو الذي يقدر تبعا لذاتيته ما إذا كانت الأعمال التي يريد القيام بها على العقار جوهرية بمفهوم المادة 14 أم لا، وهو أمر منتقد تماما، حيث كان يجدر بالمشرع أن يخضع جميع التعديلات لإجراء الإخطار المسبق لمصالح وزارة الثقافة، لتقدر هي بحكم كفاءتها التقنية ما إذا كانت هذه

¹ - المادة 14 من القانون رقم 04/98 المتعلق بحماية التراث.

² - المادة 2/15 من القانون رقم 04/98 المتعلق بحماية التراث.

التعديلات جوهرية تستلزم الحصول على ترخيص منها أم لا، وهو ما أقره المشرع الفرنسي مثلا، حيث أوجب على المالك إبلاغ السلطة الإدارية المختصة بنيتة في إجراء أي تعديل على العقار، وبالأشغال التي يعتمد القيام بها وذلك قبل أربعة أشهر من تاريخ البدء فيها¹.

ب-1-1-2- التصنيف

يعد التصنيف، طبقا لنص المادة 16 من القانون رقم 04/98، أحد إجراءات الحماية النهائية للممتلكات الثقافية العقارية، هذه الأخيرة تشمل المعالم التاريخية، المواقع الأثرية والحظائر الثقافية.

بالنسبة للمعالم التاريخية، تعرف بأنها كل إنشاء هندسي معماري منفرد أو مجموع، يقوم شاهدا على حضارة معينة أو على تطور هام أو حادثة تاريخية. وتشمل على الخصوص المنجزات المعمارية الكبرى، الرسم، النقش، الفن الزخرفي، الخط العربي، المباني أو المجمعات العلمية الفخمة ذات الطابع الديني أو العسكري أو المدني أو الزراعي أو الصناعي، هياكل عصر ما قبل التاريخ....

تخضع هذه المعالم للتصنيف بقرار من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، بمبادرة منه أو من أي شخص يرى مصلحة في ذلك. ويمتد قرار التصنيف إلى العقارات المبنية أو غير المبنية الواقعة في منطقة محمية (المادة 17 من القانون رقم 04/98). وتسري آثار التصنيف بقوة القانون على المعلم الثقافي وعلى العقارات المبنية أو غير المبنية الواقعة في المنطقة المحمية، وذلك ابتداء من اليوم الذي يبلغ فيه الوزير المكلف بالثقافة بالطرق الإدارية دعوى التصنيف إلى المالكين العموميين أو الخواص، وينتهي سريانها إذا لم يتم التصنيف خلال السنتين (2) التاليتين لهذا التبليغ (المادة 2/18 و 3 من القانون رقم 04/98).

ويرتب الاقتراح للتصنيف أو التصنيف النهائي آثارا في غاية الأهمية، حيث تخضع كل أشغال الحفظ والترميم والتصليح والإضافة والتعمير والتهيئة المراد القيام بها على المعلم أو على العقارات الواقعة في المنطقة المحمية إلى الترخيص المسبق من مصالح الوزارة المكلفة بالثقافة (المادة 1/21)، كما يحظر وضع اللافتات واللوحات الاشهارية أو إلصاقها على هذه المعالم إلا بعد الترخيص المسبق من وزارة الثقافة (المادة 22)، كما تخضع جميع الأشغال مهما كان نوعها التي تنجز على هذه المعالم للمراقبة التقنية لمصالح وزارة الثقافة (المادة 26).

أما بالنسبة للمواقع الأثرية، فهي مساحات مبنية أو غير مبنية دونما وظيفة نشطة، وتشهد بأعمال الإنسان أو بتفاعله مع الطبيعة، بما في ذلك باطن الأراضي المتصلة بها، ولها قيمة من الوجهة التاريخية أو الأثرية أو الدينية

¹ - أنظر المادة 27-621 L من تقنين التراث الفرنسي، متوفر على الموقع:

<https://www.legifrance.gouv.fr/affichCode.do?cidTexte=LEGITEXT000006074236>

أو الفنية أو العلمية أو التكنولوجية. وتشمل على وجه الخصوص المحميات الأثرية والحظائر الثقافية¹. يخضع تصنيفها إلى نفس الإجراءات المعتمدة لتصنيف المعالم التاريخية (المادة 29)، كما يرتب نفس الآثار.

وأخيرا، بالنسبة للحظائر الثقافية، فهي تعتبر مناطق شاسعة (كالتاسيلي والحقار) تحتوي على مخلفات الإنسان القديم التابع لعصور ما قبل التاريخ، والتي تعبر عن مستواه الاجتماعي والثقافي والصناعي، وهي أكبر المتاحف المفتوحة على الطبيعة². وقد نصت المادة 38 من القانون رقم 04/98، على أنه تصنف في شكل حظائر ثقافية المساحات التي تتسم بغلبة الممتلكات الثقافية الموجودة عليها أو بأهميتها والتي لا تنفصل عن محيطها الطبيعي. وتنشأ الحظيرة الثقافية وتعين حدودها بمرسوم يتخذ بناء على تقرير مشترك بين الوزراء المكلفين بالثقافة والجماعات المحلية والبيئة والتهيئة العمرانية والغابات، عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية³.

ب-1-1-3- الاستحداث في شكل قطاعات محفوظة: تقام في شكل قطاعات محفوظة طبقا لنص المادة 42 من القانون رقم 04/98، المجموعات العقارية الحضرية أو الريفية، مثل القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمعات السكنية التقليدية المتميزة بغلبة المنطقة السكنية فيها، والتي تكتسي بتجانسها ووحدتها المعمارية والجمالية، أهمية تاريخية أو معمارية أو فنية أو تقليدية من شأنها أن تبرر حمايتها وإصلاحها وإعادة تأهيلها وتثمينها (المادة 41). وكما هو الحال بالنسبة للحظائر الثقافية، تنشأ القطاعات المحفوظة وتعين حدودها بمرسوم يتخذ بناء على تقرير مشترك بين الوزراء المكلفين بالثقافة والداخلية والجماعات المحلية والبيئة والتعمير والهندسة المعمارية، عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية.

ب-1-2- الممتلكات الثقافية المنقولة: تنص المادة 51 من القانون رقم 04/98 على أنه يمكن أن يقترح تصنيف الممتلكات الثقافية المنقولة ذات الأهمية من وجهة التاريخ أو الفن أو علم الآثار أو العلم أو الدين، أو التقنيات التي تشكل ثروة ثقافية للأمم، أو يمكن تصنيفها أو تسجيلها في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، بمبادرة منه أو بناء على طلب أي شخص يرى مصلحة في ذلك، أما بالنسبة للممتلكات الثقافية المنقولة ذات الأهمية المحلية، فيمكن تسجيلها في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي بعد استشارة لجنة الممتلكات الثقافية في الولاية المعنية.

¹ - المادة 28 من القانون رقم 04/98.

² - باخويا دريس، "الحماية القانونية للتراث الثقافي الجزائري"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2016، ص. 102.

³ - المادة 39 من القانون رقم 04/98.

ويترتب على تسجيل أي ممتلك ثقافي في قائمة الجرد الإضائي جميع آثار التصنيف لمدة 10 سنوات، وينتهي تطبيقها إذا لم يتم تصنيف الممتلك المنقول خلال هذه الفترة. كما هذا التسجيل على عاتق الحائز واجب صيانة هذا الممتلك وحراسته، وإذا ارتكب أي تقصير في ذلك يمكن للوزير المكلف بالثقافة أن يلجأ إلى تصنيف الممتلك بقرار عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، وإدماجه في الملكية العمومية عن طريق اقتنائه بالتراضي (المادة 55 من القانون رقم 04/98).

ب-2- بالنسبة للتراث الثقافي غير المادي: تعرّف الممتلكات الثقافية غير المادية، طبقاً لنص المادة 67 من القانون رقم 04/98، بأنها مجموعة معارف أو تصورات اجتماعية أو معرفة أو مهارة أو كفاءات أو تقنيات قائمة على التقاليد في مختلف ميادين التراث الثقافي، وتمثل الدلالات الحقيقية للارتباط بالهوية الثقافية، ويجوزها شخص أو مجموعة أشخاص. ويتعلق الأمر بالميادين الآتية على الخصوص: علم الموسيقى العريقة والأغاني التقليدية والشعبية والأناشيد والألحان والمسرح وفن الرقص والإيقاعات الحركية والاحتفالات الدينية وفنون الطبخ والتعبير الأدبية الشفوية والقصص التاريخية والحكايات والأساطير والحكم والألغاز والأقوال المأثورة والمواعظ والألعاب التقليدية.

ب-2-1- أهمية حماية التراث الثقافي غير المادي في ظل العولمة: يقصد بالعولمة في أبسط معانيها مركزة العالم في حضارة واحدة، أي إعادة إنتاج العالم وفقاً لثقافة واحدة هي ثقافة الجهة صاحبة المشروع¹. بمعنى آخر، تعني العولمة هدم الحدود السياسية بين الدول في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسلوكية، متخذة من التطور الذي تعرفه وسائل الإعلام والاتصال ومن القوى الناعمة وسيلة لذلك. تشكل العولمة وفقاً لهذا المدلول أحد المخاطر الأساسية التي تهدد الهوية الثقافية للدول، من خلال زعزعة ثوابتها الدينية وقيمها الفكرية والثقافية والأخلاقية لصالح هيمنة النموذج الثقافي الغربي.

يتأثر التراث الثقافي المحلي لاسيما في بعده غير المادي بموجة العولمة، التي تسعى إلى نبذه وتجاوزة نحو الحداثة، كونه ناتجا عن تفاعلات إنسانية واجتماعية إبداعية، ويكتسي نوعاً من الحرمة في ضمير الشعوب المحلية. والجزائر كغيرها من الدول العربية ليست بمنأى عن التأثير بهذه العولمة الثقافية، لذلك عمل المشرع على إقرار عدة أنظمة قانونية لحماية تراثنا الثقافي غير المادي.

¹ - بوزار حبيبة، واقع وأفاق الحماية القانونية للتراث المادي الأثري في الجزائر، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان، 2007-2008، ص.50.

ب-2-2- أنظمة الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي: يتم حماية التراث الثقافي غير المادي، طبقاً لنص المادة 68 من القانون رقم 04/98 عن طريق:

- إنشاء مدونات وبنوك معطيات خاصة بالتراث الثقافي غير المادي.
- قيام رجال العلم والمؤسسات المختصة بدراسة المواد المتحصل عليها لتعميق المعرفة، والكشف عن المراجع الذاتية، الاجتماعية والتاريخية.
- الحفاظ على سلامة التقاليد بالحرص على تفادي تشويهها عند القيام بنقلها ونشرها.
- إخضاع مواد الثقافة التقليدية والشعبية التي يتم جمعها لإجراءات حفظ ملائمة لطبيعتها بحيث تسمح بالمحافظة على ذاكرتنا ونقلها إلى الأجيال اللاحقة.
- نشر الثقافة غير المادية التقليدية والشعبية بجميع الوسائل.

ثالثاً- الإطار المؤسسي لحماية التراث الثقافي: يشمل الإطار المؤسسي، الهيئات المكلفة بحماية التراث الثقافي والمحافظة عليه. وفي هذا الإطار، أعطى المؤسس الدستوري للدولة ممثلة في وزارة الثقافة مكانة محورية (أ)، حيث تنص المادة 2/45 من التعديل الدستوري لسنة 2016 على أنه: " تلتزم الدولة بحماية التراث الثقافي والمحافظة عليه، غير أن هذه الهيمنة من السلطة المركزية لا تنفي أي دور للهيئات المحلية في هذا الإطار (ب)."

أ- الهيئات المنوطة بحماية التراث الثقافي على المستوى الوطني: امثالاً للمقتضى الدستوري الذي جعل من الدولة الحارس للتراث الثقافي، اعتبر المشرع في القانون رقم 04/98 وزارة الثقافة والأجهزة الملحقة بها الفاعل الرئيسي في هذا الإطار.

أ-1- الوزارة المكلفة بالثقافة: تعتبر الوزارة المكلفة بالثقافة الفاعل الأساسي في مجال السهر على حسن تطبيق واحترام القواعد القانونية المتعلقة بحماية التراث الثقافي، حيث تضطلع بمهمة تنفيذ سياسة الدولة في مجال حماية التراث الثقافي وتثمينه، وتتكون الإدارة المركزية في وزارة الثقافة، تحت سلطة الوزير، من مديريتين أساسيتين تعملان في مجال حماية التراث هما: مدير الحماية القانونية للممتلكات الثقافية وتثمين التراث الثقافي ومديرية حفظ التراث الثقافي وترميمه.

أ-1-1- الوزير المكلف بالثقافة: يعتبر الوزير المكلف بالثقافة الرئيس الأعلى وممثل الدولة في وزارته، ويضطلع طبقاً لنص المادة 2 من المرسوم التنفيذي رقم 79/05 المؤرخ في 26 فبراير 2005¹ المحدد لصلاحيات وزير الثقافة بالمهام الآتية في مجال حماية التراث وتثمينه:

- يساهم في المحافظة على الهوية الثقافية الوطنية وتوطيدها.
- يساهم في حفظ الذاكرة الجماعية للأمة بجمع جميع الوثائق والوسائل المتعلقة بالتراث الثقافي الوطني ومركزها واستغلالها.
- يساهم في إدماج البعد الثقافي وصياغته في المشاريع الكبرى للتهيئة العمران وفي الانجازات العمومية الكبرى ويسهر على ذلك.
- يحدد وينفذ سياسة إنجاز المشاريع الثقافية الكبرى لحماية التراث الثقافي الوطني ورموزه وتثمينه.

أ-1-2- مديرية الحماية القانونية للممتلكات الثقافية وتثمين التراث الثقافي: تكلف طبقاً لنص المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 80/05² بالمهام الآتية:

- المبادرة بالأعمال المتعلقة بالحماية القانونية للممتلكات الثقافية واقتراحها وتقويمها.
- السهر على احترام تطبيق التشريع والتنظيم المتعلقين بحماية التراث الثقافي.
- الفصل في كل طلبات الحصول على التراخيص القانونية والإدارية.
- السهر على تطبيق الإجراءات الإدارية المطلوبة لتنفيذ مداوات اللجان الوطنية المكلفة على التوالي بالممتلكات الثقافية واقتناء الممتلكات الثقافية.
- إعداد مخططات تثمين التراث الثقافي وبرامجه والسهر على إنجازها.
- وتتضمن ثلاث مديريات فرعية هي: المديرية الفرعية للمراقبة القانونية، المديرية الفرعية لتأمين الممتلكات الثقافية والمديرية الفرعية للبحث وتثمين التراث الثقافي.

أ-1-3- مديرية حفظ التراث الثقافي وترميمه: تضطلع طبقاً لنص المادة 6 من المرسوم التنفيذي رقم 80/05 المشار إليه أعلاه بما يلي:

¹ - ج.ر عدد 16 المؤرخة في 2 مارس 2005.

² - القانون رقم 80/05 المؤرخ في 26 فبراير 2005 المتضمن تنظيم الإدارة المركزية في وزارة الثقافة (ج.ر، عدد 16 لسنة 2005).

- تنفيذ سياسة البحث العلمي في مجال التراث الثقافي.
 - السهر على حسن سير العمليات المتصلة بالجرد وبنك معطيات الممتلكات الثقافية.
 - دراسة ملفات تسجيل واقتناء الممتلكات الثقافية في إطار اللجان الوطنية التي تضطلع بأمانتها.
 - إعداد مخططات وبرامج حفظ التراث الثقافي وترميمه والسهر على إنجازها.
- وتضم كذلك ثلاث مديريات فرعية هي: المديرية الفرعية للممتلكات الثقافية، المديرية الفرعية لحفظ الممتلكات الثقافية المنقولة وترميمها والمديرية الفرعية لحفظ الممتلكات الثقافية العقارية وترميمها.
- أ-2- الهيئات المتخصصة:** هي مصالح تنشئها الدولة للوصول إلى أهداف محددة بحسب تطور سياستها الثقافية، أو الأهمية التي توليها لقطاع ثقافي معين. تتمثل هذه الهيئات في الجزائر في اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية وبعض المراكز أو الوكالات أو الحظائر.
- أ-2-1- اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية:** هي لجنة ملحقة بوزير الثقافة، تكلف طبقا لنص المادة 79 من القانون رقم 04/98 بالمهام الآتية:
- إبداء آرائها في جميع المسائل المتعلقة بتطبيق هذا القانون، والتي يحيلها إليها الوزير المكلف بالثقافة.
 - التداول في مقترحات حماية الممتلكات الثقافية المنقولة والعقارية، وكذلك في موضوع إنشاء قطاعات محفوفة للمجموعات العقارية الحضرية أو الريفية المأهولة ذات الأهمية التاريخية أو الفنية.
- أ-2-2- المراكز، الوكالات والحظائر:** هي مؤسسات عمومية تتمتع بالاستقلالية المالية والإدارية، تختلف طبيعتها باختلاف موضوعها أو مهامها، نذكر منها مثلا: المركز الوطني للبحث في علم الآثار، المركز الوطني للمخطوطات، الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوفة، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الحظيرة الثقافية للتاسيلي، الحظيرة الثقافية للأهقار...¹.
- ب- الهيئات المنوطة بحماية التراث الثقافي على المستوى المحلي:** تتمثل هذه الهيئات في أجهزة عدم التركيز الإداري والجماعات المحلية.
- ب-1- أجهزة عدم التركيز الإداري:** هي أجهزة تمثل السلطة الإدارية المركزية ممثلة في وزارة الثقافة على المستوى المحلي، وتتمثل في كل من الوالي ومديريات الثقافة.

¹- لتفصيل أكثر بخصوص هذه الهيئات المتخصصة، يراجع: سعدي كريم، المرجع السابق، ص ص. 144-152.

ب1-1- الوالي: يعتبر الوالي، طبقاً للقانون رقم **07/12** المتعلق بالولاية¹، ممثل الدولة والمنفذ لسياستها على المستوى المحلي، بالإضافة إلى اختصاصاته كممثل للولاية بوصفها جماعة إقليمية لامركزية، بمعنى أنه يتمتع بازدواجية وظيفية، حيث يحوز اختصاصات بوصفه ممثلاً للولاية واختصاصات أخرى بوصفه ممثلاً للدولة. استناداً لهذه الصفة الأخيرة، وبفعل هيمنة وزارة الثقافة على اختصاص حماية التراث الثقافي، لم يعط القانون رقم **04/98** للوالي إلا صلاحية تقريرية وحيدة في هذا المجال هي تسجيل الممتلكات العقارية أو المنقولة ذات الأهمية على المستوى المحلي في قائمة الجرد الإضافي²، أما باقي الاختصاصات الحمائية (التصنيف، التدابير الضبطية) فاستأثر بها وزير الثقافة.

إن مركزاً حماية التراث الثقافي في يد وزير الثقافة وإخراج الولاية من هذه المعادلة، توجه منتقد في نظرنا، حيث كان الأجدد بالمشروع أن يوسع دائرة صلاحيات الوالي في هذا الإطار، كونه الأقرب للملكي ومستعملي هذه الممتلكات، ومن ثم الأقدر على تسييرها وحمايتها وتمثينها في إطار التوجه نحو إرساء مبدأ الديمقراطية الجوارية.

ب1-2- مديريات الثقافة على المستوى المحلي: هي هيئات إدارية غير مكرزة، تمثل وزارة الثقافة على المستوى المحلي وتخضع لسلطانها الرئاسية. أحدثت بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم **414/94** المؤرخ في **23 نوفمبر 1994** المتضمن إحداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها³، تظطلع طبقاً لنص المادة **3** من هذا المرسوم، بالإضافة إلى مهامها الأخرى، بالسهر على تطبيق التشريع في مجال المعالم والآثار التاريخية أو الطبيعية، كما تتابع عمليات استرجاع التراث الثقافي والتاريخي وترميمه.

ب1-3- اللجنة الولائية للممتلكات الثقافية: تنشأ على مستوى كل ولاية، لها مهام استشارية، حيث تبدي رأيها في طلبات تسجيل الممتلكات الثقافية ذات الأهمية المحلية في قائمة الجرد الإضافي (المادة **80** من القانون رقم **04/98**).

ب2- الجماعات المحلية: خلافاً للوالي الذي لم تحوله نصوص قانون الولاية صلاحية حماية التراث الثقافي، نص القانون رقم **10/11** المتعلق بالبلدية⁴ في المادة **94** منه على أنه من مهام رئيس المجلس الشعبي البلدي بوصفه ممثلاً للدولة حماية التراث التاريخي والثقافي. ونفس الحكم نعينه في قانون الولاية، وذلك بالنسبة لصلاحيات المجلس الشعبي الولائي، حيث تنص المادة **77** منه على أنه: " يمارس المجلس الشعبي الولائي

¹ القانون رقم **07/12** المؤرخ في **21 فيفري 2012** المتضمن قانون الولاية (ج.ر، عدد **12** لسنة **2012**).

² المادتين **2/11** و **2/51** من القانون رقم **04/98**.

³ ج.ر، عدد **79** لسنة **1994**.

⁴ القانون رقم **10/11** المؤرخ في **22 جويلية 2011** المتضمن قانون البلدية (ج.ر، عدد **37** لسنة **2011**).

اختصاصات في إطار الصلاحيات المخولة للولاية بموجب القوانين والتنظيمات، ويتداول في التراث الثقافي المادي وغير المادي والتاريخي...."

عمل المشرع إذن بمقتضى هذه الأحكام على إرساء لامركزية ثقافية، وإن كانت عامة أو غير محددة بدقة، حيث جاء تحويل السلطات المحلية صلاحية حماية التراث الثقافي على عمومها أو إطلاقه ودون تحديد أو تفصيل لآليات هذه الحماية، في حين يقتضي الأمر لضمان الفعلية لهذه اللامركزية أن تتولى النصوص القانونية والتنظيمية تحديد الدور المنوط بالجماعات المحلية والتزاماتها في مجال حماية التراث الثقافي والوسائل التي يتعين أن تتمتع بها للقيام بمهامها بدقة¹.

ج- القطاع الخاص: يفرض تحدي حماية التراث الثقافي وتثمينه على الدولة الجزائرية الاستعانة بالقطاع الخاص ممثلا في فعاليات المجتمع المدني كالجمعيات أو في المؤسسات الخاصة، وذلك لما يتمتع به من مقدرات مالية وتسييرية وتسويقية قد لا تتوافر لدى الدولة في ظل السياق الاقتصادي والاجتماعي الراهن. كرس القانون رقم **04/98** هذه الشراكة التعاونية مع القطاع الخاص في مجال حماية التراث الثقافي، حيث أعطت المادة **11** منه مثلا لكل شخص مكنة المبادرة بطلب تسجيل الممتلكات الثقافية العقارية في قائمة الجرد الإضافي ونفس الأمر بالنسبة للممتلكات الثقافية المنقولة²، كما نصت المادة **91** على أنه يمكن لكل جمعية هدفها طبقا لقانونها الأساسي حماية الممتلكات الثقافية أن تتأسس طرفا مدنيا فيما يخص الجرائم المنصوص عليها في قانون حماية التراث الثقافي.

يبدو هذا الدور المنوط بالقطاع الخاص على قدر كبير من الضعف، حيث يتطلب الأمر تعزيز دوره أكثر في مجال تسيير، حماية وتثمين التراث الثقافي، من خلال عقد شراكات مع هذا المتعامل بمختلف مكوناته، موجهة لتمويل المشاريع، للقيام بالأبحاث والدراسات أو لتقديم المساعدة الفنية في مجال حماية التراث الثقافي وترقيته.

¹ - ICCROM, Africa 2009, « protection juridique du patrimoine culturel immobilier orientations pour les pays francophones de l'Afrique subsaharienne », p.28, disponible sur:

https://www.icrom.org/sites/default/files/2017-12/icrom_protection_juridique_fr.pdf

² - المادة **51** من القانون رقم **04/98**.

الخاتمة

كرست الجزائر حماية قانونية للتراث الثقافي، تترجم في وضع إطار قانوني متعدد المصادر، آليات حماية متنوعة وإطارا مؤسساتيا مكلفا بانفاذ القوانين والتنظيمات المتعلقة بهذه الحماية، وقد تم من خلال هذه الدراسة الركون إلى جملة من النتائج والاقتراحات، نوجزها فيما يلي:

أولا- النتائج:

- يحظى التراث الثقافي في الجزائر بحماية معيارية متعددة المصادر الشكلية، تعكس الأهمية التي توليها الدولة لهذه القيمة الإنسانية.
- تعتبر الحماية القانونية التي توفرها تقنية المال العام للتراث الثقافي ذات أهمية نسبية ومحدودة، حيث تخرج عن دائرتها الممتلكات الثقافية التي تعود ملكيتها إلى الأشخاص الطبيعية أو المعنوية الخاضعة للقانون الخاص.
- أقرّ المشرع أنظمة حمائية متعددة، تختلف بحسب طبيعة الممتلكات الثقافية المطلوب حمايتها (مادية أو غير مادية).
- اعتبر المشرع الدولة ممثلة في وزارة الثقافة حجر الزاوية أو الفاعل الرئيسي في مجال حماية التراث الثقافي، وبالمقابل أهمل الدور الذي يمكن أن تلعبه الجماعات المحلية والقطاع الخاص في حوكمة هذه الحماية.

ثانيا- الاقتراحات:

- نوصي المشرع بتعديل نص المادة 14 من القانون رقم 04/98، للنص على إلزامية إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة بجميع مشاريع التعديل للفقار الثقافي بغض النظر عن مدى جوهرية هذا التعديل من عدمه، حيث يخضع تقدير ذلك لمصالح وزارة الثقافة بحكم كفاءتها التقنية.
- نوصي بتعزيز الحماية القانونية المقررة للتراث الثقافي غير المادي وتفعيلها على أرض الواقع، حتى لا تعصف به موجة العولمة الثقافية المتنامية.
- نوصي بإعطاء دور أكبر للجماعات المحلية في حماية التراث الثقافي وتثمينه، تماشيا مع توجه الدولة نحو تعميق اللامركزية الإدارية.
- نوصي بتعزيز دور القطاع الخاص بكل مكوناته في تسيير، حماية وتثمين التراث الثقافي للإفادة من قدراته المالية، التسييرية والتقنية في هذا الإطار.

دور الموسيقى الشعبية في إبراز معالم الهوية والحفاظ على التراث

د. تريش عز الدين

جامعة الجلفة - الجزائر

الملخص:

تعتبر الموسيقى ميزة أساسية للتراث الثقافي الغير مادي، فهي من مستلزمات الحياة الفردية والجماعية لا يكاد يخلو منها زمان ولا مكان، فهي أسلوب من أساليب الحوار وركن من أركان التواصل تجمع بين الثقافات وتساهم في صنع الحضارة، وللموسيقى الشعبية قوة أساسية في صنع المجتمعات إذ تعمل على التكامل المعنوي، سواء كانت بدائية أم متطورة فهي -الموسيقى الشعبية- تمثل هوية تلك المجتمعات فتظهر في مواقف وأشكال مختلفة، وهي تُحترم وتُستقبل في جميع الأواسط وذلك راجع إلى الخلفيات الثقافية التقليدية التي تساهم في بناء التراث بشكل عام.

Summary

Popular music its role in highlighting identity and preserving heritage

Music is one of the essential features of the intangible culture heritage, it's an individual and social life, it's a method of intercultural dialogue , its cornerstone of communication between theme , it contributes to the creation of civilization folk music is fundamental force in societies that works on moral integrations whether primitive or modern , it represents the identity of the deeps of societies , that's appears in different position and forms characterized by the community to contribute to the construction of heritage in general.

مقدمة

لا تقتصر أشكال التراث الثقافي غير المادي على مظهر واحد بعينه، إذ يتضمن الكثير منها مجالات عديدة مثل الموسيقى التي تشتمل الغناء والرقص والعزف والملابس...، كما أنها توجد في سياقات شديدة التنوع، سواء منها المقدس أو الدنيوي، الكلاسيكي أو الشعبي، فهي تروي تاريخ المجتمعات بل أبعد من ذلك، فهي تشمل العديد من أشكال التعبير الثقافي التي تنعكس فيها روح الإبداع البشري، والموسيقى كنسق ثقافي لا تخلو منه أي ثقافة في الحاضر أو الماضي، كما أن مفهوما وعناصرها تختلف من ثقافة إلى أخرى مع الأخذ بعين الاعتبار أن العناصر الجوهرية لا يمكنها أن تتغير، أما الاختلافات الظاهرية فهي راجعة لاختلاف قيمة الجمال من مجتمع إلى آخر، فالجمال الموسيقي مرتبط بتلك القيم التي يحددها المجتمع.

فالموسيقى تعتبر القوة الأساسية للمجتمعات خصوصا منها المحلية، لأنها منبثقة عن مشاعر الناس، تجمعهم وتعايشهم على الرغم من اختلافهم في العمر والجنس، فهي تعمل على ذلك التكامل المعنوي داخل المجتمعات المحلية، فالموسيقى بشكلها العام هي نتاج اجتماعي للناس وتفاعلهم مع بعضهم البعض، والأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا في ذلك المحيط الثقافي، وذلك عن طريق اكتسابهم للنظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع الذي يعيشون فيه.

264

ونقصد هنا بذلك النوع الموسيقي الشعبية الذي يسود جميع المجتمعات المحلية بدون استثناء، فهذه الموسيقى توصف بالشعبية لأنها نتاج شعبي، كما أنها تحترم وتستقبل في جميع الأوساط، وذلك راجع إلى خلفيات ثقافية ضاربة في أعماق ثقافة هذه الشعوب، والتي تجعل من الفن ظلال السلوك النفسي الإنساني، إذ تتنوع مصادر الموسيقى الشعبية باختلاف المنبع والثقافة المحلية والتقاليد مع اختلاف في صناعة الآلات الموسيقية، هذا التنوع في الموسيقى يوازي التنوع الاجتماعي، إذ لكل مجتمع ثقافة خاصة به.

فهي على هذا الأساس تعتبر معيارا لتحديد عراقة الشعب، لأن عوائدها تترسخ في ثقافة الأجيال، وطول أمدها يصعب عزلها عن ثقافة الشعوب، وتبقى دائما جزءا لثقافة الشعوب، فالموسيقى الشعبية تثير موقع الهوية في الفكر والفن الموسيقي بصفة عامة، كما أن لها دور أساسي في الحفاظ على التراث والتعريف به والحفاظ عليه، بالإضافة إلى استغلاله في قضايا التنمية سواء كانت هذه التنمية ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية، وعلى ضوء ما تقدم سنحاول الإجابة في هذه الدراسة على علاقة الموسيقى الشعبية بالهوية والتراث، مما أدى بنا إلى طرح هذا التساؤل: إلى أي مدى يمكن أن تساهم الموسيقى الشعبية في إبراز معالم الهوية للمجتمعات؟ وكيف ساعدت هذه المجتمعات في الحفاظ على التراث وتنميته؟.

1- الموسيقى الشعبية:

يشكل تراث الموسيقى الشعبية ثروة وطنية لما توافرت فيه من خصائص تعبر عن روح الشعب، فهو جزء من ثقافة الأمة وتاريخها الحضاري، و«يطلق مفهوم الموسيقى الشعبية على سائر الممارسات الموسيقية الخاصة لجماعات الثقافات المشتركة، وهذه الجماعات معظمها من أهل القرى التي تتميز بأنها أقدر من غيرها، بل الاحتفاظ بقدر من الثقافة القديمة، والموسيقى الشعبية الخاصة بهذه الجماعات حصيلة تراث من الألحان والأدوات والآلات»⁽¹⁾. وفي اعتقادنا أن كل المجتمعات المحلية أو المجموعة التي تتمتع بجذور تاريخية مشتركة ولها أصولها ووحدتها وتراثها، تعتمد على هذا النوع الموسيقي، فهي بالضرورة تعبر عن شعور وطابع قومي، فهي تمثل جزء من التراث الشعبي والذي يتكون في منظومة متكاملة من الرؤى والأشكال والطقوس والمعتقدات والعادات الشعبية المتصلة بالحياة اليومية، فهذه المنظومة المتكاملة التي تمثلها قد وصلت إلى الزمن الحاضر عن طريق الذاكرة، «فهي تركز قبل كل شيء على التراث أو التداول الشفهي من السلف إلى الخلف، مغزى هذا أنه من الشروط الأساسية لهذا التداول أن يبقى حيا وأن لا يجمد عن طريق التدوين الكتابي أو الموسيقي»⁽²⁾.

فالموسيقى الشعبية ذاكرة اجتماعية نتعرف من خلالها على الكثير من تاريخنا وتراثنا، إذ فرضت نفسها كثقافة وفن، فهي متميزة عن باقي الفنون، لما لها من صفات خاصة أنها تجمع بين الغناء والرقص والعزف، كما أن البعض يعتبرها حلقة أساسية من حلقات الثقافة الشعبية فهي «مرتبطة بحياة الإنسان في مراحلها الكاملة، كما أنها ترتبط بمعتقداته وبعمله وبأوقات لهوه، ومساعدة في إنجاز عمل ومتنفس لعاطفة الإنسان الشعبي»⁽³⁾.

للموسيقى الشعبية عدة أبعاد لما تحمل في طياتها من مضامين ومواضيع منها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية منها، ولطالما كانت الفرق الموسيقية الشعبية في الجزائر مصدر رزق للأشخاص العاملين عليها، أما من الناحية الدينية لأنها في حقيقة الأمر وليدة ظروف تاريخية ودينية، وأي نص ديني إلا وله ارتباط بجذور الماضي والارتكاز على الحاضر، «فالظاهرة الموسيقية ظاهرة بالغة التعقيد من حيث تاريخها أو نشأتها، أو من حيث أثارها الاجتماعية والتربوية، ودلائلها الحضارية والقومية، ومن تنوعها وارتباطها بغيرها من الفنون... فقد كانت الموسيقى فنا تابعا نشأ مصاحبا للغناء أو الرقص الذي كان القدماء يمارسونه في احتفالاتهم

(1) أحمد مرسي: تراث الموسيقى الشعبية الفلسطينية - خصائص ومقومات الحفاظ عليه، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، كلية الفنون الجميلة، المجلد 23، نابلس، فلسطين، 2009، ص 05.

(2) سيمون جارحي: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، ندوة التخطيط لجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبي، ط1، الدوحة، قطر، 1985، ص 63.

(3) لطفي الخوري: في علم التراث الشعبي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد، العدد 07، سنة 1979، ص 27.

الدينيوية والطقوس الدينية»⁽¹⁾، فالإنسان لا يستطيع أن يرث المكان الماضي، ولكنه يرث هذا المكان في التاريخ الذي يغلفه، فلكل منطقة لها حملتها وإرثها التاريخي والديني، وذاكرة جماعية مرتبطة بفكر وعقيدة الشعوب. وعليه فإن الموسيقى الشعبية هي التي تفسر لنا هذا الارتباط الديني التاريخي، فهي -الموسيقى- «تمثل منظومة معرفية وجدانية حركية للجمال الصوتي، سواءً كان غنائيا أو آليا، فباختلاف خصوصيتها من ثقافة إلى أخرى، فإن الموسيقى لا تفرض الترجمة أو التفسير، إذ يمكن أن تكون لها عدة قراءات وتأويلات حسب المرجعيات، مع ضرورة وضعها في إطارها الاجتماعي والثقافي»⁽²⁾، فالموسيقى الشعبية تحمل في طياتها إذن مجموعة من المعايير الاجتماعية والثقافية، كما أنها دائما تحرص على بثها ونشرها بين أفراد المجتمع، وعليه فهي جزء من النسق الثقافي والاجتماعي، لها عدة ادوار ووظائف تقوم بها، كعملية تنشئة المجتمع، وتعمل على تهيئة الفرد حتى يستطيع أن يكون عضوا في الجماعة، مع عملية التكيف الاجتماعي التي تمده بالعناصر الثقافية لهذا المجتمع، فالأفكار والمعتقدات داخل المجتمع تلعب دورا مهما في الدفع للتعاظم مع الموسيقى الشعبية، فرغم التنوع الذي نجده فيها سواءً كان على مستوى الأصناف أو الخصائص، إلا أنها كانت ولا تزال وسيلة يستطيع الفرد أن يجمع من خلالها الإرث الثقافي على مر الأجيال.

266 وقضية التحرر تبقى من أهم القضايا التي عملت الموسيقى الشعبية على تدوينها أو العمل على نشر مفهومها، فهي تعبر عن لسان الحال وما تحلم به المجتمعات، خاصة في الجزائر وما قدمته للثورة والتحريرية، كما أنها تؤسس لهذا وفق رؤية سياسية وفكرية كانت غايتها في هذا «استقطاب الجماهير الشعبية حول الثورة وفق التوجه السياسي، المتلقف من خطاب السياسيين والعسكريين الملقية على الجماهير»⁽³⁾، فهذا التراث الموسيقي استطاع إلى حد ما بنشر الوعي الثقافي في حماية الوطن والحفاظ على هويته الثقافية من الاخطار، وأن تحدد منهاجا نابعا من عمق التراث الشعبي.

2- الموسيقى الشعبية والهوية:

مما لا شك فيه أن الموسيقى الشعبية تأثرت بالعمولة وذلك من خلال التواصل والإعلام، لكن هذا لا يمنع أنها حافظت على أصالتها حتى وإن لم تكن بنسبة 100% إلا أنها استطاعت أن تحتفظ بالشعبية التي بنيت عليها في الأساس. فهذا التراث التقليدي الموروث والهوية الثقافية من خلال الموسيقى الشعبية تعتمد على

⁽¹⁾ بركات محمد مراد: الموسيقى العربية - رؤية تراثية وفلسفية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، 2010، ص 122.

⁽²⁾ عزيز الورتيلاني: الموسيقى العربية بين مفهوم الهوية واللهجة الموسيقية، مجلة الحياة الثقافية، عدد 249، سنة 2014، ص 104

⁽³⁾ العربي دحو: الشعر الشعبي في الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 1983، ص 45.

الانفعال الحسي والارتجال مع بعض اتجاهات هذا التواصل، إلا أن أغلب الفرق الموسيقية الشعبية الجزائرية استطاعت أن تتأقلم مع أغلب وسائل الإعلام، في كيفية النشر والتسويق لهذا التراث وحتى استغلاله ضمن قضية التنمية السياحية مثل ما قدمته فرقة أهليل بتيميمون، وفرقة السببيا بجانت.

وعندما نتحدث عن الهوية الثقافية من خلال الموسيقى الشعبية، يجب أن نوضح هذه العلاقة الهامة، إذ يبين هذا علي الضو علي أن «الموسيقى جزء من الثقافة أو جزء له وظيفة محددة وأنها تستمد معناها من الثقافة»⁽¹⁾، وإذ أخذنا في هذا الاعتبار أن الإنسان ليس فقط مستهلك لهذه الثقافة بل يعتبر منتجها الأول داخل الجماعة التي يعيش فيها، ودائم الاستمرار في الإبداع والزيادة على ما وصله من أجداده، بشرط الحفاظ على المميزات الأساسية لهذه الموسيقى، لأنها في حقيقة الأمر هويته الأساسية التي يستطيع من خلالها الحفاظ على الذات الثقافية، «فالهوية الموسيقية هي الإحساس أو الصفة التي يطلقها الموسيقي على نفسه وهي ناتجة عن الوعي الذاتي الذي من خلاله يريد أن يكون أو يؤسس لنفسه كيانا فرديا أو جماعيا، تكون فيه الخصوصية الموسيقية مميزة عن الآخرين»⁽²⁾.

ومن خلال تعريف الهوية الثقافية الذي قدمته اليونيسكو، على أنها أولا وقبل كل شيء تعني التعريف التلقائي: بأننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية لما لها من قيم تميزها بذلك، راجع إلى أن اللهجة أو اللغة المحلية الجامعة للأفراد سمة تكاد تكون أولى مراجع الهوية، وهذا ما نلاحظه في الموسيقى الشعبية التي تعتمد اللغة المحلية أو اللهجة التي تعتبرها أساس التواصل بين أفراد المجتمع، إذ أن «اللهجة تمثل الخصوصية المنبثقة عن الهوية، والهوية تساعد على معرفة الانتماء»⁽³⁾.

وتتضمن هذه اللهجة أو اللغة الأسلوب الذي من خلاله يتم استيعاب هذه الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأساليب حياتها والإحساس بالمشاركة، أي أنها الطريقة التي يظهر من خلالها هاته الجماعة الذات الكلية المشتركة، بحيث يمكن مشاهدة الانطباعات الخاصة بصفة دائمة السيرورة، وبالتالي يمكن بناء شخصية من خلال التعليم والتعبير، وهذا الأخير الذي يعني «مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضيف على المضمون الجمالي لأي عمل في دلالة وجدانية خاصة، تختلف باختلاف الذكريات والارتباطات التي تتولد في الذهن لهذا العمل»⁽⁴⁾، وحسب هذا

⁽¹⁾ علي إبراهيم: الثقافة في الموسيقى الشعبية والثقافة العالمية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 23، سنة 2013، ص 127.

⁽²⁾ Hutin Gton, Samuel.P : qui sommes nous ? Identite national et choc des cultures odile jacob. 2014, p 3.

⁽³⁾ عزيز الورتيلاني: مرجع سابق، ص 99.

⁽⁴⁾ زكرياء إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، مصر، ص 86.

المفهوم تغدو الموسيقى الشعبية ذات بنية ثقافية فاعلة، متغيرة إلى مزيد من الثراء بفضل الإنتاجية الإبداعية للمجتمع.

فالعمل الموسيقي في غالب الأحيان يحمل أكثر من هوية، هوية الناس، وهوية اللحن، ثم هوية الصوت، هذه العناصر تتمازج في بناء جزء مهم من هوية الفرد الموسيقية وذلك يعكس السلوك المهم في بناء المجتمع، فهنا «الهوية هي تحييلات فردية تجعل الموسيقى يفكر ماذا يريد أن يكون وماذا يطمح»⁽¹⁾.

فالهوية الموسيقية تشبه البصمة فهي خالدة عبر الزمن، وسمة تميز النوع الموسيقي، وإن حدث تغير فذلك بعد مرور زمن طويل، وهكذا فالسمات الثقافية للموسيقى لها القدرة على الانتقال عبر الزمن وذلك عن طريق الأجيال.

إن الهوية الموسيقية تحمل القيم والاتجاهات والأفكار التي هي أساس العمل الفني دون الاهتمام بالحدود الزمانية أو المكانية، لأنها تعبر عن المجموعة في أحقاب زمانية مختلفة، وعن أنماط الحياة الاجتماعية، وعن خصائص هذه الهوية الموسيقية.

3- الموسيقى الشعبية والتراث:

268 إن إشكالية استلهام التراث والحفاظ عليه من خلال الموسيقى الشعبية من القضايا التي تشغل فكر الباحثين، منهم من وظفه رمزياً ومنهم من اعتبره إراثاً مقدساً لا يجوز المساس به، والتراث الجزائري بصفة عامة غني بالمادة النصية الشفاهية، من شعر وموسيقى، ورقص.....

فالتراث هو «كل ما وصل إلينا من الماضي من فكر أو علم أو أحداث ومواقف مشرقة وحاضرة، وهو يشير إلى جذور الأمة القوية في التاريخ، ويؤكد وجودها وأصالتها ن ويشحن نفوس أبنائنا بقوى جديدة، ويعث فيهم الثقة ومسيرتها»⁽²⁾.

فالتراث هو الدعامة الأساسية والركيزة التي تميز ملامح الأمة عن سواها، والعودة إليه لا يعني ضعفاً أو جهلاً، لكن الجهل هو نسيان الماضي وتراث الأجداد، بحيث لا يمكن عيش الحاضر أو التأسيس للمستقبل دون الرجوع إلى الماضي، والتراث روح الأمة ومقوماتها وتاريخها، والأمة التي تتخلى عن تراثها تتخلى عن روحها.

إن محاولة توظيف التراث في الموسيقى الشعبية ظاهرة لها جذورها، «فهو حصيلة الممارسة التلقائية للعزف والغناء والرقص التي يؤديها أبناء الشعب البسطاء، وليس لهذا التراث تعليم خاص، وترتبط الموسيقى الشعبية

(1) Hutin Gton, Samuel.P : OPTIC , p 33.

(2) محمد هاشم صوصي علوي: المسرح العربي والتراث، المسرح المغربي أمودجا، ط1، الرباط، 2010، ص 30.

بعادات وتقاليد ومعتقدات، فهي تواكب دورة الحياة، من الميلاد إلى الموت، وترتبط بالمواسم والأعياد الدينية وغير الدينية والعمل حسب طبيعة المنطقة، ويتم تناقله شفاهة، وآلاته الموسيقية بسيطة الصنع»⁽¹⁾.

لقد ساهمت الموسيقى الشعبية بالحفاظ على التراث أو بالأحرى حافظا على بعضهما البعض، لأنه مهما حاولنا الفصل بينهما لا نستطيع، إذ تمثل هذا الحفاظ إما على المستوى الثقافي العقائدي أو تسجيل الوقائع عن طريق الشخصيات واستحضار البطولات، أو ما شابه ذلك، فكل التصورات والافكار التي أنتجتها المخيلة الشعبية، والتي لها صلة بالجانب الروحي للإنسان لها بقايا ورواسب إلى يومنا هذا، فمن هذه الناحية فإن الموسيقى الشعبية قامت بتدوين وتلقين هذه المخيلة للشعب عن طريق الاحتفاليات سواء كانت رسمية أو شعبية، فهي تعبر عن ظاهرة حضارية متمثلة في تكييف الإنسان مع محيطه في حدود ثقافته ووعيه، وهي بالإضافة إلى ذلك تكشف عن جوانب مختلفة من حياة الشعوب، إذ تحمل في طياتها مراحل تطورها، لأنها وبكل بساطة تحمل إرثا ثقافيا صنعه الاجيال في تواصل مستمر مع بعضهم البعض عبر القول والفعل في لحظة التقاء الماضي بالحاضر. وعليه فإن الموسيقى الشعبية أسهمت في تطور تاريخ المجتمعات والكشف عن دور الفكر الموروث، وقضية تلاحم الفكر ولو كان هذا الفكر بسيطا مع الإنسان والمجتمع، لأن التراث الثقافي متصل اجتماعي وزماني، فهو مجموعة متواكبة ومتلاحقة، يشكل معنى شامل لكل ما هو موروث من قيم وتقاليد ورؤى

وعليه فإن الموسيقى الشعبية حافظت على هذه القيم والتقاليد، كما عملت على إحيائها في كل مناسبة تتاح لها في إطار جماعي «ولأن المستوى الثقافي للجماعة لا يمكن قبوله كأساس منفرد لعملية التقسيم، لأن ثقافة أي جماعة هي التعبير عن وجود تلك الجماعة وصياغة لها، وتبدو صور هذا التعبير في الدين والاتجاهات العقائدية المتصلة به، وفي القيم والمثل وأنماط السلوك العلمية، وفي النظرة الفلسفية إلى الكون وفي التقنين والسياسة، وتياراتها، ويواكب كل هذا صياغة هذا التعبير عن الجماعة، وفي أشكال فنية ذات قوالب ومضامين تكشف عن أحوال الجماعة وفكرها»⁽²⁾.

إن توظيف التراث العقائدي في الموسيقى الشعبية يضيف عليه نوع من العراقة والأصالة ويمثل نوعا من امتداد الماضي، كما يمنح الرؤية الموسيقية نوعا من الشمول، فهي تركز على منظومة كاملة من الرؤى والأشكال عن طريق الذاكرة حيناً وعن طريق شخصيات البيئة الشعبية حيناً آخر، بالإضافة إلى توظيف عنصر الشخصية التراثية فهي إشارة جلية في عمق القراءات التراثية وقدرة الموسيقى الشعبية على استغلال عناصر ومعطيات التي

(1) صالح رضا صالح مصطفى: التنوع والوحدة في الموسيقى الشعبية، المجلة العربية للثقافة، تونس، عدد 08، سنة 2005، ص 108.

(2) شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، دار العودة، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص 100.

من شأنها أن تمنح هذه الموسيقى فضاءً شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات، «فالطموح نحو هدف تفعيل التراث الشعبي هو عملية نجد مبرراتها في أهمية هذا التراث نفسه انطلاقاً من كونه عاكساً لروح الشعب وقضاياها وضميره وشخصيته الوطنية القومية بتعبير توفيق الحكيم»⁽¹⁾.

فمن هنا التراث يشكل أحد معالم الثقافة المحلية أو القومية، بوصفها أداة وروح، فوجود الإنسان في مجتمع ما لا بد أن يتأثر بالأنماط الثقافية والقيم الاجتماعية التي تسود المجتمع، ولا سيما أن التراث الثقافي ذو طبيعة تراكمية ودينامية، بمعنى أنه سريع الانتشار والانتقال عبر ثقافات مختلفة ومتعددة وليس الإنسان بمعزل عنها.

خاتمة

إن الموسيقى الشعبية بطبيعتها هي فن المجتمعات، وتشكل مصدراً من مصادر الهوية للأمة، إذ تحتفظ الموسيقى الشعبية من خلال التراث بعلو منزلتها عند أفراد المجتمع لثراء قيمتها، فتعتبر أحد أهم مكونات الثقافة، لأنها لغة التخاطب والتواصل، فهي جزء مهم من توثيق تاريخ المجتمع الثقافي والاجتماعي والديني.... ويمكن الإشارة إلى التأكيد على ديمومته واستمرارية انتقال وانتشار هذا النوع الموسيقي على الرغم من وجود بعض العوائق التي تعكس انتقال هذا التراث الشعبي من جيل إلى جيل، والذي يتم في بعض الأحيان بالحذف والإضافة الذي ينتج عن الإبداع والتجدد لمرافقة التطور الحاصل، فالموسيقى الشعبية هي ذاكرة ثمينة وصور عميقة من عادات الشعوب ومعتقداتها وأصلها، مما يضيف عليها طابع الأصالة، كما أنها تحقق وظيفة المحافظة على الثقافة وثباتها واستقرارها، وتعميقها في نفس الأفراد، فالموسيقى الشعبية بكل ما تحمله من مخزون ثقافي تتجاوز الوظائف الفنية إلى الوظائف الثقافية التي ترتبط بالهوية الثقافية للمجتمعات.

⁽¹⁾ النجار محمد رجب: توفيق الحكيم والادب الشعبي (أنماط من التناسل الفولكلوري) منشورات عين للدراسات والبحوث الأنانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2001، ص 05.

المراجع:

1. أحمد مرسي: تراث الموسيقى الشعبية الفلسطينية- خصائص ومقومات الحفاظ عليه، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، كلية الفنون الجميلة، المجلد 23، نابلس، فلسطين، 2009.
2. سيمون جارجي: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، ندوة التخطيط لجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبي، ط1، الدوحة، قطر، 1985.
3. لطفي الخوري: في علم التراث الشعبي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد، العدد 07، سنة 1979.
4. بركات محمد مراد: الموسيقى العربية - رؤية تراثية وفلسفية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، 2010.
5. عزيز الورتيلاني: الموسيقى العربية بين مفهوم الهوية واللهجة الموسيقية، مجلة الحياة الثقافية، عدد 249، سنة 2014.
6. العربي دحو: الشعر الشعبي في الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 1983.
7. علي إبراهيم: الثقافة في الموسيقى الشعبية والثقافة العالمية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 23، سنة 2013.
8. Hutin Gton ,Samuel.P : qui sommes nous ? Identite national et choc des cultures odile jacob. 2014.
9. عزيز الورتيلاني: مرجع سابق.
10. زكرياء إبراهيم: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، مصر.
11. Hutin Gton, Samuel.P: OPTIC, p 33.
12. محمد هاشم صوصي علوي: المسرح العربي والتراث، المسرح المغربي أمودجا، ط1، الرباط، 2010.
13. صالح رضا صالح مصطفى: التنوع والوحدة في الموسيقى الشعبية، المجلة العربية للثقافة، تونس، عدد 08، سنة 2005.
14. شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، دار العودة، ط1، بيروت، لبنان، 1982.
15. النجار محمد رجب: توفيق الحكيم والادب الشعبي (أنماط من التناس الفولكلوري) منشورات عين للدراسات والبحوث الأنانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2001.

الفرد والدولة عاملان مهمان في المحافظة على الموروث التراثي

أ. د احمد مناف حسن القيسي د. وميض فارس صعب أ. م. د غسان عز الدين عارف
العراق جامعة تكريت العراق جامعة تكريت العراق جامعة تكريت

مقدمة

على مر العصور والشعوب تهتم بتراثها باعتباره انه موروثها الاصيل وهويتها الوطنية التي تميزها عن غيرها من الشعوب، وكل شعب لايهتم بموروثه التراثي فهو شعب مهدد بالانقراض من ناحية ثقافته وهويته الوطنية ومعرض للتشردم والتفكك، فالموروث التراثي هو حجر الزاوية الذي يجعل الشعب فيما بينه متحدا ومتكاملا. كما صار في الوقت الحالي التراث الفني والحرفي والثقافي والعمراي هو مصدر دخل للدولة باعتباره مصدر من مصادر السياحة اضافة الى الموروث الثقافي للفرد، لذا صار من الواجب على الفرد والمجتمع ولزاما على الدولة المحافظة على هذا الموروث التراثي ومحاولة تنميته والتشجيع عليه وعدم طمسه لانه يمثل هوية الدولة بالإضافة الى مصدر دخل لها. مشكلة البحث : تتضمن مشكلة البحث في تعريف التراث من حيث المفهوم والقيم وانواع الموروث من حيث تقسيماته واهميته وواجب الفرد والدولة في المحافظة عليه باعتباره الهوية الوطنية لها التي تميزه عن غيرها بالإضافة كونه مصدر دخل سياحي لها فجاء بحثنا هذا بعنوان (الفرد والدولة عاملان مهمان في المحافظة على الموروث التراثي) وستناول كل ذلك في بحثنا هذا .

ولذا اقتضت خطة البحث ان تقسم على النحو التالي .

المبحث الاول : تعريف التراث واهميته .

المبحث الثاني : انواع التراث وتقسيماته وما يرمز كل تقسيم منه .

المبحث الثالث : استغلال التراث كمصدر للسياحة وواجب الفرد والدولة اتجاهه .

واخاتمه تضمنت اهم النتائج والتوصيات .

المبحث الاول : تعريف التراث واهميته

تعريف التراث لغة : - وَرِثَهُ عَنْهُ وَرِثًا وَرِثَةً وَوَرِثَةً وَإِرْثًا أَبُو زَيْدٍ وَرِثَ فُلَانٌ أَبَاهُ يَرِثُهُ وَرِثَةً وَمِيرَاثًا وَمِيرَاثًا وَأُورِثَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ مَالًا إِيْرَاثًا حَسَنًا وَيُقَالُ وَرِثْتُ فُلَانًا مَالًا أَرِثُهُ وَرِثًا وَوَرِثًا إِذَا مَاتَ مُورِثُكَ فَصَارَ مِيرَاثَهُ لَكَ، التُّرَاثُ مَا يَخْلُفُهُ الرَّجُلُ لَوْرِثَتِهِ وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ.¹ وَأُرِثَ الْإِرْثُ وَالْمِيرَاثُ وَالْوَارِثُ وَالْمُورِثُ: وَهِيَ مُسْتَحْدَمَةٌ فِي الْعَامِيَةِ بِإِبْدَالِ التَّاءِ سِينًا.² وَالْمِيرَاثُ: مَا يُورِثُ، وَرِثَ يَرِثُ، وَوَرِثَهُ وَأُورِثَهُ. وَأُورِثْتُهُ هَمًّا. وَالْإِرْثُ: أَصْلُهُ وَرِثٌ. وَالتُّرَاثُ تَأْوُهُ وَآوٌ: تَرَكَةُ الْمِيرَاثِ، وَلَا يُجْمَعُ كَجَمْعِ الْمَوَارِثِ. وَفِي الدُّعَاءِ: "اللَّهُمَّ أُمَّتِنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي"، أَرَادَ: أَبْقِهُمَا مَعِي حَتَّى أَمُوتَ. وَالْمُورِثُ: الْمَبْتَعِي، وَالْوَارِثُ: الْبَاقِي.³

تعريف التراث اصطلاحاً : هو مجموع نتاج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف وهي نتاج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواء أكانت في ميادين العلم أو الفكر أو اللغة أو الأدب ويشمل جميع النواحي المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وعمران وتراث فلكلوري واقتصادي أيضاً.⁴

يُعرف التراث بمفهومه البسيط على أنه خلاصة ما تُخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، أو ما يُخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد، ويُضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته، على أي شكل كان من خلال العمارة أو الكتابة أو النقش أو الحاجات أو المصنوعات. أو هو بمعنى آخر «نتاج شعب أو جماعة تعيش في مكان معين وتعتقد وتمارس وتصنع أموراً خاصة في زمن خاص» تعني كلمة التراث في اللغة العربية «الإرث» وبالتالي تشمل الحسب والنسب فضلاً عن الميراث المادي بأنواعه المختلفة، وفي دعاء زكريا، عليه السلام، «رب هب لي من لدنك ولياً، يرثني ويرث من آل يعقوب»، أي النبوة، وليس المال، وكذلك «وورث سليمان داود»، أي نبوته وملكه. أما في اللغة الإنكليزية فيُطلق على التراث كلمة Heritage، أي ما يتوارثه الإنسان، ويُحافظ عليه وينقله لمن بعده، وفي اللغة الفرنسية تُعبر كلمة Patrimoine عن التراث، وهي كلمة من أصل لاتيني مكون من شقين، الأول بمعنى الأب، والثاني بمعنى التعليم والإرشاد والنصح، وبالتالي فإن معناها يعكس أهمية الأشياء التي تُذكرنا بالآباء والأجداد، أي تلك التي تربطنا بالأسلاف والتاريخ.

¹ . لسان العرب (2/ 199)

² . العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2/ 26)

³ . المحيط في اللغة (6/ 82) .

⁴ . ينظر مدونة التراث أكادير مدونة تواصلية لطلبة التاريخ تخصص تراث أكادير

[www.http://toratagadir.blogspot.com/2011/12/blog-post.html](http://toratagadir.blogspot.com/2011/12/blog-post.html)

يتمثل الشق المادي للتراث في ما يُخلفه الأجداد من آثار ظلت باقية من منشآت دينية وحنائزية كالمعابد والمقابر والمساجد والجوامع، ومبان حربية ومدنية مثل الحصون والقصور، والقلاع والحمامات، والسدود والأبراج، والأسوار، والتي تُعرف في لغة الأثريين بالآثار الثابتة، إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية، والتي يُطلق عليها الأثريون الآثار المنقولة. ويُعد كذلك التراث الطبيعي جزءاً مهماً من التراث الحضاري، ويقصد به التشكيلات الجيولوجية والمواقع الطبيعية، ومناطق الجمال الطبيعي، والتي تتألف كمواطن للأجناس البشرية والحيوانية والنباتية، وعلى هذا فإن سواحل البحار، والكثبان الرملية، والسلاسل الجبلية، والأحوار، بل وحتى الأغنام، والنمور البرية، والفهود السود، كلها تشكل جزءاً من التراث الذي يجب الحفاظ عليه، باعتباره تراثاً للإنسانية مُعرضاً للانقراض. يُعرف الشق المعنوي للتراث باسم «التراث الشعبي»، ويتكون من عادات الناس وتقاليدهم، وما يُعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل، وهو استمرار للفولكلور الشعبي كالحكايات الشعبية، والأشعار والقصائد المتغنى بها، وقصص الجن الشعبية، والقصص البطولية، والأساطير، ويشتمل على الفنون والحرف، وأنواع الرقص واللعب، والأغاني، والحكايات الشعرية للأطفال، والأمثال السائرة، والألغاز، والمفاهيم الخرافية، والاحتفالات والأعياد الدينية. وهذا الشق من التراث لا يقل أهمية عن التراث الثقافي والطبيعي، فهو يُخلد ذاكرة الوطن وهويته، لأنه يرتبط بالمأثورات الشعبية والمعارف، والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، وكذلك المهارات المرتبطة بالفنون والحرف التقليدية وفنون الأداء. وبهذا فإن مصطلح «التراث الثقافي» ليس قاصراً على المعالم التاريخية الأثرية والتحف الفنية، بل يشمل التقاليد الشفوية، والممارسات الاجتماعية، والمعارف والمهارات الحرفية التقليدية، وكذلك الأكلات الشعبية، والوصفات التي تعود إلى عصور قديمة، فالتراث غير المادي، شأن الثقافة، يتغير ويتطور ويزداد ثراءً جيلاً بعد جيل، ولكن في ظل الحداثة والعمولة باتت كثير من أشكال التعبير ومظاهر التراث الثقافي غير المادي مهددة بالاندثار، وأصبحنا بحاجة لاتخاذ تدابير من أجل أن يظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية والهوية الوطنية، فنحن بحاجة لمحاولات جادة لإحياء وتطوير التراث ليصبح في متناول الجيل الجديد، ويغدو منبعاً ثرياً يُسهم في تحقيق الثقافة والقومية العربية والهوية الإسلامية.¹

والتراث العربي كغيره من التراث أثر وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديماً وحديثاً، وزاد في اختصاصه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية.²

¹ ينظر جريدة الحياة : الكاتب الصحفي علي عفيفي علي غازي العدد 17 ابريل 2015.

² . التراث والحداثة المركز الثقافي . محمد عابد الجابري الدار البيضاء المغرب 1992 ص 14.

والتراث الشعبي: وهو ناتج للتراث القومي والحضاري حيث أصبح لكل مجتمع خصائص وصفات تتميز بها عن غيرها في العادات والتقاليد ومنها .

اهمية التراث : يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجمعي ومدته بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع بلا استثناء، فكلنا راع وكلنا مسؤول عن صون تراثنا الذي يُمثل خيطاً شعورياً يضمن تواصل الأجيال، كما يحدد ملامح هويتنا. ويعد التراث هوية الامة لذا أصبح من الضروري أن نقف على ملامح حضارتنا، ومدى ارتباطها بأصولنا التراثية، وأن نثبت عدم صدقية الحركات الجانحة نحو الاستغراب سواء بتأثير العولمة أو غيرها من الظواهر التي أسفرت عن تعثر واضح وميلاد هجين لا جذور له ولا خصوصية. ولكن تمسك وارتباط الناس بماضيهم وعراقتهم وجذورهم دفعهم في شكل تلقائي إلى إيجاد سبل جديدة تتماشى مع ما نحن فيه من طفرة حضارية تتلاءم ورغباتنا العاطفية التي تنزع إلى الحنين إلى الماضي.

تكتمل هوية الإنسان بالتراث سواء كان مادياً أم معنوياً؛ فهو ضرورة إنسانية، وأحد ركائز الهوية التي من دونها يُصبح الإنسان كالريشة تتقاذفها الرياح، ويقول المثل الشعبي المصري «من فات قدومه تاه»، وتقول الحكمة العراقية (من لا ماضي له لا حاضر له) وقدم الإنسان هو تراثه وتاريخه الذي يُمثل المرايا العاكسة التي ينظر إليها قائد السيارة من آن لآخر أثناء قيادته؛ كي يُحسن استخدام الطريق؛ وكي يصل إلى مقصده بسلام من دون أن يُعرض نفسه لأي خطر مُحتمل أو مُفاجئ. والتراث بشقيه يكتسب يوماً بعد الآخر أهميته من كونه مصدراً للفخر بحضارات الأجداد، وبالتالي يُعد الحفاظ على التراث والعمل على تنميته خياراً استراتيجياً للدول العربية، التي تنعم بتاريخ طويل وممتد في حضارات عظيمة أوجدت لنفسها مكانة سامية، وتقف شواهدا شامخة، منذ عصور ما قبل التاريخ وصولاً إلى أحدث الإبداعات الإنسانية. والحفاظ عليه ضرورة لها، خصوصاً هي تنظر بأمل تستشرف آفاق المستقبل، ولهذا لزاماً عليها أن تسترجع النقاط المضيئة في ماضيها؛ لتستمد منها العون للوصول لغدٍ أفضل. ومن المؤكد أن الحفاظ على التراث، كان، ولا يزال، نواة المفهوم الجديد للتراث العالمي الذي تضمنته اتفاقية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 التي وضعت بنودها منظمة اليونسكو.¹

ويمكن تلخيص أهمية التراث بـ

1. ان التراث يساهم في تعزيز دور الاقتصاد الوطني وذلك عن طريق الأماكن الأثرية والفلكلورية والحرفية النادرة والتي تجذب السائحين سواء كانوا محليين أو أجانب.

¹ . ينظر جريدة الحياة : الكاتب الصحفي علي عفيفي علي غازي العدد 17 ابريل 2015. www.alhayat.com/article/653392

2. يعتبر التراث من الروابط المهمة التي تربط الجيل المعاصر بالماضي. فالتراث هو رمز لهوية المواطن بشكل عام والذي من خلاله يرتبط الإنسان بموروثه الثقافي وأماكن اجداده.
3. ان الموروث التراثي رابط من الروابط الانسانية والاجتماعية الوثيقة بين الناس حيث ان هذا الرابط بالأصل الواحد والثقافة المشتركة الواحدة .
4. يساهم التراث في تعزيز الاقتصاد وإنعاشه، وخاصةً الاقتصادات المحلية التي أظهرت أهمية التراث وخاصةً للسياح من خارج البلاد.
5. يساعد التراث على زيادة معدلات التنمية في البلاد، وزيادة تداول النقد الأجنبي، وزيادة الخبرات التدريبية والتي تساهم في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
6. يعتبر التراث رمزاً للهوية والإنسانية الخاصة بالشعوب المختلفة، وخاصة الجماعات الأقلية التي تعتبره رمزاً للمعرفة والقدرات التي توصلت لها، والتي تناقلته وأعادت تكوينه، كما وتعتبره رمزاً مرتبطاً بالأماكن الثقافية التي لا يمكن التخلي عنها.
7. يساهم التراث في تعزيز الروابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما أنه يساعد على استمرارية المجتمعات، وتغيير هيكل المجتمع ليصبح أكثر سموً ورفعة.
8. يحتل التراث مكانة مهمة في حياتنا، لما له من رابط عجيب في زيادة التماسك الاجتماعي والمساعدة على تعزيز السلام ما بين الجميع، وذلك من خلال دوره في تعزيز الثقة والمعرفة المشتركة، كما وتعترف اليونيسكو بأهمية زيادة الوعي حول التراث، وإنشاء الوكالات والمؤسسات التي تزيد الوعي بين الناس بأهمية التراث من أجل المحافظة عليه، كما وتشجع الباحثين من مختلف المناطق على استكشاف وتأريخ التراث المدفون.¹

المبحث الثاني: انواع التراث وتقسيماته وما يرمز كل قسم منه

انواع التراث: قامت اليونيسكو في عام 2002م وهو العام الذي خصصته الأمم المتحدة للتراث الثقافي، بوضع قائمة لأنماط التراث الثقافي، وهذه الأنماط ليست على سبيل الحصر إنما هي قائمة وُضعت لتصنيف المواضيع، والأماكن، والممارسات، التي يعتبرها الناس ذات قيمة تراثية، وهي كالآتي:

¹ . ينظر "The Importance of the Intangible Cultural Heritage in the Economy" by Elsevier B.V, www.sciencedirect.com, Retrieved 9-11-2017. Edited. ↑ "World Heritage site", Retrieved 29-10-2017. Edited. ↑ by: Savino di Lernia (28-1-2015), www.britannica.com, 24-10-2017 <https://mawdoo3.com> اقرأ المزيد على موضوع كوم:

1. مواقع التراث الثقافي: مثل المواقع الأثرية، والآثار، والأبنية التاريخية. المدن التاريخية: مثل المناظر الطبيعية الحضرية والمدن المدمرة.
 2. المناظر الطبيعية الثقافية: مثل المتنزهات، والحدائق، والمزارع، والأراضي الرعوية.
 3. المواقع الطبيعية المقدسة: وهي الأماكن التي يُقدّسها ويحترمها الناس.
 4. التراث الثقافي المغمور بالمياه: مثل حطام السفن.
 5. المتاحف: تتمثل بالمتاحف الثقافية، والمعارض الفنية، والمتاحف المنزلية.
 6. الحرف اليدوية.
 7. التراث الوثائقي والرقمي: ويتمثل بالأرشيفات والمواضيع المودعة في المكتبات.
 8. التقاليد الشفهية: مثل القصص، والحكايات، والتقاليد غير المكتوبة، والتي تنتقل من جيل إلى جيل آخر.
- ويعتبر أكثر التراثيات مهمة هي:

أ. التراث الثقافي: والذي يتمثل بالمواقع الأثرية والآثار والأبنية التاريخية والحرف والتي تعبر عن امتداد الماضي بالحاضر وتبرز من خلاله الهوية الوطنية للمواطن كما يعتبر مصدر دخل للدولة لكونها مصدر مهم من مصادر السياحة، فعلى سبيل المثال المواقع الأثرية في العراق والمتمثلة بآثار بابل واثار الحضر في الموصل، ومن الآثار القديمة الأبنية التاريخية المتمثلة بطريقة بناء البيوت القديمة من شناسيل البصرة والشناسيل البغدادية في البناء وطريقة بناء الجوامع من المآذن والقبة وطريقة رصفها بالحجر المنقوش شاهدا تاريخيا على ذلك .

المساجد والمدارس القديمة والمآذن والقباب:

المدارس والمساجد القديمة: تعتبر المدارس والمساجد القديمة في بغداد موروثا تاريخيا فريدا من نوعه ومعلما سياحيا يتوافد اليه من كافة أنحاء العالم للاطلاع على هذا المعلم الحضاري والموروث التاريخي ومن ابرز هذه المعالم القديمة:

مدرسة المستنصرية: المستنصرية مدرسة عريقة أسست في زمن الدولة العباسية في بغداد عام 1233 على يد الخليفة المستنصر بالله،¹ وكانت مركزا علميا وثقافيا هاما. تقع في جهة الرصافة من بغداد.²

¹ . نبذات الوصل لذرية أمير المؤمنين الخليفة أبي جعفر منصور المستنصر بالله العباسي (PDF) ، فهد وعبدالإله ابنا حسين بن محمد علي بن محمد حسن العباس وعباس بن حسين بن بصري الغنيمي العباسي.. القاهرة. جمهورية مصر العربية: دار ركابي للنشر والتوزيع.

² . كتاب دليل خارطة بغداد المفصل - تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة - مطبعة المجمع العلمي العراقي - 1958 م.

شيدت "المستنصرية" على مساحة 4836 متراً مربعاً تطل على شاطئ نهر دجلة بجانب "قصر الخلافة" بالقرب من المدرسة النظامية، وكانت تتوسط المدرسة نافورة كبيرة فيها ساعة المدرسة المستنصرية، وهي ساعة عجيبة غريبة تعد شاهداً على تقدم العلم عند العرب في تلك الحقبة من الزمن تعلن أوقات الصلاة على مدار اليوم. وتتألف المدرسة من طابقين شيدت فيهما مائة غرفة بين كبيرة وصغيرة إضافة إلى الأوابين والقاعات. وقد عنيت هذه المدرسة بدراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية على نحو لم يسبق من قبل في غيرها وكانت مدة الدراسة في المستنصرية عشرة أعوام وتضم عدة أقسام منها علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية والنحو وعلم الفرائض والتركات ومنافع الحيوان والفلسفة والرياضيات والصيدلة والطب وعلم الصحة. وهي أول جامعة إسلامية جمعت فيها الدراسة الفقهية على المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) في "مدرسة واحدة" أما المدارس الفقهية التي قبلها فاختلفت كل واحدة منها بتدريس مذهب معين من هذه المذاهب، وبعد انتهاء الدراسة يمنح الطالب شهادة التخرج التي تؤهله التوظيف في دواوين الدولة، وكان يتولى إدارة المدرسة المستنصرية ناظر يختار من بين كبار موظفي الدولة يعاونه عدد من المساعدين، ويأتي في مقدمتهم المشرف وهو كالمراقب المالي أو المفتش المالي والكاتب والخازن، وعدد من العمال والخدم الذين يخدمون المدرسين والطلاب، ويعد عبد الرحمن التكريتي أول من تولى منصب نظارة المدرسة المستنصرية؛ حيث عين في اليوم التاسع من شهر رجب سنة 631 هـ/ 1233م.¹

ظل التدريس قائماً في المدرسة المستنصرية لمدة أربعة قرون منذ أن افتتحت في سنة (631 هـ/ 1233م) حتى سنة (1048 هـ/ 1638م)، وان تحلل ذلك فترات انقطاع، ولقد كانت الفترة الأولى في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة (656 هـ/ 1258م) وتوقفت الدراسة فيها قليلاً، ثم عاد إليها نشاطها من جديد؛ حيث استؤنفت الدراسة في نفس السنة، وظلت الدراسة قائمة بالمدرسة المستنصرية بانتظام بعد سقوط بغداد نحو قرن ونصف من الزمن. توقفت الدراسة بها وبغيرها من مدارس بغداد؛ بسبب تدمير تيمورلنك لبغداد مرتين الأولى سنة (765 هـ/ 1392م) والأخرى في سنة (803 هـ/ 1400م)؛ حيث قضى تيمورلنك على مدارس بغداد ونكل بعلمائها وأخذ معه إلى سمرقند كثيراً من الأدباء والمهندسين والمعماريين، كما هجر بغداد عدد كبير من العلماء إلى مصر والشام وغيرها من البلاد الإسلامية، وفقدت المدرسة المستنصرية بعد هذه الهجمة الشرسة مكتبتها العامرة، وظلت متوقفة بعد غزو تيمورلنك نحو قرنين من الزمن حتى أفتتحت من جديد للدراسة عام (998 هـ/ 1589م)، ولكن لم يدم ذلك طويلاً إذ عادت وأغلقت أبوابها في عام (1048 هـ/ 1638م)، ومن ثم فتحت مدرسة الأصفية في

¹ . موقع إسلام أون لاين نسخة محفوظة 01 يوليو 2010 على موقع واي باك مشين.

مكائها، وكانت مدرسة الأصفية من مرافق المدرسة المستنصرية، وجدد عمارتها الوزير داود باشا والي بغداد في عام (1242 هـ/1826م)، وسميت بالأصفية نسبة إلى داود باشا الملقب بأصف الزمان.¹

مدرسة وجامع مرجان الاثري : من مساجد ومدارس العراق الأثرية القديمة، ويقع في شارع الرشيد، في منطقة الشورجة على يمين الداخل إلى سوق العطارين ببغداد، وهو مسجد محكم البناء وفسيح الأرجاء²، وكانت فيه مدرسة تسمى المدرسة المرجانية³، وشيد هذه المدرسة أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجلي من موالي السلطان أويس بن حسن الإليخاني أحد أمراء الجلائريون عام 758هـ/1356م، وشرط التدريس فيها على المذاهب الأربعة، ووقف على لوازمها ما كان يملكه من عقارات في بغداد وخارجها ذكرها في وقفه التي كانت محررة بالحجر على جدران المدرسة وبنى لها غرفة للمدرسين وكذلك مستشفى يطل على نهر دجلة خاص لطلبة العلم، وتوفي أمين الدين مرجان عام 774 هـ، ودفن في المدرسة وشيد على قبره قبة جميلة ومشيفة الشكل هدمت فيما بعد عند توسعة شارع الرشيد، وبعد ذلك أخذ الوزير سليمان باشا من المدرسة مسجداً جامعاً تقام فيه الصلوات الخمس وصلوة الجمعة وصلوة العيدين، وآخر تعمير للجامع كان في عام 1392هـ/1973م من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية حيث شمل الترميم القباب والسياح الخارجي والساحة والواجهة الأمامية وتبلغ مساحة الجامع حوالي 1500م² ويستوعب حوالي 1200 مصلى، ويحتوي مصلى حرم الجامع على ثلاث قباب اثنان منها صغيرة وواحدة كبيرة مرتكزة على أقواس تنتهي بالجدران المحيطة بها، وهذا ما أضاف للمصلى روعة هندسية وفنية مميزة، وكان ممن درس في هذه المدرسة الملحقه به العلامة الحاج موسى سميكة مفتي الحنابلة في بغداد، والشيخ أبو الثناء محمود الألوسي، وأبنة نعمان الألوسي المتوفي عام 1317هـ/1899م، وحفيده محمود شكري الألوسي، وعلي علاء الدين الألوسي الذي دفن في ساحة المدرسة بعد وفاته عام 1339هـ/1921م، ومن قبله توفي والده نعمان الألوسي ودفن قربه، وكذلك من الشيوخ المدرسين في المدرسة المرجانية الشيخ ابراهيم الألوسي الذي درس فيها لفترة من عام 1923 ولغاية عام 1927م، وآخر من درس فيها

¹ . كتاب: تاريخ علماء المستنصرية - تأليف: ناجي معروف - دار الشعب - القاهرة 1975م. و كتاب: البغداديون أخبارهم ومجالسهم - تأليف إبراهيم عبد الغني الدروبي - مطبعة الرابطة - بغداد 1958م - صفحة 275. وموقع

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%86%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9

² . العقد اللامع بأثار بغداد والمساجد والجموع - تأليف عبد الحميد عبادة - تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - مطبعة أنوار دجلة/بغداد - جامع المرجان - صفحة 365، 378.

ومساجد بغداد وأثارها - محمود شكري الألوسي - تحقيق الدكتور: عبد الله الجبوري - الطبعة الأولى 1431هـ/2010م - صفحة 65 ، 72.

³ مجلة سومر - المجلد الثاني - بغداد 1946 - المدرسة المرجانية - صفحة 33، 54.

قبل إغلاقها الأستاذ فؤاد بن أحمد شاكر الألوسي¹، وتم تعيين الشيخ نجم الدين الواعظ إماماً وخطيباً في الجامع عام 1947م، وكان يلقي فيه دروس الوعظ والأرشاد وله فيه مجلس حافل بأهل العلم والأدب.² ولقد خط الخطاط درويش نعمان الذكائي بقلم خط الثلث الأبيات المحررة على لوحة الكاشاني الأزرق المرسومة على باب مصلى الجامع، والمؤرخة عام 1200هـ/1786م، وهذه الأبيات:

تبارك من أنشأ الأنام وأوجدا وقبض منهم من يقام به الهدى

وكانت في المدرسة مكتبة ضخمة هي هدية من العلامة نعمان الألوسي، جعلها وقفاً لطلاب العلم في المدرسة ونقلت هذه المكتبة التي تضم مخطوطات كثيرة من نوادر الكتب السلفية إلى مكتبة الأوقاف العامة، الواقعة في باب المعظم، ثم تم حرق هذه المكتبة بعد غزو العراق في عام 2003م.³



مدرسة وجامع مرجا

المدرسة المستنصرية

المآذن وقبب الجوامع في العراق: تتميز مآذن وجوامع العراق عن غيرها وتعتبر مورثاً مميزاً بحد ذاته ومعلماً من معالم التراث العراقي الاصيل فمآذن بغداد في ذلك العصر، تبين كيف أن تلك المآذن متماثلة في معظم الخصائص المعمارية مع باقي المآذن عبر العصور، وهو ما يمثل خصوصية لمآذن وعمارة بغداد في حفاظها على خصائصها المعمارية، إن الخصائص التصميمية المميزة لمآذن بغداد تمثل إحدى أهم المعالم الشاخصة في النسيج الحضري لبغداد والتي تمثل أحد جوانب هوية بغداد العمرانية. وقد تميزت بغداد بأنها المدينة العربية الوحيدة والتي كانت عاصمة ولاية مهمة بعدم بناء أية مئذنة عثمانية الطراز، وذلك ما يعكس مدى قوة التقاليد المعمارية المتجذرة في

¹. البغداديون أخبارهم ومجالسهم - إبراهيم عبد الغني الدروبي - مطبعة الرابطة - بغداد - 1958م - صفحة 281.

². خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد - تأليف محمد سعيد الراوي - تحقيق عماد عبد السلام رؤوف - بغداد 2006م - صفحة 206.

³. جامع مرجان موقع مساجد العراق نسخة محفوظة 23 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

³. دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق - صفحة 43، وينظر ايضاً

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

بغداد والتي احترمتها العثمانيون- أو لم يتجرؤوا على تغييرها- بالرغم أن معظم جوامع بغداد في تلك الفترة بناها ولاية أترك¹.



جامع الحيدر خانة



جامع الخلفاء(العباسي)

التكايا والزوايا : ان الكثيرين من علماء الآثار والعمارة الإسلامية يعتبرون "التكية" ارثا وموروثا مجتمعا ثقافيا وهو تطوراً لفكرة "الخانقاه" التي أقيمت منذ العصر الأيوبي، واستمرت وازدهرت خلال العصر المملوكي، وهي تتشابه مع الخانقاه من حيث الوظيفة كمبنى تقام به حلقات الدروس للمتصوفين بينما تكون الدراسة في الخانقاه إجبارية، ومن ثم يتولى مشيختها كبار العلماء والفقهاء وتمنح الدارسين بها إجازات علمية، أما التكية فلا التزام على المقيمين بها، ومن ثم فلا تقوم فيها فصول للدراسة المنتظمة، وإن كان الأمر لا يخلو من عقد دروس العلم الحلقية من قبل علماء ومحاضرات للوعظ والإرشاد وتنعقد بها حلقات الذكر.

التكايا والزوايا من المؤسسات المهمة التي أنتجت الحضارة الإسلامية؛ لتقدم نموذجاً فريداً في خدمة المجتمع والرسالة الدينية والقيم الإنسانية، وقد كانت -تحديداً- من ثمار التفاعل الصوفي مع الواقع وتيسير أفضل السبل لتحقيق الغاية من سلوك طريق التصوف.

وهناك عددٌ من المفاهيم لا بد من بيانها قبل الحديث عن أثر هذه المؤسسات الصوفية في الحضارة الإسلامية: الخانقاهات أو التكايا: وهي منشآت كانت تخصص لإيواء المتصوفة والمنقطعين للعبادة، وتطلق على الحرم الكبير الذي تُشاد فوقه قبة عالية وتقام فيه الصلوات الخمس والأذكار، ويعين له المؤذنون والقرّاء والمدرسون والمقدّمون والمنشدون، وكانت تُسمّى في الدولة العثمانية بالتكايا، ومفردتها تكيّة، وانتشرت هذه المؤسسات في الأقطار الإسلامية المختلفة، ولا سيما العراق ومصر والأقطار العثمانية.

أما الزاوية: فهي مسجد لإقامة شعائر الدين الحنيف، وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومعهد لطلب العلم في الشريعة والحقيقة.

¹ . ينظر مآذن بغداد : شواخص للهوية العمرانية : د.حسان محمود الحاج قاسم مدرس/ قسم الهندسة المعمارية/ كلية الهندسة/ جامعة الموصل
المجلة العراقية لهندسة العمارة .السنة التاسعة / العدد 27

وهناك الرُّبُط - جمع رِباط - التي كانت تقام في المناطق المعرّضة للهجوم العسكري، وكان من يقيمون بها يسمون المرابطين، وكانت للتهجّد والتأمل والاستغراق بشهود عظمة الله تعالى، وفي الوقت ذاته معسكر يحمي بلاد المسلمين من هجوم الأعداء؛ ولذا انتشرت بأعدادٍ أكبر على السواحل الإسلامية مثل البحر الأبيض وغيره، وهذا هو سبب انتشار أضرحةٍ لأولياء صالحين في المدن السَّاحليَّة، حيث كانوا يقيمون مع مرديهم في هذه الربط لعبادة الله والتعليم والتأمل والجهاد.

لقد كانت التَّكَايا والزَّوَايا والرُّبُط إحدى الركائز الهامَّة للتربية الدينية والاجتماعية، وهي تعتمد أنظمة دقيقة في إدارتها وتنظيم شؤونها، وتُعقد فيها حلقات الذكر، ومجالس العلم، وكان بعضها يُدرِّسُ فقه أحد المذاهب والبعض الآخر يُدرِّسُ أكثر من مذهب، وكانت نموذجًا تطبيقيًا للتضحية والفداء من أجل خدمة العقيدة والدفاع عن المجتمع، وكان لاستشهاد الكثير من مشايخ وعلماء التصوف الموجودين في هذه المؤسسات أثناء مقاومة الغزو المغولي أو رد هجمات الصليبيين، أثر بليغ في ترسيخ المعاني السامية المتعلقة بحماية الأمة والمجتمع وبذل الغالي والنفيس من أجل حماية الأوطان والعقائد.

قد كانت هذه الزوايا والخانقاوات نموذجًا عمليًا للتربية على العبادة والنظام والانضباط والنظافة واحترام القادمين وخدمة الناس والتعاون على البر والتقوى.

282

وكان لهذه التكايا والزوايا والخانقاوات أيضًا دور بالغ الأثر في نشر الإسلام في أواسط آسيا وأفريقيا، حيث كانت تفتح أبوابها للراغبين في التعرف على الإسلام والتعلم والمحتاجين والمرضى، وتستقبل المسافرين والقوافل؛ فحازت ثقة كثير من أبناء هذه المجتمعات التي انتشر الإسلام في كثير من بقاعها دون حرب أو قتال. وقد اهتم السلاطين العثمانيون بالتكايا والزوايا بشكل كبير، ووفق تقديرات إحصائية لتكايا إسطنبول سنة 1640 م فإنها بلغت حوالي 557 تكية، و22000 زاوية وحجرة للشيوخ أو الدراويش الذين كانوا يعيشون فيها.

أما في العراق فبلغ عدد التكايا والزوايا أكثر من 10 آلاف تكية وزاوية واهتم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى بالتصوف وأقام الخانقاوات والربط والزوايا من أجل رفع الشعور الديني في الأمة وزيادة استعدادها لمقاومة الأخطار التي تهددُها، كما حُبِسَتْ عليها الأوقاف التي تُنفق على هذه المؤسسات وتوفر لها ما تحتاجه من نفقة ومؤونة، فانتشرت بكثرة في دمشق وفلسطين وسائر مدن الشام والعراق. وكان أمراء المماليك أيضًا يهتمون ويتنافسون فيما بينهم في خدمة الصوفية وإنشاء الخانقاوات أو التكايا لهم، كما كانوا يهتمون بعمارتهما، وتزيينها وزخرفتها، وفق تصور فني بليغ، ومن أمثلة ذلك، خانقاه بيبرس الجاشنكير التي بدأ

في إنشائها الأمير بيبرس الجاشنكير بالقاهرة في سنة 706هـ/1306م قبل أن يتولى السلطنة، وأنشأ بجانبها رباطاً كبيراً، وقرر بها 400 صوفي، وبالرباط 100 جندي وآخرين.

وقد احتضنت أمثال هذه الخانقاوات العديد من العلماء الأجلاء الذين ملؤوا الأرض علماً ونوراً، والخانقاوات الكبيرة كان يُعَيَّن شيخاً عليها أحد العلماء الأجلاء، ويذكر ابن تغري بردي على سبيل المثال عدداً من الخانقاوات ودورها العلمي، فيتحدث عن الإمام ابن حجر العسقلاني أحد رواد خانقاه بيبرس الجاشنكير، فيقول عنه إنه قد [انتفع به الطلبة وحضر دروسه جماعةً من علماء عصرنا وقضاة قضاتنا، وقرأ عليه غالب فقهاء مصر، وأملى بخانقاه بيبرس نحوًا من عشرين سنة، وتولى مشيخة خانقاه بيبرس الجاشنكير في دولة الملك المؤيد شيخ] اهـ.¹

ويقول عن الشهاب الحجازي إنه [سمع على أبي الحسن علي بن أبي المجد بالخانقاه الصلاحية جميع صحيح البخاري بلا فوت] اهـ.²

وحين تحدث عن الأمير سودون من عبد الرحمن ذكر أنه [أنشأ بمنشأة خانقاه سرياقوس مدرسة تقام فيها الخطبة] اهـ.³

كما ذكر أن ضياء الدين العفيفي القزويني الشافعي القرمي الملقب بقاضي القرم تولى تدريس الشافعية بخانقاه شيخو بعد الشيخ بهاء الدين السبكي، ثم ولي مشيخة الخانقاه الركنية بيبرس الجاشنكير.⁴

وهناك الكثير من المصادر الأخرى التي تحدثت عن الخانقاوات والزوايا ودورها العلمي النافع وترتيب العمل بداخلها وإدارتها وآثارها، فقد كانت هذه المنشآت بمثابة مؤسسات دينية وعلمية واجتماعية وجهادية، أدت أدواراً مهمة وتركت آثاراً بليغة على مختلف مناحي الحياة الحضارية في التاريخ الإسلامي.

من الناحية المعمارية:

أن عمارة التكية تكون مستقلة بذاتها، أما الخانقاه فقد تكون جامعاً أي جامعاً أو مدرسة و خانقاه في ذات الوقت. يختلف تصميم التكية المعماري عن عمارة الخانقاه، فبينما يحتوي الأثنان على صحن (فناء مكشوف

¹ . المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي" لابن تغري بردي (2/ 19، 2/ 190، 6/ 155، 7/ 404).

² . المصدر نفسه .

³ . المصدر نفسه .

⁴ . ينظر المصدر نفسه و ينظر دور التكايا والزوايا الديني في العالم الإسلامي - نموذج تركيا- دراسة مقارنة، محمد محمد عبد الله حمدان، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق. و- "الخانقاوات والزوايا الدمشقية زمن سلاطين المماليك" (658-922هـ/ 1259-1516م)، بوران طاهر لبنية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية. و موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي" لرفيق العجم (ص: 197-435، ط. مكتبة لبنان ناشرون). ومقال لتكايا والزوايا ودورها في التربية ونشر العلم موقع دار الفتوى

. <http://dar-alifta.gov.eg/AR/Viewstatement.aspx?sec=new&ID=5054>

مربع، إلا أن تحيط بصحن الخانقاه إيوانات متعامدة تستخدم لعقد حلقات الدراسة، وهذه الإيوانات تتعامد على الصحن المربع، وفي أركان هذا المربع توجد خلاوي الصوفية، أي الأماكن أو الحجرات السكنية الخاصة بهم. أما التكية فهي في جميع الأحيان عبارة عن صحن مكشوف يأخذ الشكل المربع تحيط به من الجوانب الأربعة أربع ظلال، كل ظلة مكونة من رواق واحد، وخلف كل رواق توجد حجرات الصوفية السكنية، وهذه الحجرات دائماً ما تتكون من طابق واحد أرضي، أما في الخانقاوات فقد تتعدد الطوابق لتصل إلى أربعة.

وفي وصف هذه الخانقاه يقول الدكتور حسن الباشا: [تتألف الخانقاه من صحن مستطيل التخطيط في جانبيين متقابلين منه إيوانان كبيران معقودان أحدهما إيوان القبلة، وفي الجانبين الآخرين خلاوي للصوفية، بعضها فوق بعض، زحرفت أعتابها بمُقَرَّنَصَات وعقود ذات أشكال متنوعة، ويتميز إيوان القبلة وهو أكبر الإيوانات بأنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ويتوسطه محراب حجري يتميز بالبساطة والخلو من الزخارف مما يتناسب مع طبيعة الخانقاه.

وكانت الخانقاه في عصر المماليك تجمع أحياناً بين المدرسة والتكية والضريح، كما هي الحال بمدرسة أمير كبير قرقماس بالقاهرة، وخانقاه فرج بن برقوق، وخانقاه الأشرف برسباي¹ اهـ.

كما أنه ليس بالتكية مئذنة أو منبر، أي ليست جامعاً أو مدرسة، وإنما نجد بجهة القبلة حجرة صغيرة بها محراب لإقامة الصلوات، وأيضاً ليحتمع الدراويش في حلقات لذكر الله.

ومن أشهر التكايا والخانقاها في العراق والتي مازالت تعقد بها حلقات العلم والوعظ والارشاد وحلقات الذكر والتي تعتبر موروثاً قديماً من الماضي الى الحاضر مازال اهل العراق متمسكون بها منذ اكثر من ثمانمئة عام التكية والمدرسة القادرية في بغداد والتي تسمى بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره، ومدرسة الشيخ احمد الرفاعي قدس الله سره، وخانقاه وتكية ومدرسة الشيخ مصطفى النقشبندي قدس الله سره في اربيل، ومدرسة وتكية الشيخ عبد الجبار الراوي النقشبندي في كركوك خليفة الشيخ مصطفى النقشبندي، وتكية ومدرسة الشيخ عبد الرحمن النعمي شرف الدين النقشبندي قدس الله سره في بغداد خليفة الشيخ عبد الجبار الراوي بهاء الدين النقشبندي قدس الله سره وخليفة الشيخ مصطفى كمال الدين النقشبندي قدس الله سره، والتي كانت مدرسة وتكية الشيخ عبد الرحمن في بغداد من اشهر التكايا التي كانت تعقد فيها حلقات العلم والذكر، وبعد احتلال بغداد من قبل امريكا وحلفائهم، انطلقت من تكيتهم جحافل التحرير وما يطلق عليهم بجيش رجال الطريقة النقشبندية، فكانت تكيتهم موروثاً وارثاً ثقافياً علمياً روحياً تعبر عن الهوية الوطنية والتف حوله اغلب اهل العراق.

الشناشيل البصرية والبغدادية : عرفت الشناشيل في العراق في القرن السابع عشر الميلادي، وأصبحت تنافس النخيل في التدليل على الهوية الجمالية للمدن العراقية. وغدت من معالم هذه المدن التاريخية. والشناشيل هي كما

¹ . مدخل إلى الآثار الإسلامية" للدكتور حسن الباشا (ص: 137-138، ط. دار النهضة العربية)

يقول المختصون "شرفات خشبية مزخرفة تعمل على إبراز واجهة الطابق الثاني بأكمله أو غرفة من غرفه بشكل ناتئ إلى الامام، ويكون هذا البروز بالخشب عادة وبزخارف هندسية." والشناشيل ظهرت في البصرة وانتقل هذا الطراز إلى بغداد وباقي المدن العراقية. وتشير المصادر التاريخية إلى أن أصل كلمة شناسيل فارسية مركبة من (شاه ناشين) وتعني: محل جلوس الشاه الأعظم أو خير المجالس. اليوم نلاحظ بأن هذا التراث الذي كان متألقاً في حينه بدأ يتلاشى شيئاً فشيئاً دون أن يهتم المختصون بذلك، وبعد فترة من الزمن سوف يصبح تراثاً مذكوراً في الكتب التاريخية فقط.



نموذج لواجهة الشناشيل

سوق الصفافير: سوق الصفافير أو الصفارين وهو سوق ترجع تسميته بهذا الاسم نسبة للصفير (معدن النحاس)، حيث يشتهر هذا السوق بصناعة الصحون والأواني المنزلية وأباريق الشاي والكاسات والملاعق، وإطارات الصور، والفوانيس النحاسية والنقش عليها. ويقع سوق الصفافير في بغداد وهو عبارة عن مجموعة من المحلات المنتشرة في الأزقة الضيقة الواقعة في منطقة باب الأغا قريبا من الشورجة في شارع الرشيد مقابل مبنى جامع مرجان، وتباع فيه المصنوعات والأدوات النحاسية. ويعتبر سوق الصفافير من الأسواق القديمة في بغداد والتي تعود لعصر الخلافة العباسية وهي كانت قديماً سوقاً قائمة في درب المسعود في محلة سوق الثلاثاء، لتوفير احتياجات طلاب المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية. وتوجد عدة أسواق لطرق النحاس تسمى بنفس الاسم في عدة محافظات في العراق منها في مدينة البصرة في السوق القديم قرب جامع المقام، وكذلك في مركز مدينة الحلة. على مدار حوالي مائتي عام في بغداد كانت أعداد لا حصر لها من الآباء والأبناء يصوغون معدن النحاس في شكل أواني وأطباق ومصايح في هذا الشارع الضيق المخصص للمشاة. ولا يعرف على وجه التحديد متى شغل الصفارون هذا السوق واتخذوا منه مكاناً لمهنتهم، ولكن أول وثيقة وقفية تاريخية أشارت إلى وجودهم فيه كانت سنة 1098 هـ/1687م، وفي وقفية أخرى متأخرة عرف عنه اسم سوق الصفافير سنة 1159 هـ/1746م، حيث ذكر أسمه

بالتحديد منذ ذلك التاريخ وبقي يعرف به حتى وقتنا الحالي.¹ ويحتوي سوق الصفاير على مسجد أثري قديم، يسمى مسجد الصفارين، وهو من مساجد بغداد التراثية، وتبلغ مساحته 2250م² تقريباً، ويحتوي على حرم مصلى صغير يتسع لأكثر من 40 مصلى، ولقد بني هذا المسجد من قبل أحد المحسنين في زمن الدولة العثمانية وتحديدًا في منتصف القرن الثامن عشر.²



السوق التراثي سوق الصفاير في بغداد

أسواق تراثية اخرى في بغداد :

سوق السراي: ويقع هذا السوق في جانب الرصافة من العاصمة بغداد بالقرب من شارع الرشيد وفي نهاية شارع المتنبي، ويشتهر ويعرف هذا السوق بتجارة الدفاتر والأوراق والكتب المدرسية. ويبيع فيه مختلف أنواع القرطاسية من دفاتر وأقلام وأدوات مكتبية. وتشتهر المحلات ببيع انواع القرطاسية على جانبي هذا السوق الذي لا يتعدى طوله 300 متر ولا يزيد عرض ممر المشاة فيه عن ثلاثة أمتار. وهو امتداد لسوق شارع المتنبي وسوق هرج في الميدان، ويعتبر سوق السراي من أقدم الأسواق في بغداد. ولقد تزامن بناؤه مع بناء جامع الوزير حسن باشا، ابن الوزير محمد باشا عام 1660م. والسوق مجاور لسوق السراجين وكانت تسميته مقترنة بوظيفته الجغرافية ولم يكن حتى ذاك الوقت قد امتلك شخصية سوق المكتبات والوراقين، بل كان معنيا بالخدمات المرتبطة بأعمال الموظفين والمراجعين لدوائر الحكومة.

¹ . الأصول التاريخية لأسماء محلات بغداد - الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - بغداد 1994م.

² . دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق - صفحة 64. وينظر ايضا <https://ar.wikipedia.org/wiki>



سوق السراي (شارع المتني)

سوق الشورجة: من اسواق بغداد القديمة والمشهورة حيث يعود تاريخ بنيانه إلى عهد الدولة العباسية، ويمتد موقعه القديم من شارع الكفاح ثم شارع الجمهورية ولغاية موقع جامع مرجان في شارع الرشيد.



سوق الشورجة في بغداد

سوق الغزل: هو سوق معروف في بغداد يقع قرب جامع الخلفاء في الشورجة، وسوق الغزل كان ولا يزال سوقاً غريبة عجيبة، فهي تحوي محال صغيرة لبيع الحبوب الجافة والبقوليات والأعشاب ومحال أخرى لبيع الطيور الأليفة وبعض الطيور البرية النادرة كالصقور والطواويس بالإضافة إلى الكلاب النادرة، وأسماك الزينة، وتقع في منتصف السوق منارة ومئذنة سوق الغزل في جامعها القديم، والذي يعرف بجامع الخلفاء.



سوق الغزل في بغداد

سوق هرج: هو سوق معروف في وسط مدينة بغداد لبيع الأدوات المستعملة والأغراض القديمة جداً والتي تكون ذات قيمة تاريخية أثرية، وقد تجد هناك فيه كل نادر وغريب وما لا تجده في غيره من الأسواق. وفيه الكثير من التحف الفنية الراقية ويرتاده الناس لإنخفاض أسعار بضائعه. ويختص هذا السوق بافتتاح خاص يوم الجمعة حيث يكثر فيه الباعة والمتسوقون.

ويرجع تأريخ بناء هذا السوق إلى عهد الدولة العثمانية حيث شق الوالي العثماني ناظم باشا شارعاً سمي بأسم شارع (خليل باشا جاده سي) على أسم خليل باشا حاكم بغداد عام 1910م، ثم سمي بأسم شارع الرشيد، وسمي السوق بأسم سوق الميدان وهي التسمية العربية القديمة له، وأقدم من التسمية التركية (سوق هرج)، والتي تعني الفوضى وعدم النظام. ولقد غنت المغنية المعروفة أم كلثوم فيه عام 1935م، عندما قدمت إلى بغداد.¹



سوق هرج في بغداد

المبحث الثالث: استغلال التراث كمصدر للسياحة وواجب الفرد والدولة في المحافظة على التراث

استغلال التراث كمصدر للسياحة: يعد التراث بكافة اشكاله مصدر من مصادر السياحة اذا ما تم استغلاله بشكل جيد فتعتبر السياحة في العديد من الدول من أهم الركائز التي يعتمد عليها الدخل القومي، والسياحة في مفهومها هي الانتقال من مكان لآخر بهدف الاطلاع والتعرف والاستمتاع بمواقع مختلفة ويشمل ذلك السياحة الداخلية والسياحة الخارجية، كما تنقسم السياحة حسب نوعية المنتج السياحي إلى سياحة ترفيهية و ثقافية و دينية و علاجية، والسياحة بأنواعها المختلفة تتركز على عدة مقومات تشمل المنتج السياحي والمصادر البشرية والإدارة والتمويل والتسويق. ان المواقع التراث العمراني تعتبر من أهم روافد السياحة، بدأ من إدراك أهمية

¹ . ينظر دليل خارطة بغداد المفصل - الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة - مطبعة المجمع العلمي العراقي - 1958م. وينظر تاريخ بغداد. والسياحة في بغداد وينظر

العلاقة ما بين السياحة ومواقع التراث العمراني في إظهار ثقافة الحضارات المختلفة واستنباط المعلومات من خلال ارتياد أفراد المجتمعات المختلفة لهذه المواقع. وتعتبر السياحة من أهم الموارد الاقتصادية للعديد من الدول الغربية والعربية. ونتيجة لانتشار العولمة فقد أصبح التعرف على حضارات الدول الأخرى أمر بالغ الأهمية. وأصبحت السياحة بأنواعها من أهم المصادر الثقافية والتعليمية عن المجتمعات المختلفة. إلا أننا نجد أن هنالك تضارباً ما بين السياحة والحفاظ على التراث العمراني والبيئة. وقد ازداد الاهتمام بهذا الجانب من الصراع القائم ما بين الحفاظ والسياحة نتيجة للعولمة، وضعت الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية عام 1999 ونتيجة لإدراك أهمية استدامة مواقع التراث الثقافي والطبيعي كمصدر اقتصادي وثقافي وتعليمي. والتي أتت لتحتل مكان الاتفاقية السابقة الصادرة عن ICOMOS (اتفاقية السياحة الثقافية لعام 1976)، ويأتي الفارق الأساسي ما بين الاتفاقية الحديثة وتلك التي سبقتها من خلال العلاقة ما بين الحفاظ والسياحة.

الوثيقة الأولى ركزت على إدارة الضغوطات ما بين السائح مواقع التراث والمسؤولين عن حماية هذه المواقع وذلك بالنظر إلى السائح من قبل العاملين بالحفاظ بأنه أحد العوامل المهتدة لأصالة المواقع التراثية.¹

الاتفاقية الجديدة تبحث عن علاقة جديدة ما بين الحفاظ والسائح وبالتالي فقد ركزت على أن من أهم أسباب القيام بأي عمل من أعمال الحفاظ هو إبقاء تميّز مواقع التراث والحفاظ عليها بهدف حصول السائح على أكبر قدر من التمتع بهذه المواقع وذلك من خلال أسلوب إدارة فعال يضمن بقاء الموقع وتميزه، من خلال التوعية والحفاظ على المباني والمعالم التراثية، وأن التراث لا يمكن أن يحصل على الدعم المادي أو السياسي بدونها. وتدرّك صناعة السياحة أن المواقع التراثية والثقافية تشكل الجزء الأكبر من عوامل الجذب السياحي، كما تدرّك أن هذه المصادر هشة وغير مستردة، من هنا فإن الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية تدعو الحفاظ وصناعة السياحة على أن يعملوا جنباً إلى جنب ضمن التحديات الموجودة للوصول إلى استدامة على المدى الواسع للتراث الثقافي لكل مجتمع.

إن على السياحة أن تجلب الفائدة إلى المجتمعات المستضيفة وأن توجد لديهم الحافز إلى المحافظة على المعالم وبقاؤها من خلال ممارساتهم. ونتيجة لازدياد الطلب على ارتياد مواقع التراث العمراني من قبل القطاع السياحي أصبحت هنالك حاجة ماسة من قبل الدول المختلفة والتي تعتمد على السياحة كمصدر رئيسي وهام للدخل

¹ . التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني/التحديات والمعوقات مقدمة من المهندس / مرفت مامون خليل الملكة الاردنيه الهاشميه / وزارة السياحة والآثار.

<https://historicalcities.wordpress.com/2009/03/18/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85/>

القومي، أن تعمل على تطوير منتجها السياحي وزيادة مكتسباتها من الصناعة السياحية من خلال تنمية هذه المواقع.

وقد أظهرت التجارب المختلفة لتطوير مواقع التراث العمراني بهدف التنمية السياحية العديد من المعوقات من ضمنها ملكيات الأراضي التي يقع عليها التراث العمراني والقوانين والأنظمة المعمول بها بالإضافة إلى قوانين الاستثمار والتنظيم وقوانين حماية المناطق الأثرية و تحديد الاستعمالات الملائمة لأصالة التراث.

كما أن سلوكيات المجتمع المحلي وإدراكهم لأهمية هذه المواقع والتعاون مع الجهات المسؤولة عن التطوير تعتبر من أهم العوامل المؤثرة في عملية التنمية بالإضافة إلى وعيهم بأهمية المنتج السياحي وتسويقه وأساليب إظهاره وإحساسهم بالعوائد المتأتية عليهم من خلال مشاركتهم في عملية التطوير.¹

واجب الدولة والفرد للمحافظة على التراث: أهمية الحفاظ على التراث العمراني

التراث العمراني من أهم المصادر المادية عن النشاطات الانسانية الاجتماعية والثقافية، وهو مصدر للمعلومات فهو يعطينا القدرة على استرجاع الفاقد من المعلومات وإيجاد حلول واجابات للمشاكل الجديدة، وهو المصدر الوحيد للمعلومات عن أناس عاشوا ومارسوا النشاطات في عهود سابقة وذلك من خلال تتبع الحياة الانسانية و الاجتماعية وتطوراتها. والتراث العمراني هو مصدر غير متجدد مما يدعونا الى الحفاظ على هذه العناصر الثمينة والتأكد من أنها تدار بطريقة تظهر التقدير والاحترام لهؤلاء الذين عاشوا قبلنا وتظهر الحرص والاعتبار للذين سيأتون من بعدنا.

هو مصدر للإحساس بالجمال والسلوكيات الإنسانية ويعطي مصداقيه للتعريف بالحاضر، وإشباع للعاطفة في ربط الحاضر بالماضي، ويعطي مصداقية للتفكير والتحكم. كما يتيح امكانية تجربة التنوع الثقافي من خلال توفير تعبيرات مرئية لأحداث من الماضي فيساهم في فهم هذه الاحداث من خلال تعبيرات فيزيائية لتغيرات في الأفكار على مر الزمن. كما يوفر التراث العمراني القيم العملية والفائدة من حيث الخبرة العملية في التعرف على المخزون التكنولوجي والخبرات الفنية والتقنية العلمية وتطوراتها وللتراث العمراني قيم اقتصادية وعملية كمساكن ومواقع وأماكن للنشاطات الترفيهية وكأساس للنشاطات الاقتصادية، ويساهم التراث العمراني في القيمة المكانية للبيئة التي

¹ . التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني/التحديات والمعوقات مقدمة من المهندس / مرفت مامون خليل المملوك الاردني الهاشمي / وزارة السياحة و الآثار .

يتواجد بها في ايجاد بيئة تاريخية تمثل مرحلة من المراحل التاريخية وتساهم في اضافة عنصر الزمن لعناصر التخطيط الحضري ليولد الاحساس بروح المكان.¹

المشاكل الرئيسية التي تواجه الحفاظ على التراث العمراني :

يواجه الحفاظ المعماري مجموعة من المشاكل يمكن ايعاز اسبابها الى التطور الاجتماعي والاقتصادي وغياب الوعي بأهمية التراث العمراني وعدم وجود التمويل اللازم لتحقيق الحفاظ وغياب الحماية القانونية وغياب مشاركة المجتمع المحلي والقطاع الخاص وعدم وضع آليات ملائمة تساهم في زيادة مشاركة المجتمع المحلي والقطاع الخاص في عملية الحفاظ.

كما ويمكننا اجمال المشاكل التي تواجه الأبنية التراثية المشكلة للتراث العمراني بما يلي :

1. هدم العديد من الابنية التراثية لمصلحة التطوير والاستثمار الاقتصادي والتخطيط الحضري وبالتالي تفكيك النسيج الحضري الممثل لثقافة الأمة وحضارتها.
2. عدم وجود حصر للمباني التراثية في العديد من الدول وخاصة الدول العربية.
3. غياب الوعي بأهمية هذا التراث.

4. الترميم العشوائي غير المدروس للأبنية من قبل أصحابها أو المستثمرين لعدم وجود قواعد أساسية للترميم.²

وواجب الدولة نحو التراث فقد اهتمت منظمات عالميّة عديدة بالتراث على المستوى العالمي، فقد شجعت منظمة اليونسكو على حماية التراث الثقافي والطبيعي؛ من خلال عقد اتفاقيةٍ دوليّةٍ في عام 1972م والتي عُرفت باسم اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي،³ كما انبثق عنها اللجنة الحكوميّة الدوليّة لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي، وصندوق حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي، بالإضافة إلى وضع سياساتٍ وشروطٍ للمساعدات الدوليّة الخاصة بحماية التراث والحفاظ عليه، ويتجسّد العمل على حماية التراث من خلال تنفيذ العديد من الأنشطة بتعاونٍ مُنسّق بين المنظمات العالميّة، ومن الأمثلة على طُرق حماية التراث والحفاظ عليه:⁴

¹ . التسمية السياحية في مواقع التراث العمراني/التحديات والمعوقات مقدمة من المهندس / مرفت مامون خليل الملكة الاردنيه الهاشميه / وزارة السياحة و الآثار

<https://historicalcities.wordpress.com/2009/03/18/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85/>

² . المصدر نفسه .

³ . ينظر التراث العالمي"، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه بتاريخ 2017-8-13.

⁴ . ينظر المصدر نفسه.

1. نشر الحرف التقليدية القديمة من جديد، وعمل برامج خاصة تعترف بالحرفيين التقليديين وترفع من قيمتهم.

2. تنظيم وإعداد مشاريع وورش عملٍ تسعى لتعليم التراث والحفاظ عليه من الاندثار.

3. إنشاء الدورات التدريبية في دور خاصة بهدف مناقشة القضايا المتعلقة بالتراث.

4. إعادة تأهيل التراث والنهوض به من خلال تنظيم العلاقة بين السياسة الوطنية وخطة العمل وتنفيذ المشاريع.

أما بنود الاتفاقية المذكورة سابقاً فقد تضمنت ما يلي:¹

أ. يجب على كلِّ دولةٍ تُمثِّل طرفاً في الاتفاقية أن تتعهد بحماية كلِّ ما على أرضها من تراث وتنقله من جيلٍ إلى جيل،

ب. كما ويجب أن توظف كلِّ ما لديها من موارد من أجل هذه الغاية، إضافةً إلى تقديم أيِّ مساعدةٍ تقنيةٍ وفنيةٍ يمكن أن تعود بالفائدة على التراث والحفاظ عليه.

ت. دمج حماية التراث في برامج شاملة، وإعطاء التراث الطبيعي والثقافي أهميته على أكمل وجه وتوظيفه بشكلٍ فعالٍ في المجتمع.

ث. إعداد خدماتٍ تهدف إلى حماية التراث، وعمل أنشطةٍ تهدف إلى عرض وتقديم التراث إلى الأفراد مع توفير جميع السبل والمواد اللازمة لذلك.

ج. إنشاء مراكز وطنية أو إقليمية تسعى لتدريب الأفراد على حماية تراثهم وتشجيعهم على إقامة الأبحاث العلمية المتعلقة به. وضع خطط قانونية وعلمية ومالية وإدارية تخدم حماية التراث والحفاظ عليه و نقله من جيلٍ لآخر.

ح. اتخاذ الإجراءات اللازمة في حال تعرّض التراث للتهديد، كما يجب على الدولة أن تضع دراساتٍ علميةٍ وتقنيةٍ من شأنها أن تواجه الأخطار التي قد يتعرض لها التراث. تتعهد الدول الأطراف في الاتفاقية على عدم التعرض بشكلٍ سلبي لتراث دولةٍ أو إقليمٍ آخر يُعدّ طرفاً في الاتفاقية أيضاً.²

¹ . Convention Concerning the Protection of the World Cultural and Natural Heritage", UNESCO , Retrieved 2017-8-13. Edited. .

² . كيفية حماية التراث الكاتب: محمد مروان
https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9_%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB

الخاتمة بأهم نتائج البحث والتوصيات

بعد هذه الجولة في بحثنا هذا توصلنا إلى أهم النتائج:

1. يُعرف التراث بمفهومه البسيط على أنه خلاصة ما تُخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة، أو ما يُخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد، ويُضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته، على أي شكل كان من خلال العمارة أو الكتابة أو النقش أو الحاجات أو المصنوعات. أو هو بمعنى آخر «نتاج شعب أو جماعة تعيش في مكان معين وتعتقد وتمارس وتصنع أموراً خاصة في زمن خاص» .
2. يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجمعي ومدته بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمرارته مسؤولية الجميع بلا استثناء .
3. تكتمل هوية الإنسان بالتراث سواء كان مادياً أم معنوياً؛ فهو ضرورة إنسانية، وأحد ركائز الهوية التي من دونها يُصبح الإنسان كالريشة تتقاذفها الرياح، وتقول الحكمة العراقية (من لا ماضي له لا حاضر له).
4. ان التراث يساهم في تعزيز دور الاقتصاد الوطني وذلك عن طريق الأماكن الأثرية والفلكلورية والحرفية النادرة والتي تجذب السائحين سواء كانوا محليين أو أجانب.
5. يعتبر التراث من الروابط المهمة التي تربط الجيل المعاصر بالماضي. فالتراث هو رمز لهوية المواطن بشكل عام والذي من خلاله يرتبط الإنسان بموروثه الثقافي وأماكن اجداده.
6. يحتل التراث مكانة مهمة في حياتنا، لما له من رابط عجيب في زيادة التماسك الاجتماعي والمساعدة على تعزيز السلام ما بين الجميع، وذلك من خلال دوره في تعزيز الثقة والمعرفة المشترك
7. يساهم التراث في تعزيز الروابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما أنه يساعد على استمرارية المجتمعات، وتغيير هيكل المجتمع ليصبح أكثر سموً ورفعة.
8. ويعتبر أكثر التراثيات مهمة هي التراث الثقافي : والذي يتمثل بالمواقع الأثرية والآثار والابنية التاريخية والحرف والتي تعبر عن امتداد الماضي بالحاضر وتبرز من خلاله الهوية الوطنية للمواطن كما يعتبر مصدر دخل للدولة لكونها مصدر مهم من مصادر السياحة .
9. ان الكثيرين من علماء الآثار والعمارة الإسلامية يعتبرون "التكية" ارثا وموروثا مجتمعيا ثقافيا الذي يعزز الهوية الوطنية وارثا روحيا وثقافيا فقد كان لهذه التكايا والزوايا والخانقاوت دورا بالغ الأثر في نشر الإسلام ومقارعة المحتل كما هو الحال في تكية ومدرسة الشيخ عبد الرحمن النعيمي شرف الدين النقشبندي قدس الله سره في بغداد

والتي كانت تعقد فيها حلقات العلم والذكر، وبعد احتلال العراق من قبل امريكا وحلفائهم، انطلقت من تكيّتهم جحافل التحرير وما يطلق عليهم بجيش رجال الطريقة النقشبندية، فكانت تكيّتهم موروثا وارثا ثقافيا علميا روحيا تعبر عن الهوية الوطنية فالتف حوله اغلب اهل العراق .

10. يعد التراث بكافة اشكاله مصدر من مصادر السياحة اذا ما تم استغلاله بشكل جيد فتعتبر السياحة في العديد من الدول من أهم الركائز التي يعتمد عليها الدخل القومي، والسياحة في مفهومها هي الانتقال من مكان لآخر بهدف الاطلاع والتعرف والاستمتاع بمواقع مختلفة .

التوصيات :

1. نشر الحرف التقليدية القديمة من جديد، وعمل برامج خاصة تعترف بالحرفيين التقليديين وترفع من قيمتهم.
2. تنظيم وإعداد مشاريع وورش عملٍ تسعى لتعليم التراث والحفاظ عليه من الاندثار.
3. إنشاء الدورات التدريبية في دور خاصة بهدف مناقشة القضايا المتعلقة بالتراث.
4. اعادة تأهيل التراث والنهوض به من خلال تنظيم العلاقة بين السياسة الوطنية وخطة العمل وتنفيذ المشاريع.
5. إعداد خدماتٍ تهدف إلى حماية التراث، وعمل أنشطةٍ تهدف إلى عرض وتقديم التراث إلى الأفراد مع توفير جميع السُّبل والمواد اللازمة لذلك.
6. اتخاذ الإجراءات اللازمة في حال تعرّض التراث للتهديد، كما يجب على الدولة أن تضع دراساتٍ علميةً وتقنيةً من شأنها أن تواجه الأخطار التي قد يتعرّض لها التراث.
7. إنشاء مراكز وطنية أو إقليمية تسعى لتدريب الأفراد على حماية تراثهم وتشجيعهم على إقامة الأبحاث العلمية المتعلقة به.
8. وضع خطط قانونية وعلمية ومالية وإدارية تُخدم حماية التراث والحفاظ عليه و نقله من جيلٍ لآخر.

المصادر والمراجع

1. الأصول التاريخية لأسماء محلات بغداد - الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - بغداد 1994م.
2. البغداديون أخبارهم ومجالسهم - إبراهيم عبد الغني الدروي - مطبعة الرابطة - بغداد - 1958م .
3. تاريخ علماء المستنصرية - تأليف: ناجي معروف - دار الشعب - القاهرة 1975م. و كتاب: البغداديون أخبارهم ومجالسهم - تأليف إبراهيم عبد الغني الدروي - مطبعة الرابطة - بغداد 1958م.
4. التراث والحداثة المركز الثقافي . محمد عايد الجابري الدار البيضاء المغرب 1992 .
5. التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني/التحديات والمعوقات مقدمة من المهندس / مرفت مامون خليل المملكة الاردنيه الهاشميه / وزارة السياحه و الاثار .
6. جامع مرجان موقع مساجد العراق نسخة محفوظة 23 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.
7. جريدة الحياة : الكاتب الصحفي علي عفيفي علي غازي العدد 17 ابريل 2015.
8. الخانقاوات والزوايا الدمشقية زمن سلاطين المماليك" (658-922هـ / 1259-1516م)، بوران طاهر لبنية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية.
9. خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد - تأليف محمد سعيد الراوي - تحقيق عماد عبد السلام رؤوف - بغداد 2006م .
10. دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق.
11. دليل خارطة بغداد المفصل - الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة - مطبعة اجمع العلمي العراقي - 1958م.
12. دور التكايا والزوايا الدينية في العالم الإسلامي " -نموذج تركيا- دراسة مقارنة، محمد عبد الله حمدان، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق.
13. العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
14. العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع - تأليف عبد الحميد عبادة - تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف - مطبعة أنوار دجلة/بغداد
15. كتاب دليل خارطة بغداد المفصل - تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة - مطبعة اجمع العلمي العراقي - 1958 م.
16. لسان العرب لابن منظور دار صادر

17. مجلة سومر - المجلد الثاني - بغداد 1946 - المدرسة المرجانية .
18. المحيط في اللغة . سماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم المحقق: محمد حسن آل ياسين سنة النشر: 1414-1994.
19. مدخل إلى الآثار الإسلامية" للدكتور حسن الباشا .
20. مدونة التراث أكادير مدونة تواصلية لطلبة التاريخ تخصص تراث أكادير .
21. مساجد بغداد وآثارها - محمود شكري الألوسي - تحقيق الدكتور: عبد الله الجبوري - الطبعة الأولى 1431هـ/2010م .
22. مقال لتكايا والزوايا ودورها في التربية ونشر العلم موقع دار الفتوى.
23. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي " لابن تغري بردي.
24. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي " لرفيق العجم ط. مكتبة لبنان ناشرون.
25. موقع إسلام أون لاين نسخة محفوظة 01 يوليو 2010 على موقع واي باك مشين.
26. نبذات الوصل لذرية أمير المؤمنين الخليفة أبي جعفر منصور المستنصر بالله العباسي (PDF)، فهد وعبدالإله ابنا حسين بن محمد علي بن محمد حسن العباس وعباس بن حسين بن بصري الغنيمي العباسي.. القاهرة. جمهورية مصر العربية: دار ركابي للنشر والتوزيع.
27. التراث العالمي"، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه بتاريخ 2017-8-13.
28. جريدة الحياة : الكاتب الصحفي علي عفيفي علي غازي العدد 17 ابريل 2015.
29. مآذن بغداد : شواخص للهوية العمرانية : د.حسان محمود الحاج قاسم مدرس/ قسم الهندسة المعمارية/ كلية الهندسة/ جامعة الموصل المجلة العراقية لهندسة العمارة. السنة التاسعة / العدد27.
30. . by Elsevier B.V, "The Importance of the Intangible Cultural Heritage in the Economy" ،ww.sciencedirect.com, Retrieved 9-11-2017. Edited. ↑ "World Heritage site", www.britannica.com,24-10-2017 ،Retrieved 29-10-2017. Edited. ↑ by: Savino di Lernia (28-1-2015).

التراث الاثري الثابت والمنقول وعلاقته بالتنمية

قلعة بني حماد أ نموذجاً "المسيلة"

أ. آسيا ليفة

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة - جامعة قسنطينة 3

الملخص:

التراث هو الهوية هو الانتماء هو الوطن هو الستار الذي يقينا من برد الضياع وشبح اللاوجود، هو مرآة نرى فيها تقاسيم أنفسنا بكل شفافية ومصداقية، ولا دلالة على ذاكرة الأمة الا الآثار، وخاصة المادية منها وقلعة بني حماد التي تحتضنها ولاية المسيلة هي نموذج حي للأثر العمراني الذي يعبر عن تاريخ الحضارة الإسلامية في الدولة الجزائرية، والتي صُنفت سنة 1980 من طرف اليونسكو، كتراث عالمي وهذه القلعة هي موضوع مداخلتنا التي جاءت تحت عنوان التراث الاثري الثابت وعلاقته بالتنمية قلعة بني حماد أنموذجاً "المسيلة" كيف هو حال التراث المادي "الثابت" في الجزائر وماهي أهم المشاريع المسطرة من أجل المحافظة عليه؟ وعلاقته بالتنمية في بلدنا؟

الكلمات المفتاحية: قلعة بني حماد، تراث مادي، سياحة ثقافية، تاريخ اسلامي، حضارة .

Résumé :

Le patrimoine c'est l'identité, c'est l'âme d'une nation c'est ce qui nous protège du gel de la perdicion c'est un miroir qui reflète notre particularisme civilisationnel.

Le site archéologique Kalaa Beni Hammad dans la wilaya de M'Sila déjà classé en 1980 au patrimoine mondiale par l'UNESCO en est une illustration concrète.

Qu'elle est l'état de cet héritage musulman en Algérie et quels sont les principaux projets relatif à sa conservation ?

Mots clés : Kalaa Beni Hammad, patrimoine matériel, site archéologique, tourisme culturel.

مقدمة

الآثار العمرانية هي الممر إلى الذاكرة بكل تفاصيلها سواء كانت الاقتصادية أو الاجتماعية ولكل دولة من دول العالم تراثها العمراني الخاص بها الذي ينسج هويتها التاريخية ويحدد الانتماء الحضاري لها وبلادنا الجزائر كذلك هي حاضرة من الحواضر الثقافية التي تشتمل على فيسيفساء من الثقافات تعاقبت عليها منذ عهود موغلة في القدم، تتباهى فيها الحضارة القرطاجية جنبا لجنب مع الحضارة الرومانية لتؤرخ لحقبة تاريخية لها انتصاراتها وانكساراتها، يليها الوجود الإسلامي وما خلفه من شواهد وآثار، ومن مخلفات هذه الأخيرة قلعة أبي الطويل أو قلعة بني حماد، التي تعود في أصولها إلى الدولة الحمادية، تعتبر قلعة بني حماد الشاهد الحي على ما وصلت إليه الحضارة الحمادية وهي في قمة نضجها الحضاري، سنتعرف الآن على تصميم هذه القلعة ومكوناتها المعمارية .

1- فن وعمارة القلعة

قلعة بني حماد هي صرح معماري لا تزال نسبة 80% منه تقبع تحت الأرض وما هو مكتشف لحد الآن يعود الفضل فيه إلى إجتهدات الأثريين الفرنسيين « Lucien Golvin » et « Debilet » إلى جانب الأثري الجزائري " رشيد بورويبة " الذي كرس عمره لهذه القلعة وأستكمل عملية البحث والتنقيب بعد رحيل المستعمر حيث استطاع الكشف عن الجامع الكبير ومسجدا صغيرا بقصر المنار، إن المسجد العظيم لم يحتفظ إلا بقواعد جدرانها ودعائمه ومأذنته، فهو على شكل مستطيل طوله، 63,20م، وعرضه 20 و53م، يحيط به جدار سمكه 1.50م، محصن من الخارج بدعائم مستطيلة طوله 1.80م وعرضها 1.30م، لهذا المسجد بيت صلاة مستطيلة طولها 20 و53م، وعرضه 34.20م تحتوي على ثلاثة عشر أسكوبا وثماني أبلطة، وفي بيت الصلاة ترى بناء يحيط بالمحراب ويحتوي على خمسة أساكيب وأربعة أبلطة وهذا البناء ليس بالمقصورة ، وإنما هو مسجد صغير بني داخل بيت الصلاة بعدما رحل بنو حماد إلى بجاية وقل عدد سكان قلعة بني حماد¹.

أما صحن المسجد فيبلغ طوله 53.20م، وعرضه 26.90م، مفصول عن بيت الصلاة بجدار ذي أبواب مفتوحة في السور الذي يحيط به، أحدهما شرقي والثاني غربي والثالث من جهة الشمال، إن هذا الباب الأخير يؤدي إلى سلم عدد درجه يبلغ تسعة، فهو مسدود حاليا وكان الصحن مفرشا بالبلاط الأبيض ومحاط بالرواق، وفي وسطه تجد جبا يبلغ طوله 11.15م وعرضه 5.40م، وارتفاعه الداخلي 2.80م، مسقف بعقد مكسورة لم يبق إلا جزء منه².

¹ - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1977، ص 211.

- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص212²

توجد به ثلاث حجرات استعملت للوضوء، أما من الجهة الشرقية فقد تم العثور، على ما يرجح أنه مكتبة مفروشة بالبلاط الأبيض¹.

هذه المئذنة المبنية من الحجر تتألف من برج واحد فقد قمته، ويبلغ ارتفاعها 24.70م، لها قاعدة مربعة طول ضلعها 6.50م، ندخلها من باب عرضه 2.40م، يؤدي إلى سلم يدور حول نواة مركزية مربعة أضلعها وأبعادها 1.50م، وعدد درج السلم 127 درجة وعرضها 1.10م، وهي مستقلة بعقد نصف دائري في طرفيه، وفيه أربعة أجزاء وذلك إلى النافذة الكبيرة المفتوحة في الواجهة الجنوبية وتمتاز مئذنة قلعة بني حماد بالزخارف، التي تزين واجهتها الجنوبية التي تنقسم إلى ثلاث أجزاء².

جدول رقم 01: بطاقة تقنية لمئذنة قلعة بني حماد

إرتفاع المئذنة	طول ضلع قاعدتها(مربعة)	عرض بابها	عدد أدراج المئذنة	عرض أدراجها
24.70 م	6.50 م	2.40 م	127 درجة	1.10 م

المصدر: رشيد بورويبة بتصرف من الباحثة 2017.

صورة رقم 01: صحن المسجد الكبير لقلعة بني حماد



المصدر: صورة من النقاط الباحثة يوم 12 نوفمبر 2017

¹ - المرجع نفسه.

² - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 212.

صورة رقم 02: مئذنة مسجد قلعة بني حماد



مئذنة قلعة بني حماد هذه التي ترمز للشموخ والعظمة الدينية للأمة الإسلامية، والتي استطاعت تحليدها ونقلها في هذه الصورة، عندما كنت متجهة صوبها عبر مسجدنا لأدخل من باب مئذنته العتيق وأتفحص أجزائها، أحسست أن الزمن بيني وبين هذه المئذنة قد تجرد من ماهيته، وترك ذاكرتي صغيرة العمر تصطدم بذاكرة عمرها عمر الصخر، فكل زاوية فيه أي المسجد وكل درجة من درجات سلام مئذنته المئة و السبعة و العشرين "127"، وكل عمود من أعمدة صحن مسجده تحكي قصة خاصة بها، وكلما زاد عدد الدرجات التي ارتقيتها لأصل لسطح المئذنة التي كانت على علو يقارب كان يزداد معها انكسار نفسي وحجلها من مجاهدة تاريخ هذه الأمة، فكيف لنا أن نطل من سطح هذه المئذنة لنرى ماذا ارتكبنا من جرائم في حق هويتنا التي لاتزال تساءلنا بصخرها المتهالك عن المصير الذي كتبناه نحن لها ولا نزال نكتبه.

2- القصور

2-1 قصر البحر: تعتبر أقدم القصور المقامة بالقلعة ولقد شيده حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية في وسط القلعة بجوار المسجد الأعظم، يرى هذا القصر أيضا حيث يبلغ طوله 70م، وعرضه 67م ويبلغ ارتفاعه 10م، والبنية الرئيسية منه هي قصر الأمير¹، يتربع على مساحة قدرها 4767م وبه بحيرة يصل عمقها إلى 1.60م، والتي كما ورد في كتاب الاستبصار، حيث يقول: "كانت تلعب فيها الزوارق"²، تم إكتشافه من قبل القائد دي بيلي « Debilet »، واستكمل رشيد بورويبة ذلك سنة 1908م ولكن يبدو أنه اقتصر على كشف

¹ - عبد الرزاق عبد العزيز وضاح عز الدين: المرجع السابق، ص17.

² - ياسر صبري دياب، سمير مدور، بوسعادة لحسن : مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة تحت عنوان تهيئة المناطق السياحية الداخلية -دراسة قلعة بني حماد بالمسيلة-، ص38.

القسم العلوي من الجدران وذلك نظرا إلى المدة القصيرة التي بحث فيها وإلى عدد المباني الذي بحث عنها، حيث يقول: "بعدها إنتهينا من حفرة الجامع بدأنا العمل في قصر البحر ونظرا لعظمت القصر اقتصرنا في المرحلة الأولى على اكتشاف الواجهة الشرقية للقصر وبابه الشرقي والغرف الموجودة بين هذا الباب والحوض الشرقي"¹. حيث تتميز الواجهة المكتشفة ذات الأسطح المقعرة والنصف مستديرة عن يسار المدخل والملاحظة الملفتة للنظر في بناء القصر، أن تخطيط قاعات الجناح الشرقي تتجه من الجنوب إلى الشمال، بفتح جميعها نحو الغرب، والقصر في السياسة عبارة عن منشأة معمارية كبيرة من المباني مختلفة الاستعمال، وما زاد من فخامة هذا القصر كونه يشرف على بحيرة كبيرة تمتد على طول 67م وعرض 47م، و60م، وكانت المياه تجلب إليها عبر قنوات من الجهة الشرقية².

صورة رقم 03: أطلال قصر البحر



أثناء التقاط هذه الصورة أحسست بحق أن هذه الجدران المتآكلة والتي تكالب عليها غدر الزمن بظروفه من أمطار ورياح وشمس، وسلوك البشر من لامبالاة وتخريب، تعبر بحق عن الفاجعة الحضارية التي وصلت إليها الأمة الإسلامية الجزائرية، فجدران قلعة بني حماد لا تعبر عن نفسها فقط بل تعبر عن فكر الأمة التي تحتضنها،

¹ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 269.

² - عبد الرزاق عبد العزيز وضاح عز الدين: المرجع السابق، ص 17.

والتي لم تستطع حمايتها والمحافظة عليها فقلعة بني طويل مع كل صخرة تسقط منها تؤرخ لصمتنا القاتل في حقها ولا مبالاة المقصودة.

صورة رقم 04: واجهة قصر البحر



302 الصورة التي نشاهدها الآن تتكلم عن نفسها بدقة متناهية النظير فكل حروفي لم تستطع تكفين هذه الصورة ولا التعبير عن حالها، فهذه الصورة أبلغ من ألف نص .

2-2 قصر السلام: قام الاستاذ لوسيان قولفين الاسم « Lucien Golvin » بالبحث عنه أثناء الحفريات التي قام بها بقلعة بني حماد في سنة 1952 وبين 1960 و1962¹ يتكون هذا القصر من أربعة غرف وحجر صغيرة يؤدي مدخله الى قاعة مستطيلة يبلغ طولها 17.75م وعرضها 2.75م وبهذا القصر كذلك قاعات مختلفة الشكل والمقاسات².

2-3 قصر المنار: يقع على الهضبة المطلة على الوادي العميق الذي يشقه نهر وادي فرج وعلى بعد 30م من برج المنار، وقصر المنار يتألف من مجامع كبيرة البناءات بنيت حول ساحته المركزية يتقدمها مدخل بارز، الى الغرب من هذه الساحة نجد قاعات ذات تركيب متعامد تتقدمها غرفة متراكبة، وإلى الجنوب يطالعنا مدخل يشبه الأول في حين يفضي المدخل الأخير إلى مجموعة سكنية أخرى كانت قد بنيت على أنقاض أساسات البناءات الأولى يعني أنها ترجع إلى فترة متأخرة من بناء قصر المنار نفسه، أما إذا اتجهنا جنوبا فنجد وحدة سكنية مجهزة بمخزن

¹ - رشيد بورويبة : المرجع السابق ص 270.

² - خالد بالعربي: البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد ، دورية كان التاريخية ، العدد الخامس ، سبتمبر، 2009 ص 28، 30.

وبجوار الحوض وباتجاه البرج اكتشفت مباني أخرى تحت الأرض تحتوي على سلام لعلها كانت تشكل فرنا لتسخين المياه¹.

2-4 برج المنار: لهذا البرج قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 20م وواجهة مزينة بمشكوات نصف دائرية القعر فيشتمل على قاعتين موضوعتين إحداهما فوق الأخرى، إن القاعة السفلى مربعة ومسقفة بقبة والقاعة العليا صليبية الشكل، كان ممر الحراس يحيط بالقاعتين ويرتفع من مستوى القاعة السفلى إلى أعلى البرج حيث نجد آلة بالمرايا مثل آلة شوف الرياض².

المرجح أن برج المنار قد بدأ في إنشائه الناصر ثم أكمله المنصور وهو يسمى قصر المنار أو قصر الإشارات، كان هذا البرج واحدا من أبرز معالم الإبداع الهندسي الحمادي في القلعة³. وهو من أشهر ما بقي من آثارهم في عاصمتهم الأولى، وكانت حيطان هذا البرج مثلها مثل حيطان مغذنته، مصنوعة إلى الداخل من صخور كثيفة (حجارة غير منحوتة متشابكة) وأما من الخارج فحجارته منحوتة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين تحفظ في نفس الوقت أجزان الحجارة الداخلية من الحت والتآكل بعامل الزمن وتساعدتها على ذلك الكرات الموجودة في الحيطان والتي تبدأ من أساس البناء، وتنتهي قرب القمة، ومن الثابت أن البرج كان مغطى بقبة لم تزل آثارها ظاهرة⁴.

صورة رقم 05: الواجهة الأمامية لقصر المنار



¹ - عبد الرزاق عبد العزيز، وضاح عز الدين: المرجع نفسه، ص19.

² - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص203.

³ - عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص277.

⁴ - المرجع نفسه، ص262.

صورة رقم 06: الواجهة الخلفية لقصر المنار



المصدر: ألتقطت الصورة من طرف الباحثة يوم 22 ديسمبر 2017.

ما أحوج النفس للبكاء وما أقربها للاوجود عندما ترى وهن الأيام وشيخوخة المارة في فاصل زمني بين الحياة والموت فالقصر الذي يسمى بالمنار وكان يهدي السائل للطريق ويزهو بقوته فوق المرتفعات للفرد سهامه على الأعداء اليوم هو قابع في الظلام يبكي الضياع وينتظر الموت والإنتهاء هذه الكلمات هي ملخص حوار دار بيني وبين قصر المنار أنا لا أعرفه ولكن أطلاله كانت تذكرة عبور لسماع آهات هذه الجدران التي كانت تصدع بالنيران وصيحات التكبير في زمن كان لها فيه صدى ومقام لتغيب بنا في غياهب الصمت والنسيان.

2-5 قصر الكواكب

أثناء زيارتنا للموقع، وبعد إطلاعنا على عناصره المعمارية تسائلنا عن غياب قصر الكواكب فأجابنا المرشد السياحي أن العديد من أجزاء المنطقة الأثرية لاتزال مدفونة تحت الأرض ومن ضمنها قصر الكواكب والذي لانعرف عنه شيء إلا من خلال ماأورده المؤرخين في مخطوطاتهم وكتبهم ومن ضمن من تكلم عليه العلامة ابن خلدون حيث قال أنه يقع بين قصر البحر وقصر السلام، لكننا مازلنا نجهل مكوناته المعمارية وأهميته الإجتماعية والسياسية بالنسبة لبقية القصور المعروفة آنذاك¹.

1- عبد الرزاق عبد العزيز، وضاح عز الدين، المرجع السابق، ص18.

3- أبواب مدينة القلعة

تشتمل مدينة قلعة بني حماد على ثلاث أبواب رئيسية واسعة وهي: باب الأقواس، باب جراوة وباب الجنان شيدت على جانبي كل واحدة منها مراكز حراسة، بمثابة أبراج صغيرة مربعة الشكل لمراقبة الضواحي والأماكن المجاورة والداخلين والخارجين منها باستمرار¹، ولم يبق منها إلا الباب الأول ولعل مدينة القلعة كانت تشتمل على أبواب أخرى لم يتم إكتشافها بعد والجدير بالملاحظة أنه ليس لدينا معلومات خاصة بهذه الأبواب من حيث المكان المحدد لوجودها، وكل ما تشير إليه الدراسات هو فقط إثبات لوجودها.²

3-1 المساكن: الملاحظة التي أفردناها فيما يخص قصر الكواكب تنطبق على المساكن حيث لاتزال قابضة تحت الأرض تنتظر أن يسدل الستار لتحكي عن من عاش فيها وترسم لنا أبعاد ذلك المجتمع ولكن للأسف هذا يستلزم نصوصا تاريخية ووثائق عن الخطط ويتطلب حفريات و تقنيات ميدانية، ولكنها غير متوفرة، فالباحثون يستعينون فقط ببعض النقف والإشارات الواردة

في بعض المصادر التي تسمح لنا بتكوين فكرة عامة عن المسكن وأنواعه في مدينة قلعة بني حماد، لأن العمارة الإسلامية تحكمها ضوابط مشتركة تجعلها ذات سمات مشتركة تكاد تكون واحدة.³

305 منازل قلعة بني حماد لا تختلف من حيث الشكل ونمط البناء عن منازل المدن العربية فقد كانت مربعة الشكل في غالب الأحيان، لا تكتسي أي مظهر جمالي من الخارج ليس بها نوافذ مفتوحة على الشارع، وإن وجدت فهي نوافذ صغيرة لا تعرض الحريم للرؤية من الخارج.⁴

كانت أبواب المنازل مصنوعة من الخشب كان يتوسط منازل القلعة الفناء ليدخل إليها الضوء، وتوجد بهذه المنازل ممرات تصل الغرف ببعضها البعض، وكانت هذه المنازل تحتوي على قنوات لصرف المياه إلى خارج المدينة، كما كانت تقرب من بعضها البعض خاصة في الأحياء الشعبية الأهلة بالسكان وقد كان بناء جدران هذه المنازل يتم بالحجارة في الغالب الأعم.⁵

¹ - محمد تحريشي: أسس المكون الثقافي للحمايين، مجلة الفضاء المغاربي، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها بالمغرب العربي، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، العدد2، أبريل 2004، ص266.

² - خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 29.

³ - قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقتها بالإقليم (دراسة إجتماعية، إقتصادية)، دكتوراه في التاريخ (مرفونة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988، ج2، ص437.

⁴ - خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 29.

⁵ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 163.

3-2 أحياء المدينة: لا شك أن مدينة قلعة بني حماد كانت تشتمل على عدة أحياء كغيرها من مدن الدولة الحمادية، تقطنها طبقات اجتماعية مختلفة، والحقيقة أنه من الصعوبة بمكان أن نلم بجميع أحياء المدينة لأن الزمن قد أتى عليها، ويد الإنسان لم تبق منها شيئاً¹ ومن بين أحياء المدينة نعرف فقط اسم حي واحد وهو حي جراوة الذي يقع قرب باب جراوة².

3-3 الأحواض والجسور

❖ **الأحواض:** عددها ثلاثة، إكتشف الأستاذ قولفين « **Lucien Golvin** » إثنين منها قرب قصر المنار وعثر القائد دي بيلي « **Debilet** » على الثالث بجنوبي المدينة³. إن الحوض العلوي لقصر المنار مستطيل الشكل يبلغ طوله 4.90م وعرضه 1.30م وعمقه 0.90م تصل إليه قناة محفورة في الأرض الى زاويته الشمالية الشرقية وتخرج منه قناة من الرصاص في وسط جداره الجنوبي الغربي، ويقع الحوض السفلي جنوبي غربي الحوض العلوي ومستواه أقل من مستوى الأول بمترين، إن هذا الحوض مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 6.65م وهو مزين في داخله بمشكوات نصف دائرية القعر⁴. أما الحوض الثالث الموجود جنوبي المدينة فهو على شكل مستطيل يبلغ طوله الداخلي 12م وعرضه الداخلي 6م وعمقه نحو 1م وسمكه 1م، وهو محصن بدعائم نصف دائرية يبلغ قطرها 1م⁵.

❖ **الجسور:** كان لقلعة بني حماد عدة جسور بقيت آثار إثنين منها : أحدهما غربي المدينة على النهر الموجود بين قصر السلام وجبل القرين والثاني الذي يحمل إسم جسر سيدي عيسى موجود جنوبي المدينة وخارجها⁶.

3-4 سور قلعة بني حماد: كان هذا السور على شكل رجل كبش فيتبع الشط الغربي لوادي فرج من جهة الشرق ثم يتجه نحو الشمال إلى أن يصل إلى جبل تاقربوست ثم ينحدر نحو جبل قرين و ثم يتجه نحو الشمال ويعبر واديا ويتبع شطه الشرقي، وكان طول هذا السور المبني من الحجر يبلغ 7كلم وعرضه يتراوح بين 1.20م

¹ -خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 29.

² -رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 163.

³ -خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 29.

⁴ -رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 274.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ -رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 274.

⁴ -وزارة الثقافة ومديرية الثقافة لولاية المسيلة: مشروع مخطط الحماية وإعادة التأهيل للموقع الأثري قلعة بني حماد والمنطقة الحمادية، سنة 2010ص92.

عرفت المدينة الأثرية قلعة بني حماد المتواجدة على مستوى ولاية المسيلة، مشروع سطر من طرف وزارة الثقافة وبالتعاون مع مديرية الثقافة لولاية مسيلة لحماية وإعادة تأهيل المدينة الأثرية قلعة بني حماد، تحت عنوان مخطط الحماية وإعادة التأهيل للموقع الأثري قلعة بني حماد والمنطقة الحمادية أعدت سنة 2010، وقد تناولت الدراسة ثلاث جوانب رئيسية:

1- الجانب الأمني .

2- الجانب الإرشادي.

3- الجانب الخاص بإستصلاح وترميم القلعة .

1- الجانب الأمني

سطرت مجموعة من المقترحات الأمنية والتي من ضمنها: إحاطة كامل المنطقة الأثرية بسور متحرك سهل التركيب والتفكيك، ووضع كمرات مراقبة لتأمين المنطقة¹ (أنظر الصورة).

صورة رقم 07: صور نموذجية لكمرات المراقبة.



المصدر: مخطط الحماية والاستصلاح لقلعة بني حماد، ص 65.

لكن بعد المعاينة الميدانية للمدينة الأثرية وبعد مرور 8 سنوات على إنجاز الدراسة، لوحظ ماسطر من خطط أمنية لم يتم إنجازه. (أنظر الصورة).

صورة رقم 08: متندنة قلعة بني حماد



2- الجانب الإرشادي

سطر كذلك وضع لافتات إرشادية لتوجيه السياح، لإلجاناب وضع لافتات تحمل معلومات مفصلة عن المدينة الاثرية وهيكلها، وكذلك خريطة مفصلة لفهم كيفية التنقل في المدينة دون الحاجة إلى وجود مرشد سياحي في المنطقة¹. (إنظر الصورة).

308

صورة رقم 09 :لافتة إرشادية نموذجية



لكن رغم سهولة تجسيد هذه الخطوة وقلة تكاليفها وفائدتها، إلا أنه بعد المعاينة الميدانية لوحظ، عدم وجود أي لافتة إرشادية في الموقع.

¹ - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، المرجع السابق، ص70.

3- الجانب الخاص بتصليح وترميم القلعة

بسبب تدهور الجدران والأسقف، وصعوبة ترميمها، كانت الدراسة تحمل معطيات حول إنشاء دعائم لدعم الأسقف والجدران الآيلة للسقوط¹.
لكن رغم يسر تنفيذ هذه الدراسة بالذات، وأهميتها البالغة وخطورة الوضع التي آلت إليه جدران وأسقف الموقع، إلى أن الحالة الآنية للموقع بقيت على حالها دونما أي تدخل لإنقاذها من الزوال (أنظر الصورة).

صورة 10: جدران قلعة بني حماد بعد 8 سنوات



يحتوي الموقع الاثري للقلعة على جملة من الهياكل التي كانت معلم من المعالم الرئيسية للقلعة والتي من ضمنها خزان مائي للتخزين المياه ونظرا لقيمتها الأثرية، تم إعطاء أهمية بالغة لحفظه من الإندثار ولذلك نصت الدراسة على تغطية الخزان وإحاطته بشباك لحماية من العوامل المناخية².
ولكن حالة الخزان الموجودة داخل المسجد هي في تدهور مستمر بسبب تكالب العوامل المناخية والحركة الدائمة داخل الموقع (إنظر الصورة).

¹ - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010 المرجع السابق، ص70.

² - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص72.

صورة رقم 11: الصورة النموذجية للخزان بعد الترميم



الصورة رقم 12: الخزان حاليا



لم تغفل الدراسة عن الجانب الجمالي للواجهة الأثرية للقلعة، وخاصة أكوام الحجارة المتكومة بسبب عملية التنقيب عن الآثار، غير أنه وللأسف بقيت هذه الأكوام من الحجارة عند الواجهة لتشوه التحفة المعمارية للقلعة¹.

صورة رقم 13: الأتربة التي تشهوه واجهة القلعة



المصدر: مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص 73.

لوحظ من طرف الدارسين أن الموقع يعاني بشكل كبير من مياه الأمطار بسبب غياب قنوات الصرف الصحي²، وبعد سؤال المسؤولين عن القلعة وكذلك المرشد السياحي الموجود أكد أنه لم يتم إنجاز ما سطر في هذا الموضوع رغم مرور 4 سنوات على إنجاز الدراسة وتزايد خطر الأمطار.

¹ - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص 73.

² - المرجع نفسه.

أبرز معالم القلعة هي مئذنة الموقع التي لاتزال شامخة رغم مرور قرون على تشييدها لتشهد عن حقبة زمنية زاهرة من حقب التاريخ الإسلامي، ولكن للأسف الزمن بأحداثه الطبيعية له حق حتى على الصخر، ولم يرحم بقوته أثار المئذنة التي بدأت تشهد التصدع والتشقق في العديد من أدراجها وأسقفها، ولقد رصدت الدراسة كل شق وتصدع في المئذنة، وقدمت دراسة كاملة لترميمها¹، ولسوء الحظ كانت هذه الدراسة ولازالت إلى اليوم حبيسة الورق فقط (أنظر الصورة).

صورة رقم 14: التصدعات والشقوق التي تعاني منها القلعة بعد 8 سنوات من الدراسة



المصدر : مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص74.

موقع قلعة بني حماد المفتوح على الهواء الطلق جعلها تعاني العديد من المشاكل ومن ضمنها انتشار الحشائش الضارة والتي تهدد استقرار دعائم الجدران وتؤدي إلى التآكل السريع لها، إلى جانب تحول الموقع في الليل إلى ملجئ للكلاب الضال والحيونات البرية، وللأسف لم تتخذ أي إجراءات للحد من هذه المشكلة. (أنظر الصورة)²

صورة رقم 15: بعض الأعشاب الضارة المنتشرة في الموقع



المصدر: مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص74.

¹ - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص73.

² - المرجع نفسه، ص74.

ملاحظة: عندما كنت أتجول داخل المئذنة وأقوم بتفحص أجزائها لاحظت وجود ثقب على مستوى سقفها في إحدى الممرات، فبقيت هذه النقطة تشغل بالي فقامت بتفحص المشروع الترميمي للقلعة فوجد أن هذا الثقب صنعته الأمطار وكان من المفترض ترميمه ولكن الثقب لا يزال على حاله وهو ما زاد من نسبة تآكل الجدران وعدم استقرارها إلى جانب تشويه المنظر الجمالي للقلعة¹. (أنظر الصورة)

الصورة رقم 16: الثقب الموجود على مستوى المعلم



312

المصدر: مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص74

قلعة بني حماد الأثرية، التي هي الآن تحتضر بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة فهي بدأت تتداعى وجدرانها تتآكل، والمحير أنه لا يوجد أي مبادرة ملموسة لإنقاذها ودعمها لتبقى واقفة فقط، والجدير بالذكر أن قلعة بني حماد ماهي إلا صورة واحدة من الصور التي تفضح حالة الإرث المادي الموجود داخل الجزائر، ولربما قلعة بني حماد بجالتها المتهالكة هذه أحسن بكثير من حال العديد من المواقع الأخرى التي منها من زال وأندثر ومنها من لم يبقى منه غير أشباح وضلال تشبه الأثار، على غرار السويقة بقسنطينة، ومدينة أرايس الرومانية بولاية مسيلة والقصور الصحراوية كتماسين، والأمثلة على ذلك كثيرة وهي في تزايد مستمر، والموقع بحق أن هذه المواقع بدأت تموت بوتيرة أسرع من ذي قبل، وذلك بسبب ظهور جيل يجهل أن هذه المواقع هي امتداد لذاكرة وطن يباهي بانتمائه الضارب في أعماق التاريخ، فأين هو دور وزارة الثقافة والسياحة وهي ترى الجزائر تفقد هويتها يوم بعد يوم مع كل حجر يسقط من جدران هذه المواقع وأين هو دور المدرسة الجزائرية التي تتغنى بمناهجها وهي لم تستطع أن تنشأ جيل يؤمن بأن أمة بلا تاريخ هي شتات لا وجهة له .

¹ - مخطط الحماية وإعادة التأهيل لقلعة بني حماد، 2010، ص74.

التراث بكل صنوفه في وطننا الجزائر هو نافذة نطل بها على أنفسنا وهاته الجولة التي قمنا بها من خلال هذه الدراسة الأثرية الجغرافية التاريخية مسحت الكثير من الغبار عن أعينا وجعلتنا ننقل من خلالها حقيقة مشخصة للعيان من انتهاكات وتماديات بحق هذا الإرث وليس الخطأ منبعه الهيئات الوصية فقط بل هي جريمة شاركنا في صنعها معا في ذاكرة وطننا الأم ، سلبناها هويتها حجرا بحجر جردناها من أسمائها التي صنعتها بكفاح عمره مئات السنين وآلاف الأيام الجزائر بتقاطيعها من الشمال إلى الجنوب من الشرق إلى الغرب تبكي أطلالها تبكي النوميد والقرطاجين في قسنطينة و ضريح ماسينيسا تبكي الرومان في مداوروش بسوق أهراس وجميلة بسطيف وقصر تماسين في صحرائها تربي المسلمين في قلعة بني حماد بالمسيلة وقصور تلمسان الإسلامية، ففي بداية عملي هذا كنت طالبة تريد إنهاء واجب لكن عندما زرت أطلال قلعة بني حماد أدركت هول الانكسار الذي نصنعه بأنفسنا في إرث ليس لنا بل هو ذاكرة مشتركة في هوية نزجر دائما بأنها لنا لكن كل يوم نطمسها بأحذيتنا ونوهم نفسنا بالدفاع عنها بترقيعها بكلام عبر شاشة تلفاز أو في كتيب يتحدث على الآثار وطني لا يريد شعار يكفن فيه بلادي لا تريد احتفالات تكفي فيها كعوصم للثقافة والتراث وطني يريد أن يحتفظ بجذور ضاربة في عمق التاريخ بمسارح على الهواء الطلق يموت الغريب شوقا لينزل ضيفا عليها ويخلد نفسه معها في صورة بلادي ترجوكم أن تعيدوا لها أطرفها المشلولة.

1- قائمة المراجع

- 1- إين منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير محمد، أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، ج1.
- 2- بوروية رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، دط، الجزائر، 1397هـ/1977م.
- 3- عبد الكريم عزوق: التراث الأثري أنواعه أهميته حمايته وإستغلاله كثروة إقتصادية، جامعة الجزائر2.
- 4- عبد الناصر بن عبد الرحمان الزهراني، إدارة التراث العمراني، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 2012.
- 5- مديرية التعمير والبناء لولاية المسيلة، مكتب الدراسات والإنجازات في التعمير، مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لمجموع البلديات المعاضيد، المطرفة، السوامع، مارس2016.
- 6- وزارة الثقافة ومديرية الثقافة لولاية المسيلة مشروع مخطط الحماية وإعادة التأهيل للموقع الأثري قلعة بني حماد والمنطقة الحمادية، 2010.
- 7- ريهام كامل الخضراوي، الحفاظ على التراث العمراني بتحقيق التنمية المستدامة من خلال المؤسسات المجتمع المدني، أطروحة ماجستير تحت إشراف عمر محمد الحسن وآخرون، جامعة عين شمس، مصر، 2012.
- 8- عبد الرزاق عبد العزيز، وضاح عز الدين: تخطيط مشروع سياحي بالمدينة الأثرية-قلعة بني حماد، مذكرة التخرج لنيل شهادة مهندس دولة في تسيير التقنيات الحضرية، دفعة2006-2007.
- 9- قدور أحمد، المدن الموحدية وعلاقتها بالإقليم، دراسة إجتماعية، إقتصادية، دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988، ج2.
- 10- ياسر صبري دياب، بوسعادة لحسن، سمير مدور: مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة تحت عنوان تهيئة المناطق الداخلية دراسة قلعة بني حماد بالمسيلة.
- 11- خالد بالعربي: البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد، دورية كان التاريخية، العدد5، سبتمبر2009.
- 12- محمد تحريشي، أسس المكون الثقافي للحماديين، مجلة القضاء المغاربي، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها بالمغرب العربي، جامعة ابي بكر بلقايد، العدد2، أفريل2004.
- 13- ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الجول العربية وتنميته، الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة، 2003.

القدس في الشعر العبري الحديث

أ.د. فائزة عبد الأمير نايف الهديب

جامعة بغداد - كلية اللغات - العراق

مقدمة:

تحتل مدينة القدس بأهمية مركزية لدى اتباع الديانات الثلاث، وهي واحدة من أقدم مدن العالم، وقد تعرضت للغزو والتدمير وإعادة البناء مرات ومرات، وكانت محط أنظار البشرية منذ العصور الأولى، فهي مهد المسيحية وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة للإسلام، ويعتبر اليهود الحائط الغربي (البراق) الواقع أسفل باحة حرم المسجد الأقصى آخر بقايا المعبد اليهودي (المهيكل) الذي دمره الرومان في العام 70، وهو أقدس الأماكن لديهم.

ومن هنا، تشكل فلسطين متغيراً رئيساً في الاديات الصهيونية، إذ تحتل الارض الفلسطينية مكانة كبيرة لدى اليهود لقدسيتهما، وان العودة لها تضمن لليهود حياة متكاملة وتكون لهم مسكناً ومستقراً بضمانة إلهية بحسب زعمهم. إذ ورد اسم القدس في التوراة 6400 مرة، لم يعرف مصدر هذا الاسم، سميت في عهد القضاة (ييوس) وبعد أن سيطر عليها الملك داوود سميت مدينة داوود حيث أقام عليها المذبح، وعندما تجزأت مملكة سليمان في عهد (رحبعام) إلى مملكتي (يهودا) و(إسرائيل) بقيت القدس عاصمة لمملكة يهوذا فقط.¹ وتأسيساً على ما تقدم، بدأ تسليط الضوء على القدس بشكل أو بآخر في التعبئة الفكرية الابدلوجية للحركة الصهيونية وبدأ يتشكل في المخيلة اليهودية تصور خاص عن المدينة وأطلقت عليها العديد من التسميات، منها: مدينة الله، ومدينة داود، ومدينة الملك العظيم، ومدينة يهوذا، وأرائيل، ومدينة العدل، وشاليم، ومدينة صهيون، وقدس الذهب.

ومن هذا المنطلق دأب آباء الحركة الصهيونية ومنظروها منذ مطلع القرن المنصرم على ترسيخ ما يسمونه الهدف الأعظم في أذهان يهود العالم وهو احتلال القدس وجعلها عاصمة لدولتهم إسرائيل.² ويركز هذا البحث على الشعر العبري الذي تناول مدينة القدس حيث يتناول القصائد العبرية التي تصف العودة الضرورية لصهيون/اورشليم، لإنشاء الدولة اليهودية، ليكون الشعر بمثابة مرآة عاكسة لطموحات الحركة الصهيونية، ليهتم الشعر العبري بغرس المفاهيم الصهيونية، القائمة على العودة وعدم التنازل لتكون القدس بمثابة القلب من جسم الإنسان.

¹ معجم المصطلحات الصهيونية: إعداد: أفرايم ومناحم تلمي، (ص228-229) ترجمة: أحمد بركات العجومي، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث ط1، 1987.

² محمد عقل هلسة، القدس في الفكر التوراتي الصهيوني، <https://www.palinfo.com/5506>

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث كونه يعرض للقصائد العبرية التي تتناول مدينة القدس حياً وشوقاً ودعوة للاستقرار فيها، لتكون محرضاً لليهود على العيش في صهيون / اورشليم، بالاعتماد على النصوص الدينية المستمدة من التوراة، لإضفاء الصبغة الدينية على تلك المفاهيم الصهيونية الداعية الى الهجرة، التي تعد عملاً مقدساً واجب تحقيقه. ومن خلال تحليل القصائد العبرية، سنحاول الإجابة عن السؤال المركزي للبحث: هل نجحت القصائد العبرية في استثارة مشاعر اليهود ودفعهم باتجاه مناصرة الحركة الصهيونية من خلال الهجرة الى صهيون/ اورشليم؟

المنهجية: اعتمد البحث على استخدام المنهج التحليلي لنصوص بعض القصائد العبرية واستنباط أهم الأفكار التي عبرت عنها، وتتبع ربط الشعر بالنصوص التوراتية، التي تتمثل في استحضار المفاهيم الصهيونية، والتيار يدلها تكون محركاً رئيساً لجمع اليهود في فلسطين، عبر استعمار الارض وتغيير تركيبها السكانية.

هيكلية البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث محاور وخاتمة تلخص نتائج البحث، حيث تناولت المقدمة الاعتبارات التي تستند اليها فلسفة التعليم الإسرائيلي، تناول المحور الأول مكانة القدس في النصوص التوراتية. أما المحور الثاني فقد اختص بتحليل بعض القصائد العبرية حيال القدس في العصر الوسيط، واهتم المحور الثالث، بتتبع بعض القصائد العبرية التي كانت تمثل توجهاً صهيونياً داعياً إلى الهجرة للمدينة المقدسة.

أولاً: القدس في النصوص التوراتية

للقدس مكانة هامة في الروح اليهودية التي تشيد بالمدينة المقدسة في الأدب التوراتي، وتنبع قدسية مدينة القدس في التراث اليهودي من "جبل الهيكل" المكان الذي أُقيم عليه الهيكل الاول والثاني، حيث كان محفوظاً "تابوت العهد" الذي يحتوي على الوصايا العشر، التي أنزلها الله على النبي موسى، وهي موجودة في العهد القديم. وظلت تتردد عبارة "السنة القادمة في اورشليم" في عيد الفصح منذ السبي البابلي وحتى قيام اسرائيل، والتي تدل على الرغبة في العودة الى صهيون.

ولهذا، تشكل القدس المركز الروحي والقومي لليهود، ولتعزير العلاقة بين المكان والدين، فان الهجرة الى صهيون/ اورشليم تعد واجباً وشرطاً لضمان التواصل بين اليهودي ومركزه الروحي. وهي العاصمة التي لا يمكن للإله أن يستقر أو يُعبد إلا فيها "الرب اختار صهيون واشتهاها مسكناً له". ويطلق على القدس اسم "صهيون" في الموروث الديني حيث تضم جبل صهيون وقبر داود و"حائط المبكى".

وبحسب ما جاء في سفر اشعيا 60/1-18 فإن مجد اورشليم يعود، "1 قومي استنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك. 2 لأنه ها هي الظلمة تُعطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يرى. 3 فتسير الأمم في نورك، والمملوك في ضياء إشراقك. 4 ارفع عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد وتحمّل بنائك على الأيدي. 5 حينئذ تنظرين

وَتُبِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكَ وَيَتَسَّعُ، لِأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكَ تَرَوْهُ الْبَحْرُ، وَيَأْتِي إِلَيْكَ غِنَى الْأُمَمِ. 6 تُعْطِيكَ كَثْرَةَ الْجَمَالِ،
بُكْرَانُ مَدْيَانَ وَعَيْمَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ.

كما تم العثور على قصيدة قديمة أخرى تتحدث عن الارتباط اليهودي بالقدس داخل لفيفة في خربة قمران،
يبلغ عمرها أكثر من 2000 سنة، يقول الشاعر فيها: ¹

- نعمة أنبياءك يا اورشليم لا تُنسى وتمجد أعمال صديقك. لقد تم قطع الشر والأكاذيب والظلم.
- سوف يفرح أطفالك وأولئك الذين يحبونك سوف يتبعونك. يا صهيون، كان الكثيرون يأملون في خلاصك
وينبئون عليك باستمرار.

- لن تضيع أبداً يا صهيون ولن تنسى أبداً. سوف ينقذك العدل في حين أن الشر سوف يضر. يتم الحكم
على كل شخص من خلال سلوكه، ووفقاً لأفعاله ستتم مكافأته.

- اعدائك في كل مكان، يا صهيون، تم قطعهم وأولئك الذين يكرهونك سيكونون مشتتين. إن عبير
صلاحك يا صهيون لطيف، يبارك كل الأرض. إلى الأبد يا اورشليم، أنت بركة، من كل قلبي احبيكم.
و ينظر عدد من الباحثين إلى الكتاب المقدس على أنه في احد جوانبه يعد عملاً شعرياً، وفي مقدمته كتاب
المزامير، وأن نثر إشعياء أو عاموس هو أيضاً شعراً عبرياً والتي تُقرأ في الكنيس على أساس يومي أو أسبوعي
اثناء الصلوات. ²

317 ويصف ارميا في رثائه للقدس بعد تدميرها وسقوطها وتشريد سكانها حال المدينة: ب "نواح اورشليم": ³

1:1 كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب كيف صارت كأرملة العظيمة في الامم السيدة في البلدان
صارت تحت الجزية

2:1 تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها ليس لها معز من كل محبيها كل اصحابها غدروا بها صاروا لها
اعداء

3:1 قد سببت يهوذا من المذلة و من كثرة العبودية هي تسكن بين الامم لا تجد راحة قد ادركها كل طارديها
بين الضيقات

4:1 طرق صهيون نائحة لعدم القادمين الى العيد كل ابوابها خربة كهنتها يتنهدون عذارها مذلة و هي في
مرارة

5:1 صار مضايقوها راسا نجح اعداؤها لان الرب قد اذلها لأجل كثرة ذنوبها ذهب اولادها الى السبي قدام
العدو

6:1 وقد خرج من بنت صهيون كل بهائها صارت رؤسائها كايائل لا تجد مرعى فيسيرون بلا قوة امام الطارد

¹ Jewish Poets Yearning for Jerusalem throughout History , <https://bit.ly/2EOq4uH>

² BEREL WEIN, GOD'S POETRY, <https://www.jpost.com/Jewish-World/Judaism/Gods-poetry>

³ سفر مراثي ارميا، (الاصحاح الاول / 7-1).

7:1 قد ذكرت اورشليم في ايام مذلتها وتطوحها كل مشتيتها التي كانت في ايام القدم عند سقوط شعبها بيد العدو و ليس من يساعدها راتها الاعداء ضحكوا على هلاكها ولا تجد راحة.

وبنفس المعنى، كتبت الشاعرة الأمريكية جويس كيلمر ذات مرة: ان "القصاصد يصنعها الحمقى مثلي، ولكن الله وحده يستطيع أن يصنع شجرة... والله ينظم الشعر أيضا".¹

ولعل التغييرات الأدبية التي شهدتها الأدب اليهودي في حقبة السبي البابلي التي مر بها بنو إسرائيل على مر تاريخهم، افضت الى ظهور الشعر بوصفه نوعاً أدبياً جديداً، وتحديدًا في سفر المراثي الذي ضم خمسة أناشيد شعرية منفصلة، اتسم بعضها بالاتصال الموضوعي واللغوي مع بعض، واتسم الأسلوب فيها بدعوة الرعوية الدينية والموقف اللاهوتي، وغُنيت هذه الأناشيد نحيبًا على زوال اورشليم والنظر في أسباب هذا الزوال. كما أن عددًا قليلًا من المزامير مستمدة من هذا العصر وخصوصًا المزمورين 9 و10؛ إذ إنه يأتي على شكل مرثية للفرد والشعب.

ثانيا: القدس في شعر العصر الوسيط

تشكل الادب العبري في العصر الوسيط نتيجة احتكاك اليهود بالثقافات المختلفة للشعوب التي عاشوا بينها، إذ اسهمت في بلورة الادب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة. وخلال العصور الوسطى وبعد الفتح الإسلامي للأندلس عام 711 بدأ الشعراء اليهود في التأليف بالعربية وفيما بعد بالعبرية، منهم سليمان بن جابرول، موسى بن عزرا، صموئيل هناغيد ويهودا هاليفي.

ويعتبر مؤرخو العصور الوسطى ان العصر الذهبي الذي عاشته الجماعات اليهودية يقع ما بين القرنين 9 و13 وتمكن اليهود في ظل حالة التسامح الاسلامية من القيام بأدوار مؤثرة في الساحتين السياسية والثقافية في الاندلس.²

ومن هنا، كانت الأندلس مركزًا رئيسًا للحياة اليهودية خلال العصور الوسطى المبكرة، حيث أنتجت علماء وادباء، وواحدة من أكثر المجتمعات اليهودية ثراءً وتعلمًا. تزعم ماريا روزا مينوكال، المتخصصة في الأدب الأيبيري في جامعة بيل ان "التسامح كان جانبًا متأصلًا في المجتمع الأندلسي".³

وبنفس المعنى، تعد الاندلس أكبر مركز لليهود خصوصًا بعد 912، في عهد عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم، إذ ازدهر اليهود ثقافيا، وبرزت منهم شخصيات بارزة شغلوا مناصب عالية في خلافة قرطبة. كما عرفت هذه المرحلة الكثير من الفلاسفة اليهود وعلماء الرياضيات وعلماء الفلك والشعراء والباحثين الذين كرسوا أعمالا ثقافية وعلمية غنية للغاية، قاموا بتأليف العديد من النصوص الأكثر قيمة في الفلسفة اليهودية.

¹ BEREL WEIN, GOD'S POETRY, op.cit.

² ספרות האמונה בימי הביניים, שיעור מפי הרב אורי שרק, מתוך הסדרה מבוא לתורה שבעל פה, אתר מכון מאיר.

³ Golden age of Jewish culture in Spain, <https://bit.ly/2V9hxrl>

ومن بين ابرز شعراء هذه المرحلة **يهودا هاليفي (1085-1111)**، وهو أحد الشعراء اليهود الكبار في الاندلس ابان في العصور الوسطى، تلقى تعليمه في الدراسات اليهودية التقليدية، وفي الأدب العربي، وفي العلوم والفلسفة اليونانية التي كانت متوفرة باللغة العربية. كان طبيياً ومشاركاً نشطاً في الشؤون المجتمعية اليهودية.¹ وجمع هاليفي بين الدين والسياسة، وطالب بـ "العودة إلى القدس". وعلى الرغم من أن نداءه الحماسي إلى معاصريه بالعودة إلى "صهيون" قد يتم تلقيه بلا مبالاة أو حتى بالسخرية، وكتب قائلاً "هل يمكننا أن نأمل في أي ملجأ آخر سواء في الشرق أو في الغرب حيث يمكننا العيش في أمان؟" يصبح لأحد خصومه. وبث في قصيدته اللوعة والاسى على فقدان القدس وصهيون، بقوله:²

قلبي في الشرق

قلبي في الشرق، وأنا في أقاصي الغرب.
كيف أتذوق ما أتناوله وكيف يمكن أن يكون سعيداً لي؟
كيف أجعل نذوري وروابطي، حتى الآن
صهيون يقع تحت معقل أدوم، وأنا في سلاسل أدوم؟
سيكون من السهل بالنسبة لي أن أترك كل خير اسبانيا -
كما هو غالي بالنسبة لي أنظر غبار الحرم المقدس.

יהודה הלוי /

לבי במזרח
לבי במזרח ואנכי בסוף מערב
איך אטעמה את אשר אכל ואיך יערב
איכה אשלים נדרי ואסרי, בעוד
ציון כחבל אדום ואני ככבל ערב
יקל בעיני עזב כל טוב ספרד, כמו
יקר בעיני ראות עפרות דביר נהרב.

وكذلك ما كتبه ناخمانديس، وهو شاعر يهودي معروف في العصور الوسطى عاش في إسبانيا، هاجر إلى فلسطين حوالي عام 1263. وكتب قصيدة عن القدس قال فيها: "ولكن الخسارة في كل هذا وكل من أعظم المجد الذي شاهدته عيني قد تم تعويضه من خلال الاستمتاع بفرحة يومك في محاكمك يا أورشليم، زيارة أنقاض الهيكل، والبكاء على الحرم المهجور".³

¹ <https://bit.ly/2Slx4lW>Judah Halevi

² Golden age of Jewish culture in Spain, <https://bit.ly/2V9hxrl>

³ Ibid.

اما دوناش بن لبراط (920-990) هو صاحب الانقلاب الكبير في الشعر العبري، حيث دعا من مدينة قرطبة الشعراء اليهود أن يزونا أشعارهم طبقاً للبحور العربية فتعرض لنقد عنيف من بعض الشعراء اليهود أمثال إسحاق بن قبرون، وأحدث ابن لبراط تطويراً على الشعر العبري فأضاف أغراضاً جديدة كالإخوانيات والخمريات والوصف والهجاء.

اما قصيدته "D'rorYikra" فتدور حول حلم العودة إلى صهيون. إن صور البقاء مستيقظاً وقضاء الليل وسط التوابل العطرة في حديقة الرمان المليئة بالنوافير والأدوات الموسيقية تثير الحضور في مأدبة، لكن بداية القصيدة يمكن أن تشير أيضاً إلى بيئة دينية محددة. ويبدو أن القصيدة يمكن أن تشير إلى ذكرى الهيكل. وتختتم بدعوة لاستعادة صهيون وتذكير القارئ انه فقط ومن خلال حفظ الوصايا سيسمح ذلك بالعودة.¹

ثالثاً: الشعر العبري الحديث وقصائد عن القدس

ظهر الشعر العبري الحديث لأول مرة في أوروبا خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهو مازال ظاهرة جديدة تصاعدت منذ قرن مضى، اغلب شعرائه من روسيا القيصرية والإمبراطورية النمساوية المجرية. الذين استمدوا من اللغات الوطنية التي يتكلمون بها مفرداتهم الخاصة ليضعوها في اشعارهم باللغة العبرية. يروجون لمفهوم إيديولوجي واضح مفاده: عودة اليهود إلى أرض إسرائيل التوراتية.

ومن هنا فإن الادب العبري واكب تاريخ الحركة الصهيونية، وبقي مرتبطاً بها. يعبر عن مصالحتها وأحزانها ونكساتها، واشترك شعراء العصر الحديث في النظر الى محور الموضوع نفسه وهو القدس وتاريخها، الا ان الزوايا التي نظروا منها الى القدس كانت مختلفة باختلاف مناهج الشعراء الادبية وبطريقة نظرهم الى الماضي وربطه بالاحداث المعاصرة. ولعل خير ما يوضح ذلك عدة قصائد تم اختيارها لشعراء محدثين هم: دافد روكيح² 717 716 715 714 713 712 711 710 709 708 707 706 705 704 703 702 701 700 699 698 697 696 695 694 693 692 691 690 689 688 687 686 685 684 683 682 681 680 679 678 677 676 675 674 673 672 671 670 669 668 667 666 665 664 663 662 661 660 659 658 657 656 655 654 653 652 651 650 649 648 647 646 645 644 643 642 641 640 639 638 637 636 635 634 633 632 631 630 629 628 627 626 625 624 623 622 621 620 619 618 617 616 615 614 613 612 611 610 609 608 607 606 605 604 603 602 601 600 599 598 597 596 595 594 593 592 591 590 589 588 587 586 585 584 583 582 581 580 579 578 577 576 575 574 573 572 571 570 569 568 567 566 565 564 563 562 561 560 559 558 557 556 555 554 553 552 551 550 549 548 547 546 545 544 543 542 541 540 539 538 537 536 535 534 533 532 531 530 529 528 527 526 525 524 523 522 521 520 519 518 517 516 515 514 513 512 511 510 509 508 507 506 505 504 503 502 501 500 499 498 497 496 495 494 493 492 491 490 489 488 487 486 485 484 483 482 481 480 479 478 477 476 475 474 473 472 471 470 469 468 467 466 465 464 463 462 461 460 459 458 457 456 455 454 453 452 451 450 449 448 447 446 445 444 443 442 441 440 439 438 437 436 435 434 433 432 431 430 429 428 427 426 425 424 423 422 421 420 419 418 417 416 415 414 413 412 411 410 409 408 407 406 405 404 403 402 401 400 399 398 397 396 395 394 393 392 391 390 389 388 387 386 385 384 383 382 381 380 379 378 377 376 375 374 373 372 371 370 369 368 367 366 365 364 363 362 361 360 359 358 357 356 355 354 353 352 351 350 349 348 347 346 345 344 343 342 341 340 339 338 337 336 335 334 333 332 331 330 329 328 327 326 325 324 323 322 321 320 319 318 317 316 315 314 313 312 311 310 309 308 307 306 305 304 303 302 301 300 299 298 297 296 295 294 293 292 291 290 289 288 287 286 285 284 283 282 281 280 279 278 277 276 275 274 273 272 271 270 269 268 267 266 265 264 263 262 261 260 259 258 257 256 255 254 253 252 251 250 249 248 247 246 245 244 243 242 241 240 239 238 237 236 235 234 233 232 231 230 229 228 227 226 225 224 223 222 221 220 219 218 217 216 215 214 213 212 211 210 209 208 207 206 205 204 203 202 201 200 199 198 197 196 195 194 193 192 191 190 189 188 187 186 185 184 183 182 181 180 179 178 177 176 175 174 173 172 171 170 169 168 167 166 165 164 163 162 161 160 159 158 157 156 155 154 153 152 151 150 149 148 147 146 145 144 143 142 141 140 139 138 137 136 135 134 133 132 131 130 129 128 127 126 125 124 123 122 121 120 119 118 117 116 115 114 113 112 111 110 109 108 107 106 105 104 103 102 101 100 99 98 97 96 95 94 93 92 91 90 89 88 87 86 85 84 83 82 81 80 79 78 77 76 75 74 73 72 71 70 69 68 67 66 65 64 63 62 61 60 59 58 57 56 55 54 53 52 51 50 49 48 47 46 45 44 43 42 41 40 39 38 37 36 35 34 33 32 31 30 29 28 27 26 25 24 23 22 21 20 19 18 17 16 15 14 13 12 11 10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

سمو اشجار الارز، يقول في اول قصيدة " ירושלים " :

אבני אלטש ער תשקוף

תשוקתי בן

גאות-אורנים ושרף ליבם.

¹ Sephardic Poets of the Jewish..Golden Age of Spain, http://kehillatisrael.net/docs/learning/sephardic_poetry.html#part3

² (دافد روكيح) ولد في بولندا عام 1916 ، ودرس الهندسة الالكترونية في جامعاتها، ثم عاش في القدس المحتلة، وبدأت اعماله الشعرية بالصدور منذ عام 1939 والقصيدة مذكورة في كتاب:

Ruth Finer Mintz, Modern Hebrew Poetry, University Of California Press 1968, pp. 277 – 279

سأصقل احجارك حتى تصبح مرآة

فاشواقي بها

فخار اشجار ارز وحرقة قلبها

ويستمر الشاعر في نظرتة العلوية الى المدينة المقدسة اول النهار، فيرى في سقوط حزم الاشعة الذهبية على

جدران المدينة، وانعكاسها الممتزج بقطرات الندى البلورية خليطا رائعا يشبهه بمجرى ماسي محيط بفتين

ذهبيتين، فيقول :

בגבישי-שחרית

אאצור

בבואת יומך

המשכים על חומת עיר

כשבלת - אור

על אשדת - שמור בנדון מכתש - ארר

ببلورات سحر

ساحزم

انعكاس يومك

المبكر على سور المدينة

كسنبلة نور

على سيل ماسي

في غلاف هاون برونزي

ثم ينتقل الى اشواقه وهو الشاعر الحالم، وحلمه هنا كفهد يريده الشاعر ان يستمر في الجريان عبر الاراضي

الشاسعة حتى يصل الى القدس ويصطدم بجدران القدس الصقيلة كالمرايا، فهناك فقط تستقر اشواق الشاعر

واحلامه :

"אבניך אלטש ער ירוץ חלומי בך

כיובל ערוץ מרשיך

תשוקתך . נפד

ساصقل احجارك حتى يجري حلمي بك

كفهد يصدم احجارك

اشواقك ايها الجوال

اما القصيدة الثانية فهي "الفصح في اورشليم" פסח בירושלים" للشاعر افيكودور همييري¹، وفيها ينتهز الشاعر مناسبة عيد الفصح للتعبير عن الحلم التاريخي القديم لليهود والمتمثل بالأمل في ظهور الملك - المسيح الذي يعتقد اليهود بظهوره من ذرية الملك داود لينقذ بني اسرائيل من تفرقهم فيوحدهم ويجمعهم في الارض المقدسة ليعيد الاجماد التي خسرها اليهود عشرات القرون.

يبدأ قصيدته بوصف ما يحصل في الفصح في الاجواء ويذهب الى ان كل الملائكة المحبين لليهود وللأرض المقدسة يجتمعون في هذه المناسبة في القدس، ويتجمع الملائكة يتجمع في الشاعر الف ربيع، وتعود الى الحياة، في قبورها، هياكل موتى تلك السنين الطوال ابتهاجا بالفصح، فيقول:

מלאכי - עגבים זמררו היום בירושלים

אלפי אביבים פדחסף בי היום

ומקברו ינשום שאש כל שלד מת

انشدت الاشباح اليوم في اورشليم

وتجمع بي اليوم الف ربيع

من قبورها تنفست شمسا كل هياكل الموتى

واذ يرحب بالملائكة القادمين للاحتفاء بعيد الفصح يعلن عن امله - الحلم بظهور المسيح المنتظر، اي مخلص منقذ كان، ويكشف عن ايمان قوي لا حدود له بإمكان قدوم القائد الذي سيحرك قومه ويدفعهم نحو الارض المقدسة واستعادة الملك القديم: وهو الذي طال انتظاره :

היו ברוכים לי ריחות , שליחי אל היבול

מחכה אני היום - מחכה אני כעת

למשיח , למדיח - למי שיבא

ובלבד שיבוא

הג הפסח היום ולאקונה אין חקר

بوركت ايتها العطور، رسل لرب الغلال

منتظر انا اليوم ، منتظر انا الان

لمسيح محرض - لمن يأتي

لو يأتي فقط :

فالיום عيد الفصح ولا حدود للإيمان.

وعيد الفصح وقت مناسب، كما يرى الشاعر لظهور المسيح وقدمه المنقذ، ففي اجوائه وفي ساحات اورشليم المزدانة بالحضور الالهي، تسمع اصوات الاف القبل الغابرة التي كانت تعبق بها شوارع المدينة ومقدساتها في

¹ (افيكودور همييري) ولد في هنغاريا عام 1890 ، ودرس في المعهد الرياني في بودابست، عمل ضابطا في الجيش الهنغاري خلال الحرب العالمية الاولى واخذ اسيرا في روسيا . عاش في اوديسا حتى سنة 1921 ومنها غادر الى فلسطين وعمل في الصحافة الادبية والقصيدة منشورة في : رות פ"נרמ'נץ. ש.ם. עמ' 103 .

الماضي القلسم. لكن الاله مازال غاضبا على بني اسرائيل واستجابته لهم ما زالت مكتومة برغم دعائهم وتباكيهم المستمر، فيبكي العالم في عين الشاعر، وتنبع من قبور ابايهم الاغاني الدامية :

אלפי נשיקות עבר מריעות היום בירושלים
העולם מתפח בתגובת אל נחנקת
ומקברות אבתי בוקע שיר הרדם
الاف قبل ماضية تصوت اليوم في اورشليم
وييدا العالم بالبكاء برده فعل الاله المختلفة
ومن قبور ابائي تنفجر اغنية الدم.

ويعود الشاعر الى الامل القلسم فيتوجه الى المدينة المقدسة ليسالها راجيا، ان كان قد آن الاوان لان تحمل بالملك المسيح، وان كانت كريمة لتفرش له فراش عرس دافئ لتتجنب من اعماق جوفها المنقذ المنتظر، السيد المسيح :

ירושלים , ירושלים עיר התפלה והצחיה
התצניעי לי היום מצע - כלולוח חם
לנשיקות בעל נעוריד , לחתן - הדמים
לאבל - הדמים

להוליד מתחת לבן את מלך המשיח?

اورشليم ، اورشليم ، مدينة الصلاة والجفاف
هل تبسطين لي اليوم سرير - عرس دافئ
لقبله بعل صباك ، لزوج الدم
لحزين الدم

لولادة الملك المسيح من تحت قلبك؟

والشاعر في الابيات الاخيرة يفيد الطرح اللاهوتي الذي حفل به سفر ارميا على الخصوص ، والذي رمز الى علاقة الاله بني اسرائيل بعلاقة الزوجة بزوجها . واذا زنت اسرائيل بالهة الامم الاخرى رذها الرب لأنها تنجست، ولكنه طلب من ارميا ان يذهب وينادي في اذني اورشليم قائلا : (ارميا 2 : 2) " הָלֹךְ וְקָרָאתָ בְּאָזְנֵי יְרוּשָׁלַם לְאמֹר, כֹּה אָמַר יְהוָה, זָכַרְתִּי לָךְ חֶסֶד נְעוּרַיִךְ, אֲהַבְתְּ כְּלֹלֶתְךָ-- לְכֹתֶךָ אֲחֵרֵי בְּמִדְבָר, בְּאֶרֶץ לֹא זְרוּעָה □ "

" اذهب وناد في اذني اورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: قد ذكرت لك غيرة صباك، محبة خطيتك، ذهابتك وزائني في البرية في ارض غير مزروعة."

وكان الشاعر على يقين من العفو الالهي المستمر على الرغم من كثرة الخطايا القوم واصرارهم على اقترافها.

اما القصيدة الثالثة فهي للشاعر اوري تسفي غرينبرغ¹، الذي كرس اكثر شعره لوصف اوضاع اليهود وما حل بهم في اوربا، وعبر عن غضبه على الصمت الالهي تجاه احوال اليهود بني قومه. ومحور قصيدة كرينبرك التي عنوانها "لمרגלותיך ירושלים" - "عند موضع قدميك اورشليم" هو المجد الخاص الذي تميزت به هذه المدينة المقدسة عن سائر البلدان والمدن، وربط ذلك بما يعانیه ابناء تلك المدينة وورثة مجدها الغابر في الزمن الحاضر.

يبدأ القصيدة بمظاهر قدسية المدينة وعلو شأنها عند كل الامم فالملوك يخرون كالعبيد امامها، ويتسارعون متنافسين لاعمارها وبناء الصرح فيها حبا في المجد والبهاء فيقول :

ملכים מטילים עטרות למרגלותיך ונפלים על
פניהם והם אז עבדים נפלאים לך ולאהלך
גם רומא שולחת את שישה . בדלחה וזהבה
להקים בך מקדש על פסגה לשם ולתפארת
يرفع الملوك التيجان عند قدميك ويسقطون على وجوههم
وهم عندئذ عبيد رائعون لك ولاهلك

كذلك روما ارسلت رخامها ، لؤلؤها وذهبها
لإقامة مقدس قمة فيك للمجد والبهاء

اما اليهود، وهم عند الشاعر (الابناء الحقيقيون) للمدينة المقدسة، متشردون في بقاع الارض وبين الامم
بملايسهم الرثة وارجلهم الحافية، واذا اقدموا الى القدس فهم عراة حفاة عبيد للمالكين:

ואנו . אנו בניך ובנותיך

היחפים . שבאו אליך מקצוי העולם מוודים

אנחנו כמף שהבנו פנ בנים

לנלכות : לצבר הגדול מאליו ולגלי הכפים

ونحن، نحن ابناؤك وبناتك الحفاة

القادمون اليك مشردين من اقاصي العالم

نحن كما نحن هنا اولاد

للملك: للصبان المتنامي والأمواج الشاطئ

اما صورة اليهود بين الامم فيوجزها الشاعر بالأب الغاضب لما يراه من سوء حال عائلته، وبالأم الباكية تندب
حظها وهي ترقب جوع وعري ابنائها، وهؤلاء اليهود اذ يرحلون الى الارض المقدسة، يحملون معهم الأمم

¹ (اوري تسفي غرينبرغ) ولد في غاليتسيا عام 1894 من عائلة حسيديية . تلقى ثقافة عبرية وخدم في الجيش النمساوي في الحرب العالمية الاولى في سنة 1924 التحق بالجنح المتطرف في الحركة الصهيونية ورحل الى فلسطين . استقر في تل ابيب وكرس نفسه للشعر . نال جائزة بياليك للشعر عام 1948 وكان عضوا في اول كنيسست، والقصيدة منشورة في Ruth Finer Mintz .ibid. pp. 121 – 123.

واحلامهم، يبدأون بالبناء وليس لهم الا قواهم البدنية ودموعهم وعرقهم ليضحوا بها حبا بالأرض وشوقا الى ما
تعنيه لهم المدينة المقدسة كما ضحوا بكل غال لهدف المحجرة:

انحنو היוצאים מכנסת ישראל

בעולם . נתנו כתנת הפסים כתומט בילקוט

אב לעף. אם בכתה ומטה לבנה נתיתמה

הבאנו לך דם ואצבעות . אהבה ושרירים : כתים מפקרות

לנשוא את הגלובוס העברי בנגעיו הקשים

וכל החלומות וכל המאויים נתנו

בעד היותנו פועלים עניים בישי מון

نحن الخارجون من جماعة بني اسرائيل

في العالم وجلبنا ثوبنا مولنا كالسحلية في الحقيقة

اب غاضب ام باكية. وفراش ابيض يتيم

جلبنا لك دما واصابع. حبا وعضلات، اكتافا متخالفة

لتحمل العالم العبري بالامه القاسية

وكل احلامنا متشابهات اعطيناها

لقاء كوننا عمالا في الارض الخربة

ويعجب الشاعر من هذه المواقف التي يقفها اليهود المهاجرون، ويتساءل : أيعقل ان يضحي الانسان مثل
هذه التضحية؟ ان يتخلى عن كل شيء لقاء المحجرة ليكون عاملا في الارض الخربة، وعبد لها . اين يمكن ان
يحصل مثل هذا تجاه ملك قدم عفا عليه الزمن؟ واي اناس اولئك الذين يفتنون انفسهم وشبابهم بصمت وهم
يعملون تحت شمس محرقة في ارض خربة، وهم يتلذذون سماع عويل بنات آوى؟ وكل ذلك يفعلونه بلا عوض !
أيوجد مثيل لذلك في العالم ؟

אי משל בעולם לך ? שאלי , שרופה מטיטוס ?

אי אוהבים מלכות חלודה באהבת עולם ?

אי שומעים ליללת תנים ברחמים גדולים ?

אי קוד חים ברנה אדמה . אי צומקים ושותקים

ומצננים מצחים לוהטים – ונושקים – בכפים ?

השרב פה שורף לאט עלומינף

החמורים ואפרים יפזר יום על נקי קים כזהב

ואין אנו דורשים שלומים בער חרבנו

אين مثل هذا في العالم ؟ اسالي، يا من احرقها تيتوس ؟

اين يجبون فلكا صدئا حبا خالدا؟

اين يسمع عويل بنات آوى بمحبة عظيمة ؟

اين يلتهبون بأغنية حمراء. اين يجفون وينمون بصمت

ويبردون جباهم الملتهبة – ويقبلون الشيطان

الريح الحارة هنا تحرق بهدوء سبابنا العزيز

المبعثر تراهم كل يوم على شقوق الارض كالذهب

ولا نطلب عوضا عن خرابنا

ويستمر الشاعر في عرض التضحيات الكبيرة التي يقدمها المهاجرون الاوائل الى الارض المقدسة. فيصف

ابدانهم المتهرئة والبالية وهي تعمل لزراعة الارض وحياتها، وتكون غذاء لأشجارها النامية. ولا ينسى في

الوقت نفيه ان يستلهم الصراع الدموي القديم الذي خاضه الكنعانيون للدفاع عن ارضهم ضد بني اسرائيل ان

اراد اصحاب الارض الشرعيون اخراجهم منها وحمايتها من غزوهم، فيقول داعيا الى الموت دونها :

وانو המכסים הבצות בגופים

יקרים בתקוע בהן הידים עצי אקלפטוס

אנחנו הנותנים ארישטון לתולעי כנען

אנו נכונים בגופים נאמבים

בקדחם לתיות הגשר החם למלגותך הבאה

מעל לתהום דמים

לו حرب הודחה בכנען وبאה עריך

ועושנו לך גלעד מגופים כחומה לחומה !

ونحن نغطي المستنقعات بأجساد غالية

وايدينا تتجه اليها اشجار اليوكاليتوس

نحن المعطون وليمة لديدان كنعان

نحن جاهزون بأجساد مؤمنة ، بحماها

لتكون الجسر الساخن لملكك القادم

من اعماق الدم

لو حد سيف في كنعان وجاء عليك

لعملنا لك كوم شهود من اجساد، كسور لسور!

ثم ينتقل الشاعر الى محور آخر يصور فيه جانباً من الايمان غير الثابت عند اليهود بفكرة الانقاذ. وذلك ناتج

من طول انتظار اليهود لمسيحهم المخلص والذي املوا على يديه اعادة مجد المملكة القديم. فيتعترف الشاعر

بان اليهودي يكفر احيانا بالقيم السماوية لان تغفر لليهود ساعات غضبهم سباجهم ولعناقمهم، والشاعر في هذا المعنى يصنع نفسه نموذجا لليهودي الذي يلوم الرب ويكثر من عتابه. وهو الذي حفل شعره بذلك. فيقول:

ואחד הכופר בהוד שבכאב ואסונך
מתלבט מכף אלי כף פה ומחרף-ומגדף -

הן תסלחי, תסלחי לו ותתניהו לחרף
ללכת מכף אלי פה כף בי עלתה מרתו
אי אפשר להתיק הראש מן הגוף בידיים
להשליכו כקדרה אל אחד הסלעים הזעומים.

ואذا كفر احدنا بالمجد بسبب الالم واذك
مكافحا من صخر شاطئ الى اخر وهو يلعن ويسب
فاغفري، اغفري له ودعيه يلعن
ليذهب الى شاطئ الى اخر هنا لان مرارته قد علت :
لا يمكن قطع الراس من الجسد باليدين
ورميه كقدر الى احدى الصخور الغاضبة

بل يذهب الشاعر الى ان كل ما يصدر من هذا اليهودي، حتى سبابه هو نوع من العبادة والايمن مادام مقتزنا بالايمن الاعمق الذي لولا وجوده في داخله لما انتفض وكفر بواقعه، فهو بجرصه على بلوغ هدفه. وهو الوصول الى الارض المقدسة والمشاركة بإعادة الاجماد القديمة من جهة، وبيأسه المتزايد بسبب طول الانتظار من جهة ثانية، ينتقل من حالة الصبر والقناعة الى حالة التمرد والكفر، ويجب على القدس ان تغفر له، لأنه طالما رقص للرب، ودعاه ليبنى الارض الخربة، بصراخ يصل عنان السماء:

ولחוש הנחש הזה הוא גם צל של נגינה!
וכפות רגלים הללו הן רקדו פה הורה
בזעקה... אל יבנה השמה. לאור הכוכבים
ועד אשר ילך ליפו אל לשכת היוררים
ונתן כתנתו הדלוחה. כחומט בילקוט - עד ימים על
ימים כה יעמוד גיחצוב בסלעים - למרגלותיך
ויאכל את לחמו בזעה - את לחם
הפנים: ויעשן במרירות סיגריה ודמו בעיניו
ואלי גם ירקוד עוד הורה
ברגליו הכבדות רק פעם עוד אחד
וזעק - אל יבנה לאור הכוכבים הגדולים!

يقول:

لكن فحيح الثعبان هذا، هو ايضا ظل لحن !
واكف ارجله رقصت هنا هوراه¹
بصراخ " الله يبني الخرب " لنور الكواكب!
وحتى يذهب الى يافا، الى مكتب المهاجرين
ويضع معطفه الموحد كالسحلية في الحقيبة - ما زالت ايام عديدة
ايام يقفها هنا ويعد بالحصى عند موطن قدميك
ويأكل خبزه بعرق - خبر الوجه ، ويدخن بمرارة سيجارة
ودمه في عينيه

فلعله يرقص هوراه اخرى

بأرجله الثقيلة - مرة واحدة اخيرة -

ويصرخ " الله يبني " لنور الكواكب العظيمة!

وبطلب الشاعر هذا من القدس بان تفتح ذراعها لليهود الذين يعدون الايام بلا ملل وهم يحملون بالوصول
يوميا الى مكتب المهاجرين، يختم قصيدته بامل اولئك المتعبين في ان يرقصوا مرة اخرى في المدينة المقدسة
"هوراه".

اما القصيدة الرابعة للشاعر شلومو وينر²، ونقطة التحول في فكرة القصيدة هي حرب حزيران 1967 والتي
نتج منها. من جملة ما نتج، احتلال اليهود لكامل المدينة المقدسة، فالمساحة الزمنية للقصيدة تمتد بين الماضي
القديم لعلاقة بني اسرائيل بالقدس، وبين فترة ما بعد احتلالها في اعقاب 1967 .
والموروث التاريخي اليهودي يجعل من القدس مسكنا للرب وعنوان اقامته . وخلاصة هذا التقليد اليهودي يفتح
الشاعر قصيدته الموسومة "القدس": اذ يقول :

ירושלים

כתבת קודמת של אלוהים

اورشليم

العنوان القديم للرب

ثم يصرخ على فترة الانقطاع الطويل بين بني اسرائيل بعد ان تمردوا على الرب وبين الاله الذي رذلهم لكثرة
معاصيهم. ورغم مناجاة اليهود ودعائهم للرب بأصوات عالية متصلة، ظل الصمت يلف المدينة لان الرب لم
يسمع لهم ولم يجيبهم، وبعد ان ادار ظهره لهم ، يقول :

¹ "هوراه" رقصة شعبية من الموروث الحسيني يردد فيها الراقصون السؤال (من يبني الخرب؟) . والجواب (الله يبني الخرب) .

² القصيدة منشورة في المختارات الشعرية التي حررها

לפעמים

עוד מדמים את שתיקותיו

כיון בדרות ופעמונים :

קוראים אליו דרך רמקול וממתיבים

עד שימוג הכל לשמע את לבו נרכן

אחיאנא

نتخيل صمته

بين الجدران والاجراس

تناديه بأصوات عالية ومنتظر

حتى يذوب كل شيء لسماع قلبه المنجني

وينتقل الشاعر الى جو المعارك وما خلفته من بيوت محروقة وحثث متناثرة مع احلام اليهود التي جفت لطول

الزمان فتحولت الى اشواك برية مهملة، او اكوام صفيح متروكة في العراء :

וכשנמוג העשן נגלים הבית השרוך וגופות האהובים

לב עצים עתיקים כבר כאבן

ומועים שנومשכו מדי הופכים קוצים בגיא

מתחלפים חלומות בערמות מחיס מחלידות

وعندما تلاشى الدخان اتضح البيت المحروق واجساد الاحبة

قلوب اشجار عتيقة ثقيلة كالحجر

واشواق استمرت طويلا حتى صارت اشواكا في الوادي

واحلام تحولت اكداس صفيح صدئة

وفي نهاية حرب 1967 تحققت احلام اليهود واحتلوا المدينة المقدسة، فرسم الشاعر صورة حياة جديدة. اذ

نبت العشب وبدات العصافير تلعب فوقه، وتوزعت اللوحات على الطرقات وهي تشير الى مدينة القدس

الاسيرة، حيث السكن السابق للرب :

בקעה המלחמות על עשב

ממרות העים

נראים שלטים חרשים . חצים :

ירושלים . אלף תשע מאות ששים ושבע

מתבת קודמת של אלהים

في نهاية المعارك ، فوق العشب، تقفز العصافير

تقفز العصافير

وتظهر لافتات جديدة، وسهام

اورشليم، سبع وستون وتسعمائة والـف

العنوان السابق للرب

قصيدة أخرى بعنوان القدس للشاعر يهوذا عميحاى¹

على أحد الأسطح المدينة العتيقة

الغسيل منشور تحت شمس ما بعد الظهر

ملائة بيضاء لأمرأة عدوي

ومنشفة لرجل عدوي

التي يمسح بها عرف أنفه

وفي سماء المدينة العتيقة

طائرة ورقية

وفي نهاية الخيط. ولد. لم أره

بسبب الشمس رفعنا عدة أعلام

ورفعوا عدة أعلام

حتى نعتقد أنهم سعداء

وحتى يعتقدوا أننا سعداء

تحمل القصيدة عنوان (القدس)، المدينة التي ارتبط اسمه بها وظل يرد طوال حياته انه عاشقها الأول² والتي ألف باسمها العديد من قصائده. بدأ أميحاى قصيدته بتعبير مجازي رسم من خلاله تقسيم مدينة القدس وحالة الصراع بين الفلسطينيين واليهود، حيث تحدث في القسم الاول من القصيدة عن العداوة بين اليهود والشعب الفلسطيني، حتى الألفاظ الواضحة للرجل والمرأة التي يشير إليها فهو يقصد بها الفلسطيني، أما الغسيل المنشور حيث اعتبر هذا أمرا مألوفاً في الثقافة الفلسطينية.³

هناك صورة أخرى في القصيدة لون الملائة البيضاء حيث يفسر بها أما لون البراءة والطهارة أو الدعوة للسلام أو إشارة للسلام بعيد المنال.⁴

¹ شירים، יהודה עמיחי، 1948-1962، הוצאת שושני، ירושלים ותל אביב، תש"ל، עמ' 197-198.

² Yehuda Amichai, Love, War and History, all things considered, Database, 22, 2007.

³ Nusinov, Vered Touch, The Man Behind Kaleido scope, An examination of the poetry of Yehuda Amichai (1924-2000), n.d Accessed, April, 2007.

⁴ للمزيد انظر: زين العابدين متولي الشيخ بدوي، الصراع العربي الاسرائيلي في الشعر العبري المعاصر في نهاية الموجة الواقعية، عمان، دار الوراق للنشر والتوزيع، سنة 2010، ص 247.

كذلك انظر: يهوذا عميحاى، حياته وشعره، رسالة ماجستير عبد الخالق محمد حبه، جامعة القاهرة، كلية الاداب، ص 145-141. كذلك: الشير الحددش: مشغب لهيتول، הלל برגג، עמ' 45.

ثم يستمر بالقصيدة رفعنا عدة أعلام.... ورفعوا عدة أعلام ... حتى نعتقد أنهم سعداء ... وحتى يعتقدوا أننا سعداء. هذا المقطع يير أميحاى الى (هم) و(نحن) في تعبير واضح عن الفلسطينيين واليهود. وإشارة الى تضاد واضح بين الطرفين.

وهكذا نجد ان هذه القصائد المذكورة تستند الى الموروث اليهودي المتعصب والداعي الى اغتصاب المدينة المقدسة بشتى الوسائل باعتبارها "ملكا ممنوحا" لهم، دون النظر الى ما يسببه ذلك من مأس لأناس اخرين هم الفلسطينين وهم الأصحاب الشرعيون للمدينة المقدسة.

خاتمة

من المعلوم ان القدس شكلت محوراً عاماً في موضوعات الشعر العبري في مختلف عصوره ابتداء من البيوتيم ومروراً بالشعر العبري الوسيط، وصولاً الى الشعر العبري الحديث. وبغض النظر عن موطن الشعراء العبريين واصولهم القومية، كان الحنين الى المدينة المقدسة، واستذكار اجماد الماضي الغابر، ووصف ما آلت اليه احوال القدس والشعب من خراب ابتداء من الفترة الرومانية وما يحمله ذلك من معان (قومية) مرتبطة بالتاريخ اليهودي القديم وبموروث ذلك التاريخ اهم ما يميز الشعر العبري في الفترتين القديمة والوسيطه. وبعد ذلك، اضحى الشعر العبري في العصر الحديث، يميل نحو المستقبل حيث القيم المشتركة والمثل العليا، التي اتاحت لليهودي العيش في اورشليم، من خلال صياغات فكرية وعاطفية سخرت لتخدم هدف الصهيونية في استعمار ارض فلسطين، واحتلال القدس، التي تعد "مدينة يهودية" لا يمكن التنازل عنها.

المصادر

المصادر العبرية:

- 1- השיר החדש: משגב להיתול, הלל ברג.
- 2- ספרות האמונה בימי הביניים, שעור מפי הרב אורי שרק, מתוך הסדרה מבוא לתורה שבעל פה, אתר מכון מאיר.
- 3- רות פ"נרמ'נץ.
- 4- שירים, יהודה עמיחי, 1948-1962, הוצאת שושני, ירושלים ותל אביב, תש"ל.

المصادر العربية:

- 1- زين العابدين متولي الشيخ بدوي، الصراع العربي الاسرائيلي في الشعر العبري المعاصر في نهاية الموجة الواقعية، عمان، دار الوراق للنشر والتوزيع، سنة 2010.
- 2- سفر مرآتي ارميا، (الاصحاح الاول / 1-7).
- 3- محمد عقل هلسة، القدس في الفكر التوراتي الصهيوني، <https://www.palinfo.com/5506>

4- معجم المصطلحات الصهيونية: إعداد: أفرايم ومناحم تلمي، ترجمة: أحمد بركات العجرمي، عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث ط1، 1987.

5- يهودا عميحاوي، حياته وشعره، رسالة ماجستير عبد الخالق محمد حبه، جامعة القاهرة، كلية الآداب.

المصادر الاجنبية:

- 1- BEREL WEIN, GOD'S POETRY,op. cit.
- 2- Golden age of Jewish culture in Spain, <https://bit.ly/2V9hxrl>,
<https://bit.ly/2Slx4lW>Judah Halevi
- 3- Howard Schwartz, for few other only, selected poems of shlomovinner, London, 1977.
- 4- <https://www.jpost.com/Jewish-World/Judaism/Gods-poetry>
- 5- Jewish Poets Yearning for Jerusalem throughout History, <https://bit.ly/2EOq4uH>
- 6- Nusinov, Vered Touch, The Man Behind Kaleido scope, An examination of the poetry of Yehuda Amiehai (1924-2000), n.d Accessed, April, 2007.
- 7- Ruth Finer Mintz, Modern Hebrew Poetry, University Of California Press 1968.
- 8- Sephardic Poets of the Jewish..Golden Age of Spain, http://kehillatIsrael.net/docs/learning/sephardic_poetry.html#part3.
- 9- Yehuda Amiehai, Love, War and History, all things considered, Database, 22, 2007.

الإستثمار الثقافي مشروع إقتصادي سياحي مستديم

دراسة نماذج عربية

أ. خضار فايزة

جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي - الجزائر

د. عمارة نعيمة

جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي - الجزائر

ملخص:

يعد الموروث الثقافي لأي بلد تعبيرا جلياً عن هويته الوطنية والإنسانية في مراحل زمنية وتاريخية مختلفة، وهو يشمل الموروث المادي وغير المادي، وظهرت العديد من المنظمات الدولية تطالب بحماية المورث الإنساني، كما عقدت عدة اتفاقيات في هذا الشأن وأوكلت لمنظمة اليونسكو إحصاء وتصنيف المورث المادي . فالجزائر يوجد بها العديد من المواقع الأثرية هامة، تمّ تصنيف العديد منها من طرف منظمة اليونسكو كتراث إنساني وعالمي، جعلت من الجزائر قبلة للوافدين من مختلف جهات العالم، فهذا التنوع الثقافي من شأنه أن يسهم في تطوير القطاع السياحي، على اعتبار أنّ السياحة التراثية هي المقوم الأساسي للسياحة والذي يعود بالنفع على الاقتصاد والمجتمع في العديد من الميادين.

الكلمات المفتاحية: الاستثمار الثقافي، التراث الثقافي، الاقتصاد، السياحة، التنمية المستدامة.

Abstract:

The cultural heritage of any country is a direct expression of its national and humanity identity in different historical eras, this heritage might be physical (material) and non-physical in nature. Many international organizations call for the protection of the humanity legacy, furthermore several agreements were made for this objective in trusting the UNESCO for counting and classifying the Testator. Algeria has many important archaeological sites, many of which have been classified by UNESCO as universal human heritage. This made Algeria a destination for different class of people from the entire world. This will eventually would contribute to the development of the tourism sector knowing that Heritage Tourism is one of the main ingredients in tourism, which is beneficial to the economy and society in many fields.

Key words:

Cultural investment, Cultural heritage, Economic, Tourism, Sustainable development.

مقدمة:

برز التراث الثقافي¹ كانشغال رئيسي في مطلع القرن الجديد، على أن المعاني التي ارتبطت بهذا المصطلح تكاد تشمل كل شيء متنوع كما أنها كثيرة التغير، فالبعض يعتبر التنوع الثقافي عاملاً إيجابياً في حد ذاته، فهو يدل على تقاسم الثروة التي تجسدها كل ثقافة من ثقافات العالم، وبذلك يوضح الروابط التي توحدنا جميعاً في سياق عمليات التبادل والحوار.

ويعتبر آخرون أن الفوارق الثقافية تجعلنا نعجز عن تبيين إنسانيتنا المشتركة وهي بالتالي تكمن في جذور الكثير من النزاعات، ويصبح هذا التشخيص الأخير أقوى احتمالاً اليوم مع ما نتج عن العولمة من زيادة في نقاط التفاعل والاحتكاك بين الثقافات أدت إلى توترات وانسحابات ومطالبات تتعلق بالهوية، وخاصةً مما لها طابع ديني، حيث أصبحت مصادر محتملة للنزاع ولذا فإن التحدي الأساسي يتمثل في طرح رؤية منسجمة متماسكة للتنوع الثقافي توضح أن هذا الأخير بدلاً من أن يكون مصدراً للخطر، يمكن أن يفيد العمل على صعيد المجتمع الدولي، والعربي.

وعليه يعتبر التراث الثقافي مبعث فخر الأمم واعتزازها فهو بما يحمله من قيم ومعان دليل على العراقة والأصالة كما أنه يعبر أيضاً عن الهوية الوطنية، ويمثل هذا الأخير همزة وصل بين الماضي والحاضر ويساهم في بناء المستقبل، ويعد ركيزة أساسية في اقتصاد العديد من الدول ولعل أهمها دول الوطن العربي التي تتميز بثرائها، والتي حاولت من خلال تشريعاتها الحفاظ على موروثها، بالإضافة إلى الجهود الدولية التي تبذلها المنظمات الإقليمية والدولية وأهمها منظمة اليونسكو².

ونجد أن التراث الثقافي أصبح محلاً للاستثمار³ في الآونة الأخيرة خاصة وأن مختلف الدول تشجع ذلك باعتباره استثماراً نافعا اقتصادياً، كما أنه يؤدي إلى تطوير قطاع السياحة ويهدف أيضاً إلى تحقيق التنمية المستدامة¹.

¹ و الذي سيتم تعريفه لاحقاً من خلال المحور الأول.

² اليونسكو UNESCO: هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. وتمثل رسالتها في إرساء السلام من خلال التعاون الدولي في مجال التربية والعلوم والثقافة. إذ تساهم برامج اليونسكو في تحقيق أهداف التنمية المستدامة المحددة في خطة التنمية المستدامة لعام 2030، التي اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 2015، و للتعرف أكثر على هذه المنظمة تصفح الموقع: <https://ar.unesco.org> و فيما يتعلق بالاختصار (UNESCO) فيعني:

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، بالإنجليزية:

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

³ الإستثمار في اللغة: مصدر للفعل "استثمر" الدال على الطلب، حيث أن السين و التاء تدلان على الطلب و هو مشتق من الثمر. أما الإقتصاديون فيعرفون الإستثمار بأنه: "عبارة عن تخصيص موارد آنية و متاحة بغية تحقيق في المستقبل إيرادات موزعة أو مقسمة على سنوات عمر المشروع بحيث تكون القيمة الإجمالية للإيرادات الصافية أكبر من الإنفاق المبدئي"، للإستزادة أكثر أنظر هواري معراج وآخرون، القرار الإستثماري في ظل عدم التأكد و الأزمة المالية، ط 1، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2013، ص 41.

لذلك يدفعنا موضوع المداخلة إلى طرح الإشكالية الموالية: كيف يمكن أن تستثمر الثقافة؟ وهل استطاعت مؤسساتنا الثقافية أن تخوض هذه التجربة بنجاح؟

وهل هناك علاقة بين الاستثمار الثقافي و السياحة و هل يسعى هذا الاستثمار فعلا لتحقيق التنمية المستدامة؟

خطة البحث: تناولت الدراسة ثلاث محاور، اهتم الأول بدراسة ماهية الاستثمار الثقافي، و اختص المحور الثاني بدراسة نماذج لدول عربية في مجال الاستثمار الثقافي، و في المحور الثالث تم التعرض لعلاقة الاستثمار الثقافي بالسياحة و التنمية المستدامة.

المحور الأول: ماهية الاستثمار الثقافي

قبل التطرق لماهية الاستثمار الثقافي يجب التعرّيج في البداية على العنصر الأساسي الذي يتركز عليه هذا الاستثمار و هو التراث الثقافي، و الذي عرف كما يلي:

1- تعريف التراث الثقافي

تعددت و تنوعت تعريفات التراث الثقافي بتعدد المصادر التي عرفتتها و هذا ما سيتم تفصيله فيما يلي:
_ في الاتفاقيات الدولية: عرّفت المادة الأولى من اتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي والطبيعي التراث الثقافي على أنه الآثار: الأعمال المعمارية، وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر أو التكوين ذات الصفة الأثرية، النقوش والكهوف ومجموعات المعالم التي لها جميعا قيمة عالمية استثنائية من ووجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم.

_ المجموعات: مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة التي لها بسبب عمارتها أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعي قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم.

هذا و قد عرّف المشرع الجزائري الإستثمار من خلال الأمر رقم 01-03 المعدل والمتمم بالأمر رقم 06-08 كما أعاد تعريفه من خلال القانون رقم 16-09 ولكنه حذف الفقرة الأخيرة الواردة في الأمرين السابقين (إستعادة النشاطات في إطار حوصصة كلية أو جزئية) ليعرّفه من خلال القانون الأخير بأنه:

- "إقتناء أصول تدرج في إطار إستحداث نشاطات جديدة، وتوسيع قدرات الإنتاج و/أو التأهيل،

_ المساهمات في رأسمال شركة"، و لأكثر تفصيل أنظر القانون رقم 16-09 المؤرخ في 3 غشت 2016 والمتعلق بترقية الإستثمار، ج رج ج العدد6، المؤرخة في 3 غشت 2016 والمنشور على موقع الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار www.andi.dz

¹والتي تعرّف على أنها: "عملية يتناغم فيها إستغلال الموارد وتوجيهات الإستثمار ومناحي التنمية التكنولوجية وتغير المؤسسات على نحو يعزز كلا من إمكانات الحاضر و المستقبل للوفاء بمجاريات الإنسان وتطلعاته" لأكثر تفصيل أنظر رشيد سالمى، هاجر عزي، واقع وآفاق التنمية المستدامة في الجزائر، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى العلمي الخامس حول: " إستراتيجيات الطاقات المتجددة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة" - دراسة تجارب بعض الدول-، كلية العلوم الإقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة البلديدة 2، يومي 23-24 أفريل ، 2018، ص 04 ، هذا و سيتم التعرّيج على تعريف أخرى للتنمية المستدامة من خلال المحور الثالث والأخير من هذه الدراسة.

ـ **المواقع:** أعمال الإنسان أو الأعمال المشتركة بين الإنسان والطبيعة وكذلك المناطق بما فيها المواقع الأثرية التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة النظر التاريخية أو الجمالية أو الأثنولوجية¹ أو الأنتروبولوجية^{2/3}. ولكن هذا المصطلح (التراث الثقافي) عرف تغييرا كبيرا في العقود الأخيرة⁴، ويرجع ذلك إلى الصكوك التي وضعتها اليونسكو حيث أن هذا الأخير أصبح غير مقتصر فقط على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنما يشمل أيضا التقاليد أو أشكال التعبير الحية الموروثة من أسلافنا والتي تداولتها الأجيال الواحد تلو الآخر وصولا إلينا، مثل التقاليد الشفهية، والفنون الاستعراضية والممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمعارف والمهارات في إنتاج الصناعات الحرفية التقليدية⁵.

ـ **في التشريع الجزائري:** في التشريع الجزائري كنموذج فقد عرّف التراث الثقافي من خلال نص المادة الثانية (02) من القانون رقم 04/98⁶ حيث جاء فيها " يعدّ تراثا ثقافيا في مفهوم هذا القانون، جميع الممتلكات الثقافية العقارية والعقارات بالتخصيص، والمنقولة الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية

¹ الأثنولوجيا: أو ما يعرف أيضا بالنياسة و التي اختلف الباحثون في فهمها باختلاف البلدان و المدارس الفكرية، و حتى سنوات قليلة كانت النياسة لا تزال تعتبر بمثابة دراسة المجتمعات التي كان يقال عنها بدائية و لكن هذا المفهوم تطور ليشمل كل ما هو مجتمع أجنبي أو ثقافة أجنبية، للاستزادة أكثر أنظر جاك لومبار، مدخل إلى الأثنولوجيا، ترجمة: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1997، ص ص 9، 10.

² الأنتروبولوجيا: هي دراسة سلوك الإنسان و المجتمعات الماضية و الحاضرة و تعد الأثنولوجيا فرعا من فروع الأنتروبولوجيا، لأكثر تفصيل أنظر بيار بونت، ميشال إيزار و آخرون، معجم الأثنولوجيا و الأنتروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط 2، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع "مجد"، بيروت، لبنان، 2011، ص 23.

³ إتفاقية اليونسكو لحماية التراث الثقافي و الطبيعي، و حماية التراث الثقافي مكفولة أيضا بموجب الدستور حيث جاء في نص المادة 45 : "الحق في الثقافة مضمون للمواطن. تحمي الدولة التراث الثقافي الوطني المادي وغير المادي وتعمل على الحفاظ عليه"، للتفصيل أكثر أنظر القانون رقم 16-01 المؤرخ في 06 مارس 2016 المتضمن التعديل الدستوري، ج ر ج العدد 14، المؤرخة في 07 مارس 2016، ص 11. ⁴ و في تقرير عالمي من اليونسكو جاء فيه: لقد كانت اليونسكو منذ بدايتها مقتنعة كل الاقتناع بالقيمة المتأصلة للتنوع الثقافي وبضرورته، ويتحدث دستور المنظمة (الصادر عام 1945 عن "التنوع المثر في ثقافات العالم". "ويبقى اليوم هذا الاقتناع على نفس الدرجة من الأهمية كما كان على الدوام، حتى وإن كان تعريف الثقافة قد توسع كثيراً وإن كانت العولمة قد أدخلت تغييرات هامة على الوضع الذي كان قائماً بنهاية الحرب العالمية الثانية، وتتمثل أهداف التقرير العالمي عن التنوع الثقافي فيما يلي:

ـ تحليل التنوع الثقافي بجميع جوانبه بمحاولة إظهار تعقد العمليات الجارية، مع العمل في الوقت نفسه على تحديد الخيط الرئيسي بين المجموعة الواسعة من التفسيرات المتنوعة المحتملة؛

ـ إظهار أهمية التنوع الثقافي في المجالات المختلفة (اللغات والتعليم والاتصال والإبداع) التي يمكن أن تعتبر أساسية لصون التنوع الثقافي والترويج له، بغض النظر عن وظائفها الذاتية.

⁵ <https://ich.unesco.org>

⁶ القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو سنة 1998 يتعلق بحماية التراث الثقافي في الجزائر، ج ر ج العدد 44، الصادرة بتاريخ 22 صفر عام 1439 هـ الموافق 17 يونيو 1998.

وفي داخلها المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص¹، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، ويعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور التي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا".

2- تعريف الإستثمار الثقافي

يمكن أن يكون التراث الثقافي وفقا للتعريف السابقة سواء كان ماديا كالأثار أو غير مادي كالعادات التي تتميز بها الشعوب عن بعضها محلا للاستثمار فهو يعد في نظر الاقتصاديين سلعة يمكن استثمارها وهذا ما يعرف بالاستثمار الثقافي، وقد كانت فكرة الاستثمار في مجال التراث الثقافي لسنوات تثير الشك من قبل الكثيرين لكن الدراسات الخاصة بالتأثير الاقتصادي تؤكد أن هذا النوع من الاستثمار له عائد لا يستهان به من ناحية النفقات المباشرة والوظائف الجديدة والعائد الضريبي الإضافي²، وبالتالي يمكن أن تكون مثلا المؤلفات كالكتب أو التسجيلات الصوتية كالأغاني أو الأفلام محلا للاستثمار الثقافي خاصة إذا تم تصوير هذه الأخيرة في مواقع أثرية مثلا.

المحور الثاني: نماذج عربية للاستثمار في التراث الثقافي

من خلال هذا المحور سيتم التطرق لبعض الدول العربية التي تستثمر في المجال الثقافي والدول التي تم التركيز عليها: الجزائر، المغرب، تونس، المملكة العربية السعودية.

1- الجزائر نموذجا: تستثمر العديد من دول العالم العربي في تراثها الثقافي وتخضع هذه الاستثمارات لقانون الاستثمار لكل دولة، و أبرز نموذج الجزائر و التي يخضع الاستثمار في التراث الثقافي فيها لقانون الاستثمار³ ودراستنا ستركز على آخر تعديل و نقصد القانون رقم 09/16 وبالتالي يستفيد الاستثمار الثقافي

¹ القانون الخاص Droit privé: هو مجموعة القواعد القانونية التي تنظم المصلحة الخاصة فهو يحكم علاقات الأفراد فيما بينهم و ينظم العلاقات التي يكون أطرافها أشخاص خاصة سواء كانوا طبيعيين أو معنويين، و هو أحد تقسيمات القانون بالإضافة إلى القانون العام و يشمل القانون الخاص عدة قوانين تمثل في: القانون المدني، القانون التجاري، قانون الأسرة أو ما يعرف أيضا بقانون الأحوال الشخصية، قانون التأمين، قانون العمل...، وللتفصيل أكثر أنظر محمد الصغير بعلي، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون، النظرية العامة للحق)، د.ط، دار العلوم، الجزائر، 2006، ص 23.

² تقرير اليونسكو العالمي، الإستثمار في التنوع الثقافي و الحوار بين الثقافات، منشور على الموقع: www.un.org

³ منذ عام 2010 يعامل القانون النشطات الثقافية على أنها نشاطات اقتصادية متكاملة (قانون المالية 2010) و بذلك كان الاستثمار في المجال الثقافي محكوما بقانون الاستثمار السابق (الأمر رقم 01-03 الصادر بتاريخ 20 أوت 2001 يحدد هذا القانون النظام المطبق على الاستثمارات الوطنية والأجنبية المنجزة في إطار النشاطات الاقتصادية الهادفة إلى إنتاج السلع والخدمات، وكذلك في الاستثمارات المنجزة في إطار الحصول على منح الامتيازات و/أو التراخيص، مع العلم بأنه لا يمكن إنشاء استثمارات أجنبية أو تنفيذ نشاطات استيراد إلا ضمن إطار شراكة تبلغ فيه قيمة أسهم المواطنين الجزائريين 51% على الأقل من رأس مال الشركة .

من الامتيازات التي يمنحها هذا القانون بشرط أن تكون مسجلة لدى الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار (ANDI) وهذا ما نصّت عليه المادة الرابعة (04) من نفس القانون وتمثل أهم هذه التحفيزات في: الإعفاء من الحقوق الجمركية والرسم على القيمة المضافة فيما يتعلّق بالسلع المستوردة التي تدخل في إنجاز المشروع بالإضافة إلى إعفاءات أخرى تم النصّ عليها من خلال المواد من 12 إلى 19 من نفس القانون، هذا وقد نص قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة¹ على مجموعة من الامتيازات الجبائية في شكل إعفاء من دفع الضريبة الجزافية الوحيدة والتي يستفيد منها الحرفيون التقليديون وكذا الأشخاص الذين يمارسون نشاطا حرفيا فنيا والمقيدين في دفتر الشروط الذي تحدد بنوده عن طريق التنظيم، ومبالغ الإيرادات المحقّقة من قبل الفرق المسرحية.

على الرغم ما تزخر به الجزائر من تنوع وغنى في التراث الثقافي، (الصناعات التقليدية، العمارة، المواقع الأثرية، الطبخ التقليدي، الموسيقى، الغناء... الخ) الذي يعبر عن الثقافة وتعاقب الحضارات على المنطقة، ممّا يستوجب التعريف به والترويج له، والأكثر من هذا تفعيله وصياغة سياسات عمومية تدخل الموروث الثقافي في التنمية المستدامة.

غير أن الملاحظ للواقع الجزائري يرى أنه لا زلنا بعيدين عن دمج مختلف أشكال التراث الثقافي في العملية التنموية.

إذ انه يبقى عالقا بشدّة في آليات تدخّل قوية من الدولة، إذ يتّسم شكل التحكم في هذا القطاع بمركزيّة شديدة في الشؤون الثقافيّة على مستوى وزارة الثقافة في الجزائر العاصمة، إذ تبسط هذه الأخيرة هيمنتها على إدارة الشؤون الثقافيّة عبر مؤسّساتها ومديرياتها ومراكزها وأجهزتها الوصائية.

على الصعيد المحلي، تتمثل الوزارة بمديريات الثقافة الموزّعة في 48 ولاية (محافظة) في البلاد، على المستوى البيوي تضمّ مديريات الثقافة خدمات مكلفة بالشؤون الثقافيّة على مستوى الولايات منظمّة ضمن مكاتب، تموّل وزارة الثقافة مديرياتها مباشرة ولها تأثير هامّ جدّا في الأقاليم، و في عام 2014 ازدادت الميزانية العامّة المعلنة في 98 مديرية في جميع أنحاء البلاد نحو 22 مليون دولار.

من جهة أخرى، تسمح التشريعات والقوانين الثقافيّة لوزارة الثقافة بوضع النّظام الأساسي للهيئات الواقعة تحت وصايتها، وكذلك بضبط النشاط الثقافيّ والفنيّ بمجمله.

وتجدر الإشارة إلى أن وزير الثقافة السيد عز الدين ميهوبي أثناء حلوله ضيفا على الإذاعة الوطنية الجزائرية يوم 2015/09/21 صرح على أنه سيتم عقد العديد من الندوات الوطنية حول الاستثمار الثقافي في الجزائر، وأكّد أن النصوص القانونية تكفل حقوق المستثمرين في المجال الثقافي و الامتيازات الممنوحة للمستثمرين في شتى المجالات، لأكثر تفصيل تصفح موقع الإذاعة الوطنية أن هؤلاء الأخيرين يستفيدون من كل الحقوق الجزائرية: www.radioalgerie.dz

¹أنظر المادة 282 مكرر 6 من قانون الضرائب المباشرة والرسوم المماثلة الجزائري، منشور على موقع المديرية العامة للضرائب:

وحتى الآن عمل القطاع الثقافي الخاص محدود جداً¹ ويلعب دوراً ضئيلاً في القطاع الثقافي ويُعتبر النشر النشاط الخاص الأكثر شيوعاً إذ تدعمه الدولة إلى حد كبير إذ يوجد 100 دار نشر في أنحاء البلاد، ويشهد قطاع النشر صعوبات كبرى دون دعم الدولة له، مع شبكة توزيع محدودة جداً وكتب بأسعار باهظة.

2- المغرب نموذجاً: بالنسبة للمغرب فقد وضع المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي تقريره المعنون

ب: "اقتصاديات الثقافة" ونصّ من خلاله على تشجيع الاستثمار في التراث الثقافي في تعبيراتها المتنوعة، بما فيها الرقمية وذلك بتيسير مساطر الاستفادة أمام المستثمرين في هذا المجال من صناديق تشجيع الإبداع، والتجديد في التكنولوجيات الجديدة²، والمغرب باعتباره أحد أكثر البلدان غنى بتراثه الثقافي والطبيعي المتنوع، وتوفره على أزيد من ثلاثين مدينة عتيقة بمخزون حضاري وأثري ثري بالإضافة إلى الواحات، القصور الساحرة، أدى إلى الانخراط في تحدي استخدام واستغلال كنوزه التراثية أحسن استخدام. ونظراً لكون مدينة فاس أيقونة التراث المغربي بل والعالمي باعتبارها من أقدم المدن بـ 1200 عام، ورصيد تراثي جدّ ثري ما حدا بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (UNESCO) لتصنيفها منذ 1981 ضمن التراث العالمي.

3- تونس نموذجاً: أما تونس فقد عقدت فيها العديد من الأيام الدراسية منها المتعلقة بالاستثمار

الخاص والرعاية في القطاع الثقافي والذي تمّ تنظيمه من قبل وزارة الثقافة و المحافظة على التراث، أين عملوا على تشجيع فكرة الاستثمار الخاص، باعتبار أن الدولة لا تحتكر الاستثمار في القطاع الثقافي وتسعى إلى تشريك كافة مكونات المجتمع المدني، وتجدر الإشارة إلى أن هذا اليوم الدراسي انعقد يوم السبت 5 مارس 2016، ونجد أن هذا النوع من الاستثمار يجد أساسه القانوني في قانون الإستثمار³ والذي منح العديد من التحفيزات لمختلف الاستثمارات و منها الاستثمار الثقافي ، حيث منح المشرع التونسي العديد من الامتيازات للمستثمرين في هذا القطاع و التي نصّ عليها من خلال نصوص المواد من 19 إلى 22 و ذلك في شكل إعفاءات من بعض الرسوم والتي سماها منح الترفيع ومنها منحة الترفيع من القيمة المضافة و القدرة التنافسية و التي نصت عليها المادة 19 من نفس القانون.

4- المملكة العربية السعودية نموذجاً: بالنسبة للمملكة العربية السعودية فتحتل المرتبة 23 ضمن

الاقتصاديات الخمسة والعشرين الأكبر في العالم، والمرتبة الأولى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، كما تحتل المركز 11 ضمن 181 دولة في التصنيف العالمي، من حيث سهولة أداء الأعمال وفقاً لتقرير "ممارسة أداء الأعمال" لعام 2010 الصادر عن مؤسسة التمويل الدولية التابعة للبنك الدولي⁴، ويرجع هذا لمنح

¹ المقصود بالقطاع الثقافي الخاص هو المؤسسات الخاصة (الحاصلة على سجل تجاري مثل الشركات محدودة المسؤولية SARL والشركات المغفلة SA وهدفها الأساسي هو الربح).

² اقتصاديات الثقافة، تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، المملكة المغربية، المنشور على الموقع: www.cese.ma

³ قانون عدد 71 لسنة 2016 المتعلق بقانون الإستثمار التونسي.

⁴ www.mci.gov.sa

السعودية للعديد من الامتيازات والضمانات لمختلف الاستثمارات والتي يندرج ضمنها الاستثمار الثقافي ، و الذي سطر له العديد من الإستراتيجيات وفق ما جاء في الملتقى الثقافي بعنوان الاستثمار الثقافي ضمن رؤية المملكة 2030، ولعل أبرز المواقع التي يمكن أن تكون محلا لمثل هذه الاستثمارات: الحجر (مدائن صالح)، جدة التاريخية... وتجدر الإشارة إلى أن هذه المناطق الأثرية تم تصنيفها من قبل منظمة اليونسكو، و لعل أهم سرح ثقافي إسلامي الكعبة الشريفة والتي تحصد المملكة العربية السعودية أرباحا طائلة منها تعادل استثمارات عربية أخرى في قطاع المحروقات.

المحور الثالث: علاقة الاستثمار الثقافي بالسياحة والتنمية المستدامة

للإستثمار الثقافي علاقة وطيدة بكل من السياحة وكذا التنمية المستدامة وهذا ما سيتم تفصيله في النقاط الآتية:

1-علاقة الاستثمار الثقافي بالسياحة: للاستثمار الثقافي علاقة وطيدة بالسياحة حيث تعتبر مصادر التراث الثقافي والطبيعي من أهم عوامل الجذب السياحي، والتي تركز على مقومات ثلاثة، وهي التراث سواء الثقافي خاصة أو الطبيعي والسياح والسكان المحليين، في وسط إيجابي يكفل مصلحة الجميع في علاقة تكاملية وتبادلية متوازنة يكون فيها كل منها أداة لخدمة الآخر¹.
وعليه كان لزاما توسيع قاعدة السياحة، لتشمل السياحة الثقافية² إلى جانب السياحة الكلاسيكية، ودمج مختلف المناطق التراثية ضمن هذه العملية يهدف إلى زيادة التطوير والتنمية فيها، واستثمار ما فيها من موارد تمد السياحة بعناصر جذب مميزة، وتنعكس إيجابا لصالح البيئة والسكان المحليين على الصعيد المادي الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، كما يؤدي إلى حدوث تنمية حقيقية على الصعيدين المحلي والوطني، مع ضمان الحفاظ على التراث الثقافي³.

¹ مليكة زغيب، سوسن زيرق، دور ترميم المواقع الأثرية في ترقية السياحة الثقافية الداخلية رؤية مستقبلية للمسرح الروماني " روسيكادا"، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الوطني الموسوم ب: فرص و مخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، يومي 19-20 نوفمبر 2012، ص 4.

² تعد السياحة الثقافية من أهم المجالات التي حظيت باهتمام خبراء السياسات الثقافية و تعتمد هذه الأخيرة على مجموعة من العادات و الممارسات السياحية المرتبطة بالتراث الثقافي مثل زيارة المواقع الأثرية و التاريخية و المراكز العمرانية القديمة و المشاركة في العروض الفنية أو المهرجانات و الجولات السياحية التي يتم من خلالها التعرف على عادات و ثقافة السكان المحليين، لأكثر تفصيل أنظر: مخلوف بوكروح، حنان الحاج علي و آخرون، الدليل إلى الإدارة الثقافية، ط 2، دار شقيقات للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 2009، ص 14.

³ مليكة زغيب، المرجع السابق، ص 5.

2- علاقة الاستثمار الثقافي بالتنمية المستدامة: بالنسبة للتنمية المستدامة فقد عرفت لجنة برونتلاند على أنها: " التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة دون المساس بحقوق الأجيال القادمة"¹، وبالنسبة للمشروع الجزائري فقد عرّف هو الآخر التنمية المستدامة على أنها: " مفهوم يعني التوفيق بين تنمية اجتماعية واقتصادية قابلة للاستمرار وحماية البيئة، أي إدراج البعد البيئي في إطار تلبية حاجات الأجيال الحاضرة والأجيال المستقبلية"¹³. وبالتالي و من خلال التعاريف السابقة الذكر وبربطها بالاستثمار الثقافي نجد أن هناك علاقة وطيدة بينه وبين التنمية المستدامة، ذلك أن هذا النوع من الاستثمار المهدف الرئيسي منه هو الحفاظ على الموروث الثقافي واستغلاله بشكل عقلائي يضمن وصول هذا التراث للأجيال المستقبلية، كما أن الاستثمار الثقافي من الاستثمارات التي تهتم بالبيئة والمحافظة عليها في مختلف دول العالم.

خاتمة

الثقافة نمط شامل من أنماط الحياة في المجتمع، بل هي أسلوب خاص من أساليب العيش، هي مجموعة من المعارف والمهارات والمشاعر، يتميز بها كل فرد عن آخر، ويرى فيها المجتمع قيمة أعلى وقدراً أكبر.. وهي بأي معنى من المعاني ذات أثر عميق في حياة الناس لأنها هي التي تمدنا بوجهات النظر إلى هذا العالم الذي نعيش فيه، إنّ الاستثمار الثقافي لا يقاس بالمادة أو الريح دائماً، الاستثمار الثقافي يقاس بما تؤثره الثقافة في مناحي الحياة، وحين تدخل الثقافة كل بيت، حين تدخل كل مدرسة، كل معهد، كل جامعة، كل مؤسسة، يرتفع المجتمع وينهض.. هذا هو الاستثمار الحقيقي للثقافة، أن تتعرف إلى مسؤولياتك في الموقع الذي أنت فيه، أن تعي دورك وتقدر ما يقوم به الآخرون، هذا بحاجة إلى فهم الاستثمار المادي، بحاجة إلى التسويق التجاري، بحاجة إلى الإعلان والإعلام من أجل الثقافة والمثقفين. بحاجة إلى استخدام الوسائط الحديثة والتواصل مع الناس كافة.. ومفهوم الثقافة بعامة يعطي قدراً متأثراً بالعاطفة والأصالة والتجديد مع احترام الماضي وتقديره، وهو في الوقت نفسه لا يحطّ من شأن ثقافات العالم ولا ينقص من قيمتها، والإنسان تواق - دائماً - إلى المعرفة، الإنسان متشوّق إلى ألوان الأدب والعلم والفن، والثقافة تؤمن ذلك كلّ!!

وعليه فان جهود الاستثمار الثقافي لا بدّ أن تنمو وتزداد، وكل عام تزداد جموع الطلاب، وتزداد أرقام المدارس والمعاهد وتزداد الجامعات، تزداد معارض الكتب، تزداد المؤسسات العلمية والعاملون في حركة إحياء التراث والكتب والدوريات والمجلات والصحف والنشاطات الاجتماعية والمؤتمرات وأقنية الفضائيات.. لذا فالوعي بالاستثمار الثقافي سيزداد، والعلاقة بين البنى الاقتصادية والبنى الثقافية شديدة التعقيد، لا بدّ من

¹ عبد الرحمان العايب، التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التجارية و علوم التسيير، 2010/2011، ص 12
³ أنظر المادة الرابعة (4) من القانون رقم 10/03 المؤرخ في 19 جمادى الأولى عام 1424 الموافق 19 يوليو سنة 2003 يتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة، ج ر ج العدد 43، الصادرة بتاريخ 20 يوليو 2003.

المواءمة بينها، لا بدّ من استثمار ثقافي ناهض، ومعرفة شاملة تواكب المشروعات الاقتصادية التنموية، وتؤمن بجدوى العمل الثقافي، ورجال الأعمال والاقتصاديون يتمتعون على الأعم الأغلب بالحسّ الثقافي، وهم وحدهم يدركون أهمية التنظيم، والمواءمة والتكامل وتحديد الاتجاهات وتوطيد الأهداف السامية.. وحين تتولّد القناعة التامة بأهمية الثقافة كرافد رئيس في الحياة والمجتمع يكون الارتقاء ويكون النهوض انفعال مع بلوغ الأماني والتطلّعات..

ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل لمجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- الاستثمار الثقافي عامل مهم في التعريف بالموثوث الحضاري لكل دولة.
- للاستثمار الثقافي دور فعال في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والمستدامة وتطوير قطاع السياحة.
- وبعد إنجاز هذا البحث تم التوصل لصياغة بعض التوصيات و التي سيتم إنجازها فيما يلي:
- على الدول التي تشجع الاستثمار الثقافي أن تقوم بمنح الدعم الكافي للمشاريع الاستثمارية في هذا المجال (خاصة الدعم المالي).
- على المستثمرين في المجال الثقافي أن يكونوا أكثر حرصا على حماية التراث الثقافي فهو ليس ملكا لهم و إنما ملك للأجيال القادمة أيضا.

قائمة المصادر والمراجع:

الموقع الإلكتروني:

1. <https://ar.unesco.org>
2. [andi.www.andi.dz](http://www.andi.dz)
3. <https://ich.unesco.org>
4. www.un.org
5. www.radioalgerie.dz
6. <https://www.mfdgi.gov.dz>
7. www.mci.gov.sa
8. www.cese.ma
9. بيار بونت، ميشال إيزار وآخرون، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، ط 2، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع "مجد"، بيروت، لبنان، 2011.
10. جاك لومبار، مدخل إلى الأثنولوجيا، ترجمة: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1997.
11. عبد الرحمان العايب، التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التجارية و علوم التسيير، 2011/2010.

12. رشيد سالمى، هاجر عزى، واقع و آفاق التنمية المستدامة في الجزائر، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى العلمي الخامس حول: " إستراتيجيات الطاقات المتجددة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة" - دراسة تجارب بعض الدول، كلية العلوم الإقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة البليدة 2، يومي 23-24 أفريل، 2018.
13. محمد الصغير بعلي، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون، النظرية العامة للحق)، د.ط، دار العلوم، الجزائر، 2006.
14. مليكة زغيب، سوسن زيرق، دور ترميم المواقع الأثرية في ترقية السياحة الثقافية الداخلية رؤية مستقبلية للمسرح الروماني " روسيكادا"، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الوطني الموسوم ب: فرص و مخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، يومي 19-20 نوفمبر 2012.
15. مخلوف بوكروح، حنان الحاج علي و آخرون، الدليل إلى الإدارة الثقافية، ط 2، دار شقيقات للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، 2009.
16. هواري معراج وآخرون، القرار الإستثماري في ظل عدم التأكد والأزمة المالية، ط 1، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2013.
17. القانون رقم 16-01 المؤرخ في 06 مارس 2016 المتضمن التعديل الدستوري، ج ر ج ج العدد 14، المؤرخة في 07 مارس 2016.
18. القانون رقم 04/98 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو سنة 1998 يتعلق بحماية التراث الثقافي في الجزائر، ج ر ج ج العدد 44، الصادرة بتاريخ 22 صفر عام 1439 هـ الموافق 17 يونيو 1998.
19. القانون رقم 10/03 المؤرخ في 19 جمادى الأولى عام 1424 الموافق 19 يوليو سنة 2003 يتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة، ج ر ج ج العدد 43، الصادرة بتاريخ 20 يوليو 2003.

دور المتاحف في تنمية النشاط الاقتصادي

د. قوار الحبيب سعيد

جامعة مستغانم - الجزائر

د. بن حمو محمد عصمت

جامعة مستغانم - الجزائر

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور المؤسسات الثقافية كالمتاحف في التنمية الاقتصادية عن طريق تفسير النظريات الاقتصادية و تشرح الوضعية الاقتصادية الحالية للمتاحف في البلدان العربية مقارنة مع بلدان أخرى، كما تبحث هذه الورقة في سبل البحث كيف يمكن جعل المتحف مصدرا للديناميكيات الاقتصادية الوطنية والكيفية التي يمكن بها المساهمة بأكثر فعالية في تنشيط القطاع السياحي و بالتالي في التنمية الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: المتاحف، اقتصاد الثقافة، السياحة، تنمية اقتصادية

Resume

Cette recherche vise à mettre en évidence le rôle des institutions culturelles telles que les musées dans le développement économique en interprétant les théories économiques et en analysant la situation économique actuelle des musées dans les pays arabes par rapport à d'autres pays.

Le document explore également les moyens de faire du musée une source de dynamique économique nationale et de contribuer plus efficacement à la revitalisation du secteur du tourisme et, partant, au développement économique.

Mots-clés: musées, économie de la culture, tourisme, développement économique

مقدمة:

المنافسة الكبيرة الموجودة حالياً بين مختلف المناطق السياحية في مختلف أنحاء العالم من أجل جذب أكبر عدد من السياح، فمن خلال السياحة الثقافية التي هي أحد الركائز المعتمد عليها مع إبراز التراث المادي والغير المادي المتوفر والخاص بكل منطقة أصبح التأكيد على الجانب الثقافي والتاريخي للوجهات السياحية احد تقنيات الترويجية المستعملة بكثرة. فالمتاحف تلعب دوراً أساسياً من حيث أنها تعتبر علامات خاصة بالإقليم. فهي تشهد على مكان وتاريخ وثقافة مع التأكيد على الهوية، مما يمنح للسياح الفرصة لمعرفة جزء هام من التاريخ، لذا يجب إعادة التفكير في علاقة المتاحف بالاقتصاد حتى تشارك بنشاط في التنمية الاقتصادية والسياحية لأراضيها، تأتي هذه الورقة للبحث في التساؤل الرئيسي التالي :

كيف يمكن للمتاحف المساهمة في تحريك عجلة النشاط الاقتصادي من خلال تحسين جاذبية السياح والزوار؟ ونستعين بالأسئلة الفرعية التالية:

- ما أهمية المتاحف في قطاع السياحة ؟
- كيف يمكن للمتاحف أن تكون مصدراً للديناميكيات الاقتصادية المحلية ؟
- ما هو واقع وحال المتاحف حول العالم؟

ولتحديد الإطار النظري والتحليلي للدراسة نفترض ما يلي:

- يعتبر المتحف المؤسسة الثقافية المهمة في الحفاظ على تاريخ الحضارات
- اقتصاد المؤسسات الثقافية مكون مهم للاقتصاد الثقافي
- إعداد إستراتيجية التنمية السياحية بطريقة منسقة ، فإن المتاحف قادرة على المشاركة في ديناميكيات الاقتصاد والسياحة المحلية.

لهذا سوف نتطرق الورقة البحثية الحالية وفق منهج وصفي وتحليلي تبعا للمحاور التالية:

- 1- تعريف المتاحف ووظائفها
- 2 - الجوانب النظرية لاقتصاد مؤسسات الثقافة
- 3 - تحليل معطيات إحصائية واقتصادية لبعض الدول (عربية و أوروبية)

I- تعريف المتاحف ووظائفها**I-1 تعريف المتاحف**

المفهوم الأساسي والتعريف العام للمتحف على انه مكان ومبنى عام التي يتم فيه جمع وتصنيف مجموعات من الأشياء ذات الاهتمامات التاريخية والفنية والعلمية والثقافية، قصد الحفاظ عليها والعرض للجمهور. فيجمع فيه كل ما أنتجه الإنسان منذ العصر القديم من آثار قديمة وأعمال فنية وكل ما صنعه الإنسان لمختلف

استعمالاته اليومية منذ القدم بحيث هو يظهر كل إبداعات الإنسان وتطوره خلال جميع المراحل التاريخية التي مرت بها الإنسانية.

I-2 أنواع المتاحف

- متاحف الآثار والتراث تعرض فيها التحف الأثرية وتهتم أيضا بحفظها وصيانتها
- متاحف الفنون تهتم بعرض اللوحات المرسومة الفنية وكذلك الأعمال الفنية كالخزف النحت أشهر متحف هو اللوفر بباريس.
- متاحف العلوم يتم عرض فيها الاكتشافات العلمية و تطبيقاتها في جميع المجالات
- متاحف قومية أو وطنية يتسم بالطابع التذكاري والتاريخي للوطن

I-3 الوظائف الأساسية للمتحف

حفظ والترميم: الحفاظ على الأعمال من خلال ضمان و توفير ظروف جيدة للعرض أو التخزين و يهدف الترميم إلى تحسين الحفظ أو إصلاح للحفظ على حالته

تثمين و إظهار القيمة: من خلال العرض (دائم أو مؤقت) حتى لو كانت هناك أنواع أخرى من العروض غير المباشرة: المنشورات والوثائق، المشتقات. ويهدف المعرض إلى حضور الجماهير إلى المتحف، و من ثم فإن مجموعة من التوقعات الفكرية (الاهتمام بالعرض، وإدراك الأعمال وراحة الزيارة) يجب توفيرها.

استقبال الزوار والإعلام: يجب أن تكون عملية الاستقبال في المستوى المطلوب مع وضع سياسة التسعير وساعات العمل المعدلة ومدروسة؛ المعلومات المتعلقة بالعرض المقدمة، المنشورات والوثائق يجب أن تكون متاحة للجمهور

II- الجوانب النظرية لاقتصاد المؤسسات الثقافية

II-1 مفهوم اقتصاد الثقافة: اقتصاديات الثقافة تهتم بدراسة الجوانب الاقتصادية والسياسات المتعلقة بالثقافة والمؤسسات الثقافية يشمل كل أبعاد العملية الثقافية ويعتمد على المراجع والأدوات من علم الاقتصاد من اجل تنظيم وتطوير الأنشطة الثقافية فضلا عن اقتصاد المؤسسات الثقافية كالمتاحف والمكتبات والمعالم التاريخية.

II-2 الارتكاز النظري للاقتصاد الثقافي: كانت هناك دائما نظرات اقتصادية على الأنشطة الفنية والثقافية ، نظرا لخصوصيات عمل هذا القطاع فبالنسبة لآدم سميث، الثقافة هي "ملكية عامة" جيدة لأنها تساهم أساسا في التعليم بالنسبة لماركس، قيمة الأعمال الفنية هي استثناء واضح لقانون قيمة العمل، شومبيتر 1933 يرى في الإبداع الفني شيئا متعاليا فيما يتعلق بالابتكار الاقتصادي أما أعمال باومول وبوين، 1966 هي التي اهتمت الأكثر بجانب اقتصاد الثقافي.

تلعب الثقافة دور "الميزة النسبية" للمدينة، خاصة كجزء من إستراتيجيتها التسويقية الإقليمية. المتحف هو عامل جذب: الزوار، بالطبع، ولكن أيضا الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية (Zukin.S (1995) ويشرح كل من ب. فراي وس. ماير (2003) على وجه الخصوص كيف تؤثر المتاحف على التجارة المحلية من خلال جاذبية السياحة: "المتاحف تنتج القيم النقدية لعملاء الاقتصاديين الآخرين، وقد استُخدمت بالفعل لتحديد هؤلاء الزائرين ذوي القيمة المضافة ومساهماتهم، كما في حالة تيريل وجونستون (2001)، الذين يأخذون في الاعتبار النظر في أصل الزوار ووجهة النفقات التي قدمها هؤلاء الزوار. التأثير الاقتصادي لنشاط ثقافي ما كموقع التاريخي أو الأثري أو متحف حيث حاول الاقتصاديون تقديم نموذج علمي لقياس دور المؤسسات الثقافية كالمتاحف في تنمية الاقتصاد يمكن حسابه بالمعادلة التي¹ نيكلاس يان بالاعتماد على أعمال سيمان 2003 وهوارد وكرومتن 2004 Yann Nicolas يمكن تلخيصها كمايلي:

تأثير اقتصادي كلي

=

الاستهلاك + العوائد المتعلقة بالإنفاق المنسوب + زيادة في الإنتاجية والنمو والتنمية الاقتصادية - تكاليف

347

حيث يمثل:

- **الاستهلاك**: تمثل قيمة استهلاك للأصل الثقافي كزوار المتحف مثلا اقتناء التذاكر،
 - **العوائد المتعلقة** من خلال نفقات النقل والمطاعم وحجز فنادق وما يترتب عليها من خلق لفرص عمل وعوائد جديدة الناتجة عن وجود المعلم التاريخي أو متاحف وتكون على المدى المتوسط،
 - **الزيادة في الإنتاجية والنمو الاقتصادي** هي الزيادة في إنتاج السلع والخدمات وبالتالي الزيادة في مداخيل المنطقة.
 - **التكاليف المترتبة** عن تسيير المؤسسة الثقافية من أمن وإستثمارات صيانة... وغيرها.
- زيارة هذه المتاحف والسفر من أجل الدخول إليها، دفع رسوم التذاكر والدخول، فيزيد إنفاق في أوجه مختلفة، تتعلق حجز الفنادق والإطعام والحركة في القطاع السياحي، ينتج عنه تداول للأموال، بارتفاع الطلب على السلع يتبعه زيادة في إنتاج السلع و الخدمات مع خلق فرص العمل وبالتالي المساهمة في تنمية اقتصادية مستدامة².

¹ Nicolas, Yann. « L'impact économique d'une activité culturelle comme motif au soutien public : définition et conditions de validité », *Revue d'économie politique*, vol. vol. 120, no. 1, 2010, pp. 87-116.

² دور-المتاحف-الإسلامية-في-خدمة-الاقتصاد- / http://ijtihadnet.net / تاريخ التصفح / 20/01/2019

III- تحليل معطيات إحصائية واقتصادية لبعض الدول (عربية وأوروبية)

أغلب المتاحف الأكثر زيارة موجودة في أوروبا و الولايات المتحدة حيث يتم الاستفادة من التدفق عدد كبير من السياح من أجل الترويج وإبراز الموجود الثقافي لتلك الدول عن طريق المتاحف المتوفرة فمن خلال الشكل أسفله:

الشكل 1: ترتيب المتاحف عالميا بالنسبة للعدد الزوار

RANK	MUSEUM LOCATION	% CHANGE	ATTENDANCE 2017	ATTENDANCE 2016	TREND
1	LOUVRE, PARIS, FRANCE	9.5%	8,100,000	7,400,000	↑
2	NATIONAL MUSEUM OF CHINA, BEIJING, CHINA	6.8%	8,043,000	7,550,000	↑
3	NATIONAL AIR AND SPACE MUSEUM, WASHINGTON, DC, U.S.	-4.7%	7,000,000	7,300,000	↓
4	THE METROPOLITAN MUSEUM OF ART, NEW YORK, NY, U.S.	4.5%	7,000,000	6,700,000	↑
5	VATICAN MUSEUMS, VATICAN, VATICAN CITY	5.9%	6,427,000	6,057,000	↑
6	SHANGHAI SCIENCE & TECHNOLOGY MUSEUM, SHANGHAI, CHINA	1.7%	6,421,000	6,316,000	↑
7	NATIONAL MUSEUM OF NATURAL HISTORY, WASHINGTON, DC, U.S.	-15.5%	6,000,000	7,100,000	↓
8	BRITISH MUSEUM, LONDON, U.K.	-8.0%	5,907,000	6,420,000	↓
9	TATE MODERN, LONDON, U.K.	-3.1%	5,656,000	5,829,000	↓
10	NATIONAL GALLERY OF ART, WASHINGTON, DC, U.S.	22.8%	5,232,000	4,261,000	↑
11	NATIONAL GALLERY, LONDON, U.K.	-16.5%	5,229,000	6,242,000	↓
12	AMERICAN MUSEUM OF NATURAL HISTORY, NEW YORK, NY, U.S.	0.0%	5,000,000	5,000,000	↔
13	NATIONAL PALACE MUSEUM (TAIWAN), TAIPEI, TAIWAN	-4.9%	4,426,000	4,646,000	↓
14	NATURAL HISTORY MUSEUM, LONDON, U.K.	-4.1%	4,425,000	4,624,000	↓
15	STATE HERMITAGE, ST PETERSBURG, RUSSIA	2.5%	4,220,000	4,119,000	↑
16	CHINA SCIENCE TECHNOLOGY MUSEUM, BEIJING, CHINA	4.0%	3,983,000	3,830,000	↑
17	REINA SOFIA, MADRID, SPAIN	6.9%	3,897,000	3,647,000	↑
18	NATIONAL MUSEUM OF AMERICAN HISTORY, WASHINGTON, DC, U.S.	0.0%	3,000,000	3,000,000	↔
19	VICTORIA & ALBERT MUSEUM, LONDON, U.K.	25.4%	2,790,000	2,012,000	↑
20	CENTRE POMPIDOU, PARIS, FRANCE	1.2%	3,371,000	3,300,000	↑
TOP 20 TOTAL ATTENDANCE 2017			107,967,000	107,620,000	
TOP 20 ATTENDANCE GROWTH 2016-17			0.2%	107,967,000	107,798,000

المصدر TEA/AECOM 2017 Thème Index and Museum Index: The Global Attractions 2017 Attenance Report

فمن خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن متحف اللوفر في فرنسا يستقطب أكثر من 8 ملايين زائر في 2017 وبزيادة نسبة تقدر بـ 9.5% مقارنة بـ 2016 وكذلك نفس الشيء للمتحف الوطني في الصين التي أصبحت ممثلة بثلاثة متاحف في ترتيب 20 الأوائل هذا يدل على مدا اهتمام الصين في سياستها الترويجية للسياحة بالارتكاز على التراث الوطني والتاريخي اعتمادا على المتاحف.

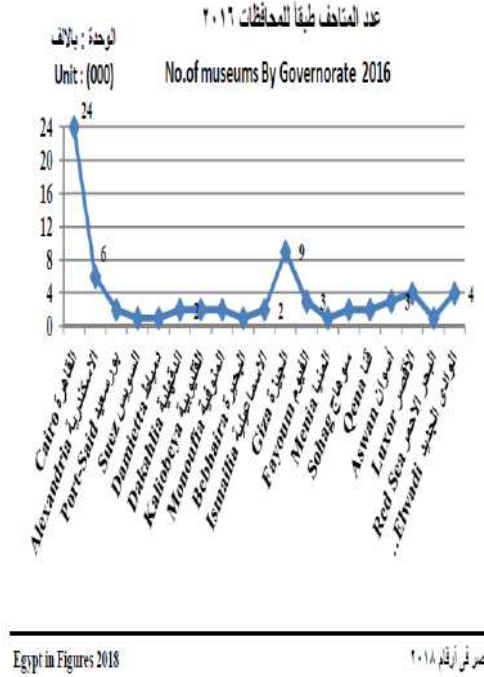
فإيطاليا في سنة 2016 وحسب الإحصائيات الرسمية تم بيع 44.5 مليون تذكرة خاصة بالمتاحف بعوائد قدرت 172 مليون اورو وبزيادة تقدر بـ 12% مقارنة بالسنة التي سبقتها بارتفاع على مدار ثلاث سنوات

متتالية¹ في سنة 2018 أظهرت الإحصائيات الرسمية في اليونان انه تم بيع 445 ألف تذكرة بعوائد حددت بأكثر من عشرة ملايين اورو²

الشكل 2: عدد المتاحف والزوار في جمهورية مصر

عدد المتاحف والزائرين طبقاً للمحافظات عام 2016
No. of museums, visitors By Governorate 2016

Governorate	الزائرين (بالآلاف) Visitors (000)	المتاحف Museum	المحافظة
Cairo	4 994	24	القاهرة
Alexandria	710	6	الإسكندرية
Port-Said	19	2	بورسعيد
Suez	5	1	السويس
Damietta	4	1	دمياط
Dakahlia	12	2	الدقهلية
Kalio beya	15	2	القليوبية
Monoutia	9	2	المنوفية
Bebhaira	28	1	البحيرة
Ismailia	8	2	الإسماعيلية
Giza	3 394	9	الجيزة
Fayoum	1	3	الفيوم
Menia	5	1	المنيا
Sohag	1	2	سوهاج
Qena	92	2	قنا
Aswan	252	3	أسوان
Luxor	78	4	الأقصر
Red Sea	4	1	البحر الأحمر
Elwadi Elgidid	3	4	الوادى الجديد
Total	9 634	72	الإجمالي



المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء "مصر في أرقام لعام

<http://sis.gov.eg/Story/166484?lang=ar2018>

عدد زائري المتاحف المصرية بلغ أكثر من 9 ملايين زائر سنة 2016 ففي القاهرة يوجد 24 متحفا زاره ما يقارب ملايين زائر يليه الجيزة بـ 3.4 مليون شخص فمصر نظرا للتراث التاريخي وأثارها استطاعت جلب عدد معتبر من الزائرين ولكن بالمقارنة مع المتاحف العالمية الكبرى لا زالت متأخرة فلم تستغل بما تتوفر عليه من إمكانيات وقطع أثرية ذات أهمية لجلب عدد أكبر من الزائرين والسياح واستفادة اقتصاديا من العوائد المتعلقة بالمتاحف من بيع التذاكر المبيت خلق فرص عمل للخلق حركية في القطاع السياحي.

في تونس بلغ عدد زوار المتاحف 670 ألف في سنة 2017 هو رقم منخفض مقارنة بالسابق (هذا العدد كان يخص فقط متحف باردو سابقا)³، حيث زار في 2010 2.5 مليون شخص المتاحف التونسية لتحسين الوضع تبدل الدول التونسية مجهودات كبيرة من حيث إعادة التأهيل و الإعلام و الاتصال تزامنا مع

¹<http://www.club-innovation-culture.fr/2016-musees-italie-44-5-millions-de-visiteurs-plus-de-contenus-numeriques/>

² http://www.amb-grece.fr/actuhelleniquesenfrance/actualites/statistiques_musees.htm#14

³ <https://tunisie.co/article/9282/decouverte/musees-et-monuments/patrimoine-099490>

ارتفاع عدد السياح المتوافدين على تونس، أما في المغرب يوجد حوالي 80 متحف الأكثر زيارة هو متحف محمد السادس بـ 770 ألف زائر¹ ومتحف مراكش بـ 600 ألف زائر فباشرت المغرب سياسة ثقافية طموحة في الاستثمار في إنشاء وصيانة المتاحف بدأت تظهر نتائجها حاليا في المملكة العربية السعودية يوجد 20 متحف قام بزيارته أكثر من 560 ألف زائر في 2017 حسب الأرقام الرسمية لوزارة الثقافة، بينما تملك الجزائر إحدى عشر متحفا كبيرا على مستوى الوطني ولا يتعدى عدد زوارها 100 ألف مع غياب أرقام رسمية حديثة ما هو قليل جدا رغم أن الجزائر تعد في حد ذاتها متحف مفتوح لما تتوفر عليه من مختلف الآثار الشاهدة على مختلف العصور التي مر بها التاريخ فيجب وضع إستراتيجية جديدة ومنسقة من اجل الخروج من هذه الوضعية والاستفادة من المقومات المتوفرة لجعل الاقتصاد الثقافي احد المساهمين المهمين في الناتج المحلي الوطني.

III-2 استراتيجيات التي يمكن إتباعها لتحسين الدور الاقتصادي للمتاحف واستقطاب الزوار.

- إقامة المعارض المؤقتة ومهرجانات واستغلالها من اجل التعريف بالتراث والآثار الموجودة لنشر الوعي الثقافي وجلب جمهور ليعتاد على زيارة المتاحف مع الاحتفال باليوم العالمي للمتاحف يوم 18 ماي من كل سنة وتنظيم مجموعة من الفعاليات وبرامج خاصة والنشاطات مع استهداف فئة الشباب للتعريف بالدور الثقافي والاجتماعي للمتحف
- تحسين الطريقة التي تعمل بها المتاحف من أجل أن تكون أكثر كفاءة كتجميع المشاريع والموارد بين العديد من المتاحف، من خلال توحيد موظفيها وإقامة خدمات مشتركة مع إنشاء تذاكر مشتركة بين العديد من المتاحف لتشجيع تداول الجمهور (الخدمة العامة، الاتصال، الاستقبال.. إلخ) كما تم فعلته المتاحف الثلاثة في روديز بفرنسا².
- يجب على المتاحف أن تكون جزءا من سياسات السياحة العالمية من خلال المشاركة في إستراتيجية التطوير السياحي للوجهة بنسج روابط مع مكاتب ومجالس السياحة الإقليمية والمحلية
- الترويج للمتاحف من خلال الإعلام وتعاون مع الجهات الفاعلة كالهياكل الثقافية المحلية للمشاركة في البرامج الجماعية، إنشاء طرق السياحة الثقافية بإدخال المتاحف في برامج الرحلات والسفريات بالتعاون مع الوكالات السياحية.

خاتمة

رغم توفر الدول العربية على تراث تاريخي غني الذي يعتبر ثروة في المنظور الاقتصادي إلا انه ليس مستغل بالكيفية الملائمة للاستفادة منه كاملا مقارنة بدول أوروبية وأمريكا والصين التي جعلت من الثقافة احد العلامات الترويجية السياحية، فهناك العديد من التحديات التي تواجهها المؤسسات الثقافية كالمتحف بإعتباره

¹<https://www.yabiladi.com/articles/details/53798/engouement-marocains-pour-musees-nationaux.html>

² <https://ocim.fr/2016/08/musees-tourisme-culturel-developpement-economique/>

أحد الأصول الثقافية والاقتصادية والسياحية للمنطقة، ليكون مصدرا للديناميكيات الاقتصادية المحلية ويساهم بقوة في التنمية الاقتصادية، نظرا لما يتوفر عليه على المؤهلات خاصة.

لذلك يجب تطوير الجانب الاقتصادي للمتاحف، من خلال تشجيع الاستثمار في القطاع السياحي جعله جزء مهم في إستراتيجية التطوير السياحي والتركيز على التراث التاريخي والأثري المتوفر لدى الدول العربية في سياساتها الترويجية السياحية ودمج المتاحف في عروض السياحة والأسفار بالنسبة للأجانب والسياحة الداخلية، وكذلك نشر الوعي الثقافي في المجتمع والتركيز على فئة الشباب لكي تصبح زيارة المتحف أحد العادات الاجتماعية المنتشرة.

المراجع :

- De l'approche marketing dans les musées [Jean-Michel Tobelem](https://www.persee.fr/doc/pumus_1164-5385_1992_num_2_1_1015) https://www.persee.fr/doc/pumus_1164-5385_1992_num_2_1_1015
- L'impact touristique des nouveaux musées : analyse des relations entre l'environnement urbain et la spatialisation de l'impact à travers les exemples du Centre Pompidou-Metz et du Louvre-Lens **Mathias Boquet** <https://journals.openedition.org/belgeo/12600>
- Nicolas, Yann. « L'impact économique d'une activité culturelle comme motif au soutien public : définition et conditions de validité », *Revue d'économie politique*, vol. vol. 120, no. 1, 2010.
- William G. Bowen, "Performing Arts: The Economic Dilemma", New York: Twentieth Century Fund.
- L'organisation des musées : une évolution difficile André Desvallées et François Mairesse <https://www.cairn.info/revue-hermes-la-revue-2011-3-page-30.htm#>
- Introduction : L'économie de la culture est-elle particulière ? Xavier Greffe <https://www.cairn.info/revue-d-economie-politique-2010-1-page-1.htm#no4>
- TEA/AECOM 2017 Theme Index and Museum Index: The Global Attractions Attendance Report 2017
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء "مصر فى أرقام لعام 2018" <http://sis.gov.eg/Story/166484?lang=ar>
- http://www.amgrece.fr/actuhelleniquesenfrance/actualites/statistiques_musees.htm#14
- <http://www.club-innovation-culture.fr/2016-musees-italie-44-5-millions-de-visiteurs-plus-de-contenus-numeriques/>
- <http://ijtihadnet.net/2/دور-المتاحف-الإسلامية-في-خدمة-الاقتصاد-20/01/2019>
- <https://tunisie.co/article/9282/decouverte/musees-et-monuments/patrimoine-099490>
- <https://www.yabiladi.com/articles/details/53798/engouement-marocains-pour-musees-nationaux.html>
- <https://ocim.fr/2016/08/musees-tourisme-culturel-developpement-economique/>
- http://mandomando334.blogspot.com/2014/01/blog-post_18.html
- <https://www.djazair.com/alahrar/117631>
- <https://www.almasryalyoum.com/news/details/735414>
- <https://ocim.fr/2016/08/musees-tourisme-culturel-developpement-economique/>

صناعة السياحة ركيزة أساسية لاستدامة النمو الاقتصادي والاجتماعي

الآفاق والتحديات - تجربة دولية لبلدان المغرب العربي

دكتورة بلعباد نجاة
جامعة محمد طاهري بشار - الجزائر

دكتورة زاوي شهرزاد
جامعة محمد طاهري بشار - الجزائر

دكتور شامي عبد الرحمن
جامعة محمد طاهري بشار - الجزائر

الملخص:

إن صناعة السياحة أصبحت من الركائز الأساسية لاستدامة النمو في اقتصاديات العديد من الدول، وفي وقتنا الحالي وأكثر من أي وقت مضى تقوم السياحة بدور الريادة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحضرية في العالم نتيجة للأهمية الإيجابية لها في التنمية الاقتصادية الشاملة للبلاد، فبعدها كان يقتصر مفهومها على أنها شكل من أشكال الترويح عن النفس وقضاء وقت الفراغ، ارتأت الكثير من الدول في السياحة بديلا جديدا للنهوض باقتصادياتها ومحركا سريعا لتطورها، بل أكثر من ذلك اعتبرتها الصناعة الأولى في العالم والمخرج المناسب للعديد من المشكلات القومية، خاصة بعدما حققته الدول النامية التي انتهجتها والناتج الإيجابية التي حققتها على مختلف الأبعاد الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية والعمرانية وجعلتها في مصاف الدول المتقدمة.

يساهم النشاط السياحي في تنمية العديد من المجالات، الاقتصادي، الحضاري، التعليمي، وفي البناء العمراني لكثير من البلدان كما يدفع بالتنمية الإقليمية والبشرية، يعمل كذلك على تطوير البنية التحتية وتنمية كافة القطاعات الصناعية والمهنية، الزراعية، الغذائية والتجارية، خدمات النقل وغيرها، والنهوض بالعملية الاستثمارية لمختلف المرافق والقطاعات المرافقة للنشاط السياحي، ولعل نقطة البداية في محاولة تسليط الضوء على هذا القطاع سيكون بالإجابة على الإشكالية التالية: ما هو الدور الريادي الذي تلعبه السياحة في العالم؟ وماهي المساهمة الاقتصادية والاجتماعية الحضرية للسياحة على الدول المضيفة؟، وما هي التحديات التي يعاني منها هذا القطاع في دول المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب؟ من خلال هذه الورقة نحاول التطرق إلى بعض من جوانب السياحة و دورها اقتصاديا و اجتماعيا على المستوى العالمي، و مساهمتها في اقتصاديات بعض دول المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب و التعرف على اهم التحديات التي يعاني منها القطاع السياحي.

الكلمات المفتاحية: السياحة، التنمية السياحية، القطاع السياحي، آفاق السياحة.

مقدمة:

تطورت صناعة السياحة والسفر تطورا هائلا في وقتنا الحالي، وازداد اعتماد اقتصادها اعتمادا كبيرا، نتيجة للأهمية الايجابية لها في التنمية الاقتصادية الشاملة للبلاد، فبعدها كان يقتصر مفهومها على انها شكل من اشكال الترويج عن النفس وقضاء وقت الفراغ، مؤخرا ارتأت الكثير من الدول في السياحة بديلا جديدا للنهوض باقتصادياتها ومحركا سريعا لتطورها، بل اكثر من ذلك اعتبرتها الصناعة الاولى في العالم والمخرج المناسب للعديد من المشكلات القومية، خاصة بعدما حققتة الدول النامية التي انتهجتها والنتائج الايجابية التي حققتها على مختلف الابعاد الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية والعمرانية وجعلتها في مصاف الدول المتقدمة بعدما تغلبت على مشكل عجزها التجاري وتحقيق ايرادات على مستوى عال.

تفرد بلدان المغرب العربي بمكونات ومقومات طبيعية عن باقي أهم الدول السياحية، حيث تحتل الجزائر المرتبة 124 وتونس المرتبة 94 والمغرب المرتبة 47 من 163 دولة من ناحية الموارد الطبيعية¹، تتميز بموقعها الممتاز شمال القارة الإفريقية، الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط، ذات مناخ وتضاريس متنوعة بالإضافة الى اختلاف العادات والتقاليد، تمتاز الجزائر بثلاث انواع من المناخ: مناخ البحر الابيض المتوسط الذي يشمل المنطقة الشمالية الساحلية، والمناخ القاري الذي يغطي منطقة الهضاب العليا، ومناخ الصحراوي في الصحراء والواحات، مما يجعل الطلب السياحي عليها مستمرا طوال السنة، السياحة الشتوية في الصحراء والسياحة الصيفية في السواحل والشواطئ.

تختلف التضاريس بما من سواحل رملية في اقصى الشمال الى سلاسل جبلية والى الكثبان الرملية في اقصى الصحراء التي تتوسطها واحات خضراء، كل هذا قد يجعلها مقصدا سياحيا لمختلف الاذواق والممارسات الرياضية الترحلق على الثلوج والترحلق على الرمال بالإضافة الى ممارسة رياضة تسلق الجبال، يتنوع المناخ، تنوع التضاريس، وتنوع الغطاء النباتي والحيواني وانفرادها بها، بالإضافة الى الغابات.

الشريط الساحلي الطويل الذي تتمتع به، يوفر امكانيات كبيرة لممارسة نشاطات استجمامية متعددة كالسباحة والغطس والتزلج على الماء وصيد السمك وركوب القوارب، كما ان الشواطئ تتلقى نصيبا اكبر من الاشعاع الشمسي، وهذا عامل مهم في جذب السياح وخاصة سكان المناطق التي تفتقر الى المياه الدافئة والى اشعة الشمس لساعات طويلة في اليوم، وقد ترتب على ذلك حركة سياحية ذات اتجاه شمال -جنوب اذ يصل ملايين الافراد من شمال وغرب اوربا وكذلك من كندا والولايات المتحدة الى سواحل البحر المتوسط، فالتعرض لأشعة الشمس لساعات طويلة واكتساب اللون البرونزي يعتبران مؤخرا مطلبا وهدفا لكثير من سكان العروض المعتدلة والباردة.

¹ The travel and Competitiveness, World Economic Forum, report 2018, pp81/249/325.

أما عن الخصائص التاريخية والحضارية فالموقع الجغرافي الاستراتيجي جعلها مهدا للعديد من الحضارات الانسانية المتعاقبة، وهذا ما جعلها تزخر بالعديد من المعالم الاثرية التاريخية والمواقع التراثية الفريدة من نوعها، وتحتل الجزائر المرتبة 53 ثقافيا، المغرب المرتبة 41، تونس 63 من أصل 163 دولة ص 325¹.

1 تعد المغرب وتونس والجزائر من أكثر الدول زيارة في أفريقيا من حيث توافد السياح، حيث حققت المغرب المرتبة الاولى ب 11.34 مليون سائح، وتونس المرتبة الثالثة بعد جنوب افريقيا ب 7.05 مليون سائح، والجزائر المرتبة الرابعة ب 2,45 مليون سائح، حسب معطيات منظمة السياحة العالمية².

يساهم النشاط السياحي في تنمية العديد من المجالات، الاقتصادي، الحضاري، التعليمي، و في البناء العمراني لكثير من البلدان كما يدفع بالتنمية الإقليمية والبشرية، يعمل كذلك على تطوير البنية التحتية و تنمية كافة القطاعات الصناعية والمهنية، الزراعية، الغذائية والتجارية، خدمات النقل وغيرها، والنهوض بالعملية الاستثمارية لمختلف المرافق والقطاعات المرافقة للنشاط السياحي، ولعل نقطة البداية في محاولة تسليط الضوء على هذا القطاع سيكون بالإجابة على الإشكالية التالية:

ما هو الدور الريادي الذي تلعبه السياحة في العالم؟

ما هي المساهمة الاقتصادية والاجتماعية الحضرية للسياحة على الدول المضييفة؟

ما هي التحديات التي يعاني منها هذا القطاع في دول المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب؟

من خلال هذه الورقة نحاول التطرق إلى بعض من جوانب السياحة ودورها اقتصاديا واجتماعيا على المستوى العالمي، ومساهمتها في اقتصاديات بعض دول المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب والتعرف على أهم التحديات التي يعاني منها القطاع السياحي بها.

- أولا: أهمية السياحة

1- الأهمية الاقتصادية لقطاع السياحة: عرفت السياحة الدولية نمواً متسارعاً اعتباراً من عقود الستينات والسبعينات والثمانينات، من 25 مليون سائح سنة 1950، الى 278 مليون سنة 1980 الى 528 مليون سنة 1995 لتتعدى مليار و 87 مليون سائح سنة 2013³، لتصبح 1326 مليون سائح لسنة 2018⁴، حيث حققت نمواً و تطورا مثيراً في مختلف المجالات والمرافق للدول المضييفة، على المستوى الكلي و الجزئي، التطور في المجال التكنولوجي، مرافق النقل، وشبكات الاتصالات، وخدمات الكهرباء والمياه، وحتى القطاعات المنتجة مثل القطاع الزراعي والصناعي، فلا يكفي تطوير المواقع السياحية الحديثة بمعزل عن باقي المرافق الأخرى وتطورات في مجالات عدة، السياحة يمكن أن تساهم إلى حد كبير في الاقتصادات المحلية من خلال

¹ The travel and Competitiveness, op-cit, p81-249 -325.

² Faits saillants OMT du tourisme, World Tourism Organization, édition 2018, p11 .

³ Organisation mondiale du tourisme; Faits saillants OMT du tourisme, édition 2014, P 02.

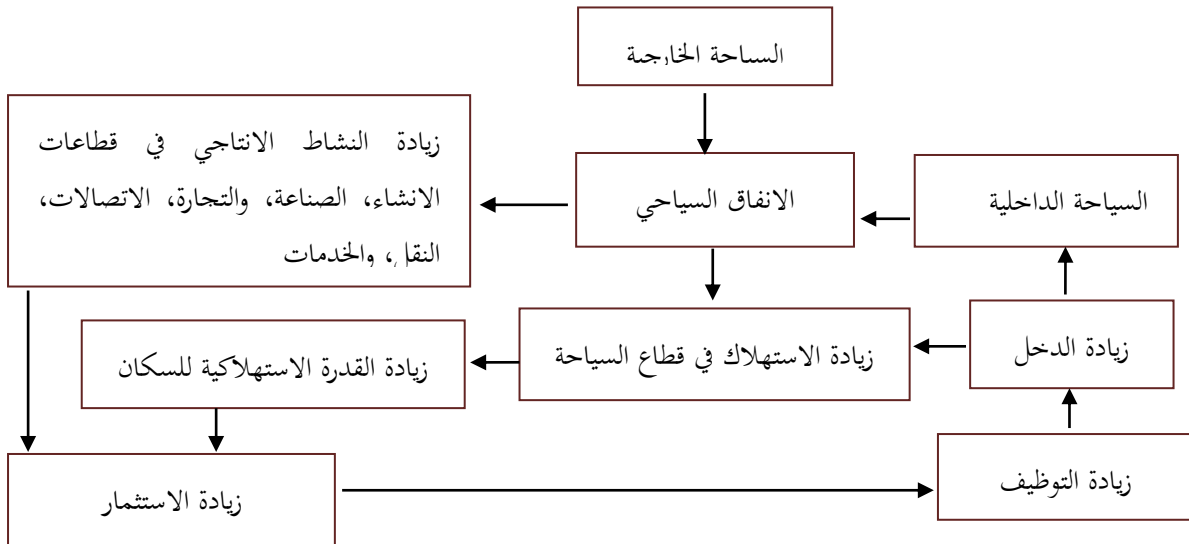
⁴ Organisation mondiale du tourisme; Faits saillants OMT du tourisme, édition 2018, P 02

الآثار المضاعفة عندما يتم حقن عائدات السياحة في الاقتصادات المحلية وبالتالي يحفز الاستثمارات في البنية التحتية، ويحسن نوعية الخدمات، ويحسن نوعية الحياة للمقيمين والسياح في الوجهات السياحية وبالتالي أن هناك علاقة وثيقة بين تنمية قطاع السياحة والتنمية الاقتصادية بمفهومها العام¹. كما أن للسياحة المحلية نصيب في ذلك، حيث أنه حسب التقارير واحصائيات منظمة السياحة العالمية انما تعادل 5 الى 6 مليار سائح محلي داخلي²، وشهدت الحركة السياحية الداخلية تطورا كبيرا في معظم دول العالم خاصة لغرض الدراسة والزيارات العائلية.

وتتبع الأهمية الاقتصادية للسياحة في القيمة الاقتصادية للتجارة في الخدمات السياحية والخدمات التكميلية لها، والتي تظهر من خلال أثر الإيرادات الناتجة عن الانفاق السياحي على مجموع الخدمات السياحية المستهلكة من طرف السياح المحليين والدوليين خلال رحلتهم السياحية الشكل (1)، كما يمكن قياس الأثر الاقتصادي للسياحة على البلد المضيف من خلال دراسة تأثيره على المؤشرات التالية:

- زيادة الدخل القومي،
- القضاء على البطالة،
- دعم ميزان المدفوعات،
- التخفيف من حدة الفقر،
- تحقيق التوازن الاقتصادي،

الشكل(1): دورة الانفاق السياحي



المصدر: منى بنت حامد ابراهيم حامد موسى، دراسة مستوى انفاق الاسرة السعودية على خدمات السياحة الترفيهية وعلاقته بتخطيط مورها المالي، اطروحة دكتوراه في الاقتصاد المنزلي، المملكة العربية السعودية: جامعة الملك عبد العزيز، 2005، ص 96.

¹ Mustafa Akal, Economic Implications of International, Tourism on Turkish Economy, Tourismos: An International Multidisciplinary Journal Of Tourism ,Volume 5, Number 1, 2010, p 133

² Faits saillants OMT du tourisme, op-cit, P 02.

1.1- مساهمة القطاع السياحي في زيادة الدخل القومي:

اصبحت السياحة إحدى أبرز الظواهر الاقتصادية والأنشطة الإنسانية الفعالة ما بين الدول ولهذا كان هنالك اعتماد كبير عليها من قبل الكثير من الدول باعتبارها مصدراً أساسياً للدخل القومي للدول المعنية بها وخصوصاً الدول التي تشهد وتزخر بحضارات قديمة، جديدة علاوة على تمتعها ببنية أساسية متقدمة من فنادق ومطاعم ومطارات وشوارع ومرافق سياحية وخدمية متطورة. ويقصد بالدخل القومي مجموع الإيرادات والدخول التي تحصلها المشاريع الاقتصادية والافراد والادارات في سنة معينة وفي بلد معين، والذي يمكن حسابه حسب طريقة الانفاق بالمعادلة التالية¹:

الدخل القومي

=

الإنفاق المحلي (استهلاك محلي + استثمار محلي) + الإنفاق الحكومي + الصادرات - الواردات

وتشير الاحصائيات الى ان متوسط مساهمة القطاع السياحي في الدخل القومي العالمي تصل الى نسبة 10% من الناتج المحلي الاجمالي المباشر وغير المباشر لسنة 2018، أي بحوالي 1340 بليون دولار².

إن تأثير السياحة في زيادة الدخل القومي يكمن في زيادة الانفاق السياحي في المقصد السياحي أو البلد المضيف، وهذا الانفاق يؤثر في الدخل القومي من نواحي متعددة، فإنفاق السائح خلال مدة إقامته في البلد المضيف يتفرع الى مجموعة من الإنفاقات، الانفاق على الخدمات السياحية، الانفاق على الخدمات الفندقية من مبيت وطعام ومستلزمات الحياة الفندقية، أيضا الانفاق على الرحلات السياحية من وكلاء السياحة والسفر، الانفاق على المشتريات من مصنوعات تقليدية ويدوية، الانفاق على خدمات الاتصالات والتأمين وغيرها، وهذا الانفاق ينتج عنه سلسلة من الإنفاقات التي تعتبر دخلا لمن يحصل عليها وبالتالي زيادة في الدخل القومي، أيضا عن طريق الرسوم والضرائب المتحصلة من الخدمات السياحية المقدمة للسياح (ضرائب على أرباح المقاهي والمطاعم والفنادق، ضرائب على الدخل بالنسبة للعاملين في القطاع السياحي، رسوم الدخول للمتاحف والمزارات، رسوم التراخيص بمزاولة المهن والنشاطات السياحية، الضرائب على المواد الغذائية، رسوم على خدمات البنية التحتية، كهرباء، المياه والصرف الصحي، رسوم على وسائل النقل البحري والبري والجوي، وهذه الضرائب والرسوم تمثل جزءا من الدخل القومي للبلد، وهنا مفهوم الانفاق السياحي الذي هو على صلة بجانب الطلب بدلا من جانب العرض في هذه الصناعة، والمتعلق بما يرغب به السائح من استهلاك المنتجات والخدمات³؛

¹ يمكن قياس الدخل القومي بثلاث طرق: طريقة الانفاق، طريقة الانتاج (القيمة المضافة)، طريقة الدخل، لمزيد من التفصيل انظر المرجع: مجيد علي حسين، عفاف عبد الجبار سعيد، التحليل الاقتصادي الكلي، دار وائل، الطبعة الاولى، 2004، ص 102-105.

² Faits saillants OMT du tourisme, op-cit, P 02 .

³ Larry D, Peter F, Liz Fr, Concepts of Tourism Yield and Their Measurement, National Library, Australia, 2006, P 15.

من جهة أخرى يكون تأثير السياحة في الدخل القومي عن طريق المضاعف، حيث ان انفاق السياح يتولد عنه عدة إنفاقات ودخول متتالية جديدة والى زيادة الانتاج في حالة الانفاق الاستثماري التي تترتب عليه تلبية الطلب المتزايد، التي ينتج عنها مضاعفة الدخل الاصلي الى عدة مرات حسب درجة تسلسل واعتماد الأنشطة الاقتصادية على بعضها البعض، وفي المقابل فان هذه الاخيرة تقوم بدفع مستحقات ودخول عناصر الانتاج و مكافآت لمن يستحقها اجورا ونفقات التشغيل وهي ما تتمثل في دخلا اضافيا للدخل القومي.

تعتمد قيمة المضاعف الاقتصادي على طبيعة العلاقة ودرجة الترابط بين القطاعات الاقتصادية فكلما كانت درجة الترابط كبيرة كلما ادى ذلك الى زيادة درجة الاعتماد المتبادل فيما بينهما و ازدادت القيمة العددية للمضاعف¹، وتشير احد الدراسات التي أعدها جلوسو وآخرون ان القطاع السياحي يتمتع بروابط قوية وعديدة مع القطاعات الاقتصادية عن الباقي من القطاعات، مما يحفز النشاط الاقتصادي ويزيد من قوة تأثير المضاعف، وإن التغير في الطلب السياحي يؤثر على الاقتصاد بطرق قد تكون تساوي أو أكبر من القيمة الأولية للتغير في الطلب، قيم الربط تزيد عن الواحد تشير للآثار المضاعفة في الاقتصاد².

إن الانفاق السياحي لا يتجه بكامله الى الانفاق والتداول في اقتصاد البلد المضيف، وإنما يخرج جزء منه من مجرى التداول أو الى خارج الدول المستقبلية للسياح، حيث تسدد قيمة بعض عناصر الانتاج الى خارج الاقليم، كدفع اثمان السلع المستوردة، أو إن تؤجل لاستخدامها في فترات لاحقة وهذا الجزء من الدخل

¹ محمد علي الخزان، مرجع سابق ذكره، ص40.

ويمكن قياس مضاعف الانفاق السياحي بطريقتين: الاولى مشتقة من الصيغة الكثرية للمضاعف و تقيس العلاقة بين الانفاق السياحي و الزيادات المتتابعة في الدخل ، والثانية بطريقة جدول المدخلات و المخرجات:

$$K = \frac{1 - \ell}{1 - C(1 - T_i)(1 - T_i - u) + m} \text{ : المضاعف بالطريقة الاولى}$$

حيث: K : مضاعف الانفاق السياحي، و ℓ : التسريبات المباشرة، و C : الميل الحدي للاستهلاك، T_i : الميل الحدي للضرائب غير المباشرة، T_i : الميل الحدي للضرائب المباشرة، u : المعدل الحدي للمدفوعات التحويلية، و m : الميل الحدي للاستيراد، اما الطريقة الثانية: تعد طريقة تحليل المدخلات والمخرجات اكثر دقة من الطريقة الاولى، حيث يمكن من خلالها تحليل تأثير السياحة على الاقتصاد القومي على عدة مستويات؛ المستوى الاول: يقيس الاثر المباشر للإنفاق السياحي على الأنشطة التي تحصل على هذا الانفاق مباشرة مثل الفنادق، المطاعم، المواصلات، المستوى الثاني: يقيس الاثر غير المباشر الاثر على الأنشطة الاقتصادية التي تمد الأنشطة المباشرة باحتياجاتها مثل الصناعات الغذائية. المستوى الثالث: يقيس الاثر المشتق الذي ينتج عن انفاق الافراد المشتغلين بالأنشطة المباشرة وغير المباشرة لدخولهم التي نتجت عن التغير المبدئي في الطلب السياحي،

المستوى الرابع: يقيس اثر النشاط الحكومي، الإيرادات التي تحصل عليها الحكومة من النشاط السياحي تنفق على سلع وخدمات تؤدي الى اثار اضافية، لمزيد من التفصيل انظر المصدر: محمد علي الخزان، مرجع سابق ذكره، ص40،

¹ Spira Mukhopadhyay, Tourism Economics, Ane Books Pvt.Ltd, New Delhi, 2010, P83-85.

² Geloso G M, Leshner M and Pinali E, Services trade liberalization and tourism development, OECD Trade Policy, Working Paper N° 57, Organization for Economic Cooperation and Development.OEDC Publishing , Paris•2007, P 07-08 .

المحتجزة يطلق عليه التسرب لأنه يسرب من مجرى التداول في الاقتصاد القومي، وبالتالي يقل الدخل من قطاع السياحة في معظم الأحوال عن الانفاق السياحي، وبالتالي قلة قيمة الدخل المضاعف.

2.1- مساهمة السياحة في القضاء على البطالة: إن الانفاق على الخدمات السياحية بالبلد المضيف يؤثر على قطاعات عدة في الاقتصاد القومي، إذ لا يقتصر هذا الأثر فقط على الدخل القومي، إنما يمتد أيضا إلى توليد فرص العمل ويعتبر قطاع السياحة من القطاعات التي لها تأثير كبير في خلق فرص للعمالة في مجالات عديدة ومتنوعة منها السياحي وغير السياحي (القطاع الزراعي، قطاع الاتصالات،...)، وبمعدلات نمو سريعة خاصة وأنه يعتبر من الصناعات الخدمية الكثيفة العمالة، ويعمل هذا القطاع على توليد نوعين من العمالة: **العمالة المباشرة:** تشمل على فرص العمل المتاحة بالوظائف التي لها علاقة مباشرة بالأنشطة السياحية والمنشآت السياحية من فنادق، مطاعم، وكالات السفر، شركات النقل السياحي، والإرشاد السياحي، وحماية السياح، وحفظ شؤونهم.

العمالة غير المباشرة: تشمل فرص العمل المتاحة في الوظائف والقطاعات الاقتصادية الأخرى التي يعتمد عليها القطاع السياحي من أجل تأمين مستلزمات السائح من طعام وشراب، صناعات حرفية وتقليدية والتي لها علاقة بالقطاعات التي تمد السياحة باحتياجاتها من السلع والخدمات، العاملين في البنية الأساسية، الزراعة، تجارة المواد الغذائية، الرعاية الصحية، التجهيزات الفندقية.

العمالة المستحثة¹: تشير العمالة المستحثة إلى فرص العمل الإضافية التي يتم توفيرها في الاقتصاد المحلي نتيجة لإنفاق الأجور والدخول المكتسبة من خلال التوظيف المباشر وغير المباشر لدى المنشآت السياحية والأنشطة السياحية والقطاعات الأخرى، حيث أن تأثير مضاعف السياحة يلعب دور هام في خلق فرص جديدة للشغل وبالتالي ظهور العمل المستحث، كما تفيد الدراسات والتقارير المنظمة العالمية للسياحة بأنه يوفر فرص عمل لأعداد كبيرة من الأفراد حيث عن كل وظيفة يساهم في توليد 11 فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة ومستحثة، إضافة إلى باقي الأنشطة المتعلقة بصناعة السياحة²، وتُشير الإحصاءات إلى أن قطاع السياحة في العالم يوظف بشكل مباشر وغير مباشر أكثر من 313 مليون عامل من أنحاء العالم لسنة 2018³.

¹Kübra Ö, Effects of Tourism Sector on the Employment in Turkey, an Econometric Application, Süleyman Demirel University, Epoka University Press, Turkey, 2008, P 367, disponible sur le site ; <http://epoka.edu.al>.

² Faits saillants OMT du tourisme, op-cité , P 02 .

³Organisation mondiale du tourisme, sur le cite : www.wttc.org

3.1- مساهمة السياحة في دعم ميزان المدفوعات: إن الصناعة السياحية صناعة تصديرية¹ تقوم على

تقديم السياح كل ما يحتاجونه من خدمات وسلع خلال رحلتهم السياحية مقابل ما ينفقونه من عملات أجنبية تشكل في مجموعها إيرادات سياحية، وهذه الإيرادات تؤثر مباشرة في الميزان السياحي سلبا أو إيجابا مقارنة مع النفقات السياحية التي تتمثل في انفاق السياح المحليين في الخارج، في جانبها الدائن والمدين² والقيمة الصافية للميزان السياحي هي الأخرى تؤثر بصفة مباشرة في ميزان المدفوعات بنفس قيمة الأثر، ومن هنا أصبح لتطور القطاع السياحي صلة وثيقة وعلى قدر كبير من الأهمية بدعم ميزان المدفوعات والتخفيف من المديونية الخارجية خاصة بالنسبة للدول التي تعاني من عجزا في ميزانها التجاري، حيث من المتوقع أن يكون للقطاع السياحي الأولوية من بين باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى بعد قطاع المحروقات على صعيد تحقيق العوائد المالية، يساهم بـ (1.6) ترليون دولار كصادرات دولية³.

هناك عوامل كثيرة لدعم ميزان المدفوعات ويعتبر استخدام السياحة كعنصر فعال في ذلك، لكن وما يشجع على استخدام السياحة كوسيلة لدعم موازين المدفوعات للدول وجعلها في مقدمة القطاعات الاقتصادية الأخرى، هو أن معدل زيادة الإيرادات السياحية يفوق معدل زيادة باقي الخدمات الأخرى، حيث بلغت فيه الإيرادات السياحية الدولية 1340 بليون دولار، بمعدل نمو 4.6 %.

4.1- مساهمة السياحة في التخفيف من حدة الفقر: إن التنمية السياحية لا تؤدي بالضرورة إلى الحد

من الفقر، ولكنها تمتاز ببعض المزايا أكثر من غيرها من القطاعات الاقتصادية التي لها تأثير إيجابي بما يعمل على تحقيق النمو وتحسين المستوى المعيشي لصالح الفقراء⁴، بالإضافة إلى أنها تساهم في توليد الناتج المحلي وتوليد فرص العمل الجديدة، كذلك تعتبر مصدرا للعمالات الأجنبية، ومساهمتها في دعم ميزان المدفوعات مما يؤدي إلى تقليل الدين الخارجي للدول المضيفة، فإن السياحة تعمل على سعي المستهلك وإنتقاله إلى أسواق المنتج السياحي وهذا ما يعود بالفوائد الاقتصادية الجمة على أسواق الدول المضيفة، ويتيح فرصا هائلة للشركات السياحية والمنتجين والفقراء، ولا تواجه السياحة الحواجز الجمركية مما يزيد في تأثيرها الإيجابي المتنامي، إضافة إلى أن لها إمكانيات كبيرة في الربط بين القطاعات الاقتصادية الأخرى، وتعمل السياحة أيضا إلى تنمية

¹ إن السائحين يقومون بشراء سلع هدايا، تحف فنية، تقليدية، وخدمات من الدول التي يزورونها خلال رحلتهم السياحية، ويعتبر هذا الانفاق جزءا من باب التصدير للمنتجات والخدمات الوطنية دون الحاجة إلى نقل وشحن وتسويق، وكلما زادت هذه الحصيلة من الانفاق كلما زادت صادرات الدولة المضيفة.

² الجانب المدين (الواردات السياحية): تتمثل في انفاق السياح الوطنيين في الخارج، والسلع المستوردة للقطاع السياحي، عائدات النقل الخارجي، والاستثمارات السياحية الوطنية في الخارج، وعائدات الاستثمارات السياحية الأجنبية بالداخل، وتحويلات الأجانب العاملين في القطاع السياحي بالداخل ونفقات الشركات السياحية الوطنية العاملة في الخارج للأغراض السياحية كالدعاية والاعلان.

³ Faits saillants OMT du tourisme, op-cit, P 02 .

⁴ Dilys R, Caroline A, Sheila P and Dorothea M, Tourism and the Poor, Analysing and Interpreting Tourism, Statistics from a Poverty Perspective, PPT(Pro-Poor Tourism) Partnership, London, working Paper N° 16 , 2004, P12.

المناطق النائية حيث المناظر الطبيعية والحياة البرية التي يجذب اليها السياح، والسؤال الذي يطرح هو أن كيف تساهم السياحة والتنمية السياحية في دعم الفئات المجتمعية الفقيرة وتحسين سبل العيش لهم؟

السياحة مثل أي نشاط اقتصادي إنتاجي آخر، لديه القدرة على تحسين سبل العيش للشعوب الفقيرة، فنجد أن الانفاق السياحي على الخدمات السياحية، الموجه لشراء المنتجات الحرفية المحلية، خصوصا الحرف اليدوية، خدمات الاطعام، خدمات النقل والرحلات المحلية، والخدمات الوسيطة لهذه الاخيرة، بما يتولد عنه ايرادات ومداخيل مباشرة للمجتمعات المحلية قد تتراوح غالبا ما بين الربع والنصف التي تدعم عددا من الاسر الفقيرة حسب دراسة اعدت من طرف معهد التنمية الخارجية¹، ولتحديد هذا الاثر بدقة يتطلب فهم حجم المداخيل السياحية التي تصل الى الفقراء، وحسب دراسة اقيمت على دولة غامبيا وجد ان ما نسبته 7% من الانفاق السياحي على الخدمات الايواء(الفنادق) يمثل دخلا للفقراء، وبنسبة 11% من الانفاق السياحي على خدمات الغذاء والمشروبات، ونسبة 50% من الانفاق المشتريات، و25% من الانفاق على الرحلات السياحية، و43% من الانفاق على النقل المحلي²، وبذلك يمكن اعتماد هذا القطاع في العديد من الدول النامية كأحد السياسات المتخذة لتنويع اقتصادها وإحلالها مكان القطاعات المعتمدة من طرفها والمهددة بالزوال.

ونتيجة لما جاءت به هيئة الامم المتحدة سنة 2000 والتي حددت كواحد من الاهداف التنموية لهذه الالفية "ازالة الفقر المدقع والجوع"³، فقد شرعت المنظمة العالمية للسياحة في تطبيق برنامج "السياحة المستدامة وازالة الفقر" بهدف تنمية سياحة مستدامة للتخفيف من حدة الفقر، وذلك من خلال اتباع ما يلي:

- استخدام الفقراء في المشاريع السياحية.
- تمويل المشاريع التنموية التي تستخدم الفقراء.
- البيع المباشر للسياح الوافدين من قبل الفقراء أي الاقتصاد غير الرسمي، باعتبار ان نسبة كبيرة من الإنفاق الفردي السياحي توجه إلى شراء منتجات حرفية وفنية محلية، ويمثل هذا الإنفاق عموماً دخلا مباشرا للمجتمعات المحلية.
- انشاء وتشغيل مشاريع سياحية من جانب الفقراء للاقتصاد غير الرسمي.
- إن تماشى الضرائب والتحصيلات على مدخلات السياحة وأرباحها مع فوائد الفقراء.
- الدعم التطوعي من قبل السياح والمنشآت السياحية.

¹ Assessing how tourism revenues reach the poor, Briefing Paper N° 21,2007, ODI- Overseas Development Institute, London, P 03, disponible Sur le site; <http://www.sarpn.org>.

² IdeM.

³ تقرير السياحة الدولية في البلدان الاعضاء في منظمة التعاون الاسلامي، الافاق والتحديات، منظمة التعاون الاسلامي، 2013، ص 21.

كما قامت ايضا هيئة الامم المتحدة في هذا الاطار سنة 2005 بترسيخ مبدأ مساهمة السياحة في التخفيف من حدة الفقر بإدماج السياحة كمحرك للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومساهمتها في انجاز الاهداف التنموية للألفية الرامية الى التخفيف من حدة الفقر.

5.1 - تنمية وتحقيق التوازن الاقتصادي: تساهم السياحة في تحقيق نوع من التوازن الاقتصادي في المجتمع

فتعمل على تنمية بعض المناطق النائية والمتروكة نظرا لان غالبية المشروعات السياحية تقام في مناطق غير حضرية ذات جذب طبيعي أو اثري تاريخي قديم، عن طريق اقامة البنى التحتية والفوقية والاستفادة منها لا يقتصر فقط على السياح الوافدين وإنما ايضا على سكان الاقليم المقيمين فيه مثل الطرق والجسور وشبكات المياه والصرف الصحي والكهرباء وخدمات العلاج هذا من ناحية، كذلك من ناحية أخرى فإن سكان هذه المناطق السياحية غالبا ما يتم توظيفهم في المشاريع السياحية الجديدة مما يؤدي الى تحسن مستوى معيشتهم من حيث، تطوير البنية التحتية للنقل، وتحسين الخدمات العامة ونوعية الحياة والتدريب العمال وتطوير المشاريع الصغيرة والمتوسطة، الشركات (الشركات الصغيرة والمتوسطة) إنشاء هياكل الإدارة الحديثة العامة، وهذا يترتب عليه التقليل من فجوة الاجور بين الاقاليم المختلفة وتحقيق تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين.

أيضا تخلق السياحة نوع من التوازن القطاعي في الدول المضيفة، حيث وكما ارتأينا ان السياحة تعتمد على توفير جملة من الخدمات السياحية الاساسية والتكميلية خدمات الايواء، الاطعام، التنقل، الاتصال، الترفيه، خدمة المحلات التجارية وغيرها من الخدمات التي يحتاجها السائح خلال رحلته السياحية، والتي يعتمد في توفيرها تنمية مختلف القطاعات الاقتصادية الاخرى النقل والاتصالات، الصناعات التجهيزية والغذائية، البنية التحتية، القطاع التجاري والفلاحي، أما من الناحية الدولية الاقليمية فنجد أن العديد من الدول تسعى لبلوغ مستوى معين من التنمية والتطور وتوفير الخدمات السياحية المطلوبة بنفس المستوى لما هي عليه في الدول المجاورة لها او المنافسة لها خاصة بعد تحقيقها لإيرادات مرتفعة، مما يعمل على جلب الاستثمار اللازم لتطوير الخدمات في الدول المجاورة والمنافسة للدول السياحية، وبالتالي يعطي حافزا للتنمية، والسياحة بذلك تعتبر محور رئيسي للتنمية المتوازنة التي تتأثر وتؤثر في تطور القطاعات الاقتصادية الاخرى للدول.

2- الأهمية الاجتماعية والثقافية والسياسية¹:

- تعرف ثقافة الفرد على انها مركب من المعرفة والعقيدة، الفن، الاخلاقيات، القانون، العادات والقيم المكتسبة من المجتمع باعتباره جزء منه، وللسياحة نصيب من هذه القيم والمكتسبات وذلك بزيادة المعارف والخبرات التي يتم اكتسابها عن طريق التلاقي والاصطدام بين الثقافات، الثقافة المحلية للبلد المضيف وثقافة السواح والتي ينجم عنها تأثيرات وظواهر ايجابية وسلبية ونقل للممارسات سواءً من ناحية السكان المحليين

¹ Tourisme et développement durable, Conseil économique et social, Commission du développement durable, Septième session 19-30 avril 1999, p 6-5.

للبلد المضيف أو من طرف السياح الزائرين، بالإضافة إلى ذلك، ظهور نمط الحياة الحضرية في المراكز والمناطق الريفية أو النائية المهملة، من شأنه ان يرفع المستوى المعيشي للأفراد وبالتالي التعليمي والثقافي لهم، ايضا من الآثار الايجابية التي تتولد عن السياحة أنها قد تعمل على احياء العادات والتقاليد ونشر الثقافة والنهوض بالصناعات التقليدية والحرفية التي يقتنيها السياح كتذكارات وهدايا، كما أيضا تساهم في المحافظة على المواقع الاثرية والتاريخية من الضياع كونها تتمثل في عناصر الجذب السياحي، كما تزيد من الرصيد المعرفي لأفراد المجتمع إذ ترتبط بمعرفة الافراد لتراث البلد وحضارته خلال رحلتهم السياحية وبذلك يزداد الوعي الثقافي والفكري،

- يمكن للنشاط السياحي أن يكون مصحوبا ببعض الآثار الاجتماعية السلبية في البلدان المضييفة ويلاحظ بشدة في الدول الاسلامية، والتي يمكن اكتسابها من خلال الممارسات الاجتماعية، من خلال تقليد سلوك أو اللباس أو عادات الأكل منافية للقيم الدينية، خصوصا بالنسبة للشباب وفتة المراهقين الاكثر تأثرا،

- يمكن أن تتولد بعض السلبيات التي يكون لها اثر اجتماعي سلبي، على سبيل المثال إستغلال النساء والأطفال من قبل الشركات السياحة، حيث أنه من جانب عمل المرأة في قطاع السياحة فينظر اليه بشكل عام كعامل ترفيهي أو ترويجي، ولكن يمكننا أيضا أن نرى هذا الأمر مناقض لقيم وهيكل الأسرة التقليدية والممارسات الدينية، لذلك تسعى الحكومات إلى وضع سياسات إجتماعية من شأنها الحد من الآثار السلبية، مثل منع بيع الخمر وتناولها؛

- تؤثر السياحة على المجتمع الدولي بالإسهام في إقضاء جو من السلام و الأمن العالمي مما يخفض من حدة التوتر الدولي ويعمل على زيادة روح المودة والتفاهم العالمي بين المجتمعات والشعوب المختلفة.

- السياحة والتنمية المستدامة حيث يعتبر موضوع التنمية المستدامة من مواضيع الساعة التي تنادي به معظم الهيئات والمنظمات الدولية، التي تعمل على الاثراء الايجابي للمجال البيئي والاقتصادي والاجتماعي بما يضمن الحفاظ على مستقبل الأجيال القادمة، وهي عملية التنمية الاقتصادية والتجارية بما يضمن تلبية حاجيات الحاضر والحفاظ على سلامة ومرونة النظام البيئي من التلوث، المساواة والعدل الاجتماعي¹.

- قطاع السياحة من القطاعات التي تساهم في هذه التنمية بصفة خاصة، إذ أن السياحة والتنمية السياحية عامل لبلوغ التنمية المستدامة²، حيث تعمل على الأبعاد الأساسية للتنمية المستدامة، فتحد من التلوث البيئي من خلال المحافظة على البيئة وانشاء المناظر الطبيعية والمحميات النباتية والحيوانية واستعمالها كعناصر جذب سياحي، ومن الناحية الاقتصادية تعمل على توفير الخدمات السياحية والتكميلية للسياح وافراد

¹ خالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الدار الجامعية الاسكندرية، 2007، ص 20.

² Rob Harris, Tony Griffin and Peter Williams, Sustainable Tourism; A Global Perspective, Elsevier Ltd, Italy, 2002, p 07.

المجتمع من نقل، اتصالات، محلات تجارية، بنية تحتية، خدمات صحية، كما تعمل أيضا على خلق فرص عمل جديدة بكافة المستويات، دمج وتنمية افراد المجتمع وبالتالي زيادة الدخل الفردي مما يحسن المستوى المعيشي والتعليمي والثقافي للفرد وللأجيال القادمة، ومن الناحية الاجتماعية تعمل على خلق علاقات اجتماعية انسانية، ومن الناحية الحضارية تساعد السياحة على تنمية القيمة الحضارية لفن العمارة والبناء فضلا عن تحميل الأحياء ونظافتها لتبدو جذابة في عيون السائحين.

ومن أجل تنمية مستدامة وترجمة الاهتمامات البيئية إلى إجراءات عملية بصفة سريعة، تبنّت المنظمة العالمية للسياحة قواعد الاستدامة في السياحة، وبلورت أسس التنمية المستدامة في مجالات التخطيط السياحي ودراسات التنمية، لبلوغ نوع اخر من السياحة يعرف بالسياحة المستدامة أو الخضراء، وهي نوع من السياحة الذي يستغل المصادر الطبيعية بشكل عقلاني أو من خلال فرض المعايير البيئية على مكونات النشاط السياحي، ففي مجال النقل مثلا يمكن العمل على استخدام الوقود الأقل تأثيرا على البيئة أو تقليل الكلفة التشغيلية للكهرباء والمياه في المطارات، وفي مجال الفنادق فيمكن التركيز على فكرة تدوير النفايات المتأتية من الفنادق وكذلك وضع الإشارات الإرشادية في الغرف والتي تحث على ترشيد استخدام الماء والكهرباء.

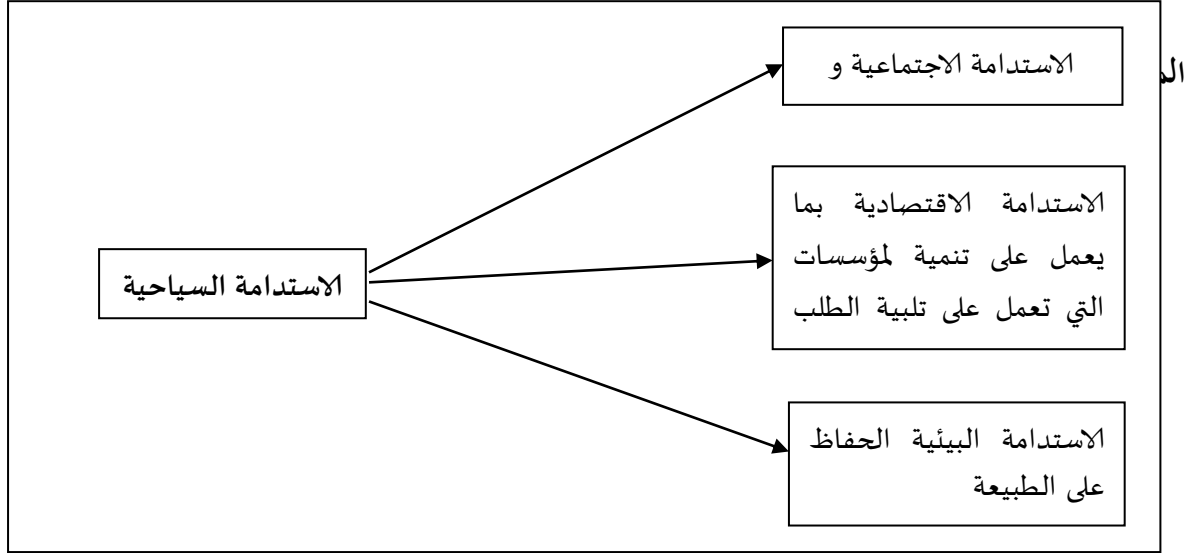
واستدامة القطاع السياحي لا يقتصر فقط على استدامة مكونات النشاط السياحي (العرض السياحي) من مناطق الجذب السياحية الطبيعية والترفيهية، والمؤسسات التي تعمل على تلبية الخدمات السياحية فقط وإنما على كافة القطاعات المتكاملة والمترابطة مع القطاع السياحي، مع استدامة الروابط بينهم؛ كما ان الاستدامة السياحية لا تقتصر فقط على استدامة العرض السياحي، وإنما تتعدى ذلك، حيث أن استدامة العرض السياحي بمختلف مجالاته السياحية، الزراعية، البيئية، والاجتماعية الثقافية يستوجب استدامة الطلب السياحي على مختلف مكونات العرض السياحي، باعتبار الطلب السياحي المحرك الدافع للعرض السياحي للبلاد مما يخلق نوع من الاستدامة الشاملة للاقتصاد الوطني.

وعند تحديد مفهوم السياحة المستدامة من الناحية الزمنية أو الظرفية فإنها تعني تحقيق مستوى الرفاهية للأجيال الحالية التي تأتي من السياحة مع عدم الاضرار بحصة الاجيال القادمة كلا من السائح والسكان المحليين في مناطق الهدف السياحي التي تتوفر فيها الموارد المختلفة وبالتالي فإن السائح الحالي يستفيد من هذه المواقع ومشاهدتها والتمتع بها سواء كانت مواقع طبيعية أو تراثية أو غيرها ومن ثم عليه عدم الاضرار بهذه المواقع تاركا إياها للأجيال القادمة من السياح والأجيال القادمة من افراد المجتمع، وعدم استغلال موارد هذه المناطق السياحية شكل يسيء إلى ديمومتها للأجيال القادمة ليستفيدوا من المردود المالي المتأتي من زوارها.

وبهذا تعد السياحة المستدامة هي نقطة تلاقي بين احتياجات الزوار وسكان المناطق المضيفة لهم مما يؤدي إلى دعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث يتم ادارة جميع المصادر بطريقة توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والروحية ولكنها في الوقت ذاته تحافظ على الواقع الحضاري والنمط البيئي والتنوع الحيوي وجميع

مستلزمات الحياة وانظمتها¹، ومنه السياحة المستدامة تركز على الاستدامة للمكونات السياحية المتداخلة التالية²:

الشكل(02): العناصر الفاعلة في تحقيق السياحة المستدامة.



وهناك العديد من الدول التي اتخذت استراتيجية تنمية السياحة كقطاع وطني أساسي، بطريقة شاملة ومستدامة مثل نيوزيلندا وكوستاريكا وأيسلندا، وبوتان هي أمثلة على البلدان التي اتخذت هذه الفرصة، والسؤال الذي يطرح هنا هو: كيف يمكن ان تعمل السياحة وتساهم في الآثار الايجابية الاقتصادية دون ان يكون لها اثر سلبي ثقافي واجتماعي وبيئي؟ يمكن للسياحة ان تساهم في الآثار الاقتصادية الايجابية من دون احداث اثار سلبية، ولكن بتدخل الدولة وتبنيها لسياسة تنمية سياحية مستدامة تقام على استدامة الروابط بين مختلف القطاعات والجوانب الاقتصادية المرتبطة بالجانب السياحي من زراعة، ثقافة، بيئة، صناعة، نقل...

ثانيا: مساهمة القطاع السياحي في الاقتصاد القومي للبلاد -دراسة مقارنة بين دول الجوار

السياحة يمكن أن تساهم إلى حد كبير في الاقتصادات المحلية من خلال الآثار المضاعفة عندما يتم حقن عائدات السياحة في الاقتصادات المحلية وبالتالي يحفز الاستثمارات في البنية التحتية، ويحسن نوعية الخدمات، ويحسن نوعية الحياة للمقيمين والسياح في الوجهات السياحية وبالتالي أن هناك علاقة وثيقة بين تنمية قطاع السياحة والتنمية الاقتصادية بمفهومها العام³، كما يمكن قياس الأثر الاقتصادي للسياحة على البلاد من خلال دراسة تأثيره على المؤشرات التالية:

¹ أكرم عاطف رواشدة، السياحة البيئية، الاسس و المرتكزات، دار الراية، عمان، 2009، ص 56-58.

² François Vellas, 'The Indirect Impact of Tourism, An Economic Analysis', Third Meeting of T20 Tourism Ministers Paris, France, 25 October 2011, P 16.

³ Mustafa Akal, 'Economic Implications of International, Tourism on Turkish Economy', Tourism: An International Multidisciplinary Journal Of Tourism, Volume 5, Number 1, 2010, p 133

مساهمة القطاع السياحي في الناتج المحلي الإجمالي:

- المساهمة المباشرة بدون اثر مضاعف: يمكن قياس مساهمة القطاع السياحي في الاقتصاد القومي للجزائر و دول الجوار بمساهمته في الناتج المحلي الإجمالي PIB، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول(01): المساهمة المباشرة للقطاع السياحي في الناتج المحلي الإجمالي 2017

السنة	الجزائر (1)	تونس (2)	المغرب (3)	فرنسا (4)
مساهمة القطاع السياحي في PIB (بليون دولار)	5.4	6.6	8.3	60.681
عدد السياح(مليون سائح)	2,45	7.05	11.34	86.9

المصدر:

- (1) Travel and Tourism Economic Impact, World Travel and Tourism Council , 2018, Algeria, P 07.
- (2) Travel and Tourism Economic Impact, World Travel and Tourism Council , 2018, Tunisie, P 07.
- (3) Travel and Tourism Economic Impact, World Travel and Tourism Council , 2018, Morocco, P 07.
- (4) Travel and Tourism Economic Impact, World Travel and Tourism Council , 2018, France, P 07.

من خلال الجدول يتضح ان مساهمة القطاع السياحي في الناتج المحلي الإجمالي بشكل عام جد ضئيلة لا تتعدى 10% في دول الثلاث تونس، الجزائر، المغرب، 5.4 بليون دولار بالنسبة للجزائر، 6.6 بليون دولار لتونس، و المغرب بـ 8,3 بليون دولار، ولكن مقارنة مع الدول الاولى عالميا من حيث السياحة فرنسا¹ والتي تقدر ايراداتها بـ 60.681 بليون دولار ، وعدد السياح بها 86.9 مليون سائح، فمساهمتها جد ضعيفة وهذا راجع لانخفاض الإنفاق السياحي بشكل عام وانخفاض الطلب السياحي بشكل خاص.

- المساهمة غير المباشرة مع المضاعف: تتمثل المساهمة غير المباشرة في الناتج المحلي الإجمالي في المساهمة الناجمة عن القطاعات المنشأة من خلال إنفاق الدخول والأجور المتأتية عن القطاع السياحي، وقد أشارت دراسة أعدتها المنظمة العالمية للسياحة عن المساهمة غير المباشرة لسنة 2017، وهذه الزيادة تشمل الأثر غير المباشر والأثر المستحث²، موضحة في الجدول (02)، و هي مساهمة جد ضعيفة لا تتعدى 19 بليون دولار، خاصة اذا ما قورنت بمساهمتها في الاقتصاد الفرنسي التي تتعدى 232 بليون دولار :

الجدول(02):المساهمة غير المباشرة للقطاع السياحي في الناتج المحلي الإجمالي 2017.

السنة	الجزائر (1)	تونس (2)	المغرب (3)	فرنسا (4)
مساهمة القطاع السياحي في PIB (بليون دولار)	11.3	5.7	19.0	232.0

Source:

- (1) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité , 2018, Algeria, P 07.

¹ تعتبر فرنسا من الدول العشرة الأوائل الرائدة في المجال السياحي حسب ما جاءت به المنظمة العالمية السياحية ، و هذا باتخاذ معيارين ، معيار عدد السياح، و معيار الإيرادات السياحية، لمزيد من التفصيل ارجع للمصدر: Faits saillants OMT du tourisme, op-cit

² المساهمة الناتجة عن النشاطات الناتجة عن إنفاق الأجور والدخول المكتسبة من خلال التوظيف المباشر و غير المباشر لدى المنشآت السياحية و الأنشطة السياحية والقطاعات الاخرى.

- (2) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Tunisie, P 07.
 (3) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Morocco, P 07.
 (4) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, france, P 07.

2- مساهمة القطاع السياحي في الاستثمارات: إن رغبة التوسع في الطلب السياحي وحجم السياحة الدولية والمحلية يؤدي لتغيير مماثل في نوعية وأبعاد مختلف المنشآت السياحية والخدمات السياحية و الذي يعتمد أساسا على نمو و زيادة مستوى الاستثمارات بشتى أنواعها، فنادق، مطارات، طرق، البنية الأساسية والعمامة والخاصة اللازمة للنشاط السياحي لأنها صناعة مركبة تتطلب استثمارات متعددة، وبالتالي فإن الحكومات والسلطات المختصة تسعى للزيادة والنمو في الاستثمار السياحي الذي من شأنه أن يخلق المنافسة التي ستؤدي إلى استقرار الأسعار والجودة في الخدمات المقدمة لإعطاء السائح والمواطن حرية الاختيار وتقديم خدمات بأسعار تنافسية ملائمة وفي متناول مختلف شرائح المجتمع لجلب أكبر قدر من السياح، بلغ حجم استثمارات للقطاع السياحي لكل من الدول الثلاث موضحة في الجدول التالي:

الجدول(03) المساهمة القطاع السياحي في الاستثمارات 2017

السنة	الجزائر ⁽¹⁾	تونس ⁽²⁾	المغرب ⁽³⁾	فرنسا ⁽⁴⁾
مساهمة القطاع السياحي في الاستثمار (بليون دولار)	1.8	0.8	4.6	40.1

Source :

- (1) Travel and Tourism Economic Impact, op déjà cité , 2018, Algeria, P 07.
 (2) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Tunisie, P 07.
 (3) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Morocco, P 07.
 (4) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, france, P 07.

بلغ حجم الاستثمار السياحي بالجزائر 1.8 بليون دولار¹، وتونس 0.8 بليون دولار وهي نسبة جد قليلة مقارنة مع المغرب 4.6 بليون دولار²، لسنة 2017، أما إذا ما قورنت مع حجم الاستثمار السياحي بفرنسا والذي يقدر بـ 40 بليون دولار فلا يمكننا القول أن هناك سياحة بالأصل أو استثمار سياحي، وهذا ما يعبر عن تخوف القطاع الخاص سواء كان محلي أو أجنبي وعدم ثقته في عوائد القطاع السياحي وعزوفه عن المغامرة والاستثمار.

3- مساهمة القطاع السياحي في العمالة: السياحة نشاط خدمي يعتمد بشكل كبير على عنصر العمل، والعمل في النشاط السياحي ليس عنصر من عناصر الإنتاج فقط وإنما هو جزء لا يتجزأ من المنتج النهائي السياحي لذلك يلعب القطاع السياحي دورا مهما في امتصاص قدر كبير من العمالة، وهذا ما يجعله ذو أهمية كبيرة وفرصة متاحة للاقتصاديات كل من الجزائر، وتونس و المغرب الذي يمتاز اقتصادها بوفرة اليد العاملة وفي نفس الوقت يعاني من ارتفاع معدلات البطالة خاصة في السنوات الأخيرة، ويساهم النشاط السياحي في خلق

¹ Idem.

² Travel and Tourism Economic Impact, World Travel and Tourism Council, 2018, Morocco, P 07.

الكثير من فرص العمل سواء المباشرة التي تشمل العاملين في المجال السياحي من فنادق ومطاعم وقرى سياحية و أماكن ترفيهية، شركات سياحية، الطيران، شركات تأجير السيارات، محلات التذكارات السياحية والوكالات السياحية والمرشدين السياحيين، وكذلك الهيئات الرسمية المشرفة على القطاع السياحي مثل وزارة السياحة، والجدول التالي يبين المساهمة المباشرة للقطاع السياحي في العمالة؛

الجدول(04): مساهمة القطاع السياحي في العمالة-فنادق، مطاعم، مقاهي 2017

السنة	الجزائر ⁽¹⁾	تونس ⁽²⁾	المغرب ⁽³⁾	فرنسا ⁽⁴⁾
مساهمة القطاع السياحي في العمالة (ألف عامل)	678.7	464.1	1901.8	2830.5

Source:

- (1) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité , 2018, Algeria, P 07.
- (2) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Tunisie, P 07.
- (3) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité, 2018, Morocco, P 07.
- (4) Travel and Tourism Economic Impact, Op déjà cité ;2018, France, P 07.

من خلال الجدول أعلاه يتضح ان مساهمة القطاع السياحي في التخفيض من نسبة البطالة (العمالة) بنسب قليلة مقارنة في كل من الدول الجزائر وتونس والمغرب مقارنة مع فرنسا التي تقدر العمالة بها بحوالي 2830.5 ألف عامل وتعد تونس اقلها نصيبا في ذلك بعد الجزائر، وهذا بسبب انخفاض الإنفاق السياحي بالبلاد نتيجة أسباب أمنية وسياسية واقتصادية محلية ودولية، وعلى الرغم مما تتميز به صناعة السياحة من انها كثيفة العمل الا اننا نجد نسبة مساهمتها في اقتصاد العمالة جد منخفض، مع العلم أن بيانات وزارة السياحة لم تأخذ في اعتبارها العمالة في القطاعات الاقتصادية الأخرى التي ينفق عليها السائحون، لكن تبقى دائما هذه المساهمة جد ضئيلة مقارنة بالدول الرائدة في المجال السياحي.

كما يتيح القطاع السياحي أيضا فرص عمل غير مباشرة التي يتم خلقها في القطاعات الأخرى المرتبطة بالقطاع السياحي مثل الزراعة والصناعات الغذائية والأثاث والبناء وغيرها، ومن ناحية أخرى يترتب على أنفاق العمالة المباشرة و غير المباشرة على شراء السلع والخدمات المختلفة التي تعمل على توليد فرص عمل جديدة نتيجة الأثر المستحث، فكل غرفة فندقية جديدة تخلق إلى 10 فرصة عمل في القطاع السياحي¹، بالإضافة الى خلق فرص عمل غير مباشرة في القطاعات الأخرى.

ثالثا: تحديات السياحة في دول الجزائر والمغرب وتونس

أصبحت السياحة في البلاد العربية أحد الموارد المهمة في تنمية الدخل الوطني، والتحول نحو موارد بديلة و«دائمة» عن الثروة البترولية الناضبة، لهذا تتجه معظم البلدان العربية إلى الاهتمام بهذا القطاع وبحث السبل الكفيلة لتنشيطه وتسريع نموه، لكن المعوقات الموجودة لا تساعد على تنشيط السياحة في دول شمال افريقيا، ومن هذه المعوقات:

¹ World Tourism Organization 2018, disponible sur le site : <http://www2.unwto.org>.

1-محدودية الاغراض السياحية: كلما تعددت الأغراض السياحية بالمقصد السياحي كلما زاد الطلب السياحي من ناحية، ومن ناحية أخرى أدى ذلك إلى إطالة مدة الرحلة السياحية وبالتالي إلى الطلب على الخدمات السياحية، فالكثير من السياح كما نعلم يلجؤون إلى أماكن لغرض معين مثل زيارة الاقارب، لكن خلال نفس الرحلة يقومون بممارسة عدة أغراض سياحية غير الغرض الاساسي من أجل تحقيق أكبر اشباع مثل الترفيه، الاستمتاع بالمناظر الطبيعية، اغراض دينية إلى غير ذلك من الاغراض، وتمثل اهمية معرفة الاغراض السياحية للطلب السياحي الوافد للبلاد في وضع السياسات والاستراتيجيات لجذب وتنمية انواع الطلب السياحي الأكثر مردودية والتي تتسم بالاستقرار واللاموسمية مثل الطلب على سياحة الأعمال والمؤتمرات، سياحة التعليم من أجل زيادة الانفاق السياحي والمردودية القطاع بشكل عام، وأيضاً تفادي موسمية الطلب على الخدمات السياحية والرفع في معدلات الإشغال لمؤسسات الخدمات السياحية، والجدول التالي يوضح النسبة المئوية لكل نوع من أنواع السياحة في الجزائر، تونس، المغرب لسنة 2018:

الجدول(05): محدودية الأغراض السياحية 2018 -نسبة مئوية.

السنة	الجزائر	تونس	المغرب
الترفيه والمتعة	77.6	71.3	86.5
سياحة الاعمال	22.4	28.7	13.5

Source :

(1) Travel and Tourism Economic Impact, op déjà cité , 2018, Algeria, P 07.

(2) Travel and Tourism Economic Impact, op déjà cité, 2018, Tunisie, P 07.

(3) Travel and Tourism Economic Impact, op déjà cité, 2018, Morocco, P 07.

إن ترتيب الأنواع السياحية المختلفة من حيث الطلب لم يتغير اطلاقاً في البلدان الثلاث الجزائر، تونس، المغرب، حيث يرجع المركز الاول الى السياحة الترفيهية ويمثل النسبة الاكبر من اجمالي الطلب السياحي الاجنبي بمتوسط يفوق 70% والمركز الثاني لسياحة الاعمال، أما الأغراض السياحية الاخرى فلا تمثل الا نسب ضئيلة. ويظهر من خلال هذا الترتيب أن الجزائر، تونس، والمغرب تعتمد بشكل كبير على أنواع السياحة التي لها علاقة مباشرة بارتفاع الدخل الفردي للسائح وتحسن الأوضاع الاقتصادية للبلد المصدر للسياح والتي تتعلق بمواسم معينة خلال السنة وهي السياحة الترفيهية، اما الأنواع الاخرى التي تتميز بنوع ما من الاستقرار من حيث موسمية الطلب مثل سياحة الاعمال أو المهمات فلا تمثل سوى نسبة منخفضة جدا من اعداد السائحين كما ان السياحة الترفيهية التي تمثل الحصة الاكبر من الحركة السياحية وهي ترتبط بأوقات معينة من السنة العطل واطوار الفراغ وهذا ما يؤدي إلى الموسمية والتقلبات الشديدة في الطلب السياحي الدولي، لذلك يتعين على واضعي السياسات الخاصة بالتنشيط السياحي محاولة تشجيع الأنواع السياحية الاخرى مثل سياحة الأعمال والمؤتمرات، العلمية، الدينية والعلاجية وذلك بهدف عدم التعرض أو التقليل من أثر أي تقلبات يمكن

إن تحدث في الطلب السياحي الوافد وضمن الحصول على الحد الأدنى من السائحين على مدار السنة وتحقيق نسب اشغال معتبرة لمؤسسات الاستقبال السياحي.

تقوم السياحة في الدول الثلاثة على أغراض الترفيه والترويج بعيدة عن جو العمل والدراسة¹، بالرغم من ان سياحة الأعمال واحدة من أقوى قطاعات السوق في السفر حول العالم حالياً، حيث تحقق سياحة المؤتمرات نمواً سنوياً بمعدل يتجاوز 5%، ومساهمتها المرتفعة في الدخل الوطني نظراً لطبيعة سائح المؤتمرات وقدرته المالية الأعلى، وللكفاءات العلمية والمهنية التي تشارك في المؤتمرات عادة، والتي يمكن الاستفادة من زيارة الخبراء والمستشارين في حل العديد من المشكلات التي يعاني منها البلد المضيف كما يمكن تنميتها أكثر في مواسم الركود السياحي للرفع من نسب الاشغال الفندقية.

2- اللا أمن وعدم الاستقرار السياسي: يعد قطاع السياحة من القطاعات الأكثر تأثراً بالظروف سواءً تلك الظروف كانت إيجابية أو سلبية وتبعاً للأحوال والظروف المحيطة الاقليمية والدولية، وتؤثر المشاكل الأمنية والعنف السياسي والحروب والانقلابات والإرهاب والقتال والتهديدات الامنية بشكل كبير على السياحة، فالسياحة صناعة حساسة للأزمات الدولية والإقليمية من حروب وأعمال عنف وإرهاب، مثلما هي حساسة بالجريمة والفساد، ولا يقتصر مفهوم الامن على الحروب فقط وإنما بتوفر الامن السياحي توفير خدمات الأمن والسلامة للسائحين الأجانب ابتداءً من لحظة وصولهم الى البلد حتى مغادرتهم لها، وتشمل خدمات الأمن العديد من الجوانب منها حماية السائح وأمواله من التعرض للمضايقات والسلب والنهب، وأيضاً الاستغلال من قبل المحلات التجارية وسائقي سيارات الأجرة، وغيرها ولكن للأسف كثيراً ما يتعرض السائح لهذه المواقف، وتعتبر مسؤولية الأمن من مسؤوليات الجهات الرسمية وكل الأطراف التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة، بدءاً من المواطن إلى الشركات السياحية ليتعدى ذلك إلى وزارة السياحة، كما أن الأوضاع السياسية والأمنية تؤثر بصفة مباشرة على نوعين من التدفقات التي لها علاقة مباشرة بالتنمية السياحية من ناحية الطلب تدفق السياح، ومن ناحية العرض والاستثمارات الفندقية، فعدم توافر القدر الكافي من هذا الاستقرار قد يؤدي إلى انطلاق هذه الحركات إلى خارج الدولة والعكس صحيح، إذ ان توافر الاستقرار السياسي داخل الدولة فإنه يكون عاملاً مشجعاً لاجتذاب رؤوس الأموال إلى داخل سوق هذه الدولة، سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو على المستوى الاقليمي، واعتبرت بذلك الجزائر من ضمن 43 دولة الأخطر في العالم فيما يتعلق بالسلم والأمن الاجتماعيين حسب تقرير الامم المتحدة تحتل تونس المرتبة 77

¹ على الرغم من أهمية هذا النوع من السياحة إلا ان الجزائر تحتل المرتبة 110 عالمياً بمعدل 6 مؤتمرات لسنة 2017 و هذا الرقم جد ضعيف مقارنة مع دول الجوار، تونس 14 مؤتمراً و المغرب 33 من دون الحديث عن فرنسا التي يتجاوز فيها عدد السياح 86 مليون سائح (506 مؤتمراً) لمعلومات أكثر راجع تقرير :

والمغرب 111 من بين 163 دولة¹، إضافة إلى تسجيلها لمؤشرات سلبية في عدة محاور تضمنها التقرير وهو ما يعكس حالة التردّي التي شهدتها البلاد في الخمس سنوات الأخيرة بفعل ازدياد العنف الاجتماعي وتنامي الجريمة المنظمة وحمل السلاح بشكل غير قانوني وزيادة الاضطرابات العمالية والمهنية. مما ينعكس سلبا على صورة البلاد كبلد سياحي.

3- ارتفاع اسعار الخدمات السياحية: تؤثر أسعار الخدمات السياحية في اتخاذ القرار السياحي بنسبة كبيرة، كما تعتبر عامل من عوامل تغيير واختيار الوجهة السياحية الأقل تكلفة، الإقامة و الغذاء، النقل هذا العامل يشمل عموما الأسعار وتكاليف المعيشة، حيث تستحوذ تونس سنويا على 50.42 % من السياح الجزائريين ولا تزال تستقبل أعدادا كبيرة منهم في مقابل هروب لملايين من الجزائريين من السياحة المحلية في موطنهم التي تكلف أصحابها أموال طائلة، ومع ذلك ونظرا لصعوبة جمع معلومات إحصائية عن الأسعار المعروضة من قبل الفنادق، سيتم قياس الأسعار عن طريق مقارنة اسعار بعض الخدمات، والجدول التالي يوضح وضعية أسعار الخدمات السياحية في الجزائر مقارنة مع دول الجوار:

الجدول(06): مقارنة اسعار بعض الخدمات السياحية في الجزائر مع دول الجوار تونس والمغرب 2018²

تونس	المغرب	الجزائر	
0.27	0.71	0.47	تكلفة سيارة الاجرة دولار/1 كلم
52.23	39.03	63.44	السعر المتوسط لليلة في النزل - دولار
87.15	89.81	78.66	السعر المتوسط لليلة في الفندق - دولار
37.69	45.40	38.78	مؤشر أسعار السفر
23.66	33.64	28.21	مؤشر اسعار المطاعم

دائما ما يكون السؤال الذي يورق الكثيرين هو أين يمكن الذهاب في رحلة سياحية مميزة و بأقل التكاليف الممكنة، فأول ما يبدأ به السائح هو البحث عن الأماكن الأقل سعرا لمجمل الخدمات التي يحتاجها خلال رحلته السياحية، أسعار الفنادق، الوجبات والمشروبات وجميع أصناف المواد المقدمة في منشآت الإطعام السياحي، النقل بجميع انواعه... الخ.

السياحة الداخلية في الجزائر والبلدان المجاورة تونس والمغرب لا زالت ضعيفة وباهظة الثمن، إذ أن المواطن يهرب من الاسعار المرتفعة وتدني مستوى الخدمة وضعف المرافق السياحية وسوء التعامل إلى اسواق سياحية اخرى مجاورة، قد تكون احيانا اسعارها متقاربة مع الاسعار المحلية.

¹ Global Peace Index 2018, Measuring the state of global peace, Institute for Economics and Peace; P. 95

² أكبر قاعدة بيانات في العالم من مستخدمي البيانات حول المدن والبلدان في جميع أنحاء العالم. يوفر المعلومات الحالية وفي الوقت المناسب على الظروف المعيشية العالم بما في ذلك تكاليف المعيشة، ومؤشرات الإسكان، والرعاية الصحية، وحركة المرور، والجريمة والتلوث.

إن انخفاض الاسعار في تونس تستقطب السائح الجزائري في ظل ارتفاع اسعار الاقامة في الفنادق الجزائرية حيث قدرت تكلفة الليلة الواحدة في النزل بـ 63.44 دولار و تونس بـ 52.23 دولار المغرب بـ 39.03 دولار، وبقية الخدمات السياحية أجرة التاكسي (سيارة الاجرة لكلومتر الواحد) بـ 0.47 دولار مقارنة بـ اجرتها في تونس 0.27 دولار، أما من حيث مؤشر أسعار المطاعم و مؤشر اسعار السفر يبين ان تونس اقل تكلفة من الجزائر والمغرب- موضحة في الجدول(06) وهذا ما يشير إلى أن الرحلة ككل في الجزائر تكلف الكثير مقارنة مع تونس.

والأسوأ أن الاماكن السياحية تعرف ارتفاعا فاحش للأسعار خاصة في أيام العطل والإجازات والمواسم السياحية بشكل لا يحتمل مما يدفع الكثير من الاسر للبحث عن أماكن أقل تكلفة، وهذه الاماكن عادة ما تكون خارج حدود الوطن، و لذلك على الهيئات المسؤولة مراجعة اسعار الفنادق وكل المرافق السياحية ووضع حد لهذه الظاهرة بما يكفل حماية السائح المحلي والأجنبي، بتكثيف الرقابة على قطاع الإيواء أثناء المواسم السياحية سواء من حيث تقديم الخدمة أو مراقبة الاسعار، ووضع عقوبات صارمة للمخالفين والمستغلين لتحقيق زيادة كبيرة في الارباح و اتخاذ الاجراءات النظامية نحوها ، كما يجب فرض أسعار مشجعة للسائح العربي لتشجيع السياحة البينية بدلا من اتجاهها للدول الاجنبية، كما كشفت احدى الدراسات التي اقيمت في البلدان الخمس (مدغشقر، موزنيق، كمبوديا، الهند، جنوب افريقيا)¹، إن أهم العراقيل للتنمية السياحية والأكثر شيوعا التي لها اثر على كل من السياح و المقيمين تتمثل في العناصر التالية: النقص في خدمات النقل والبنية التحتية، الايواء، البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، والتسويق والترويج، كفاءة العنصر البشري وهياكل التعليم والتدريب، محدودية الخدمات المالية وعمليات الأقرض:

4- قطاع النقل: النقل الجوي يعتبر وسيلة لدعم وتنمية السياحة، لكون أكثر من نصف السياح الدوليين يستعملون الطائرة²، وبالتالي هو آلية أساسية وفعالة للتنمية السياحية والاقتصادية للبلاد، ولا بد من إزالة العقبات التي تعيق نمو قطاع النقل، ومواءمة سياسات النقل بما تتقاضاه التنمية السياحية (السعر المناسب، توفير خطوط الى أكثر وجهات في العالم وأيضا بالنسبة للنقل الداخلي، الطاقة الاستيعابية للمطارات والارتقاء بخدماتها، توسيع شبكات الطرق البرية في جميع أنحاء البلاد، تحسين البنية التحتية للموانئ و اضافة التسهيلات اللازمة للاستفادة من المعابر البحرية.

5- محدودية خدمة الايواء(الفنادق) والخدمات السياحية: تعتبر قدرات الايواء المحدودة مع عدم استيفائها للمعايير الدولية غير قادرة على استيعاب مجموعات أكبر من السياح، وهذا يستلزم الاستثمار في مجال الإيواء، فنادق، قرى سياحية، كل ما يمكن من خلاله تقديم خدمة المبيت والاستثمار وفي هذا المجال يستلزم رؤوس اموال كثيفة و أيدي عاملة متخصصة وذات كفاءة عالية، ولا يقتصر الحديث على توفير

¹ Geloso Grosso M, Leshner M and Pinali E, op-cit.P17 .

² Faits saillants OMT du tourisme, op-cit, P 04.

خدمات الايواء فقط وإنما على كافة الخدمات السياحية من مطاعم، كافيتيريات، محلات.. الخ، حيث تحتل الجزائر مراتب متأخرة في هذا المجال المرتبة 131، تونس 69، والمغرب 80 من أصل 136 دولة¹.

6- ضعف خدمات التمويل: معظم المنشآت السياحية والمستثمرين غير قادرة على الحصول على القروض المصرفية وتكاليفها مرتفعة، وهو ما يمثل عبئا على الاقتصاد وعائقا أمام التنمية السياحية والاستثمارات المطلوبة، و من ناحية اخرى نجد ان قبول واستعمال بطاقات الائتمان في الفنادق والمؤسسات السياحية، توافر أجهزة الصراف الآلي، لا تزال محدودة، مما يعمل على تعريض الأجانب لمخاطر حمل الاموال خلال رحلتهم السياحية.

7- نقص في البنية التحتية: إمدادات الكهرباء غير موثوق به خارج المدن الرئيسية، كما هو الحال في إمدادات المياه والتخلص من مياه الصرف الصحي غير كاف، وكلها تمثل عائقا أمام التنمية السياحية من جانبيها الطلب والعرض السياحي.

8- ضعف قطاع الموارد البشرية وهيكل التعليم و التدريب السياحي: مما يؤدي الى عدم وجود منظمي الرحلات السياحية، ونقص في اليد العاملة المؤهلة في مجال خدمات الضيافة والمطاعم، وبشكل أعم في صناعة السياحة، لتفادي هذا النقص لابد من تشجيع الاستثمار في مجال التكوين والرفع المستوى وقدرات المورد البشري وذلك بإنشاء معاهد وكليات متخصصة وتوسيع في الدراسات المتخصصة من شأنها تنميته والرفع من مستوى العنصر البشري.

9- ضعف مجال التسويق والترويج: قد يؤدي النقص في الموارد المخصصة للتسويق والترويج إلى فقدان حصص السوق في أجزاء من البلاد، مما يستدعي الاستثمار في خدمات الترويج وتسويق المعلومات عن القطاع السياحي للبلد والاعلان وكحملات الاشهار بمقومات الجذب السياحي والخدمات المعروضة وأسعارها وجودتها.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث استنتجنا ان للسياحة دور ريادي في المجال الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وكانت لها مساهمات عدة سواء على المستوى العالمي والدولي، إلا أن مساهماتها في دول المغرب العربي اعتبرت مساهمات ضعيفة نتيجة لصعوبات عدة، ويمكن تقسيم نتائج هذا البحث إلى ما يلي:

- على المستوى العالمي: متوسط مساهمة القطاع السياحي في الدخل القومي العالمي تصل إلى نسبة 10% من الناتج المحلي الاجمالي المباشر وغير المباشر لسنة 2018، أي بحوالي 1340 بليون دولار، حيث:

¹ The travel and Competitiveness , op-cit, p81-249 -325.

- تساهم السياحة في القضاء على البطالة، عمالة المباشرة، عمالة غير المباشرة، عمالة المستحدثة، وتُشير الإحصاءات إلى أن قطاع السياحة في العالم يوظف بشكل مباشر وغير مباشر أكثر من 313 مليون عامل من أنحاء العالم لسنة 2018.
- تساهم السياحة في دعم ميزان المدفوعات، من المتوقع أن يكون للقطاع السياحي الأولوية من بين باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى بعد قطاع المحروقات على صعيد تحقيق العوائد المالية، يساهم بـ 1.6 ترليون دولار كصادرات دولية.
- تساهم السياحة في التخفيف من حدة الفقر، فنجد أن الإنفاق السياحي على الخدمات السياحية، الموجه لشراء المنتجات الحرفية المحلية، خصوصا الحرف اليدوية، خدمات الاطعام، خدمات النقل والرحلات المحلية، والخدمات الوسيطة لهذه الأخيرة، بما يتولد عنه إيرادات ومداحيل مباشرة للمجتمعات المحلية قد تتراوح غالبا ما بين الربع والنصف التي تدعم عددا من الأسر الفقيرة حسب دراسة أعدت من طرف معهد التنمية الخارجية، وحسب دراسة أقيمت على دولة غامبيا وجد أن ما نسبته 7% من الإنفاق السياحي على الخدمات الإيواء(الفنادق) يمثل دخلا للفقراء، وبنسبة 11% من الإنفاق السياحي على خدمات الغداء والمشروبات، ونسبة 50% من إنفاق المشتريات، 25% من الإنفاق على الرحلات السياحية، 43% من الإنفاق على النقل المحلي.
- تنمية وتحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع فتعمل على تنمية بعض المناطق النائية والمتركة نظرا لأن غالبية المشروعات السياحية تقام في مناطق غير حضرية ذات جذب طبيعي او اثري تاريخي قديم، عن طريق اقامة البنى التحتية والفوقية، أما من الناحية الدولية الاقليمية فنجد أن العديد من الدول تسعى لبلوغ مستوى معين من التنمية والتطور وتوفير الخدمات السياحية المطلوبة بنفس المستوى لما هي عليه في الدول المجاورة لها أو المنافسة لها.
- تساهم السياحة في الجانب الثقافي والاجتماعي وذلك بزيادة المعارف والخبرات التي يتم اكتسابها عن طريق التلاقي والاصطدام بين الثقافات، الثقافة المحلية للبلد المضيف وثقافة السواح والتي ينجم عنها تأثيرات وظواهر ايجابية وسلبية ونقل للممارسات سواء من ناحية السكان المحليين للبلد المضيف أو من طرف السياح الزائرين.
- يعتبر قطاع السياحة من القطاعات التي تساهم في هذه التنمية بصفة خاصة، إذ ان السياحة والتنمية السياحية عامل لبلوغ التنمية المستدامة، حيث تعمل على الابعاد الاساسية للتنمية المستدامة، فتحد من التلوث البيئي من خلال المحافظة على البيئة، ومن الناحية الاقتصادية تعمل على توفير الخدمات السياحية و التكميلية للسياح وافراد المجتمع من نقل، اتصالات، محلات تجارية، بنية تحتية، كما تعمل ايضا على خلق فرص عمل جديدة بكافة المستويات، دمج و تنمية افراد المجتمع.

- على مستوى دول الجزائر، المغرب، تونس: أما عن مساهمة السياحة في دول شمال افريقيا فمساهمتها بشكل عام جد ضئيلة لا تتعدى 10% في الناتج المحلي الإجمالي، 5.4 بليون دولار بالنسبة للجزائر، 6.6 بليون دولار لتونس، والمغرب بـ 8,3 بليون دولار.
- بلغ حجم الاستثمار السياحي بالجزائر 1.8 بليون دولار، وتونس 0.8 بليون دولار و هي نسبة جد قليلة مقارنة مع المغرب 4.6 بليون دولار، لسنة 2017.
- مساهمة القطاع السياحي في التخفيض من نسبة البطالة (العمالة) بنسب قليلة مقارنة في كل من الدول الجزائر 678.7 الف عامل، و تونس 464.1 الف عامل، و المغرب 1901.8 الف عامل.
- تحديات السياحة في دول الجزائر ، تونس، المغرب: ترجع المساهمة الضئيلة للقطاع السياحي في دول شمال افريقيا ، الجزائر، تونس، المغرب الى:
 - حدودية الاغراض السياحية، السياحة الترفيهية، وسياحة الاعمال .
 - اللا أمن وعدم الاستقرار السياسي، اعتبرت بذلك الجزائر من ضمن 43 دولة الأخطر في العالم فيما يتعلق بالسلم والأمن الاجتماعيين حسب تقرير الامم المتحدة تحتل تونس المرتبة 77 و المغرب 111 من بين 163 دولة.
- تعاني الدول من ارتفاع اسعار الخدمات السياحية حيث تؤثر أسعار الخدمات السياحية في اتخاذ القرار السياحي بنسبة كبيرة، كما تعتبر عامل من عوامل تغيير واختيار الوجهة السياحية الاقل تكلفة.
- بالإضافة الى اهم العراقيل التنموية السياحية التي لها اثر على كل من السياح والمقيمين والمتمثلة في، النقص في خدمات النقل والبنية التحتية، الايواء، البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، والتسويق والترويج، كفاءة العنصر البشري وهيكل التعليم والتدريب، محدودية الخدمات المالية وعمليات الاقراض.
- وفي الأخير ما يسعنا أن نقول أن السياحة في العالم العربي تفتقر إلى سياسات والآليات التنموية واضحة المعالم.

ملاح الحماية القانونية للسياحة الثقافية العربية في ظل الظروف الراهنة

بين التأطير القانوني وتحديات التطبيق

د. أحمد بولمكاحل

جامعة قسنطينة منتوري_ قسنطينة 01 - الجزائر

مقدمة

إن الإنسان منذ القدم في حركة دائمة ومستمرة، بين السفر والتنقل بحثا عن أمنه واستقراره ورزقه إلى أن تحولت ظاهرة الانتقال الإنسان سعيا وراء احتياجاته وتحقيق رغباته إلى ظاهرة اجتماعية وثقافية هدفها المتعة والثقافة والاستحمام حيث أصبح مصطلح السياحة يشمل مجموعة من الأنشطة الحضارية والاقتصادية والتنظيمية وهي ظاهرة من ظواهر هذا العصر تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة والتغيير والإحساس بحال الطبيعة والاستمتاع بالمنطقة لها طبيعتها الخاصة.

في حين تعد السياحة ظاهرة اقتصادية اجتماعية وهي صناعة المستقبل، تقوم على توافر المقومات الأساسية للسياحة حيث يتوفر الأمن والأمان¹، الرخاء الاجتماعي القيم التراثية ومقومات الجذب السياحي، حيث يظل المقوم الأمني أهم مقوم يجذب السياح أو الحصن الحصين والسياح المنيع للحفاظ على باقي المدن². لأن نجاح قطاع السياحة في أي بلد مرهون بتوفر عنصر الأمن بشكل عام والأمن السياحي بشكل خاص.

ويمكننا القول أن السياحة هي صناعة المستقبل ولذلك فهي حاجة أساسية لتقدم الدول وتنميتها في القرن الحالي لتكون البديل الأول للنفط لما تتمتع بالكثير من الإمكانيات والمقومات التي تجعلها قادرة على منافسة العديد من البلدان الأخرى في جذب السياح³، وفي هذا السياق، يقول أحد المؤرخين، نجد أن تفاعل التراث الثقافي مع السياحة يمكن أن يكون له تأثير اقتصادي هائل على الاقتصاد المحلي منه فوائد اقتصادية وفرص عمل وارتفاع قيمة العقارات، ما يحفز المجتمع على العمل الجماعي، لتطوير صناعة سياحية مزدهرة⁴.

حيث أصبح للنشاط السياحي أهمية بالغة في وقتنا الراهن باعتباره قطاع استراتيجي ورافد حيوي يعد قاطرة التنمية الاقتصادية⁵، لدى العديد من الدول التي استثمرت في مساهمته الكبيرة والفعالة في الناتج المحلي لتلك الدول بنسب هامة لذلك أصبح التسويق السياحي بمختلف مكوناته وأشكاله من ركائز الأساسية التي

¹ أنظر: شوملي قسندي، السياحة الثقافية ودورها في التنمية المستدامة، مجلة الدراسات السياحية والاجتماعية، 1997، ص 18/17.

² أنظر: شوملي قسندي، السياحة الثقافية في الضفة الغربية وقطاع غزة، منتدى الأبحاث السياحية والاجتماعية، مجلة العرب 1999، ص 102.

³ أنظر: خالد كواش، مقومات ومؤشرات السياحة في الجزائر، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، ع 02، شلف، 2010، ص 165.

⁴ أنظر: شوملي قسندي، المرجع السابق، ص 188.

⁵ أنظر: بريان محمد، السياحة والثقافة والتنمية، العقد العالمي للتنمية الثقافية، يونسكو، الرباط، 2007، ص 32.

تعتمد عليها الدول لبعث الحركة السياحية وخلق ديناميكية جديدة لهذا القطاع في إطار ما يسمى بالاتصال السياحي المعاصر تأسيسا لما سبق، تعتبر مسألة العلاقة بين السياحة والتنمية أحد محاور الأساسية ضمن أجندة حقل السياسة الوطنية والدراسات التنموية، حيث طرح العديد من الإشكالات التي ترتبط بين التنمية والسياحة وتمحورت أساسا حول مدى تأثير المتغيرات الاقتصادية في تحقيق عائدات تنمية سياحية¹، وفي المقابل حول مدى تأثير نوعية الاستراتيجيات المعتمدة في تنمية قطاع السياحة بكل ما تحمله من حمولة وثقل ومن جهة، فإن التشريع الجزائري كغيره من التشريعات المقارنة أكد اهتمامه بقطاع السياحة والتراث وأفرد لها مجموعة من النصوص التشريعية والتنظيمية، من بينها القانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي²، الذي ألغى الأمر رقم 281/67، الذي حضي بإجراءات حماية خاصة في قانون التراث الثقافي، لغرض تطوير هذا القطاع الحيوي الحساس وأبدى اهتمامه أكثر بالإدارة السياحية، والمؤسسات تحت الوصاية، والتكوين والفندقة والتنمية المستدامة للسياحة والتراث.

ولذا فإن الإشكالية التي يتمحور حولها موضوع المداخلة هي:

— إلى أي مدى يمكن للمنظومة القانونية الجزائرية أن توفر الحماية القانونية اللازمة والكفيلة لتفعيل

القطاع السياحي الثقافي وتأمين التراث لخدمة السياحة والتنمية ؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة أعلاه، قسمت الموضوع إلى مبحثين أساسيين، حيث أخصص

المبحث الأول الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وعلاقتها بالتراث، في حين أخصص المبحث الثاني إبراز آليات الحماية القانونية للتراث الثقافي.

المبحث 1: الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وعلاقتها بالتراث.

المبحث 2: إبراز آليات الحماية القانونية للتراث الثقافي.

المبحث 1- الإطار المفاهيمي للسياحة الثقافية وعلاقتها بالتراث

أصبحت السياحة في الربع الأخير من القرن العشرين ظاهرة عالمية، اتخذت بفضل تطور وسائل النقل صبغة عالمية ورغم هذا التطور والنمو إلا أنها تحولت إلى صناعة تهدف إلى تحقيق الأرباح السريعة بأسلوب تبتعد عن أهدافها الحقيقية تتحكم فيها مجموعة من الشركات وبهذا أخذت بعدا اقتصاديا من حيث أن ما ترتب عليها من فعاليات وخدمات تنعكس اقتصاديا على البلد المعني. ومنه تطورت السياحة عالميا وامتدت إلى ميادين متنوعة وأصبحت صناعة قائمة بذاتها وتمتلت العديد من الأنشطة الإنسانية ماضيا وحاضرا

¹ أنظر: حسن كفاي، رؤية عصرية للتنمية السياحية في دول النامية، القاهرة، هيئة المصرية للكتاب والتوزيع، 2008، ص 423.

² أنظر: قانون رقم 04/89 المؤرخ في 20 صفر 1419 الموافق لـ 15 جوان 1998، يتعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، عدد 44.

ومستقيلا وإلحاق الثقافة بالسياحة تندرج ضمن هذا الإطار التي وصلت إليه العلاقات الإنسانية في تفاعلها وتطورها المعولم من المكان والزمان.

وفي هذا المبحث سندرس مفهوم السياحة الثقافية من خلال المطلب الأول، ثم نعرض لدراسة السياحة الثقافية وعلاقتها بالتراث من خلال المطلب الثاني.

المطلب 1- مفهوم السياحة الثقافية

إن وضع تعريف موحد للسياحة الثقافية ليست خطوة سهلة فإذا كانت للسياحة تعريف رسمي خاص بها ومتفق عليه عالميا فإن الثقافة ليس لها تعريف موحد فتعرف السياحة من طرف المنظمة العالمية للسياحة¹، والمتمثل في تنقل الأشخاص وإقامتهم خرج مقرهم الأصلي على الأقل ليلة واحدة، أما الثقافة فلها مفهوم متغير عبر الزمان والمكان، فإختلفت تعريف الثقافة باختلاف الباحثين والتخصصات، فهناك علاقة طردية بين المستوى الثقافي للفرد والطلب السياحي، فالمعرفة الشخصية التي يكتسبها الفرد عن طريق إطلاعه على مختلف الوسائل التعليمية والتي تساهم في جذب السياحي²، وتحفيز الأفراد للقيام بالرحلات والتعرف على المعالم السياحية لمختلف البلدان.

وأيا من خلال التعرف على الشعوب والانفتاح على الثقافات الأخرى سواء من خلال الاطلاع على المعالم الثقافية والحضارية للبلد أو من خلال الاحتكاك والتفاعل بين تلك الشعوب³، فإنها تساهم في توسيع معارف السائح وبالتالي تعمل على ضم هذه الثقافة والتكيف معها حيث يصبح جزءا من الإرث الثقافي ومن جهة، مع تطور مفهومي التراث والسياحة والعلاقة بينهما وتعاظم دور التراث الثقافي في السياحة الثقافية دفع بالدعوة إلى تبني مجموعة مبادئ أساسية جديدة تمخضت عن الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية عام 1999 فهي تعتبر:

- أن السياحة من أهم أدوات التبادل الثقافي من خلال توفر كل الفرص للزائرين لفهم تراث وثقافات هذه المجتمعات⁴،
- بإمكان المحافظة عن العلاقة الديناميكية بين المواقع التاريخية والتراث والسياحة عن طريق التعريف بهذه المواقع بطريقة مستدامة للأجيال المعاصرة القادمة،
- إستعمال مختلف برامج الدعاية السياحية لحماية وتأكيد الخصائص الطبيعية والثقافية للتراث العمراني والمصادر التراثية الأخرى.

¹ أنظر: هدى سيف لطيف، السياحة النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع 2003، ص 202

² أنظر: خالد كواشي، المرجع السابق، ص 198.

³ أنظر: محمد صالح القادري، السياحة الثقافية، تونس، أعمال الملتقى المنعقد بالحمامات، يومي 12_13_14 أبريل 1998.

⁴ أنظر: حسن كفاي، المرجع السابق، ص 213.

فالسياحة الثقافية تعتمد على مكونات التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، ومن هذا المنطلق تبنت العديد من الدول في جميع أنحاء العالم على أن السياحة الثقافية كأحد أهم عناصر السياسات السياحية وحسب تقدير منظمة السياحة العالمية فإن السياحة الثقافية تمثل حوالي 37 بالمئة من إجمالي سوق السياحة الدولية¹، أي ما يوازي ثلث إجمالي النشاط السياحي في العالم.

المطلب 2- علاقة السياحة الثقافية بالتراث

تعتبر الجزائر كغيرها من الدول من أهم البلدان الغنية بالمعالم الأثرية بغض النظر عن أهميتها باعتبارها مواقع جذب السياحي كونها شواهد تاريخية تساعد على تطور الحضارات، وهذا ما يسمى بالسياحة التراثية إلا أنها لم تحض بالحماية الفعالة لتدهور الكثير للممتلكات الأثرية من خلال الاعتداءات أو السرقة أو التشويه أو لطمس الهوية الوطنية بالرغم من توفر ترسانة من القوانين تمثلت في الأمر رقم 281/67 الذي ألغى بموجب القانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

أما العلاقة القائمة بين التراث والسياحة الثقافية أن كل بلد لها خصائصها التراثية إلا أنها تساهم كلها في تدعيم قطاع السياحة الثقافية وهذا يعود لأسباب عديدة، من أهمها الأسباب التي تعرقل تطور السياحة هي تدهور التراث²، وتهميشه وعدم تمييزه وحمايته، حيث تركز الصناعة السياحية بشكل كبير على التراث الثقافي ويتجلى ذلك من خلال العلاقة بين التراث والسياحة لثقافية فهو يمد صناعة السياحة بعناصر جذب مميزة وموارد للمنتجات السياحية في حين تعتمد صناعة السياحة على عرض ذلك التراث وتقديمه للاهتمام اللازم لحمايته، وقد تطورت هذه العلاقة في السنوات الأخيرة في جميع أنحاء الدول مسايرة لرغبات السياح التي أصبحت تفضل هذا النوع من السياحة من أجل المعرفة والاستكشاف للمكونات الثقافية والمعالم التاريخية التي تزخر بها مختلف المناطق.

ويمكن تعريف التراث على أنه " كل ما يستحق الحفظ، أو على وجه التحديد هو العناصر المادية وغير المادية المكونة لهوية كل مجتمع بشري لذلك يتمثل التراث في كل ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل ويقال له " التراث الإنساني " التراث الشعبي" ونضمه مليدريجوا تحت تسمية " التراث الثقافي " بشقيه المادي وغير المادي³، لهذا يعتبره البعض على أنه نتيجة ما خلفته وورثتها لأجيال السالفة للأجيال الحالية، أما من ناحية العلمية فهو علم ثقافي قائم بذاته يختص بقطاع معين من الثقافة ويلقي الضوء عليها من نواحي تاريخية واجتماعية وحضارية تحتاج للحماية وتأطيره، لذا اتخذت العديد من الدول

¹ أنظر: هدى سيف اللطيف، المرجع السابق، ص 215.

² أنظر: زهير بوعكريف، التسويق السياحي ودوره في تفعيل قطاع السياحة، دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة كلية العلوم الإقتصادية والتجارية، 2011، ص 112 .

³ أنظر: عبد الكريم عزوق، التراث الأثري مفهومه، وأهميته، وحمايته، وإستغلال كثرة إقتصادية، مقال منشور بمجلة الدراسات الإقتصادية، جامعة الجزائر، ص 13

مجموعة من الاجراءات لإعادة إحياء التراث المادي بنوعيه لعدم اندثاره وهذا من خلال الاستفادة من التنوع الفريد للتراث الثقافي في كل بلاد، لذا في الجزائر رغم كل الاجراءات التي اتخذتها من أجل تصنيف التراث إلا أن هذه الخطوات تبقى ضئيلة مقارنة مع الكم الهائل من مكونات التراثية الموجودة في مختلف الولايات التي لازالت لحد الآن غير مصنفة¹.

لذا فحماية التراث وتثمينه تحتاج إلى عملية تصنيف متكررة ومتجددة تعمل على ترقية الارث الثقافي في البلاد ونظرا لأهمية التراث الثقافي ، فلقد نص المشرع الجزائري ضمن المادة 02 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، والذي جاء في مضمونه " على أن التراث الثقافي للأمة، يقصد به جميع الممتلكات الثقافية العقارية والعقارات بالتخصيص وحتى الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وحتى الموجودة في طبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية والموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ كما تشمل أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية "، بالإضافة إلى نص المادة 02 من المرسوم التنفيذي 292/12 المؤرخ في 21 جويلية 2012 المحدد للقانون الأساسي لديوان الوطني للحظيرة الثقافية التاسيلي التي تصنف شكل الحظائر الثقافية التي تشمل المساحات التي تتسم بغلبة الممتلكات الثقافية الموجودة في الصحراء البلاد².

المبحث 2- آليات الحماية القانونية للتراث الثقافي

تعتبر السياحة من القطاعات الحساسة والإستراتيجية التي تعول عليها في تنمية الاقتصاد الوطني، ولا يخفى على أحد بأن هناك اهتماما متزايدا بقطاع السياحة في الآونة الأخيرة من طرف المسيرين لهذا القطاع وبالنظر للمقومات السياحية المتعددة في الجزائر فإن هناك مجموعة من الآليات أن توفرت بإمكانها أن تعطي دفعا إضافيا للسياحة الثقافية لتشجيع السياحة المحلية، وفي هذا المبحث سندرس الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية من خلال المطلب الأول، ثم دراسة العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية من خلال المطلب الثاني.

المطلب 1- الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية

لا بد أن نشير إلى أن مسؤولية حماية التراث الثقافي مسؤولية الجميع ضد أعمال النهب والتشويه والسرقة والتي تؤدي إلى استنزاف الذاكرة الجماعية للإنسانية، كما تعتبر حلقة مفقودة في التاريخ الحضاري للإنسانية وإدراكا من السلطات الدولية وإهتمامها المتزايد بالتراث الثقافي المتنوع في الجزائر³.

¹ أنظر: خوادجية سميحة، حماية الممتلكات الأثرية في ظل قانون التراث الثقافي، مجلة السياسية والقانون، جوان 2016، العدد 05، ص 78.

² المرسوم التنفيذي رقم 292/12 المؤرخ في 2012/07/21، المحدد للقانون الأساسي للديزنانرطيا للحضائر الثقافية بالصحراء .

³ أنظر : شريط حسين الأمين، فعالية التخطيط الإستراتيجي للتنمية السياحية في الجزائر، مجلة العلوم الإقتصادية والتسيير، العدد 14، 2015.

بادرت الجزائر إلى القيام بعدة إجراءات لحمايته من بينها على سبيل المثال لا الحصر سن القانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 جوان 1998 المتعلق " بحماية التراث الثقافي " وشرعت في إنشاء مكتب مركزي وخلايا لمكافحة المساس بالتراث الثقافي لما يعرفه هذا النوع من الإحرام من تطور وتنظيم وباحترافية بالإضافة إلى تكثيف المراقبة لحماية الممتلكات الثقافية الجزائرية وردعية الإجراءات لكافة أشكال المساس بالمعالم التاريخية والمواقع الأثرية المصنفة وغير المصنفة¹، كما جندت العديد من فرق مكافحة تهريب الإرث الثقافي على مستوى الدرك والجمارك والأمن الوطني لوضع حدّ للشبكات الاحترافية التي تستهدف المتاجرة بالتراث الإنساني.

من بين الآليات القانونية لحماية الممتلكات الأثرية، في قانون التراث الثقافي، نذكر أهمها:

إذ نصت المادة 08 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي على ما يلي "يمكن أن تخضع الممتلكات الثقافية العقارية أيا كان وضعها القانوني لأحد الأنظمة الحماية المذكورة أدناه تبعا لطبيعتها والتصنيف الذي تنتمي إليه: - التسجيل في قائمة الجرد الاضافي.

- التصنيف والإستحداث في شكل محفوظة.

زيادة على ذلك تحتفظ الدولة بآليات أخرى كالتسجيل في قائمة الجرد العام وإمكانية نزع الملكية للمنفعة العامة وممارسة حق الشفعة الإدارية، لاسيما فرض ارتفاعات إدارية لحماية الممتلكات الثقافية.

1_ التسجيل في قائمة الجرد الإضافي: نصت عليه المادة 10 من القانون 04/98 " الممتلكات الثقافية العقارية التي تكتسي أهمية من وجهة التاريخ أو الفن أو علم الآثار أو الانتروبولوجيا أو الثقافة والتي لا تستوجب تصنيفا فوريا يمكن أن تسجل في قائمة الجرد الاضافي. ويكون التسجيل بقرار من وزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية فيما يخص الممتلكات والمعالم ذات الأهمية الوطنية، وتكون المبادرة من الوزير أو أي شخص يرى مصلحة في ذلك والممتلكات الثقافية ذات الأهمية المحلية يكون التسجيل في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي عقب إستشارة لجنة الممتلكات الثقافية التابعي للولاية، ويتضمن قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي المعلومات الآتية " طبيعة الممتلك الثقافي ووصفه، موقعه الجغرافيا لمصادر التاريخية، ومن أثار قرار التسجيل في قائمة الجرد هو إلزام أصحاب الممتلكات العمومية أو الخواص إبلاغ الوزير المكلف بالثقافة، عند القيام بأي تعديل جوهري يكون من شأنه أن يؤدي إلى إزالة العوامل التي سمحت بتسجيله أو محوها أو حذفها، والمساس بالأهمية التي أوجبت الحماية².

وما يمكن ملاحظته، بخصوص التسجيل في قائمة الجرد الإضافي أنه إجراء وقتي وعرضي، مما يجعل آلية التسجيل في قائمة الجرد الإضافي هشة لأن هذه الآلية تستمر مدة 10 سنوات وهو ما أكدته المادة 10 فقرة 02 من قانون 04/98.

¹ أنظر : خوادجية سميحة، المرجع السابق، ص 83 .

² أنظر: نص المادة 13 فقرة 03 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي.

2_ التصنيف والاستحداث في شكل محفوظة: لا يدخل تصنيف الممتلكات الثقافية العقارية في إطار التصنيف الذي نصت عليه المادة 31 من قانون الأملاك الوطنية 30/90 لما نص على " لا يترتب عن قرارات التصنيف الإدارية ذاتها...خضوعها لقانون نظام الأملاك الوطنية العمومية وتدخل في هذا النوع من الأعمال الخارجة عن مضمون الأحكام المادة 31 قرارات التصنيف الإدارية الصادرة خصوصا فيما يلي " الأملاك أو الأشياء المنقولة والعقارية والأماكن والحفريات والتنقيب والنصب التذكارية والمواقع التاريخية ذات الأهمية الوطنية في مجال التاريخ والفن أو علم الآثار "، ويعد التصنيف أحد إجراءات الحماية النهائية، وقرارات التصنيف تشمل كل ممتلكات الثقافية مهما كان طبيعتها القانونية¹، وتعتبر الممتلكات الثقافية العقارية التي يمتلكها الخواص قابلة للتنازل²، وقرار التصنيف الصادر من وزير المكلف بالثقافة يمكن أن يكون ودي أي بمبادرة المالك، أو بطريقة رسمية من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية³. وتسري آثار التصنيف بقوة القانون على المعلم الثقافي وعلى العقارات المبنية أو غير المبنية الواقعة في منطقة الحماية ابتداء من يوم تبليغ الوزير المكلف بالثقافة بالطرق الإدارية فتح دعوى التصنيف إلى المالكين العموميين أو الخواص.

وفي هذا الصدد، عقدت الجزائر مؤتمر دولي سنة 2008 تهدف إلى تبادل الخبرات في البلدان البحر الأبيض المتوسط وإظهار الاهتمام لإنشاء قاعدة بيانية للممتلكات الأثرية وأكد المتدخلين والباحثين في هذا التخصص بصفة قاطعة أن الجزائر لم تكشف كل المواقع الأثرية الفريدة لنقص الخبراء المتخصصين في علم الآثار مما يستدعي لإحصاء وحرد وتصنيف المعالم الأثرية وبالمقابل فإن هذا الأمر تجاوزته تونس إثر انخراطها بمشروع الشبكة المفتوحة المتوسطة للسياحة المستدامة الذي انطلق منذ سنتين بتمويل من الاتحاد الأوروبي لتثمين " المخزون الحضاري والثقافي " وترسيخ مفهوم السياحة البديلة المرتكزة أساسا على إبراز خصائص الثقافة الحضارية والتراثية لكل دولة، وأن تعمل كل دولة مشاركة فيه على إبراز المخزون الثقافي والتراثي لها وكانت أهداف المشروع إدراج السياحة الثقافية والسياحة البديلة ضمن أولويات برامج السياحة الدولية.⁴ وتجدر الإشارة أن مشروع هذا الجرد الذي قامت بها الجزائر يتطلب إرادة سياسية وغياها يعيق تأطير وتثمين وحماية المعالم الأثرية مما يسبب تدهورها وضياعها⁵، مما يصاحبها توقيع العقاب وردع كل من انتهك أو اعتدى على هذه الممتلكات.

¹ أنظر: فريدة بلفراق، الإجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 05 - خاص، دور الآثار في ترقية السياحة الثقافية، 2003، ص ص 2/1.

² أنظر: عيساوي بوعكاز، طرق حفظ وصيانة مواد البناء للمواقع، أثار جميلة كويكل، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، 2009، ص 103.

³ أنظر: نص المادة 47 فقرة 03 من القانون 04/98.

⁴ أنظر: رشا كهينة، قاسمي آسيا، التجربة التونسية في مجال السياحة، واقع وأبعاد ورهانان، الملتقى الوطني الأول " السياحة في الجزائر " الواقع والأفاق، المركز الجامعي بوية، ص 09.

⁵ أنظر: عيساوي بوعكاز، المرجع السابق، ص 111.

المطلب 2 - العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية

من بين هذه العقوبات المقررة في حالة الاعتداء على المعالم الأثرية حسب ما جاء في نص المادة 91 من قانون 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي " يمكن للجمعية التي ينص قانونها الأساسي على السعي إلى حماية الممتلكات الثقافية أن تنصب نفسها خصما مدعيا أي تباشر الدعوى بصفة المدعى المدني، فضلا عن ضباط الشرطة القضائية وأعوانها، يستطيع القيام بهمة البحث والتحري والمعاينة جميع مخالفات أحكام قانون 04/98 أعوان مؤهلين بصورة خاصة حسب الشروط المحددة في التنظيم المعمول به المفتشون المكلفون بحماية التراث الثقافي، أعوان الحفظ والتشمين والمراقبة.

ويعاقب كل من يعرقل أعمال الأعوان المكلفون بالحماية الممتلكات الثقافية ومن بينها الأثرية على أساس جنحة، فعلى سبيل المثال نص المادة 94 من قانون 04/98 تنص " على معاقبة بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات كل من يرتكب المخالفات المتعلقة بإجراء الأبحاث الأثرية دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة¹، أولا يصرح بالمكتشفات أو عدم التصريح بالأشياء المكتشفة أثناء الأبحاث الأثرية المصرح بها وعدم تسليمها للدولة.

ويعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات كل بيع أو إخفاء أشياء متأتية من عمليات الحفر أو التنقيب مكتشفة بالصدفة أو أثناء القيام بأبحاث أثرية مرخص بها، أو بيع أو إخفاء أشياء متأتية المكتشفة بالصدفة من أبحاث أجريت تحت مياه البحر أو بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية مصنفة أو مسجلة في قائمة الجرد الاضائي وهو ما يطرح إشكالية بيع أو إخفاء ممتلكات ثقافية أو أثرية لم تصنف أو هي في طور التصنيف²، وكذلك الممتلكات الثقافية المتأتية من تقطيعها أو تجزأتها لاسيما بيع أو إخفاء عناصر معمارية متأتية من تقطيع ممتلك ثقافي عقاري أو عقاري بالتخصيص أو من تجزئته، أما بالمسبة للمسؤولية المدنية تقدر بتعويض يتراوح من 100.000 دج إلى 200.000 دج، وتنص المادة 98 من القانون 04/98 " يعاقب بغرامة مالية من 2.000 دج إلى 10.000 دج دون المساس بالتعويضات عن الأضرار على المخلفات المتمثلة في شغل ممتلك ثقافي عقاري مصنف أو استعماله لا يطابق الارتفاعات المحددة والمذكورة في الترخيص المسبق الذي سلمه الوزير المكلف بالثقافة، من خلال استقراء هذه العقوبات المقررة نلاحظ أنها جاءت غير ردية مع مقدار الاعتداء والانتهاك والتشويه أو الهدم الذي يتعرض له المواقع الأثرية، كما أن هذه المقومات التراث المادي لا يمكن أن تعوض وهو غير قابل للتجديد.

¹ أنظر: حوادجة سميحة، المرجع السابق، ص 91 .

² أنظر: فريدة بلفرار، المرجع السابق، ص 43 .

خاتمة:

تعتبر السياحة من القطاعات الحساسة والاستراتيجية التي تعول عليها في تنمية الاقتصاد الوطني، ولا يخفى على أحد بأن هناك اهتماما متزايدا بقطاع السياحة في الآونة الأخيرة من طرف المسيرين لهذا القطاع ، وبالنظر للمقومات السياحية المتعددة في الجزائر.

إن النظام القانوني لحماية الممتلكات والمعالم التراثية وفق قانون 04/98 قلل من قيمة هذه المعالم الأثرية والتاريخية غير القابلة للتجديد، التي حُدِّد واقتصر في جعل آليات الحماية القانونية مرتكزة على التصنيف، والجرد، والجرد العام فقط ويشترك فيها مجمل التراث بنوعيه المادي وغير المادي ولها نفس الأحكام دون تمييز، مما يجعلها تحتوي على ثغرات قانونية وتناقضات فيه مما تبقى عرضة للإهمال والضياع ، مما يوحي أنه لا توجد إرادة سياسية لثمينه وجعله مصدرا تنمويا للبلاد وعليه استطعنا أن نخرج بجملة من الأفكار والمقترحات لعلها تكون مجدية والكفيلة عصرنة المنظومة القانونية والتكوينية وخلق جو من المنافسة بين المتعاملين، ودعم وتوسيع عملية الرقابة والتفتيش خاصة على المواقع التراثية، وملائمتها مع حاجيات السوق السياحية إعادة تقييم التشريعات المعمول بها في ضوء الوضع الراهن ووضع آليات لتنفيذها. إجراء حصر الممتلكات التي يسري عليها وصف التراث العمراني والعمل على تسجيلها لدى الجهات المختصة لسط الحماية القانونية عليها من ضمنها العقوبات للحد من عمليات التشويه والتغيير والتي تؤدي إلى زوال هذا الإرث .ومازالت مسيرة الظاهرة السياحية متواصلة من خلال إنشاء لجان أو مساهمة الوزراء في تحقيق مشاريع تنموية في ترقية وحماية المعالم التاريخية التي تخص من جهة تثمين التراث الثقافي للبلاد وتدعيم قطاع السياحة من جهة، وتبني استراتيجية مستدامة للتنمية السياحية وهذا تم منذ سنة 2010 حيث حددت عشرون موقعا سياحيا لتنكيتهما في طار مشاريعها. كما تستوجب السياحة الثقافية تهيئة الفضاءات الثقافية والاهتمام بالخصوص بالثقافة الحضارية التي تتميز بها كل دولة فالتجربة أثبتت أن السائح لا يهتم إلا بما تتميز به المنطقة من معالم حضارية وثقافية أكثر من اهتمامه بما يقدم له من برامج ترفيهية دخل الفندق.

ومن خلال هذه المداخلة فقد ارتأينا تقديم جملة من النتائج والتوصيات سنعرضها في مايلي:

النتائج:

- حصر الممتلكات التي يسري عليها وصف التراث العمراني والعمل على تسجيلها لدى الجهات المختصة لحمايتها قانونيا.
- تقرير العقوبات للحد من عمليات التشويه والتغيير والتي تؤدي إلى زوال هذا الإرث .
- إنشاء لجان أو مساهمة الوزراء في تحقيق مشاريع تنموية في ترقية وحماية المعالم التاريخية التي تخص من جهة تثمين التراث الثقافي للبلاد وتدعيم قطاع السياحة.
- تثمين التراث الثقافي للبلاد وتدعيم قطاع السياحة.
- تبني استراتيجية مستدامة للتنمية السياحية وهذا تم منذ سنة 2010.

- تهيئة الفضاءات الثقافية والاهتمام بالخصوص بالثقافة الحضارية التي تتميز بها كل دولة.

التوصيات:

- السياحة الثقافية تهيئة الفضاءات الثقافية والاهتمام بالخصوص بالثقافة الحضارية التي تتميز بها كل دولة فالتجربة أثبتت أن السائح لا يهتم إلا بما تتميز به المنطقة من معالم حضارية وثقافية أكثر من اهتمامه بما يقدم له من برامج ترفيهية دخل الفندق.
- ضرورة تفعيل القانون الساري المفعول بالنسبة للتشريع الجزائري وذلك بتدعيمه من خلال إدخال تعديلات عليه تخص جملة من الآليات والميكانيزمات تماشياً مع أهمية المسألة في المسائل الاقتصادية خصوصاً وأن التشريع المعمول به طال أمدته دون إضافة أو تنقيح.

رقمنة المخطوطات ودورها في حماية التراث الثقافي الجزائري

أ. شلي فضيلة

أ. صدراة حنان

جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر

جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر

مقدمة

إن الحديث عن المخطوط هو حديث عن فكر البشرية عبر العصور، قطعة حية من ماضٍ تلخص حوادث غابرة عن وجود أمة ما، وثمره من ثمار عقول السلف وقراءاتهم، إنها رصيد الأمة الثمين الذي يحفظ أعمالها، ويحقق تواصلها واستمرارها وعطائها، وحلقة متينة تربط الجيل الجديد بماضيه وحضارة أجداده، تلك الأوراق المهترئة البالية، تجبى بين طياتها خلاصة حياة مؤلف ما، وشاهد يعرفنا على أشياء يصعب أن يعيدها الزمن والأيام.

تزداد أهمية المخطوط واستعماله كمصدر تاريخي في الآونة الأخيرة، ويلقى رواجاً في الأوساط العلمية كونه يضم تاريخ الشعوب، والمعلومات التي تحتويها تمثل ذاكرة هذه الأمم حول مختلف الأحداث التي مرت بها عبر الأزمنة كونه يضمن للشعوب حق التعرف على تاريخها، كما يعتبر جزءاً هاماً من التراث الوطني لمختلف البلدان يضم بين دفتيه شتى العلوم والمعارف، وقد جرت العادة أن يترك هذا التراث من جيل لآخر للحفاظ عليه وصيانتها لأنه يشكل خزانة الأمة التي تحفظ بها أمجادها وماضيها.

الحقيقة أن المخطوط الورقي في ظل تعرض القسم الأكبر منها إلى التلف والتآكل والتأثر ببصمات الزمن، نتيجة التداول بين الباحثين، طرح إشكالية إيجاد حل للحفاظ على المخطوطات من التلف والضياع، إذ أن بقاء هذه المصادر تحت صيغتها الورقية يحكم عليها بالزوال، حيث كان حفظ الأصول للأجيال القادمة أحد أهم التحديات التي تواجه مراكز المخطوطات، وتزامنت هذه التحديات مع التطورات العميقة والشاملة في مجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات التي عرفها العالم في الربع الأخير من القرن العشرين، ذلك أن هذه التطورات الحديثة عبر الشبكات أتاحت الفرصة لكثير من المؤسسات والإدارات لمواكبة هذه الثورة، فبدأت تظهر العديد من الأطراف التي تطالب برقمنة المخطوط لما يمكن أن يجده إدخال التكنولوجيا الجديدة على هذا القطاع من تغيرات في طريقة التكفل بالمخطوط ومعالجته، ومواجهة حالات حفظه الرديئة وتعرضه للتلف، وصعوبة الاطلاع عليها ومحدودية والاستفادة منه في الأبحاث العلمية الجامعية، هذا ما دفع بالمختصين بتوفير الإمكانيات الخاصة بحفظه وإيجاد وسائل وتقنيات لوضعها تحت تصرف الباحثين ومثلت الوسائل التكنولوجية دفعا جديدا في مجال حفظها مهما طال أمدها، في مقابل تخوف بعض الأطراف من إدخال هذه الوسائل واستخدامها وتجاهل الدور الذي يمكن أن تلعبه في تطوير مراكز المخطوطات وكيفية الاستفادة منه، وتركيزهم على أن أي فساد أو تخريب لأي مخطوط يعتبر بمثابة فقدان جزء من المعرفة بدرجة يصعب علاجها.

كيف نحافظ على التراث المخطوط الذي تحتفظ به الزوايا والأسر المالكة له؟ وما مدى مساهمة الرقمنة كتقنية تكنولوجية حديثة في الحفاظ على المخطوط؟ وما الوسائل والإمكانات المساعدة على تحقيق هذه الغاية؟

1- معنى المخطوط:

جاء في لسان العرب: الخط: الطريقة المستقيمة من الشيء والجمع خطوط وقد جمعه العجاج على خطوط، والخط: الطريق يقال الزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيئا، وخط القلم: أي كتب، وخط الشيء، يخطه، خط كتبه بقلم وغيره. والتخطيط: التسطير، التهذيب، التخطيط: كالتسطير، نقول، خُطِّطَ عليه ذنوبه، أي سطرت¹، وفي المعجم الوسيط: المخطوط هو المكتوب بالخط لا بالمطبعة، والمخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد²، كما يوجد تعريف لغوي للمخطوط وهو كل ما خط باليد، وهو يقابل اليوم في المعنى العام (المطبوعة)، فما يتم نسخه أو تدوينه باليد يعتبر مخطوط³.

والمخطوطات جمع مخطوط، والمخطوط في اللغة يعني كل ما خط باليد، اسم مشتق من خط الكتاب: سطره وكتبه، فالمخطوط إذن هو كل ما كان مكتوب بخط اليد سواء كان كتابا أو وثيقة، أو شاهدا على قبر..⁴، فكلمة مخطوط مشتقة لغة من الفعل خط يخط سواء كتب أو صور في أي نوع من أنواع الأدب سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها⁵، والتسمية مأخوذة أيضا من الكتابة الخطية (CALLIGRAPHY) وهي تعني طريقة تسجيل رموز الكلام باليد⁶، وذلك قبل الانتشار الفعلي لأدوات الطباعة الحديثة⁷. أما اصطلاحا فالمخطوطة في علم تحقيق المخطوطات هو: "كل مخطوط بخط عربي سواء كان على شكل لفائف، أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض في دفاتر أو كراريس وبهذا التحديد تخرج الرسائل والعهد والمواثيق والصكوك وما يكتب على شواهد القبور..."⁸ كما يعرف همشري عمر المخطوطات بأنها: "ذلك النوع من الكتب التي كتبت باليد ولو بوجود الطباعة وقت تأليفها، وتمثل المصادر مصادرا أولية للمعلومات، موثقة تخص دراسة

1 - ابن منظور، لسان العرب، مج3، 3867، بيروت، دار صار، 1992، ص287.

2 - إبراهيم، انس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، ج1، لبنان، دار احياء التراث العربي، (د.س)، ص244.

3 - يوسف زيدان. المخطوطات الألفية، ط1. مصر: شركة النهضة للطباعة والنشر 2008. ص

4 - جان، عبد الله توما. تحقيق المخطوطات العربية، ط1، لبنان: المؤسسة الحديثة، 2011، ص25.

5 - عامر، قنديلحي وآخرون. مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عمان، يازوردي العلمية والنشر والتوزيع، 2009، ص79

6 - عبد الهادي فضلي، تحقيق التراث، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2008. ص43.

7 - غازي عنابة. إعداد البحث العلمي ليسانس ماجستير دكتوراه. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع 2008. ص95.

8 - جان، عبد الله توما، المرجع نفسه، ص25.

موضوعات متنوعة بحيث يعتمد العديد من الباحثين اعتماد كلي أو جزئي عن المعلومات الواردة فيها".

ويعرفها غازي عناية قائلاً: هي كل كتاب قديم، كتبه مؤلف بخط اليد سواء بخط يده أو خط أيدي تلامذته، ومن المخطوطات: النسخة الأصلية لمؤلف والنسخ الفرعية والمنقولة أو المكتوبة عن تلك النسخة الأصلية¹، كما يعرف أيمن فؤاد السيد المخطوط لقوله: كلمة مخطوط التي يستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد، والتي خلفها لنا القدماء، هي ترجمة لكلمة MANUSCRIT بالفرنسية بالمقابل كلمة مطبوع². وتعرف أيضاً الموسوعة العربية العالمية المخطوط بأنه: مصطلح لأية وثيقة مكتوبة باليد أو بألة مثل آلة الطباعة أو الحاسوب الشخصي، وتستعمل الكلمة للتفريق بين النسخة الأصلية لعمل كاتب ما والنسخة المطبوعة، كما تشير للكاتب لأنه وثيقة تاريخية مكتوبة باليد منذ العصور القديمة حتى ظهور الطباعة القرن الخامس عشر³.

من خلال هذه التعريفات المختلفة يمكن أن نستخلص بأن كلمة المخطوط يمكن أن تنطبق على ما خط باليد وهذا قبل الانتشار الفعلي للطباعة لم نستعمل كلمة مخطوط للإشارة إلى هذه الكتب بل كانوا يطلقون عليها أخرى مثل: كتاب عتيق، نسخة عتيقة وغيرها.

2 - المخطوط العربي⁴:

المخطوطات العربية هي التراث العربي المكتوب، وهي تمثل حصيلة وذخيرة عامة من المؤلفات العربية الإسلامية، والترجمات لكتب ومؤلفات من التراث اليوناني والفارسي والهندي، وغير ذلك كثير من الآداب العالمية التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية خلال فترة عصر الترجمة والتأليف العربي والإسلامي. وتعتبر المخطوطات العربية من أهم مخلفات الحضارة العربية والإسلامية، حيث خلفت لنا تراثاً واسعاً يشمل على مؤلفات هائلة غطت معظم جوانب العلوم والفنون، ورغم الدمار الذي حل بتلك المخطوطات والكوارث الطبيعية والتدمير المتعمد الذي تعرضت له تلك المؤلفات خلال القرون الماضية، فإن ما تبقى منها وبكل المقاييس يفوق كل المخطوطات التي كتبت بكل لغات العالم، وقد بدأ الاهتمام بهذا التراث وما فيه من مخطوطات على مدى القرن 9 والقرن 20 م.

وقد التفتت إلى هذا التراث مؤسسات وهيئات وجامعات ومعاهد، وبدأت في جمعه ونشره وإصدار الفهارس والكشافات ويقدر عدد المخطوطات العربية المحفوظة بدور التراث العربي والأوروبي والأمريكي بحوالي

¹ - عبد الستار، الحلوجي، المخطوط العربي، الرياس: جامعة الإمام محمد بن سعود، الإسلامية، 1977، ص 17.

² - أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط 1، القاهرة:الدار المصرية للنشر، 1418هـ - 1997، ص 102.

³ - عامر، قنديلجي وآخرون، مرجع نفسه، ص 79.

⁴ - عثمان نور قاسم، المرجع في علم المكتبات و المعلومات، ط 1، مركز قاسم لخدمات المكتبات، الخرطوم، 2007، ص 07.

سنة ملايين نسخة، وما زال الكثير من هذه المخطوطات يجهل ما تحويه من علوم، وما زال هناك آلاف من المخطوطات والكتب والمؤلفات التي لم نجد لها أثرًا في قوائم الفهارس المنشورة، واهتمت العديد من الدور والمؤسسات بتصويرها وتصنيف هذه المخطوطات والاعتناء بها وصيانتها والتعريف بها، ورغم ك لا لجهود التي بذلت وما زالت تبذل فسوف تظل العديد من المخطوطات بعيدة عن دائرة البحث، وتحتاج إلى جهد من العاملين في مجال الوثائق والمكتبات لإعداد كشافاتها وفهارسها توطئة للتعريف بها، وبالتالي تحقيقها ونشرها وإدخالها إلى دائرة الإنسانية.

3 - المخطوط الجزائري: تعد الجزائر من طليعة البلدان التي أولت التراث المخطوط اهتمامًا بالغًا، فكانت الدولة الرستمية أول دولة إسلامية قامت في ربوع هذه البلاد، وهي التي أعطت أهمية للتراث للمخطوط، فخص **عبد الرحمن بن رستم** المساعدة المالية التي وردت له من المشرق، لشراء الكتب ونسخها، فكانت مكتبة المعصومة من أهم مكتبات المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الحديث، لهذا لم يكن من المصادفة العثور على خزائن مثل خزانة "بزو" وهي مدينة صغيرة في جبال الأطلس تحتوي على لنسخة الوحيدة في العالم لكتاب "البرصان والموجان والعميان والجولان"، لعالم البصرة الكبير أبي عثمان الجاحظ¹، وعلى الرغم من قلة الأخبار والمعلومات عن خزانات الكتب، في مصادر التاريخ والتراث بالمغرب فإنه كان للكتاب مكانته في هذا البلد.

388

إن المسافة الجغرافية والثقافية التي تفصل بين الجزائر وبلاد المشرق، الذي يعتبر منبع حضارة الكنانة دفعت هؤلاء الجزائريين على إعطاء الكتاب وكل شيء مكتوب عناية ومكانة شبه مقدسة تتجلى من خلال حركة الشيوخ الذين يرتحلون لجمع ورقة مطبوعة أو مخطوطة وفي طريقة احترامهم حفظًا في بحفرة أو ثقبه حائطية حتى لا تدوسها أقدام المارة، كما إن اهتمام الجزائريين بالكتاب قديم، وتقديسهم للورقة المكتوبة عريق، فلا غرابة إذاً فيكون الجزائر تحت ضن خزانات تضم أهم الأرصدة المحفوظة في مختلف بلدان المغرب الإسلامي بأكملها².

-لمحة تاريخية عن التراث الجزائري المخطوط:

الجزائر بلد له تاريخ عريق، تعاقبت عليها العديد من الحضارات، وامتزجت بها ثقافات متنوعة، فكانت طليعة البلدان التي أولت اهتماما كبيرا بالتراث المخطوط، بحيث نجد منه منتشا خاصة في الزوايا التي تعد مركز إشعاع فكري وثقافي³، وإذا أردنا أن نعطي فكرة عن رصيد التراث العربي المخطوط بالجزائر لا بد من الحديث ولو باختصار عن حالة هذا الرصيد في العصور السابقة.

¹ - عبد الحميد أعراب، دراسات في المكتبات والمعلومات، ج1، عدد9، حوليات جامعة الجزائر، 1995، ص126

² - حساني مختار، القرآن الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج، ج4، الجزائر، منشورات المنار، 2009، ص15.

³ - أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الهجري (16، 20م)، ج1، ط1، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب (دس)، ص286.

تؤكد المصادر والمراجع بأن معظم الكتب كانت عبارة عن مصاحف قرآنية وكانت في الفقه والحديث، ولكن مع نهاية عهد المرابطين وبداية عهد الموحيدين بدأت كتب الفلسفة والتصوف تجاوز كتب الفقه والحديث في الخزانات العامة والخاصة حيث وضع ابن رشد شروح لمؤلفات أرسطو بدعوة من أمير المؤمنين يوسف بن عبد الرحمن الموحيدي.

أما في العهد الزياني فقد نسخت كل المؤلفات التي تعالج علوم الفقه والرياضيات والفلك وعلوم أخرى، ما زاد من رصيد المخطوطات في الجزائر وتنوعها بحيث كان علماء الجزائر وحكامها يأتون بالكتب من تركيا والقاهرة، وشبه الجزيرة العربية وغيرها من البلدان، سواء عن طريق الحج أو السفر والرحلات لتبادل المعارف بين العلماء¹.

ودليل اهتمام هؤلاء الحكام بهذا الجانب هو كون جلهم شاركوا في البحث ولتأليف والترجمة وقد أسسوا الخزانات التي لعبت أكبر الأدوار في الحفاظ على هذا التراث و وضعوا على رأسها عالما أو قاضيا. بالإضافة إلى ذلك يعتقد الباحثون الجزائريون في مجال المخطوطات أن الجزائر تحتفظ في بعض الخزائن بالأرصدة التي لم تفهرس بعد، وكذلك في خزانات أخرى، ومما يدل على هذا الاهتمام الباحثين الأوروبيين بهذه الكتب ونقلها إلى خزائهم مما جعلها مفقودة للأبد، لأنه من شبه المؤكد أنها آلت إلى خزانة من خزائنا الخاصة العديدة التي لا تزال مجهولة، والتي تضم بلا شك في خباياها أرصدة هائلة من المخطوطات، تكاد تفوق ما هو محفوظ ما هو مفهرس. إن هذا التراث الغزير الذي يجمع لدى المغاربة منذ العصور الإسلامية الأولى قد حفظته وصانته مكتبات مختلفة يمكن حصرها في نوعين: المكتبات الخاصة والمكتبات العامة، وقد أدت كلها دورا بارزا في حفظ وتنظيم هذه الحصيلة الحضارية التي أفادت الباحثين مستشرقين وعربا في الوقوف على معالم الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في المغرب.

بالإضافة إلى ذلك يعتقد العديد من الباحثين في مجال المخطوطات بأن الجزائر تحتوي على مجموعة من المخطوطات في خزائنها لم تفهرس بعد، وهذا ما نراه من اهتمام الأوروبيين بهذه المخطوطات. يعد هذا التراث الغزير جانبا مهما من حضارة الأمة العربية عامة والمغربية خاصة لهذا وجب علينا إيجاد مكتبات عامة وأخرى خاصة أدت كلها دورا في صيانة هذا التراث الحضاري الذي يحمل في طياته معالم الثقافة الإسلامية في المغرب² عامة والجزائر خاصة.

مراكز المخطوطات في الوطن العربي عامة وفي الجزائر خاصة:

4_ نماذج عن مراكز المخطوطات في الجزائر: إن الإحاطة بآلاف المخطوطات التراثية الجزائرية، المترامية عبر القطر الجزائري تقتضي تكامل جهود مكثفة ومتنوعة على المستوى الفردي وعلى المستوى

¹ - حساني مختار، المرجع نفسه، ص 15، 16.

² - حساني، مختار. مرجع نفسه، ص 17.

المؤسساتي¹، فمراكز المخطوطات في الجزائر - كما ذكرنا- كتب مع التأكيد إن المجال لا يزال مفتوح لدى الباحثين، فهي تزخر بثروة كبيرة، وهذه المراكز يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين هما: المراكز الرسمية وأخرى خاصة.

أولاً: **المراكز الرسمية**: نقصد بها المكتبات العامة التي تشرف عليها هيئات رسمية وعمومية، ومن أبرزها:

1- المكتبة الوطنية الجزائرية: تعد المكتبة الوطنية الجزائرية هي المؤسسة الأولى التي تعنى بقضايا الكتاب المخطوط والمطبوع، تضم حوالي أربعة آلاف مخطوطة في شتى فنون المعرفة الانسانية، جمعت مخطوطاتها من الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي، وقد ازدادت مقتنيات المكتبة الوطنية بعد الاستقلال عن طريق الشراء والإهداء، وهذه المخطوطات بالعربية، واللاتينية، والفارسية، والتركية والفرنسية.

فيها أكثر من ثلاثة آلاف مخطوط، عدا تلك التي أحرقت أيام الاحتلال الفرنسي، صنع لها المستشرق الفرنسي "كانيان" فهرساً ونشره في باريس سنة 1890 م، وقد حاولت مجموعة من الباحثين إعداد فهرس فنية للمكتبة باللغة العربية تراعي فيها أصول فهرسة المخطوطات لتسهيل مهمة الباحثين منها محاولة الأستاذ "بنراجيونار" و"جلول بدوي" لكن المشروع لم يكتمل وكذلك محاولة الأستاذين عبد الغني أحمد بيوض ومحمود بوعياض، حيث أعد فهرس عدد من المخطوطات، ويعتبر المكتبة الوطنية هي المؤسسة المهنية الأولى بالمخطوطات وهي أول مؤسسة أقحمت عن كتب التاريخ والحضارة، فقد عملت على جمع المخطوطات واستبيانها، حيث عدل منها هذا الرصيد التراثي أهم خزانة في القطر الجزائري².

أما الفهارس والقوائم الاسمية التي أنجزها الجزائريون لمخطوطات المكتبة نذكر منها:

- فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية (تكملة لفهرس فانيان) أعده عبد الغني أحمد بيوض.
- الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية التي تشملها أدوات الضبط البييوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية (القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، والسيرة النبوية والفقهاء) من إعداد نعيمة بن عاشور، وفتيحة بونفيحة وغيرها...³.

¹ - أبي بكر بن بشير، عمر الجزائري، فهرسة معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم والمجهول، ج1 الجزائر: (د ن) 2002، ص71.

² - مختار حساني: المرجع نفسه، ص 19.

³ - عبد الكريم العوفي، التراث الجزائري بين الأمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع20، 21 دي: مركز جامعة الماجد للثقافة والتراث، 1998، ص، ص، 103، 104.

- الفهرس الوصفي المفصل للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبلوغرافي في المكتبة الوطنية الجزائرية (دراسة تحليلية في علم النحو) لابن الناصر بكير وحركات العلمي، بمعهد علم المكتبات والتوثيق في جامعة الجزائر¹.
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الجزائرية (مدرسة تلمسان) فور أكوست-الجزائر، 1907.
- فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات (زواوة- عين ماضي- عجاجة- تيماسين -ورقلة) روني باسي- الجزائر، 1885.
- فهرس مخطوطات زاوية الهامل، روني باسي، إيطاليا، 1883م.
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبات الجزائرية بالجامع الكبير، محمد بن أبي شنب، 1909، يوجد في هذا الفهرس 150 مخطوطا...².
- 2- مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة: تحتوي على عدد كبير من المخطوطات حوالي 150 مخطوطة.
- 3- المكتبة المركزية في جامعة عين الباي بقسنطينة: هي قليلة عددها 48 مخطوط بعضها مجامع، قسم من هذه المخطوطات لعلماء جزائريين، أعد لهذه المخطوطات فهرس لكنه لا يلبي حاجة الباحثين وهو أيضًا يحتاج إلى إضافات وترتيب جديد.
- 4- المكتبة المركزية في جامعة الجزائر: وهي من أوائل المكتبات الجامعية في البلدان التي عملت على جمع المخطوطات، كانت عامرة بالمخطوطات لكن الاحتلال الفرنسي لم يبق منها شيء وما بقي منها أحرق عقب الاستقلال³.
- 5- مكتبة نظارة الشؤون الدينية بباتنة: توجد هذه المكتبة بوسط مدينة باتنة عاصمة الأوراس، في بناية شارع قرين بلقاسم، أسست هذه المكتبة سنة 1977 ويحتوي المكتبة اليوم حوالي 70 مخطوط يوجد ضمنها عشرة مجاميع وبعض المخطوطات التي توجد بها، مازالت في حالة جيدة وبعضها الآخر في حالة متوسطة.
- 6- مكتبة ثانوية بن رجب بمدينة تلمسان: وهي تحتوي على 100 مخطوط.
- 7- مكتبة المركز الثقافي بقسنطينة: تحتوي على 170 مخطوطة، وللمكتبة فهرس أعده بعض طلبة علم المكتبات في جامعة قسنطينة.

¹ - عبد الكريم العوفي. المرجع نفسه، ص، 113.

² - أبي بكر، بن بشير، عمر الجزائري. مرجع نفسه، ص 72 / 73.

³ - مختار حساني، المرجع نفسه، ص 18.

- 8- مكتبة مديرية التراث بوزارة الشؤون الدينية في العاصمة: وهي مكتبة غنية بالمخطوطات، وقد بلغ عدد مخطوطاتها بـ 700 مخطوط.
- 9- مخطوطات مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار: وجد بها عدد كبير من المخطوطات.
- 10- مكاتب المساجد الكبرى: ويغلب على هذا النوع من المخطوطات العلوم الشرعية واللغوية.
- 11- مركز الوثائق التاريخية: يوجد المركز في الجزائر العاصمة، وهو يحتفظ بعدد كبير من المخطوطات والوثائق تخص مجالات معرفية متنوعة.
- 12- متحف المجاهد في الجزائر العاصمة: وهو من المتاحف الكبرى في الوطن، سعى القائمون فيه على جمع الوثائق والمخطوطات من أنحاء مختلفة.
- هذه بعض المراكز الرسمية التي تحتفظ بالمخطوطات الجزائرية، لكن يصعب التعريف بها كلها، خاصة تلك المراكز العلمية والثقافية ودور الثقافة المنتشرة في ربوع الجزائر.
- ثانيا: المراكز الخاصة (الأهلية)¹: المراكز الخاصة أو كما تسمى بالمرجعية (المكاتب أو الزوايا) هي كثيرة بالقياس مع المراكز الرسمية، وهي تنتشر في كامل التراب الوطني ولاسيما في ولايات الجنوب، وفيما يلي أهم المراكز التي وجب الوقوف عليها من خلال الدراسات التي كتبت حولها²:
- 1- مخطوطات زاوية الشيخ الحسين، ببلدية سيدي خليفة- ولاية ميله: تبعد هذه الزاوية عن مدينة قسنطينة بـ 45 كلم، تحتوي على كنوز من المخطوطات تزيد على 6 آلاف مخطوط عدا تلك التي يمتلكها الأفراد، وفرنسا أحرقت نسبة كبيرة منها، كان روادها من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس، وتعرضت مخطوطات هذه الزاوية إلى الإحراق نظرا للعوامل الطبيعية التي لحقتها، لقد اتضح فيما بعد أن في هذه المكتبة مخطوطات نفيسة ترقى إلى القرون الأولى من الهجرة كتبت بخط مؤلفيها. و أغلبها ضاع على سبيل الاستعارة لكنهم لم يرجعوها، وفي زاوية اليوم حوالي 100 مخطوط من نوادر المخطوطات مألها الإحراق، لأن الرطوبة فيها و أراقها متلاصقة. وفي إطار مشروع البحث اللغوي وإحياء التراث الذي تبنته جامعة قسنطينة تبين أن في المكتبة مخطوطات نفيسة تعد من ذخائر المخطوطات التراثية ترجع إلى القرون الأولى من الهجرة النبوية، كتبت بخط مؤلفيها³.

¹ مختار حساني، المرجع نفسه، ص 19

² بركة شوقي، "التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه مراكزه وأتاحته للباحثين"، مجلة الواحات، عدد 15، 2011، ص 59

³ - عبد الكريم العوفي، المرجع نفسه، ص 103 .

2- مخطوطات مكتبة الشيخ نعيم النعيمي في قسنطينة: صاحب هذه المخطوطات هو أحد رجال جمعية العلماء المسلمين، وأبرز علماء مدينة قسنطينة، توفي سنة 1974، وترك مكتبة غنية بالكتب والمخطوطات في شتى المعارف¹.

3- مخطوطات مكتبات ولاية أدرار(توات، قرارة، تدكلت): تقع ولاية أدرار على أقصى الجنوب الجزائري بحيث تعد أغنى المناطق في الجزائر توفرا على المخطوطات، لقد أعد الأستاذ مقدم مبروك، مدير مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار بحثا عن هذه المخطوطات وسماه(المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بتوات، وقرارة، وتدكلت) ركز فيه على ذكر أهم المراكز التي تحتفظ بالمخطوطات، نذكر منها:

- مركز توات، وفيه اثني عشرة مكتبة وأشهرها: مكتبة كوسام فيها أكثر من مائة مخطوطة، مكتبة وجلان، مكتبة زاوية سيدي حيدة.
- مركز تنجرين، أغلب مخطوطات هذا المركز في الطب والفلك، ومن خزائنه خزانة المطارفة: تحتوي على 160 مخطوطة، خزانة أقسطن، خزانة أو عيسى: مخطوطاتها تعرضت للضياع.
- مركز تدكلت، يوجد هذا المركز في الجنوب الغربي للولاية، وأهم مكتبته مكتبة أقبلي الزاوية وفيها 63 مخطوط، مكتبة ساهل القديم وفيها 218 مخطوط².

393 4- مخطوطات مكتبة الشيخ التوهامي الصحراوي الحيدوسي بباتنة: تتوفر هذه المكتبة على 20 مخطوط في علوم الحديث والفقه واللغة والفقه والسيره والأدب، تعتبر مكتبة التوهامي عامرة بنفائس المخطوطات في أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر، لكن المستعمر عمل على حرق جزء منها، وجزء دفن تحت التراب ونظرا لتأثير الطبيعة تلفت.

5- مخطوطات مكتبة الشيخ المولود بوزيد بسريانة ولاية باتنة: صاحب هذه مخطوطات مكتبة الشيخ المولود بوزيد وهو أحد رجال الإصلاح، وله مكتبة عامرة بذخائر الكتب النادرة، كما يحتفظ بعدد من المخطوطات³.

6- مكتبة الشيخ المهدي بوعبدلي في الغرب الجزائري: عمل الشيخ طوال حياته على جمع ما تيسر له من المخطوطات النفيسة، وأن يرصد أماكن يوجد بها قديما وحديثا، فكون مكتبة عامرة بالمخطوطات وهذه المكتبة من أغنى المكتبات الخاصة، لم تفهرس مخطوطاتها بعد.

بالإضافة إلى مجموعة من الزوايا و المكتبات المنتشرة في أطراف الجزائر نذكر منها:

¹ عبد الكريم العوني، مراكز المخطوطات في الجزائر أماكنها و محتوياتها ، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 39، القاهرة: المنظمة العربية، 1995. ص ص 13/14.

² أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 299.

³ عبد الكريم العوني، مرجع نفسه، ص 16.

- مخطوطات الزاوية القادسية ببشار .
- مخطوطات مكتبة الهامل ببوسعادة .
- مخطوطات مكتبة الشيخ شعيب بتلمسان .
- مخطوطات مكتبة الفكون بقسنطينة.
- مخطوطات مكتبة زاوية علي بن عمر بطولقة ولاية بسكرة .
- مخطوطات مكتبة الزاوية المختارية وخزانة محمد زقادبا بأولاد جلال البسكرة.
- خزانة زاوية سيدي سلام.
- مكتبة الشيخ عبد المجيد بن حبة بالمغير .
- مخطوطات زاوية حنقة سيدي ناجي بولاية بسكرة¹.

إلى جانب ما تقدم ذكره من مراكز المخطوطات الخاصة المتواجدة في شرق البلاد وغربها شمالها و جنوبها، توجد مكتبات وزوايا كثيرة بها ذخائر من المخطوطات، لم تزل مجهولة إلى غاية الآن، ولم يتم الوصول إليها ومعرفة محتوياتها.

من خلال هذا العرض البسيط لأهم مراكز المخطوطات الجزائرية يمكن القول بأن بلادنا تزخر بثروة هائلة من المخطوطات لكن في نفس الوقت نجد هناك مخطوطات كثيرة توجد في المراكز العلمية والمكتبات والمتاحف في كل من فرنسا، اسبانيا، بريطانيا، هولندا، وألمانيا، قد نقلت هذه المخطوطات أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي مكتبات تركيا مجموعة من المخطوطات الجزائرية أعدها الدكتور محمد بن عبد الكريم فهرسة ونشره عام 1972 ببيروت تحت عنوان "مخطوطات جزائرية في مكتبات اسطنبول".

5. ظهور فكرة الرقمنة: جاءت الفكرة انطلاقا من استغلال وتطوير تكنولوجيات الاتصال والمعلومات كالحاسوب والإنترنت، وما وفره هذا التطور من مزايا عدة في مجال البحث واسترجاع المعلومات للمقال الذي كتبه فانيفار بوش _مستشار الرئيسين الأمريكيين روزفلت وترومان_ بمجلة Atlantic Monthly بعنوان " كما يجب أن نفكر " حيث تعرض فيه إلى التطور العلمي والمزايا التي يمكن الإستفادة منها من خلال تطبيق تقنية للباحثين في مجال جمع المعلومات وتخزينها والتعرف عليها واسترجاعها، فتعرض إلى مختلف التقنيات الحديثة الممكن تطبيقها بشكل المعقول في المستقبل القريب، وعليه فهو يعتبر أول من كشف هذه الرؤية الجديدة².

6. خصائص ومميزات رقمنة المخطوط: يعد المخطوط الجزائري أهم تراث مادي مكتوب، بل لعله التراث الإنساني الوحيد الذي قاوم عوامل الزمن، وبقي محفوظا، والواقع أن هذا التراث المخطوط يتخبط في مشكلات لا حصر لها فهو يمتد على مساحة جغرافية واسعة تجاوزت حدود وطننا، هذا ما أدى إلى توزيعه بين

¹ -براركة شوقي، "التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه مراكزه وأتاحته للباحثين"، مجلة الواحات، عدد15، 2011، ص 55.
¹-خديجة، بوخالفة (2014). مشاريع المكتبات الرقمية بالجامعات الجزائرية بين الجاهزية وآليات التأسيس دراسة ميدانية بالمكتبات الجامعية بقسنطينة. أطروحة دكتوراه الطور الثالث. تخصص تقنيات المعلومات في الأنظمة الوثائقية. جامعة قسنطينة. ص.31.ص.32 .

مكتبات العالم، وفي ظل غياب وغياب التعاون والتنسيق بين المراكز المتخصصة للمخطوطات، أصبح الجزء الكبير من هذا التراث لا يخضع للخطط الرامية إلى حصره وتوثيقه والتعريف به، وتزامنا مع الدعوات الجادة لإحياء هذا التراث شهدت المجتمعات منذ القرن الواحد والعشرين تطورات جذرية في شتى نواحي الحياة، نتيجة للثورات المتسارعة في تقنيات المعلومات، وارتفاع معدلات استخدامها وتوظيف إمكاناتها، وتفاعلا مع الواقع ومستجداته نجد أن المكتبات ومرافق المعلومات كانت من أكثر المؤسسات تأثرا بالتغيرات التي أحدثتها تقنيات المعلومات والاتصالات، مما انعكس بدوره على استثمار تلك التقنيات في أداء أعمالها وتقديم خدماتها، وعليه وقع الأهتمام بتوظيف إمكانات التقنيات الحديثة واستثمارها في التغلب على الكثير من المشكلات المرتبطة بهذا التراث¹، أمام ظهور التوجه المتزايد نحو رغبة الباحثين في الإطلاع على المعلومات، وعجز المخطوط الورقي عن تحقيقها، ظهرت ضرورة ملحة إلى إعتقاد المخطوط المرقيم لما له من خصائص ومميزات مهمة نذكر منها:

- توفير الحيز المكاني الذي تستهلكه المكتبة وتستهلكه في تخزين الكتب الورقية، بالإضافة إلى التقليل من تكاليف الورق وتوفير الجهد والوقت في عمليات الطباعة والاستنساخ أثناء تداولها.
- توفير نسخة احتياطية من المخطوطات في حالة تعرض المخطوطات الأصلية لأي تلف نتيجة تعرضها للعوامل الطبيعية أو السرقة، كما ينصح بأن تكون النسخ الإضافية بعيدة عن الموقع الذي توجد فيه النسخة الأصلية.
- سهولة استرجاع واستدعاء المخطوطات والملفات المطلوبة، باستخدام طرق ووسائل برمجية متعددة ومتطورة في عملية البحث.
- استخدام برامج الكترونية تتيح للأشخاص الإطلاع على المخطوطات والمعلومات لأكثر من شخص وبنفس الوقت.
- سرعة وصول الباحثين أيأ كان موقعهم للوثائق والاستفادة منها في عملية البحث، من خلال الإطلاع عليها عبر الإنترنت بدل الحضور شخصياً إلى مقر مراكز المخطوطات ومكابدة مشاق السفر.
- إمكانية تخزين المخطوطات ذات الأحجام المختلفة في نفس الموقع، عن طريق حفظ والتقاط جميع المقاسات بالإضافة إلى دعم خاصية التحويل من ميكروفيلم إلى رقمي والعكس كذلك².

¹ - حافظي زهير:

http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=421:2009-08-02-08-08-50&catid=155:2009-05-20-09-58-36

² سلوى، علي ميلاد. المرجع السابق. ص 65.

- المساعدة في الحفاظ على المخطوطات النادرة والسريعة التلف دون عرقلة الباحثين الوصول إليها¹.
- المساهمة في رفع دخل المكتبات عن طريق بيع الأقراص المضغوطة (CD-ROM) والتي تحتوي على مخطوطات نادرة من خلال الاشتراك مع قواعد بياناتها².
- 7. صعوبات الرقمنة: يعاني المخطوط الإلكتروني من صعوبات كثيرة تنحصر في صعوبات تنظيمية وأخرى تقنية بالإضافة إلى المعوقات البشرية:
 - الارتفاع النسبي في تكلفة إنشاء هذه المراكز وتجهيزاتها، والعاملين في إعداد المخطوطات وتطويرها ومتابعتها من حين إلى آخر لتحديثها.⁽³⁾
 - حقوق الملكية الفكرية تعتبر من المشكلات الأساسية التي تواجه مشروعات المكتبات الرقمية
 - إمكانية تعرض المخطوطات للسرقة والتلاعب والتحريف.
 - التطور السريع لبرامج الرقمنة والتي لا يمكن ملاحظتها، مما يؤكد على ضرورة إيجاد سياسة واضحة لإدارته وتوفير وسائط وأجهزة لاسترجاعه.
 - تنوع أحجام المخطوطات العربية وكذلك نوعية الخط في المخطوط الواحد.
 - وجود كتابات وتعليقات على الحواشي تأخذ أشكالاً متعددة (أفقية، مائلة وعمودية)، وتتنوع على مواضيع مختلفة في المخطوط (الجانب الأيمن، الأيسر، الأعلى، الأسفل)
 - تعرض المخطوطات لتلف في بعض أجزائها نتيجة لعوامل طبيعية كالرطوبة ودرجة الحرارة الغير مناسبة للحفظ أو تآكل أجزاء أخرى بفعل الحشرات، بالإضافة إلى ظهور نقاط سوداء على الكلمات وبالتالي كيف لبرنامج آلي أن يميز بين الكلمات.
 - كتابة المخطوط الواحد بلغتين أو ثلاثة على نفس الصفحة⁴.
- 8. متطلبات مشروع رقمنة المخطوطات: إن مشروع الرقمنة كأى مشروع يحتاج إلى متطلبات، تسمح له من تنفيذ المطلوب منه، بهدف تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها ومن بين هذه المتطلبات نجد :
 - أ. الإطار القانوني: وهو مجموعة من القواعد القانونية التي تضعها مراكز المخطوطات وأهمها إصدار النصوص التنظيمية لتقنين مراكز المخطوطات عبر جميع المؤسسات أو ماتعلق بالتشريعات التي تصدرها بعض

² محمد خير، البوريني. (2001). تكنولوجيا المعلومات ومؤسسات المجتمع المدني. الأردن. المجلة العربية. عدد 2. ص 77.

² غزال، عادل. رقمنة المخطوطات العربية: الطرق والأساليب. مجلة التراث (مجلة دولية محكمة). العدد 2. مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها. جامعة زيان عشور الجلفة. 2012

³ مركز هردو لدعم التعبير الرقمي. (2016). الرقمنة وحماية التراث الرقمي. القاهرة. ص 10.

⁴ غزال، عادل. مرجع سابق.

الوزارات¹، مع ضرورة مراعاة حماية الأمن العام والقضايا التي لها علاقة بأمن الدولة، بالإضافة إلى حماية حقوق الخواص في حماية ممتلكاتهم من الإطلاع.²

ب. تحديد أهداف المشروع ووضع خطة زمنية واضحة لمراحل التنفيذ.³

ت. **الموارد المالية:** تعتبر المتطلبات المالية من بين أهم النقاط الواجب العناية بها، فمشروع الرقمنة يتطلب غلاف مالي يحدد انطلاقاً من الأهداف المرجوا الوصول إليها وتحقيقها، وعليه لا بد من توفر السيولة اللازمة لضمان تشغيل وسير المشروع، إذا يعتمد على هذا الدعم المالي في شراء التجهيزات والوسائل الضرورية في بداية المشروع ويساهم في عملية الصيانة وضمان بقائه فيما بعد⁽⁴⁾، ويمكن حصر أهم المصرفيات في: تجهيز المبنى للعمل، توفير تجهيزات الرقمنة التي تعتبر كمتطلبات أساسية مثل: الحواسيب، المساحات الضوئية، الكاميرات، توفير حماية للمعلومات من خلال إقتناء برامج الحماية ضد الفيروسات⁽⁵⁾.

ج. **التجهيزات:** يتطلب مشروع الرقمنة توفر تجهيزات مادية وبرمجية عالية الجودة، لتمكين الإطلاع الجيد، والإقتناء وفق شروط دقيقة، وتتحكم في هذه الأخيرة المخطوطات المراد رقمته، وعدد المستفيدين منها وتمثل في:

- **الحواسيب:** تعتبر من أهم الأدوات الفاعلة بمشروع الرقمنة، وضرورة توفرها على سمات معينة منها حجم الذاكرة الحية، نوعية القرص الصلب، قدرة التخزين والعرض⁶.
- حاسوب SERVEUR لوضع قاعدة البيانات المرقمنة.
- ناسخ الأقراص المليزر GRAVEUR لاسترجاع البيانات المرقمنة
- **المساحات الضوئية: SCANNER** وهي أهم ركائز مشروع الرقمنة، إذ تسمح هذه المساحات بتحويل أي شكل من أشكال البيانات المتوفرة في مصادر المعلومات الورقية إلى الشكل الرقمي، ولتتمكن من معرفة المساح الضوئي المناسب، لا بد من تحديد المساح الضوئي الموافق للمحتوى المراد رقمته، سواء من ناحية الأحجام، أو من ناحية نوعية الورق⁷، كما تتطلب المعالجة برامج خاصة مثل

² سعاد، بن شعيرة. (2014). التشريع القانوني في مجال الأرشفة الجزائرية. سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني بسكرة. ص. 52.

³ كمال، مسعودي. المرجع السابق. ص. 30.

³ غزال، عادل، المرجع السابق.

⁴ باشيو، سالم. (2009). الرقمنة في المكتبات الجامعية الجزائرية. دراسة حالة المكتبة الجامعية المركزية "بن يوسف بن خدة

Cybrarian Journal عدد 21...id...21 www.journal.cybrarians.org/index.php?

⁵ بامفلح، فاتن (2006). المكتبات الرقمية بين التخطيط والتنفيذ. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض. ص. 25.

¹ مهري، سهيلة؛ جامع، بلال. (2011). المكتبة الرقمية الأسس النظرية والتطبيقية. دار بقاء الدين. قسنطينة. ص. 88.

² عبد الملك، بن السبي، (2014). التحكم في الأرشفة من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة للمعلومات. سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني. بسكرة. ص. 187/190.

فوتوشوب **PHOTO SHOP**، لإظهارها في صورة منتج نهائي إما مطبوعاً لأغراض النشر أو على الإنترنت¹، وتنقسم إلى عدة أقسام: منها مساحات أحادية اللون، وهي أجهزة تتعامل بالونين الأبيض والأسود، كما تسمح أيضاً بقراءة الصور الفوتوغرافية، المساحات الملونة، المساحات اليدوية، المساحات الاسطوانية

- أجهزة التصوير الرقمي: وهي آلة التقاط الصور الفوتوغرافية مزودة بذاكرة مختلفة من حيث السعة، كما يمكن وصلها بالحاسب ونقل الصور المخزونة عليه وتحويلها إلى صفة رقمية، كما أن لها مجموعة من المزايا نذكر منها إمكانية المراقبة الفورية للصور الترتيب قبل الطباعة، ويعتمد على هذه الأجهزة لمعالجة الوثائق التي لا يمكن للماسح الضوئي تصويرها².

- تقنيات التعرف الضوئي على الحروف: هي برمجيات تعمل على قراءة نص معين أثناء إجراء عملية المسح، إذ يمكنها التعرف على محتويات النص وتحويله إلى ملف نصي يتضمن بيانات ومعلومات مرمزة³.

د. الموارد البشرية: وتتركز في نقطتين وهي التوظيف كمرحلة أولى ومن ثمة التأهيل، إذ يمكن تحقيق الأهداف المرجوة، في ظل غياب طاقة بشرية مؤهلة، حتى وإن توفرت أحدث التجهيزات والبرمجيات اللازمة للمشروع، ولذا لا بد من توفر هذا العنصر البشري كشرط أولي وتأهيله ذلك من خلال برمجة مجموعة من البرامج التدريبية، فلا بد أن يكن متعدد المعارف، فالعمل في هذا المجال لا يقتصر على جانب واحد وإنما إمكانية العمل بالحاسب لتسهيل عمله مع المختص في الاعلام الآلي، بالإضافة إلى معرفته بنوع الماسح الضوئي المناسب، وأن يكن مستواه اللغوي جيد، بما يسمح له بأداء وظائفه، كما تتطلب هذه المشاريع عددا كبيرا من العاملين⁴.

مراحل القيام بمشروع رقمنة المخطوطات:

- مرحلة الصيانة والترميم، تتعرض المخطوطات كما ذكرنا سابقاً للعديد من المخاطر، التي تؤثر عليها وتعرضها لتلف لذا لا بد قبل القيام برقمنة المخطوط أن تتم عملية صيانتها وترميمها، أما بالطريقة اليدوية وهي الأحسن والأسلم للحفاظ على المخطوط.

¹ هالة، كيلة. الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربية في مدينة القدس في كتاب الوقائع: المكتبات العربية في مطلع الألفية الثالثة. مج. 1. الشارقة: إ.ع.م.م، 2003. ص. 402

⁴ عامر، قندلجي، إبراهيم، عليان، رجي، مصطفى السمرائي فاضل، إيمان. (2002). تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها. الوراق، عمان. ص. 221.

⁵ نبيل، عكنوش. (2010). المكتبة الرقمية بالجامعة الجزائرية: تصميمها وإنشائها: مكتبة جامعة الأمير عبد القادر نموذجاً. أطروحة دكتوراه. جامعة منتوري. قسنطينة. كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. قسم علم المكتبات.

⁴BNF.La Numérisation à la BNF : construction et technique.(En ligne).(20/08/2006) Disponible sur : <http://www.bnf.fr>.

- **مرحلة الرقمنة**، بمعنى تحويل بتحويل المحتوى الفكري إلى النظام الرقمي، وتأخذ الرقمنة شكلين إما بشكل صورة " Mode Image " أو نص " Mode Texte " ونظرا لخصوصية الخط العربي وتعدد أنواعه الخط الكوفي، الثلث، الإجازة، النسخ، المغربي، ... إلخ، فإنه من الصعب اعتماد الرقمنة بشكل نص، وإنما لابد من الاعتماد على الرقمنة بشكل صورة، كما يشرف موظف آخر على مراقبة عملية الرقمنة من خلال مقارنتها بالأصل للتأكد من وضوحها وجودتها وعدم ضياع أي معلومة قد يحتويها.
- **المعالجة**، تأتي هذه المرحلة بعد تحويل المخطوط إلى شكله الإلكتروني وتمثل عملية المعالجة في تحسين نوعية الصور وضبط حجمها حسب المعلومات التي تحتويها باستخدام برمجيات خاصة بمعالجة الصور، بالإضافة إلى تنظيم وترتيب الصور في ملفات وتحويلها إلى صيغة الكتب الإلكترونية PDF.
- **التكشيف**، تتطلب رقمنة المخطوطات وضع كشافات بهدف ترتيب المخطوطات وتسهيل عملية البحث عنها لاحقاً¹.
- **الحفظ والإتاحة**، آخر مراحل الرقمنة هي حفظ هذه المخطوطات بطريقة تجعل المستخدمين قادرين على الإستفادة من المخطوط واستخدامه في البحث العلمي.

خاتمة

- في ختام المداخلة التي تناولت رقمنة المخطوط وأهميتها في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري نستنتج أن:
- الاهتمام بالمخطوط هو محاولة تأمينه لحماية ما يمكن حمايته، في ظل ذهاب بعض القيم المرجعية التي دأبت المجتمعات على اتخاذها كرصيد مجتمعي يحمل هموم سكانها ويمثل مجمل تصوراتهم ويضمن استمرارهم ويحافظ على هويتهم الثقافية في التغير الاجتماعي.
 - تعرض المخطوطات الجزائرية إلى شتى أنواع الإفناء والاندثار، ومعاناتها من اللامبالاة والإهمال جعلها تعيش النسيان قابضة مكانها تنتظر من ينقذها ويعيد لها الاعتبار المطلوب.
 - انطلاقاً من التحولات العالمية المعاصرة في الاقتصاد والمجتمعات والسياسة، نجد أن حفظ المخطوط في ثقافة الشعوب أصبح منحصر أساساً فيما هو تجاري أو ارث خاص.
 - المخطوطات تعتبر من بين أهم المصادر للكتابة التاريخية، والمتواجد بالخزائن الخاصة أضخم من أن تحصى، لذا هناك ضرورة ملحة لإعادة النظر لاستغلالها في كتابة تاريخ صحيح خاصة وأنّ العالم المعاصر عرف ويعرف تحولات كبيرة وعميقة في مختلف مجالات الحياة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية، تحولات من شأنها أن تدفع الأمم والشعوب باتجاه الانفتاح على التقدم الذي يعرفه العصر والاستفادة منه مع تمسكها بماضيها وتاريخها وتراثها.

¹ غزال، عادل. مرجع سابق.

وعلى الرغم من التجارب الجزائرية لحماية المخطوط، كمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية والمكتبة الوطنية بالحامة، بالإضافة إلى بعض المكاتب الخاصة، وجهود بعض المخابر الجامعية، إلا أن هذه المبادرات مازالت تفتقر إلى الكثير وذلك بسبب:

- ✓ غياب سياسة واضحة المعالم في هذا المجال،
- ✓ غياب التنسيق بين مشاريع الرقمنة بالجزائر،
- ✓ عدم وضعها على الانترنت قلة من فرص الاستفادة منها،
- ✓ عدم وجود أفراد خاضعين ومؤهلين في مجال رقمنة المخطوطات وتنظيمها وفهرستها.

قائمة المراجع

- إبراهيم، انس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، ج1، لبنان، دار احياء التراث العربي، (د.س).
- ابن منظور، لسان العرب، مج4007، بيروت، دار صار، 1992.
- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الهجري (16، 20م)، ج1، ط1، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب (د س).
- أبي بكر بن بشير، عمر الجزائري، فهرسة معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم والمجهول، ج1 الجزائر: (د ن) 2002.
- أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط1، القاهرة: الدار المصرية للنشر، 1997.
- باشيو، سالم. (2009). الرقمنة في المكتبات الجامعية الجزائرية. دراسة حالة المكتبة الجامعية المركزية "بن يوسف بن خدة: عدد 21...id...index.php?...journal.cybrarians.org
- بامفلح، فاتن (2006). المكتبات الرقمية بين التخطيط والتنفيذ. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.
- بركة شوقي، التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظة مراكزه وأتاحته للباحثين، مجلة الواحات، عدد15، 2011.
- جان، عبد الله توما. تحقيق المخطوطات العربية، ط1، لبنان: المؤسسة الحديثة، 2011.
- حساني مختار، القرآن الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج، ج4، الجزائر، منشورات المنار، 2009.
- خديجة، بوخلفة. (2014). مشاريع المكتبات الرقمية بالجامعات الجزائرية بين الجاهزية وآليات التأسيس دراسة ميدانية بالمكتبات الجامعية بقسنطينة. أطروحة دكتوراه الطور الثالث. تخصص تقنيات المعلومات في الأنظمة الوثائقية. جامعة قسنطينة.
- سعاد، بن شعيرة. (2014). التشريع القانوني في مجال الأرشيف الجزائري. سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباني بسكرة.
- عامر، قنديلجي، وآخرون. (2002). تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها. الوراق، عمان.
- عامر، قنديلجي وآخرون. مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عمان، يازوردي العلمية والنشر و التوزيع، 2009.
- عبد الستار، الحلوجي، المخطوط العربي، الرياس: جامعة الإمام محمد بن سعود، الإسلامية.

- عبد الكريم العوفي، التراث الجزائري بين أمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع20، 21 دي: مركز جامعة الماحد للثقافة والتراث، 1998.
- عبد الملك، بن السبتي، (2014). التحكم في الأرشفة من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة للمعلومات. سلسلة كتب تصدر عن المتحف الجهوي للمجاهد العقيد محمد شعباي. بسكرة.
- عبد الهادي فضلي، تحقيق التراث، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2008.
- عبد الكريم العوفي، مراكز المخطوطات في الجزائر أماكنها ومحتوياتها، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 39، القاهرة: المنظمة العربية، 1995.
- عثمان نور قاسم، المرجع في علم المكتبات والمعلومات، ط1، مركز قاسم لخدمات المكتبات، الخرطوم، 2007.
- غازي عناية. إعداد البحث العلمي ليسانس ماجستير دكتوراه. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، 2008.
- غزال، عادل. رقمنة المخطوطات العربية: الطرق والأساليب. مجلة التراث (مجلة دولية محكمة). العدد2. مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها. جامعة زيان عاشور الخلفة. 2012.
- عبد الحميد أعراب، دراسات في المكتبات والمعلومات، ج1، عدد9، حوليات جامعة الجزائر، 1995.
- محمد خير، البوريني. (2001). تكنولوجيا المعلومات ومؤسسات المجتمع المدني. الأردن. المجلة العربية. عدد2.
- مركز هردو لدعم التعبير الرقمي. (2016). الرقمنة وحماية التراث الرقمي. القاهرة.
- مهري، سهيلة؛ جامع، بلال. (2011). المكتبة الرقمية الأسس النظرية والتطبيقية. دار بهاء الدين. قسنطينة .
- نبيل، عكنوش (2010). المكتبة الرقمية بالجامعة الجزائرية: تصميمها وإنشائها: مكتبة جامعة الأمير عبد القادر نموذجاً. أطروحة دكتوراه. جامعة منتوري. قسنطينة. كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. قسم علم المكتبات.
- يوسف زيدان. المخطوطات الألفية، ط 1. مصر: شركة النهضة للطباعة والنشر 2008.
- هالة، كيلة. الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربية في مدينة القدس في كتاب الوقائع: المكتبات العربية في مطلع الألفية الثالثة. مج.1. الشارقة: إ.ع.م.م، 2003.
- BNF. La Numérisation à la BNF: **construction et technique**.(En ligne).(20/08/2006) Disponible sur : [http:// www.bnf.fr](http://www.bnf.fr).
- http://www.journal.cybrarians.info/index.php?option=com_content&view=article&id=421:2009-08-02-08-08-50&catid=155:2009-05-20-09-58-36.

الألعاب التقليدية وتراث تاريخ بني مناصر

دراسة حالة عن جمعية "دادا هياص لإحياء تراث وتقاليد المنطقة"

أ. لكحل صليحة

جامعة

الملخص:

تعيش المجتمعات في عالم يسوده السعي لكسب الرزق والعيش الرغد وهذا ما يجعل من كل واحد منهم يخطط لفرصة الراحة بعد التعب، هنا تختلف أفكار الأفراد في اختيار نوع العطلة التي يبحثون عنها، وأكثرهم يهوّون السفر لتغيير الجو وتجديد الطاقة، والتفكير في مثل هذه الفرص يكون بعد تفكير واتفاق المرافقين لضمان المتعة والراحة المنشودة، وذلك بإيجاد البيئة المناسبة لينعموا بالعطلة المثالية.

أغلب الناس يفضلون العطل الموسمية خاصة الصيفية والمرتبطة بالرحلات البحرية والاصطياف والمكوث على شواطئ البحار، إلا أن هذا النوع من الترفيه عن النفس الموسمي ليس الوحيد، بل هنا أنواع أخرى مرتبطة بالمواسم الشتوية والربيعية والتي ترتبط بالأماكن الأثرية والسياحة الجبلية ومختلف نشاطاتها الترفيهية والرياضية والثقافية، وآخرون يهونون كل ما هو من التراث ثقافي التقليدي، فتجدهم يترصدون كل مناسبة من أنشطة ومعارض ومسابقات.

وقد تم اختيار لهذه المداخلة جمعية ثقافية بمنطقة صغيرة "بلدية مناصر بولاية تيارزة - الجزائر" محاطة بسلسلة جبلية من كل الجهات ولها منفذ واحد للتنقل للمدن المجاورة، فهي شبه معزولة، لذا سعت مجموعة من الشباب لتفعيل النشاط الثقافي فيها وجلب السياح من المناطق المجاورة لإثراء المنطقة والتعريف بها، فكُونوا جمعية "دادا هياص" التي تهتم بإحياء التراث الثقافي للمنطقة، الذي حاول الاستعمار طمسه والقضاء عليه، ومن أهم ما تم اختياره في هذا العمل العلمي هي لعب من الموروث الثقافي عبارة عن لعبتين تقليديتين "شيبوه، وبوغنجة" تلعبان بالعصي لها موسم خاص ووقت معين، وتعتبر رمز من رموز الاحتفال والتبشير ببطول الأمطار بعد جفاف، وتقام هذه اللعبة مباشرة بعد صلاة الاستسقاء التي تقام في مكان مفتوح باعتبار المنطقة جبلية لا مساجد بها.

هذه الورقة عبارة عن تحليلي سوسيولوجي لمكانة اللعبة في المنطقة وما تجلبه من موارد من خلال الزوار والمشاركين في اللعبة التي تدوم من يومان إلى أسبوع وتقام احتفاليات ومسابقات في اللعبة الأساسية ولعب ثانوية من الألعاب البسيطة التي يشارك فيها حتى الأطفال والنساء بمسابقة الحياكة ونسج الزرابي التقليدية، ومسابقات في الشعر الشعبي [خاصة وأن الجمعية سمية باسم شاعر شعبي] أين تكون الأجواء شبيهة بمهرجان تقليدي.

Résumé

Les communautés vivent dans un monde où domine la quête de gagner sa vie et de se reposer après la fatigue: les idées des individus varient en fonction du type de vacances qu'ils recherchent: la plupart se déplace pour changer d'atmosphère et se ressourcer. Le choix se fait après flexion et choix des accompagnateurs pour assurer le confort souhaité, en créant le bon environnement et pour profiter des vacances idéales.

La plupart des gens préfèrent les vacances saisonnières, en particulier l'été, associées aux croisières maritimes et estivales, mais ce type de divertissement saisonnier n'est pas le seul. Fascinés par le patrimoine culturel traditionnel, ils trouvent toutes les opportunités pour des activités, des expositions et des concours.

Pour cette intervention, une association culturelle dans une petite zone "Municipalité de Menacer dans la wilaya de Tipaza - Algérie", entourée par une chaîne de montagnes de tous les côtés et disposant d'un port pour se déplacer dans les villes voisines. Elle est presque isolée. Un groupe de jeunes a donc cherché à activer l'activité culturelle et à attirer les touristes des régions voisines pour enrichir la région. Pour la faire connaître, ils ont fondé une association "Dada Hayas", qui vise à promouvoir le patrimoine culturel de la région que le colonialisme a tenté d'effacer et d'éliminer. Une des choses les plus importantes choisies pour ce travail scientifique est l'héritage culturel de deux jeux traditionnels "Shiaboh et Boughandja" qui se jouent avec des bâtons en une saison spéciale, et sont un symbole de la célébration et de la prédication des pluies après la sécheresse. Dans un espace ouvert comme une région montagneuse sans mosquées.

Cet article est une analyse sociologique du statut du jeu dans la région et des ressources qu'il apporte aux visiteurs et aux participants au jeu qui dure de deux jours à une semaine. Des célébrations et compétitions ont lieu et impliquent des enfants dans des jeux simples et des femmes dans les compétitions de tissage de tapis traditionnels, des compétitions dans la poésie populaire [d'autant que l'association porte le nom d'un poète populaire], où l'atmosphère ressemble à une fête traditionnelle.

مقدمة:

تعتبر الجزائر من أكبر بلدان إفريقيا من حيث المساحة وحتى الترتيب العالمي لا يقل أهمية عن الإفريقي حيث أنها تحتل الرتبة العاشرة عالميا من ناحية المساحة الكلية، وموقعها الاستراتيجي الذي يعطيها أهمية كبرى، حيث أنها تقع في شمال إفريقيا والتي تمتد طوليا إلى الصحراء، هذا زاد من تنوع تضاريسها ومناخها، أين أعطت الميزة الجزائر فرص متعددة للمجال السياحي الذي يضم كل الأنواع منها الجبلية والصحراوية والساحلية، وكل واحدة منها أخذت نصيبها من حيث المساحة، أين يبلغ طول ساحلها 1,200 كم، موزعة بجمال طبيعة ممزوجة بين زرقة مياه البحار وبريق رمال الشواطئ وخضرة الغابات المحيطة بأغلب شواطئها ذات المناظر الخلابة.

أما عن ما يمتد ويربط بين الشمال والجنوب فهي تضاريس تمتزج بين السهول والأحواض والهضاب والجبال والمرتفعات، كل منها تنافس نظيرتها في الجمال وحلق المتعة لزائريها، بما تمنحه من خيارات بين التخييم

والصيد والتزلج التي تحتضنه مختلف أعالي وقمم الكثير من المناطق والحضائر الوطنية*، والتي تحوي الكثير من الحيوانات والطيور المحمية في مجال عيش طبيعي لآلاف الهكتارات أو مكيف ومخصص للتجارب والزيارات الاستطلاعية والميدانية.

وعن جمال من نوع آخر تملكه الجزائر هو امتداد لا ينتهي وبيئة ساحرة يمزج فيها الإنسان أصالة تقاليده وتراثه مع طيبة حميمية وصدق وفادته وترحيبه بكل من يفد إلى صحرائنا التي تحتوى كل زائريها دون استثناء وتغمرهم بحرارة رمالها وشموخ جبالها وعراقه أثارها الضاربة في عمق التاريخ، وهي الأخرى لها مساحة شاسعة أين تقدر مساحتها ما يعادل 84% من المساحة الإجمالية للجزائر، ذات زخم ثقافي تاريخي يعود معظمها للعصر الحجري، مع ما رسمته البراكين و العوامل الطبيعية من لوحات تبهر وتخطف الأبصار في مختلف المناطق الصحراوية للجبال المنحوتة بطرق فنية تعجز عن نحتها أيادي محترفة.

الإشكالية: للسياحة أوجه مختلفة ومعايير متنوعة ولا تقوم إلا بمقومات محددة وقواعد وتسييرها وتقنيها وتضعها في التصنيف الصحيح، وإن اختيرت تبيازة كولاية لتحديد هذه المقومات والمعايير، فإنها ستكون من بين الولايات التي تملك الكثير من هذه الميزات، التي تأهلها لاحتلال المراتب الأولى في التنمية التي تحققها لموارد السياحية، نظرا لما تملكه من التراث التاريخي الذي تحفظه طبيعتها، والثقافي المتوارث عبر الأجيال، وغنى طبيعتها بثلاثية "الماء والرمل والغابة" وتمازجهم الذي يمنح هذه المنطقة التميز السياحي، بالإضافة إلى مرافق متميزة بقلب الولاية مزجت هي الأخرى بين ما هو طبيعي وما صنعه وبنته أيدي البشر بطريقة جعلتها تحفة فنية*، تجلب السائح وتساهم في تنمية الولاية رغم القصور الواضح في بعض الجوانب وعدم الاستغلال الأمثل لكل مقومات المنطقة، التي يمكن أن تكون مصدر ازدهارها ومضاعفة مردودها السنوي.

هذا ما يقال عن تبيازة المدينة وما جاورها من المدن الساحلية التابعة لها إداريا، لكن السؤال المطروح ماذا عن المدن الداخلية والفقيرة من المقومات السياحية، هل هناك بدائل ومجهودات مبذولة لخلق موارد سياحية تساهم في التنمية المحلية؟، وماذا عن بلدية مناصر المعزولة جغرافيا وثقافيا، والمنعقدة المرافق والمقومات السياحية؟.

لتليها أسئلة غير متناهية عن مثل هذه المنطقة، أبسطها ما دور التوعية بالسياحة البديلة والسياحة الثقافية؟ وماذا الذي تعنيه التربية والتلقين الثقافي؟ وما آليات المستعملة لذلك؟ وما هو واقع البرنامج التوعوية التلقينية للنهوض بالمناطق المعزولة وإثرائها؟ وما الأساليب المستخدمة لفتح باب فك العزلة وتنمية مثل هذه المناطق؟ ما الطرق التوعوية والردعية للحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي؟ وما هي المصالح المسؤولة للتلقين

* - منها حظيرة جبال الشريعة بالبليدة، والمداد بالثنية، وتكجدة بالبوية، جرجرة بتيزي وزو وغيرها من القمم التي لم تصنف لحظائر إلا أنها بطبيعتها خلاصة دون حماية.

* - صور مرافق سياحية بولاية تبيازة منها القرن الذهبي والقرية السياحية، تم أخذ النماذج من موقع: السياحة في مدينة تبيازة/ <https://www.google.com/search>، وموقع: <https://murtahil.com/25270>، وأكلات تقليدية لولاية تبيازة <https://www.google.com/search>?

التقائي والتاريخي؟ ما هي المصالح المسؤولة عن التوعية والتربية على المبادئ الثقافية والعرفية؟، هي كلها أسئلة تتبادر لأذهان الغيورين على ثقافتهم المندثرة والمهملة والمغيبية في مختلف المجالس والمحافل حتى المحلية منها. تطرح التساؤلات عدة منها ما كان الجواب عنها بالإيجاب ومنها ما كان بالسلب، ومنها لم تجد لا الأذان الصاغية ولا اللسان المجيب، فما كان عليها أن تبقى في أوراق المتسائلين مجرد حبر على ورق، أما بعض الأسئلة التي كانت محل البحث فكانت الإجابة كلها لاسم أراد له مجموعة من الشباب أن يكون المثل في التنمية المحلية والذاتية لبلدية انعدمت بها شروط الحياة الكريمة لفترة من الزمن، إلى أن تكافلت أيادي أبناءها كمحاولة المضي بها قدما للأمام.

سبب اختيار الموضوع: رغم وجود المواضيع المختلفة والمتنوعة، وتفاقم المشاكل في المجال السياحي وإهمال الكثير من الموارد السياحية حتى في ولايات لها من المرافق السياحية والأهم من المنطقة المختارة للدراسة، إلا أن أزمة العزلة الجغرافية والثقافية والسياحية للكثير من المناطق منها منطقة بني مناصر، وكذا الجهود المبذولة لفك العزلة عنها جلبت انتباه الكثيرين وحفزتهم للدراسة، ومن أهم الأسباب هو برنامج جمعية "دادا هياص" الذي واكبته وشاركتهم في السنوات الأولى من تأسيسها وهي محاولة لتفعيل وتنشيط المنطقة وجلب كل ما يساهم في تنميتها.

أهمية وأهداف الموضوع: حصر مميزات منطقة بني مناصر التاريخية والثقافية التقليدية خاصة، وتوعية الأجيال بمدى أهمية هذا المورد وكذا حث وتكثيف البرامج التوعوية والتعليمية والتلقينية لمختلف شرائح المجتمع المنصري، والحث على إشراك الإعلام كمساهم أساسي لإيصال المعلومة والتعريف بالمنطقة وكنوزها التاريخية، بالإضافة لتحديد المستوى العام للوعي بالسياحة البديلة والثقافية خاصة، وطرق تداولها بين الأجيال.

1- ماهية السياحة الثقافية والبديلة: السياحة بصفة عامة مرتبطة بالسفر والترفيه واكتشاف كل جديد ومغاير عن الثقافة والمعاملات اليومية، وتعرف لدى مختلف شرائح المجتمع أنها متاحة فقط لمن له القدرة للقيام بها أو من يملك الفائض المال الذي يؤهله للقيام بمثل هذه الخطوة الكمالية.

أما عن تعريف السياحة بصفة عامة قبل الخاصة فإنها تُعرّف لُغَةً بأنّها الانتقال والمشى من موقع إلى آخر، سواء في دولة معينة أو إقليم مُحدّد أو حول العالم، من أجل الوصول إلى حاجات معينة، وبعيدة عن مكان السكن الدائم أو بيئة الأعمال أو الحروب، أمّا اصطلاحاً فلم يظهر أي تعريف متفق عليه للسياحة، وفيما يأتي بعض من التعريفات الاصطلاحية الواردة عن هيئات ومُنظمات السياحة الدولية، فعُرّفت منظمة السياحة العالمية السياح بأنهم جميع الأشخاص الذين يوجدون في مكانٍ ما لمدة 24 ساعة، بهدف الحصول على وسائل الترفيه التي تشمل الإجازات والرياضة والاستحمام، كما تُعرّف الدراسة الخاصة بالسياحة القومية الأمريكية السياحة بأنها كافة النشاطات أو التصرفات التي يُطبقها الأشخاص أثناء ذهابهم لرحلات خارج منازلهم ومجتمعهم، ولأي هدف معين إلاّ الرحلات الخاصة بالذهاب اليومي إلى العمل، وهي مجموعة من

الأعمال والوظائف التي تخدم السياح وتُساهم في توفير أماكن إقامة، ووسائل النقل، والمواقع الترفيهية، كما تُعتبر وسيلة من وسائل التسويق التي تُعرّف بخصائص مجموعة من الجهات المخصصة للسفر.

1-1. التعريف بالسياحة البديلة: هي تلك النشاطات التي تشمل كل من التخيم والجولات الحرة والأيام المفتوحة أبرز أشكالها، أين يعتبرها الكثيرون ملاذ محبي البساطة والأشياء على طبيعتها دون أي تغيير، وهي التي أغرت الكثيرين منهم، لتمييزها بصفات ومميزات وخصوصيات ترفعها لمقام السياحة التقليدية رغم فخامتها واختلافها عنها، وقد انتشرت في العديد من المناطق العربية، وخاصة في بلاد المغرب العربي ومصر، اقامات ريفية ودور ضيافة، بل وفتحت عائلات في مناطق ريفية وبدوية نائية أبوابها وخيامها أمام من يريد اكتشاف تلك المجتمعات وعاداتها، مع مستوى خدمات قد لا يختلف كثيرا عما يعرفه السائح في موطنه الأصلي وما هو معروف حتى لدى سكان الموطن.

أما عن مصطلح السياحة البديلة فقد عرفه العالم منذ بداية السبعينات من القرن الماضي، وكما وصفتها المنظمة العالمية للسياحة في موسوعتها أنها ذلك القطاع الحيوي الذي يضم شتى أصناف الترفيه والتسلية والخدمات السياحية المتماشية مع قيم المحافظة على البيئة والهوية الثقافية والدينية، والجالبة لعائدات مهمة، على مختلف القطاعات، بل حتى على السكان المحليين المستقبليين للسياح¹.

والحقيقة أن السياحة البديلة ليست تلك السياحة التقليدية التي تقدمها الدولة أو الشركات المتخصصة، وتمارس داخل المنتجعات والفنادق والشواطئ والآثار، بل تلك التي يمارسها الناس والسكان الطبيعيون في أماكن الجذب السياحي داخل الدول المضيفة. كالسياحة الريفية والبيئية والصحية والتخيم والجولات الحرة والأيام المفتوحة برفقة أدلة محليين. كما أن رواد السياحة البديلة يعدون من مصادر الإنفاق والدخل المتميز لمقدمي السياحة، حيث ينفقون مبالغ مهمة أثناء سفرياتهم وتنقلاتهم²، ثم بعد ذلك ظهرت العديد من التعريفات الأخرى التي تحمل أنواعا عدة من تلك الصناعة الحيوية، ومن أشهرها السياحة المستدامة التي تشمل أنواعا مختلفة من السياحات البديلة، كالسياحة التضامنية والبيئية والاجتماعية والتنمية وغيرها.

سعت الكثير من الجهات لترسيخ معنى ومفهوم السياحة البديلة من الجانب الثقافي خاصة المحلي منه، والمركزة أساسا على إبراز الخصائص الثقافية والحضارية والتراثية لكل منطقة مهما كانت صغيرة أو دولة بحد ذاتها، ويعتمد أساسا على السياسة المحلية والتي تضم كل من الرصيد البيئي والمخزون الثقافي التقليدي الحضاري³، ومثل هذه السياسة تكون بيد الإدارة المحلية التي تساهم في تنميتها أو تهديمها بمنع محبيها من

¹ التخيم والجولات الحرة والأيام المفتوحة أبرز أشكال السياحة البديلة.. ملاذ الهاربين إلى البساطة، <https://mawdoo3.com>

² - المرجع السابق.

³ - كولن مايكل هول، السياحة والسياسة: مدخل إلى التنمية السياحية الرشيدة، ترجمة محمد فريد حجاب وسعاد عبد السلام كفاقي، المشروع القومي للترجمة بالجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 195.

ممارستها¹، فقد وردت دراسة للباحث "جونز" عن الفوائد والعائدات الاقتصادية التي توفرها مثل هذه المشاريع السياحية وأعطى على سبيل المثال في دراسته "الشاطئ الذهبي باستراليا" والتي تبنت الكثير الأجهزة الحكومية قيم النخب المحلية ومجتمعية التي سادت المنطقة².

1-2. التعريف بالسياحة الثقافية: من بين أهم روافد السياحة البديلة هي السياحة الجغرافية والتاريخية والثقافية، والمعروف عن السياحة الثقافية أنها تعتمد على مكونات التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، ولقد تطورت العلاقة بين الثقافة والسياحة وبرز ذلك أكثر من خلال تفعيل دور المواقع الأثرية مثلاً وإشراك سكان المناطق المجاورة في هذه السياحة، حيث تظل السياحة الثقافية هي المقوم السياحي غير المتكرر أو المتشابه أو القابل للمنافسة، غالباً ما يكون الدافع الأساسي لهذه السياحة هو الثقافة وترسيخها وغرسها للأجيال كطريقة للتنشئة الغير مباشرة على الموروث العقائدي والتقليدي والثقافي، أين يكون عن طريق التلقين الروائي والتصويري ومن خلال زيارة للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية والمتاحف والتعرف على الصناعات التقليدية أو أي شكل من أشكال التعبير الفني وكذا الحضور في بعض الفعاليات الثقافية مثل المعارض أو المهرجانات. وتعرف السياحة الثقافية عالمياً على أنها نوع من السياحة المهمة والتي ترتبط أساساً وبشكل كبير بثقافة وتاريخ المجتمعات التي تتجسد في صور مختلفة كتاريخ وأصول سكان المنطقة والتراث الشعبي والفن المعماري والفن التشكيلي، وميزته الثقافة السياحية أنها ترتبط بشكل مباشر ومهم بكثير من العلوم والمعارف ومن أهمها العلوم المرتبطة بالسوسولوجيا والعلوم الإثنية (التركيبة السكانية والعرقية للمجتمعات)، وهذا يعني أنها ليست مجرد سياحة ترفيهية بالمفهوم التقليدي والبدائي والغير متطور.

لذا تسعى الدول العربية والعديد من دول العالم إلى إدراج السياحة التقليدية والبديلة ضمن أولويات البرامج السياحية الدولية بالإضافة إلى محاولة إبراز المخزون التراثي والثقافي للمدن الصغيرة التي تغري الفضليين ومحبي مثل هذه المدن البسيطة، من اجل إدراجها ضمن البرامج السياحية الدولية.

1-3. السياحة البيئية البديلة³: ظهر مصطلح السياحة البيئية منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وهو مصطلح حديث نسبياً، جاء ليعبر عن نوع جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة، الذي يمارسه الإنسان، محافظاً على الميراث الفطري الطبيعي والحضاري للبيئة التي يعيش فيها، ويمارس فيها نشاطه وحياته، وهو في هذه الممارسة والحياة ليس حراً مطلقاً، يفعل ما يشاء دون حساب، بل هو حر مسئول عن ما يفعله، وهو يعيش في إطار المعادلة.

¹ - Wanhill S.R.C, UK- politics and tourism, tourism management, 8, (1), 1987, p 39.

² - Jons M.A, A sunny place for chady peopel, allen and unwin sydney, 1986.

³ - الروايفية زياد عيد، السياحة البيئية: المفاهيم والأسس والمقومات، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2013، ص19، ص53.

فالسياحة البيئية تتصف بالرغبة في الاقتراب من الطبيعة والولع بالاختلاط بالسكان المحليين ومعايشة عاداتهم وتقاليدهم عن كثب¹، ولأن المجتمعات العربية تحفل باختلافات وتنوعات ملحوظة في البيئات والمجتمعات الداخلية، فهي تعد من أكثر المناطق المؤهلة لمثل هذا النوع من السياحة لتنوعها الجغرافي والمناخي خاصة الجزائر التي تتمتع بالأربع فصول باليوم الواحد على ترابها الواسع أو الموسم الواحد، وهذا النوع من السياحة يعطي فرصا للمشاركة الاقتصادية والاجتماعية للسكان المحليين².

4-1. أركان السياحة: للسياحة مجموعة أركان تتمثل في وسائل النقل التي تحقق النجاح والتطور، ويشمل النقل فئات عدّة منها: وسائل النقل البري، ووسائل النقل البحري، ووسائل النقل الجوي، بعدها ركن الإيواء ويشمل جميع الأماكن التي يستخدمها السائح للإقامة بشكل مؤقت عند وصوله إلى المكان أو الدولة التي سافر لها، ومن أشكال الإيواء المخيمات، والفنادق، والشقق السياحية، لا يستغنى عن ركن البرامج السياحية التي تعتمد على تطبيق برنامج مُحدّد وخاص بالسائح، ومنها نشاطات السياحة كزيارة المناطق الرياضية، والدينية، والطبيعية، والعلاجية، والترفيهية، والأثرية، والتاريخية، كما تشمل زيارة الحدائق والأسواق والمحلات التجارية³.

أما السياحة الثقافية فهي مشاهدة السائح للمظاهر والمعالم الخاصة بالمجتمعات السابقة في الماضي، كما تُعرف السياحة الثقافية بأنها الجاذبية المرتبطة بالمواقع السياحية، والتي تُعزز جاذبية السائح لها، وتشمل فن العمارة، واللغة، والموسيقى، والتقاليد، والسياحة العلاجية هي من أنواع السياحة المستحدثة، وتنتشر داخل الدول التي تمتلك موارد طبيعية علاجية، مثل آبار وعيون الماء المعدنية التي تُساعد على علاج العديد من الأمراض وتتمثل أغلبها في الحمامات والمراكز العلاجية بالمياه المعدنية.

والسياحة الترفيهية هي الانتقال من مكان السكن خلال فترة زمنية، بهدف الترفيه والاستمتاع وتطبيق العديد من الهوايات، مثل صيد الأسماك، وهناك ما يسمى بالسياحة حسب الموقع الجغرافي واغلب الأحيان تكون داخلية، بالإضافة إلى السياحة الإقليمية التي تعتبر عن تنقل الأفراد من بلدهم إلى البلدان المجاورة لها، وأخرى تسمى بالسياحة الدولية وتُعرف أيضاً باسم السياحة الخارجية، وهي سفر الأفراد إلى دولة أجنبية معينة، وتنقسم السياحة أيضاً حسب الفترة الزمنية وتسمى بالموسمية⁴.

¹ - دبور نبيل، مشاكل وأفاق التنمية المستدامة السياحية في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، 2004، ص 16.

² - خليف مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية: تنمية الصحراء في الوطن العربي، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث والسياسات، بيروت، 2012، ص 86.

³ - خليف مصطفى غرابية، المرجع السابق، ص 99.

⁴ - خليف مصطفى غرابية، المرجع السابق، ص 101-115.

2- بلدية مناصر أنموذجا للسياحة البديلة: تم اختيار هذه البلدية كنموذج للدراسة الميدانية الاستطلاعية لاعتبارات شخصية، ومدى وعي أهل المنطقة من استغلال الطبيعة الجبلية الوعرة من الناحية الإيجابية بدل الاستسلام للسلبية منها، فجعلوا منها بلدية لأجود أنواع الفواكه والخضروات.

1-2. التعريف بالبلدية: مناصر البلدية البسيطة والفقيرة والتي كانت تفتقر لكل المرافق الحياتية، والمعزولة جغرافيا عن البلديات الأخرى بسلسلة جبلية تحيط بها من كل الجوانب، وكأنها تقبع في حفرة لها منفذ واحد، وهو طرق ير بطها في مفترق طرق بين كل من حجوط وسيدي عمار، ليبقى طريقان اثنان تم غلقهما في العشرية السوداء لاعتبارات أمنية، وهما طريقان محفوفان بالمخاطر والحوادث لشقهما في وسط غابات كثيفة، تعج بالحيوانات كالذئب والخنزير والثعالب، بالإضافة لانعدام الأمن، أحدهما يربط البلدية ولاية عين الدفلى وهو الأصعب، والثاني يربطها بمدينة شرشال وسيدي سميان الساحليتين.

مناصر أو "القورين" التي تعتبر من أعرق المناطق التاريخية أين أُرّخ لها الكثيرون من أبناء الوطن وحتى أبناء الاحتلال¹، وقد أرخت لنفسها بفضل أبنائها الأكفاء في فنون الحرب والتخطيط، حيث كانوا من أهم جنود ومجاهدي الأمير عبد القادر الذي زار المنطقة ليناقد إستراتيجية المقاومة في الناحية الشمالية، أين ناب عليه في قيادة المقاومة في المنطقة القائد مالك البركاني، وقد صعبت مهمة الاستعمار وزاد إصراره على احتلال المنطقة لأهميتها الجغرافية أين اعتبرت مفتاح دخول وتوغل الاحتلال لعمق الجزائر.

البلدية تتميز بالطابع الفلاحي بالدرجة الأولى، أين يعتمد سكانها على التمويل الذاتي لمختلف المواد الغذائية والألبسة، فنادرا ما يحتاجون لاقتناء مواد معينة من أجل سد الحاجيات اليومية، حيث أن الفلاح لا يجد من يتتبع منتوجه الذي يمثّل منتج جاره بحكم تماثل الأراضي والثقافة الزراعية المحدودة والموروثة، وكذا عدم التنقل للمناطق المجاورة من أجل تسويق ما ينتجون، فكانت الفكرة المبدئية جلب المشتري بطريقة غير مباشرة للبلدية من أجل التسويق والتنافس في الإنتاج الكمي والنوعي، وكذا في طرق العرض والتسويق.

هذه الفكرة لم تأتي من العدم بل جاءت من فكرة "ملمة أو زرّة" الأولياء الصالحين، أين كان سكان المنطقة يقيمون احتفالات واستعراضات في يوم معلوم لكل ولي صالح في منطقتهم وذلك في مواسم معينة، فيطعمون الوافدين بمختلف الأطباق التقليدية التي تحضرها نسوة العائلات المناصرية، والتي اضمحلت هذه العادة مع قدوم العشرية السوداء، وقضت على الكثير من التقاليد والعادات والأفراح بالمجتمع المناصري مشا حدث بالمجتمع الجزائري ككل.

2-2. التعريف بجمعية دادا هياص: لقد أوجد مجموعة من الشباب البديل الذين كانوا يبحثون عن المتفلس فيه للبلدية، فأول اهتماما كبيرا بالسياحة البديلة ومحاولة إعادة بناء مقوماتها من أي موروث أو معتقد

¹ - Farouk Zahi, Insurrection des Beni Menaceur: Quand les bébés naissaient en déportation, Le 15 janvier 2013, et Publié le 19 janvier 2013 par erraoui, <https://erraoui.wordpress.com>.

خاص بتاريخ "بني مناصر" أو التسمية التاريخية لها "القورين"، أين تبني الفكرة الكثيرين ممن يهتمون بالتراث الشعبي والتاريخي خاصة والثقافي للمنطقة فكانت الفكرة، أين تجسدت في جمعية "دادا هياص"^{*} التي أنشئت سنة 1997 ببلدية مناصر من مجموعة من الشباب والمتقنين بالمنطقة.

وقد تم إعداد الإطار قانوني خاص بالجمعية ونشاطها وتطوير وتعزيز التنمية المحلية بخلق القدرات التنافسية بعيدا عن السياحة التقليدية المرتبطة بالشواطئ، والمواقع الأثرية، أو السياحة الصحراوية، إلا أنها ترتبط بشكل أو بآخر بنوع من أنواع السياحة، وهي الجبلية بحكم الطابع الجغرافي للمنطقة، وقد تم استغلال هذا العنصر في تعزيز النشاطات المقترحة في برنامج الجمعية، كهدف أساسي لفك العزلة عنها ودمج سكان عدة مناطق جبلية وإخراجهم من قوقعة الانقطاع عن العالم الخارجي.

2-3. البرامج المسطرة لمختلف الشرائح المجتمعية¹: تم تسطير بداية الأمر برامج خاصة بمحاولة

إعادة إحياء النشاطات الثقافية التقليدية التي يعتبرها البعض أنه قد تجاوزها الدهر ولم تعد لها قيمة مع الزخم التكنولوجي والعلمي، إلا أن الجمعية تمسكت بكل ما هو تاريخي وتقليدي، حتى أنها حاولت في جدول أعمالها تغيير من الأفكار الخاطئة لبعض الممارسات العقائدية كما حدث لأسطورة بوغنجة وعملية استجلاب المطر من خلال طقوس لعبها، والتي حاولت تغيير فكرة أسطورة جلب المطر لمجرد لعبة بأدعية تماشى وديننا الاسلامي بدل ما كان يقال هذا كله لأجل المتعة والترفيه والتنافس لا غير وتغيير قواعد اللعبة لقواعد جديدة مع الحفاظ على التسمية دون المضمون.

بعدها سطر برامج خاصة بإدراج العنصر النسوي وكسر حاجز منعها من المشاركة في مثل هذه المحافل، وكذا مساعدتها في الاستثمار، والتوعية من أجل نحو أميتها، وإدراجها ضمن البرنامج التنافسي في كل الحرف التي تتقنها من الطبخ للأكلات التقليدية وصنع المخملات والنسيج والغزل وصناعة الأواني الفخارية وغيرها من النشاطات، وكان التفكير أيضا في كيفية تدعيم المرأة الريفية في مشاريع رعوية وزراعية، وحتى في بعض الصناعات التقليدية، وكذا تشجيعها للمشاركة في مختلف التظاهرات التي تقام بالمنطقة أو خارجها.

* - دادا هياص هو شاعر في الشعر الشعبي، ولرخامة صوته كان يقوم بما يسمى "بالتبراح" أو "البراح" في الأعراس والمناسبات، وأحيانا الغناء الشعبي، ولتكريمه كرمز للثقافة بالمنطقة سميت هذه الجمعية الخاصة بمحاولة إحياء التراث الثقافي والتاريخي للمنطقة.

¹ - مواد البرنامج التأسيسي المعد لجمعية دادا هياص، جمعية تختص بإحياء التراث التاريخي والثقافي، بلدية مناصر، ولاية تيبازة، 1998.

صور تمثل بعض النشاطات التي كانت ضمن برنامج الجمعية: المسطرة لبرنامج النساء



برنامج خاص بالأطفال تعليمهم أهم الألعاب التقليدية البسيطة "اللقاف" "صيد العصافير بالفخ التقليدي" ولعبة "الدونة"، والنشان والحبل حلقات للروايات والقصص والحكايات الشعبية والتاريخية لتوريث الجيل الصاعد تقاليد وأعراف ومعتقدات المنطقة.



الاستفادة من عرض المنتج الفلاحي الخاص بفتة الفلاحين وكذا الحرفيين للمنافسة والتسويق، أما عن النشاطات الرياضية فإنها تتمثل في المشاركة في مختلف الألعاب التقليدية "عبوا لشييوه، بوغنجة، العصي،..."، والأهم هو المنافسات الثقافية في الشعر الشعبي والغناء الشعبي، ومنها جماعات تتنافس في رقصة البارود، بالإضافة إلى احتتام نشاطات كل يوم بحلقات لتلاوة القرآن على شكل جماعات، مع نشاطات برمجت رغم صعوبة تنفيذها بادئ الأمر وهي منافسات بالخيل تخص كل من "الرقص والسباق".



أما عن أغلب الوافدين والمشاركين في المنافسة يكون عرضهم حول الحلويات الملونة وحلوى السميد المشهورة في مثل هذه المناسبات، أو منتوجات تكون خارجية في مقابل الحصول على المنتوجات المحلية والمتوفرة بشكل تنافسي.

2-4- الدور السياحي والاجتماعي للجمعية: تلعب الجمعية دورا مهما في التعريف بالمنطقة من

النواحي كثيرة من الناحية الجغرافية والتاريخية والثقافية، وذلك بمساهماتها بالبرنامج المسطر من أجل التكفل ببعض الجوانب الثقافية التقليدية وكذا تحسين التعاملات والمعاملات التقليدية [كما حدث لطقس وأسطورة بوغنجة]، بالإضافة جلب السائح للمنطقة من أجل التعرف على مختلف هذه النشاطات، ومحاولة إقناعه بالمقتنيات المعروضة، ومحاولة حل المشكلات الاجتماعية والعائلية العالقة وإعادة بنائها من طرف كبار وشيوخ المنطقة.

3- ماهية بعض الألعاب المبرمجة في الاحتفاليات وقواعد لعبها* : في هذا الجزء سيتم التطرق

لتعريفات بسيطة لأهم الألعاب المبرمجة في أيام التجمع خاصة التقليدية منها، والتي كانت بمثابة رمز للجمعة وهدفها، وهي عبارة عن إحياء لتقاليد وتراث حاولت العشرية السوداء محو آثاره، إلا أن الجمعية ارتأت أن تستعيد وتنفض الغبار على الكثير من رموز المنطقة وأعراف صمدت رغم الاستعمار مع محاولة تحسينها وتهذيبها من الخرافات والطقوس الأسطورية وما يخالف الشرع والدين، ومن أهم هذه الألعاب التي تم تهذيبها هي لعبة "بوغنجة" التي تم تعديل بعض قواعدها.

أما عن الفكرة التي استوحتها الجمعية فكانت من تقليد كان يقام كطقس أسطوري للاحتفاء وطلب هطول المطر، ثم أصبح اعتقاد لدى بعض المجتمعات على أنها تعبير عن الفرح الذي يلي صلاة الاستسقاء بتجمع الفلاحين في منطقة معينة على أن يكون ضريح لولي صالح أو مكان مبارك تقام فيها مؤدبة بسيطة وتلعب لعبة الشيبوه وألعاب أخرى للترفيه عن الحاضرين، خاصة وأن أهل هذه المناطق يسكنون متفرقين ومتناثرين في مناطق ريفية وجبلية وعرة منعزلين عن بعضهم البعض، أين تكون هذه المناسبة بمثابة يوم عيد أو احتفال للحضور.

غابت مثل هذه التجمعات وكان برنامج الجمعية استعادة فرحة الفلاح المعزول عن العالم الخارجي وإعادة ذاكرة ثقافته المطموسة جبرا ومنعا بالتخويف في زمن تخلى سكان هذه المناطق حتى دورهم وهوياتهم.

3-1- اللعبة الأساسية في الدراسة "لعبة بوغنجة ولعبة الشيبوه": إن الفكر الإنساني يستمر في

التطور والرقي بفضل التكنولوجيا وتلقي مختلف العلوم المنطقية والعلمية والدقيقة والحديثة، إلا أنه في الكثير من الأحيان نجد شعوبا بأكملها تؤمن بأساطير طقوس تميل أحيانا للسحر والشعوذة رغم التنوير الذي جاءت به الكتب والديانات السماوية والتقدم العلمي وتقديمه لتفسيرات مدروسة لمختلف الحوادث، إلا أنها تفشل أمام

* - أغلب هذه الألعاب تعلمنها في الصغر، ولعبناها ومنها ما شهدناه في المناسبات التي كنا نحضرها، ومنها ما تعلمنا قواعدنا من الأهل.

تعنت الكثير ورفضهم للحضارات أو قبولهم تهمم معتقداتهم وأفكارا الأسطورية توارثوها ورسخوها في أذهان الأجيال، أين سيطرت عليهم رواسب من الخرافات والأساطير تتحكم فيهم في عصنا الحديث، وتجر على تفكيرهم، ولكن الأخطر من ذلك هو توظيف هذه الأساطير من أجل أهدافٍ سياسية، و أغراض خبيثة تشوه إنسانية الإنسان [ليس في بلدانا العربية فحسب خاصة في البلدان التي تتنوع بها الملل والديانات والعبادات].

ويروى أن أصل أسطورة المطر بُوعنجة المتوارثة عبر الأجيال من استنجداهم بإله المطر عند الأمازيغ هو "أنزار"، ويعرف في أمازيغية الأطلس البلدي: ثاسليت وانزار (زوجة أو عروس أنزار)، ثاسليت أوجنا (عروس السماء)، وهذه التسميات أطلقت على قوس قزح، وهو رمز هطول المطر وفرحة السماء بانعكاس أشعة الشمس المشرقة بعد المطر لتكون الألوان السبعة الرامزة لألوان الحياة.

أما عن سبب ممارسة هذا الطقس فيمارس عندما يتأخر سقوط الأمطار، كان سكان الأطلس البلدي ومتيجة ينظمون بوغنجة، وبوغنجة هو كنية إله المطر عند قدماء الأمازيغ، مشتق من أغنجا وتعني المغراف أو الغراف، وهي وسيلته الرمزية، في معتقداتهم القديمة لسقي الأرض، هذه العادة التي مازالت تجد صداً في الأوساط الشعبية الجزائرية، وخاصة في الأوساط الريفية، ويعبر الأهالي من خلالها عن طقوس اجتماعية يرمون من خلالها إلى جلب المطر، حيث يقومون بتجمع في ساحة القرية أو أحد الأماكن العمومية، حاملين تمثالاً على شكل مغراف يصنع من طرف عجوز في اغلب الأحيان يكون من الفخار، ويلبس بالقماش ويحملونه الأطفال ويمشون في موكب جماهيري بهيج مرددين بعض العبارات المخصصة لذلك وتقول الأغنية: "بوغنجة دار العقاش ... يا ربي قوي الرشراش ... والجلبانة عطشانة ... واسقيها يا مولنا ... والفول نور وصفار ... واسقيه يا بولنوار" وكلها عبارات شعبية يتمنى الأهالي بعد ترديدها نزول المطر بعد طول انتظاره، حتى يسقي حقولهم كي تنمو غلالهم وتمكّنهم من العيش في سلام، أو أن الطقس تقوم به إمرأتان أو حتى رجلان فيما بينهما يحملان عصي مصنوعة على شكل عراف لكل واحد منهما ويلعبان بكرة بينهما يرميانهما لبعضهما مرددين للأغنية التي تجلب لهم الخير بجلب المطر.

ثم بدأ تهذيب وتنقية الأسطورة من خرافاتها إلى حمل الغراف المغطى بثياب فيصير كالدمية، يتحول بها الأطفال في شوارع القرية، ويقوم الكبار بإعطائهم الحلوى أو النقود أو رشهم بالماء (رمز الصدقة وطلب البركة)، ويردد الأطفال (رمز البراءة) الأهازيج التالية: "بوغنجة يا الرفراف ... يا لي ساكن بين لعراف ... بوغنجة حاب يتزوج ... كي يشوف الشمس يتعوج ... بوغنجة يا دار الشتا ... يا ربي اعطينا الشتا ... بوغنجة يا طالب الرجا ... يا ربي و اعطينا الشتا ... بوغنجة دار العقاش ... يا ربي قوي الرشراش ... وغنجة عرا راسو ... يارب شمخ راسو ... والجلبانة عطشانة ... واسقيها يا مولنا ... والفول نور وصفار ... واسقيه يا بولنوار ... والفول دلى ريشو ... يا ربي باش نعيشو ... بوغنجة وجعو راسو ... ينعل بوه وبو ناسو".

إلى غير ذلك من الأهازيج، وفي آخر الكرنفال، تقوم العجوز بكسر الغراف، بكل قواها، مرددة أذكارا، كأن ذلك يرمز لطرده الشرك والتمسك بالإسلام، ويكون ذلك أمام المسجد، أو جوار ضريح ولي صالح إن أمكن، ويصنع كل أهل القرية الكسكس الذي تم جمع مقابله من أهل القرية ويأكل منه الجميع.

مع نحو الأمية للكثيرين أصبحوا يتخذونها لعبة محافظة على بعض مواصفاتها يحتفى بها بعد صلاة الاستسقاء، حيث توقفت في منطقة بني مناصر لمدة من الزمن خلال العشرية السوداء، لتأتي الجمعية في محاولة لحياء تراث المنطقة منها هذه اللعبة التي حلقة لعبة كانت تلعب رفقة الطقس، وهي لعبة الشيوه وتسمى أيضا بالأمازيغية "ثاكورث" عند عدم سقوط الأمطار، ويعقبون المقابلة بالذكر والدعاء والأكل جماعة، ولكل قرية ملعبها الخاص، تلعب بالعصي مع مجموعتين من الرجال يتنافسون على إيصال الكرة المطاطية المصنوعة يدويا إلى نهاية الخط في واجهتين من الملعب.

2-3. الألعاب الرياضية التقليدية: هي مجموعة من الألعاب الرياضية التقليدية التي تكون فيها المنافسة بين الصغار أو الكبار [تم سابقا عرض أغلبها في صور]، هدفها إدخال الفرحة والبهجة والمتعة وصنع علاقات جديدة وإعادة بناء علاقات انقطعت بسبب الخلافات المختلفة والعدوات المتنوعة، ومنها: نشاطات وألعاب ترفيهية، وأخرى رياضية تقليدية كشد الحبل، سباق الخيول، رقصة الخيل، وغيرها من الألعاب التي ذكرت أنفا أو تم عرض صور لها.

414 - لعبة التحطيب أو العصي: من الألعاب المشهورة في الموالد الشعبية، وأحد الألعاب الرئيسية في الصعيد باعتبارها ترفع من قيم الرجولة هنا، ويشارك في هذه اللعبة رجلا، يمسك كل منهما بعصا خشبية ويحيطهم مجموعة من الرجال بشكل دائري للتشجيع، ويبدأ العراك بالعصا حتى يطيح أحدهما بعصا الآخر ويعتبر فائزاً في اللعبة.

- النشان والتصويب والرماية: لعبة شعبية قديمة، لكنها مازالت شائعة في الموالد الشعبية وفي بعض المناطق الريفية، وفيها يقوم اللاعب بالتصويب بالبندقية على لوح خشبي عليه أشكال مختلفة، وإذا أصاب الهدف يكرر المحاولة، ويحصل على هدية يختارها من بين الهدايا المعلقة وراء اللوح الخشبي، وتستعمل على القارورات وحتى في صيد طريدة حية.

- السبع بلاطات أو حجرات: وهي لعبة خاصة بالأطفال قديمة، كان تلعب في المناطق الشعبية والريف، تكاد تختفي من انشغال الأجيال بالألعاب الإلكترونية وغيرها، وقواعدها ترسى على أن تلعب بـ 7 بلاطات ملساء ترص فوق بعضها، ويقسم اللاعبون إلى فريقين، فريق يمسك بالكرة المصنوعة من جورب قديم أو أكياس بلاستيكية تضغط بقوة وتشد بخيط، ويقوم الرامي برميها في محاولة إسقاط البلاطات، والفريق الثاني يقوم بحراسة البلاطات، ومن يسقط بلاطتين أو أكثر يعتبر راجحاً.

3-3. الألعاب الرياضية الفكرية التقليدية: هي الألعاب لا تعتمد على القوى ولا بذل جهد جسدي بل تعتمد على الذكاء والفتنة والنباهة الفكرية والعقلية، أساسها التركيز التام وإدراك الخطوات الهجومية والدفاعية كما هو معروف في لعبة الشطرنج غالباً.

- الزقطة أو اللقاف: تلعب بخمس حصوات صغيرة تجمع وتختار عادة من الصوان المدور صغير الحجم، وتمارس هذه اللعبة من خلال لاعبين اثنين أو ثلاثة، ويقوم كل واحد بقذف الحصوات على الأرض مع الحفاظ على واحدة فقط، على أن تلعب في دورات بقذف إحدى الحصوات عالياً ليلتقط في المرة الأولى حصوة من الحصوات الأربع الباقية على الأرض أمامه وبين اللاعبين كل واحدة على حدا شرط أن لا تسقط من يده، وفي المرة الثانية يقذف حصوة عالياً بالهواء ثم يلتقط حصوتين ثم حصوتين، أما في المرة الثالثة عليه أن يلتقط ثلاث حصوات مع بعضهن وواحدة بمفردها، وفي المرة الرابعة يجب عليه أن يلتقط الحصوات الأربع دون أن يتم تقربهن لبعضهن.

- السيجة أو الدونة: لها عدة تسميات حسب المنطقة أو البلد ولها عدة قواعد، عرفت منذ القدم لدى العرب خاصة النقاله منهم والرعاة، أين كانت تلعب في الرمال بروث البعير أو الغنم أو ماعز، أو حجارة صغيرة ذات ألوان مختلفة، هناك ما يكون منه ثلاثي أو تساعي، وتعتبر من أقدم الألعاب الشعبية في الأرياف أيضا ومازالت موجودة حتى الآن، ويلعبها الفلاحون لتقوية مهاراته وذاكرته. أكثرها انتشارا هي التي تقوم على رسم الفلاح لوح السيجة على الأرض الترابية ويقسمها لـ 25 مربعا، ويستخدم فيها الحصى والأحجار الملونة مختلفة الأشكال، ويأخذ كل لاعب 12 حجرة، ويرصونها بالتناوب لتبقى خانة المنتصف خالية ويقوم كل لاعب بتحريك قطعته، والفائز هو الذي يخرج قطعة اللاعب الآخر من المنتصف، وهذه اللعبة شبيهة بالشطرنج.

- الحجلة أو المارينة: لعبة شعبية معروفة للبنات خاصة، مازالت موجودة في نطاق ضيق بالمناطق الشعبية والريف، يقوم فيها اللاعبون برسم مستطيل بالطول على أرض ملساء، ثم يتم تقسيم المستطيل إلى 5 مستطيلات بالعرض، ويأخذ الطفل حجراً يلقيه في مربع داخل المستطيل الأول ومن ثم يقفز برجل واحدة داخل المربعات ويلقف الحجر ويخرج من المستطيل قافزاً، وعليه ركل الحجرة من مربع إلى آخر، دون أن تخرج عن الخطوط أو يدوس عليها أو يسقط أو يضع رجله المرفوعة، عن تسميتها بالحجلة نسبة إلى خفة اللاعب بتنقله في خطواته وحركته التي تشبه طير الحجلة، وتسمى أيضا أم الخطوط، البربر، العتبة، .

- البلي أو المصاقيل أو البلورات البيات: لعبة محببة لدى الأطفال، وكانت منتشرة في كل الشوارع والحارات والمناطق المختلفة في المدينة والريف، وهي عبارة عن كرات زجاجية ترص على الأرض، ويقذف اللاعب بليه في صف البلي، والفائز من يستطيع تحريك أكبر عدد من البلي بقذفة واحدة، وكل من يصيب أكثر يفوز بهذه الكرات الملونة والمختلفة الأحجام.

- الشبر شبرين: لعبة شعبية انتشرت منذ عشرات السنين في الريف والأماكن الشعبية، فيها يجلس لاعبان على الأرض، وقدماهما متلاصقتان في مواجهة بعضهما، ويفرد كل منهما يده على طولها فوق ساقه، ويقفز اللاعبون الآخرون فوقهم، وإذا لمس اللاعب يد أي من اللاعبين على الأرض يجلس مكانه ويقفز اللاعب الآخر فوقه، أو يحني أحدهم ظهره في شكل ركوع ويقفز الآخر من فوقه، أحيانا يكون عدد من المنبطحين في شكل سجود ويقفز آخر من فوقهم وان لمس أحدهم ينطح هو الآخر وينهض من لمسه ليفز فوقهم، وتسمى في بعض المناطق "أول جنك".

النتائج: من أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه القراءة البسيطة لبرنامج جموعي بسيط بدء من الصفر، وكبر بإرادة بسيطة لتنمية محلية نابغة من حب جذور وأصول كل فرد أراد أن يساهم في حفظ تراث منطقتهم وثقافتهم مهما كانت بسيطة، لذا لا يجب أن يستهين المرء بالبساطة والمتعة الأكبر فيها، أين يمكن لأبسط الأمور أن نغير بها أو نغيرنا. لكن أهم ما يمكن تحقيقه يمثل هذه الأعمال هي تطوير وتعريف الآخر بثقافته يعتبرها الكثيرين بالية لا تصلح، إلا أنها تحقق الصلح بين المتخصصين خاصة من ينتمون لنفس العائلة وحل المشكلات العالقة بين أفراد العرش أو الدوار الواحد. إحقاق التنمية المحلية للمنتجين لمختلف المنتجات الفلاحية والحرفية وإكسابهم مهارات البيع والشراء وجلب ومعارف وعلاقات جديدة، وحتى مصاهرات جديدة، وجلب الزوار للمنطقة والتعريف بثقافتها وتقاليدها، دون التخلي عن التمتع بفترة خاصة بالترفيه والراحة بعد مواسم العمل الشاقة.

التوصيات: أما التوصيات التي يمكن أن نستخلصها من هذه الورقة البحثية هي أن لكل عمل عراقل ومصاعب إلا أن إرادة الفرد البسيط أن أصر على الحفاظ على مبدأ أو عرف أو تقليد معين فليس من السهل تغير أو القضاء على إرادته التلقينية والتعليمية التي تبنى أجيالا تتوارث فكرته، من هنا جاءت الفكرة المستوحاة من طرق الحفاظ على الموروثات الثقافية لمنطقة بني مناصر والتي ترجمت في برنامج جمعية "دادا هياص"، والتي تماثلها الكثير من الجمعيات التي تسعى جاهدة لتحقيق على الأقل البرنامج الأولي المسطر لها، وأكثرها تفشل للوصول لمسعاها، لذا وجب على الفرد العادي وليس المنحرف أو المسؤول في الجمعية أو حتى الإداري فقط المساهمة بكل ما يمكنه للحفاظ على مثل هذه المبادرات، ومحاولة القضاء على كل الأفكار التهديمية وبيروقراطية الفكرة قبل الفعل.

التراث اللامادي بالمغرب: زاوية اسأ نموذجاً - دراسة ميدانية

د. البشير البونوحي / المغرب

تقديم

يمكن اعتبار الثقافة الشعبية وحدة متكاملة، وعملية مستمرة تتعدد في وجودها كل اللحظات الزمنية الآنية، وتصل حلقاتها بعضها ببعض على الرغم مما قد يطرأ على بعض مظاهرها من تغيير واختلاف، وإذا كنا اليوم نرى أن الغرب أحرز تقدماً هائلاً في العلم والتكنولوجيا ومختلف مظاهر الحياة وأوجه النشاط العقلي والفكري، فإنه لم يشكك قط في أهمية ما يمتلك من تراث شعبي، معتبراً أن الاهتمام بهذا المجال مسألة مسلم بها، ليس علامة على التخلف أو عاملاً من عوامله.

البحث الأكاديمي أصبح مهتماً بشكل مكثف بشتى تلاوين الثقافة الشعبية من لغات محلية، وعلى كل ما ينقل بواسطتها من آداب وفنون وتقاليد وعادات وما يرتبط بها من مظاهر حضارية محلية، وذلك بعيداً عن النظرة الغرائبية التي لطالما كانت لصيقة بهذا الميدان.

التراث اللامادي

ساهم المغرب في إعداد اتفاقية التراث الثقافي الغير مادي لليونسكو عام 2003 من خلال خبرائه لدى المنظمة، حيث تم إعلان ساحة جامع الفنا تراثاً شفهي غير مادي للإنسان عام 2001م، وكذا مصادقته على الاتفاقية التي تنص على تحديد ضمان التراث الثقافي غير المادي من تراثنا الثقافي.

لقد قدم الباحث "أحمد سكونتي" في إطار دراسته حول الآليات القانونية والمؤسسية والمالية لمنظومة الكنوز الإنسانية الحية، تعريفاً للتراث الثقافي غير المادي بقوله هو: "مجموع الإبداعات المبنية على التقليد المعبرة عن الهوية الثقافية والاجتماعية المغربية والتي تشمل المعايير والقيم المنقولة شفهيًا أو عن طريق التقليد أو بطرق أخرى.

يعد جزء من هذا التراث كل من اللغة والأدب والموسيقى والغناء والرقص والاحتفالات، والألعاب، والأساطير والطقوس والعادات والممارسات والمعرفة والمهارات القديمة للحرف التقليدية والعمارة وفنون الطبخ وإنتاج المنتجات وتخزينها، والطب والأدوية التقليدية والفنون الأخرى، وكذا الفضاءات الثقافية، وأماكن تأكيد واستمرار الهوية الوطنية، والشاهدة على تجدر ثقافتنا والمساهمة في عالميتها"¹.

يتضمن التراث اللامادي بالمغرب العديد من التصنيفات، وعلى رأسها: فنون الفرجة، وأشكال التعبير الشفهي واللغات، والمهن التقليدية والمهارات وسبل العيش والطقوس والاحتفالات والسكن والفضاءات الثقافية التقليدية... وغيرها.

¹ تعريف أورده رحمة ميري، جرد التراث غير المادي، ضمن أعمال ندوة الداخلة الدولية، حول: التراث الصحراوي التاريخ والذاكرة، دار النشر ملتقى الطرق، الدار البيضاء، المغرب 2014، ص: 200.

بمجال هذا التراث شكل موضوعا للعديد من الدراسات والإصدارات والإحصاءات والعروض والأفلام الوثائقية، ومراكز البحث والمجالات... وكلها مجالات توثق وتساعد على إحصاء وجرد التراث الثقافي غير المادي، مما يمكننا من الحفاظ عليه وتثمينه وحمايته من النسيان والانقراض. وكذلك من أجل إعادة استراتيجية ثقافية وإرساء مشاريع التنمية المحلية والجهوية أو الوطنية التي تسمح بالتالي بالحفاظ على عناصر هويتنا الثقافية وذاكرتنا الجماعية وصيانتها.

إن التراث الغير المادي أو الثقافية الشعبية "هي محاولة لإحداث فواصل بين أنواع الثقافة التي يمارسها الإنسان في مجتمع معين، فهي تستعمل في مقابل الثقافة الممتازة أو الثقافة المعرفية"¹، وانطلاقا من ذلك يمكننا أن نعتبر التراث اللامادي جسد كبير يضم بين جنباته اللباس والأغاني الشعبية والحروف...، وكل هذا دليل على مدى إبداع المجتمع وتقديمه، رغم كونها وثيقة تاريخية لا توجد في الكتب ولا في أقدم الوثائق التاريخية. إن هذه الثقافة تخلق بشكل فطري، وعفوي، وتؤدي أدوارا مهمة في المجتمع: اجتماعية تعتمد إلى خلق قوالب انفعالية وسلوكية تعين المجتمع على الاحتفاظ بتمسكه، وتربوية تغرس الوطنية وتؤكد على التمسك بها. ويرى بعض الدارسين أن هذه الثقافة / التراث، تنطوي في الميادين التي تمتد إليها اختصاصات مواردها شفاهيا عبر الأجيال بكيفية تلقائية معبرة عن وجدان الجماعة، وهي خارجة طبعاً عن ميدان الثقافة الرسمية"². وإذا كان هذا القول يشير إلى أن مفهوم الفلكلور يخضع في الغالب لترجمات كالموروث الشعبي والثقافة الشعبية، فإن عباس الجراري يمثل مظهراً لذلك، حيث يستبدل مفهوم الفلكلور بمفهوم التراث الشعبي، الذي يفضل إطلاقه بدلا من تسمية الفلكلور، وإذ يقول في هذا الصدد "من هنا تبرز ثقافة التراث الشعبي، هذا الأخير الذي نرى إطلاقه بديلاً لمصطلح الفلكلور الشائع عند كثير من الدارسين"³ ويؤكد في تعريفه للتراث أنه "يتجلى فيما أنتج الشعب بأفراده وجماعته خلال الأجيال، وفي مختلف المجالات، به أكد وجوده وحقه في الحياة وصراع طبقاته البدائية والمتمدنة، من ثقافة وحضارة لا تقوم على أسس علمية مدروسة، تبدو في ظواهره فيما يمارس من عادات وتقاليد وما يتمثل من قيم وأخلاق وما يحسن من مشاعر ووجدان وما يتداول من قصص وأمثال وأشعار وما يزاو من فنون وصناعات"⁴.

نبذة عن مؤسس زاوية آسا

أيت إغزي ويهدى هو الجد الأكبر لقبيلة "أيت أوسى" ويعتبر مصلحا دينيا بمنطقة آسا والمناطق المجاورة لها⁵. وقال عنه المختار السوسي: "الشيخ المجاهد العالم العارف بالله يعزى ويهدى محمد بن موسى بن أبي بكر

¹ - محمد السوسي مستاوي، الخصائص العامة للثقافة الإسلامية وانعكاسها على الثقافة الشعبية في جنوب المغرب، أشغال الندوة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير، بعنوان: الثقافة الشعبية، الوحدة في التنوع، 1980، ص: 41.

² - عبد الله درقاوي، مظاهر الثقافة الشعبية في إنتاج محمد المختار السوسي، ضمن أعمال الجامعة الصيفية، ص: 66.

³ - عباس الجراري، في الإبداع الشعبي، مطبعة المعارف الرباط، ط 1، مارس 1988، ص: 125.

⁴ - نفسه، ص: 126.

⁵ - معلمة المغرب، ج2، ص: 377.

بن يوسف بن عيسى بن صالح بن أبي زايد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن محمد بن جعفر بن محمد المسمى الجوزي بن القاسم ابن الناصر بن عبد الرحمان بن أبي زيد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صل الله عليه وسلم¹.

كانت ولادة شيخنا - حسب العلامة المختار السوسي - عند طلوع شمس يوم الخميس 28 محرم 646هـ في دار الأمير العالي بالله السلطان يعقوب المنصور الموحد، إذ هو حفيده من ابنته². وكان اسمه الحقيقي هو "محمد" كما سماه أبوه، أما لقب يعزى ويهدى الذي حمل العلامة السوسي شقه الثاني (ويهدى) وفسره بالهداية³، قال "لقبه ويهدى: إن الله تعالى قرن اسمه بالهداية وجعله ممن اهتدى"⁴ فهو من أحواله وتحديدًا من جدته لأمه⁵.

تحدث المختار السوسي عن أدب "يعزى ويهدى" بقوله: "وهو تأدب من الله كما يقول لا بقصد منه، وكذلك يفعل الله بمن اجتباهم واختارهم من عباده الطاهرين..."⁶. اهتم شيخ زاوية آسا بالعلوم والصلاح وفي ذلك قال المهدي السعدي، "تعويض عن انكسار مجد الأسرة السلطانية"⁷ وبقدمه إلى آسا من مراكش أسس زاوية ورباطه الديني والروحي الذي اتسع نفوذه فشمل أغلب مناطق سوس ودرعة⁸. وسرى ذكره في الأفاق التي شطت عن هذه الربوع⁹.

كانت لإعزى ويهدى العديد من الكرامات¹⁰ والمناقب، قال العلامة المختار السوسي عن ذلك "أن جدته لأبيه رأت فيما يرى النائم، وأمه حامل به، كأنها أعطيت لوحًا من ذهب مكتوب، فأخبرت المعبر، فقال لها إن كنت حاملًا فولدك عالم، فقالت وقفت على الولادة"¹¹. وقال المرغيتي وهو أحد أحفاده، عن مناقبه "... وله مناقب كثيرة لا تحصى ولا تستقصى، لا تحملها القراطيس ولا الدواوين... فقد رأيت كتابًا منسوبًا إليه عن كرامته وفضائله، إنه رجل جميل ظريف شجاع سخي، لم يكن أحسن منه في زمنه... وعليه هيبة عظيمة ووقار

1 - السوسي، محمد المختار، المعسول: ج 10، ص: 172 و173، أنظر كذلك، معلمة المغرب، ص: 517.

2 - المهدي السعدي، ملامح حركة جهادية بسوس والصحراء، في القرن التاسع الهجري، ايت اعزى ويهدى بزواية آسا، ضمن أشغال ندوة: الصحراء وسوس، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2001، ص: 78.

3 - المختار السوسي، م.س، ص: 172.

4 - المهدي السعدي، م.س، ص: 78.

5 - معلمة المغرب، ج 2، ص: 517.

6 - المهدي السعدي، م.س، ص: 168-169.

7 - نفسه، ص: 79.

8 - نفسه، ص: 88.

9 - السوسي، م.س، ص: 174.

10 - أنظر تعريف الكرامة عند ابن منظور، لسان العرب، المجلد 14، دار صادر، بيروت، ط 4، 2005، ص: 331.

11 - المختار السوسي، م.س، ص: 167.

عظيم، وهو فارس بطل قد ذهب بالفروسية والشجاعة كلها ... وإنه يعطي الفروسية ويمنحها من أراد بقدره السميع العليم"¹.

ومن فضائله أن الأرض التي ينزل بها يعزى ويهدى، تكون مختزنة وحاوية للماء، حتى ولم يكن فيها في الأصل، فإنه لا بد وأن ينبع الله فيها الماء ويخلقها فيها وينزل فيها الغيث النافع"².

توفي شيخ زاوية آسا عن عمر يناهز 82 سنة، وتوفي في أول ربيعه الأول عام 726 هـ عند ضحى يوم الجمعة، ثم صل عليه من الخلائق ما لا يحصي عددهم إلا الله، واتخذ الفقراء بعده ذلك اليوم موسم رباطه وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول³.

زاوية آسا والتأسيس

الزاوية فئة اجتماعية عريضة من السكان، لها وظائف اجتماعية، يوصف بها كل من اختار لنفسه من قبائل الصحراء وفتاتها هذه المنزلة، وتمتاز هذه الفئة بالأخلاق الحميدة والسجايا النبيلة، وكرم الضيافة وبأسهم قليلة إلى حد معين لهم عزوف عن الحرب لما درجوا عليه من التمسك بأهداب الدين والعض على السنة بالنواجذ، لأن الفتنة مذمومة عندهم، يقول أحد الشيوخ "مما من الله به على غالب الزوايا الوافرة العصمة من الاجتماع والاجتماع على فتنة عامة بل الذي استمر عليه صنع الله الجميل بهم التناكل التخاذل التحاجز، حتى يجد غيرهم من الزوايا، أو من تلكأ منهم وتبرأ من الفتنة، الطريق إلى إيقاع الصلح ببذل مال أو دونه، فيقع الصلح و تسكن الفتنة قبل أن تبلغ مبلغا يتعذر معه وجه الصلح"⁴.

كان لشيخ الزوايا مسؤولية أساسية في تنمية الأنشطة الاقتصادية (الزراعة، تربية الماشية، التجارة...)، ويرون أن دورهم الأساسي هو التعليم خاصة التعليم الديني، وممارسة كل الأنشطة المرتبطة به: "كالإشراف على العبادات وتطبيق الشريعة الإسلامية كمستشارين أو قضاة في قبيلة من القبائل الصحراوية"⁵.

منذ بداياتها الأولى تأسست زاوية آسا (بلاد الأفنان) على أسس جهادية، وهذا ما يفيدنا به محمد بن سعيد المرغيثي في كراسته الثانية، حين رأى الكتاب المنسوب إلى الشيخ إعزى، والمنعوث بـ "الهدى في مناقب إعزى ويهدى"⁶. ذلك أن الشيخ كانت له دراية كبيرة بالميدان العسكري، عن طريق اتقانه للفروسية وفنون الحرب واستعمال الأسلحة، ومعرفته ببعض خبايا الكيمياء التي يوظفها في الأغراض الحربية، موظفا خبرته هاته في نشر دعوته ومحاربة الوثنية والمسيحية واليهودية المنتشرة في المناطق المجاورة لآسا، مؤسسا بذلك زاويته "اعزى ويهدى". غير أن ذلك يتعارض وما جاء عند محمد ظريف الذي نفى وجود الزوايا قبل ظهور الدولة المرينية في

1 - المختار السوسي، م.س.ص: 173 و 174.

2 - المختار السوسي، م.س.ص: 174.

3 - المختار السوسي، م.س.ص: 172، غير أن المرغيثي أشار إلى أن وفاته سنة 727 هـ، أي بزيادة سنة.

4 - الشيخ سيدي محمد الكنتي (ت 1242 هـ / 1826 م)، الرسالة الغلاوية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.

5 - محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر، الرباط 2006.

6 - المختار السوسي، م.س.ص: 173.

زاوية آسا نفسها، عبر هذا التسلسل في ارتباط وثيق مع زاوية تامكروت، وفي مغميمة وتزونين. وقد تغلغلت الزاوية بنفوذها في المجال الذي تسيطر عليه قبائل الرحل في الصحراء في إطار العلاقة التي نسجتها مع صلحاء الساقية الحمراء¹.

التراث الثقافي لزاوية آسا

إن الزوايا الصحراوية تتوفر على تراث معرفي كبير بارتباط مع ما تستقبله من عباد وصلحاء وفقهاء وعارفين ممتهمين للعلم والمعرفة من مصنفات دينية ولغوية وعلمية أسالت لعاب الباحثين والدارسين².

لقد أشار المختار السوسي إلى أن "أيت إعزى ويهدى تفرعت منهم فروع شتى وزخرت بالعلماء... وهم كثيرون من علماء وصلحاء"³. كانوا يقطنون في منطقة آسا ذات الطابع الصحراوي وهي عبارة عن قصر عتيق واناء ومنع مبني من حجر داكن شيده الفاتح الوالي الصالح سيدي يعزى ويهدى في القرن الثالث عشر، وما زال يحافظ على مظاهره كقلعة حصنية⁴، والزاوية لا زالت شاهدا على هذا التراث المعماري الوطني. الزوايا في تاريخ المغرب كان لها دور مهم وحيوي، بفضل الأدوار الطلائعية التي كانت تقوم بها في جميع النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية لتقوم بتثبيت نفوذها داخل المجتمع المغربي وقد انتهت بأن أصبحت مكونا ضروريا في توازن المجتمع⁵.

التراث اللامادي لزاوية آسا حاضر من خلال ما يتم أيام موسم الزاوية وكذا من خلال ما وقف عليه الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة ووقفوا على صلحائها وأوليائها الذين بلغوا 366⁶، كما استفادت آسا من موقعها الاستراتيجي داخل المسلك التجاري الرابط بين وادي نون وتندوف في احتضان أنشطة تجارية مهمة⁷. وازدهرت هذه الأنشطة مع بداية تنظيم الموسم الديني والتجاري لزاوية آسا منذ ق 8هـ/14م. وهو ما أعطى للمنطقة إشعاعا دينيا وتجاريا واسعا يستقطب الزوايا والتجار من مختلف مناطق المغرب، مع توالي السنون أصبح موسم زاوية آسا عنصرا مهما في حفظ ذاكرة المنطقة وضمان لاستمراريتها وربطها للذاكرة بين الماضي والحاضر. نظرا لما يحتويه من تراث شفوي عبارة عن طقوس وعادات وتقاليد لقبائل المنطقة.

موسم زاوية آسا يفترض أن بداياته الأولى كانت في القرن 8هـ/14م عندما تأسست الزاوية مع الوالي الصالح اعزى ويهدى حسب المختار السوسي⁸، وذلك إحياء لروح المؤسس التي صادفت وفاته عيد المولد

¹ - Ibid, p: 368.

² - Abdelwedoud ould cheikh, nomadisme, islam et pouvoir politique dans la société moure précoloniale, thèse pour le doctorat en sociologie, paris v ; tome 1, 1985. p394.

³ - المختار السوسي، سوس العالمية، ط 2، الدار البيضاء، 1984، ص: 174.

⁴ - DU puigoudeou, "Ants et coutumes des moures: assa" in hesperis tamuda 1968, vol IX, fasc :3, pp 354 368

⁵ - احمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني بزناس القادرية البودشيشية نموداجا، ص: 15.

⁶ - De furst o.p. c. t pp1920

⁷ -De furst .op.cit...p,P: 19-20

⁸ - محمد المختار السوسي، إليغ قديما وحديثا، ط4، مطبوعات القصر الملكي، الطبعة الملكية، الرباط، ص: 76.

النبوي، فأصبح يقام سنويا حتى بات موسما دينيا وتجاريا يتدفق عليه البدو للتزود بكل ما يحتاجه من مؤن وضروريات وهذا ما ضمن له الاستمرارية والمحافظة على حمولته الدينية والثقافية.

يصادف موسم آسا سنويا عيد المولد النبوي الشريف، حيث يتوافد عليه الزوار من كل مناطق المغرب خصوصا المناطق الصحراوية، وذلك قبل أسبوع من يوم العيد ويستمر بعد العيد بثلاثة أيام¹. ويأتي الزوار من كل حذب وصوب للتبرك بأولياء الزاوية.

لذلك يشكل هذا الموسم مكانا لتبادل الزيارات وصلة الأرحام، وتفقد الطلبة ومجالسة العلماء، وسوقا تجاريا شأنه في ذلك شأن باقي المواسم في المغرب. وكذا حل الخلافات بين القبائل وعقد تحالفات فيما بينها، ويعد الاحتفال بالموسم النبوي الشريف لكل هذه الاجتماعات واللقاءات ينضاف إلى ما يشكله العيد من احتفال طقوسي ديني يعطي للزاوية نوعا من القداسة والاحترام.

ومن بين ما يشد الانتباه في موسم آسا على مستوى تراثها اللامادي عنصر النخيرة²، التي كانت تتسم بجمولة اجتماعية ودلالة للتقارب القبلي برعاية شيخ الزاوية. هذه النخيرة التي تقدم بشكل متناوب بين القبائل هي عبارة عن عادة لازالت مستمرة إلى يومنا هذا، الشيء الذي يدل على أصالة الموسم ومحافظة على خصوصيته القبيلية التي تحتفي بعيد المولد النبوي الشريف، منذ تأسيس الزاوية في القرن 14م. كما توضح ارتباط الزاوية بمنطقة آسا في عمقها الرمزي.

423



صورة لعملية نحر الابل بموسم آسا

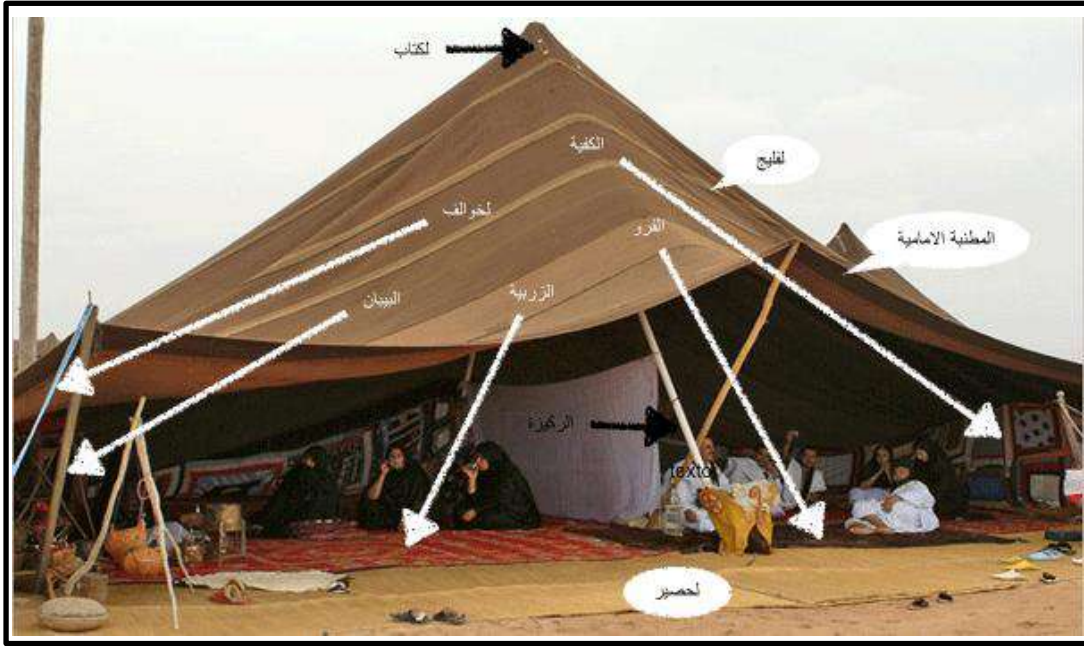
¹ - DE FURST . OP.CIT ... P : 50.

² - النخيرة: ناقة يتم نحرها يوم عيد المولد النبوي الشريف، تقدمها قبائل الصحراء سنويا، وتتم عملية النحر أمام الزاوية في ساحة مخصصة لذلك وبحضور شيوخ القبائل والسلطات المخزنية وزوار الزاوية. مما يوضح المكانة التي تحظى بها الزاوية دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا بين القبائل الصحراوية كمحج سنوي لمريديها ولتجار القوافل.

طابع الاحتفال الديني للزاوية يشكل صبغة غنية إضافية إلى ما يتوفر عليه موسم آسا من تعدد الاولياء ووجود عادات متوارثة، وقصر يمثل تراثا ماديا لازال شاخنا وشاهدا على قدم الزاوية وغزارتها الثقافية والدينية، ومركزا للتصوف في الجنوب المغربي.

يتميز موسم زاوية آسا الثقافي والديني والتجاري بوجود مجموعة من المكونات والعناصر التي يتشكل منها التراث اللامادي للمنطقة ومنها:

الخيمة: تحتل الخيمة مكانة مرجعية في نظام تمثلات الرحل، كمنزل رئيسي للأسرة الصحراوية، وتأخذ بعدها ضمن إطار مجموعة من العلاقات التي تجمع عدة أفراد داخل أسرة واحدة. الخيمة الصحراوية تعتبر عاملا حضاريا وموروثا ثقافيا واجتماعيا ونفسيا ضاربا في جذور التاريخ، فهي من أبرز المقومات التي ساهمت في تدليل الصعاب أمام الإنسان الصحراوي في علاقته بالطبيعة القاسية في إطار ترحاله وتنقله بحثا عن الكأ لماشيته.



الخيمة الصحراوية

لا شك أن الخيمة تعد عاملا مشتركا بين الكثير من الشعوب والثقافات إلا أن لها خصوصية ورمزية معينة لدى الصحراويين، فهي رمز للأنس والدفء الأسري والقبلي، وهي عنوان للكرم والجود وهي عنوان للحرية والأصالة واحتضان للطبيعة.

الخيمة عنصر أساسي في موسم آسا حيث تحتضن وتستقبل زوارها عبر معارض للمنتوجات التقليدية والشعر (خيمة الشعر). وفيها يعرض التجار منتوجاتهم التجارية والصناع وغيرهم.

الجمال: الجمل عنصر أساسي ينضاف إلى الخيمة ويعتبر رمزا للإنسان الصحراوي، فالجمال شكل عبر تاريخ الصحراء محورا للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية، تغنى به الشعراء، وربط معه الإنسان

الصحراوي علاقة ألفة، واعتمد عليه بشكل أساسي في الاقتصاد، واتخذ من حليبه ولحمه غذاء أساسيا، وأنتج من الجلد والشعر أقمشة لصنع الخيام والملابس، بالإضافة إلى استخدامه في التنقل لقدرته على تحمل التعب والعطش.



الجمل الصحراوي

لذلك نجد موسم آسا ساحة وفرصة للتنافس بين الرحل لتقدم أفضل أنواع إبلهم في إطار منافسات تربية الجمال، وسباقاته وعرضه على أنظار الزوار وكذلك مناسبة لعرض التجهيزات التي يحتاجها من سرج وجام وغيرها.



سباقات الهجن بموسم آسا

حضور الفن الشعبي والإبداعي بالموسم

التراث الشفوي الصحراوي لازال حاضرا في جوانبه المختلفة في موسم آسا والذي يتجسد في الأشكال التواصلية والتعبيرية الكلامية مثل الشعر الحساني والذي تخصص له الخيمة (خيمة الشعر) وفيها يقدم الشعراء

ما لديهم من شعر، إضافة الى فنون قولية أخرى مثل الأمثال والألغاز والحكايات، والرابط بين كل ذلك اللهجة الحسانية بمعانيها الضاربة في التاريخ والمتميزة بمصطلحاتها الغنية وحمولاتها ودلالاتها الكثيرة. حضور الفن الشعبي الصحراوي يزداد بوجود الرقصات كالكدرة والهول، والمنفردة باللباس التقليدي والحلي الصحراوي، وفي السنوات الأخيرة انضافت عادة تنظيم الأعراس الجماعية تشجيعا للشباب والتخفيف عنهم من الأعباء الباهظة للأعراس الصحراوية. كما نجد الحكاية الشعبية المتميزة بالحس الأدبي الثري ومتعتها الترفيهية وهي قيمة مضافة للتراث الشفوي الحساني والذي اعتاد به الفرد التخفيف من ضغط العمل عن طريق سرد الواقع المعاش ومزجه بالخيال.

الصناعة التقليدية

تشكل الصناعة التقليدية تراثا تاريخيا للقبائل الرحل بالصحراء، وترتكز هذه الصناعة على تحويل جلد الماعز والإبل والفضة والنحاس والطين المحلي، إلى منتجات نفعية أو تحف فنية (حلي ومنتجات نحاسية...)، كما طوعت يد الحرفي الصحراوي الخشب وجعلت منه مساعدا مهما في تدبير أمور الحياة اليومية خصوصا على مستوى الطبخ، فحول الخشب الى أواني للأكل وإلى (كصعة) لتهيئ الكسكس وعجن الخبز، وصنع (الكدحة) وهي إناء لشرب حليب الإبل، وهيا الخشب ليكون (أمشقب) وهو بمثابة هودج لكن تختص به النساء فقط، كذلك الشأن بالنسبة للراحلة.

426



الراحلة وبعض المنتجات التقليدية

أما الفضة فلها حضور وازن في زينة الصحراوية، من خلال الخلخال والدملج والأحراس. كما أن جلود الماعز والإبل تستعمل في صناعة منتجات كالخيمة والنعايل من خلال وبرها.



اواني يدوية مصنوعة من النحاس والفضة

موسم آسا ظل ولازال محافظا على الذاكرة الجماعية لمنطقة آسا والصحراء كما يزخر بتراث مادي وغير مادي، والمتمثل في الخيام والإبل والطقوس البدوية، بالإضافة إلى القصر والزاوية والمسجد... مما يجعل منه مرجعا لثقافة المناطق الصحراوية وساكنتها. غير أن التراث طاله الإهمال بسبب التطور الذي عرفه والتحسينات التي أدخلت عليه شأنه في ذلك شأن معظم المواسم المغربية الأخرى. مما حتم على القائمين على شؤونه وكذا الفئات المثقفة والباحثين إعادة النظر في محتوى الموسم في السنوات اللاحقة بغية الحفاظ على هذا الموروث، كتراث غني للمنطقة وللوطن وليس موسم ذو طابع فرجوي خصوصا وأن الجهات الرسمية تعتبر التراث بأنواعه رافعة للتنمية المستدامة بالتركيز على العناية به وإعادة بناء الإنتاج الثقافي وتطويره، وخلق سبل تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية للإنسان المغربي.

427

موسم آسا في السنوات الأخيرة أصبح يضم بالإضافة إلى التجمعات الدينية والتجارية تجمعات فرجية وسهرات ومعارض وأنشطة رياضية... وغيرها مما جعل الموسم مناسبة سنوية للفرحة والسياحة وأصبح كل تجمع ديني عنصر ثانوي، الشيء الذي حول الموسم إلى مهرجان تنتظره الساكنة كل سنة باستثناء ما ارتبط بالنجيرة وطقوسها والخيام التقليدية المستعملة في إعداد الموسم.



الكدحة ورقصة الكدرة

خاتمة: نستنتج من كل ما سبق أننا بصدد تراث غني يستدعي العناية به تدوينا وصيانة وحماية وتثميننا ... لأن مثل هذا المورد أصبحت مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية في أمس الحاجة إليه، وأصبح لزاما علينا تدريسه في البرامج الدراسية واستثماره في إنشاء المتاحف الجهوية وتعريف الشباب بأهميته في التواصل ما بين الأجيال، فالتراث الصحراوي ليس فقط ماضي وتعريف مرتبط بالرمال والصحاري فقط بل هو الخيمة والجمل والحرف، واللباس التقليدي والحكاية وفنونها ... لذلك يجب المساهمة في التراث الوطني والإنساني، حتى نفهم شخصية المغرب التاريخية، شخصية المغرب الثقافية، والإمام بمجتمعنا المحلي اجتماعيا وتاريخيا وثقافيا، ولا يتأتى بذلك إلا بالخروج إلى الميدان ومعاينة كل كبيرة وصغيرة من هذه التقاليد وتدوينها.

المراجع

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، المجلد 14، دار صادر، بيروت، ط 4، 2005.
- احمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجاً.
- السوسي، محمد المختار، المعسول، ط 1، السنة 1960، مطبعة الجامعة بالدار البيضاء، ج 10.
- الشيخ سيدي محمد الكنتي (ت 1242هـ/1826م)، الرسالة الغلاوية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2003.
- المختار السوسي، سوس العاملة، ط 2، الدار البيضاء، 1984.
- المهدي السعيد، ملامح حركة جهادية بسوس والصحراء، في القرن التاسع المحجري، ايت اعزى ويهدى بزواوية آسا، ضمن أشغال ندوة: الصحراء وسوس، منشورات كلية الآداب بالرباط، 2001.
- رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع: دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1991.
- عباس الجباري، في الإبداع الشعبي، مطبعة المعارف الرباط، ط 1، مارس 1988.
- عبد الله درقاوي، مظاهر الثقافة الشعبية في إنتاج محمد المختار السوسي، ضمن أعمال الجامعة الصيفية.
- محمد السوسي مستاوي، الخصائص العامة للثقافة الإسلامية وانعكاسها على الثقافة الشعبية في جنوب المغرب، أشغال الندوة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير، بعنوان: الثقافة الشعبية، الوحدة في التنوع، 1980.
- محمد المختار السوسي، إليغ قديما وحديثا، ط 4، مطبوعات القصر الملكي، الطبعة الملكية، الرباط.
- محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر، الرباط 2006.
- محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الدار البيضاء، ط 1، 1992.
- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1410هـ - 1989م، ج 2.
- رحمة ميري، جرد التراث غير المادي، ضمن أعمال ندوة الداخلة الدولية، حول: التراث الصحراوي التاريخ والذاكرة، دار النشر ملتقى الطرق، الدار البيضاء، المغرب 2014.

- Abdelwedoud ould cheikh, nomdisme, islam et pouvoir politique dans la société Moure précoloniale, thèse pour le doctorat en sociologie, paris v, tome 1, 1985.
- D. Jacques, Meunie. le maroc soharien des origines a 1670, librairie klincksieck, 1982.
- De furst, etude sur la tribu des ait oussa, assa, 05 Aout 1939, ch : 03.
- Du puigaudeau, Ants et coutumes des maures : assa, in hesperis tamuda 1968 vol ix fasc 3.
- F.de la chapelle, les tekna du sud Marocain, paris, larose.
- Odette du puigaudeau, artset coutumes des maures, herserais talmud vol 3 1967.

السياحة والتنمية المستدامة

الدكتورة ساحلي فوزية

تبان فاروق

جامعة لونيبي علي - البلدية 2 - الجزائر

المدرسة الوطنية العليا للمناجمنت بالقلعة - الجزائر

ملخص:

السياحة تعد من أهم صناعات العالم، فهي تلعب دوراً كبيراً في الاقتصاد العالمي، فلقد ازدهرت، حتى أصبحت الآن غذاء الروح وصناعة العصر والمستقبل، وخاصة في ظل مفهوم التنمية المستدامة باعتبار أنها تبرر عمليات المحافظة على عناصر الجذب السياحي والتوازن الثقافي في المواقع السياحية، إضافة إلى أن السياحة تمكن من معرفة ماضي الشعوب وتاريخها وحماية تراثها التاريخي و الثقافي و الحضاري. و بالتالي، تعد التنمية السياحية أحد أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة لما لها من قدرة على تحسين ميزان المدفوعات و توفير فرص عمل وخلق فرص مدرة للدخل، فضلا عن المساهمة في تحسين نمط الحياة الاجتماعية و الثقافية لمعظم أفراد المجتمع، حيث تتمحور الإشكالية حول ما مدى فعالية القطاع السياحي في تحقيق التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: مفهوم السياحة، أنواعها، آثارها، أبعادها، أهميتها الاقتصادية، التنمية السياحية المستدامة.

Résumé:

Le tourisme est l'une des industries les plus importantes au monde et joue un rôle important dans l'économie mondiale. Il a fleuri pour devenir la nourriture de l'esprit et de l'industrie de l'époque et de l'avenir, en particulier dans le cadre du concept de développement durable en tant que justification de la préservation des éléments des attractions touristiques et de l'équilibre culturel dans les sites touristiques. En outre, le tourisme permet de connaître le passé et l'histoire des peuples et de protéger leur patrimoine historique, culturel, et civilisés. Par conséquent, le développement du tourisme est l'un des objectifs du développement économique et social global, car il a la capacité d'améliorer la balance des paiements, de créer des emplois et de générer des revenus, tout en contribuant à améliorer la vie sociale et culturelle de la plupart des membres de la société. Le problème réside dans l'efficacité du secteur du tourisme dans la réalisation du développement durable.

Les mots clés: Tourisme, types, effets, dimensions et importance économique, développement du tourisme durable.

مقدمة:

تعتبر السياحة نشاط ترفيهي يقوم به السائح بهدف الترويج عن نفسه والتخلص من الروتين وأعباء الحياة طيلة فترة العمل، وتضم أنواع منها: الدينية والثقافية والمغامراتية التي فيها قدر من الإثارة و الترفيه التي يغلب عليها قدر من المتعة في أهم وجهات العالم السياحية. وهي تعد واحدة من أهم مصادر الدخل في الاقتصاد الوطني للعديد من الدول، وتشكل أحد أهم القطاعات المعول عليها للمساهمة في رفع النمو الاقتصادي و من ثم تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة، كما تمثل أحد أهم مكونات الصادرات الخدمية ذات التأثير الكبير في ميزان المدفوعات، وهي من الأنشطة التي تساهم بفعالية في زيادة الناتج المحلي الإجمالي وزيادة إيرادات النقد الأجنبي. وفي ظل الاهتمام الكبير بصناعة السياحة في العالم لما تشكله من أهمية في تنمية مواردها إلى جانب مختلف الصناعات الأخرى، حيث أن استمراريتها تشكل موردا لا ينضب خلافا للنفط وبقية المعادن والثروات الأخرى الباطنية، إضافة إلى آثارها الإيجابية في إبراز الجوانب الحضارية والأثرية والتاريخية و تعريف سكان العالم بنهضتها. ولهذا فالإشكالية المطروحة في هذا الصدد هي: ما مدى مساهمة التنمية المستدامة في فعالية القطاع السياحي، وما أهميتها في التنمية الاقتصادية لمختلف المجتمعات و الدول؟

أولاً- مفهوم السياحة: تنوّعت التعاريف الواردة بشأن السياحة في الأدبيات الحديثة تبعاً لتنوّع معايير التمييز بينها، فمنهم من يعرفها كظاهرة اجتماعية، و يمكن تسليط الأضواء على بعض من هذه التعاريف:

- **تعريف للألماني "جوير فرويلر" عام 1905،** والذي عرّفها كما يلي: "السياحة ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وتغيير الهواء، وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس، و الشعور بالبهجة و المتعة، و الإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة، وأيضاً نمو الاتصالات وخاصة بين الشعوب و أوساط مختلفة من الجماعات الإنسانية، و هي الاتصالات التي كانت ثمرة اتّساع نطاق التجارة و الصناعة سواء أكانت كبيرة أو متوسطة أو صغيرة و ثمرة تقدم وسائل النقل⁽¹⁾. من هذا التعريف نجد أنّه ركّز على الجانب الاجتماعي للسياحة و أهمل الجانب الاقتصادي.

- **وحسب تعريف "شوليرن شرانتنهومن" "Schullard.h.v" النمساوي عام 1910⁽²⁾:** السياحة هي الاصطلاح الذي يطلق على أي عمليات خصوصاً العمليات الاقتصادية التي تتعلق بوفود وإقامة وانتشار الأجانب داخل وخارج منطقة معينة أو أية بلدة ترتبط بهم ارتباطاً مباشراً. حيث يرى "ايدموند بكارد Edmond Picard" أن المهمة التي تقوم بها السياحة والمدى الواسع التي تعمل فيه كل فروعها لا يتضح فقط من وجهة نظر أولئك السائحين ولكن من الوجهة المالية، أي من جهة الأموال الوفيرة التي ينفقها السائح وينتفع بها أولئك الذين ينتقل إليها السائح، ويتجول في بلدانهم وتكون الفائدة مباشرة لصناعة الفنادق

(1) أحمد الجلاد، التخطيط السياحي و البيئي بين النظرية و التطبيق، عالم الكتاب، ط1، القاهرة، 1988، ص.108.

(2) محمود كامل، السياحة الحديثة علماً و تطبيقاً، بدون دار النشر، 1975، ص 16.

وغير مباشرة عن طريق المصاريف التي ينفقها السائح لإشباع رغباته سواء من أجل التعليم أو المتعة¹.

- **سياحة حسب تعريف جون ميشو:** و هو مسؤول في المجلس الأعلى للسياحة الفرنسي، عرف السياحة كما يلي "السياحة هي نشاط يحتوي على عمليتي إنتاج و استهلاك تختم تنقلات خاصة بها خارج مقر الإقامة الأصلي ليلة على الأقل، حيث يكون السبب هو التسلية، التداوي، اجتماعات، زيارة المقدسات الدينية وتجمعات رياضية².

- أما السياحة بالمفهوم الحديث هي ظاهرة طبيعية من ظواهر العصر الحديث والأساس منها الحصول على الاستجمام وتغيير الجو والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان والوعي الثقافي المنبثق لتذوق جمال المشاهد الطبيعية ونشوة "الاستمتاع بجمال الطبيعة"³. أما "نورفال" فقد سلط السياحة على الأجانب فقرر أن السائح هو الشخص الذي يدخل بلدا أجنبيا لأي غرض عدا اتخاذ هذا البلد محل إقامة دائمة أو العمل من هذا البلد عملا منتظما مستمرا والذي ينفق في هذا البلد الذي يقيم فيه مالا كسبه في مكان آخر⁴

إلا أن هناك تعريفا شاملا ل: "هونزيكير" السويسري رئيس الجمعية الدولية لخبراء السياحة، وهو "مجموع العلاقات والظواهر التي تترتب مع سفر وعلى إقامة مؤقتة لشخص أجنبي في مكان ما طالما أن هذه الإقامة المؤقتة دائمة و طالما لم ترتبط هذه الإقامة بنشاط يغلب لهذا الأجنبي⁵. ويرجع الأستاذ "شمولر جوستاف" وهو خبير سياحي، أن منشأ السياحة يعود إلى نشأة الإنسان نفسه وأن حاجات الإنسان الغريزية كالطعام والأمن هي التي دفعته إلى السفر والترحال، فعندما كانت منطقته لا توفر له حاجياته من الطعام والأمن بدأ يبحث عن مناطق توفر له ذلك، إضافة إلى رغبة الإنسان في التغيير المؤقت لمكان إقامته وهو ما نسميه اليوم "السياحة" كذلك ساهمت الديانات في نشأة وتطور السياحة ومن أهمها الديانة الإسلامية والتي تشمل الزيارة إلى الأماكن المقدسة ومن أهمها الحج الذي يلعب دورا فعلا في تنمية وتطوير السياحة مع تقديمها وتعريفها للغير⁶. وتم عن طريق الترحال اكتشاف قارات بأكملها. وفي اجتماع عقده هيئة الأمم المتحدة في روما سنة 1963 وتحت عنوان السياحة الدولية جاء تعريف السائح الدولي على أنه "كل شخص يكون موجودا بشكل مؤقت في دولة أجنبية ويعيش خارج مكان سكنه الأصلي خلال أربع وعشرين (24) ساعة أو أكثر.

¹ محمد مرسي الحريزي، جغرافية السياحة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1991، ص.183.

² G.P, La zone géographique du tourisme, Edition Maison, Paris, 1990, p.13

³ محمود كامل، مرجع سابق، ص 16.

⁴ مروان السكر، مختارات من الاقتصاد السياحي، مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، 1999، ص 13.

⁵ محمد مرسي الحريزي، مرجع سابق، ص.18.

⁶ محمود كامل، مرجع سابق، ص.16.

وكذلك عرفت لجنة خبراء الإحصائيات التابعة لهيئة الأمم المتحدة عام 1937 السائح هو " أي شخص يزور بلدا ما غير تلك التي يقيم عادة فيها لفترة لا تقل عن أربعة وعشرين (24) ساعة¹.

- مصطلحات سياحية:

إذا كان المختصون قد اتفقوا على مفهوم السياحة أو تقاربوا في معانيها، فإنهم قد اختلفوا حول المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بهذا النشاط:

- التنمية السياحية: تتمثل في توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات رغبات السياح، تشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل إيجاد فرص عمل جديدة ومداخل جديدة².
- الجذب السياحي: ويشمل جميع المقوما المعطيات الطبيعية الحضارية التاريخية الثقافية والفنية لبلد ما.
- الزيارة السياحية، كذلك خدمات البنية التحتية وهيكلها، وخدمات البنية السياحية الأساسية في ذلك البلد، وعناصر الجذب السياحي ككل تشكل العرض السياحي.
- الانطباع السياحي: وهو الانطباع الذهني الحاصل بفعل تأثير السائح بالموقع السياحي ومظهره أين ينظر من خلالها الزائر للموقع وتقييمه له، مما يستدعي أن تكون هذه الصورة أصلية وصادقة واقعية لتحوز الرضا والقبول لدى السائح و هو غاية ما يطمح إليه القائمون على التنظيم السياحي.
- المنتج السياحي: ويقصد به المعطيات الطبيعية من تربة ومناخ وغطاء نباتي و ثروة حيوانية تشكيلات جيولوجية وخصائص الموقع الجغرافي، و مناخ و طقس و موارد مائية في أشكالها المتعددة... الخ، وكذلك العوامل الحضارية والثقافية من لغة، عقلية، ذهنية، ضيافة، ثقافة، عادات وتقاليد، وغيرها. وكل ذلك مرتبط بالبنية التحتية والخدمات السياحية الأساسية كالفنادق، وتشمل البنية التحتية جميع الاحتياجات والمطالب الضرورية العادية والكمالية التي يحتاجها السائح كشبكة المواصلات وسائل الاتصال الطرق والمياه والكهرباء والفنادق أماكن الإيواء والتأهيل والاستراحات والمرافق الفنية من مسارح و دور العرض و ما إلى ذلك.
- وقت الفراغ: يعرف على أنه الوقت المتبقي بعد تأدية العمل و النوم، بمعنى أدق هو كل ما يتبقى للفرد من وقت بعد وقت العمل و النوم و قضاء الحاجات الأساسية الأخرى³.
- الزائر: تعرفه منظمة السياحة العالمية على أنه الشخص الذي يزور دولة غير التي يقيم فيها بشكل دائم لأي سبب من الأسباب غير الحصول على وظيفة أو عمل بأجر في الدولة التي يزورها.

¹Gerard Guibilato, *Économie touristique*, Éditions Delta-Spes, Denges, Verne-Paris, 1983, p.14.

²فريدة بلقران، "الإجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر"، مجلة علمية نصف سنوية، تحت عنوان "دور الآثار في ترقية السياحة الثقافية"، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 5، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003.

³عثمان محمد غنيم و بنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل و متكامل، دار صفاء للنشر و التوزيع، ط 02، عمان، الأردن، 2003، ص53.

➤ المنتزه: هو زائر مؤقت يمكث أقل من 24 ساعة في البلد المضيف و لا يدخل في هذا التعريف المسافر أو العابر¹.

ثانيا- أنواع السياحة: تختلف أنواع السياحة وتعدد تبعا لتنوع الرغبات والاحتياجات المختلفة، وقد صنفت أنواع السياحة تبعا للمعايير الآتية:

أ/ حسب عدد الأشخاص: هناك عدة أنواع حسب هذا المعيار وهي²:

- السياحة الفردية: هي سياحة لا تعتمد على برنامج منظم أو محدد وهي غير منظمة ويقوم بها مجموعة أو شخص واحد لزيارة بلد أو مكان ما، وتتراوح مدة إقامتهم حسب تمتعهم بالمكان أو حسب وقت الفراغ المتوفر لديهم.

- السياحة الجماعية: وهي عكس الأولى، فهي منظمة، حيث يتم ترتيب وتنظيم كل شيء مسبقا من طرف الشركات السياحية.

ب/ حسب وسيلة النقل المستعملة: بالنسبة لهذا المعيار نجد ما يلي³:

ج/ حسب السن: طبقا لهذا المعيار نجد:

- سياحة الطلائع: ترتبط بالسن من 07-14 سنة، وتكون في إطار رحلات استكشافية، أو رحلات تعلم السياحة أو التعرف على الطبيعة وتنظم من طرف الشركات أو النقابات أو الجمعيات الخيرية.

- سياحة الشباب: في هذا النوع يكون هناك البحث عن الإثارة، والبحث عن الحياة الاجتماعية وهذا لارتباطه بالسن الذي يتراوح ما بين 15-21 سنة.

- الراحة والاستجمام.

- سياحة المتقاعدين: يشارك فيها كبار السن وتكون لفترات طويلة وأسعار مرتفعة.

د/ حسب مدة الإقامة:

- السياحة الموسمية: وهي سياحة تتعلق بقضاء السائح لعطلته في مكان وموسم معين ومدتها من شهر إلى ثلاثة أشهر، وتتميز بالدورية والتكرار.

- سياحة عابرة: وتكون عن طريق تنقل السواح بالطرق البرية ومرورهم الاضطراري في طريقهم على بلد معين، أو الهبوط الاضطراري لطائرة في مطار ما⁴.

¹ نفس مرجع، ص.26.

² ماهر عبد العزيز، صناعة السياحة، دار زهران، مصر، 1997، ص.52.

³ يسرى دعيبس، السياحة، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، القاهرة، 2001، ص.113.

⁴ نفس المرجع، ص.128.

هـ/ حسب الجنس ومستوى الإنفاق والطبقة الاجتماعية: هناك نوعان حسب الجنس: سياحة الرجال وسياحة النساء، أما مستوى الإنفاق يوجد سياحة للذين لديهم دخل مرتفع فهم يسافرون بوسائلهم الخاصة، وهناك سياحة الطبقة المتميزة التي تستخدم النوعيات الممتازة من الخدمات، والسياحة الاجتماعية أو العامة لذوي الدخل المحدودة.

ي/ حسب المناطق الجغرافية:

- السياحة الداخلية، وهي تنقل الأفراد داخل البلد نفسه، وهو يحتاج إلى نوع معين من الخدمات والأسعار.

- السياحة الخارجية: وتعتمد على السياح الأجانب، وتسعى كل دولة على تشجيع هذا النوع من السياحة لجلب العملة الصعبة، ويعتمد على عناصر جذب داخلي بشكل سليم، وخاصة البنى التحتية والأمن والاستقرار، وكذا الانخفاض في الأسعار¹.

ن/ حسب الجنسية:

- سياحة الأجانب، تنظم لجذب السواح الأجانب، بتلبية رغباتهم المختلفة.

- سياحة المقيمين خارج البلد، تنظم رحلات سياحية لزيارة البلد

خ/ حسب أغراض السياحة: سياحة المتعة (الترفيه والاستجمام): وهي لقضاء العطل، وتعد من أقدم أنواع السياحة التي عرفها العالم.

- السياحة الثقافية: بزيارة الأماكن الأثرية والمتاحف والمعابد.

- السياحة الإستشفائية: تهف إلى العلاج أو قضاء فترات النقاهة.

- السياحة الرياضية: تهدف إلى ممارسة الأنشطة الرياضية في بلدان أخرى.

- السياحة التجارية: يقوم بها رجال الأعمال والتجار، يزورون المعارض والأسواق التجارية.

- السياحة الدينية: زيارة الأماكن المقدسة وذات الطابع التاريخي كمكة المكرمة.

ح/ حسب أماكن النوم: تقسيم السياحة حسب أماكن النوم إلى الأنواع الآتية²:

- السياحة في الفنادق: تستخدم للنوم وإقامة وهي من أكثر الأنواع استخداما وتفضيلا، خاصة من طرف السياح كبار السن والمتزوجين، وتؤمن راحة عالية وتقدم خدمات سياحية متكاملة تشمل الخدمات الأساسية.

➤ السياحة في الموتيلات: أصل كلمة موتيل أمريكي، هي اختصارا للكلمتين "موتور" و "أوتيل"، والموتيل يمثل فندق للسياح الذين يسطحون معهم مركباتهم أثناء السفر، و تطور هذا النوع من السياحة بداية

¹ أكواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص.44.

² نفس المرجع، ص.15.

في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين الحربين العالميتين، و بنيت على جوانب الطرق الطويلة ليستريح فيها المسافرين و يصلحون مركباتهم، و مدة إقامة المسافرين قليلة لا تزيد عادة عن ليلة واحدة.

➤ السياحة في القرى السياحية: ظهرت القرى السياحية في البداية في فرنسا والنمسا بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت مخصصة لأعضاء النوادي السياحية وأصبحت حاليا مواقع سياحية لجميع السياح و بينت فيها المرافق الحديثة.

➤ السياحة في البانسيونات: وهي فنادق صغيرة ومعظم أصحابها ورثوها عن أجدادهم الأرستقراطيين، وهي تشمل بنايات كبيرة متكاملة، وهذا النوع من البانسيونات موجود بشكل كبير في فرنسا وإيطاليا واليابان.

➤ السياحة في المخيمات: هذا النوع من السياحة يتطور بسرعة كبيرة جدا، وسبب هذا التطور هو أن الناس يجنون الاقتراب من الطبيعة والابتعاد عن الانزعاج و الضجيج، و هذا النوع يعتبر رخيص للسياح الشباب الذين لا تتوفر لديهم الأموال الأزمة¹.

ثالثا- آثار السياحة:

لقد أصبح للسياحة دورا في النشاط الاقتصادي وواقعة يقر بها الجميع، وعليه كغيره من الأنشطة الاقتصادية لها آثار إيجابية، و آثار سلبية.

أ/. الآثار الإيجابية:

- تحقيق التطور الاقتصادي والرفاهية من خلال زيارة الدخل الوطني وتحسين وضعية ميزان المدفوعات.

- توفير مناصب شغل جديدة، و تحقيق الاتصال الحضاري و المزيج الثقافي مع الشعوب.

- الحفاظ على الآثار التاريخية و العادات والتقاليد الوطنية و الارتقاء بها عالميا.

- ترقية الصناعات التقليدية و إثراء التراث الثقافي و توفير العملة الصعبة نتيجة دخول الأجانب.

ب / الآثار السلبية: من جهة أخرى لا تخلو أيضا السياحة من الآثار السلبية نذكر منها ما يلي:

- الانحلال الخلقي نتيجة تصادم الأفكار و الطبائع..

- ظهور آفات خطيرة في المجتمع نتيجة التقليد وكذا الأمراض الفتاكة.

- البناءات الفوضوية التي تلتف الطبيعة والأراضي الفلاحية.

- الانقسام الطبقي الذي يظهر لنا سياحة رقيقة وأخرى دنيا.

- فقدان الهوية الوطنية والتقاليد في حالة عدم إعطائها أهمية خاصة.

- ظهور عادات استهلاكية في الدول النامية لا تتناسب مع مستوى معيشتها نتيجة الحركة السياحية الخارجية،

كما للسياحة تأثيرات مباشرة وأخرى غير مباشرة على القطاعات الأخرى كقطاع النقل والصحة

¹ نفس المرجع، ص.20.

والثقافة... الخ. وكذلك تتميز السياحة بمجموعة خصائص كونها غير ملموسة، وأنها عبارة عن منتج مركب، تؤثر وتتأثر بالقطاعات الأخرى.

رابعاً- أبعاد السياحة:

لم تغفل المنظمة العالمية للسياحة البعد الاقتصادي البشري، الاجتماعي والثقافي للسياحة، عند إعداد القانون العالمي لأخلاقيات السياحة في شهر أكتوبر 1999 بسنتياغو (الشيلي)، والذي نص على¹: مساهمة السياحة في التفاهم بين الإنسان والمجتمع والاحترام المتبادل بينهما، السياحة عامل ازدهار شخصي وجماعي، السياحة عامل تنمية مستدامة، السياحة تشغل التراث الثقافي والبشري وتساهم في إثرائه، السياحة نشاط ذو منفعة للبلد المستقبل، التزامات الفاعلون في مجال التنمية السياحية، الحق في السياحة (السياحة للجميع) حقوق العاملين والمستثمرين في الصناعة السياحية، و تطبيق مبادئ القانون العالمي لأخلاقيات السياحة. وتنص هذه المبادئ على القواعد التي يجب أن يحترمها مختلف الفاعلين (الاتجاهات، الحكومات، المتعاملين، وكلاء الرحلات، عمال القطاع، السواح). ويحدد المبدأ الأخير إجراءات تطبيقها لإنشاء لجنة دولية لأخلاقيات السياحة، والتي تتولى الفصل في النزاعات المرتبطة بتطبيق القوانين أو توضيحها. وتعتبر المنظمة العالمية للسياحة القانون الدولي لأخلاقيات السياحة، بمثابة الإطار المرجعي لتطوير السياحة بشكل عقلاني ومستدام مع مطلع الألفية الجديدة.

خامساً- الأهمية الاقتصادية للسياحة:

تكمن أهمية السياحة من حيث الإنفاق السياحي ويشمل شراء السلع والخدمات المتعلقة بالسفر والإقامة والمواصلات وغيرها، وهذا الإنفاق هو بمثابة تحويل للأموال من طرف السائحين إلى المستقبلين للسواح، كما تساهم هذه المداخل في عملية ترميم والتحديث للمرافق السياحية. كما أن الحركة السياحية لها تأثير فعال على جميع القطاعات الأخرى من خلال ما يلي:

أ/ قطاع النقل: يساهم قطاع السياحة في تفعيل الحركة البرية والجوية والبحرية هذا ما سيؤدي إلى زيادة مداخل هذه الأخيرة، كما أنه يجب أن تركز الاستثمارات للتوسيع وتحسين الطرقات وتسهيل الوصول إلى المناطق البعيدة التي من شأنها، تشجيع السياحة في البلد

ب/ قطاع الصحة: يوظف قطاع السياحة في مراكز الحمامات والأماكن العائلية، وأماكن الراحة مسيرين وأطباء، كما تعمل الوزارة الوصية على احترام المعايير الضرورية لفتح الحمامات بهدف تحسين نوعية الخدمات المقدمة.

(1) ج/ قطاع التجارة: وهذا من خلال العملة الصعبة التي تجلبها السياحة للبلد المضيف، وعليه فإن قطاع السياحة غير متجانس ويشمل العديد من قطاعات الأنشطة السياحية الاقتصادية والمعتمدة على السياحة

¹ نفس المرجع، ص.ص. 42-49

بشكل أساسي أو غير مباشر أو جزئي، ونعني بالنشاطات الأساسية هي مجمل المناصب الناتجة من الوحدات السياحية، كالمطاعم والنقل والوكالات السياحية، أما النشاطات الغير المباشرة فهي تلك المرتبطة بالنشاط السياحي، كالبناء والمعدات والأثاث، النشاطات الجزئية هي المناصب المرتبطة بجانب الطلب من السياحة وهي السلع والخدمات المستهلكة من طرف السائح كالمواد الغذائية¹.

د/ أثر السياحة على ميزان المدفوعات: يعرّف ميزان المدفوعات على أنه سجل منتظم، تقيد فيه كافة المعاملات الاقتصادية التي تجري بين الأشخاص المقيمين على الأقاليم دول أخرى خلال فترة زمنية عادة ما تكون سنة، وينقسم ميزان المدفوعات إلى قسمين، جانب مدين و آخر دائن، فالأول يتضمن كافة العمليات التي تقوم الدولة بدفعها إلى الخارج، و الجانب الثاني فيتضمن العمليات التي تحصل فيها الدولة على حقوق من العالم الخارجي.

✓ الميزان السياحي:

إن كل دولة لها حركة مزدوجة للسواح، في نفس الوقت تستورد وتصدر السائحين ويتضمن ميزان المدفوعات النفقات والإيرادات السياحية، و التي هي بدورها عنصرا من عناصر ميزان المدفوعات تحت اسم السياحة أو في المجموع الجزئي لميزان السلع والخدمات و في كثير من الدول التي تولى أهمية كبيرة لقطاع السياحة يعد ميزان المدفوعات فرعي و يمثل الميزان السياحي الذي يبين رصيده الصافي مدى تأثير السياحة فيه، و يمكن أن يكون هذا الرصيد إما موجبا و يوحى بوجود فائض في الميزان السياحي كتونس و ايطاليا و إما سالبا، و يوحى بوجود عجز في المجال السياحي. فإذا كان معدوما فهذا يعني وجود توازن بين مدخلات ومخرجات الميزان السياحي، أما إذا كان الرصيد موجبا فإنه إما أن يزيد من فائض ميزان المدفوعات أو ينقص من عجز هذا الميزان وذلك حسب الوضعية، و إذا كان سالبا فإن هذا إما يخفض من الفائض أو يزيد في العجز، و في كثير من الدول النامية خاصة توضع العملة الصعبة كهدف أساسي تتوخاه من النشاط السياحي وذلك لأجل مساهمته في عملية التنمية من خلال شراء المعدات والتجهيزات الضرورية و كذا تعديل الميزان التجاري. كما تساعد السياحة الدولية على تعزيز خطوط المواصلات الدولية، فأصبحت السياحة و وسائل النقل مترابطة وغير منفصلة عن بعضها البعض، ونتيجة هذا الترابط ظهرت علاقات دولية معقدة و بتطور السياحة وصل التنسيق في مجالات النقل إلى أعلى درجات، ومن خلال تسارع عملية حركة السياح من مكان سكنهم الأصلي إلى غاية الأماكن السياحية، وعليه فالسياحة الدولية تؤثر على تطور و تحسين أنواع وسائل النقل المختلفة الضرورية واللازمة للسياحة الدولية، وتستخدم السياحة الدولية من قبل الدول الكبرى كأمريكا وبريطانيا، كأداة اقتصادية للتأثير على الدول الأخرى من خلال ما يلي²:

¹ عبد الوهاب رزيق، "منتدى الاستثمار في شمال إفريقيا"، المركز الإنمائي لشمال إفريقيا، نشرة التنمية، العدد 8، طنجة المغرب، ديسمبر 2001، ص.60.

² R. draisine, Le tourisme publication universitaire d'études européennes, Genève, 1985, p.107.

- توجيه أو منع مواطنيهم من التوجه لمناطق أو دول سياحية معينة، عقد اتفاقيات تبادل سياحية خلال ظروف غير جيدة للدول الضعيفة، فرض ضرائب وغرامات مرتفعة على السياح الأجانب تضاف إلى التذاكر السياحية لتبادل السياح حسب القانون السياحي الدولي.
- الاشتراك في المنظمات الدولية للسياحة الرسمية وغير رسمية للمساعدة على تطوير السياحة الدولية.
- استخدام رؤوس الأموال الأجنبية لبناء البنية التحتية لتلبية احتياجات السياحة الدولية.
- تحسين وإتمام نظام العلاقات المالية في السياحة الدولية.
- توسيع وتعميق التعاون وتبادل المساعدات في مجال الدعاية والإعلان السياحي وغيرها¹.

سادسا- التخطيط السياحي أهميته وأهدافه:

ارتبط ظهور التخطيط السياحي وتطوره وكذلك أهميته ب بروز السياحة كظاهرة حضارية سلوكية من ناحية وظاهرة اقتصادية واجتماعية من ناحية أخرى. ولقد نجم عن النشاطات السياحية الكثيفة نتائج وآثار اقتصادية اجتماعية وثقافية وبيئية وعمرانية، كان لها اثر عظيم في حياة المجتمعات والشعوب في عصرنا الحاضر، الأمر الذي استدعى توجيه الاهتمام إلى ضرورة تنظيم وضبط وتوجيه وتقييم هذه النشاطات لوصول إلى الأهداف المنشودة وبشكل سريع وناضج، مما ترتب عليه اعتماد وتبني أسلوب التخطيط السياحي كعلم متخصص يتناول بالدراسة والتحليل والتفسير جميع الأنشطة السياحية و العمل على تطويرها. يعرف التخطيط السياحي على أنه أسلوب تنظيمي، يهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال فترة زمنية معلومة، وذلك عن طريق حصر إمكانية المجتمع السياحية، سواء كانت مادية أو بشرية، وتعريفها وتحريكها نحو تحقيق أهداف المجتمع وفلسفته الاجتماعية التي ارتضاها إطاراته لوجوده و نمو². ويعرف أيضا على أنه: نوع من أنواع التخطيط التنموي، وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات المرحلية المقصودة والمنظمة والمشروعة، التي تهدف إلى استغلال واستخدام أمثل لعناصر الجذب السياحي المتاح والكامن والأقصى درجات لمنفعة، مع متابعة وتوجيه وضبط لهذا الاستغلال لإبقائه ضمن دائرة المرغوب والمنشود، ومنع حدوث أي نتائج أو آثار سلبية ناجمة عنه³، ويعتبر التخطيط السياحي نموذجا خاص من التخطيط الاجتماعي والاقتصادي والطبيعي، ينفرد باهتمامات تنبثق من طبيعة و دوافع النشاط السياحي، ولما كانت السياحة من الأنشطة التي تتداخل في عدة قطاعات داخل الدولة⁴، وتؤثر تأثيرا مباشرا في التنمية الاقتصادية، فخطتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بالخطط الموضوعة لسائر القطاعات الأخرى، وأن تتلاءم معها بل وتكون معها أجزاء متكاملة من الخطة العامة للتنمية في الدولة. ويرتبط نمو الفوائد السياحية دون ظهور مشكلات اقتصادية واجتماعية وبيئية وثقافية من

¹ عبد الوهاب رزيق، مرجع سابق، ص.62.

² منال شوقي عبد المعطى أحمد، أسس التخطيط السياحي، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2011، ص.55.

³ عثمان محمد غنيم، التخطيط السياحي، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص.40.

⁴ منال شوقي عبد المعطى أحمد، مرجع سابق، ص.46.

النشاطات السياحية المختلفة بمدى الأخذ بالتخطيط السياحي السليم و أساليب الإدارة الناجحة لذلك، فان التخطيط السياحي مهم و لا يقل في الأهمية عن أي نوع من أنواع التخطيط التنموي الأخرى، لذلك فان التخطيط السياحي ضروري و حيوي و يمكن حصر أسباب ذلك فيما يلي¹:

أ- يساعد التخطيط للتنمية السياحية على تحديد وصيانة الموارد السياحية والاستفادة منها بشكل مناسب في الوقت الحاضر والمستقبل.

ب- يساعد التخطيط السياحي على تكامل وربط القطاع السياحي مع القطاعات الأخرى وعلى تحقيق أهداف السياسات العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية على كل المستويات.

ج- يوفر أرضية مناسبة لأسلوب اتخاذ القرار لتنمية السياحة في القطاعين العام والخاص، من خلال دراسة الواقع الحالي والمستقبلي مع الأخذ بعين الاعتبار الأمور السياسية والاقتصادية التي تقررها الدولة لتطوير السياحة و تنشيطها.

د- يوفر المعلومات والبيانات والإحصاءات والخرائط والمخططات والتقارير والاستبيانات ويضعها تحت يد طالبها، ويساعد على زيادة الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية من خلال تطوير القطاع السياحي، وتوزيع ثمار تنميته على أفراد المجتمع، كما يقلل من سلبيات السياحة.

هـ- يساعد وضع الخطط التفصيلية لرفع مستوى السياحي لبعض المناطق المتميزة والمتخلفة سياحيا ويساهم في استمرارية تقويم التنمية السياحية و مواصلة التقدم في تطوير هذا لنشاط والتأكيد على الإيجابيات وتجاوز السلبيات في الأعوام اللاحقة.

ز- يساعد على وضع الأسس المناسبة لتنفيذ الخطط والسياسات والبرامج التنموية السياحية عن طريق إنشاء الأجهزة و المؤسسات لإدارة النشاط.

وقد أثبتت التجارب في العديد من دول العالم أنه يمكن تحقيق عائدات سياحية دائمة من خلال اعتماد التخطيط السليم و المناسب، و يمكن لهذه العائدات أن تتضاعف في حال استمرار التخطيط الواعي والناصح الذي يسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف أهمها²:

- تحديد أهداف التنمية السياحية قصيرة وبعيدة المدى ، وكذلك رسم السياسات السياحية ووضع إجراءات تنفيذها و ضبط و تنسيق التنمية السياحية التلقائية و العشوائية.

- تشجيع القطاعين العام والخاص على الاستثمار في مجالات التسهيلات السياحية أينما كان ذلك ضروريا، وصنع القرارات المناسبة و تطبيق الاستخدامات المناسبة في المواقع السياحية.

¹ محمود حسين الوادي، دور التخطيط السياحي في إقامة صناعة سياحية متطورة في إطار تنمية مستدامة عامة في المملكة الأردنية الهاشمية، مقدم إلى الملتقى العلمي الدولي حول اقتصاديات السياحة و دورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس 2010، ص.16.

² نفس المرجع، ص.17.

- مضاعفة الفوائد الاقتصادية والاجتماعية للنشاطات السياحية لأقصى حد ممكن وتقليل كلفة الاستثمار والإدارة لأقل حد ممكن، والحيلولة دون تدهور الموارد السياحية وحماية النادر منها.
 - تنظيم الخدمات العامة و توفيرها في المناطق السياحية، و استدامة المحافظة على البيئة.
 - توفير التمويل من الداخل والخارج اللازم لعمليات التنمية السياحية.
 - تنشيط النشاطات السياحية مع الأنشطة الاقتصادية الأخرى بشكل تكاملي.
- سابعاً- التنمية السياحية:**

أصبحت الوجهات السياحية تواجه ضغطاً على بيئتها الطبيعية والثقافية والاجتماعية، نتيجة للتوسع في قطاع السياحة و انتهاج برامج التنمية السياحية، حيث إن النمو الحالي للسياحة والهادف إلى تحقيق فوائد قصيرة الأجل كثيراً ما يؤدي إلى حدوث آثار سلبية على البيئة والمجتمعات، ومن هذا المنطق كان التفكير في اعتماد سياسة تعمل على الاستدامة والمحافظة على الإرث الموجود بالنسبة للأجيال الحالية والمستقبلية من أجل أن يكون هذا القطاع أكثر فعالية و يعود بالشكل الإيجابي على البلدان.

أ- مفهوم التنمية السياحية محدداتها ومراحل إعدادها:

تعتبر قضية التنمية السياحية من القضايا المعاصرة، كونها تهدف إلى زيادة الدخل الفردي الحقيقي، وبالتالي تعتبر أحد الروافد الرئيسية للدخل القومي، وكذلك ما تتضمنه من تنمية حضارية شاملة لكافة المقومات الطبيعية والإنسانية والمادية، ومن هنا تكون التنمية السياحية وسيلة للتنمية الاقتصادية.

- مفهوم التنمية السياحية: يعبر مصطلح التنمية السياحية عن:

- مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستمرة المتوازنة في الموارد السياحية وتعميق وترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي، وهي عملية مركبة ومتشعبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها البعض ومتداخلة فيما بينها، تقوم على محاولة علمية وتطبيقية والوصول إلى الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي الأولية من إطار طبيعي وحضاري، والمرافق الأساسية العامة والسياحية من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي وربط كل ذلك بعناصر البيئة واستخدامات الطاقة المتجددة وتنمية مصادر الثروة البشرية للقيام بدورها المرسوم في برنامج التنمية¹، وتعرف أيضاً على أنها " توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات السياح، وتشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل: إيجاد فرص عمل جديدة و مداخل جديدة"². ويذهب "دوقلاس بيرس" إلى أنه يمكن تعريف التنمية السياحية على أنها "مد أو توسيع قاعدة التسهيلات والخدمات لكي تتلاقى مع احتياجات السائح"³.

¹ نشوى فؤاد، التنمية السياحية، دار الوفاء للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2008، ص 09.

² عيسى مرازقة، التنمية السياحية المستدامة في الجزائر دراسة فعالية و أداء مؤسسات القطاع السياحي، الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس، 2010، ص.05.

³ نشوى فؤاد، مرجع سابق، ص.09.

- تأخذ التنمية السياحية طابع التصنيع المتكامل والذي يعني تشييد وإقامة مراكز سياحية تتضمن مختلف الخدمات التي يحتاج إليها السائح أثناء إقامته بها وبالشكل الذي يتلاءم مع القدرات المالية للفئات المختلفة من السائحين. وكونها أيضا تتضمن مجموعة من الأهداف منها: تحقيق الزيادة المستمرة والمتوازنة في الموارد السياحية للدولة بدعم القدرة التنافسية لصناعة السياحة، تدعيم الارتباط الإنتاجي بين القطاع السياحي والقطاعات الأخرى، والمساهمة في تنمية البيئة والمحافظة عليها من خلال الاهتمام بمناطق الجذب السياحي وما يحيط بها من المدن والأماكن المختلفة¹.

- **محددات التنمية السياحية:** السياحة بدورها ككل نشاط اقتصادي تتطلب محددات من شأنها أن تساهم في تنمية هذا النشاط حيث نجد أن أهم محددات التنمية السياحية تتمثل في²:

1- توفير التسهيلات السياحية: تستدعي التنمية السياحية توفر المرافق الأساسية بصورة كافية و بشروط ملائمة من مياه وكهرباء وقنوات الصرف الصحي وتوفير الأمن وشبكة الطرق وحركة لنقل المختلفة وتوفير وسائل الاتصال ووسائل تسهيل المعاملات.

2- الموقع الجغرافي: يعتبر العنصر الجغرافي عنصر مهم في التدفق السياحي و يعتبر الموقع المناسب القريب من الأسواق الرئيسية المصدرة للسياحة عاملا أساسيا للتنمية لكون نفقات النقل من المنطقة السياحية تمثل أهمية كبيرة في نفقات الرحلة السياحية، و عليه فإن الموقع الجغرافي للمنطقة السياحية يلعب دورا كبيرا في حركة السياحة الدولية لاعتبارات توفير الوقت و انخفاض التكلفة و تنوع وسائل المواصلات.

3- طبيعة ومصدر الاستثمارات في السوق السياحي: يتطلب النشاط السياحي موارد مالية ضخمة لإنشاء المرافق والمنشآت السياحية الأساسية كالفنادق والمراكز السياحية وغيرها من المشاريع التي تخدم القطاع السياحي، ونظرا لكون الاستثمارات التي تخدم القطاع السياحي بصورة مباشرة تتطلب حجما كبيرا من التمويل مما يجعل القطاع الخاص في الدول النامية مقبلا على الاستثمار في المجال السياحي نظرا لبقاء الاستثمار في أصول ثابتة (من 20 إلى 25 سنة)، وأيضا ما يحدث من اضطرابات في السوق السياحي والتغيرات السياسية والاجتماعية، وبالإضافة إلى مشكل موسمية الطلب السياحي، لذلك عملت الكثير من الدول النامية إلى تقديم قروض طويلة الأجل والاستفادة من الشركات السياحية المتعددة الجنسيات.

4- تقديم حوافز للمشاريع السياحية: تعتمد الدول النامية على تقديم حوافز وتشجيعات لدعم الاستثمارات السياحية وتتراوح هذه الإجراءات بين تهيئة المناخ المناسب للاستثمارات الخاصة إلى تقديم مساعدات مالية، وتستهدف هذه الحوافز إلى تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في المشاريع السياحية والفندقية.

¹ بودي عبد القادر، أهمية التسويق السياحي في تنمية السياحة المستدامة بالجنوب الغربي، الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس، 2010، ص.04.

² نبيل الروبي، اقتصاديات السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية للنشر و التوزيع، مصر، 1998، ص.22.

- 5- كفاءة الإدارة السياحية والتنظيم الفعال:** يشترط في التنمية السياحية توفر جهاز إداري يتميز بالمرونة في اتخاذ القرارات، فالسياحة باعتبارها قطاع مركب من عدة صناعات ونشاطات تحتاج إلى معالجة خاصة تختلف عن معالجة القطاعات الإنتاجية الأخرى، يقع على عاتق المسؤولين عن الإدارة السياحية مهمة التنسيق مع المستثمرين المشاركين في إدارة الوحدات السياحية وكذلك مع القطاعات الأخرى.
- 6- التسويق السياحي الفعال:** يعتبر التسويق السياحي الفعال من العوامل المهمة في بيع المنتج السياحي، فنلاحظ الدعاية و الإعلام يجعل المستهلك على اتصال دائم بالمنتج السياحي.
- 7- التعاون السياحي الجهوي و الدولي:** و ذلك من خلال¹:

- إمكانية تحقيق التكامل السياحي بين الدول التي تكون معا في منطقة سياحية واحدة كدول المغرب العربي مثلا، ويتم ذلك من خلال الترتيبات التي تنظم حصول كل بلد على مزايا بحث التكامل محل المنافسة.
- تسهيل الرحلات الطويلة التي تتم عبر عدة دول وذلك تلبية للاتجاه السياحي والمتزايدة في زيارة أكثر من دولة في الرحلة الواحدة.
- اتساع وتعدد أنشطة المنظمات الدولية والإقليمية المهتمة بالسياحة، وتعتبر المشاركة في المؤتمرات الدولية والإقليمية التي تعقدها هذه المنظمات كمؤتمر المنظمة العالمية للسياحة في السابع والعشرين من شهر سبتمبر من كل سنة إحدى صور هذا التعاون.

مراحل إعداد خطة التنمية السياحية:

- تشمل عملية إعداد التنمية السياحية على عدد من الخطوات المتسلسلة والمتراصة كالتالي²:
- إعداد الدراسات الأولية، وتحديد أهداف التخطيط بشكل أولي بحيث يمكن تعديلها من خلال عملية إعداد الخطة ومرحلة تقييم الآثار. وبعدها يتم جمع المعلومات وإجراء المسوحات وتقييم الوضع الراهن للمنطقة السياحية، ثم تحليل البيانات وتفسيرها والخروج بحقائق تعميمات تساعد في إعداد الخطة ورسم خطواتها العلمية والتفصيلية.
 - إعداد الخطة: وهنا يتم وضع السياسات السياحية المناسبة، ويتم تقييم هذه السياسات لاختيار ما هو مناسب لتنفيذ الخطة، وكذلك يتم تحديد البرامج والمشاريع التي يجب تنفيذها لتحقيق أهداف الخطة.
 - تنفيذ الخطة بتوصياتها وبالوسائل التي يتم تحديدها في المرحلة السابقة.

¹ نفس المرجع السابق، ص.23.

² نور الدين هرمز، التخطيط السياحي والتنمية السياحية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، دمشق، سوريا، عدد 03، 2006، ص.23.

- تقييم ومتابعة الخطة السياحية وتعديلها وفق التغذية الراجعة، ونجد أن المسوحات وجمع البيانات وتحليلها تشكل المداخلات الأساسية لخطط التنمية السياحية، وأهم الجوانب التي يمكن جمع المعلومات عنها: عناصر الجذب السياحي، المرافق والخدمات، وسائل النقل، خدمات ومرافق البنية التحتية.

وتتطلب من هذه المرحلة الأخذ بآراء المسؤولين في أجهزة الدولة كل حسب تخصصه وأيضا ممثلي القطاع الخاص وممثلي المجتمعات المحلية، ومراجعة الدراسات المتوفرة والخرائط والبيانات الجغرافية والخصائص الطبيعية والبيئية ودراسة الأسواق السياحية، وخصائص السياح و معدلات إنفاقهم و كفاءة السياحة المحلية وخطوط النقل الجوي ... الخ. وتشمل عملية تحليل البيانات ثلاثة محاور أساسية هي¹:

أولاً- نجد تحليل الأسواق السياحية من: التوقعات المستقبلية (الطلب السياحي على مرافق الإقامة) بتحديد الحاجات من مرافق الإقامة والخدمات العامة وخدمات البنية التحتية.

ثانياً- هناك التحليل المتكامل وفق العناصر التالية: خصائص البيئة الطبيعية، العوامل الاجتماعية والاقتصادية، عناصر الجذب السياحي، الأنشطة السياحية، السياسات والخطط المتوفرة، والطاقة الاستيعابية.

ثالثاً- تحليل العناصر المؤسسة للقطاع السياحي وتتضمن على الميدانين العام القدرة المالية والاستثمار وبرامج التعليم والتدريب السياحي، وتشكل هذه المرحلة من تحليل القاعدة الأساسية التي توفر المداخلات الرئيسية اللازمة لوضع الخطة الشمولية السياحية.

ب- مفهوم السياحة المستدامة، مكوناتها و مؤشراتها:

الاستدامة تشتمل بالضرورة على الاستمرارية، وعليه فإن السياحة المستدامة تتضمن الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية بما في ذلك مصادر التنوع الحيوي وتخفيف آثار السياحة على البيئة والثقافة وتعظيم الفوائد من حماية البيئة والمجتمعات المحلية كذلك تحدد الهيكل التنظيمي المطلوب من أجل خلق توازن بين النشاط الاقتصادي والتنموي والنظام البيئي والطبيعي.

- مفهوم السياحة المستدامة: هناك عدة تعاريف للتنمية السياحية المستدامة، حيث أن أغلبها يرمي في قالب ومحتوى واحد، وأهم التعاريف المتعلقة بها كالتالي:

* كان مبدأ السياحة المستدامة قد اقترح أوائل عام 1988 من طرف المنظمة العالمية للسياحة، حيث كان من المتوقع من هذه السياحة المستدامة: "أن تؤدي إلى إدارة جميع الموارد، تشبع الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الحفاظ في الوقت نفسه على سلامة الثقافة والعمليات الإيكولوجية الأساسية، والتنوع البيولوجي والنظم المحلية للحياة"².

¹ نور الدين هرمز، مرجع سابق، ص.24.

² د. عبد الباسط وفاء، التنمية السياحية المستدامة بين الإستراتيجية والتحديات المعاصرة، مجلة حقوق حلوان، العدد 12، 2005،

وتعرف أيضا على أنها: " نقطة تلاقي ما بين احتياجات الزوار والمنطقة المضييفة لهم، مما يؤدي إلى حماية ودعم فرص التطوير المستقبلي، بحيث تتم إدارة جميع مصادر جميع المصادر بطريقة توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والروحية، ولكنها في الوقت ذاته تحافظ على الواقع الحضاري والنمط البيئي الضروري والتنوع الحيوي وجميع مستلزمات الحياة وأنظمتها"¹. كما تعرّف وفقا لمنظور المنظمة العالمية للسياحة بأنها: " السعي إلى تحقيق رغبات السياح وحاجات المجتمعات المضييفة بحيث يراعي تحقيق حمايته وتحسين الآفاق السياحية في المستقبل من خلال إدارة الموارد السياحية بطريقة تستجيب للموارد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنوع البيولوجي و العمليات البيئية والأنظمة المعيشية"².

نصل إلى التنمية السياحية المستدامة بتطوير مفهوم التنمية السياحية التقليدية وإضافة صفة الاستدامة، واعتبار أن عملية التنمية السياحية هي عملية إشباع حاجات السائحين والحصول على متطلباتهم دون الإخلال بحقوق الأجيال القادمة من السائحين في احتياجاتهم بالاستمتاع بالبيئة والسياحة.

- مكونات السياحة المستدامة:

رغم تنوع الالتزامات ومحاور المفهوم التنموي المستدام للسياحة إلا أنه يمكن حصرها في مكونين أساسيين، مادي ومعنوي. حيث نجد أن المكون المادي للسياحة المستدامة بأنه يعمل على إبقاء وتوريث الطاقة الإنتاجية للأجيال القادمة بنفس قوتها أو بقوة أعظم بحيث نضمن أن استهلاك الكميات اليوم لا يفوق الكميات اليوم لا يفوق الكميات للمطلوبة استهلاكها غدا، وبالتالي عدم حرمان الأجيال المستقبلية. أما المكون المعنوي للسياحة المستدامة فهو يرجع إلى كون السياحة من الناحية الاجتماعية والثقافية ليست محايدة، فهي تؤدي إلى حدوث تقابل واحتكاكات بين نوعين من الثقافة، ثقافة البلد المضيف وثقافة دولة السياح، مما يخلف تواصل اجتماعي وخلق روابط وعلاقات من شأنها زيادة أو اصر التعاون بين البلدان، فالسياحة المستدامة من منظور اجتماعي ترمي إلى تعظيم سياحة ذات وجه بشري يتفادى المشكلات التي قد تثيرها في النسيج الاجتماعي وموروث الذمة الثقافية للأمة مما يتعين معه الاستجابة لحاجات و رغبات كل من السياح وموظفو السياحة بتحسين ظروف عملهم بالقطاع السياحي وضمان مختلف حقوقهم³.

- مؤشرات التنمية السياحية المستدامة:

ينبغي توافر المؤشرات تساعد في تقييم التنمية المستدامة وتنسيق أنشطتها وذلك حتى يتسنى رصد عملية التنمية المستدامة وقد تم تحديد المؤشرات الخاصة للجوانب الثلاث الخاصة بالسياحة المستدامة ألا وهي التنمية

¹ نفس المرجع، ص.134.

² عبد الرحمان السحيباني، الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، السلسلة الأولى، بدون سنة إصدار، ص.7.

³ عبد الباسط وفاء، مرجع سابق، ص.179.

البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اقترحت منظمة السياحة العالمية WTO مؤخرًا استخدام مؤشرات للسياحة المستدامة، ويمكن ذكرها كالتالي¹:

- مؤشر معالجة النفايات سواء كانت نفايات صلبة أو سائلة.
- مؤشر استخدام كثافة استخدام التربة الذي يقيس إما معدل كثافة السياح إلى السكان المحليين، أو معدل السطح الذي تحتله البيئة الأساسية إلى إجمالي المساحة.
- مؤشر كثافة استخدام المياه والذي يقيس حجم استخدام السياح للمياه إلى حجم استخدام السكان المحليين أو بحجم استخدام السياح إلى الحجم الكلي المتاح من المياه الصالحة للشرب.
- مؤشر حماية الجو من التلوث وهو الذي يقيس مدى تلوث الهواء خلال فترات مختلفة.

- المؤشرات الاجتماعية: وترتكز على:

1. مؤشر الانعكاس الاجتماعي: يقيس تأثير السياحة على الظروف المعيشية لسكان الموقع السياحي من حيث التوظيف والتعليم ... الخ.
2. مؤشر رضا السكان المحليين: وهو يحدد مستوى رضا إسكان المحليين بالمشاريع السياحية و التجاوب معها.
3. مؤشر الأمن: يقيس مدى انعكاس عنصر الأمن على تدفق السياح، و يقاس بمدى تطور الجريمة في وسط سكان المقصد السياحي.
4. مؤشر الصحة العامة: و يعكس مدى تطور النشاط السياحي على مستوى صحة السكان المحليين، ويقاس بعدد الأطباء والممرضين إلى عدد السكان أو عدد المصابين بالأمراض إلى عدد السكان.
5. المؤشرات الاجتماعية: تتعلق المؤشرات الاقتصادية للتنمية السياحية المستدامة بقياس تأثير النشاط السياحي على الوسط المحلي و أهم مؤشراتته هي العملة الصعبة و مؤشر الدخل و الاستثمار.

ج- مبادئ السياحة ومتطلبات تحقيقها:

- مبادئ السياحة المستدامة: عند محاولة دمج الرؤى و القضايا سابقة الذكر، يجب أن نأخذ المبادئ التالية بعين الاعتبار²:

- يجب أن يكون للتخطيط للسياحة وتنميتها وإدارتها جزء من استراتيجيات الحماية والتنمية المستدامة

¹ جمال جعبل، عامر عيساني، التنمية السياحية المستدامة واقع و آفاق، الملتقى الوطني الأول حول اقتصاد البيئة و التنمية المستدامة، معهد علوم التسيير، المركز الجامعي بالمدية، يومي 6 و 7 جوان 2006، ص.12.

² أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، 2007، ص.92.

- للإقليم أو الدولة، كما يجب أن يتم تخطيط وإدارة السياحة بشكل متداخل وموحد يتضمن إشراك وكالات حكومية مختلفة ومؤسسات خاصة ومواطنين سواء كانوا مجموعات أو أفراد لتوفير أكبر قدر من المنافع.
- يجب أن تتبع هذه الوكالات والمؤسسات والجماعات والأفراد المبادئ الأخلاقية والمبادئ التي تحترم ثقافة وبيئة واقتصاد المنطقة المضيفة التقليدية لحياة المجتمع وسلوكه بما في ذلك الأنماط السياسية.
- يجب أن يتم تخطيط وإدارة السياحة بطريقة مستدامة وذلك من أجل الحماية والاستخدامات الاقتصادية المثلى للبيئة الطبيعية والبشرية في المنطقة المضيفة.
- يجب تهتم السياحة بعدالة توزيع المكاسب بين مروجي السياحة وأفراد المجتمع المضيف والمنطقة.
- يجب أن تتوفر الدراسات والمعلومات عن طبيعة السياحة وتأثيرها على السكان وبيئتها الثقافية قبل وأثناء التنمية خاصة في المجتمع المحلي، حيث يمكنهم المشاركة والتأثير على اتجاهات التنمية الشاملة.
- يجب أن يتم بعلم تعليل متداخل للتخطيط البيئي والاجتماعي والاقتصادي قبل المباشرة بأية تنمية سياحية أو أي مشاريع أخرى بحيث يتم الأخذ بمتطلبات البيئة والمجتمع.
- يجب أن يتم تشجيع الأشخاص المحليين على القيام بأدوار قيادية في التخطيط والتنمية بمساعدة الحكومة وقطاع الأعمال والقطاع المالي وغيرها من المصالح.
- يجب أن يتم تنفيذ برنامج للرقابة والتدقيق والتصحيح أثناء جميع المراحل التنمية وإدارة السياحة بما يسمح السكان المحليين وغيرهم من الانتفاع من الفرص المتوفرة والتكيف مع كل التغيرات.

- متطلبات تحقيق التنمية السياحية المستدامة:

لتحقيق التنمية السياحية والمستدامة سنورد جملة من الإجراءات والوسائل التي من شأنها الملائمة بين رغبات ونشاطات السياح من جهة وحماية الموارد البيئية والنظم الاجتماعية وتعظيم الفوائد الاقتصادية من جهة أخرى وذلك بهدف تطبيقها وهي¹:

1. سن القوانين والتشريعات ذات العلاقة بحماية البيئة على أن نأخذ في الاعتبار ضرورة النظر لمكونات البيئة على أن نأخذ في الاعتبار ضرورة النظر لمكونات البيئة السياحية كوحدة واحدة أي لنظام بيئي متكامل غير قابل للتجزئة.
2. وجود مراكز دخول في المواقع السياحية لتنظيم حركة السياح وتسهيل المراقبة الحذرة لسلوكهم تجاه البيئة السياحية، وإيجاد أنظمة وقوانين تضمن السيطرة على أعداد السياح الوافدين وتوفير الأمن والحماية بدون إحداث أضرار بيئية.

¹ مفهوم السياحة المستدامة، الموقع: www.geapot.wordpress.com/2010/05/12/turismo-sostenibile

3. تحديد الفترة الاستيعابية للمواقع السياحية بحيث يحدد أعداد السياح الوافدين من المنطقة السياحية وتفادي الازدحام خاصة في المناطق الأثرية والتاريخية حتى لا يؤثر ذلك على البيئة الطبيعية والثقافية ويعرضها للضرر.
4. نشر الوعي السياحي والثقافة البيئية بين السكان المحليين، فغالبا ما يكون هؤلاء سببا في التخريب والتدمير البيئي لدواعي مادية مع الحرص على وجود اللافتات الإرشادية التي تؤكد على أهمية ذلك.
5. تشجيع إقامة المشاريع التي توفر للسكان المحليين مثل الصناعات الحرفية والتقليدية والعمل كمرشدين سياحيين.
6. تتعاون كل القطاعات ذات العلاقة بالقطاع السياحي لإنجاح المحميات الطبيعية و التراثية من قبل كوادر بشرية مؤهلة و اعتماد السياحة البيئية كوسيلة ملائمة لتسويقها و كمنط من الأنماط السياحية التي يمكن من خلاله تحقيق التنمية السياحية الشاملة و المستدامة.

خاتمة:

أصبحت السياحة من أهم الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، وهي تحتل موقعا مهما في اقتصاديات العديد من الدول المتقدمة والنامية، وتعد أحد الركائز في معظم اقتصادياتها نظرا لمساهمتها الفعالة في الدخل الوطني وفي مستوى الاستثمارات الوطنية والدولية في المناطق السياحية. ونظرا لارتباط السياحة بشكل أساسي بالبيئة فقد بدأ الاهتمام والتركيز على مبدأ الاستدامة في السياحة وذلك منذ ثمانينيات القرن الماضي، حيث لم يعد يقتصر المفهوم الجديد للسياحة المستدامة على المنظور الاقتصادي فحسب، بل أصبحت هناك استجابة لمقتضيات التنمية المستدامة بخصوص انعكاسات النشاط السياحي على البيئة الطبيعية والبشرية بما تتضمنه من حماية للبيئة الاجتماعية والثقافية ورعاية حقوق الأجيال المقبلة، ومن خلال نمو القطاع السياحي واستدامة وزيادة منافعه وتأثيراته على العديد من الظواهر. حيث تعتبر السياحة نشاطا مستهلكا للبيئة يمكن أن تتسبب في إحداث ضرر غير مقصود يتعذر إصلاحه بسهولة، وذلك بفعل الاستهلاك المحف للبيئة حيث يبحث الأجانب عن استغلال الطبيعة الهادئة والنقية في الدول الأخرى. وبالتالي، إن السياحة سلاح ذو حدين ليس فقط في الأمد القصير لكن في الأجل المتوسط والطويل، لذا وجب تبني فلسفة جديدة في الحقل السياحي لكي نضمن زيادة المنافع الاقتصادية والاجتماعية وعدم القضاء على نظام القيم و التقاليد السائدة في المجتمع حتى لا يفقد المجتمع هويته، ويحافظ على إرثه الثقافي الحضاري لضمان الاستدامة السياحية.

المراجع:

- (1) الجلاد أحمد، التخطيط السياحي و البيئي بين النظرية و التطبيق، عالم الكتاب، ط1، القاهرة، 1988.
- (2) الحريري محمد مرسي، جغرافية السياحة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1991.
- (3) السكر مروان، مختارات من الاقتصاد السياحي، مجلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، 1999.
- (4) الروبي نبيل، اقتصاديات السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية للنشر و التوزيع، مصر، 1998.
- (5) آكواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، 2004/2003.
- (6) السحيباني عبد الرحمان، الدليل الإرشادي للسياحة المستدامة في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، السلسلة الأولى، بدون سنة إصدار.
- (7) الوادي محمود حسين، دور التخطيط السياحي في إقامة صناعة سياحية متطورة في إطار تنمية مستدامة عامة في المملكة الأردنية الهاشمية، مقدم إلى الملتقى العلمي الدولي حول اقتصاديات السياحة و دورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس 2010.
- (8) بودي عبد القادر، أهمية التسويق السياحي في تنمية السياحة المستدامة بالجنوب الغربي، الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة و دورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس، 2010.
- (9) بلفراق فريدة، "الإجراءات القانونية لحماية الآثار في الجزائر"، مجلة علمية نصف سنوية، تحت عنوان "دور الآثار في ترقية السياحة الثقافية"، دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 5، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003.
- (10) جعبل جمال، عيساني عامر، التنمية السياحية المستدامة واقع وآفاق، الملتقى الوطني الأول حول اقتصاد البيئة والتنمية المستدامة، معهد علوم التسيير، المركز الجامعي بالمدينة، يومي 6 و 7 جوان 2006.
- (11) دعبس يسرى، السياحة، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، القاهرة، 2001.
- (12) رزيق عبد الوهاب، "منتدى الاستثمار في شمال إفريقيا"، المركز الإنمائي لشمال إفريقيا، نشرة التنمية، العدد 8، طنجة المغرب، ديسمبر 2001.
- (13) شوقي منال، عبد المعطى أحمد، أسس التخطيط السياحي، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2011.
- (14) عبد العزيز ماهر، صناعة السياحة، دار زهران، مصر، 1997.
- (15) عبد الباسط وفاء، التنمية السياحية المستدامة بين الإستراتيجية و التحديات المعاصرة، مجلة حقوق حلوان، العدد 12، 2005.
- (16) غنيم عثمان محمد، التخطيط السياحي، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1999.

- (17) غنيم عثمان محمد وسعد بنيتا نبيل، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل و متكامل، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 02، عمان ، الأردن 2003، ص.53.
- (18) كامل محمود، السياحة الحديثة علما و تطبيقا، بدون دار النشر، 1975.
- (19) مرازقة عيسى، التنمية السياحية المستدامة في الجزائر دراسة فعالية و أداء مؤسسات القطاع السياحي، الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة و دورها في التنمية المستدامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 10/09 مارس، 2010.
- (20) مقابلة أحمد محمود، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، 2007.
- (21) نشوى فؤاد، التنمية السياحية، دار الوفاء للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 2008.
- (22) هرمز نور الدين، التخطيط السياحي و التنمية السياحية، مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، دمشق، سوريا، عدد 03، 2006.
- (23) مفهوم السياحة المستدامة الموقع: www.geapot.wordpress.com/2010/05/12/turismo-sostenibile
- (24) Gerard Guibilato, Économie touristique,. Éditions Delta-Spes, Denges, Verne-Paris, 1983.
- (25) G.P, La zone géographique du tourisme, Edition Maison, Paris, 1990.
- (26) R.Dristine, Le tourisme publication universitaire d'études européennes, Genève, 1985.

زاوية الهامل ببوسعادة(الجزائر) بين القيمة الدينية والدور السياحي

د. لهاللي إسعد

جامعة سطيف 2- الجزائر

د. لهاللي سلوى

جامعة سطيف 2 - الجزائر

مقدمة

تعتبر زاوية الهامل من بين أهم الزوايا التي ظهرت وتطورت وجاهدت في الفترة الاستعمارية إذ أنها وليدة المرحلة الاستعمارية، فقد كانت بحق رباطا للجهاد ثم تطورت الى مركز للتعليم والعبادة، وتعتبر من المواضيع المهمة ذلك أنها تمثل الجانب العلمي والديني من التصوف وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية كحال زوايا الجنوب الجزائري التي اشتهرت بالتصوف والدين. ولقد وقع الاختيار عليها لدراستها والبحث فيها لأنها من أهم الزوايا الدينية والعلمية في المغرب العربي الكبير بالنظر للنشاط الكبير الذي كان يتميز به شيوخها وما قدموه من جهود علمية ودينية واجتماعية وجهادية خدمة للوطن، وكذلك إعطاء صورة واضحة حول الدور الثقافي لمثل هذه الزوايا في الجزائر.

- التعريف بمنطقة الهامل - ببوسعادة

* أصل التسمية "الهامل": تعددت الآراء الروايات حول تسمية الهامل فالرأي الأول يقول: يمكن أن تكون أخذت تسميتها من كونها تعيد الهامل من الناس إلى الجادة والهامل هو الضال وتعيد من ضلت به السبل إلى الرشاد فأساسها الأول مسجد للصلاة والتعليم القرآن لأبناء القبائل المحيطة بها.¹ أما الرأي الثاني: كما ذكر الشيخ محمد المكي بن عزوز "في إحدى من قصائده".

لبلد الأشراف وهو الهامل *** سمي بذا الأصل الكامل

أو الهامل أهلوه في حب النبي *** هملا بوادي العشق عالمي الرتب

يقصد بالأصل الكامل النسب الشريف الذي في حب النبي فاستبدلت كلمة الكامل بالهامل.

أما وجه النظر الثالث: أن جماعة الحجاج لما عزموا على الاستقرار بهذا الموضع وافقوا مع بعض أهلها أن تكون التسمية -الهامل - من كون هذه القرية مهملة في وهذه تخفيها الجبال و بالفعل هي بعيد عن طريق القوافل المتنقلة إلى الجلفة عن طريق ببوسعادة ولو أنها معقل علمي كما عرفها أبناءها وأهل الناحية المجاورة لها.²

تذكر بعض الروايات أن أحفاد سيدي بوزيد قرروا نشر الإسلام في منطقة أخرى متجهين شرقا وبعد قطع مسافة طويلة نزلوا منهكين قرب عين ماء بمكان لاحي به سوى جمل هامل يرمى فسكنوا عطشهم ثم

¹ - محمد علي دبو: نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ط 1 ، المطبعة التعاونية، دمشق، 1965 ، ص 52.

² - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد ، دار الخليل ، ط 1، الجزائر ، 2008 ، ص 61-62.

أقاموا خيامهم للمبيت وفي المنام سمع عامر سيده عبد الرحيم بن أيوب سيدي بوزيد يناديه: أحفظ الحمل في الجبل الهامل يا عامر فاعتبر ذلك إشارة بصلاحيّة المكان وطبيّة مقامه فقرر الإقامة به وأعماراه وأسماء الهامل، في حين أطلق على الجبل المجاور من الغرب اسم عمران ولقبهم أهل البوادي بالأشراف.¹

وهناك رواية هي الأكثر تداولاً تقول أن جماعة من الحجاج الأشراف ومنهم سيدي عبد الرحيم بن أيوب وعمه أحمد كانوا في طريق عودتهم من البقاع المقدسة إلى موطنهم بجبال عمور وعند مرورهم بموقع الهامل حالياً استقروا عند عين ليستسقوا منها صلوا وغرّزوا عصيهم وناموا في اليوم الموالي قاموا لصلاة الصبح وجد اثنان منهم أن عصيهم صارت غصنين لشجرتي التوت، وبقي ينتظران حتى استقر رأيهما أن يكون فيه ما يؤذن بتسمية بالمكان.² فسمعنا منادياً بأعلى جبال عمران يا من رأى جملاً هاملاً فاستقر رأيهما أن تسمى البلدة الهامل.³

بالنسبة للرأي الأول فالمنطقة كانت معبراً للقوافل التجارية والحجاج ولعل عبور الحجاج عليها أكسبها صفة دينية ولكن ليس بالضرورة أنها تعيد الهامل إلى جادة الطريق أما الرأي الثاني الخاص بالشيخ محمد المكي بن عزوز فهو في حالة مسح للمنطقة لاكتمالها بأوصاف المدينة المقدسة.

لكن الأرجح الرأي الذي يقول: أن أحفاد سيدي بوزيد عندما انتقلوا للمنطقة استقروا بها ووجدوا جملاً هاملاً بها، وأضيف أنهم وجدوا أراضي زراعية خصبة كثيرة فهم من محبي الرعي والفلاحة ووجدوا بجانبه نهرًا يفيض على الأطراف وكونهم هربوا من اضطهاد قبائل أخرى، قرروا الإقامة بالمنطقة ونشر الإسلام انطلاقاً منها وسميت الهامل.⁴

تأسيس الزاوية:

إن فكرة تأسيس الزاوية أتت بعد عدة أحداث هامة ففي عام 1260هـ/1844م قبل الشيخ محمد بن أبي القاسم الأمير القادر بعيداً عن منطقة الهامل حينها أراد الشيخ محمد الالتحاق بصفوف المقاومة وغادر قريته باتجاه معسكر الأمير وهناك تقابلاً عرض عليها فكرته لكن الأمير رأى فيه رجل علم ودعوة لا رجل حرب وقتال فشجعه لمواصلة نشاطه العلمي والاجتماعي بالتعليم، وفي مطلع شهر رمضان 1860م عاد الشيخ محمد إلى موطنه الهامل حيث استأنف التعليم و قام بتأسيس زاويته عم 1279هـ/1862م.⁵

¹ -الحاج مزاري : الهامل مركز اشعاع ثقافي وقاعة للجهاد والثورة ، دار الحكمة ، الجزائر ، 1993، ص 13-14.

² - منير القاسمي: التاريخ المصور لزاوية الهامل، دار الخليل ، الجزائر، 2007، ص 16.

³ - عبد المنعم القاسمي : زاوية الهامل: المرجع السابق، ص 62.

⁴ - نفسه، ص 63 انظر ايضا les khouans orders religiu x chey les musulmans .jourdan.alger1919: neuveu.

⁵ - محمد نسيب: زوايا العلم والقران بالجزائر، دار الفكر دمشق، دار الفكر الجزائر، 1988، ص 160.

لقد ساهمت عدة عوامل في التكوين العلمي للشيخ عبر مزاولته العلم في زاوية ابن أبي داود بمنطقة زاوية وهي تهتم بدراسة الفقه إلى جانب غزارة عمله وعلمه وأشاع مدارس ومعارفه فإنه كان وطنيا وغيورا على وطنه إضافة إلى الخبرة التي اكتسبها الشخي محمد من تولي المشيخة لعدة زوايا قد منحتة ثقة كبيرة ساعدته في تأسيس الزاوية بالهامل وتولي مشيختها.¹

من خلال ما سبق نستنتج أن فكرة تأسيس الزاوية والمعهد هي أمنية حجاج الهامل ووصية شيخه أحمد بن أبي داود ونصيحة الأمير عبد القادر وهو ما جعل هذه الزاوية محل فخر واعتزاز من طرف إشراف الهامل وسكان منطقة بوسعادة.

في سنة 1279هـ/1862م شرع الشيخ في بناء الزاوية على جهة الغرب من قرية الأشراف الهامل في سفح جبل يقال له "عمران" وتم الانحياز في ظرف وجيز جدا، إذا ملت أسفل البناء بعد سنة واحدة فقط من انطلاقها، ودخل الشيخ زوايته وكانت الزاوية الوحيدة الموجودة بالمنطقة وفي سنة 1281هـ الموافق لـ 1864م، شرع في بناء مسجد للطلبة والإخوان ولدرس الفقه وغيره كما أنشئ مساكن للطلبة والإخوان كانت نحو مئة مسكن.²

كما كانت الزاوية القاسمية مبنية على طراز رفيع وما زاد جمالها بناؤها في منطقة جبلية جعلها تعلو المنازل وهي شبه المراقبة في عملها إذا تحرس شوارع بلدة الهامل كلها كما يوجد بجانبها جامع للصلاة.³

2- موقعها السياحي الجغرافي :

منطقة الهامل تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة على بعد 12 كلم⁴، والمنطقة في الأساس تسمى بشرفة الهامل بمعنى قصر الهامل، لأنها كانت محصنة سواء بالجبال أو التكتلات السكنية المتراسة⁵، وهي تقع على القمم الأخيرة لجبال أولاد نايل في السفح الشرقي لجبل عمران من السلسلة المعروفة بجبل مساعد تحيط بها جبال ومرتفعات عالية وينساب أسفلها من الشمال الشرقي في شكل حزام وادها الشهير الدائم الجريان ذو الينابيع الحلوة المتفجرة على جانبيه، مجراه من أعالي كاف الطيور مروا يتواب من أراضي أولاد فرج ثم درمل الهامل والمقطع إلة بوسعادة⁶، وهذا الوادي يحمل أسماء المناطق التي يمر بها ويسقيها لدرمل الهامل بوسعادة، ومياهه مستغلة للزراعة التقليدية⁷، ليصب أسفلها شرقا في المنطقة الفلاحية المشهورة والمعروفة بـ:

¹ - ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ص 213.

² - مزارى، المرجع السابق، ص 28.

³ - نفسه، ص 28.

⁴ - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 42.

⁵ - عبد المنعم القاسمي: الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، دار الخليل للنشر والتوزيع، مسيلة، 2013، ص 76.

⁶ - مزارى الحاج: الهامل مركز إشعاع ثقافي وقلعة الجهاد والثورة، المطبعة العصرية، بلوزداد، 1993، ص 7.

⁷ - منير القاسمي: التاريخ المصور لزاوية الهامل، المرجع السابق، ص 12.

معذر بوسعادة شمال الحوامد إلى الغرب والجنوب من مسيف و المعاريف¹ وتحد هذه البلدة من الجنوب والشمال أولاد عامر القبالة، ومن الشرق بوسعادة ومن الجنوب الشرقي المراقصة، ومن الجنوب جبل مساعد ولا تتجاوز أعلى قمة جبلية فيها 1600م، تتخلها بعض الهضاب ولسهول الضيقة، أعلى هضبة فيها هي هضبة الهامل 850م.²

وتزين هذه المنطقة بساتين خضراء وحدائق تمتد على ضفتي الوادي من درمل إلى المقطع، بها أنواع عديدة من الأشجار المثمرة كالتين، العنب، الخوخ، المشمش، وتشتهر برمانها الجيد.

وتعتبر البساتين موارد هاما للفلاحين خلال سنوات البساتين والسبعينات وبسبب ضعف الإمكانيات المادية للفلاحين فقد هذا المورد أهميته إضافة للصعوبات والخسائر التي يسببها الوادي في فترة فيضانه، وكثيرا ما أدى لتخريب كامل البساتين، والنسبة للنشاط الصناعي فهو عبارة ن أعمال حرفية بسيطة كالنجارة والتلحيم والبناء والتجارة (تجارة التجزئة) ودكاكين صغيرة أغلبها مواد غذائية وبالعودة لقطاع الزراعة فتوجد منطقتين لزراعة الحبوب هي القرارة القبالية والقرارة الظهرانية، هذه الأخيرة تسملها السد الأخضر وتم تشجيرها رغم جودتها، إضافة لمساحات زراعية أخرى بكل من المحيقن قرب درمل والقلعة البيضاء ومساحة فلاحية أخرى تسمى النفخية تقع في تراب أولاد علي بن محمد بلدية سليم.³

وتعتبر المنطقة البوابة الوسطى للصحراء الجزائرية الكبرى فهي تقع في الحدود الفاصلة بين الاقليم في الشمال والاقليم الصحراوي في الجنوب، وعلى الطريق الكبير الرابط بين مدن المال بقسنطينة والجزائر العاصمة وبلاد القبائل ومدن الجنوب سو باتجاه الحلفة الأغواط غرداية أو باتجاه بسكرة تقرت ورقلة وبالتالي فهي تعد مفترق الطرق.⁴

وهي منطقة سياحية تحتل وسط الهضاب العليا موقعها رائعا، جعلها محط أظار السياح من المواطنين والأجانب يفيدون إليها في كل وقت.

3- مرافق الزاوية

قام الشيخ ببناء منزل للعائلة في غاية العلو والارتفاع، وبناء في جنبه من جهة المشرق حوشا يجلس فيه لإرشاد الخلق، وبيتا للطبخ يسمى "النوالة" إلى جانبه مسجد للصلاة يسمى بمسجد سيدي عبد القادر، كما أنشأ مساكن للطلبة والإخوان كما أنشأ⁵ مكتبة وعمرها بنفائس الكتب والمخطوطات وأقام مسكنا للضيوف.

¹ - الحاج مزاري: المرجع السابق، ص 7.

² - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 42.

³ - الحاج مزاري: مرجع سابق، ص 9.

⁴ - ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 214.

⁵ - منير القاسمي: المرجع السابق، ص 27.

1- المسجد: يعتبر المسجد من أبرز هياكل الزاوية في المغرب الإسلامي عامة، وهو العنصر الأساسي ومحور أنشطتها الداخلي. أنجز الشيخ محمد بن أبي القاسم مسجدا كبيرا مستقلا عن منزله، وبعد مرور حوالي 30 سنة هدمه الشيخ لأجل التوسيع فيه وكان ذلك عام 1309هـ- 1891م، إلا أن المنية حالت دون ذلك، فأتمت السيدة زينب بناءه في 04 شوال (1321هـ- 1904م)¹، وهي ابنة الشيخ محمد بن أبي القاسم وأنفقت السيدة زينب في بناءه حوالي نصف مليون فرنك، فأصبح كالتحفة الفنية تسير ناظر الزوار إليه، ونجد المسجد مستقبلا القبلة استقبالا صحيحا، حيث شغل القسم الشمالي الشرقي للقريّة على مساحة مقدراها 513م²، من جملة المساحة الإجمالية للزاوية المقدرة بخمسمائة عشر ألف منها خمسة آلاف وخمسمائة م²، بينهما باقي المساحة الأخرى فهي أراضي موقوفة على الزاوية.

2- منزل وعائلته: مسكن الشيخ يسبق كل الهياكل في معظم الزاويا ذلك أنه يساعد الشيخ على الاستقرار والتفرغ للدور الذي ألزم نفسه به، وهو منزل في غاية العلو والارتفاع به حوالي 15 غرفة.²

3- بيت الضيافة العلي: هو مخصص لاستقبال الضيوف الواردين الزاوية من مناطق بعيدة ومختلفة، يحتوي على جميع المرافق الضرورية التي توفر لهم كل أسباب الراحة وكان الشيخ محمد يستقبل ضيوفه داخل منزله في بداية الأمر، وبعد أن أصبح منزله غير كاف لاستيعاب الوفود الكبيرة قرر بناء مبنى وخصصه لهذه المهمة.

4- بيوت الطلبة: تسعى كل زاوية لتخصيص مساكن خاصة لإقامة وراحة الطلبة وهذه المساكن تختلف حسب شكلها وعددها وإمكانيات كل زاوية، كما تم بناء بيوت أخرى خاصة بالأستاذة الغرباء عن المنطقة.³

5- مطعم الزاوية: أشمّلت الزاوية على مطبخ كبير يقع في الناحية الشرقية منها ويسمى "النوال" وأخذ هذا النظام من زاوية الشيخ سيدي السعيد بن أبي داود بتاسلسنت، يقوم على خدمتها أشخاص يعينهم شيخ الزاوية.

6- الجناح البيداغوجي: ويضم عددا من الحجرات الخاصة بالدراسة ووظيفة هذه الحجرات هي احتضان أفواج التلاميذ الذي يتوزعون عليها حسب مستوياتهم، ويتكفل بهم مدرسون يشرفون على تعليمهم الأول، سواء في حفظ القرآن أو استظهار المتون المتعلقة باللغة والفقهاء.⁴

7- المكتبة: تقع داخل منزل الشيخ في الطابق العلوي تحتوي كل المخططات التي تعود للشيخ القائمين على الزاوية وحتى المدرسين كما تحتوي على الكتب وفضلا عن المخططات تضم المكتبة مجموعة من

¹ - ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 221

² - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 171-172.

³ - ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 221

⁴ - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 178-179.

المطبوعات الحجرية النادرة منها ما طبع بخط اليد، ومنها ما كان بالحرف المطبعي كما تضم مجموعة قديمة من الرسائل الواردة من أعلام العالم الاسلامي إليه شيوخ الزاوية.

يتكفل شيوخ الزاوية بطبع ونشر عدة أهمها "المنح الربانية لباش تازري القسنطيني طبع في تونس عام 1890 والزهر الباسن لقاسمي طبع في تونس عام 1891م، كما ساهموا في نشر وتحقيق الكتب من بينهما: توهين القول المتين للديشي، طبع في الجزائر، والبستان في ذكر علماء تلمسان لابن أبي مريم، تحقق الأستاذ ابن شنب، طبع في الجزائر عام 1908م، وكتب أفري عديدة.¹

4- أعلام الزاوية القاسمية

1- شيوخ الزاوية : ترك الشيخ المؤسس بن أبي القاسم ابنة وحيدة له استطاع الشيخ الحفاظ على عاداته البسيطة جدا و على أسلوب عيشه الزاهد واتبعته في ذلك لالة زينب و حافظه على سيرته هذه ، اول شيوخ الزاوية بعد وفاة الشيخ محمد ابن أبي القاسم هي :

أ- السيدة لالة زينب :

ولدة في بلدة الهامل عام 1855 م أشرف على تثقيفها و تهذيبها بنفسه (الشيخ محمد بن ابي القاسم) حتى حفظت القرآن الكريم و تفقته على يده، لقد برهنت بعد وفاة والدها على روح حرة وشخصية قوية .

تولت إدارة الزاوية بعده، وذلك بعد صراع كبير إذ تعرضت لمضايقات القائد العسكري كروتسار وواجهته بكل عزيمة و إيمان بحقها في ذلك، بقيت في الإدارة زمنا استطاعة من خلال انجاز الكثير من الأعمال الهامة،² كما درست التوحيد و الفقه، واصلت اطلاعها على أمهات الكتب الصوفية كالرسالة القشيرية إحياء علوم الدين، والحكم العطائية حتي وصلت لدرجة طيبة في العلم،³ تولت جرد أوقات الزاوية كما تمت برعاية الأرامل المقيمات بالزاوية وذوي الحاجة، كما اجتهدت في إتمام مسجد المعهد و غيرها من اعمال البر التي قامت بها فهي ورثت عن أبيها أموالا و ثروة غابية طائلة استخدمتها للمساعدات الاجتماعية كما تقول عنها الكاتبة السويسرية إيزابيل إبرهاردت : "... ربما هذه المرأة التي تلعب دورا إسلاميا عظيما هي الفريدة في المغرب لإسلامي ..."⁴ وقد دامت مدة توليها الإدارة 07 سنوات توفية لالة زينب ليلة 09 نوفمبر سنة 1905 م ودفنت بجوار والدها.⁵

¹ - منير القاسمي: المرجع السابق، ص 65.

² - الحاج صدوق : علماء الزيان من خلال المخطوطات و الوثائق التاريخية الملتقي الوطني الأول للمخطوطات ومنطقة الزيان بسكرة ، دار علي بن زيد بسكرة ، الجزائر 2013 ، ص65

³ - منير القاسمي : مرجع سابق ص 54.55. حول حياتها انظر : عاشور الخنقي : منار الاشراف ، المطبعة الثعالبية ، 1914.

⁴ - عبد المنعم القاسمي : زاوية الهامل المرجع السابق ص 367

⁵ - منير القاسمي المرجع السابق ص 57

ب- الشيخ محمد بن الحاج محمد القاسمي

ولد هذا العالم الفقير سنة 1860م حفظ القرآن الكريم في حداثة سنة، تربى في حجر أستاذه الشيخ بن أبي القاسم، ولما قدم الشيخ بن عبد الرحمان الديسي إلى زاوية الهامل سنة 1878م أمره شيخه بملازمته والأخذ عنه له مشاركة حسنة في النحو والبيان والمنطق والكلام وانتفع بتدريسه كثير من الطلبة، وأخذ عن الشيخ محمد المكي بن عزوز وأجازه إجازة علمية¹ بعد وفاة السيدة زينب عام 1905م تولى الشيخ سيدي محمد مشيخة الزاوية وانتصب للرياسة عن أهلية و استحقاق، انتصب للتدريس كما كان، ونشر الطريقة بجد و اجتهاد وتعليم الأبناء وإرشاد العباد وبذل جهدا كبيرا لاسترجاع بعض أملاك الزاوية التي تعرضت للضياع وقام بترسيم وضعيتها، قام بتجديد مساكن الطلبة، كما بنى مسكن لخواص الضيوف، وله عدة مؤلفات منها: "تحفة الأفاضل بترجمة سيدي نايل بطلب من الشريف لحرش، نصيحة الأقران: رسالة في تحريم الدخان، رسالة لطيفة بالانتحار الأمير عبد القادر و الدفاع عنه ردا على مؤلف كتاب الاستقصاء في حظ من كرامته و طعن في جهاده". توفي يوم الجمعة 03 جمادى الثاني 1331 هـ الموافق ل 03 ماي 1913 م عن 52 عام اثر مرض لازمه 06 أشهر.²

ج- الشيخ المختار بن محمد القاسمي

العالم العارف الشيخ الحاج المختار بن الحاج محمد الهاملي الادريسي الحسني من كبار رجال الطريقة الرحمانية بوصفة الشيخ أبو القاسم الحفناوي لأنه آخر من يمثل الطريقة الرحمانية في الجزائر. ولد سنة 1284 هـ الموافق ل 1867م حفظ القرآن في حداثة سنة، ثم شرع في تعليم العلم، سمع من شيخه التفسير والحديث والفقہ وعلم التصوف، عند قدوم العلامة محمد بن عبد الرحمان الديسي للزاوية لازمه وأخذ عنه وأجازه شيخه، له في الحديث والتفسير وكلام القوم والآداب وأجازه القاضي شعيب و الشيخ المهدي الوزاني والشيخ المكي بن عزوز كما أجازه الشيخ احمد الأمين بن عزوز بعلم حديث وانتصب للتدريس في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام بالزاوية بدأ من عام 1890م³ تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بن الحاج محمد سنة 1913م، كان على اتصال وثيقا بالأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر خاصة في ظروف الحرب العالمية الأولى. اشتهر بحبه الشديد للمخطوطات العربية فجمع منها كما هائلا أثرى بها المكتبة، كما عمل على نشر الطريقة بالغرب والوسط الجزائري.

د- الشيخ أبو القاسم بن الحاج محمد القاسمي

هو من علماء ومشايخ الزاوية القاسمية ولد سنة 1873م، ببلده الهامل حفظ القرآن الكريم في حداثة سنة ثم شرع في تعلم العلم وأخذه عن المشايخ المحققين تولى التدريس في الفقه ابتداء من سنة 1897م، أجازه

¹ - منير القاسمي : المرجع السابق، ص 73

² - عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 372.

³ - المرجع نفسه، ص 375.

الشيخ محمد الضغير الجليلي في الطريقة سنة 1913م، وله إجازة أخرى من الشيخ عبد الحي الكتاني سنة 1921م، أخذ عنه الشيخ مصطفى القاسمي الشيخ المكي القاسمي، الشيخ محمد بن عزوز.¹ تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة أخيه الشيخ المختار سنة 1915م، باشر بنشر الطرية وبث العلم والإرشاد والتهديب والإحسان للعلماء والرحمة بالفقراء والمساكين، فاجأه داء عظيم لازمه أقل من شهر مات به، وانتقل إلى جوار ربه في شهر صفر من عا 1346هـ الموافق لـ 1927.²

هـ- الشيخ أحمد بن الحاج محمد القاسمي

ولد سنة 1300 هـ الموافق لـ 1883م، السنة الأولى من القرن الرابع عشر، تربى في حجر أخيه الشيخ الحاج المختار فأحسن تربيته وتهذبه فحفظ القرآن الكريم صغيراً وأتقن أحكامه وبعده أشغله بحفظ المتون، وتعلم العلوم النافعة، وأخذ عن المشايخ العارفين المدرسين بالزاوية المعمورة وحصل على الإجازة الكبرى لازم تدريس الفقه،³ تولى مشيخة الزاوية سنة 1927م، مكث على رأس الزاوية إحدى عشر شهراً وبضع أيام توفي سنة 1928م وله من العمر سبعة وأربعون عاماً، وتقدم للصلاة عليه الشيخ سيدي أحمد الأمين بن عزوز حين زيارته للزاوية.⁴

و- الشيخ مصطفى بن محمد القاسمي

ولد الشيخ مصطفى الهامل سنة 1897م، وبعد أن حفظ القرآن الكريم شرع في أخذ العلم وتعلمه على أستاذه منهم أعمامه الثلاثة سيدي المختار وسيدي بلقاسم وسيدي أحمد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الديسي وغيره من علماء الزاوية، وتخرج في جميع العلوم التي زاوها، ثم شرع في تدريس الفقه سنة 1916م، وتخرج على يده الكثير من الطلبة في الفقه المالكي شارك في حفل تدشين مسجد باريس 1927م.⁵ وفي سنة 1928م تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة عمه الشيخ سيدي أحمد حاول السير على خطى من سبقوه من الاهتمام بالعلم وتوفير المأكل والملبس والمسكن لذوي الحاجة، وبفضل شخصيته القوية ومكانته العلمية وقع عليه الإجماع في رئاسة الطرق الصوفية بالشمال الإفريقي وهو من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، ونظر لحالة النزاع الداخلي اضطر الشيخ الانسحاب من الجمعية وأسس "جمعية علماء السنة".

¹ - منير القاسمي: المرجع السابق، ص 81.

² - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 379.

³ - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 381.

⁴ - منير القاسمي، المرجع السابق، ص 87.

⁵ - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 384.

وله من الأعمال الجليلية الأخرى التي لا يزال التاريخ يذكرها والتي وقفت في وجه المستعمر توفي الشيخ مصطفى سنة 1970م، بالجزائر العاصمة، ودفن بمسقط رأسه بالهامل.¹

بعد الشيخ مصطفى القاسمي تعاقب على الزاوية عدة شيوخ هم: الشيخ حسن القاسمي، الشيخ خليل القاسمي، وأخرا الشيخ الحالي الشيخ المأمون القاسمي. أنظر صورة رقم (04).

علماء الزاوية القاسمية:

- الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي (127091334هـ / 1855-1915م):

تردد على الزاوية كثيرا خاصة عام 1887م، ليدرس بها بعض الفنون والعلوم التي كانت غير موجودة بها، من آثاره الكثيرة: رسالة في أصول الحديث، العقيدة الإسلامية، هيئة الناسك في أن القبض هو مذهب الإمام مالك، السيف الرباني في عنق المعتز على الغون الجليلاني، ديوان شعر "شعر الأدب".

- الشيخ محمد بن عبد الحرمان الديسي (127-1339هـ / 1855-1921م):

الزاوية القاسمية لمواصلة تعليمه العلمي، فقرر الشيخ محمد إعطائه منصب أستاذ، وكانت دروسه عبارة عن مناظرات علمية بحثه، واكتسبت دروسه شهرة واسعة، من آثاره: فوز الغانم في شرح ورد الشيخ محمد بن أبي القاسم الزاهرة المقطفة: منظومة من العقاد وشرحها بشرح سماه "الموجز المفيد" في النحو: سلم الوصول، وهو نظم الورقات في الأصول وشرحه بشرح سماه "التمح المبذول".

- الشيخ أحمد الأمين بن عزوز (1277-1354هـ / 1860-1936م):

سلك على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم، تولى الإشراف على أوقاف الزاوي الهامل بالمدينة المنورة التي خصصتها الزاوية للحرمين الشريفين، له لقصيدته في أهل بدر، عدة قصائد في التوسل بآل البيت، وديوان شعر.

- الشيخ عاشور الخنقي (1264-1348هـ / 1847-1938م):

شد رحاله لزاوية الهامل واعتمده الشيخ محمد مدرس للعلوم الشرعية، وله كتابات منها: منار الأشراف على فحل عصاه الأشراف ومواليهم من الأطراف.²

- الشيخ عبد العزيز بن أحمد الفاطمي (1276-1326هـ / 1860-1947م)

هو من تلامذة الشيخ محمد أخذ عنه الطريقة الرحمانية وأجازه، وتولى التدريس لفترة طويلة، أخذ عنه جم غفيرة من طلبة الزاوية من بينهم الشيخ مصطفى القاسمي.

¹ - منير القاسمي: مرجع سابق، ص 89.

² - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 383-400.

- الشيخ الحاج بن السنوسي الديسي (1293-1379هـ / 1876-1960م)

جاوز الزاوية فترة طويلة وتولى التدريس بها، كما شغل منصب كاتب الشيخ مصطفى القاسمي والذي كلفه بجد أوقاف الزاوية وكتابة الرسائل للإخوان.

- الشيخ محمد المكي القاسمي الحسني (1320-1387هـ / 1902-1697م)

انتقل لزاوية الهامل لإتمام دارسته وأخذ الإجازة منهم، بعدها انتصب للتدريس عام 1902م، له خزانة مليعة بالمؤلفات والمخطوطات في مختلف الميادين، أدى الشيخ المكي دورا هاما إبان الثورة التحريرية، فقد كان بيته بمدينة حاسي بجح مخزنا للأسلحة ومخبأ للوثائق السرية، ودفع بأبنائه الثلاثة لساحة القتال.

- الشيخ عبد الحفيظ القاسمي الحسني (1332-1389هـ / 1914-1969م)

أخذ مجموعة كبيرة من الفنون وسلك على يد الشيوخ الزاوية وأخذ الإجازة عنهم، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، انتقل لمدينة بوسعادة التي أسس بها الجمعية الثقافية العلمية.

- الشيخ محمد بن عبد العزيز الفاطمي (1317-1392هـ / 1900-1972م)

من أساتذة زاوية الهامل، وبرز في علوم اللغة والبلاغة اهتم بالشؤون الاقتصادية للزاوية من عهد الشيخ أبو القاسم إلى عهد الشيخ مصطفى القاسمي.

- الشيخ محمد بن عزوز القاسمي (1324-1404هـ / 1906-1984م)

بالزاوية مدة قصيرة بعد أخذه الإجازة، وانتقل إلى اجمع الزيتونة من مؤلفاته: قام بتحقيق كتاب: الكواكب العرفانية والأشراق الإنسية في شرح القدسية للحسين الورثلائي، كتب عدد من الرسائل: مناسك الحج، رسالة التقوى، استعمال جلود الميتة، الزكاة ... الخ.¹

5- الدور الثقافي لزاوية الهامل:

- المحافظة الكلية على الدين الإسلامي وتعاليمه وعلى القرآن الكريم وعلى أحكام الشريعة الإسلامية.
- نشر التعاليم لمجاني بواسطة برنامج واسع النطاق في الزوايا وأحداث معاهد أخرى في مختلف مناطق البلاد لهذا الغرض.
- العمل على إزالة الفقر والبؤس على الفقراء لاسيما اللاجئين إلى الزوايا حيث يتم تعليمهم العناية بهم.
- قام شيوخ هذه الزاوية بجمع عدد كبير من الكتب من بينهم الشيخ محمد بن أبي القاسم الذي كانت له رسائل كثيرة في المسائل الفقهية منها: رسالة في الهجرة، رسالة في تحريم الدخان، رسالة في تفسير سورة القدر وغيرها.

¹ - عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل، المرجع السابق، ص 400-416. انظر كذلك: فاطمة الزهراء سيدهم: مكانة زاوية الهامل في حشد هم سكان الحاضرة لمقاومة البدع وطمس الشخصية الوطنية منذ الاحتلال الفرنسي الى الحرب العالمية الأولى، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد 35، مارس 2017، ص ص 60-66.

- قامت بتدريس العديد من العلوم من بينها القرآن وعلومه، علم الحديث، علم العقائد، علم الفقه وأصوله علم المنطق، علم التصوف وغيرها. ما كانت تحتوي على العديد من المخطوطات حوالي 8000 عنوان وهي كآآتي: مخططات في الفقه، مخطوطات في التفسير، مخطوطات في الحديث، مخطوطات في التصوف، مخطوطات في اللغة والأدب وكذلك مخطوطات في التاريخ.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن القول أن زاوية الهامل تعتبر من بين أهم المعالم الدينية والتعليمية في المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا بالنظر إلى جهودها في مجال التعليم ، والدفاع عن الدين بالإضافة إلى الدور الاجتماعي والثقافي والواضح أن العمل الخيري الاجتماعي ترسخ عند شيوخ الزاوية أبا عن جد ، خاصة التكفل باليتامى والمحتاجين وعابري السبيل بتوفير المأكل والمشرب والمأوى،وهي مرجع مهم للكثير من المتخاصمين والمتنازعين وفق ما شرع الدين الإسلامي ،وهذا مستمد من أخلاق مشايخها لأن منطلقهم كان من الدين ومن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والزاوية تسير وفق نظام يساهم في إرساء الانضباط والتربية والتخلق وتبيان الحقوق، والواجبات لكل فرد في الزاوية، واعتبارها مصدرا هاما للمخطوطات في مختلف العلوم ، كما أن شهرتها ترتبط بأسماء المشايخ والعلماء الذين زحرت بهم، وقد أسهمت هذه الزاوية في المجال السياحي نظرا لموقعها الذي يتوسط المرتفعات الجبلية والينابيع الطبيعية، كما أنها تجمع بين الطبيعة السهلية والتخوم الصحراوية وهو ما جعل قيمتها الدينية والعلمية وموقعها الجغرافي عاملا في جذب السوّاح إليها من كل المناطق وحتى من خارج الجزائر.

الموقع الجغرافي واثره في التخطيط السياحي لإثراء التراث النوبي

أ.د. دوله محمد أحمد سليمان

جامعة بحري - السودان

ملخص

يسهم الموقع الجغرافي في تخطيط تنمية وتطوير التراث النوبي بغرض تأهيله للجذب السياحي، ومن ثم إنشاء مشروعات التنمية السياحية المستدامة التي تعود بالفوائد والمنافع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المستوى القومي والمحلي، ومن هنا تبرز أهمية الموقع الجغرافي في التخطيط السياحي لمناطق التراث الأثري النوبي من خلال إلقاء الضوء على أهميته التاريخية والثقافية والاقتصادية. كما يشير البحث إلى أهمية استغلال مواقع وموارد التراث الأثري النوبي وتوظيفه في صناعة السياحة من خلال تبني التخطيط السياحي الذي يسهم بصورة إيجابية في الإقتصاد الوطني، وتحسين المستوى المعيشي للمجتمعات المحلية .

Abstract

The geographical location contributes to the planning and development of the Nubian heritage in order to qualify it for tourist attraction and thus to establish sustainable tourism development projects that benefit the economic, social and cultural benefits at the national and local levels.

Hence the importance of the geographical location in the tourism planning of Nubian archaeological heritage areas by shedding light on its historical, cultural and economic importance. The research also indicates the importance of exploiting the sites and resources of the Nubian archaeological heritage and its employment in the tourism industry through the adoption of tourism planning which contributes positively to the national economy and improve the standard of living of local communities

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء لأهمية الموقع الجغرافي في إثراء التراث النوبي وأثره في التخطيط السياحي والتنمية المستدامة والعمل على إبراز دور التخطيط في تنمية وتطوير النشاط السياحي، واستخدامه في السياحة كأداة للتنمية وبناء القدرات المحلية ودعم الاقتصاد وزيادة وعي المجتمع بقيمة وأهمية التراث السياحي.

أهمية الدراسة: يساهم التراث في تعزيز دور الإقتصاد المحلي وذلك عن طريق الأماكن الأثرية والسياحية التي تجذب السائحين المحليين والأجانب، ويعتبر التراث من الروابط المهمة التي تربط الإنسان المعاصر بالماضي، وبما أن للموقع الجغرافي دور فعال في جذب السياحة للأماكن التراثية فان موقع الحضارة النوبية التي تقع في شمال أفريقيا بين مصر والسودان على حواف نهر النيل، تلك الحضارة الازلية القديمة قدم الإنسان فقد لعب الموقع الجغرافي دوراً هاماً و أساسياً في إثراءها و يحتل التراث مكانة مهمة في حياتنا، لما له من رابط عجيب في زيادة التماسك الإجتماعي والمساعدة على تعزيز السلام والتنمية.

مشكلة الدراسة: تظهر مشكلة البحث في ضعف صناعة السياحة في بعض الاقتصاديات العالمية خصوصاً منها في الدول النامية، علماً أن أي استثمار في السياحة هو أسرع طريق لتحقيق الأهداف المرجوة من خطط التنمية، وبما إن التنمية السياحية ليست محدودة على وزارة السياحة فحسب بل هي مهمة وطنية تخص جميع الوزارات والمؤسسات التي تعمل جميعها في إطار السياحة وتسويقها لزيادة استثمارها، وبناءً على ما سبق يمكن طرح وصياغة الإشكاليات التالية:

- ما هي الضوابط الجغرافية التي تحكم نشأة الحضارات على السواحل وضياف الأنهار؟
- ما هي الأسباب الأساسية بعد الموقع جعلت هذه الحضارات تنمو وتزدهر في تلك الفترة؟
- كيف تم الحفاظ على تلك الآثار القديمة قدم ما قبل التاريخ أن تصل إلينا؟
- الآثار والحضارات التي تجاوزتنا وفي مقابع المتاحف، هل هي كما تركوها لنا أسلافنا؟
- كيف يمكن الحصول على الآثار التي تم نهبها من مواقع التنقيب وغيرها؟
- كيفية المحافظة على الآثار من متقلبات الطقس والمناخ؟

منهجية البحث:

- المنهج التاريخي، الذي يدرس الظاهرة الجغرافية طبيعية كانت أم بشرية في الماضي خلال فترة محددة لفهم الحاضر وذلك بجمع الوثائق والتأكد منها لتحديد الحقائق التاريخية
- المنهج التطبيقي، ويطبق في الجغرافيا التطبيقية وهي أثر الجغرافيا في الحقائق التاريخية وهو المنهج الذي يدرس العوامل التي تؤثر على الواقع أو الظاهرة الطبيعية أو البشرية والفائدة المرجوة منها لتخطيط للمستقبل وللأفضل.
- المنهج السلوكي، في تتبع قيام الحضارات في مواقع جغرافية مميزة.
- المنهج الإقليمي، استخدام هذا المنهج في تمييز وإظهار السمات الجغرافية التي جعلت إقليم محدد له شخصية مستقلة عما يجاوره من الأقاليم أخرى (إقليم وادي النيل).

مصادر المعلومات:

- من أهم مصادر المعلومات التي اتبعها الباحث، المكتبات التي تحتوي على أكبر قدر من الكتب المتخصصة في الجغرافيا والتاريخ والآثار، منها القديم ومنها الحديث والمعاصر.
- المستخلصات والدراسات السابقة.
- الرسائل العلمية.
- الإنترنت.

مقدمة: يعتبر التراث بمفهومه البسيط هو خلاصة ما خلّفته الأجيال السالفة للأجيال الحالية، هو عبرة من الماضي ونهجاً يستقي منه الأبناء الدروس ليعبروا بها من الحاضر إلى المستقبل ويعتبر رمزاً للهوية الإنسانية الخاصة بالشعوب المختلفة، وخاصةً الجماعات الأقلية التي تعتبره رمزاً للمعرفة والقدرات التي توصلت لها، والتي تناقلته وأعادت تكوينه، كما وتعتبره رمزاً مرتبطاً بالأمكان الثقافية التي لا يمكن التخلي عنها والذي من خلاله يرتبط الإنسان بثقافته وأماكن أسلافه .

التراث النوبي عريق عراقة الحضارة النوبية التي تمتد جذورها إلى أكثر من ألفين عام قبل ميلاد المسيح والتي تعتبر فخر لوادي لنيل بل لأفريقيا بأسرها، وكانت القبائل النوبية القديمة تمتد من الشلال الأول في أسوان وحتى الشلال الخامس قبل بداية انحناء النيل وكان الناس يعيشون على هذا الشريط الضيق على النيل، والذي يمتد نحو خمسمائة كيلو متر يتحدثون لغات النوبة التي تنتمي إلى العائلة اللغوية الكبرى والتي تسمى لغات شمال وشرق السودان، واللغة النوبية صمدت وبقيت على مر العصور رغم تعرض النوبيين على اختلاف مناطقهم الجغرافية لكثير من الإقتحامات والتفاعلات الثقافية، وقد ساهم التراث النوبي في تعزيز دور الإقتصاد المحلي وذلك عن طريق الموقع الجغرافي للأماكن الأثرية والسياحية.

يأتي دور الدولة في الحفاظ على التراث وتنميته عن طريق التخطيط والتنمية السياحية والحفاظة على الإرث الثقافي فهو جزء لا يتجزأ من أمنها القومي ومن منظومة الحفاظ على وجودها والتأكيد على أصالتها وعلى منع أفرادها من الإنزلاق في ثقافات بعيدة عنها والتي تؤدي في النهاية إلى تلاشيها وفقد تراثها الإجتماعي والثقافي وتقويض المجتمع فيها والعبث بأركانها الأساسية من مفاهيم وعادات إجتماعية.

دور الموقع في تكوين التراث النوبي: كان الإنسان على مر العصور يحاول معرفة العالم من حوله، وما

يحيط به، فكانوا يهتمون بمعرفة مساحات الأرض، وكذلك معرفة كيفية توجيه مبانيهم بشكلٍ دقيق، وكانوا يهتمون بالملاحة، وعلى

الرغم من كل ما قدمه النوبيون والفراعنة والفينيقيون من معلومات في مجال الجغرافيا؛ إلا أن أول من قدم لنا معلومات مفصلة عن الجغرافيا هم الإغريق القدماء، فالشاعر هوميروس المشهور بملحمته الأدبية الأوديسة يعد أول جغرافيٍ إغريقيٍّ؛ حيث كان وصفه لأماكن مختلفة في إقليم البحر الأبيض المتوسط دقيقاً جداً على الرغم

من أن ملحتمه لم تكن مُختصة بالأمر الجغرافية، والموقع هو أحد المفاهيم الجغرافية وقد يكون أهمها، فالجغرافيا هي علم المكان وعلاقة الأماكن ببعضها البعض والاختلاف بينها، وبذلك فإن الجغرافيا هي علم الموقع والاختلاف بين المواقع وعلاقتها ببعضها البعض. إن أهمية أي موقع يتحدد بمحيطه أكان قريباً أو بعيداً، يعتقد أن أول من تحدث عن أهمية الموقع الجغرافي وأهميته في إنشاء المباني العمرانية هو العالم اليوناني سترابو، ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت بداية استخدام مفهوم الموقع^[1].

أنواع المواقع:

- الموقع الجغرافي الفلكي: وهو وقوع المنطقة بين خطوط الطول ودوائر العرض.

- الموقع الجغرافي، ويضم الآتي:

1. الموقع الجغرافي الطبيعي: هو موقع المكان من الناحية الجغرافية الطبيعية كالتضاريس، وللموقع الجغرافي الطبيعي مجموعة من العناصر التي تؤثر فيه، منها المناخ والتركيب الجيولوجي وشكل سطح الأرض (وديان وسهول وجبال)، وكذلك المسطحات المائية (مخيمات، ومستنقعات، وبحار)، وأيضاً النبات الطبيعي (الحشائش والنباتات الصحراوية والغابات)، وكل هذه العناصر تؤثر في الشكل الخارجي والداخلي للأقاليم، فنرى عند المناطق ذات السهول الخصبة والمياه الوفيرة مراكز للإعمار البشري على مر الزمان.

2. الموقع الجغرافي الاقتصادي- البشري: إن مفهوم الموقع الجغرافي الاقتصادي - البشري تشكل على يد بارانسكي الجغرافي الروسي عام 1929م؛ وذلك أثناء دراسته للأقاليم والمدن، وهذه النظرية تعد إحدى الإنجازات الجغرافية الاقتصادية السوفيتية خلال الفترة الاشتراكية؛ إلا أن أول من استخدم مفهوم الموقع الجغرافي الاقتصادي هو الفرنسي إلكين، ويرى بارانسكي أن الموقع الجغرافي الاقتصادي هو العلاقة ما بين منطقة معينة وما بين مجموعة العناصر الاقتصادية خارج هذه المنطقة والتي تحيط بها^[2].

3. الموقع الجغرافي النسبي: هو موقع المكان أو الإقليم بالنسبة للمناطق والأماكن المهمة المحيطة حوله، ويتغير الموقع النسبي بتغير كل من الظروف الاقتصادية والبشرية وكذلك التاريخية، ويساعد الموقع النسبي على تحليل منطقتين أو إقليمين سواء أكان ذلك عن طريق الثقافة أو المسافة أو حتى التكنولوجيا، فالإتجاهات (شمال، وجنوب، وشرق، وغرب) تساعدنا في وصف وتحديد المكان بالنسبة لمكان آخر "الموقع الاستراتيجي"، فالموقع الاستراتيجي هو مصطلح جغرافي يستخدم لتعريف والتعبير عن الموقع أو المكان الذي يحتل أهمية ومكانة سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، أو جميعها معاً على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي، فموقع الحضارة النوبية (وآدي النيل - مصر والسودان) يتمثل في الآتي:

• بوابة الربط بين آسيا وأفريقيا، لذلك فهو يحتل موقعاً استراتيجياً مميّزاً جداً، يحدد الموقع الجغرافي إمكانات الجذب السياحي للمنطقة، ويرجع ذلك إلى أنه يتضمن عدد كبير من المكونات التي ترتبط بتغيرات عديدة بإمكانها أن تكون أساس النشاط السياحي، وتمثل معظم هذه المكونات في اختلاف الوحدات الإقليمية

المقابلة التي تتضمن تباينا في الحجم السكاني والعادات والتقاليد وتنوع الظواهرات الجغرافية ومدى الموارد الإقتصادية^[3]، يعزي أعظم مناطق الجذب السياحي في العالم إلى موقعها الجغرافي المميز بالإضافة إلى ما تملكه من موارد طبيعية وجيومورفولوجية متنوعة تساهم في تنميتها السياحية وتمثل أهمها في الشلالات، حيث قامت أقدم الحضارات وهي الحضارة النوبية على ضفاف نهر النيل وعلى امتداد الشلالات شلالات عميقة من الشلال السادس أو الجنادل السادس أو السبلوقة هو أحد الشلالات الستة لنهر النيل.

ويقع جنوب البحراوية في منطقة المسيكتاب في قرية السبلوقة وهي من القرى السودانية العريقة، ويتمتع بمناظر طبيعية خلابة جداً وتعتبر السبلوقة من أهم المناطق الأثرية السياحية المهمة ومقصداً للسياح وذلك لطبيعة المنطقة الجبلية وضيق المجرى والتدفق المائي فهي توفر بذلك سياحة التزلج والسباحة والرحلات النيلية ومناخها يعتبر شبه صحراوي وطبيعة المنطقة جبلية وتكثر فيها الصخور، كما وتضم العديد من أجناس الحياة البرية كالطيور والأرانب والغزلان والحيوانات المختلفة، والطبيعة جعلت من شلال السبلوقة منطقة سياحية بكامل المواصفات، يليه الشلال الخامس ويقع شمال البحراوية، في إمتداد نهر عطبرة وله تاريخ في الحضارات النوبية حيث يعتبر وقع استراتيجي وتجاري ومنطقة ربط مهمة، ثم الشلال الرابع أو "الجنادل الرابع"، هو أحد الشلالات الستة لنهر النيل، وهو شلال سد مروى ويقع بين مروى وصحراء المناصير، وأصبح يصب خلف سد مروى بدءاً من 2018، ويعد بناء سد مروى العتيق مصدر للطاقة الكهربائية وقبلة للسياحة فمروى تتمتع بمنظر خلاب وتاريخ الحضاري العتيق.

ثم يواصل النيل سيره شمالاً مروراً بالشلال الثالث، وهو أحد الشلالات الستة لنهر النيل، وكان يسمى قديماً "Tomboys" باللغة النوبية، يوجد على نهر النيل بالولاية الشمالية بالسودان منطقة ذات طابع تراثي أصيل، قرب مدينة (دلقو) ويتم النهر مسيرته من خلال عنفوان تلك الشلالات ليصل الشلال الثاني شمال مدينة حلفا السودانية والتي طمرها النيل بعد قيام السد العالي في عام 1964 ليغمر معها جزء ليس باليسير من حضارات قديمة ولكن بقي منها الجزء الأعظم ليشهد بذلك الإرث القديم لتلك الحضارات التي كادت أن تطمس هويتها. وقد اختفى تحت بحيرة ناصر بعد السد العالي ويقع الشلال الثاني في منطقته يقل انسيابه في الصيف ويعد من أهم الشلالات لاندفاعه في فترة الفيضانات بالإضافة إلى أن المنطقة الواقعة بعد الشلال تمثل موقعاً مناسباً للجذب السياحي بمظهرها الجيومورفولوجي الرائع وتاريخها الباقي رغم ما فعله بها السد العالي، وقبل أن يصب نهر النيل العظيم الذي يحمل معه أسرار وكريات حضارات وإرث أزلّي وقبل أن تنتهي رحلته في البحر الأبيض ليختتم رحلته الطويلة بأحر شلالاته وهو في مرحلة الشيخوخة والتي تعتبر آخر مراحل أطواره، في منظر أرسابي خلاب مما جعلها منطقة للجذب السياحي.

مما سبق اتضح لنا أهمية الموقع الجغرافي في قيام ونجاح أقدم الحضارات حيث أنها قامت ليس على نهر النيل من أجل الشرب والزراعة ورعي الحيوانات فحسب بل أستقلوا أفضل المناطق الجيومورفولوجية إلا وهي الشلالات ذات الطابع الجمالي الذي أصبح الآن من أهم المناطق للجذب السياحي.



خريطة (1) توضح شلالات وادي النيل والحضارة النوبية

• يمثل تجاور المناطق المتباينة الخصائص الجغرافية بالإضافة الى سهولة طرق الاتصال السريعة والسهلة من الموارد التي تساعد على الإزدهار السياحي، وتبرز قيمة الموقع في حالة ما إذا كانت المنطقة المتميزة بمواردها الجغرافية ذات أثر سياحي كـ بعض المظاهر الجيومورفولوجية المتميزة بشروات طبيعية وإطلالات خلابة وتتضح هذه القاعدة من مقارنة الأوضاع السياحية لمناطق مختلفة في العالم [4].

• لتباين الخصائص الطبيعية للمواقع المتجاورة دورها الأعظم في الأوضاع السياحية لها.. فالشواطئ والسواحل في موقعهم بالنسبة للمناطق القارية، والجبال والوديان والتلال في مواضعهم بالنسبة للمناطق السهلية كلها مفارقات تجعل المناطق الأنسب سياحياً تستفيد من موقعها في زيادة الطلب السياحي عليها. ومنذ القدم استوطن الإنسان مواقع الشواطئ والسواحل والسهول، بإعتبارها أنسب الأماكن لاستقراره وبذلك قامت أعتق الحضارات على ضفاف الأنهار كحضارة ما بين النهرين والحضارة النوبية وغيرها .

مفهوم النشاط السياحي: يعرفها الباحث Henniker على أنها مجموع الظواهر والعلاقات التي تترتب على الإقامة المؤقتة لشخص خارج مكان إقامته الإعتيادية، وتعتمد العديد من الدول في اقتصادياتها على السياحة لما لها من مزايا اقتصادية تساهم في رفع مستوى الدخل وزيادة الرخاء وتعتبر قطاعاً تصديراً كما وتعمل على زيادة فرص الاستثمار الوطني وتوفير فرص العمل [5].

مفهوم التخطيط السياحي: يعرف التخطيط السياحي عامةً بأنه رسم صورة تقديرية مستقبلية للنشاط السياحي في دولة معينة وفي فترة زمنية محددة، ولعمل ذلك يقتضي حصر الموارد السياحية في الدولة المعنية من أجل تحديد أهداف الخطة السياحية المنشودة وتحقيق التنمية السياحية المنتظمة والاستفادة من الموقع الجغرافي

لاستقطاب السياح وتوسيع فروع النشاط السياحي، ويجب النظر للتخطيط السياحي على أنه برنامج عمل مشارك بين الجهات الحكومية والقطاع الخاص والأفراد.



467

صورة (1) إعادة ترميم بعض الآثار النوبية في منطقة الجراوية بالسودان بحضور عدد من الشخصيات المهمة

تعريف الحضارة: عرفت الحضارة بكثير من التعريفات من قبل علماء الأنثروبولوجيا، فقال رالف بدنجتون إنّ حضارة أي شعب ما هي إلا حزمة أدوات فكرية ومادية تمكن هذا الشعب من قضاء حاجاته الاجتماعية والحيوية بإشباع وتمكنه كذلك من أن يتكيف في بيئته بشكل مناسب. كما عرّف إدوارد تايلور الحضارة بأنها: الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأي عادات، أو سلوكات، أو إمكانات، يمكن أن يحصل عليها فرد ما في مجتمع ما. ويمكن تعريف الحضارة في النهاية على أنّها إرث الإنسان المادي والمعنوي الذي خلفه في الماضي، والذي اعتمد عليه الإنسان لإكمال مسيرة حياته وتقدمه الحالي، سواء أكانت مظاهر معنوية كأسلوب الحياة، والمعيشة اليومية، والعلوم، والمعارف، أو أدوات ووسائل مادية بقيت أثراً لوجوده كالبنيان، والمسكوكات، والأعمال اليدوية المختلفة؛ مثل الخزف، والفخار، وغيرها.^[6]

نشوء الحضارات: بدأ نشوء الحضارات على أسس قبلية، حيث استمدت مددها من قوة رابطة الدم والقرابة، فكانت القبيلة بذلك مجالاً حضرياً له العديد من الأنماط، والعادات الخاصة به والتي تنظم سلوك أفراده في نسق اجتماعي واحد. ثم بدأت تتطور لتنتقل من النطاق القبلي إلى النطاق الديني الذي ضم بدوره

قبائل عديدة. ومن ثم تطورت للنطاق السياسي الذي ساهم في اندماج جماعات منعزلة مع جماعات أخرى، وقد تشكلت عبر التاريخ عدة نظريات حول نشوء الحضارات، ونستعرض أهم هذه النظريات فيما يأتي.^[7]

نظرية البيئة: تقر هذه النظرية أهمية العوامل البيئية في نشوء الحضارات وتشكلها، وقد خرجت هذه النظرية للعالم في القرن الخامس قبل الميلاد، وتحدث فيها كثير من مفكري اليونان حيث قالوا بأثر المكان، والماء، والجو على الإنسان في تفكيره وطبيعة خلقه، كما تعدد هذه النظرية بعضاً من الشروط الأساسية لقيام الحضارات ونموها، درجات الحرارة، وطبيعة الموقع الجغرافي. وتطورها، أو انحطاطها، ومنها: وجود المطر، وطبيعة التربة صلاحيتها للزراعة، وارتفاع أو انخفاض^[8]

كيف قامت الحضارة على ضفاف نهر النيل: كان نهر النيل يلعب دوراً هاماً في تكوين الحضارة، عندما سكن الإنسان وادي النيل ساعده النهر في معرفة الزراعة، ثم عرف الإنسان الاستقرار في مكانه فأصبح الفرد يعيش وسط مجموعة وترتب على ذلك تكوين التجمعات البشرية والعمرانية، وساعد النهر أيضاً الإنسان القديم في التنقل والغذاء بجانب بعض المشاهد والمعتقدات الدينية كما كان المصري القديم يقدس النهر النيل، فظهرت المعبودات التي كانت متصلة بالنيل كمعبد حيمي ومعبد سبك وإبي سمبل وعرفت بعدها طرق قياس نهر النيل^[9]. أما عن أثر نهر النيل في الحضارة الإسلامية، فكان له تأثير كبير في الزراعة والعمارة والتجارة، وأنشأ المسلمون مقاييس نهر النيل لمعرفة زيادة ونقصان ماء النيل، لتحديد الضرائب وخراج الأراضي الزراعية. وتم بناء الجسور والقنوات وشق الترع للري^[10].

جيومورفولوجية وادي النيل: تتميز منطقة وادي النيل بخصوبة أراضيها، وذلك بفضل نهر النيل الذي يمر من خلالها، حيث ينبع من جنوب السودان ويتجه شمالاً في مسافات ومساحات كبيرة حتى يصل مصر ليصب في البحر الأبيض المتوسط، ويتميز نهر النيل بفيضانه المستمر ليعمل على تغذية الأراضي التي يحيط بجوانبه بالظمي مما جعل منها أراضي خصبة للزراعة، وكذلك توفر الدفء وضوء الشمس على مدار العام مما أدى ذلك لأن تصبح مقصداً لقيام حضارة إنسانية من اقدم الحضارات في العالم وهي الحضارة النوبية^[11].

الحضارة القديمة في وادي النيل: هي حضارة قديمة تسمى الحضارة النوبية التي قامت على منطقة جغرافية تسمى اليوم السودان ومصر حيث تتميز الدولتان بكنوز أثرية قديمة توارثتها من قيام الحضارة القديمة في وادي النيل، وكأي حضارة إنسانية لها تاريخ عريق ومظاهر وأنجازات.



صورة (2) لبعض من المواقع الإستراتيجية للحضارة النوبية في منطقة مروى بالسودان يلاحظ الموقع على ضفاف نهر النيل

الجغرافية التاريخية للحضارات القديمة في وادي النيل: الحضارة الفرعونية نبتت على ضفتي نهر النيل في شمال السودان وجنوب مصر وتشكل رحلة صعود النهر إلى مصر لوحة فنية رائعة تزينها أعرق حضارة بشرية عرفها التاريخ حيث يعبر النيل الصحراء والواحات في طريقه إلى المصب مروراً بالحدود المصرية المتاخمة للسودان وقبل أن يصل إلى أسوان يمر بمدينة كرمة عاصمة مملكة كوش أول الممالك الإفريقية وأعظم حضارة عرفها العالم منذ أكثر من 2500 قبل الميلاد وبوادي حلفا وبحيرة ناصر التي تقع على بعد 200 كيلو متر من الشلال الثالث، حيث دنقلا العجوز التي كانت عاصمة المملكة المسيحية **Makourra** وبها أعرق كنيسة في القرن السابع وفي رحلة العبور للصحراء يوجد جبل البركل المقدس وهناك تداخل ثقافي مهم جداً ساهم في قيام مملكة نبتة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومروي عاصمة كوش قبل 600 سنة قبل الميلاد وفي هذا الوقت احتفظ الفراعنة بإرثهم وثقافتهم في منطقة المصورات، وفي الضفة الشرقية للنيل داخل السودان يوجد معبد الأسد **APEDEMAK** الذي يقع بين النيل والصحراء وهو معبد الإله آمون، تلك الحضارة النوبية السودانية، والتي مر عليها 27 قرن من الزمان واكتشف عالم الآثار (عالم الآثار السويسري شارلي بونيه) أن كلمة نوبة تعني بلغة الفراعنة الذهب وهذا يؤكد أن الفراعنة هم ملوك مملكة النوبة وقال: أن حضارة وثروات السودان كانت منذ قرون طويلة مطمع للآخرين^[12]. وشهدت كرمة أول حضارة في التاريخ حيث بنيت قصورها وقلاعها بالطين (الجالوص) على ارتفاع 20 متر آنذاك وكانت تسمى المباني العالية في لغة النوبة بـ (**deffufa**)، وفي الختام تحدث شارلي بونيه عن مجهود السودانين الذين كافحوا معه من أجل إحياء هذه الحضارة العظيمة وأن مدينة كرمة السودانية ستكون محط أنظار كثير من السواح وستأخذ شهرة دولية بسبب هذا الإكتشاف العظيم^[13].

ثقافة كرمة (Karma culture): ازدهرت مبكرة من حوالي عام 2500 ق.م. حتى حوالي 1600 ق.م. في منطقة النوبة شمال السودان (في منطقة سهلية تحفها الأودية الخصبة المتاخمة لنهر النيل)، امتدت من حوالي 1500-1700 ق.م، وشملت مملكة صاي (جزيرة صاي بمنطقة عبري - شمال السودان)، وأصبحت إمبراطورية قوية مأهولة بالسكان، وتقع مدينة كرمة التاريخية على الضفة الشرقية لنهر النيل شمال دنقلا السودانية، وجنوب الشلال الثالث في حوض عظيم يعرف بحوض كرمة حيث التربة الصالحة للزراعة والمياه الوفيرة مما أهلها أن تكون منطقة استقطاب للسكن وال عمران والإستقرار منذ القدم^[4].

من أهم القطع الأثرية التي عثر عليها في موقع مملكة كرمة القديمة:

- أواني فخارية على درجة رفيعة من الصقل بالإضافة إلى أواني فخارية أخرى على هيئة حيوانات.
- خناجر نحاسية.
- مصنوعات خشبية مطعمة بالعاج والمايكا في أشكال زخرفية وحلة مخيطة على قلانس جلدية كما وجد عناقير خشبية تتميز بمساند للرأس وفي ذلك تختلف عن العناقير المصرية.
- تتصف الحضارة النوبية بالعديد من المظاهر الإجتماعية والدينية والإقتصادية والسياسية والفكرية والعسكرية وفي مجال العلوم والفنون ومن أبرز هذه المظاهر الآتي :

470

- **المظهر الاجتماعي:** حيث يتألف المجتمع من عدة طبقات (الطبقة العليا - طبقة الكهنة - وطبقة الحرف المميزة - الطبقة الوسطى - الطبقة الدنيا التي تتمثل بالعبيد والخدم).
- **المظهر الديني:** تميزت بتعدد الآلهة، حيث اتخذت أشكالا مختلفة من الحيوانات وقوى الطبيعة وإيمانهم بالتحف وهذا ما دل عليه ظاهرة تخنيط الميت.
- **المظهر الاقتصادي:** تنوع اقتصاد هذه الحضارة ما بين الزراعة والصناعة والتجارة واهتمامهم الكبير في ابتكارات آلات الري مثل الساقية والشادوف كما اهتموا بصناعة النسيج والجلود وورق البردي للكتابة.
- **العمارة:** من أبرز مظاهر العمارة هي المعابد والقصور والمقابر، وتعتبر الأهرامات الشاهقة في مصر والسودان من أشهر فن معماري حيث كانت بمثابة مقابر للملوك كما أشارت إليه الإكتشافات التاريخية القديمة

أما ما أثبتته الإكتشافات الحديثة عن الحضارة النوبية بالسودان:

حققت بعثة آثار روسية إيطالية مؤخراً اكتشافات مثيرة للإهتمام في السودان وصفها المسؤولون المحليون المختصون بأنها الأكبر خلال العقد المنصرم. وتعمل البعثة المشتركة الروسية الإيطالية في السودان منذ عام 2009، وقد تمكن علماء البعثة من معرفة الكثير من أسرار حضارة مملكة كوش القديمة التي نشأت في منطقة

النوبة شمال السودان في الألفية الأولى قبل التاريخ وحتى القرن الرابع الميلادي. وتعرف مملكة كوش أيضا بمملكة مروية نسبة لمدينة مروية الرئيسة بالمنطقة. ويرأس الفريق الروسي في البعثة المشتركة إيلينورا كورميشيفا مديرة مركز دراسات الحضارة المصرية في معهد الدراسات الشرقية، في حين يتقدم فريق علماء الآثار الإيطاليين إيودجينيو فانتوساتي الأستاذ في جامعة ساينزا بروما.

يتمثل الإكتشاف الرئيسي لهذه البعثة الروسية الإيطالية الذي تحقق نهاية عام 2015 ووجود مسبح من البازلت وقاعدة لقارب مقدس ونقوش هيروغليفية عشر عليها نهاية العام الماضي داخل أطلال معبد قديم يظهر أنه تعرض لحريق كبير، ويجري حاليا تحديد زمن الحريق، لأن كشف الكربون المشع لم يعط نتائج واضحة حتى الآن. ووجدت قاعدة القارب المقدس في قسم المعبد الأوسط، ويقول علماء الآثار أن القارب وتمثال الآلهة النوبية الذي يوضع على متنه، يُحمل من المعبد للمشاركة في الطقوس أثناء الأعياد الدينية.

تعد القطع التي تحمل نقوش الكتابة الهيروغليفية من أهم الاكتشافات الواعدة وذلك لفائدتها في دراسة العلاقات بين حضارة كوش والحضارة المصرية القديمة وأوجه الاتصالات بين هذه الحضارة وممالك العالم القديم الأخرى. ويقول العلماء أن النقوش التي عشر عليها شمال السودان في منطقة لم يسبق التنقيب فيها تحمل رموز الكتابة الهيروغليفية المصرية التي استعارها أبناء حضارة الكوش أو حضارة مروية بعد انقراض رموز لغتهم الخاصة.

بدوره، كشف رئيس فريق العلماء الإيطاليين أنه على الرغم من أن دراسة النقوش الهيروغليفية بدأت لتوها، إلا أن البعثة المشتركة تمكنت من فك شفرة الأختام المنقوشة في القطع الأثرية التي عشر عليها، وتبين أنها تشير إلى الملك "نتكاماني" الذي حكم مملكة مروية في أوج ازدهارها، التي لعبت آنذاك دوراً مهماً في المنطقة، وكانت لها صلات دبلوماسية وتجارية وثيقة مع الامبراطورية الرومانية حتى القرن الرابع الميلادي الذي شهد سقوط حضارة مروية تحت ضربات منافس جديد تمثل في مملكة أكسوم الإثيوبية (مصدر سابق - مجلة سويسرية).

ويقول أعضاء في البعثة الأثرية الروسية الإيطالية العاملة في منطقة النوبة بالسودان إن اكتشافات البعثة المشتركة متنوعة، مشيرين إلى العثور عام 2014 على مدفن للمسيحيين الأوائل في موقع التنقيب ببلدة أبو ارتيل، فيما أعطت الاكتشافات التي تحققت في عام 2015 المنطقة مكانة هامة في تاريخ الآثار السودانية، وهذا التأثير إيجابي للغاية حيث يؤثر الفن النوبي والطبيعة الخلابة في النوبة عامةً في تلك المناطق تأثير قوى وفعال في السياحة، كما في الآثار السياحية في شمال الوادي .

التخطيط السياحي ودوره في ازدهار التراث النوبي والتنمية الاقتصادية: تلعب السياحة دوراً هاماً في اقتصاديات الدول وتحتل مكاناً مرموقاً واهتماماً عالمياً من جانب الحكومات والخبراء حيث الإصرار على أن الدولة التي اخذت في تطوير وتنمية القطاع السياحي فيها تأخذ طريقها نحو التنمية الاقتصادية وتحسين الهيكل الاقتصادي ويظهر الأثر الاقتصادي للسياحة في زيادة الإيرادات السياحية من النقد الأجنبي مما يعطي الدفعة اللازمة للتنمية بتوفير أكبر قدر من العملات الأجنبية التي ينفقها السائحون خلال مدة اقامتهم على مختلف الخدمات والسلع السياحية وغير السياحية كما أن هذا الإنفاق السياحي يحقق أثراً مضاعفاً إذا أعيد إنفاقه عدداً من المرات على تحسين السلع والخدمات مما يؤدي إلى مضاعفة هذا الدخل ولا تقتصر الفائدة التي تعود على الإقتصاد القومي من النشاط السياحي الجاري بل أن الإنفاق السياحي الإستثماري يساهم في تنمية عدد من القطاعات التي تغذي قطاع السياحة بما يحتاجه من سلع وخدمات، كما يمكن للحكومة التحكم في مساهمة السياحة في الإيرادات الحكومية بالقدر الذي تحتاجه متمثلاً في أشكال ضريبية مباشرة وغير مباشرة على الأرباح التجارية والصناعية والجمركية.

ترميم الآثار النوبية والمحافظة عليها: يعتبر التراث الحضاري المعماري النوبي مبعث فخر للأمم واعتزازها ودليلاً على عراقتها وأصالتها، أي أنه معبر عن الهوية الوطنية وصلة وصل بين الماضي والحاضر، ومن المؤسف أن يكون ذلك التراث حتى وقت قريب مضى عرضة للضياع والهدم، وبالتالي الإندثار والإهمال الذي تسبب في تلفها وخرابها أو عن طريق التسرب إلى الخارج .



صورة(3) آثار وحضارات تكاد أن تتلاشى بتأثير الزحف والرمال والإهمال

لقد حفل الماضي بالكثير من القصور والمعابد والمسكن منذ الألف الثالث قبل الميلاد فهناك المدن المحصنة المشيدة باللبن والجالوص أو الحجارة مثل الإهرامات في مصر والسودان وبذلك ظل لكل حضارة أسلوبها الخاص الذي تتميز به في فن العمارة والفنون وكان ذلك محصلة لحاجتها وثقافتها وعقائدها، ومن الطبيعي أن تسهم مواد البناء المتوفرة في كل بلد في إعطائها الميزة التي أصبحت تتميز بها فهناك أبنية اعتمدت على اللبن في إشادتها، وهناك من اعتمدت على الأجر وثالثة بُنيت بالحجارة، وهناك من اعتمد على الأخشاب المتوفرة لديهم لإقامة الجدران والسقوف وصناعة الأبواب والنوافذ، ومن الطبيعي أن تكون الأبنية المشادة بالحجر أكثر مقاومة للفتاء أي للخراب والدمار وبالتالي فهي أطول عمراً وأكثرها مقاومة لعوامل التلف من أبنية الطين أو الخشب^[5]. هناك عدد كبير من الأخطار التي تسبب الضرر للمباني التاريخية والأثرية وبالتالي تتسبب في خرابها والتوقف عن استخدام تلك المباني وبالتالي تأكلها التدريجي، ويمكن إجمال تلك الأخطار في الأمور التالية:

أولاً. الأضرار التي تسببها الطبيعة:

أ. الزلازل والبراكين والصواعق. لا يمكن للإنسان التنبؤ بحدوث الزلازل كيف ومتى إلا قبل وقت قصير من حدوثه لدرء أخطاره، وتسبب الزلازل أضراراً بالغة للمباني التاريخية والأثرية مثل الخلللة والتشقق وأحياناً الإهيار وغيرها من الأخطار وتتناسب هذه العملية مع شدة الزلازل ومدتها. وفي حالة البراكين تتعرض الكثير من الآثار للتلف والدمار أما عن الصواعق فأمكن تركيب مانعات الصواعق ودرء أخطارها وفي هذه الحالة لا بد من دراسة المبنى التاريخي ودراسة توزيع تركيب مانعات الصواعق وإجراء فحص دوري لها رغبة في إبقائها جاهزة الفعالية^[11]، كخلاصة يمكن أن نقول أن الزلازل والبراكين والصواعق تتسبب في تدمير كثير من المواقع والمباني التاريخية وتركها مع الزمن أثراً بعد عين.

ب. الأمطار والسيول: من المخاطر الطبيعية التي تتعرض لها المواقع الأثرية والمعالم التاريخية هطول الأمطار بغزارة ولمدة طويلة أحياناً مما يسبب انجراف التربة التي تقوم فوقها المخلفات الحضارية أو زيادة نسبة الرطوبة النسبية فيها التي تُلحق أضراراً كبيرة إضافة إلى ارتفاع منسوب المياه الجوفية أو ارتفاع منسوب مياه البحار خاصة في الجزر أو المدن الواقعة على شاطئ البحر أو على شاطئ الأنهار الكبيرة، أما السيول فتسبب بانجراف التربة وتخلخلها

ج. العوامل الجوية: تظهر هذه العوامل في أحوال الطقس والمناخ كارتفاع درجات الحرارة أو انخفاضها والرطوبة وشدة الرياح التي تسبب التعرية والتجوية الذي ألحق أضراراً كثيرة بالمعالم التاريخية والأثرية وبالمخلفات الفنية.

ثانياً: الأضرار الناتجة عن سلوك الإنسان: هناك عدد من الأمور التي تحدث ويكون مصدرها الإنسان مثل: الحرائق فقد تسبب الإنسان عن قصد أو غير قصد في إشعال النيران وإحداث أضرار جمة بالممتلكات الأثرية والحروب وأما عن أعمال الهدم والتخريب فقد شجع ضعف المراقبة أحياناً كثيراً من المؤسسات أو الأفراد على

القيام بأعمال تؤدي إلى هدم المباني التاريخية رغبة في تجديدها أو إزالتها لتقييم مكانها بناءً جديداً. وقد يلجأ بعض متصيدي التحف والعاديات الطامعين في الكسب المادي غير المشروع إلى هدم المباني التاريخية وأخذ عناصرها التاريخية قصد بيعها للهواة، عموماً إن أعمال الهدم والتخريب التي أحققها الإنسان بالمخلفات الأثرية النوبية سبب فقدان وضياع الكثير منها.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث اتضح أن التراث في الوقت الحاضر يتعرض للعديد من التهديدات الطبيعية والبشرية، والتي تسبب له الإضمحلال والفتور والاهمال والذي يعتبر ضرراً كبيراً يمس أطراف المجتمع ويؤدي إلى تفويض أركانه، لذا يفضل بذل جهود مضمّنة للمحافظة على الإرث النوبي من الضياع من خلال حمايته على الصعيد الوطني والعالمي.

النتائج والتوصيات:

مما سبق تؤكد الدلائل أن الحضارة النوبية من أقدم حضارات العالم، وكان لموقعها الجغرافي المتميز وتاريخها العريق دوراً هاماً في تطورها مما جعلها من أقدم الحضارات، رغم أنها تدهورت وذلك بسبب العشوائية إبان الحقبة الاستعمارية، وكما إن ضعف المنهج المستخدم في التخطيط السياحي هو من أبرز الأسباب التي أدت إلى ضعف السياحة للإرث النوبي في أغلب الأحيان، وبالتالي فإن تخطيط التنمية السياحية جزأ لا يتجزأ من خطة التنمية الإقتصادية حيث يندرج ضمن أهم المصادر المادية للشعوب والذي يعبر عن النشاط الإنساني الثقافي والإجتماعي، كما أنه مصدر مهم من مصادر المعلومات.

ويعتبر الحرص على الصيانة المستمرة للتراث وخصوصاً الغير مكتوب من أهم التوصيات للحفاظ عليه، وعلى الدولة القيام بإعداد منهج شامل كدليل للآثار حيث يتوجب عليهم القيام بالتصنيفات اللازمة حول الآثار مع الحرص على دراسة المعالم والمناطق الأثرية النوبية دراسة استيعابية والتنجيم عنها في أماكن جديدة مع محاولة رصد الآثار الموجودة واستمرارية الترميم والصيانة، خاصةً لأن تلك الحضارة والإرث القيم يقع في بيئات صحراوية قد تتعرض فيها الآثار إلى عوامل الطقس والمناخ وعوامل التعرية والتجوية والرطوبة والجفاف يتوجب على جهات الاختصاص مراعاة ذلك في استدامة الترميم والصيانة للحفاظ على الآثار النوبية في الأماكن التي تتعرض لعوامل الطقس والمناخ الصحراوي، خاصةً بالسودان وبذل كل الجهود الممكنة لترميم لكثير من الأبنية التي تمثل التراث العمراني النوبي، الثقافي والحضاري كما أن نشر المعلومات عبر الكتب الدراسية ووضع منهج علمي يزيد الوعي بأهمية الحفاظ على التراث.

المراجع العربية:

1. عيدان محمد (2000)، الاستثمار السياحي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
2. عبد الوهاب رزيق (2001)، منتدى الاستثمار في شمال إفريقيا، المركز الإنمائي، العدد 08
3. سليم محمد عبد الرحيم (2003)، التخطيط السياحي للتراث النوبي، الدار السودانية للتوزيع والنشر، الخرطوم.
4. غنيم عثمان سعد (2003)، التخطيط السياحي، الطبعة الثانية، دار الصفاء للتوزيع والنشر، عمان
5. عبد الباقي محمود (2004)، النشاط السياحي والتخطيط، القاهرة.
6. قسيمة كباشي حسين (2005)، تنمية وتطوير السياحة في الولاية الشمالي، مؤتمر السياحة بالولاية الشمالية، السودان.
7. أحمد محمود مقابلة (2007)، صناعة السياحة، دار الكنوز للمعرفة، القاهرة.
8. أحمد دفع الله (2009)، واقع وآفاق مستقبل السياحة في السودان، الخرطوم.
9. دوله محمد أحمد (2011)، أثر مظاهر السطح في نشأة الحضارة النوبية، دار عزة للنشر، الخرطوم
10. الصباح السويسرية Le Matin في عددها الصادر يوم الأحد 26 - 06 - 2015
11. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (2016)، حماية التراث، الأردن.

المراجع الأجنبية:

1. by Elsevier B.V, "The Importance of the Intangible Cultural Heritage in the Economy" ،www.sciencedirect.com, Retrieved 9-11-2017.
2. World Heritage site", www.britannica.com,24-10-2017 ،Retrieved 29-10-2017.
3. by: Savino di Lernia (28-1-2015), "Cultural heritage: Save Libyan archaeology" ، www.nature.com, Retrieved 29-10-2017.
4. Convention Concerning the Protection of the World Cultural and Natural Heritage", www.whc.unesco.org, Retrieved 29-10-2017
5. The Editors of Encyclopaedia Britannica, "World Heritage site" ،britannica.com, Retrieved 2018-8-8

الإعلام المحلي وتنمية السياحة المحلية المستدامة دراسة في الأشكال والأساليب

د. منير طبي

جامعة العربي التبسي - الجزائر

د. راضية قراد

جامعة العربي التبسي - الجزائر

ملخص

يعتبر الإعلام السياحي المحلي من أحد الركائز الأساسية لتجسيد التنمية في قطاع السياحة المحلية، من خلال رفع المداخل السياحية وتوفير فرص العمل وتمويل ميزانيات الجماعات المحلية من بلدية وولاية وتنشيط الحركة التجارية وكل ما يتعلق بها، وما زاد الإعلام السياحي أهمية هو شدة المنافسة بين بلدان العالم لمحاولة جذب أكبر عدد من السائحين إليها، وبهذا أضحت السياحة مهنة وصناعة بكل معنى الكلمة، بما تحتاج إليه من خبرات وكفاءات وتسويق وترويج، بما في ذلك التسويق والترويج لها عبر وسائل الإعلام المحلية. حيث أردنا من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى دور الإعلام المحلي في تحقيق التنمية السياحية المحلية المستدامة، من خلال التعرض إلى أهم مبادئها وأهدافها ومستويات تأثير أشكال الإعلام السياحي المحلي عليها.

الكلمات المفتاحية: الإعلام المحلي، التنمية المحلية، الإعلام السياحي، التنمية السياحية المحلية المستدامة.

Abstract

Local tourism information considered one of the basic pillars that reflects the development of the domestic tourism sector, by raising tourism revenues, providing jobs, financing the budgets of the local communities from the municipality and state, and activating the commercial movement and everything related to it. And what increased the importance of tourism media is the intensity of competition among the countries of the world, to attract the largest number of tourists. Thus, tourism has become a profession and industry in every sense of the word with the expertise, competencies and marketing it needs, including marketing and promotion through the local media.

Through this research paper, we are going to discuss the role of local media in achieving sustainable local tourism development via exposure to the most important principles and objectives and the influence's levels of local tourism media.

Key words : local media, local development, tourism information, sustainable local tourism development.

مقدمة

يعتبر الإعلام من الوسائل المستخدمة لمخاطبة الأفراد والمجتمعات على اختلاف طبقاتها على حد سواء، فهو ينقل الأخبار بصورة يستطيع المتلقي أن يفهم مضمونها، فما تحتويه وسائل الإعلام من برامج مختلفة تساهم بشكل كبير في تثقيف الناس بأمور تمهم في حياتهم اليومية، وفي ضل التطور التكنولوجي الحاصل في مجال الإعلام أصبح لهذا الأخير دور مهم وأساسي في تقدم اقتصاديات البلدان ومواجهة كل ما يعيق عملية التنمية، بالإضافة إلى النهوض بالواقع التنموي في مراتب معقولة من التقدم، وهذا ما يفسر العلاقة بين الاقتصاد والإعلام في خلق فرص للتنمية والاستثمار، من خلال إعداد الخطط والبرامج الاستراتيجية المناسبة لذلك.

ويعد الاهتمام بالإعلام التنموي في عصرنا الحالي مطلباً ضرورياً في النشاط الإعلامي، فهو يهتم بشكل عام إلى وضع النشاطات المختلفة التي تضطلع بها وسائل الإعلام في أي مجتمع، في سبيل خدمة قضايا المجتمع وخدمة أهدافه العامة، من خلال التوجيه المناسب لوسائل الإعلام بما يتفق والحركة التنموية، فالإعلام المحلي جزء من هذا الإعلام الذي يهدف في أحد جوانبه إلى تحقيق التنمية في مجال السياحة المحلية المستدامة، باعتبارها من بين احتياجات السائحين والمناطق المضييفة لهم، مما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية في القطاع السياحي المحلي، من خلال الاستغلال الأمثل للموارد الإنتاجية السياحية، فالإعلام السياحي المحلي يساهم في تقديم كل المعلومات التي تزيد من قاعدة التسهيلات والخدمات التي تلبي احتياجات السائحين، وهذا يدخل ضمن ما يسمى بالتنمية السياحية المستدامة، والتي تمثل مختلف البرامج التي تسعى إلى تحقيق الزيادة المستقرة والمتوازنة في الموارد السياحية وترشيد إنتاج القطاع السياحي خاصة المحلي، باستخدام وسائل الإعلام المحلية المختلفة، وهذا ما يفسر العلاقة الطردية بين التنمية السياحية والتنمية المحلية.

ولمعرفة دور الإعلام السياحي المحلي في تنمية السياحة المحلية المستدامة باعتبارها من الركائز الأساسية، لضمان تحقيق البرامج التنموية المستدامة الملموسة التي تعود بالنفع على أفراد المجتمع المحلي، وهذا ما دفعنا لتقديم هذه الورقة البحثية للإجابة على السؤال الرئيسي الآتي: ما هو دور الإعلام المحلي (الإعلام السياحي المحلي نموذجاً) في تحقيق التنمية السياحية المحلية المستدامة؟ ويندرج ضمن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

1- ماهي أهم أهداف ومبادئ التنمية السياحية المستدامة؟

2- فيما تتمثل أهم أشكال الإعلام السياحي؟

3- ماهي مستويات تأثير الإعلام المحلي على التنمية السياحية المحلية المستدامة؟

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يأتي:

- تحديد أهم المفاهيم العلمية المتعلقة بالإعلام السياحي المحلي، التنمية المستدامة، والتنمية السياحية المستدامة.

- يعتبر موضوع التنمية المحلية والوقوف على حيثياته ومعرفة دور الإعلام السياحي في تحقيق برامجها، من الأسباب الرئيسية لاختيار هذا الموضوع.
- محاولة توضيح أهمية البحث في مجالات الإعلام المحلي ودوره في التنمية المحلية المستدامة، والتي يستلزم البحث فيها الوقوف على نماذج من الواقع جسدت ذلك.
- الكشف على أشكال الإعلام السياحي ومعرفة مستويات تأثيره على التنمية السياحية المحلية.

التنمية السياحية المستدامة... المفهوم، المبادئ والأهداف

تعرف التنمية السياحية المستدامة بأنها نقطة التلاقي ما بين احتياجات الزوار والمنطقة المضيفة لهم، مما يؤدي إلى حماية ودعم فرص التطور المستقبلي، بحيث يتم إدارة جميع المصادر بطريقة توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والروحية، ولكنها في الوقت نفسه تحافظ على الواقع الحضري والنمط البيئي الضروري، والتنوع الحيوي وجميع مستلزمات الحياة، وتعرف أيضا بأنها تنمية المناطق السياحية وتوفير الهياكل والقواعد الأساسية للسياحة، وكل ما تتطلبه العملية السياحية دون الإضرار بهذه المناطق سواء الإيكولوجية أو الاجتماعية أو الثقافية، ومراعاة سلامة التنوع البيئي والبيولوجي ودعم الحياة المتنوعة.¹ وتبلور مفهومها في مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية، الذي عرف بقمة الأرض أنعقد في ريو دي جانيرو عام 1996، ومنذ ذلك الوقت تبنت المنظمة العالمية قواعد الاستدامة والاستثمار في السياحة، وقد عرفت هذه الأخيرة التنمية السياحية المستدامة كما يلي: التنمية السياحية المستدامة هي التي تلي احتياجات السياح والمواقع المضيفة، إلى جانب حماية وتوفير فرص المستقبل.² وترتكز التنمية السياحية المستدامة على مجموعة من المبادئ هي:³

- ✓ ضرورة المحافظة على مستوى إنتاجية الموارد السياحية لضمان استمرارية عامل اجتذاب السواح من خلال الإبحار والمتعة.
- ✓ الحفاظ على التنوع البيئي والابتعاد عن المتغيرات البيئية التي تكون نتائجها وخيمة.
- ✓ الاستفادة من الموارد السياحية تطبيقا لمبدأ التنمية المستدامة القائم أساسا على تجنيب الطبيعة أي عوامل تحريف تؤدي إلى التقليل من إنتاجيتها مستقبلا.
- ✓ إيجاد صيغة توفيقية بين ثقافة المجتمع المضيف والسائح الزائر، بتنمية وتدعيم الثقافة المحلية والعمل على استمراريته ونقلها للعنصر الأجنبي.

¹ هاجر سعدي ولامية لعلام، دور التنمية السياحية المستدامة في ترقية السياحة الصحراوية في الجزائر، مجلة التنمية الاقتصادية، العدد الأول، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2016، ص86.

² فضيل حضري ووهيبة بورعين، التنمية السياحية المستدامة في الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد العاشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014، ص145.

³ عامر عيساني وجمال جعيل، التنمية السياحية المستدامة والتحديات المعاصرة، مجلة الإحياء، العدد العاشر، جامعة الحاج لخضر بانة 1، الجزائر، 2006، ص375.

✓ إشراك المجتمع المحلي في عملية التنمية السياحية المستدامة، بالعمل على جعل المناطق المضيفة تكتسب الصفة السياحية القادرة على استقطاب السائح والمستثمر في آن واحد.

في المقابل نجد مجموعة من مؤشرات الاستدامة الخاصة بالتنمية السياحية، وتتنوع هذه المؤشرات بين:¹

- **المؤشرات البيئية:** وينبغي هذا المؤشر على مدى ضغط النشاط البشري على البيئة في المقصد السياحي، وإذا تجاوزت المنطقة السياحية الطاقة الاستيعابية بها، فإنها تفرز عادة مجموعة من المضار، تتولى أنواع من المؤشرات البيئية قياسها وهي:

- ✓ مؤشر معالجة النفايات، سواء كانت نفايات صلبة أو سائلة؛
- ✓ مؤشر كثافة استخدام التربة، الذي يقيس إما معدل كثافة السياح إلى السكان المحليين، أو معدل المنطقة الذي تحتله البيئة الأساسية للسياحة إلى إجمالي المساحة؛
- ✓ مؤشر كثافة استخدام المياه، والذي يقيس حجم استخدام السياح للمياه إلى حجم استخدام السكان المحليين، أو بحجم استخدام السياح للمياه إلى الحجم الكلي المتاح من المياه الصالحة للشرب؛
- ✓ مؤشر حماية الجو من التلوث، الذي يقيس مدى تلوث الهواء خلال فترات مختلفة من السنة والمواسم السياحية، معنى ذلك أن التنمية السياحية التي تكتسب صفة الاستدامة تستوجب العمل على تجاوز الطاقة الاستيعابية للموقع السياحي، للحفاظ على نوعية البيئة ومستوى الاشباع لدى الزائرين.

- المؤشرات الاجتماعية

ترتكز المؤشرات الاجتماعية للتنمية السياحية المستدامة على واقع الانعكاس المتعاظم للنشاط السياحي على الوسط الاجتماعي، وتوجد عدة مؤشرات رئيسية لقياس المؤثرات السياحية على الجانب الاجتماعي:

- ✓ مؤشر الانعكاس الاجتماعي، تقيس تأثير السياحة على الظروف المعيشية لسكان الموقع السياحي من حيث التوظيف والتعليم؛
- ✓ مؤشر رضى السكان المحليين، وهو يحدد مستوى الرضى لديهم بالمشاريع السياحية والتجاوب معها؛
- ✓ مؤشر الأمن، انعكاس تدفق السياح على عنصر الأمن، ويقاس بمدى تطور الجريمة في وسط سكان المقصد السياحي؛
- ✓ مؤشر الصحة العامة: مدى انعكاس تطور النشاط السياحي على مستوى صحة السكان المحليين، قياس عدد الأطباء والممرضين إلى عدد السكان أو المصابين بالأمراض الجنسية إلى عدد السكان.

¹ خديجة عزوزي، التنمية السياحية المستدامة بين الإمكانيات والآفاق دراسة حالة ولاية قالم، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة 8 ماي 1945 قالم، الجزائر، 2015/2014، ص 98-99.

- **المؤشرات الاقتصادية** تتعلق المؤشرات الاقتصادية للتنمية السياحية المستدامة بقياس النشاط السياحي على الوسط المحلي، وأهم المؤشرات مؤشر العمالة، العملة الصعبة ومؤشر الدخل والاستثمار، ونسبة المساهمة في الناتج المحلي وميزان المدفوعات.

وتعمل التنمية السياحية المستدامة على تحقيق جملة من الأهداف المتنوعة هي:¹

- **الأهداف الاقتصادية:** تتعدد الأهداف الاقتصادية بقصد تعظيم مساهمة السياحة في الرخاء الاقتصادي، الذي يضم عناصر كثيرة منها تحقيق العمالة الكاملة والتنمية الاقتصادية الإقليمية والمحلية، وتحسين ميزان المدفوعات... الخ، ونجمل أهم الأهداف الاقتصادية فيما يلي:

❖ القضاء على الفقر المطلق في العالم، يمكن للسياحة كقطاع سريع النمو خلق وظائف وأماكن عمل جديدة، وللتنمية السياحية المستدامة تأثير كبير على كافة مستويات المجتمع المحلي، وعن طريق تبني هدف مكافحة الفقر المطلق، بتشجيع إقامة وتطوير المشروعات الصغيرة والمتوسطة، وتدعيم الفئات الأكثر رعاية مثل النساء والبنات والشباب وكبار السن.

❖ القضاء على الجوع في العالم، إن تحقيق الأمن الغذائي وتحسين نوعية الغذاء تشجع على تبني أساليب الزراعة المستدامة، ويمكن للسياحة المستدامة أن تدفع إلى زيادة الإنتاجية الزراعية وذلك بتشجيع الإنتاج الزراعي المستدام، وعدم استخدام الكيماويات الملوثة للتربة والمياه، واستهلاك المنتجات الزراعية المحلية في الفنادق والمنتجعات السياحية، واندماجها في سلسلة قيمة سياحية Tourism Value Chain، وأساليب الزراعة الحديثة يمكن اندماجها مع الزراعة التقليدية الحالية من الكيماويات والمخصبات والملوثات، كما أن الدخل الإضافي المتولد في المجتمعات المحلية يمكنه أن يؤدي إلى تحسين وترقية قيمة الخبرة في التنمية السياحية المستدامة.

❖ فع كفاءة وإنتاجية العمل والنمو الاقتصادي، إن تدعيم التنمية المستدامة بما فيها من نمو اقتصادي مستدام ومعدل مرتفع للتشغيل المنتج، هدف اقتصادي منوط بالتنمية السياحية المستدامة أن تحققه، لأنها قطاع اقتصادي رائد على المستويين العالمي والمحلي، ويشغل على مستوى العالم واحد في قطاع السياحة من كل 11 مشتغل، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وتطبيق التنمية السياحية المستدامة يفتح آفاق جديدة وفرص عمل للنساء والشباب في مشروعات سياحية مستدامة، ويحافظ على المنتجات التقليدية من الاندثار ويرفع من شأن ثقافة المجتمع المحلي.

❖ تطوير الصناعة والتكنولوجيا الملائمة والبنية الأساسية، تعتمد التنمية السياحية المستدامة على بنية أساسية وبيئة مستدامة ومتجددة، وتساعد السياحة المستدامة الدول والحكومات على صيانة وتحسين البنية

¹ صلاح زين الدين، دراسة لفرص تحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الثالث "القانون والسياحة"، كلية الحقوق، جامعة طنطا، 26-27/04/2016، مصر، صص 20-25.

الأساسية، لتظل مستدامة ونظيفة وكوسيلة فعالة لجذب السائحين والاستثمارات الأجنبية، وهذا يسهل إقامة التصنيع والإنتاج المستدام الضروري للنمو الاقتصادي والتنمية المستدامة.

❖ ضمان تحقيق إطار عام للاستهلاك والإنتاج المستدام، إن قطاع السياحة يملك القدرة على تبنى ممارسات فعالة للاستهلاك والإنتاج المستدام، ويحقق بذلك المشاركة الفعالة في التنمية المستدامة، خاصة بخلق وظائف جديدة تتمشى مع الاقتصاد الأخضر وحماية البيئة وتدعيم المنتجات التقليدية والثقافة المحلية، وقد أطلقت منظمة السياحة العالمية برنامج السياحة المستدامة، والذي يعد المكون الأساسي لإطار برامج العشر سنوات لنماذج الاستهلاك والإنتاج المستدام The of Framework Year-10 The Programmes on Sustainable Consumption and Production Patterns، ويستهدف هذا البرنامج تطوير ممارسات السياحة المستدامة، ويشمل مبادرات تحت على كفاءة تشغيل مدخلات الموارد الطبيعية، من أجل الحصول على مخرجات اقتصادية واجتماعية مستدامة.

- **الأهداف الاجتماعية:** الأهداف الاجتماعية والحضارية تتمثل في النمو الاجتماعي والحضري للمواطنين، ورفع مستوى وعيهم وتعليمهم وتقديرهم لتاريخ بلادهم وجغرافيتها، وتعظيم فرص التمتع بالسفر والسياحة والترويج بالنسبة للسائحين الأجانب والمواطنين، ويمكن إنجازها فيما يلي:

❖ رفع المستوى الصحي والشعور بالسعادة: يعتبر هدف رفع المستوى الصحي والشعور بالسعادة لجميع الأعمار تحققة التنمية السياحية المستدامة، لأن الدخول المتولدة عن السياحة يمكن إعادة استثمارها في الخدمات والرعاية الصحية، بهدف رفع مستوى الصحة العلاجية والوقائية، ومنع تفشي الأمراض المعدية وخفض معدل وفيات الأطفال، ويعتبر تعميم مشاعر السعادة هدفا نبيلًا، كما أن هدف التنمية تحقيق السعادة لكل أفراد المجتمع.

❖ القضاء على الأمية وتحسين منظومة التعليم: تظل مشكلة الأمية الأبجدية وتسرب الأطفال في مراحل التعليم الأساسي مشكلة اجتماعية حادة في كثير من المجتمعات، ولعل تقديم فرص التعلم مدى الحياة وإعداد قوة العمل المدربة جيدا، يعتبر أسلوبا فعالا للنهوض بالتنمية السياحية المستدامة، ويمكن لقطاع السياحة أن يقدم الحوافز في مجالات التعليم والتدريب، ويمكن للشباب والنساء الاستفادة من برامج التدريب والتأهيل المهني في إطار مشروعات السياحة المستدامة.

❖ منع التفرقة وتحقيق المساواة بين الجنسين: تعمل السياحة المستدامة على تمكين المرأة بطرق مختلفة، منها خلق وظائف لهن وإتاحة فرص لتوليد الدخل بالعمل في المشروعات السياحية الصغيرة والمتوسطة، فيمكن أن تصبح السياحة المستدامة وسيلة فعالة لتشغيل النساء ومساعدتهن للقيام بدور فعال في المجتمع المحلي.

❖ تطوير المجتمع المحلي وإحداث التوازن الإقليمي: يمكن للسياحة المستدامة أن تكون أداة فعالة لتطوير المجتمع المحلي وتقليل الفوارق بين سكانه في الدول والمجتمعات، وتساهم السياحة البيئية في التنمية الحضرية والريفية، وتقلل من عدم التوازن الإقليمي بإعطاء المجتمعات المحلية الفرصة لتطوير نفسها ذاتيا بما يلائم بنيتها

الاجتماعية والثقافية، كما تعد السياحة أداة فعالة للتنمية المستدامة في كثير من البلدان لتلحق بالاقتصاد العالمي.

❖ خلق مؤسسات قوية للعمل من أجل السلام: إن الأنشطة السياحية تجمع بين شعوب ذوي ثقافات متعددة، وبذلك تحقق السياحة فرصة عظيمة للتفاهم والثقة والتسامح بين مختلف الثقافات والروافد الحضارية، وبذلك يكون الطريق ممهدا لتحقيق السلام العالمي وتقليل بؤر الصراع والعنف.

– **الأهداف البيئية:** يجري تبني الأهداف البيئية بمعنى العمل على حماية البيئة كسبيل رئيسي من سبل التنمية المستدامة، ويكون ذلك عن طريق الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية، وتفاذي أسباب التلوث، وحماية البيئة الطبيعية عن طريق الالتزام بالطاقة الاستيعابية القصوى للمناطق السياحية، ويمكن إنجازها فيما يلي:

❖ حماية الأحياء المائية في البحار والمحيطات: إن صون الطبيعة وحماية الأحياء المائية في البحار والمحيطات عنصر فعال لتحقيق التنمية المستدامة، حيث تمثل سياحة الشواطئ والأماكن البحرية عماد السياحة في الجزر والبلدان الواقعة على البحار، ويجري تأمين وحماية نظم بيئية بحرية لتبقى سليمة وصحية، ولذلك فإن التنمية السياحية المستدامة يجب أن تكون مندمجة مع إدارة المناطق السياحية البحرية والشاطئية، لكي تساعد على المحافظة على البحرية وتكون وسيلة فعالة لتحقيق الاقتصاد الأخضر كثيف العمالة.

❖ توفير الصرف الصحي والإمداد بالمياه النقية: تلعب السياحة دورا فعلا في توفير الصرف الصحي وتدوير النفايات والإمداد بمياه الشرب النقية، والرقابة على مصادر التلوث للمياه والهواء والتربة، وكذلك استخدام تكنولوجيا نظيفة وآمنة للحفاظ على المياه والاستخدام الرشيد والمستدام لها.

❖ الاستخدام الواسع لمصادر الطاقة النظيفة: إن الاستخدام المتزايد لمصادر الطاقة النظيفة يمكن السياحة من أن تكون عاملا قويا، للتحويل من استخدام مصادر الطاقة التقليدية الملوثة للبيئة إلى مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة، مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، والتشجيع على استخدام مصادر الطاقة المتجددة النظيفة على المدى الطويل يساهم في تخفيض الانبعاثات والاحتباس الحراري والتغيرات المناخية.

❖ إنشاء مدن ومجمعات مستدامة: إن التنمية السياحية المستدامة لها القدرة على تجهيز بنية أساسية جيدة في المناطق الحضرية، وتشجع على حماية وصيانة التراث الحضاري الطبيعي والثقافي، وهي الأصول الثابتة التي تركز عليها السياحة، والاستثمار في البنية الأساسية والاقتصاد الأخضر يضيف إلى شبكة الطرق والمواصلات والنقل ويخفض من مصادر التلوث، ويحافظ على الأماكن الأثرية المفتوحة، إن إقامة العمارة الخضراء والمدن الخضراء ستكون مفيدة للمواطنين قاطنيها أولا وأيضا للسياح.

❖ الحد من التغيرات المناخية: السياحة تؤثر وتتأثر بالتغيرات المناخية، وتعد بذلك ذات مصلحة كبيرة في أن تلعب دورا رائدا في الاستجابة العالمية لتحديات تغيرات المناخ، كما أن خفض استهلاك الطاقة والتحول نحو مصادر الطاقة النظيفة، خاصة في قطاع النقل والمواصلات، يجعل للسياحة قصب السبق والفضل الكبير في مواجهة مشكلة حادة تعد من أكبر تحديات عصرنا.

❖ المحافظة على الزراعة المستدامة والغطاء النباتي: إن حماية وتشجيع الاستخدام المستدام البيئية، والاستغلال غير المفرط أو الجائر للغابات ومصادر الثروة الطبيعية، ومنع التصحر وتجريف الأرض الزراعية سيحقق التنوع البيولوجي، إن التراث الطبيعي ملك للبشرية جمعاء، ويمكن للسياحة البيئية أن تلعب دورا كبيرا، ليس فقط في حفظ التنوع البيولوجي، بل وأيضا حماية وتحقيق التوازن البيئي، وذلك بتقليل النفايات وتدويرها وخفض الاستهلاك وصيانة الموارد الطبيعية.

الإعلام السياحي... الماهية والرؤية

يعد الإعلام السياحي أحد أنماط الاتصال بمفهومه الشامل، ويعبر عن النشاط الإتصالي الذي يتم عبر وسائل الإعلام المختلفة، لتداول معلومات معينة حول مختلف جوانب صناعة السياحة، وبذلك يعد الإعلام السياحي بوصفه نشاطا معلوماتيا في المقام الأول، أحد المكونات الخمسة الرئيسة للسياحة الوظيفية، التي تتلخص في: السائح، اتجاه المعلومات، النقل، عناصر الجذب السياحي (المقومات والمرافق)، الخدمات والتسهيلات السياحية المتاحة.¹ وتبرز أهمية الإعلام السياحي من خلال النقاط التالية:²

أهمية مهنية اتصالية متخصصة

- دور المعلومات السياحية المتداولة عبر أنماط الاتصال المختلفة، في تشكيل ملامح المنتجات السياحية المقدمة، وتكوين صورتها لدى الجمهور، وذلك بحكم أن المعلومات إحدى مكونات العملية السياحية في المجتمعات.

- ما تفرضه البيئة المعاصرة للاتصال في المجتمع، من ضرورة بذل المزيد من الجهود الاتصالية والإعلامية لإقناع الجيل الجديد من السياح المواطنين بما تتوفر عليه المجتمعات من مقومات سياحية؛ خصوصا في ظل التقدم الهائل الذي حدث في مجالات الاتصالات في الآونة الأخيرة.

- ارتباط العمل الإعلامي في المجال السياحي بسمات مهنية مميزة، تتمثل في اعتماد ممارسته المهنية غالبا على مدخلي التسلية والترفيه، مما يستدعي ضرورة تواءم ممارسات الإعلام السياحي مع الطبيعة الخاصة بالممارسات المهنية في هذا المجال.

أهمية اقتصادية

- تتضاعف أهمية الإعلام السياحي في ظل وجود طلب كامن Demand Potential على السياحة في المجتمعات، يمكن تحويله من خلال جهود الإعلام وباستخدام الاتصال التسويقي إلى طلب نشط Active Demand.

¹ الهيئة العامة للسياحة والآثار، استراتيجية الإعلام السياحي في المملكة العربية السعودية، ص7، على الرابط

https://scth.gov.sa/GeneralStrategy/Documents/Str/Str_03.pdf

² المرجع السابق، ص ص7-9.

- يسهم الاتصال والإعلام السياحي بأنماطه ووسائله المختلفة، بدور كبير في دعم تسويق المنتجات السياحية بمختلف أنواعها، حيث لا يمكن في ظل وفرة المنتجات السياحية وتقارب مستوياتها، الاقتصار على جودة هذه المنتجات.

- يمثل الاستثمار في مجال الإعلام السياحي أحد أهم الفرص الاستثمارية المتاحة في صناعة السياحة، ويمكن أن يبرز ذلك الاستثمار في عدد من المجالات، أهمها:

- إنتاج المواد الإعلامية (المقروءة، المسموعة، المرئية، التقنية) السياحية المتخصصة.
- تقديم الاستشارات وإعداد الدراسات في مجالي الاتصال والإعلام السياحي.
- تأهيل الكوادر العاملة في تخصصات الاتصال والإعلام السياحي وتدريبهم.
- إعداد وتنفيذ الحملات الاتصالية والإعلامية المتخصصة في المجال السياحي.

- تعد ممارسات الإعلام السياحي ذات إسهام مهم في تنمية اقتصاديات العمل السياحي، من خلال الكشف عن الفرص الاستثمارية في هذا المجال، وبث روح التنافس بين المناطق السياحية والمستثمرين لتطوير منتجاتهم السياحية.

- أهمية اجتماعية- ثقافية

- أهمية استثمار وسائل الاتصال المختلفة للإسهام في إيصال المعلومات الصحيحة والدقيقة؛ بحيث لا تسمح في انتشار المعلومات المغلوطة التي قد تؤثر سلبا على صناعة السياحة.

- تعد الممارسات الاتصالية والإعلامية السياحية المتخصصة في المجتمعات، رافدا مهما جدا لدعم التوجه الاجتماعي نحو استيعاب العمل السياحي وقبوله.

- انطلاقا من طبيعة صناعة السياحة القائمة على التفاعل الاجتماعي والثقافي بين المجتمعات، تتعاضد أهمية الاتصال والإعلام السياحي لترسيخ القيم والمبادئ، ودعم وحدة المجتمعات من ناحية، ومن ناحية أخرى، تطوير قدرة المجتمعات على استيعاب الثقافات العالمية وامتلاك المهارات اللازمة للتفاعل معها، بما يقلل من التأثيرات غير الإيجابية لصناعة السياحة اجتماعيا وثقافيا.

وتحاول وسائل الإعلام والاتصال في تحديد علاقتها مع السياحة (الإعلام السياحي) في مجموعة من الأهداف نذكر منها:¹

- أهداف وطنية: وتمثل في غرس روح الانتماء لدى المواطنين وإبراز الوجه الحضاري والمتميز للبلدان والمجتمعات، وتحفيز دوافع الإقبال على السياحة الداخلية، إضافة إلى العمل على تيسير التوافق الاجتماعي بين مختلف مستويات التحضر في الدول والمجتمعات.

¹ عبود زرقين وإيمان العلمي، تعزيز دور الإعلام في تحقيق تنمية سياحية مستدامة -الدراما التركيبية كنموذج إعلامي للتنمية السياحية-، ورقة بحثية مقدمة في المنتدى السنوي السابع حول الإعلام والاقتصاد... تكامل الأدوار في خدمة التنمية، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، 11-12/04/2016، ص12.

- أهداف بيئية: حيث يدعم الإعلام السياحي التوجه الإيجابي للتعامل مع البيئة في المناطق السياحية والتعريف بمقومات السياحة البيئية في البلدان، إضافة إلى تنمية الوعي العام بأساليب الاستخدام الأمثل للمنتجات السياحية.
 - أهداف اجتماعية: فالإعلام السياحي يدعم التوجه الاجتماعي نحو صناعة السياحة ويعمل على تهيئة المجتمعات لتقبل السياحة، إضافة إلى أنه يعمل على تعزيز احترام المواطنين للسياحة بجميع فئاتهم وأنواعهم والتعامل معهم بصورة حسنة من منطلق الضيافة الكريمة.
 - أهداف ثقافية: حيث يعمل على التعريف بالتراث الثقافي المادي وغير المادي للبلدان ودعم احترام السياح غير المواطنين لخصوصية المجتمعات وثقافتها، كما يعمل على تشجيع المحافظة على الفنون والصناعات والحرف التقليدية.
 - أهداف اقتصادية: الإعلام السياحي يلعب دورا رياديا في إنعاش الاستثمار الإيجابي لصناعة السياحة في دعم اقتصاد الدول والحكومات، فضلا عن التعريف بالفرص الاستثمارية المتاحة في المجالات المتعددة لصناعة السياحة.
- ووفقا لأهمية الإعلام السياحي والأهداف التي يرمي لتحقيقها، تعمل وسائل الإعلام والاتصال في تحديد علاقتها بالسياحة على أساس مجموعة من الأولويات نذكرها فيما يلي:¹
- السياحة الداخلية: تحفيز السياحة الداخلية يمثل أولوية ملحة لقطاع السياحة في المجتمعات، ويجب أن تمثل أولوية للإعلام السياحي، لأن ازدهار هذا النمط من السياحة يؤسس تلقائيا لبيئة اجتماعية قابلة لفكرة السياحة، مما يؤدي إلى تحفيز الاستثمارات في قطاع السياحة، وهذا بدوره يؤدي إلى توفر قاعدة حقيقية لصناعة السياحة، تعزز من جاذبية المنتج السياحي في أسواق تصدير السياحة الإقليمية والدولية، وتتنوع الرسائل الموجهة لجمهور السياحة الداخلية إلى:
 - o الرسالة التوعوية، تستهدف الرسالة التوعوية للإعلام السياحي تعزيز الوعي لدى الجمهور المستهدف بالسياحة بشكل عام وبالسياحة الداخلية بشكل خاص، وتسعى إلى غرس القنوات الإيجابية لديه تجاه السياحة، وتحفز الدوافع الإيجابية للعمل من أجل الارتقاء بالسياحة وتطورها.
 - o الرسالة التعريفية، تستهدف الرسالة التعريفية للإعلام السياحي إعلام الجمهور بالمنتج السياحي المحلي للمجتمعات، وبالمقاصد السياحية المهيأة لاستقبال السياح، وتوصيله كذلك بالفعاليات والمناسبات السياحية المختلفة وخصوصا في فصل الصيف، وتعرفه كذلك بالوسائل المتاحة التي تمكنه من الانتقال إلى تلك المقاصد.

¹ وزارة السياحة اليمنية، استراتيجية الإعلام السياحي في اليمن، ص ص 12-19، على الرابط

- الرسالة الاقناعية، تستهدف الرسالة الاقناعية للإعلام السياحي تعزيز القناعة لدى الجمهور المستهدف بأهمية الانتقال وقضاء الإجازات داخل الأوطان، ومزايا التعرف على أماكن جديدة لا يعرفها من قبل، ومزايا وإمكانيات المنتج السياحي.
- السياحة الخارجية: تمثل السياحة الخارجية أولوية رئيسية واعدة لصناعة السياحة في المجتمعات، وينبغي أن تمثل كذلك أولوية رئيسية للإعلام السياحي، ذلك أنه من خلال السياحة الخارجية يتعاظم إسهام قطاع السياحة في الناتج المحلي الإجمالي، بالنظر إلى أنها تمثل مصدر للحصول على النقد الأجنبي، وتنوع الرسائل الموجهة لجمهور السياحة الخارجية إلى:
- الرسالة التعريفية، يستهدف هذا النوع من رسائل الإعلام السياحي التعريف بالمنتج السياحي ومزاياه وتنوعه، وبإمكانيات صناعة السياحة في البلدان، ويهدف أيضا إلى تحقيق زيادة فرص اجتذاب المزيد من حركة السياحة الإقليمية والدولية.
- الرسالة الاقناعية، تستهدف الرسالة الاقناعية للإعلام السياحي تحفيز الجمهور المستهدف للسفر إلى تلك الدول بشكل مباشر أو من خلال برنامج يضم دول أخرى في المنطقة، وذلك من خلال إبراز المزايا التنافسية للمنتج السياحي.

أشكال الإعلام السياحي ومستويات تأثيره

تنوع أشكال الإعلام السياحي من وسائل سمعية، بصرية إلى سمعية بصرية، أهمها:

- **الوسائل السمعية:** وأهم هذه الوسائل الصوتية أو السمعية المستخدمة هي¹:
- المحاضرات السياحية: عبر استخدام المحاضرات المسموعة من خلال الأحاديث الإذاعية أو غيرها من الكاسيت أو من مكبرات الصوت المختلفة، للحدوث عن البرامج السياحية، لذا لابد من حسن اختيار المحاضر الذي يشد الانتباه.
- الندوات السياحية: تستخدم كأسلوب فعال للإعلان عن برامج السياحة والإعلان عنها بأسلوب المناظرة بين مجموعة من المتخصصين في السياحة، وكلما عاجلت الندوة موضوعا سياحيا ساخنا، كلما كانت مشوقة وجذابة لجمهور المستمعين من السياح.
- المؤتمرات السياحية: وهي من أهم الوسائل الإعلانية والإعلامية بالنسبة لشركات السياحة، حيث تقوم شركات السياحة الناجحة بعقد مؤتمر مندوبي ورجال البيع والوكلاء السياحيين العاملين لديها والتابعين لها، لتعريفهم بالبرامج السياحية الجديدة والشروط الطبيعية وخطط وأهداف الشركة، ويقوم مندوبي الإذاعة ومحرري البرامج السياحية الإخبارية بتغطية هذه البرامج السياحية، وإذاعة فقرات إخبارية عنها تمثل عناصر جذب وإثارة للسياح.

¹ سمر رقيقي الرحي، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص ص 94-95.

- البرامج والإعلانات الإذاعية السياحية: حيث تستخدم الإذاعة المسموعة كوسيلة شديدة التأثير وعظيمة النجاح في مخاطبة جمهور السياح والتأثير عليهم وحفزهم للتعامل مع برامج السياحة.

- الإذاعة الداخلية: وهي من أنجح وسائل الإعلان السياحي، ووسيلة إعلام ناجحة أيضا تستخدم لتنشيط التعاقدات السياحية، والإذاعة الداخلية غالبا ما ترتبط بالمعسكرات والأماكن الجماهيرية ذات الطابع الخاص مثل المطارات والموانئ والمعارض والمتاحف.

ويمكن إضافة الوسائل التالية:¹

- التسجيل الصوتي: وسيلة تجمع بين إيجابيات الصحافة المكتوبة من حيث إمكانية الاحتفاظ بها، وإيجابيات الراديو من حيث استخدام الصوت (التعليق) والموسيقى، ولذلك فقد استغل التسجيل الصوتي في الاتصال السياحي لتسجيل معلومات مختصرة لما يمكن أن يراه السائح خلال رحلته برا أو بحرا... مع إمكانية سماعها بواسطة جهاز الراديو أو تحميلها على دعامة إلكترونية MP3 أو CD ...

- الهاتف: لقد استفادت المؤسسات السياحية من الخدمات الهاتفية الحديثة، بحيث لم يصبح الهاتف وسيلة للاتصال بين الناس فقط، بل أصبح وسيلة للحصول على المعلومات السياحية، وقد تجلّى ذلك من خلال تخصيص خدمات هاتفية للاستعلام عن المناطق أو العروض السياحية.

• **الوسائل السمعية البصرية:** وأهم هذه الوسائل السمعية البصرية المستخدمة هي:²

- التلفزيون، عرفت هذه الوسيلة استخدامات واسعة للتعريف بالسياحة والإشهار، وفي هذا الصدد قام اتحاد المنتجين العرب لأعمال التلفزيون بتوقيع برتوكول لإطلاق حملة "اكتشف السياحة العربية" في ملتقى تنشيط السياحة، الذي عقد في شرم الشيخ خلال الفترة من 19-20 أبريل 2011، حيث سخر لهذا الغرض "الشبكة العربية للبث المشترك" التي تضم في عضويتها 70 قناة تلفزيونية، من بينها 10 قنوات أجنبية و40 مؤسسة إعلامية و10 وكالات أنباء و500 ناشر إلكتروني.

- تسجيل الفيديو (فيلم الفيديو السياحي)، تتمثل هذه الأداة في إنتاج فيلم تعريف عن المؤسسة السياحية، الخدمات المقدمة والمنتجات السياحية المتنوعة...، يمكن بث الفيديو عبر القنوات التلفزيونية أو من خلال جهاز التلفزيون في الجناح الخاص بالمؤسسة السياحية في معرض ما أو في مقرها الإداري، وبالتالي يتمكن الجمهور الزائر من التعرف على المؤسسة ومنتجاتها من خلال الفيديو المعروض، كما يمكن أن تنسخ على أقراص مضغوطة وتوزع على زوار المعرض والسياح المحتملين، كما تستخدم هذه التقنية لتسجيل وتصوير الحفلات والمناسبات واجتماعات مجالس الإدارة.

¹ أمال بدرين، استراتيجية الاتصال في المؤسسات السياحية الجزائرية عبر المواقع الإلكترونية، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، 2010/2011، ص33-34.

² المرجع السابق، ص35-36.

- السينما، استغلت المؤسسات السياحية هذه الوسيلة ولكن بشكل غير مباشر، من خلال عرض منشآتها السياحية في الأفلام مما يساعد على تعريف الجماهير بالمناطق والمنشآت السياحية ودفعهم لزيارتها، ومن المؤسسات التي اعتمدت هذه التقنية، المؤسسات السياحية المصرية من خلال المجمعات السياحية التي احتضنت العديد من الأفلام السينمائية، كما اعتمدت المؤسسات السياحية التركية تحويل القصور المستخدمة في الأفلام والمسلسلات إلى مزارات لجلب السياح.
- **الوسائل المطبوعة:** وأهم هذه الوسائل السمعية البصرية المستخدمة هي¹ :
 - الكتيبات، يمكن استخدامها داخل المنشأة السياحية وتقديمها للزوار والمترددین من خارج المنشأة السياحية والبلاد، لتوزع على الجمهور بكافة مستوياته على أن يراعى فيها الكتابة بلغة سهلة سليمة تتفق ولغة البلاد أو لغة البلد الذي توزع فيه وعاداته وتقاليده وثقافته السائدة، وأن تتمتع بالمستوى المنافس في حالة توزيعها في الخارج بحيث لا تقل عن المستوى المنشور في البلد الذي ستوزع فيه، لا من حيث الجودة والطباعة ولا العرض أو الإخراج.
 - الملصقات، ما زالت الملصقات من الوسائل الترويجية الهامة للمنشآت السياحية المختلفة رغم تعدد وتنوع الوسائل، والملصقات وسيلة ترويجية سياحية مقروءة، قد تأخذ شكل لافتة كبيرة من القماش أو الورق أو المعدن تعلّق في أماكن عامة كالميادين والشوارع الرئيسية التي يتردد عليها الجمهور، أو تعلّق على مركبات النقل العام، ومحطات السكك الحديدية، ومن المهم لخبير الترويج السياحي أن يعرف أنواعها المختلفة ومزايا كل نوع، وخصائصها من حيث التحرير والإخراج والأهداف التي يمكن أن تتحقق، والتي يفيد كل نوع في تحقيقها والطريقة التي يفضل استخدامها سواء كانت كتابة فقط أو صور فوتوغرافية أو رسوم طبيعية أو تجمع بين هذه الأشكال، وتمتاز الملصقات بسهولة وضعها في السفارات، وفي المكاتب السياحية وشركات الطيران وشركات السياحة والمعارض وأماكن الاحتفالات ومكاتب السفر، واختيار موقع الملصق هام لذا يجب وضعه في موقع يجذب الانتباه ويكون واضحاً للجمهور.
 - ورق الخطابات والأظرف، وتحمل أوراق الخطابات والأظرف العلامة الترويجية للجهة السياحية المعلن عنها والمروج لها، سواء كانت شركة أو فندق أو بلد وهي وسيلة غير مكلفة، حيث يمكن أن يقوم السائح أو الفندق بإرسال خطاب إلى قريب أو صديق أو أي جهة، فيصبح بذلك وسيلة لتعرف الآخرين على المكان وما يتمتع به من جمال وإمكانيات ومزايا، وتستخدمها كثير من شركات الطيران والفنادق وبعض الشركات السياحية، وقد تنجح هذه الشركات في جذب السائح أو المتعامل في التعامل مرة أخرى، خاصة وأن الخطابات تحمل المشاعر الطيبة والود وتكون أقدر على خلق الاستجابة الحسنة لدى بعض الفئات.

¹ محمد الفاتح محمود بشير المغربي، دور العلاقات العامة في الترويج السياحي، ورقة بحثية مقدمة لملتقى العمران السياحي في المناطق الجبلية، المعهد العربي لإنماء المدن، عسير، السعودية، سبتمبر 2017.

- بطاقات البريد، وإذا كانت المطبوعات هي العمود الفقري بالنسبة للتنشيط السياحي، فإن بطاقات البريد تمثل أهمية خاصة في مجال السياحة، وذلك لأن بطاقات البريد تحمل المعنى والتعبير، فمن المعروف أن بطاقات البريد تحول الحلم إلى حقيقة عن طريق الصور والحقائق المصورة والبيانات والمعلومات التي تتضمنها وتعرضها، وتتميز المطبوعات بوجه عام بأنها تستثير اهتمام القارئ خاصة عند وضع الصور الجذابة والمعبرة عن إمكانات المكان وتميزه عند استعمال التصميمات الفنية، وفي مجال السياحة يذكر البعض أن البطاقات البريدية لها دورها الهام في الترويج عن الجهة المروج لها، لنقلها الصورة دون تكلفة تذكر وتكرار عملية الترويج.
- النشرات المطبوعة، هذه النشرات تحتوي على صور ومعلومات تهم السائحين، ويشير برينيكز خبير السياحة النمساوية إلى أن من الضروري مراعاة عامل التوقيت عند إعداد النشرة، لأن الأوقات قد ترتبط بعادات الشعوب، فالبعض يستعد لرحلته مبكرا مثل الإنجليز والألمان، والبعض يستعد لها متأخرا مثل الفرنسيين، وبالنسبة لوكالة السفر فهي تعلن عن برامجها في وقت مبكر جدا، حيث تحتاج لإعدادها مبكرا وإرسالها للدول المختلفة، وعادة تقوم المنشآت والشركات السياحية المختلفة بعمل نشرة دورية لها كل شهر أو ثلاثة أشهر، وتقوم بإرسالها إلى عملائها أو إلى جماهيرها بصفة دائمة، وتقوم المنشأة السياحية بإصدار مطبوعات داخلية توزعها داخل البلاد لجذب السياحة الداخلية للجمهور الداخلي، ومطبوعات خارجية للجمهور العام من السياح أو العملاء المرتقبين، وذلك لإعطائهم الفكرة والانطباع الجيد عن المنتج السياحي المتنوع.

مراحل تشكل صورة الوجهة السياحية وتأثير الإعلام فيها

يمكن أن نعرف الصورة السياحية بأنها مجموع الانطباعات والتصورات الذهنية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات، بناءً على الخبرة المتاحة لهم من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف واتجاهات الأفراد وعقائدهم إزاء وجهة سياحية معينة، بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، فهي في النهاية تمثل دافعا صادقا بالنسبة لأصحابها، ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه على أساسها.¹ وتتكون الصورة السياحية من ثلاث مكونات:²

- **المكون المعرفي:** يتمثل في المعلومات التي على أساسها يكون السائح صورته الذهنية حول الوجهة، وقد تم اكتساب هذه المعلومات بشكل مباشر من خلال ما جربه كسائح زار تلك الوجهة، أو بشكل غير مباشر من خلال وسائل الإعلام أو الاتصال الشخصي وغير ذلك من مصادر الحصول على المعلومات،

¹ سامي بلبخاري سامي وناصر الدين بن أحسن، تأثير الإعلام السياحي في صورة السياحة الداخلية -دراسة ميدانية لعينة من السياح، جامعة باتنة، الجزائر، ص7، على الرابط،

http://vrlex-ar.univ-batna.dz/images/docs/manif_scient/tourisme/communication15.pdf

² المرجع السابق، ص7-8.

ووفقا للبعد المعرفي فإن الأخطاء في الصورة السياحية المتكونة لدى السياح هي أخطاء ناتجة أساسا عن المعلومات والمعارف الخاطئة التي حصل عليها هؤلاء السياح.

- **المكون النفسي أو العاطفي:** وتقييم السائح للوجهة من خلال تكوين اتجاهات عاطفية نحوها، ويتشكل هذا الجانب مع الجانب المعرفي، ومع مرور الوقت تتلاشى المعلومات والمعارف وتبقى الجوانب العاطفية، حيث تنقسم مشاعر السائح تجاه الوجهة السياحية إلى مشاعر إيجابية أو سلبية أو محايدة.
- **المكون السلوكي:** إن سلوك السائح يعكس طبيعة الصورة السياحية المشكلة لديه، حيث ترجع أهمية الصورة الذهنية في بعدها السلوكي، إلى أنها تمكن من التنبؤ بسلوك السائح من خلال رغبته في قصده لزيارة الوجهة السياحية في فترة زمنية من عدمها، ويقوم الإعلام السياحي بدور كبير جدا في تشكيل صورة الوجهة السياحية بمختلف أشكاله وأساليبه، ويمكن شرح مراحل تشكل صورة الوجهة السياحية في المراحل التالية:¹

- **الصورة العضوية:** هي الإدراك العام المكون لدى السائح عن الوجهة السياحية دون أن يسافر إليها أو يزورها، وهو يمثل جميع ما يتلقاه السائح من المعلومات حول المقصد التي توفرت من مختلف وسائل الإعلام، من جرائد وأخبار الراديو والتلفزيون وأيضا المسرحيات والكتب وخبرات الأصدقاء والأقارب... إلخ، ويعني ذلك أن السياح قد تكون لديهم صورة أو توقعات عن الوجهة السياحية حتى ولو لم يسبق لهم أن زاروها، أو حتى لو لم يكونوا عرضة لتأثيرات الوسائل الترويجية للمتعاملين السياحيين.
- **الصورة المستحثة:** وهي عبارة عن الصورة التي ترغب المؤسسة السياحية والمتعاملين السياحيين في ترسيخها في ذهن السائح، بهدف التأثير عليه لزيارة تلك المنطقة، بالاعتماد على الكتيبات السياحية التي تتوفر في الشركات السياحية والمقالات السياحية بالمجلات، ومختلف الأنشطة الإعلامية الصادرة عن المؤسسات السياحية.

- **الصورة المعقدة:** تمثل الخبرات الفعلية للسائح التي كونها من زيارته للوجهة السياحية، وفي هذه المرحلة فإن صورة الوجهة السياحية تميل إلى التأثير بدرجة التوافق بين الصورة العضوية والمستحثة والواقع، وهكذا يتأكد السائح من صحة الصور السابقة من عدمها، وما من شك أن درجة رضا السائح عن اختياره للوجهة تتوقف إلى حد كبير على نتيجة هذه المقارنة، فإذا تطابقت صورة الوجهة مع تفضيلات السياح وتوقعاتهم فإن الوجهة السياحية ستحظى برضاهم.

وأخيرا يمكن أن نقول إن وسائل الإعلام ممثلة في الإعلام السياحي له القدرة على التعامل مع العواطف الإنسانية، عن طريق التلاعب بمشاعر وأحاسيس المشاهدين والمستمعين، من خلال التأكيد على الآثار

¹ سامي بلبخاري سامي وناصر الدين بن أحسن، مرجع سابق، ص 8-9.

الإيجابية والمنافع المتحققة من القيام بممارسة السياحة الداخلية في بلد ما، دون التركيز وإثارة الجوانب السلبية المرتبطة بها كالتكاليف المرتفعة مثلا.¹

نماذج عربية وأجنبية في ترويج الإعلام للسياحة المحلية

1- إذاعة سياحة FM الأردنية: هي أول إذاعة أردنية متخصصة في الإعلام السياحي المسموع في الوطن العربي، وقد حصلت على رخصة البث الإذاعي من هيئة الإعلام المرئي والمسموع بتاريخ 18 أيلول لعام 2010، وبدأت البث الفعلي على موجة FM 101.2 في الخامس من تشرين الأول عام 2011، والإذاعة تعتمد على التمويل الشخصي المباشر، إلا أن استراتيجيتها تتجه إلى تنويع مصادر الدخل عبر فتح الإعلان التجاري والتسويق، وتوسيع نطاقها المالي يتضمن إدخال المزيد من الشركاء لتحويلها لاحقا إلى شركة مساهمة عامة، تعتمد على مساهمات الشركاء إضافة إلى الدخل الإعلاني.²

وتهدف الإذاعة إلى بث وبلورة مفهوم السياحة بمعناه الحقيقي، وتسعى إلى بناء منتدى أثري يسوق لفكرة السياحة الداخلية برقي واحتراف وتمكن، وفي نسق من الفائدة والترفيه، وقد حصلت الإذاعة على درع المركز العربي للإعلام السياحي باعتبارها إذاعة رائدة في مجال الإعلام السياحي المسموع، وذلك على هامش أعمال المؤتمر الأول لتدريب الإعلاميين العرب، الذي أُنعقد في بيروت في شهر تشرين الأول من عام 2011، ونظمه المركز العربي للإعلام السياحي ومقره القاهرة، وتستهدف سياحة FM شرائح مختلفة من المستمعين وبكافة أعمارهم ومستوياتهم الثقافية من مواطنين وزوار وسياح، ويث عبر أثيرها مجموعة من المواد الإعلامية التي تتمثل بالبرامج المختلفة والأغاني والمقطوعات والقصائد الشعرية والمقطوعات الموسيقية والإعلانات الترويجية، سواء لإيضاح مفهوم السياحة وقيمتها أو الترويج للإذاعة نفسها، بالإضافة لترويج الخدمات العامة مثل إرشاد السائقين على الطرقات والإشارات إلى مخاطر التلوث.³

2- الدراما التركية: أكد خبراء السياحة أن المسلسلات التركية خلقت ببطلاتها المتحدرات وديكوراتها الساحرة إقبالا كبيرا للتعرف على هذا البلد القريب من أوروبا والشرق الأوسط، ففي غضون سنة واحدة فقط تضاعفت الحجوزات مرتين وازداد عدد السائحين العرب الوافدين إلى تركيا بشكل ملحوظ.⁴ كل المؤشرات تؤكد أن الدراما التركية لعبت دورا مهما في تنمية السياحة، وقد رجح البعض أن سبب تصدير هذه المسلسلات الدرامية هو الجذب السياحي، وقد تمثل هذا الدور فيما يلي:

¹ المرجع السابق، ص 13.

² فايز محمد علي الحميدات، الإعلام السياحي في الأردن "إذاعة سياحة FM" نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2013، ص 50-51.

³ المرجع السابق، ص 51-52.

⁴ مصطفى محمود حسين أبو حمد، دور الدراما في رسم الصورة الذهنية للمقصد السياحي: دراسة مقارنة (مصر وتركيا)، مجلة كلية السياحة والفنادق، المجلد السابع، العدد الثاني، جامعة الفيوم، مصر، 2013، ص 187.

- لعبت الدراما التركية دور الدليل المادي للبيئة التركية، فكانت خلفية لمناظرها الخلاب، وحياتها المتطورة والسريعة؛
- لا تقتصر السياحة على المناظر الطبيعية فقط بل أيضا إلى الخدمات المرفقة التي كانت تبرز في الدراما التركية بشكل ملفت، ففي العديد من المشاهد تظهر سهولة التنقل ووجود مواصلات في كل الأوقات، أو تظهر سهولة سحب النقود حتى في وقت متأخر من الليل، بالإضافة إلى أماكن الإيواء من فنادق ومجمعات الفاخرة منها والبسيطة؛
- طول مدة عرض المسلسلات التركية وبالتالي طول مدة الترويج للسياحة، ساهم في بناء صور حسنة لدى المشاهد واقناعه أن تركيا بلد سياحي يستحق الزيارة؛
- استخدام عدسات الكاميرا والإخراج والأداء الفني الجيد عنصر وجمال الطبيعة إبحار للمشاهد، خاصة منطقة مضيق "البوسفور" في اسطنبول ومعها الجسر المعلق الذي يربط بين آسيا وأوروبا، الذي يظهر أكثر من مرة في الحلقة بتصوير محترف ومبهر يجذب الأنظار؛
- ويظهر أثر الدراما التركية على التنمية السياحية من خلال زيادة الرحلات السياحية إلى تركيا زيادة ملحوظة خلال الفترة الأخيرة؛ إذ ارتفعت نسبة السائحين المغاربة بنحو 51%، ومن الإمارات بنسبة 21%، وهو ما أرجعه عدد من خبراء السياحة إلى نجاح الدراما التركية في جذب المشاهدين العرب، فقد صاروا يتلهفون لزيارة الأماكن التي تم التصوير فيها.¹

خاتمة

يتضح من خلال ما تم عرضه أن الوسيلة الإعلامية أصبحت الأكثر تأثيرا وانتشارا في عصرنا الحالي، وقد فتح التطور السريع في مجال الإعلام والاتصال آفاق جديدة، وزاد من حرية الوصول إلى المعرفة وخلق بيئة اجتماعية واقتصادية وتنموية جديدة، ويعد الإعلام المحلي التنموي من أساسيات التنمية المستدامة باعتباره يسعى إلى تحقيق أهداف المجتمعات الأساسية ومصالحها الجوهرية، فهو يسعى بالدرجة الأولى إلى تعزيز قدرات المجتمع والجمهور المستهدف من أجل المشاركة الإيجابية في عملية تنمية القطاع السياحي وفق خطط التنمية والاستفادة من تجارب الدول الأخرى.

ويعد الإعلام السياحي المحلي من أولويات أي دولة في مجال التنمية المستدامة، لما له من مستويات للتأثير على السياحة المحلية، مما استدعى ضرورة الاهتمام به ومنحه مكانة قوية على أرض الواقع، وذلك بتوفير العناصر الفنية والتقنية التي تضفي عليه الجاذبية والتأثير، بالإضافة إلى تطوير حقيقي وفعال للممارسين الإعلاميين في مجال السياحة، لإنتاج رسائل إعلامية تعزز ثقة السائح في المناطق المحلية السياحية، لينعكس ذلك بالإيجاب على برامج التنمية السياحية المستدامة.

المراجع

¹ عبود زرقين وإيمان العلمي، مرجع سابق، ص 21.

- أمال بدرين، استراتيجية الاتصال في المؤسسات السياحية الجزائرية عبر المواقع الإلكترونية، رسالة ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2010/2011.
- خديجة عزوزي، التنمية السياحية المستدامة بين الإمكانيات والآفاق دراسة حالة ولاية قالمة، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2014/2015.
- سامي بلبخاري سامي وناصر الدين بن أحسن، تأثير الإعلام السياحي في صورة السياحة الداخلية - دراسة ميدانية لعينة من السياح، جامعة باتنة، الجزائر، على الرابط،
http://vrlex-ar.univ-batna.dz/images/docs/manif_scient/tourisme/communication15.pdf
- سمر رفقي الرحبي، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
- صلاح زين الدين، دراسة لفرص تحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر العلمي الدولي الثالث "القانون والسياحة"، كلية الحقوق، جامعة طنطا، 26-27/04/2016، مصر.
- عامر عيساني وجمال جعيل، التنمية السياحية المستدامة والتحديات المعاصرة، مجلة الإحياء، العدد العاشر، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر، 2006.
- عبود زرقين وإيمان العلمي، تعزيز دور الإعلام في تحقيق تنمية سياحية مستدامة - الدراما التركيبية كنموذج إعلامي للتنمية السياحية -، ورقة بحثية مقدمة في المنتدى السنوي السابع حول الإعلام والاقتصاد... تكامل الأدوار في خدمة التنمية، الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، 11-12/04/2016.
- فايز محمد علي الحميدات، الإعلام السياحي في الأردن "إذاعة سياحة FM" نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2013.
- فضيل حضري ووهيبة بوريعين، التنمية السياحية المستدامة في الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد العاشر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014.
- محمد الفاتح محمود بشير المغربي، دور العلاقات العامة في الترويج السياحي، ورقة بحثية مقدمة للملتقى العمران السياحي في المناطق الجبلية، المعهد العربي لإنماء المدن، عسير، السعودية، سبتمبر 2017.
- مصطفى محمود حسين أبو حمد، دور الدراما في رسم الصورة الذهنية للمقصد السياحي: دراسة مقارنة (مصر وتركيا)، مجلة كلية السياحة والفنادق، المجلد السابع، العدد الثاني، جامعة الفيوم، مصر، 2013.
- هاجر سعدي ولامية لعلام، دور التنمية السياحية المستدامة في ترقية السياحة الصحراوية في الجزائر، مجلة التنمية الاقتصادية، العدد الأول، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2016.
- الهيئة العامة للسياحة والآثار، استراتيجية الإعلام السياحي في المملكة العربية السعودية، على الرابط
https://scth.gov.sa/GeneralStrategy/Documents/Str/Str_03.pdf
- وزارة السياحة اليمنية، استراتيجية الإعلام السياحي في اليمن، على الرابط
<http://www.yementourism.com/gov/about/tourism-media-strategy.pdf>

التأصيل والتحديث في الفنون التشكيلية العربية الحركة التشكيلية التونسية أنموذجا

الباحثة التشكيلية: وهيبة الهمامي

المعهد العالي للفنون الجميلة - سوسة

تعدّ مسألة التراث من المسائل التي أسالت الحبر بغزارة في بعض الأعمال الأدبية باعتبار أنّ الثقافة العربية منوعة بثقافة الكلمة، وبأنّ الشعر كان ولازال ديوان العرب، وأنّ الخطاب الشفوي يشكّل أسلوبا في التبادل الفكري. ولكنّ الثقافة العربية بصفة عامّة هي أيضا ثقافة كتابة وقراءة وذلك يعني أنّ للثقافة العربية جوانب مرئية أساسية تستدعي مجهودا بصريًا لإدراكها وفهمها، وإلى جانب الثقافة المكتوبة نسجت المخيلة العربية عبر تاريخها الطويل تراثا تقليديًا وجماليًا تكوّن على شاكلة عناصر مكوّنة للفضاء من سجاد، ونقش وخزف، ومختلف منتوجات الصناعات التقليدية. لذلك فإنّ الثقافة العربية بقدر ماهي ثقافة كلمة وخطابة فإنّها بموازاة ذلك تتضمّن حساسية بصرية يتعيّن الإنتباه إلى قيمتها ومكوّناتها. لذلك من المنطقيّ جدّا الانشغال بفنّ الرّسم أو التشكيل من حيث أنه مجال إبداعي مطلق.

من هنا بدأ الاهتمام بوضعية الفنون التشكيلية في الثقافة العربية، هذه الوضعية التي نشأت على هامش الثقافة التقليدية بتأثيرات التيارات الغربية، فقد كان التراث الجمالي العربي الإسلامي من خط عربي ومنمنمات ونقوش وغيرها دائما قيمة مرجعية لإبداع الفنانين العرب، بالإضافة إلى فنون العمارة والرقش والخزف التقليدي والصناعات الحرفية ظهر في القرن التاسع عشر فن جديد هو الرسم على الزجاج، الذي كان شائعا في بلدان كثيرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، ويعدّ هذا الفنّ أولى محاولات الانفتاح على البيئات الثقافية المجاورة، وكما الحال في كلّ بلدان العالم العربيّ، برز التعبير الفنيّ الحديث بالمعنى الغربيّ في تونس بجلّة جديدة تمثّلت في اللوحات والرسوم المسندية التي ظهرت بوادرها في قصور الأمراء والبايات ثمّ انتشرت شيئا فشيئا لتطال الجمهور، وكان ذلك بظهور مؤسسة الصالون التّونسي، وهو معرض فنيّ أسس سنة 1894 لسد حاجة ثقافية شعر بها المستوطنون الأجانب مما ساهم في نشر روح التشكيل والتذوق الفنيّ، وكان الإطار الأوّل الذي ظهرت فيه التجربة الفنية التونسية. فمنذ بدايات الاحتكاك المباشر بالغرب ظهرت بوادر الحركة التشكيلية العربية التي أنتجت تراكما هائلا من اللّوحات، ولكن بالاستناد إلى رؤية جمالية غربية ممّا جعلها في تبعية مطلقة للغرب من ناحية المرجع أو التقنية أو الأدوات... ولكنّ هذا التأثير بالآخر وبالغريب لم يكن حكرًا على الفنانين العرب فحسب بل على بعض الفنانين الغرب الذين تأثروا بالإرث الثقافي والتراث والأصالة العربية إلى درجة الولوج والانبهار أمثال أوغيسست ماكي ولويس مايب وبول كلاي الذي زار البلاد التونسية قبل قرن تقريبا، وهناك رسم العديد من اللّوحات التي تحمل مشاهد تروي تفاصيل تغلغلت بذاكرته وتكوّنت على

شاكلة خطوط تجريدية وألوان انسكبت لتتدفق مثل حلم مائي. وهنا نتحدث عن فعل الاستشراق ودوره في نشر وتوثيق الفكر الجمالي في الفنون العربية والإسلامية، وإسدال الستار عن الدلالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تقف خلف الإبداع العربي، وقد اهتم الاستشراق الفني كذلك بفنون العمارة والمدن العربية الإسلامية، وكثف الفنانون العرب محاولاتهم في نقل جمالياتها وخصائصها المتميزة مما ساهم في بروز رونق الفن العربي في صلب الحضارة الغربية أو الأوروبية في عصر التنوير والحداثة .

في مرحلة ثانية ومع تطوّر الحركة الفنية شهدت الأعمال العربية اختلافا نسبيا مع التجارب الغربية، فبرزت اتجاهات أخرى حاولت الارتباط على نحو أكثر عمقا بالموروث الجماعي وبناء تجربتها على أسس غربية ولكن بمواصفات عربية، فكان انخراط الفنّان في التعامل مع التراث هو المتنفس الذي تأسست من خلاله عملية التجاوز وإدماج بعض رموز التراث العربي الإسلامي واستلهاهم معالم الهوية العربية. إذ أمام تراث هائل من الموروث بمختلف أبعاده تأثر العديد من الفنانين التشكيليين العرب بحقل بصري واسع من المشاهد التقليدية، مما أفرز ممارسات تجلت فيها عوالم التراث بمحاولات رائدة صوّرت الواقع الاجتماعي ورسمت الملامح الإنسانية والأشخاص في حركات مختلفة ضمن مشاهد المقهى والأسواق وفي بوابة الحياة اليومية بكل ألوانها.

وفي خضمّ هذا الإرث الحضاري برز العديد من الفنانين العرب ونأخذ على سبيل المثال بعض الفنانين التونسيين الرّواد مثل، الهادي الخياشي، وعبد الوهاب الجيلاني وبجي التركي، علي بن سالم ، حاتم المكي، عمار فرحات وعمارة دبش وجلال بن عبد الله، وعبد العزيز القرصي، وعلي بالآغى وصفية فرحات وزبير التركي والهادي التركي وإبراهيم الضحّاك من الجيل الثاني وحسن السوفي.

فكانت جلّ الممارسات الفنية منضوية تحت ثنائية الأصالة والمعاصرة التي باتت مسألة لافئة للنظر، مما جعل الفنّان العربي يهتدي إلى نحت أساليب خاصّة به حتّى يضفي طابع المشروعية على هذه الأعمال التي بقيت أشكالا هجينه لاهي بالأصيلة ولاهي بالمعاصرة، وفي هذه المرحلة قدّم العديد من الفنانين العرب تجارب إبداعية بالغة التميّز والجمال كان لها الأثر في التعبير عن تحولات المجتمع العربي بشكل صارخ إزاء هذا المزيج من المتغيرات الثقافية السياسية والاجتماعية، فكانت تبرز قضايا وهموم الإنسان العربي في علاقته بذاته وبمحيطه وفي علاقته بالآخر. وأكثر ما يميّز أعمال الحركة العربية الحديثة بصفة عامة والحركة التشكيلية التونسية بصفة خاصّة أنّها تركز إلى عدد كبير من العلامات الثقافية في التراث العربي الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالكتابة والخط العربي، لدرجة أنّ هذه العناصر أصبحت من المقومات الرمزية والثقافية التي تميّز اللوحة العربية، بل إنّ من غير الممكن أن نجد رسّاما عربيا لم يدمج التراث في فضاء لوحته ولم يلامس الذاكرة الثقافية في مخططاته. ولما لا إذا كان التراث هو الذاكرة وفقدان التراث الثقافي هو فقدان الذاكرة والفرد الفاقد لذاكرته لا يستطيع أن يستدلّ على باب بيته لذلك كان مرور الفنّ العربي من مرحلة التبعية إلى مرحلة التوفيق ثمّ مرحلة الاستقلال والإبداع مبرّرا للتمييز وتكوين المسار الخاصّ به. ومهما يكن فإنّ معظم الفنانين والنقاد العرب والأجانب يتفقون على أنّ الاستعمالات المتنوعة للخط وللحرف العربي كرمز ثقافي أنتجت تيارا هاما في سياق الرسم

المعاصر. ومع ذلك فإنّ الفنّان العربي رغم اجتهاده في نحت أسلوبه التشكيلي الخاص يجد نفسه في مأزق فكري وفنيّ، يتعلّق بالكيفيّة التي تمكنه من توظيف التراث الرمزي والفني العربي خارج المقاييس التي أنتجها الغرب، وداخل هذه المسألة يكمن التوتّر الواضح بين ما يسمّى بالتأصيل والتحديث في التجارب التشكيلية العربيّة.

ولأنّ جلّ الأعمال الفنيّة العربيّة هي حصيلة تجارب حياتيّة وركام ثقافي هائل فإنّها من البديهي أن ترتبط بمظاهر مجتمعاتنا العربيّة، إذ تبقى شديدة الالتصاق بجذورها التقليدية. وفي حضمّ هذا الإرث الحضاري برز العديد من الفنانين العرب ونأخذ على سبيل المثال بعض الفنانين التونسيين الرّواد مثل، الهادي الخياشي، ويحيى التركي، علي بن سالم، حاتم المكيّ، عمار فرحات وعمارة دبش وجلال بن عبد الله وعبد العزيز القرقي، وعلي بالآغى، وغيرهم من الأعلام اللذين خلّدوا أسمائهم في تاريخ الفنّ التشكيلي التونسي. فتبدو الحياة الشعبيّة عند عبد العزيز القرقي وأحمد سعدون في اللباس التقليدي التونسي وفي الحفلات والأعراس وفي البهرج وعناصر الزينة التي تشمل الكحل والحناء والنقوش والحلي وغيرها. وحتى الرقصات الشعبيّة صورتها بطريقة تجعلنا نستمتع قسرا إلى الموسيقى وهي تتصاعد من الجو الشعبي الذي يسكن اللوحة.



عبد العزيز القرقي / 191-92 صم / نسج



أحمد سعدون / 44-64 صم / ألوان مائية على ورق

أما في لوحات عمّار فرحات وزير التركي فإننا نرى في جميع جزئياتها التشكيلية مفردات الواقع الاجتماعي "فكلّ من يقف أمام لوحاته يحسّ أنّه جزء منها وأنّ ما تنطق به اللوحة هو تاريخه وبعض واقعه الذي يعايشه إنّه بكلمة يلتقي بذاته وجها لوجه"¹

¹ نفس المصدر، ص141



لوحة لزيير التركي ألوان مائية على ورق 46-61 صم

تقول الأستاذة احميدة الصولي "كلّ معايشة بصرية إنّما تقتزن بحالة من الوهم والتّخيل" ¹ لذلك ونحن بصدد تأمل بعض الأعمال التشكيلية التونسية نكاد نشتم رائحة الشموع والبخور والعطور وهي تنبعث من جداريات رفيق الكامل هذه التّشكيلات التراثية التي اختصرت الإرث الثقافي التونسي بكلّ تفاصيله الدقيقة.



رفيق الكامل خرقة 1984 تقنية التلصيق 42-70 صم

أمّا مميزات المدينة القديمة فقد شغلت كلّ الرسامين تقريبا، خاصة من كان منهم شديد الإهتمام بالعمارة والمدينة العتيقة، مثل الفنان محمود السهيلي الذي كانت لوحاته مليئة بالأشكال الهندسية الأصيلة التي تشيد بتاريخ حضارة عريقة.



محمود السهيلي / 91-73 صم /
ألوان زيتية على قماش

¹ الصلي احميده، إيقاعات الضوء واللون جولة في فضاءات الفنون التشكيلية التونسية، مطبعة فن الطباعة، تونس، ص 49

"الفرق التشكيلي مثله مثل باقي الفنون، يتخذ من التراث الإنساني ميدانا للاكتشاف وتجريب مواد لتنفيذها، وإذا ما اتفقت البراعة مع الحسّ والموروث والتصور المستقبلي لنمط الفكر والرؤى الحياتية في مختلف أوجهها عبر الذوق والوعي، الذين قلما يفتقدان لدى الفنان الأصيل المتشبع بحضارته والمتمركز في شخصيته."¹

يتّضح مما تقدّم في هذه العيّنة من الأعمال التشكيلية أنّ هذا المنهج الذي انتهى إليه بعض فنانون الجيل الأوّل والثاني يتميّز بحسّ خاص يترجم عن تعلق بالقيم الجمالية للحياة التقليدية والثقافية والشعبية وعن تمييز التراث الفني.

ولكن الذين استلهموا التراث العربي واتخذوا منه مواضيع لأعمالهم وحولوا مضامينه ومحتوياته إلى أعمال فنية لا يعني أنّهم قد اختطوا سبيلهم القويم في عالم التشكيل لأن ذلك لا يغدو أن يكون عملا محاكيا لكل الأزمنة والظروف الحياتية مادام يستجيب لفعل النقل كأسلوب في التعامل مع التراث وهذا لا يعدّ أمرا محمودا.

كما لا يمكن أن تنمو حضارة وتتطور دعواتها ما لم يحصل تفاعل معرفي بينها وهذا التفاعل ليس له مجال ينحصر فيه لكننا الفنون وما يتصل بها هي أحد المجالات كبيرة الأهمية في تحقيق ذلك.²

وهنا أقول المثاقفة بمعنى التبادل أي تلقي الوافد والاستعانة به وليس الاستلاب والذوبان الكلي، فإذا وصل الأمر إلى التخلي عن الإحساس بالذات في العمل المنجز فهو فقدان للهوية الثقافية. وذلك يجعلنا نتساءل عن حال التشكيل العربي في تونس هل هو تقليد واعي أم ذوبان كلي؟ لقد نتج عن هذين السبيلين مناهج نقدية حاولت أن توائم مواثمة واعية بين الأشكال التقليدية والأشكال الحديثة وتلغي تباين المناهج والنزعات في إطار تشكيل وحدة تجمع الأصيل والمعاصر والغربي بالعربي لكن "تبقى كل قراءة إنّما هي موقف من التراث والمعاصرة أو من تلك الرؤية المستقبلية العامة وذلك باستحلاء كل مقومات الإنتاج وما يتضمنه من طاقات فاعلة مغيّرة .. وبناء لحقائق جديدة قادرة على خلق توازنات جديدة تستجيب للظروف الجديدة."³

لذلك برز من جيل التغيير الجمالي الجديد بعض الأعلام مثل حاتم المكّي والهادي التركي وغيرهم، الذين حاولوا أن يغيّروا هذا النمط الحكائي السردى المطب في التناغم مع البيئة وبناء على هذا كلّ لم يتوان جميعهم عن خلق فضاء حرّ فلم يعدّ الأمر أن كان تصوّرا نظريّا حتّى تشكّل على أرض الواقع بتجارب متنوّعة اتجه معظمها إلى التجريد والتعبيرية السريالية التي كانت تبشّر بهويّة حدائثة مستقبلية تتطلّع إلى الانفتاح على العالم الغربي.

¹ المصفار محمود ومحمد مندور، بين التنظير والممارسة جدلية التراث والمعاصرة في الأدب العربي الحديث، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، 2003، ص65.

² المرجع السابق، ص176

³ المرجع السابق، ص9. مقولة مقتبسة من إستيتيقا مفهومي الفهم والتفسير من منهج غولمان

إنّ النتائج التي انتهينا إليها تحوم في مجملها حول الإجابة عن تساؤل جوهري مفاده أنّ التراث ليس إلّا حلقة من سلسلة طويلة، وأنّ كلّ محاولات التجديد والخروج عن الإطار القديم يبقى في خانة البعيد لأنّ فعل التملّص من الجذور يبقى صعب المراس. فإن كان "العمل الفنيّ هو إنجاز يخرج الأشياء من حيز الكمون إلى حيز الفعل"¹ فإن الفنّان التونسي لا يمكن أن يبدع خارج هواجسه الفكرية وميولاته الضاربة في القدم والتقليدية. بناء على ذلك لم يتناول الفنانون العرب من المستشرقين التراث التونسي بمثل الطريقة التي تناول بها الفنّانين العرب ولا بمثل الدقة في نقل مظاهر التراث. ولم يكن الفنّانين العرب ليتحرروا من وطأة التبعية للعرب لولا إصرارهم على جعل التجريد ذو صبغة محلية واكتشافهم لأنماط تعبيرية غامضة وصيغ تجريدية جديدة.

تقول الفنّانة التشكيلية فيلما فيلافرد "على الفنّان أن لا يقبل بالحتميّ والنهائيّ، عليه أن يتساءل باستمرار"²، لأنّ العمل التشكيلي ليس مجرد جماليّات وإتقان هناك علم داخل هذا الفعل الفنيّ، يطرح بدوره تساؤلات عديدة ومتعدّدة، كما أنّ البحث في القضايا الفنيّة في أيّ جانب كان: علمياً أو تاريخياً، نظرياً أو تطبيقياً لا ينتهي، يبقى الاكتشاف قائماً ومتواصلاً في كل مرّة ومنفتحة على أشياء جديدة، ولكن الوصول إلى المعرفة الحقيقيّة يبقى في خانة البعيد أو ربّما المستحيل، بيد أنّ العجز عن الوصول إليها يبقى ضرباً من المحاولات الغير مجدية، لأنه ما من خلاص من هذه الحقائق اللامتناهية، إذ لا وجود للحقيقة الواحدة في الفنّ، كما أنّ هذا الأخير لا يقبل معنى واحداً على أنّه المعنى النهائيّ، فهو يحتوي على نصوص تأويلية لا متناهية. كما أنّ "المعايير الجماليّة ليست مقاييس ثابتة"³ فهي غير خاضعة لحكم قطعي وحاسم بل "ليس هناك معيار في مجال الجمال شامل لأنّ معايير الحكم الجمالي تتغير مع تغيّر الدّوق"⁴ وبالتالي فإنّها تحتكم إلى مقياس التناول الفكري والعقلي والحسيّ للمتقبّل فكلّ حسب تأويله وحسب تقيّمه. فإن غاب السّؤال عن مدى تصوّرنا لهذه التّأويلات فالإجابة عنه جد حاضرة إنّها حقيقة تفرض نفسها على العقول أن لا وجود لحواجز تقيّد الفكر والخيال الإنساني. لذلك فأنّه يصبح شرعيّاً الإقرار بأنّ بلوغ الكمال لا يمكن أن نشهد له وجوداً في الفنّ.

¹ المصفاة محمود ومحمد مندور، مرجع سابق، ص9

² جمعية جسر الفنون بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفافس، دراسات فنية في المادة والفعل والأثر، دار محمد علي للنشر، ط1، 2009، ص112.

³ عطية محمد محسن، التحليل الجمالي للفن، دار النشر عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص6.

⁴ نفس المصدر، ص6.

المؤسسات الثقافية كآلية لتحقيق التنمية المستدامة بالجزائر

أ. سهام ختال

جامعة محمد بن أحمد - وهران 2

الملخص:

ان الاهتمام بالشؤون الثقافية عرف اهمية بالغة في السنوات الاخير، أدى الي البحث عن آليات تفعيل التنمية المستدامة بكل ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية متكاملة فيما بينها، فنجد أن منتجات الصناعات الثقافية والتقليدية والسياحية تعتبر مكسب ومصدر تمويل ودخل للدول خاصة في ظل البحث عن بدائل مستدامة للتنمية مع ضرورة ووضع قوانين وتشريعات، وايضا وجود رقابة صارمة، ومؤسسات ذات كفاءة عالية، فالجزائر وبكل ما تمتلكه من تراث حضاري منذ القدم بتعدد الحضارات اصبح لها ارثا ثقافيا لا بد من استثماره والحفاظ عليه خاصة في ظل العولة التي تشكل تهديدا حقيقيا لتنوع الثقافي.

وعليه فان دراستنا هذه تهدف الي ابراز وتفعيل دور المؤسسات الثقافية في تحقيق التنمية المستدامة وحماية الموروث الثقافي والعمل على تكاثف الجهود لضمان تنمية مستدامة للأجيال الحاضرة والمستقبلية من خلال الاستغلال العقلاني والمستدام للموروث الثقافي .

الكلمات المفتاحية: المؤسسات الثقافية، الموروث الثقافي، التنمية المستدامة.

Abstract:

The interest in cultural affairs has become very important in the recent years, which led to search for mechanisms to activate sustainable development in all its entire economic, social and environmental and cultural dimensions. We can find that the products of the cultural, traditional and tourism industries are considered a gain and source of funding and income to countries, especially in the search for sustainable alternatives to development with the need to establish laws and legislation, and also the existence of strict control, and institutions with high efficiency. Algeria, with its entire cultural heritage since ancient times with multiculturalism has a cultural heritage that must be invested and preserved in the shadow of globalization, which constitutes a real threat to cultural diversity.

The study aims to show and activate the role of the cultural institutions in achieving the sustainable development and protecting the cultural heritage, moreover, to intensify efforts to ensure the sustainable development for the present and the future generations through the rational sustainable exploitation of cultural heritage.

Keywords: cultural institutions, cultural heritage, sustainable development

مقدمة

أصبحت الثقافة بعدا رابعا يضاف إلى الأبعاد الرئيسية للتنمية المستدامة، فالثقافة مرتبطة بوجود الانسان ومنذ تواجده عبر التاريخ وما انتجه من تراث ثقافي وابداع فكري في كل المجالات. ولهذا سعت الدول بمؤسساتها الثقافية للحفاظ على الموروث الثقافي واستدامته باعتباره مصدر دخل يساهم بشكل كبير في اقتصاد الدولة، فوجب توفر كل ما يلزم، ووضع برامج تهتم بالمجال الثقافي بغية الحفاظ على الموروث الثقافي الذي اصبح موضوع اهتمام عالمي من مقوماته الأساسية الكشف عن العمق الحضاري لأي امة، وتبيان تطورها الثقافي و الفكري.

من اجل ذلك تسارعت الدول ومن بينها الجزائر إلى التفكير في الاستثمار في المجال الثقافي تبعا لما تزخر به من تراث مادي ولامادي، لجعله مصدر ومورد دخل هذا من جهة، ومن جهة اخرى لا بد من الحفاظ على أهمية البالغة بوضع قوانين وتشريعات ، كما وجب أيضا إشراك كل الفواعل الرسمية والغير رسمية من مجتمع مدني وقطاع خاص في المجال التنموي .

ولأهمية موضوع الدراسة وجب التعرف على مساهمة المؤسسات الثقافية في تحقيق التنمية المستدامة وحماية التراث والعمل على استدامة الموروث الثقافي ، هذا ما دفعنا للبحث ومعالجة هذا الموضوع بطرحنا الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاعت المؤسسات الثقافية تحقيق التنمية المستدامة بالجزائر؟ وعليه سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية بتبني الخطة التالية المقسمة الى مقدمة ومحورين والخاتمة.

- يعالج المحور الاول الاطار النظري (المؤسسات الثقافية ، التنمية المستدامة)

- المحور الثاني تناولنا فيه مساهمة المؤسسات الثقافية في تحقيق التنمية المستدامة.

المحور 1: الاطار المفاهيمي (المؤسسات الثقافية - التنمية المستدامة)

تعريف المؤسسات الثقافية: تعتبر المؤسسات الثقافية أمكنة ثقافية تعبر عن غايات الوجود البشري، فقد عرفها "وينك" بأنها مجموعة مترابطة من التقاليد الاجتماعية والثقافية على جانب كبير من الثبات، وهي عبارة عن نمط سلوكي متكامل ومركب ومستتر يمكن من خلاله إشباع الرغبات والحاجات الاجتماعية الأساسية، ويقصد بها أيضا على أنها عبارة عن أبنية إدارية مهمتها تحريك السياسات الثقافية بحيث تعمل على تحفيز الجماهير وإشعارهم بثقافتهم الخاصة كذلك تعمل على الاحتفاظ بالتراث والتفاعل مع الأحداث بحيث تتعدد المؤسسات الثقافية فتشمل بذلك كل من دور النشر، والمتاحف، والمسارح القاعات الفنية... إلخ، وقد عرفتها "عبد الزهرة الطالقاني" على أنها تلك المنظومات التي تعمل على إنتاج وتوريد وتصدير المعلومة في شتى مجالات كما عرفت على أنها: مؤسسة عامة غير ربحية تعمل على تخصيص المجالات الثقافية والفكرية، والعلمية،

والبيئية، والتربوية، والفنية للمجتمع وتشمل المكتبات، المتاحف الفنون المسرحية... إلخ،¹ وعليه فإن المؤسسات الثقافية هي عبارة عن أبنية إدارية عامة تابعة للدولة من حيث التسيير والتمويل، وتعمل على تنفيذ السياسات العامة الثقافية والفكرية والفنية بمختلف مجالاتها، وهذا من خلال الأنشطة والتظاهرات الثقافية التي تقدمها للجمهور، وتشمل الابنية كل من دور الثقافة والمتاحف والمكتبات والمسارح والسينما وغيرها فهي تساهم في إثراء التراث الثقافي والحفاظ عليه جيل عن جيل وبهذا تحقق استدامة الموروث الثقافي الامر الذي تسعى كل الدول إلى تحقيقه من خلال تنفيذ سياستها العامة الثقافية وتطبيق التشريعات والقوانين التي تصدرها، والاتفاقيات التي تصادق عليها.

تعريف التراث الثقافي: تعددت مفاهيم وتعريفات للتراث الثقافي، حيث عرفه محمد عابد الجابري " كل ما خلفه الماضي ولكنه بقي حيا في الحاضر " أو " كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، ماضينا نحن أم ماضي غيرنا، القريب منه أم البعيد " الجابري يشترط الحضور وقوة التأثير وفعاليته في التراث،² فهو يبحث عن التجديد واستغلاله لان كل تراث هو نتاج انساني مرتبط بطل الارتباط بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد باعتبار أن كل فرد وليد بيئته، وبما أن التراث الثقافي هو تراثا ثقافيا يشمل كل المواقع ذات الأهمية العلمية أو التاريخية، والآثار الوطنية، والحياة البرية، والمواقع الطريفية، والمباني والمنشآت التاريخية، والأعمال الفنية، والتراث الشفاهي والمكتوب، ومجموعات المتاحف وتوثيق كل ذلك، والذي يخلق قاعدة لإبداع ثقافي وفني مشترك. أي أنه كل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة وعبر عنه الإنسان من عادات وتقاليد بمختلف اتجاهاتها الدنيّة والفكرية والفنية والثقافية والأدبية، فمن هذا المنطلق و في إطار الاهتمام بالتراث وحمايته عملت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة - (اليونيسكو) إلى تصنيف التراث الثقافي إلى بالتراث الثقافي المادي واللامادي.

أ- التراث الثقافي المادي: يشمل التراث الثقافي المنشآت والمواقع التاريخية، والآثار، والأشياء التي تستحق، لقيمتها، أن تُحفظ للمستقبل، نظراً لأهميتها الأثرية أو المعمارية، أو العلمية، أو التكنولوجية بالنسبة لثقافة ما، كذلك يمثل "التراث الطبيعي" جزءاً مهماً من الثقافة، ويشمل المناظر الطبيعية والبيئة الطبيعية، والنباتات والحيوانات الخاصة بكل منطقة (الفلورا والفونا) هذه المواقع التراثية عادة ما تشكل مكوناً مهماً في صناعة السياحة في بلد ما، نظراً لما تمثله من عنصر جذب للزائر الأجنبي والمحلي. التراث الذي استطاع أن يعيش من الماضي حتى يصل إلينا عادة ما يتسم بالتفرد وعدم إمكانية تعويضه، وهو ما يحمل الأجيال الحالية مسؤولية الحفاظ عليه. عادة ما يتم تجميع المنتجات الثقافية الصغيرة وكذلك الأعمال الفنية الفريدة في المتاحف وقاعات العرض الفني، وتبذل الجمعيات الأهلية والجماعات السياسية جهوداً ناجحة في الحفاظ على تراث

¹ زموري زينب، دور المؤسسات الثقافية في التنمية الثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، 2014/2015، ص 104.

² طاهري عادل، إشكالية الحدائق والتراث، 15 يوليوز 2009، 13:15، على الموقع الالكتروني:

<https://www.hespress.com/opinions/14096.html> , p01 , 17/03/2019.

وممتلكات الأمة للأجيال التالية،¹ ونجد ان التراث المادي مازال قائم، قد تطرأ عليه عدة تغيرات الا أنه يبقى يحافظ على شكله الاصلي، فوجوب الحفاظ عليه وجرده للانتقال به عبر العصور.

ب - التراث اللامادي: ارتبط تعريف التراث الثقافي غير المادي في الاتفاقية ارتباطا وثيقا بالتعريف الوارد في مسرد مصطلحات عام 2002 المأخوذ إلى حد كبير من التعريف الذي اقترحه اجتماع الخبراء المعقود في تورين عام، 2001، فعرّف على أنه "الممارسات والعروض، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات - فضلا عن الأدوات، وقطع، ومشغولات الحرفية، والاماكن الثقافية المرتبطة بها- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل، عادة ما تعيد الجماعات والمجموعات ابداعه من جديد طبقا لبيئتهم، وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم، وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرارية، بما يعزز احترام التنوع الثقافي، والإبداع الإنساني"²، فالتراث غير المادي أو الحي هو جزء من التراث الثقافي، ويقصد أيضا به التقاليد التي تنتقل شفاهياً أو عبر لغة الجسد من جيل إلى جيل. يشمل التراث الثقافي غير المادي، في الأساس، على المجالات الواسعة التالية:

- التقاليد والتعبيرات الشفاهية بما فيها اللغة بوصفها وسيط التراث الثقافي غير المادي.
- الفنون المسرحية (مثل الموسيقى التقليدية والرقص التقليدي والمسرح التقليدي).
- الممارسات الاجتماعية والطقسية والأحداث الاحتفالية.
- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والعالم.
- فنيات الحرف التقليدية³.

فالتراث اللامادي الذي له من الخصوصيات ما يفرض علينا أن نوليّه أهمية خاصة فيمثل ما هو سهل وسريع التلف، ونقصد بذلك العادات والتقاليد فهي تتشكل من التقاليد الشفوية من حكم وأمثال من شعر ملحون وموشحات من طبوع موسيقية غير مكتوبة وعادات اجتماعية وأخلاقية، وكذلك المعارف المرتبطة بالمهن القديمة والألعاب القديمة.⁴

¹ مشروع السياسة الثقافية في الجزائر، فبراير 2013، مرجع سابق، ص ص 09.08، أنظر في الموقع الإلكتروني:

info@alger-culture.com, op.cit. pp 8/9.

² منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اتفاقية عام 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي - التقرير النهائي، ج1، أكتوبر 2013، ص 27، نظر في الموقع الإلكتروني: https://ich.unesco.org/doc/src/IOS-EVS-PI-129_REV.-AR.pdf 08/03/2019

³ مشروع السياسة الثقافية في الجزائر، فبراير 2013، مرجع سابق، ص ص 09، نظر في الموقع الإلكتروني: info@alger-culture.com, op.cit. p9.

⁴ عز الدين بويجاوي، المحافظة على التراث الوطني من وجهة نظر عالم الآثار، العدد16، مجلة ابداعية تصدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، أكتوبر 2007، ص 19.

- تعريف التنمية المستدامة: عرفت اللجنة العالمية للتنمية المستدامة على أنها التنمية التي تلي احتياجات الحاضر دون التضحية أو الاضرار بقدرة الاجيال القادمة على تلبية احتياجاتها،¹ فهي التنمية الرشيدة² وعرفت على أنها عملية تطوير الارض والمدن والمجتمعات وكذلك الاعمال التجارية بشرط تلي احتياجات الحاضر بدون المساس بقدرة الاجيال القادمة على تلبية حاجتها، اي الاستغلال العقلاني للمستدام للموارد دون الحاق الضرر بقدرة الاجيال القادمة³، إن التنمية المستدامة تهدف إلى توفير الرفاهية الاقتصادية للأجيال الحاضر والمستقبل،⁴ وتعرف ايضا على أنها نمط من التنمية يستجيب لاحتياجات الحاضر دون أن يجور على قدرة الأجيال القادمة على الاستجابة لاحتياجاتهم.

تقوم التنمية المستدامة على ثلاثة ركائز، وهي: النمو الاقتصادي، التضمين الاجتماعي والتوازن البيئي، ويضاف إليها اليوم ركيزة رابعة هي: الثقافة⁵، فقد ظهرت كلمة الاستدامة لتقترب بالتنمية الإنسانية، وذلك لصيانة حقوق للأجيال القادمة⁶، وبهذا تعتبر عملية تغيير يتم من خلالها استغلال الموارد، ومساهمة المؤسسات الثقافية في التنمية لتحقيق أبعاد التنمية الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والتنوع الثقافي وتنمية المقومات الثقافية ودعم التنوع والتعددية والمشاركة الشعبية وعدم تهميش دور أي من فئات المجتمع في عملية صنع القرار⁷

المحور 2: مساهمة المؤسسات الثقافية في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر

تساهم دور الثقافة والمتاحف والمسارح والسينمات والمكتبات في الجزائر بشكل مهم في تحقيق التنمية واستدامة التراث الثقافي للجزائر الذي يشكل إرثا كبيرا، فهي تعمل على حماية التراث وتثمينه وتوظيف العقلاني للموارد التراثية والطبيعية والثقافية وحفظها للأجيال القادمة، فالسياسة الوطنية تساهم في تحقيق الاهداف التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

1. مديرية الثقافة: تحدث مديريات الثقافة في الولايات بمرسوم تنفيذي رقم 94-414 حيث تعتبر من المؤسسات الثقافية العامة التي تعنى بالشأن الثقافي، فهي تشجع على العمل المحلي في ميدان الابداع والترقية والتنشيط الثقافي والفني، وتنشط اعمال الجمعيات ذات الطابع الثقافي، تقوم أيضا بالاقتراح والمساعدة

¹ عامر طراف وحياة حسنين، المسؤولية الدولية والمدنية في قضايا البيئة والتنمية المستدامة، ط1، لبنان: بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص ص 103/104 .

² نور الدين حروش، الخدمة العمومية المحلية كمؤشر للتنمية المستدامة، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017، ص100.

³ عامر طراف وحياة حسنين، مرجع نفسه.

⁴ فاكية سقني، التنمية الانسانية المستدامة وحقوق الانسان، ط1، مصر- الاسكندرية، مكتبة الوفاء القانونية، 2018، ص100.

⁵ مشروع السياسة الثقافية في الجزائر، فبراير 2013، مرجع سابق، ص 06، نظر في الموقع الالكتروني :

info@alger-culture.com, op.cit. p06.

⁶ فاكية سقني، مرجع سابق، ص107

⁷ عبد الخالق عيبر، التنمية البشرية، مصر- الاسكندرية، الدار الجامعية، 2014، ص 105.

بالإتصال مع السلطات والهيئات المحلية المعنية أي مشروع لإنشاء هياكل جديدة ذات طابع ثقافي وتاريخي وإقامتها، تعمل مديريات الثقافة على متابعة ودعم الأنشطة والمؤسسات المحلية والجهوية في التكوين والبحث المتصلين بالثقافة، كما تعد وتقتراح، بالتشاور مع المؤسسات والجمعيات الثقافية والشخصيات التي تمثل عالم الثقافة، برامج العمل الثقافي المتعددة السنوات، بالإضافة إلى ترقية المطالعة العمومية وتطور المكتبات وتزويدها بكل الامكانيات التي تحتاجها، وتسهر على حماية التراث والمعالم التاريخية أو الطبيعية، فهي أيضا تتابع عمليات استرجاع التراث الثقافي والتاريخي وترميمه، وتشارك في عمليات ترقية الصناعة التقليدية المحلية والمحافظة عليها¹، مثلا من خلال المعارض والأنشطة الثقافية المتعددة التي تقام بهذا الخصوص لاستدامة التراث وضمان استمراريته والحث على المحافظة عليه لتنشئة الاجيال ثقافيا.

2. المتحف: إن كلمة متحف *musée* ذات الأصل الإغريقي، وباللغة العربية يحمل هذا اللفظ معنى المكان الذي تجمع فيه التحف، والتحف هي الشيء النادر الثمين، والمتحف في القاموس الوسيط هو "موضع التحف الفنية والأثرية"، والجمع متاحف²، وإن أهم المنظمات الدولية التي تهتم بشؤون المتاحف هو المجلس الدولي للمتاحف وهو منظمة دولية غير حكومية للمتاحف والعاملين في المتاحف ICOM الإيكوم تتألف من عضوية 146 دولة، تقوم بحفظ وتأمين استمرارية الإتصال مع التراث الثقافي والطبيعي العالمي، الملموس وغير الملموس، في الحاضر وفي المستقبل³، حيث عرف المتاحف "على أنه مؤسسة دائمة دون هدف الربح يكون في خدمة المجتمع وتطويره، مفتوحة للجمهور وهي تقوم بأبحاث تتعلق بالشواهد المادية للإنسان وبيئته، فتقتنيها، تحفظها، ترممها، وتعرضها وكذا تتيحها لغرض الدراسة العلمية، التربوية والمتاعية." ⁴

فالمتاحف هي الواجهة الحضارية لتاريخ الأمم والشعوب بما تحتويه من كنوز أثرية ومقتنيات تراثية ومخطوطات قديمة وتحف فنية وتعتبر المتاحف العمومية جديدة في الجزائر، حيث يوجد بالجزائر 08 متاحف وطنية على مستوى تراب الوطن موضوعة تحت وصاية وزارة الثقافة فهي مكلفة بجمع واقتناء، حفظ، ترميم، صيانة، وعرض التراث الوطني وتبليغه بكل الوسائل المتاحة وذلك وفقا لقانون رقم 98/04 المتعلق بحماية وتثمين التراث الوطني، ونذكر منها متحف الفنون الجميلة بالعاصمة والمتحف الوطني للأثار القديمة بالجزائر العاصمة ومتحف أحمد زبانة بوهراون ومتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية الذي يقع بحي القصة السفلى بالعاصمة والمتحف الوطني البارود المتواجد بالعاصمة بالإضافة إلى المتحف الوطني سيرتا بقسنطينة والمتحف الوطني للأثار لمدينة سطيف وأيضا المتحف الوطني نصر الدين ديني ببوسعادة. ⁴ فكان لا بد من الاستثمار

¹ المادة 03 من المرسوم التنفيذي رقم 94-414 مؤرخ في 19 جمادى الثانية عام 1415 الموافق 23 نوفمبر سنة 1994، يتضمن احداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها، الجريدة الرسمية، العدد 79 المؤرخ في 26 جمادى الثاني عام 1415هـ الموافق لـ 23 نوفمبر 1994.

² مالكي زوهير، مكتبات المتاحف الوطنية الجزائرية: شروط وإمكانيات الربط على شبكة انترانت، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2008/2009، ص ص 28/31.

³ سعيد الحجى، متاحف الآثار هويتها، تطورها ووراقعها المعاصر، الملحد 30-العدد 3+4، مجلة جامعة دمشق، 2014، ص 03.

⁴ مالكي زوهير، مكتبات المتاحف الوطنية الجزائرية: شروط وإمكانيات الربط على شبكة انترانت، مرجع سابق، ص 31. 57.49

وجعل من متاحف مصدر تمويل وبهذا تنشط السياحة الثقافية. صدر المرسوم التنفيذي رقم 11-352 الصادر في 5 أكتوبر 2011 محدداً التشريع النموذجي للمتاحف ومراكز الشرح والتفسير ذات الطابع المتحفي، تميزت الأنشطة المتحفية في عام 2012 بصور القرار بين الوزاري الصادر في 6 مارس 2012 محدداً رسوم الدخول إلى المتاحف العامة ومراكز الشرح والتفسير ذات الطابع المتحفي، فحددها المشرع بمائتي دينار جزائري وعليه جاء هذا القانون لتحديد رسوم الدخول إلى المتاحف العامة، بهدف زيادة إيرادات المتاحف أي قدرة المتاحف على التمويل الذاتي، ويهدف أيضاً إلى زيادة عدد الزائرين، فالإيرادات الناتجة تعتبر مؤشراً للكفاءة والدينامية المتحفية في علاقتها مع الجمهور¹.

3. دار الثقافة: أنشأت وفقاً للمرسوم التنفيذي رقم 98-236 المتضمن القانون الاساسي لدور الثقافة، فعرفها على أنها مؤسسات عمومية ذات طابع اداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، يكون مقرها في كل ولاية وتوضع تحت وصاية مديرية الثقافة، ويسر كل دار مدير وديريها مجلس توجيهي ولجنة تنسيق تقنية، وتتولى دار الثقافة ترقية الثقافة الوطنية والشعبية من خلال برامج النشاط الثقافي تشجيعاً لتربية والتعبير الفني لدى المواطنين، وكذا تتكفل بالكشف عن التراث الثقافي والتاريخي الوطني والتعريف به، وتعمل على تمكين التقاليد والفنون الشعبية، وتنظم معارض وملتقيات وزيارات ثقافية²، فدار الثقافة تشكل أهم المؤسسات الحكومية المتواجدة في الجزائر بحكم تغطيتها لجل النشاطات الثقافية على مستوى كل ولاية، فهي تلعب دور مهم في نشر الوعي الثقافي.

4. المسرح: هو أحد فروع فنون الأداء أو التمثيل الذي يجسد أو يترجم قصص أو نصوص أدبية أمام المشاهدين حيث يستخدم مزيج من الكلام، الإيماءات، الموسيقى، والصوت على خشبة المسرح ذلك البناء الذي مواصفات خاصة في التصميم³، ويعرف أيضاً على أنه أبو الفنون وأولها منذ أيام الإغريق والرومان حيث كانت المسارح هي الوسيلة الوحيدة للتعبير الفني بعد حلبات المصارعة والسباقات اذن المسرح هو بيت من بيوت الفنانين، يرجع أصل المسرح في جميع الحضارات إلى الاحتفالات المتصلة بالطقوس الدينية. وفي عصر النهضة بدأت حركة إحياء العلوم و الفنون.⁴

أما بالنسبة للعرب والشعوب الإسلامية عامة، قد عرفت أشكالاً من المسرح ومن النشاط المسرحي لقرون طويلة قبل منتصف القرن التاسع عشر وإذا مررنا بسرعة على الطقوس الاجتماعية والدينية التي عرفها العرب

¹ مشروع السياسة الثقافية في الجزائر، فبراير 2013، مرجع سابق، ص 13، نظر في الموقع الإلكتروني:

info@alger-culture.com op. cit, p13 .. 09/03/2019

² مرسوم تنفيذي رقم 98-236 مؤرخ في 04 ربيع الثاني عام 1419 الموافق ل 28 يوليو سنة 1998 يتضمن القانون الاساسي لدور الثقافة، الجريدة الرسمية، العدد 55 المؤرخ في 05 ربيع الثاني عام 1419 الموافق ل 2 يوليو سنة 1998.

³ على الموقع الإلكتروني، ص 01. <http://www.feedo.net/lifestyle/arts/theatre/Theatre.htm> 2019/03/09.

⁴ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ص 01، على الموقع الإلكتروني.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D8%B1%D8%AD>, p01, 10/03/2019.

في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام¹، حيث عرف المسرح في الجزائر حسب المرسوم رقم 63/12 المؤرخ في 1963/01/08 الذي اعتبره مؤسسة عمومية وطنية ذات طابع صناعي وتجاري، تتمتع بشخصية معنوية واستقلال مالي، وأن مهمته، المساعدة في التنمية الثقافية للإنتاج، وتصميم عروض المسرح والرقص الذي له طابع تربوي وثقافي، وقضى المرسوم عينه، بأن المسرح سيظل ملكاً للشعب.. ويكون أداة فعالة في خدمته، وخادما للحقيقة في أصدق معانيها.. وسيحارب كل الظواهر السلبية التي تتنافى مع مصالح الشعب، وأن المسرح سيكون معبرا عن الواقع الثوري بهدف تغيير البنيات الاجتماعية الموروثة عن فترة الاحتلال ومخلفاته².

5. السينما: جاء القانون رقم 11/03 الصادر في 14 ربيع الأول 1432 الموافق لـ 14 فبراير 2011 الخاص بفن السينما لإرساء القواعد العامة الخاصة بالنشاط السينمائي، واستغلاله وتشجيعه. إن النشاط السينمائي رغم طابعه الفني والثقافي، فهو نشاط صناعي وتجاري، وذلك بغية جعله مصدر تمويل ذاتي ووطني ومصدر دخل من خلال النشاطات التي يقوم بها. إن العمل السينمائي هو كل فيلم، أيا ما كانت مدته، والوسائط المسجل عليها، وأيا كان نوع الفيلم، على أن يكون قد جرى عرضه الإعلامي في قاعات عرض سينمائي وبطرق عرض سينمائية، بحيث يهدف النشاط السينمائي إلى تطوير إنتاج الأفلام الفنية، والتعليمية والتجارية، سواء كانت روائية أو وثائقية، تشجيع ثقافة متجذرة في القيم الوطنية، والإسلامية، والعربية والأمازيغية، ومنفتحة على العالم، وتشجيع روح التضامن، والعدل، والتسامح، والسلام والوطنية و الإسهام في نشر وتشجيع الثقافة الجزائرية في العالم، وكذا المشاركة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وابرار تراثنا التاريخي وكذلك اظهار بطولات المقاومة الوطنية عبر التاريخ، حيث يشمل النشاط السينمائي إنتاج، وتوزيع، واستغلال، ونشر، واستيراد وكذلك حماية الارشيفات الفيلمية وصيانتها، فوجب استثمار السينمائيون في إنتاجهم³.

6. المكتبات العمومية: وفقا للمرسوم التنفيذي رقم 12-234 الصادر في 22 مايو 2012 المتعلق بوضع مكتبات القراءة العامة الرئيسية تعرف المكتبات على أنها مؤسسات عامة ذات طابع إداري تنعم بشخصية معنوية وباستقلال مالي ويتم إنشائها في كل ولاية، حيث وجب توفرها على الكتاب في كل التخصصات لتشجيع وترقية القراءة العامة واستدامته، ووضع الوثائقية المختلفة، والمخصصات المرتبطة بالقراءة وأية مخصصات ملحقة أخرى، تحت تصرف المستخدمين، وتخصيص مساحة قراءة تلائم احتياجات الأطفال، وكذا لا بد من توفير الوسائل التي تتيح وصول المعاقين إلى القراءة العامة، وتنظيم أنشطة ثقافية حول

¹ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مرجع سابق، ص 01، على الموقع الإلكتروني.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%D8%B1%D8%AD> op.cit , p01

² أنور محمد، المؤسسة الثقافية بالجزائر.. قراءة في أداء المسارح، 27 سبتمبر 2013، ص01، على الموقع الإلكتروني.

<https://www.albayan.ae/books/from-arab-library/2013-09-27-1.1967512> , p01 10/03/2019.

info@alger-culture.com

³ مشروع السياسة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص ص06/05، نظر في الموقع الإلكتروني:

الكتاب ويوجد على مستوى المكتبة فضاء لتنمية القدرات في مجال المعلوماتية¹، فمعظم المكتبات العمومية تتوفر على فضاء خاص بالأطفال من قصص والعباب لتنمية ذكاءه وغيرها من الأشياء التي تساعدهم على الدراسة والتواصل وخاصة العمل الجماعي، بالإضافة لمختلف النشاطات الثقافية التي تسطر في هذا المجال وأيضا تمنح مساحة للدراسة وتحضير الامتحانات لكل الفئات والمستويات الدراسية.

خاتمة:

نجد أن التراث الثقافي له أهمية بالغة في المحافظة على الهوية الوطنية، فهو يمكننا من معرفة رصيدنا الحضاري والذي يشكل إرثا حقيقيا فكان لا بد من المحافظة عليه بانتهاج سياسات وقوانين وتشريعات وإنشاء مؤسسات ذات كفاءة وتفعيل دور المجتمع المدني والقطاع الخاص، ونشر الوعي الثقافي، خاصة في ظل العولة التي تشكل تهديد حقيقي للموروث الثقافي لبحثها عن تراث عالمي موحد، إن حمايته وصيانيته واحيائه مسؤولية الجميع أيا كان لأنه يشكل واجهتنا التاريخية فلا بد من استدامته، وذلك من خلال المزيد من الاهتمام بالمخزون الحضاري، وبمختلف أشكاله، وتكثيف العناية بالتراث لأنه ما هو إلا رابط بين الأجيال من حيث تواصلها واستثماره في مجالات الإبداع الفني والثقافي، واستغلاله للجذب السياحي، وذلك بتطوير البنى التحتية السياحية، فهي من أساسيات نجاح التنمية المستدامة للتراث الثقافي.

التوصيات:

- جعل من المدن الأثرية أو الأماكن الأثرية أقطاب تجارية تساعد على جلب موارد مالية ولما لا تصبح المؤسسات الثقافية تمول نفسها بنفسها لو استثمرت بشكل صحيح وأشركت القطاع الخاص والمجتمع المدني.
- جعل من المتاحف مناطق سياحية تقام بمحاذاتها منتزهات وأماكن لترفيه وحدائق حيوانات ونباتات.
- تخصيص غطاء مالي لعملية الحماية وصون التراث.
- تعزز الأنشطة والبرامج التي تنعكس ايجابا على زيادة الانتاجية وخلق مناصب شغل وبهذا تمتص البطالة.
- اشراك القطاع الخاص والمجتمع المدني للاستثمار في التراث الثقافي.
- تنشيط ملتقيات وأيام دراسية لإثراء الرصيد المعرفي عن موروثنا الثقافي بأبحاث ودراسات مدونة لتراثنا.
- العمل على نشر الوعي الثقافي وتنشئة الاجيال ثقافيا.

¹ عمار كساب، التشريع والتنظيم الثقافي في الجزائر (2012/2002)، المورد الثقافي، ص.ص. 04-08.

قائمة المصادر والمراجع:

1. مرسوم التنفيذي رقم 94-414 مؤرخ في 19 جمادى الثانية عام 1415 الموافق 23 نوفمبر سنة 1994، يتضمن احداث مديريات للثقافة في الولايات وتنظيمها، الجريدة الرسمية، العدد 79 المؤرخ في 26 جمادى الثاني عام 1415هـ الموافق ل 23 نوفمبر 1994.
2. مرسوم تنفيذي رقم 98-236 مؤرخ في 04 ربيع الثاني عام 1419 الموافق ل 28 يوليو سنة 1998 يتضمن القانون الاساسي لدور الثقافة، الجريدة الرسمية، العدد 55 المؤرخ في 05 ربيع الثاني عام 1419 الموافق ل 2 يوليو سنة 1998.
3. سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس 1830-1945، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
4. عامر طراف وحياء حسنين، المسؤولية الدولية والمدنية في قضايا البيئة والتنمية المستدامة، ط1، لبنان: بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
5. عبد الخالق عبيد، التنمية البشرية، مصر- الاسكندرية، الدار الجامعية، 2014.
6. فاكية سقني، التنمية الانسانية المستدامة وحقوق الانسان، ط1، مصر- الاسكندرية، مكتبة الوفاء القانونية، 2018.
7. نور الدين حروش، الخدمة العمومية المحلية كمؤشر للتنمية المستدامة، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017.
8. زموري زينب، دور المؤسسات الثقافية في التنمية الثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، 2015/2014.
9. مالكي زوهير، مكتبات المتاحف الوطنية الجزائرية: شروط وإمكانيات الربط على شبكة انترانت، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2009/2008.
10. سعيد الحجي، متاحف الآثار هويتها، تطورها وواقعها المعاصر، المجلد 30-العدد 3+4، مجلة جامعة دمشق، 2014.
11. عز الدين بويحياوي، المحافظة على التراث الوطني من وجهة نظر عالم الاثار، العدد 16، مجلة ابداعية تصدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، أكتوبر 2007 .
12. عمار كساب، التشريع والتنظيم الثقافي في الجزائر (2002/2012)، المورد الثقافي.

13. <https://ich.unesco.org>
14. <https://www.hespress.com>
15. info@alger-culture.com.
16. <http://www.feedo.net>
17. <https://ar.wikipedia.org>
18. <https://www.albayan.ae>

تفعيل دور المتاحف للحفاظ على الهوية ودفع التنمية

د. جديد عبد الرحيم

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 - الجزائر

الملخص

جسدت المتاحف على مر العصور صورة تعكس رُقي الحضارات التي خلفت العديد من المآثر في شتى المجالات والفنون، والتي اغتنمها الباحثون في هذا الحقل قصد إثراء البحوث العلمية واعطاء صورة شاملة كتصور لماضي البشرية بكل بقاع العالم، ولقد ساهم هذا في انتشار وتعدد المتاحف وتنوعها شكلا ومضمونا، حيث كانت بمثابة وعاء حافظ لهذا الإرث، من أجل استغلالها قدر الإمكان، ولعل من أهم أوجه الاستغلال ودوافعه محاولة تفعيلها من أجل الحفاظ على الهوية ودفع التنمية إذا ما استغلت أحسن استغلال من طرف مختصين في هذا الحقل، وكان هذا دأب كل الدول، لكن تبقى المنهجية الصحيحة والطريقة المثلى من الإشكاليات الحاصلة التي تستحق عناية البحث والدراسة في العديد من المناسبات والمؤتمرات قصد تقريب وجهات النظر ومحاولة تفعيل دور المتاحف في الحفاظ على الهوية ودفع التنمية، فكيف يتم يا ترى تفعيل دور المتاحف في الحفاظ على الهوية ودفع التنمية؟

"Activating the role of museums to maintain and push forward the development of the identity"

Embodied the museums throughout the ages reflect promoted civilizations that left many exploits in various areas and the arts, which paradoxically researchers in this field in order to enrich the scientific research and to give a comprehensive picture of the human aspect as a notion of the past in all parts of the world, and this has contributed to the spread of the multiplicity and diversity of museums in form and content, where they serve as a pot Hafez this legacy, in order to take advantage of as much as possible, perhaps one of the most important aspects of the exploitation and motives to try to activate it in order to preserve the identity and charged board if best exploit exploited by specialists in this field, this was always all States, but keep the correct methodology and the best way of problems and developments that deserve a research and study in many events and conferences in order to bring the viewpoints and try to activate the role of museums in Preservation of identity and promote development, how are you activating the role of museums in the preservation of identity and promote development? .

مقدمة

لقد كان من نتاج التراكم الحضاري على مر التاريخ مخلفات مادية تعكس بكل وضوح مدى تطورها خلال عصر من العصور في حيز جغرافي ما، وهذه المخلفات التي تعتبر اليوم مرآة عاكسة، لتلك الحضارات تعكس بدورها الذوق الفني المنقطع النظير، احتوتها مؤسسات تسمى المتاحف والتي يمكن القول فيها أن المتاحف مرآة الحضرات كونها حاضنة وحامية ومُعرفة لذلك الموروث المادي.

هذا الزخم المعرفي المادي أدى بدوره إلى تطور مفهوم المتاحف من حيث الدور المنوط والدوافع المسببة، حتى ترقى مع متطلبات عصرنا الحالي، كان لابد من توجيه هذه المؤسسات حتى تؤدي الدور المطلوب خاصة ما تعلق بحفظ الهوية ودفع التنمية أي أنه تعدى المفهوم التقليدي فأضحى علم قائم بذاته وفن لأنه يبرز فنون الحضارات وتطورها وتميزها، لذلك دعت الضرورة بأغلبية البلدان العربية منها والغربية إلى إنشاء هذا النوع من المؤسسات وزيادة عددها ورفع مستواها وحسن الإفادة منها والتفاخر والتعريف بها في مساح الأمم قصد جذب السواح والواردين حتى غدت المتاحف معيارا لرقى الأمم ومقياس التقدم.

وعليه كان لزاما على الدول المؤسسة للمتاحف أن تراعي دورها ومتطلبات العصر الحالي حتى تؤدي الوظيفة خاصة ما تعلق بتفعيلها من أجل حفظ اللب الهوية ودفع التنمية وهذه المطالب الأخيرة هي موضوع مداخلتنا حتى نعالجها كإشكالية مفادها، ماهي أليات وطرق تفعيل المتاحف من أجل حفظ الهوية ودفع التنمية؟

1 - المتحف المفهوم والدلول: لغة يقصد بالمتحف، موضع التحف الفنية والأثرية، وجمعها تحف والجمع متاحف، ويقال أُحْتَفَ الشيء وبالشئء أتحفه به، أهدها إياه وأعطاه إياه والتحفة جمعها تحف وتحائف، والشئء الفاخر الثمين أو البر واللطف والترفة الهدية، وقيل أصل التحفة وعناها التقرب والدنو⁽¹⁾، أما إصطلاحا؛ فلقد اتفق الباحثين المشتغلين في هذا الحقل، أنه عبارة عن مبنى يحوي مجموعة من الأثار المادية، ويفتح لغرض المشاهدة أو الدراسة أو الترفيه، بعيدا عن الربح والغرض المادي⁽²⁾. كما عرفه المجلس الدولي للمتاحف (ICOM) على أنه مؤسسة تقام بشكل دائم بغرض الحفظ والدراسة، وعلى الأخص بعرض مجموعة فنية أو تاريخية أو علمية أو تكنولوجية على الجمهور من أجل تحقيق المتعة والسرور⁽³⁾ أي أنه بني تحفظ فيه الأشياء المادية الثمينة ذات القيمة التعليمية والحضارية بما في ذلك من التحف الفنية والأدوات العلمية الصناعية التاريخية، ولذلك لهدف حمايتها من التلف والضياع، على أن يباح للجمهور زيارتها والتردد عليها، لما يجنونه من مشاهدتها ودراستها من فائدة⁽⁴⁾.

(1) بطرس البستاني، القطر الحيط، بيروت لبنان، 1956م، ص 171.

(2) عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري الإسكندرية، 2008م، ص 287.

(3) محمد رفعت موسى، مدخل إلى فن المتاحف، دار المصرية اللبنانية، ط2، 2008م، ص 19.

(4) فوزي عبد الرحمان الفخري، نشأة المتاحف الأثرية، مجلة دار المنظومة، العدد 3.4 المجلد 10، ص 96/86.

2 - الأصول ونشأة اللفظ: لقد عرف البحث في أصول نشأة المتحف كمدلول لفظي أو كيان مادي جدلا بين الباحثين، وهذا وارد نظراً لتراكم المادة الخبيرة وتنوعها، فمن الباحثين من يرجع أصل اللفظ إلى الحضارة الإغريقية، التي تطلق كلمة **ميوزيس (MOSES)** على ربات الفنون التسع وهن الشقيقات التسع اللائي يرعين الفنون التسع⁽⁵⁾. أما المتحف ككيان مادي من الباحثين من الباحثين من يقول أن أول من أسس متحفاً كان بطليموس بمدينة الإسكندرية بناء على نصيحة ديمتريوس وهو تلميذ أر يسطو، وكان مستقلاً عن المكتبة وكلاهما قريبا من القصر⁽⁶⁾، وهناك رأي آخر أن فكرة المتحف ككيان مادي ترجع لنفس العصر الذي ظهر فيه اللفظ أي العصر الإغريقي، حيث شيّدوا معبداً على جبل هيليكون قرب الأكروبوليس في أثين، والذي كان مخصصاً لعبادة ربات الفنون السابقة الذكر ومن المحتمل أن المعبد كان يحتوي على مجموعة من المتحف التي تقدم للآلهة تعبيراً منهم عن الإيمان وتقرباً منها⁽⁷⁾ ولعل الخوض في هذا الجدل المحتدم يأخذ الوقت الكثير كما يستهل لوحده محاضرات وملتقيات لذا حاولنا أن نختصر قدر الإمكان تماشياً واحترماً للوقت المحدد للمداخلة.

3 - عوامل ساعدت في تأسيس المتاحف: لقد ساهمت العديد من العوال في تأسيس المتاحف اجتهد الباحثين في اكتشافها، نختصرها في النقاط التالية :

- الحنين إلى الماضي،
- الاختراعات الحديثة وأثرها في تبدل نمط حياة الإنسان،
- حرص الإنسان على كل ما يتعلق بالتراث والأشياء الأخاذة والآيلة للزوال،
- السياحة بأنواعها خاصة منها الثقافية،
- كثرة الحفائر والمردود الطيب،
- اهتمام الشعوب بتخليد رموز عظمائهم وحضاراتهم،
- زيادة الوعي بدور المتاحف وتقدم المجتمع وحفظ هويته،
- انشاء المعاهد والأكاديميات لتريس وتطوير العلوم المتحفية،
- اهتمام وسائل الإعلام بالمتاحف،
- أهمية المتاحف ودورها في تطوير التعليم والتربية للنشء الجديد،
- تصنيف تنوع وتطور وتعدد المتاحف كأحد معايير التقدم الحضاري للدول في العصر الحديث⁽⁸⁾.

(5) عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص 287 .

(6) سمية حسن ابراهيم ، محمد عبد القادر محمد، فن المتاحف، دار المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 9 .

(7) تقي الدباغ، فوزي رشيد، علم المتاحف، مطبعة جامعة بغداد، 1989م، ص 10.

(8) محمد رفعت موسى، المرجع السابق، ص ص 36/35.

4 - هل المتحف علم أم فن: وكان من نتائج العوامل السابقة الذكر حركة التأسيس الكبيرة التي عرفتھا المتاحف في ربوع العالم ككل وخلقت تنوعا منقطع النظير كما ونوعا، وأضحى جزء من البرامج التعليمية في كل الأطوار التعليمية، ووقف الباحثين هذا المرة أما جدل آخر وهو هل الدراسات الأثرية المتحفية علم أم فن؟ فمن الباحثين من يعتبر الحديث عن هذه الإشكالية إنما هو محاولة محتشمة لتغطية قصورنا المعرفي بمناقشات وهمية تتراشق وتتسلى بها الألسن في مدرجات الجامعات والمدارس العليا والمنتديات العلمية المحلية ليس إلا⁽⁹⁾. فيما اعتبره باحثين آخرين بمثابة فن كونها مجموعة من الفنون المتباينة مثل فن العمارة والزخرفة والديكور والإضاءة الترتيب والتنسيق أو الأشياء الأخرى التي لا حصر لها⁽¹⁰⁾، وللباحث "جوزيف سكالالا" رأي آخر في كونه علم لأنه دراسة متكاملة لكل الوظائف الجمالية والتجارية والعلمية والجامعية والإدارية والعلاقات العامة اللازمة لفهم المتحف في عالم اليوم، كما يوافق في الرأي الباحث "جورج بيسكولان" معتبرا إياه وسيلة تثقيفية اجتماعية علمية، يؤكد كل مظاهر ووظائف المتحف في المجتمع الحالي⁽¹¹⁾، ومما سبق يمكن القول أن الدراسات المتحفية علم وفن في نفس الوقت فهو خليط بين هذا وذاك ويمكن الفصل بينهما⁽¹²⁾.

5 - المتاحف بين الرسالة والوظيفة: كما هو معلوم لقد أخذت المتاحف على عاتقها، مهمة نبيلة ورسالة حضارية تلمس جوانب عديدة منها الثقافية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية وجوانب أخرى عديدة، ويمكن أن نلخص هذه الرسالة والوظيفة في النقاط التالية:

- المحافظة على ما أبدعه الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد.
- إثارة المهتم للعمل وتحقيق الاستمرار الحضاري.
- تنشيط الحركة العلمية والفنية.
- الإسهام في تنمية الحس الجمالي والذوق الفني.
- تصميم الثقافة ونشر المعرفة في المجتمع.
- تنمية حرية التفكير ودقة الملاحظة عند الزائرين.
- الإسهام في تحقيق الشعور بالكيان العلمي والحضاري.
- المساهمة في تحقيق التعاون بين المجتمع.
- المساهمة في صياغة الأفكار الإنسانية.
- المساهمة في تخليد الجديرين بالخلود.
- المساهمة في تنمية الحس الحضاري والواجب الأخلاقي.

⁽⁹⁾ الرزقي شرقي، فصول في علم المتاحف، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة ط 1، 2014، ص 09

⁽¹⁰⁾ سمية حسن ابراهيم، محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، ص 07.

⁽¹¹⁾ بشير زهدي، المتاحف، منشورات دار الثقافة، سورية، دمشق، 1988، ص 13.

⁽¹²⁾ محمد رفعت موسى، المرجع السابق، ص ص 19/18.

- تلبية رغبات السياح⁽¹³⁾.

ومما سبق يمكننا القول أن الرسالة التي يؤديها المتحف تنعكس ايجابا وسلبا على واقع العديد من المجالات خاصة منها التي ترسخ الهوية لدى المجتمع و تنشط واقع السياحة في البلدان لدفع التنمية ،ولعل هذا ما يدفعنا إلى التساؤل مرة أخرى ماهية الأليات التي من خلالها يتم تفعيل المتاحف المعاصرة من أجل الحفاظ على الهوية ودفع التنمية بصفة خاصة وماهي التداعيات ايجابا وسلبا.

إن من الوظائف السامية والرسائل الهادفة للمتاحف اليوم المساهمة في نشر الثقافة بالكيان والانتماء الحضاري لدى أفراد المجتمع بكل مستوياتهم وطبقاتهم وهو الأصل الراسخ التي تبحث عليه جميع الدول، ويتحقق هذا المبتغى عن طريق تفعيل أي تنشيط العديد من الأليات التي من شأنها أن تحافظ على هوية المجتمع بكل أطيافه، ومن وجهة نظري يتم هذا من خلال المفاعلات التالية:

1. التنفيع الإعلامي: كما هو معلوم هناك العديد من الوظائف في المتاحف تشكل الهيكل

التنظيمي الذي من خلاله يتم تسير المتاحف حتى تؤدي وظيفتها كما يجب، وأحد هاته الوظائف هو مسؤول العلاقات العامة الذي يأخذ على عاتقه العديد من العلاقات من بينها علاقة المتحف بالإعلام وعليه هي وظيف مهمة وجد حساسة، والقيام بدورها ينعكس ايجابا وسلبا على المتحف ككل، ومن المهام التي يسهل عليها مسؤول العلاقات العامة المهمة الإعلامية التي لديها علاقة مباشرة بين المتحف والجمهور .

إذ يعتبر الإعلام بأنواعه المختلفة، السمعي البصري⁽¹⁴⁾ أو الإعلام المقروء (جرائد حوليات مجلات، منشورات) عنصراً مهماً جداً يمكن للمتحف أن يوظفه للتعريف بمختلف نشاطاته التي من خلالها تعرف بنشاطاتها المختلفة بفض الداعية الإشهارية المختلفة، وهذا بفضل انتشارها الكبير وتغلغلها الواسع في المجتمع بمختلف أطيافه، وتأثيرها المباشر على المتلقي، فاستغلالها الإعلام بطريقة صحيحة ومتطورة تواكب العصر وتطلعات المجتمع، وهذا سيكون له علاقة مباشرة على هوية هذا المجتمع، ويحصل هذا الهدف عن طريق التعريف بالنشاطات المختلفة للمجتمع خاصة لدى المهتمين برصد الحركة الثقافية في المجتمع⁽¹⁵⁾، إن اشراك المتحف في إنجاز مقالات ونشرها على مستوى وسائل الإعلام المختلفة، وخاصة الحوارات الإعلامية التي تتعلق بالمتاحف ودورها في المجتمع، والتي تحسن وتوضح الصورة لدى المجتمع⁽¹⁶⁾، كما لا ننسى الإعلام السمعي البصري ودوره الفعال بسبب انتشاره الكبير بين مختلف شرائح المجتمع، فإستغلال الأمثل والأحسن لهذا النوع من أجل مد الجسور بين المتحف والمجتمع، وتسخييره لأهداف المتحف ونشر ثقافته، عن طريق الحصص والشرايط الثقافية وإجراء مقابلات وحوارات اذاعية وتلفزيونية من أجل التعريف بأنشطته الدائمة والمؤقتة⁽¹⁷⁾.

(14) فوزي رشيد تقي الدباغ، مرجع سابق، ص 103.

(15) لعمى عبد الرحيم، المتحف ودوره في المجتمع، مذكرة ماجستير ، جامعة أبوبكر بلقايد، قسم الثقافة الشعبية، 2006/2005، ص48.

(16) عبد الحق معزوز، المتحف عامل اتصال، حوليات متحف الوطني الأثار، العدد 06، 1997، ص32.

(17) - لعمى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 49 .

كما يكون على مسؤول العلاقات العامة في جزئه المتعلق بالإعلام أن يتمتع بروح أكثر توصالا وفعالية وتنظيما وأكثر انفتاحا على الإعلام بوسائله وأنواعه المختلفة، وأن يجتهدوا ويمدوهم بالمعلومات الجديدة المطلوبة، أو المجهولة لهم وللمواطنين كما لا ينبغي لهم التستر على المعلومات التراث حول المعارضات معرفتها حق للجميع، حيث يعبر أمانة وإرث حضاري وطني وإبصاها لأجيال الحاضر والمستقبل مسؤولية القائمين على المتاحف⁽¹⁸⁾، كما يعتمد القائمين على العلاقات العامة في مجال الإعلام الدعائي على العديد من الطرق والوسائل نذر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **المصنقات**، تعد من بين الطرق الإعلامية لتواصل والتبليغ والتعريف بأنشطته الثقافية التي من شأنها أن تساهم في حفظ الهوية، لذلك يتطلب طبع المصنقات الدعائية، التي يراعى فيها جوانب عديدة تتعلق بالموضوع وأهميته كمعارضات ومعارض مختلفة الطرق والنوع⁽¹⁹⁾.

- **الدعوات**، كثيرا ما كانت الدعوات سببا في تنقل صاحبها إلى المتحف، هذا مجرد أنه شرف الدعوة الذي يترك انطبعا لدى المدعو، وشعورا بالاحترام والتقدير والكيان، فتكون عامل تحفيز مهم، بمثابة جسر تواصل بين الجمهور والمتحف ويتحقق الهدف الذي يعتبر حفظ الهوية والتعريف بالإثراء جزء مهم⁽²⁰⁾.

- **المعارض**، تعد المعارض بأنواعها الدائمة والمؤقتة والمتنقلة، أحد أهم وسائل الاتصال والإعلام، ناهيك عما تقدمه من مادة ثقافية تربية هادفة في قالب علمي حضاري مبسط ومقرون في نفس الوقت بالمتعة والذوق الفني والجمال التربوي⁽²¹⁾.

على ضوء ما سبق يمكن القول أن علاقة المتحف بالإعلام تتعدى المفهوم السطحي المتعارف عليه، هذا لأن الإعلام يجسد دور المتحدث باسم المتحف من أجل توصيل الرسالة خاصة في جزئه المتعلق بالتعريف بالهوية وحفظها.

2. التفعيل التعليمي التربوي: يعود الاهتمام الدولي بدور المتاحف بالتربية والتعليم و التي من شأنها أن تحافظ على الهوية إلى المؤتمرات الإقليمية التي حضرها وزراء التربية والتعليم في السبعينات حول السياسات الثقافية مثل مؤتمر فينيسيا عام 1970، ومؤتمر جاكوتا عام 1973، مؤتمر بوجوتا عام 1978، وكان الإقرار الفعلي باستخدام المتاحف كوسائل تعليمية تثقيفية هادفة إلى التوصيات التي أقرها مؤتمر دور التعليم الجمالي في التربية العامة الذي عقد في منظمة اليونسكو في باريس عام 1974 ونتيجة لهذا الطرح أضيف إلى مهام

(18) هدى عبد الله، المتحف الوطني بين الإعلام والإعلان والتعليم، جدرية الرياض السعودية، 2005، العدد 13422، ص 03.

(19) عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص 03.

(20) المرجع السابق، ص 36.

(21) لعمى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 51.

المتحف الرئيسية مهمة تربوية تحضى بجانب كبير من الأهمية، والتي من شأنها أن تحافظ على الهوية⁽²²⁾. ولقد أدلى الكثير من الباحثين بدلوههم في أهمية التعليم المتحفي في الحفاظ على الهوية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر نذكر الأستاذ "جرمان بازان" الذي يعتبر المتحف معهد تعليم له دور تربوي وأدوار أخرى أسمى، وأساتذة آخرين أمثال "جورج بواسون"، ولوك بنوا و"الأستاذة مادلين بورك" وغيرهم ممن تحدث في هذا الموضوع بإسهاب⁽²³⁾، أما عن الفئات التي لها علاقة بالتعليم والتربية المتحفية فهي بطبيعة الحال تخص الطلاب من كل المستويات والراغبين بنظرة جدية لهذا الهدف، ولكن يشترط قبل القدوم على هذه المؤسسات الإعداد جيدا لهذا النوع من الزيارات إلى المتاحف، ويتم هذا بالتعاون بين المتحف بما يظلمه من مسؤولين ومسيرين وموظفين والمؤسسات التعليمية الأخرى من مدارس ومعاهد تكوينية وجامعات وما تتضمنه من مدرسين وأساتذة ومدراء⁽²⁴⁾. أما عن الآليات المستخدمة لهذت الغرض فتوجد الكثير منها لكن الشائع منها والذي كان له انعكاس ايجابي على المتعلم نجد الطرق التالية:

- المعروضات على نوعين: تفاعلي وشكلي؛
- التحليلات البصرية والسمعية، التوجيهات السمعية، دور السينما؛
- الاستعراضات والنشاطات والأبحاث والمصادر المستوحاة من الشبكة المعلوماتية العلمية؛
- ايضاح وتحليل المعروضات والورشات والرحلات والتمثيلات العلمية، دراسة موضوعات، النقاشات والحوارات⁽²⁵⁾.

مما سبق يمكن ومن وجهة نظري أن التعليم والتربية المتحفية عاملا مهم وأساسي في ترسيخ القيم الحضارية لدى المرادين من النشأ لغرض التعلم والتربية حتى تتحقق الغاية الأساسية من هذا الدور وهو الحفاظ على الهوية وصقلها وترسيخها من خلال تفعيل التعليم التربية وفق أليات معاصرة تتماشى ومتطلبات المتعلمين .

3. تفعيل المتاحف تماشيا والزائر المعاصر : من المعلوم أن الزائر المعاصر يتميز بالثقافة والاطلاع وكثرة النقد وسلسلة الطلبات، فصار على المتاحف أن تبذل جهودا أكبر في سبيل تحقيق الشهرة الواسعة بمجموعتها المتحفية وكثرة الزوار ، كما أصبح الزوار أكثر تطلبا وأصبحوا ناقدين بطالين بالتطوير والتغيير نحو الأفضل على سبيل مقارنة لما شاهدوه في متاحف أخرى، ذلك أسهم في إبراز متطلبات الزائر المعاصر الذي أصبح لا يكتفي بزيارة المتحف والاطلاع على المجموعة المتحفية المعروضة بأروقته وقاعاته وحديقته، بل صار حاملا لواء النقد المتحفي، والحرص على تراث أمته وحفظ هويته، وهكذا أصبح لديه تطلعات وطلبات مما جعل المتاحف

(22) - محمد بسام، دور المتاحف في التربية (157 - 165)، مجلة التربية، العدد 26، 1997م، ص 4

(23) - بشير زهدي، المرجع السابق، ص 79/78.

(24) - محمد بسام، المرجع السابق، ص 5

(25) - عبد العظيم كرمي، مدرسة المتاحف، دار الهادي بيروت لبنان، ط1، 2007م، ص 104/105.

العالم تحرص على نقاط جوهرية نلخصها في ما يلي؛ النظافة، الإضاءة الفنية، العرض الفني للمجموعات، الشروح العلمية، التدفئة المركزية، التهوية الصحية، وغيرها من الخدمات الأخرى العديدة .

لكن لا ننسى أنه هناك بعض الآداب التي يجب أن تحلى بها الزائر حتى لا يصبح هو محل نقد و تناقض ، ونكر بعض هذه الآداب نختصرها في النقاط التالية ؛دفع رسم الزيارة – التجول داخل الأروقة والقاعات بهدوء وفق التعليمات – عدم لمس المعروضات – المحافظة على النظافة – و آداب أخرى عديدة .

وفي الأخير يمكن القول أن من واجب المتاحف أن تتماشى ومتطلبات الزائر المعاصر وفق متطلباته التي تسهم بدرجة أولى إلى الرغبة في المعرفة و التعمق أكثر وهذا ما يسهم بدرجة كبيرة في تبليغ الرسالة من أجل حفظ الهوية خاصة لدى الزائر المحلي (26) .

2 – المتاحف و التنمية المستدامة :

التنمية في اللغة هي النماء والزيادة و الإكثار، أي زاد وكثر، ويقال تنمية الشيء جعله ناميا ، و ارتفع من موضعه إلى موضع آخر ،وعليه يمكن القول أن إن التنمية هي التكاثر و الزيادة للشيء (27).

أما الاستدامة في اللغة، فيقال استدمت الأمر ، اذ تأنيت به ،و أدامه استدامة ،أي تأنيت فيه ،وقيل طلب دوامه، والمدامة على الأمر المواظبة عليه(28) ، وعليه يمكن القول أن الاستدامة فب اللغة هو الطلب الإلحاح وحصول الدوام المستمر.

التنمية المستدامة اصطلاحا :

تعني التنمية المستدامة المصلحة المشتركة بين أفراد المجتمع من حيث العدالة في كل شيء، واستخدام الموارد الطبيعية و مراعاة الجانب الاقتصادي لتنظيم الحياة المعيشية وتحقيق مبدأ تكافئ الفرص للجميع ، من أجل تحقيق الكفاءة الاقتصادية بين الأجيال والنهوض بواقع منشود يؤمن العيش الكريم للأجيال المحاضرة و المستقبلية (29) .

وكما هو معلوم هناك علاقة وطيدة بين التنمية المستدامة والسياحة ، باعتبار هذه الأخيرة أحد أهم الموارد الاقتصادية التي للتنمية ، والسياحة بدورها هي الأخرى لديها أنواع والتي نجد منها السياحة الثقافية ،وعليه نجد أن العلاقة وطيدة بين التنمية التي هي المطلب و الغاية والسياحة التي هي أحد الوسائل الداعمة و

(26) – بشير زهدي ، المرجع السابق ، ص ص 139-142 .

(27) – محمد فريد عبد الله و آخرون ، استراتيجية التنمية السياحية المستدامة ، دار الأيام ، عمان الأردن ، 2014م ، ص 13

(28) – اسماعيل ابن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة ، تحقيق أميل يعقوب و محمد نبيل ، ط1 ، ج5 ، دار الكتب العلمية ،

1999م ، ص 257 .

(29) – محمد فريد عبد الله و آخرون ، المرجع السابق ، ص 14 .

المتاحف التي تعد أحد الأنواع الرئيسية للسياحة، فكيف هي هو واقع العلاقة بين هذه الثلاثية وماهي السبل والآليات والأهداف المنشودة حتى تتحقق غاية المتاحف من أجل دفع التنمية المستدامة.

يشهد عصرنا الحالي ازدهارا منقطع النظير من حيث السياحة والرحلات السياحية جوا وبرا وبحرا، بشكل لم تعرفه العصور السابقة، كما أن السياح حريصون على زيارة المتاحف كونها جزء من ثقافة السائح، ومكسب للمتحف وهذا ما يجعل من الزائر خير دعاية للبلاد متاحفها، خاصة إذا وجد ما يسره ويولي متطلباته السابقة الذكر، وبهذا أسهمت في زيادة معارفه وثقافته من جهة ومن جهة أخرى أسهمت في دفع تطوير السياحة ودفع التنمية⁽³⁰⁾.

التنمية السياحية المستدامة: تعرف بأنها التنمية التي تلي احتياجات السياح في المنطقة المضيفة وتعمل على تنشيط وحماية الموارد السياحية وإدامتها وفائدة السكان المحليين ليكونوا الداعم الأساسي للسياحة في مجتمعاتهم على المدى البعيد⁽³¹⁾ وتحقيق الأبعاد الثلاثية لها والتي هي، الجدوى الاقتصادية، الفوائد والاحتياجات للمجتمعات المحلية والمضييفة، صون البيئة⁽³²⁾، كما تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين المتاحف السياحة هو أن المتاحف جزء من السياحة الثقافية، التي هي شكل من السياحة هدفه الماضي الغني للشعوب ومن خلال زيارة المراكز والمؤسسات الثقافية والأثرية والمواقع الأثرية والتاريخية⁽³³⁾. أما بخصوص الآليات المستخدمة لتفعيل دور المتاحف من أجل دفع التنمية فهي عديدة ولعل أهمها نذكر:

1 - تطوير وتفعيل نشاطات المتحف: تقوم المتاحف المتطورة بنشاطات ثقافية عديدة تسهم في جذب الزائرين وتزايد عدد أصدقاء المتحف وتلبية رغبات السياح والزائرين من أجل المعرفة والحوار والترفيه والتفاخر بالمؤسسات الثقافية هذا من جهة ومن جهة أخرى تسهم في تنشيط السياحة الثقافية التي بدورها تنعكس على التنمية بأنواعها، ومن أهم النشاطات التي تقوم بها المتاحف المتطورة نذكر ما يلي:

- تنظيم زيارات موجهة يعهد بها إلى نخبة من المثقفين المؤهلين بمساعدة أفواج الزائرين على حسن فهم كل يتعلق بمجموعات المتحف و الإجابة المناسبة على أسئلة الزائرين.
- فتح أبواب المتحف في أيام الأعياد الرسمية وأمسيات أواخر الأسبوع لإتاحة الفرصة لفئات المجتمع لزيارة المتحف في الأوقات المناسبة لها.
- الإسهام مع بقية الوزارات والمؤسسات في الاحتفالات الرسمية المتعلقة بالأعياد القومية والدولية وإعطائها طابع العالمية.

(30) - بشير زهدي، المرجع السابق 141.

(31) - محمد فريد عبد الله و آخرون، المرجع السابق، ص 29.

(32) - أحمد محمود مقابل، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، 2007م، ص 157.

(33) - حمزة درادكة وآخرون، مبادئ السياحة، دار الإحصار للنشر والتوزيع، ط1، 2014م، ص 108/109

- نشر كتب دليل المتحف بأحجام مختلفة تناسب مع درجة الزائر واهتماماته لمساعدته في حسن التعرف على المتحف ومجموعاته وتترك لديه ذكريات مفيدة سعيدة.
 - إصدار جلة دورية تشرح نشاطات المتحف وتسهم في زيادة القارئ وثقافته.
 - الاستمرار في إغناء المتحف بمجموعات جديدة وإقامة معارض لها والتعريف ومصدرها.
 - تحديث المتحف باستمرار وتبني أحدث الأجهزة المتلفة بالأمن والنظافة والتهوية والتدفئة .. وغيرها.
 - تبادل إقامة معارض متنقلة مع متاحف أخرى داخل القطر الوطني أو خارجه⁽³⁴⁾.
- بالإضافة إلى نشاطات أخرى مختلفة من شأنها أن ترقى بالمتحف على مصاف العالمية.

2 - تأهيل وتكوين العاملين بالمتحف: لقد أصبح علم المتاحف أحد العلوم الاختصاصية التي تتطلب التأهيل ليسهم العاملون في المتاحف في حسن قيام متاحفهم بواجباتها التي تنعكس على الكثير من المجالات خاصة في السياحة والتنمية ما يوضح اهتمام المتاحف الكبرى بتأسيس مدارس أو معاهد ملحقة بها، أو تنظم دورات متحفية أظف إلى هذا تفعيل دور الجامعة عن طريق وضع تخصصات وبرامج علم المتاحف ضمن المقررات الدراسية لتدرج الطلبة.

أ- **البرامج التكوينية،** وغالبا ما تتضمن البرامج الدورات التدريبية لتأهيل العاملين ما يلي:

- محاضرات في علم المتاحف و تاريخ الفن وعلم الآثار واللغات القديمة.
- زيارات علمية لمختلف المتاحف الوطنية والعالمية للاطلاع على طبيعة العلم في هذه المتاحف.
- الإفادة من خبرات العاملين في المتاحف وذلك عن طريق دعوتهم لإلقاء محاضرات.
- السماح للطلاب بالتدريب عمليا وعلميا في المتاحف لفترة معينة.
- الإسهام في إعدادا مشاريع متحفية⁽³⁵⁾.

ب - **حفظ القواعد المهنية،** على أعضاء المهنة المتحفية احترام القواعد والقوانين التي أصدرت وحفظ شرف وكرامة مهنتهم وقبول النظم المفروضة عليهم وذلك لصالح الجمهور والمهنة، كما يجب عليهم بذل قصارى جهدهم لحماية الجمهور من أي تصرف مهني لا مشروع أو مناف للآداب المهنية .

ج - **العلاقات مع مختلف جمهور المتحف،** على أعضاء المهنة أن يُظهروا في كل وقت لياقة ولباقة مع الجمهور، وخصوصا بن يجيبوا بسرعة على كل مراسلة وطلب المعلومات ماعدا بعض الحالات السرية الخاصة وجيب أن يقاسموا خبرتهم المهنية مع التحفظ على أن لا تتسرب مصادر المعلومات، كما يجب عليهم السماح للباحثين ذوي النوايا الحسنة حرية تداول الموارد أو الوثائق المسلمة لهم حتى وإن تعلق الأمر ببحث⁽³⁶⁾.

(34) - بشير زهدي، المرجع السابق، ص 137/136.

(35) - بشير زهدي، المرجع السابق، ص 135/134.

(36) - الرزقي شرقي، المرجع السابق، ص 215

د - **طابع السرية**، على أعضاء المهنة حماية كل المعلومات السرية المتعلقة بمصدر التحف التي يحتويها المتحف، أو تلك التي أُعيرت وكذا كل المعلومات التي تتعلق بأمن وسلامة المجموعة المتحفية المعروضة والمخزنة، ولا يسمح بتبليغ أية معلومة تخص التحف إلى متحف آخر أو المتعاون أو لأي شخص آخر دون موافقة صاحبها.

ر - **السلوك المخالف للآداب المهنية**، على كل عضو من المهنة أن يكون على علم بالقوانين الوطنية والمحلية، وبظروف العمل التي تتعلق بطرق ممارسة الرشاوي، كما يجب عليه الابتعاد عن الحالات المشبوهة التي يمكن تفسير كمحاولات لممارستها أو كسلوك سلمي يُعاقب، وبموجب ذلك لا يسمح لأي شخص مُشغل من طرف المتحف بقبول هدية كانت أو هبة أو أي نوع من المكافآت من طرف تاجر أو عميل⁽³⁷⁾.

3 - تفعيل خاصية النقد المتحفى: إن زيارة المتحف تترك في نفوس الزائرين انطباعات يعبرون عنها بعبارات المديح كلما تحققت رغباتهم وتطلعاتهم أو يستخدمون عبارات الذم كلما خيبت آمالهم وتوقعاتهم، فكثيرا ما يضع الزائرين في دفتر الملاحظات أو يتحدثون لمختلف وسائل الإعلام المختلفة عن آراءهم ونقدتهم، وهكذا ظهرت نواة النقد المتحفى الذي تختلف قيمته وأهميته من شخص لآخر تبعا لثقافته وخبرته وتطلعاته واطلاعه وميوله، والنقد المتحفى أنواع:

أ - **النقد المتحفى السطحي**، يعبر عن رغبة سطحية عابرة لا تعتمد على أساس علمي أو خبرة متحفية أو نظرة موضوعية.

ب - **النقد للنقد**، وهو قصد لتأكيد الذات، والرغبة في الكلام النقدي لأجل الكلام فقط

ج - **النقد المتحفى الموضوعي**، وهو المتميز بأهميته وتجرده، واطلاعه وطموحه في سبيل الأحسن، واقتراحاته العلمية الممكنة التنفيذ والتطبيق والتحقيق والتي من شأنها أن يكون لها انعكاس على الزوار بصفة خاصة وعلى التنمية بصفة خاصة، فكل عمل موضع تقييم وتبادل الآراء ووجهات النظر والحوار مفيد دائما حتى تصل فكرة المرید ويفهمها المتلقي⁽³⁸⁾.

خاتمة: من خلال الطرح السابق توصلنا إلى مجموعة من النتائج، نلخصها في النقاط التالية:

1. أن المتاحف كمؤسسة ذات أهداف عرفت نشأة ظرفية تطورت في ظرف وجيز وأصبحت لها أهداف حقيقة على أرض الواقع تأخذ بعين الاعتبار.
2. إن الانتشار الواسع والكبير للمتاحف المنقطع النظير يوحى بالوعي الكبير لدى شعوب العالم وفهم وادراكهم لأهمية المتاحف.
3. لقد عرفت المتاحف تطورا كبيرا يتماشى ومتطلبات العصر والزائر المعاصر المثقف المرید.

(37) - نفسه، المرجع السابق، ص ص 220/219.

(38) - بشير زهدي، المرجع السابق، ص ص 144/143.

4. إن المتاحف أسهمت ولتزال تساهم في نشر الوعي الذي هو جزء من الهوية لدى الأفراد والمريدين بمختلف مستوياتهم وطبقاتهم.
5. أنه يمكن تفعيل المتاحف وبعث نشاطها في مختلف المجالات الذي بدوره ينعكس على الحفاظ على الهوية والتعريف بها.
6. أنه كلما تطورت المتاحف وأصبحت مشهورة وذات صيت وعلمي انعكس ذلك إيجاباً على السياحة خاصة منها الثقافية التي هي بدورها عامل مهم في بعث التنمية المستدامة لدى الشعوب والأمم .

القائمة البيبليوغرافية

1. أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، 2007.
2. اسماعيل ابن حماد الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة، تحقيق أميل يعقوب ومحمد نبيل، ط1، ج5، دار الكتب العلمية، 1999م.
3. الرزقي شرقي، فصول في علم المتاحف، دار الأملية للنشر والتوزيع، قسنطينة ط1، 2014م .
4. بطرس البستاني، القطر الحيط، بيروت لبنان، 1956 م
5. بشير زهدي، المتاحف، منشورات دار الثقافة، سورية - دمشق، 1988.
6. تقي الدباغ، فوزي رشيد، علم المتاحف، مطبعة جامعة بغداد، 1989م
7. حمزة درادكه وآخرون، مبادئ السياحة، دار الإعمار للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
8. عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، مطبعة الحضري الإسكندرية، 2008م.
9. عبد الحق معزوز، المتحف عامل اتصال، حوليات متحف الوطني الأثار، العدد6، 1997.
10. عبد العظيم كرمي، مدرسة المتاحف، دار الهادي بيروت لبنان، ط1، 2007 م.
11. فوزي عبد الرحمان الفخراني، نشأة المتاحف الأثرية، مجلة دار المنظومة، العدد 3.4 المجلد 10
12. سمية حسن ابراهيم، محمد عبد القادر محمد، فن المتاحف، دار المعارف، الإسكندرية، د ت
13. لعمى عبد الرحيم، المتحف ودوره في المجتمع، مذكرة ماجستير، جامعة أبوبكر بلقايد، قسم الثقافة الشعبية، 2005/2006.
14. هدى عبد الله، المتحف الوطني بين الإعلام والإعلان والتعليم، جدرية الرياض السعودية، مارس 2005م، العدد 13422.
15. محمد رفعت موسى، مدخل إلى فن المتاحف، دار المصرية اللبنانية، ط2، 2008
16. محمد بسام، دور المتاحف في التربية (157-165)، مجلة التربية، العدد 26، 1997م.
17. محمد فريد عبد الله وآخرون، استراتيجية التنمية السياحية المستدامة، دار الأيام، عمان، الأردن، 2014م.

المثل الشعبي في المنجز الكاريكاتيري العربي بين حجاج الخطاب وحفظ التراث

أ.د. عمارة كحلي

أ. بختة ختال

مختبر الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية، جامعة عبد الحميد بن باديس

الملخص:

تروم هذه الدراسة إلى رؤية كاريكاتيرية قوامها التراث الشعبي الشفوي، خصوصا "المثل الشعبي"، هذه الظاهرة التاريخية التي يلتقي فيها الحاضر بالماضي، ذلك أنّ مقارنة التعبير الثقافي الشعبي من شأنها تثبيت هويتنا وزيادة معرفتنا بتمثيلات الوعي الجمعي، وقيمنا المختزلة في اللغة العامية المتداولة وهو ما يجدر الانتماء.

وتبحث الدراسة في ظاهرة ثقافية لا مادية، موضوعها توظيف المثل في الخطاب الكاريكاتيري، فثمة تعالق بين اختصارات المثل والأيقونة في المنجز الكاريكاتيري، رؤية تمازج بين حجاجية الخطابين إلى درجة الإدغام؛ حيث تتمظهر السياقات الثقافية المضمرّة بين اللغة والصورة في حوارية الإنصات للمعنى. وفي أثناء ذلك تسعى الدراسة إلى تحليل بعض الأعمال الكاريكاتيرية العربية المنفرقة، الحاملة لهذه الثقافة من الأقوال، محاولة تبيين خصائص البعد الثقافي والبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، وما اختزنته من قيم أخلاقية وإشارات متصلة بالقول، مستهدفة استجلاء ما تضمّنته الأمثال من علامات دالة، وتلقي الضوء على إمكانية الكاريكاتير في الحفاظ على التراث الشعبي المحلي من الضياع والاندثار، ومحاولة استدامته من خلال الصورة الفنية، مرتحلا وعابرا للحدود الجغرافية عبر وسيط مقروئته في حد ذاتها سياحة بصرية ثقافية، في وقت ركزت معظم الدراسات على لممة شتات التراث المعنوي (الأمثال الشعبية) بطريقة أدبية مقروءة.

الكلمات المفتاحية: المثل الشعبي، المنجز الكاريكاتيري، حجاجية الخطاب، حفظ التراث.

Proverbs in Arab Caricature Production between Discourse Argumentation and Folklore Conservation

Abstract

Upon caricature-driven vision which is based on oral folklore, especially "proverbs", this study targets the historical phenomenon where the present converges with the past, because the cultural folklore expression approach could deeply root our identity. Further, It could increase our knowledge of the representations of collective consciousness as well as the values prevailing in slang. Thus, the corollary would foster identity belonging.

This study examines an intangible cultural phenomenon, as it focuses on proverb use in caricature discourse. Indeed, there is a correlation between the proverb's summarization aspect and the icon in caricature production. This vision combines argumentation of both discourses to the point of slurring, where the underlying cultural contexts between language and image are manifested in a conversational listening to sense. In the meantime, this study seeks to analyse some of the sporadic Arab caricature products which carry these cultural sayings. It tries to identify the characteristics of both cultural dimension and social environment in which they evolved. In addition, It deals with the embedded moral values and signals that are related to these sayings in order to clarify proverbs' connotative signs. Besides, this study sheds light on caricature potential in conserving local folklore from loss and disappearance. It contributes in its sustainability through artistic pictures, which travel across borders through a medium the readership of which is in itself visual and cultural, at a time when most studies focused on shirring intangible folklore parts and parcels (Proverbs) in a literary manner.

Keywords: Proverb, Caricature Production, Discourse Argumentation, Folklore Conservation.

مقدمة:

يتموقع المثل الشعبيّ التابع من التراث اللاماديّ في حقل الوسط الشعبيّ المتوارث والناتج عن التجربة الفردية والجمعية، وهي خلاصة دروس كانت الأقرب إلى فلسفة الحياة، لأجل ذلك عُدّ المثل من الموروث الثقافيّ المعنويّ الذي تحتفظ به الذاكرة، ويؤسس لتواصل الأجداد مع الأحفاد في ثنائية تضمن استدامته عبر وسائط حفظ التراث الذي توطّره أوعية مختلفة لصيانة الأمثال الشعبيّة بعيدا عن ملمتها بالطريقة الأدبية المقروءة، والتسجيلات السمعية و السمعية المرئية، والتي يمكن أن نطلق عليها "عصر الصورة"¹.

ولما كان الفنّ الكاريكاتيريّ من "الفنون الشعبيّة الحياتية الناطقة بلغة الشارع"²، والأكثر قربا من هموم الناس ومن واقعهم بنقل الواقع بسخرية تتوخى خطابا مزدوجا قوامه (النصّ والصورة)، ولأجل ذلك استعاض الكاريكاتير بالاستعارات البلاغية الحجاجية في تخرّيج الخطاب الكاريكاتيريّ ضامنا سرعة التلقّي، وديمومة تحفظ ذاكرة الأجداد المحفوظة بالحكم والأمثال "سال مجرب ولا تسال طبيب".

أولا- المثل الشعبيّ بوصفه تراثا: إنّ التراث هو المخزون الثقافيّ المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد؛ حيث يراه محمد الجابري أنّه "كلّ ما خلفه الماضي، لكنّه بقي حيّا في الحاضر"³. ويتعلّق الأمر هنا بشقيه الماديّ والمعنويّ الذي ينضوي تحت لوائه المثل الشعبيّ.

وقد وجدت الأمثال الشعبيّة عند العرب منذ القدم للتعقيب على مواقف الحياة، فاعتادوا على ضرب الأمثال في كثير من الأحيان للسخرية من الأحداث بهدف الضحك و التفكّه تارة، و التوبيخ واللوم و لنشر الحكمة والمعرفة تارة أخرى، وهذا التراث اللغويّ الشفويّ المتناقل عبر الأجيال، ما هو إلاّ ذاكرة لرؤى شعب في الحياة، أخرج المثل من رحم البساطة والأمية في أكثر من الحالات ليستقرّ في دفتر الأيام، محملا بقيم ثقافية وأخلاقية و توجه عقائديّ مسلم به، إن لم نقل دستور حياة .

- في مفهوم المثل الشعبيّ:

يُعدّ المثل الشعبيّ أحد فروع الثقافة الشعبيّة التي أنتجها الشعوب معبّرة عن نفسها وعن قضاياها وهمومها، وموظفة المثل في سياق تبرير المواقف الإنسانيّة، ويعد القرآن الكريم من أهم مصادر في قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]⁴. فالمثل الشعبيّ هو مكوّن ثقافيّ طاله الإهمال أكاديميا وتربويا.

ويجمع الباحثون على أنّ المثل هو "قول مأثور تظهر بلاغته في إنجاز لفظه وإصابة معناه في كلّ مناسبة معينة وأخذ ليقال في تلك المناسبة"⁵، لذا فهو ليس فقط من الفلكلور¹ folklore أو الفنون الشعبيّة، وإنما

¹ معزوز عبد العالي، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، إفريقيا الشرق، ب.ط، المغرب، 2014، ص208.

² الهاشمي (مجد)، الكاريكاتير فنّ الحياة، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط.1، 1423هـ/2003م، ص. 26

³ طاهري عادل، اشكالية الحدائث والتراث، تاريخ الزيارة: 2019/3/16، على الساعة: 20:50. ينظر لموقع:

<https://www.hespress.com/opinions/14096.html>

⁴ سورة العنكبوت، رقم الآية 43.

⁵ الراوي محمد، موسوعة الأمثال الشعبية والعامة في الوطن العربي، دار اسامة للنشر والتوزيع، ط1، الاردن، عمان، ص5.

هو مخزون فلسفي اعتقادي لدى قائله ومرّوجيه أيضا، بقوة إقناعيه تدعو إلى الجزم بصحتها أحيانا، رغم أنه يمكن أن يجيد عن مضرها لتعدد مصادر موردها، ومما لاشك فيه "أن طائفة من الأمثال كانت في الأصل، ثم لحقت بها القصص بعد ذلك لشرحها وتفسيرها"²، إذن المثل يعبر عن ملامح ثقافة شعبية استقت شرعيتها من الواقع، قد تتشابه مع غيرها من الثقافات، ولكن حتما هناك خصوصية تميز تفردها تبعاً لمنبعها، والظروف التي رافقت نشأتها وطبيعة المجتمعات التي سوّقت لها وتناقلتها جينياً .

فمن الواضح إذن أن المثل الشعبي يستمدّ قوته الإقناعية التأثيرية في التداول من الأحاديث اليومية كحجج لسلوكيات معينة ولبرهنة على صحة المقاصد في الخطاب، فالمثل يستنبط فلسفته من الحياة، لما يحويه من قيم لثقافة شعبية تسعى لتثبيته؛ ولأنّ المثل يمتاز بالمرونة في الحبكة، فهو يجمع بين " (أربعة) لا تجتمع في غيره من الكلام ، وهي : إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، وجودة الكناية"³، فهو يخرج من البداوة التي تعدّ المكان الخصب لإبداعه ونشره، ذلك أنّ معظم المجتمعات العربية هي بيئات زراعية ورعوية وحتى تجارية.

ومن المعلوم أنّ المثل الشعبي على اختلاف مضربه يختفي اسم قائله، فهو مجهول الهوية وبالتالي لا يمكن بأية حال نسبه لأيّ شخص كان، ولا حتّى لشعب معين أيضا، فالمثل العربي يختلف في اللهجة التي قد تتغير دلالاته بالحذف والإضافة، أو تضيف فيها دون الإخلال بموردها، فاللغة العامية تغدّي المثل الشعبي بطريقة لا جدال فيها، "فنحن كائنات لغوية متناهية لا كيان لنا خارج ما نقوله حول أنفسنا"⁴، لذلك تشابكت لهجاتنا العامية العربية بالإضمار والإدغام والتفخيم والتّهجين اللغوي في غالب الأحيان، ممّا انعكس على ثقافتنا الشفوية، خاصة في دول المغرب العربي، فطفى على السطح تخريج المثل بدمج اللسان العربي بالأجنبي، مثل "كان جا الهّم في بلاصة خلات"، والملاحظ أنّ المثل الجزائري وظّف كلمة "place" الفرنسية التي تعني "المكان" في صياغته نتيجة تأثره بلغة الاحتلال، ومن هنا نستشف أنّ "كلّ ما يحدث للبشر إنّما يحدث لهم في لغتهم اليومية، فيما يقولون وفيما يكتبون"⁵.

ثانيا- الحجاج في خطاب الفنّ الكاريكاتيريّ العربيّ: الكاريكاتير كلمة ذات أصل ايطالي "caricatura" وتعني الحشو والمبالغة⁶، جامع بين البساطة الأيقونية وإعمال العقل لساخر المرح، فعّد

¹ فلكلور (folklore): أو التراث الشعبي وهو مجموعة من الآثار الفكرية والمادية، كالآلات الموسيقية، والأزياء الشعبية، ورسوم الاقمشة، والسجاد، والتماثيل، والحكايات، والقصص الخرافية، والاساطير... الخ. ينظر على الموقع، تاريخ الزيارة 2029/3/18، على الساعة 22:02.

http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2015/11/blog-post_21.html

² قطامش عبد الحميد، من الأمثال العربية، دراسة تحليلية تاريخية، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، ص295.

³ بوسماحة عبد الحميد، توظيف التراث الشعبي في رواية عبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغة والادب العربي، جامعة الجزائر، 1991-1992، ص107.

⁴ المسكيني بن شيخة أم الزين، تحرير المحسوس، مرجع سابق، ص

⁵ المسكيني بن شيخة أم الزين، تحرير المحسوس، لمسات في الجماليات المعاصرة، دار الامان، منشورات الضفاف والاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 1435هـ-

2014م، ص191.

⁶ Dictionnaire de la Peinture et la Sculpture, Larousse, Italie, 1933, p. 3 .

ضرب من حرّية التعبير التي تتنفس بالتشكيل ذي المشهد المختصر متوخيًا أقلّ التفصيلات، والتّضمين المرّمز في محاولة للانفلات من الرّقابة ولتوصيف الحقيقة، فهو بذلك يجمع بين ثلاثية: الموهبة وروح السّخرية وسرعة تأييد اللحظة، فثمة زمن يمر ولا ينتظر، تكاد اللحظة تحتظر أن لم تلتقطها عين تترصد الواقعة. وقد تطور الكاريكاتير في العالم ووصل إلى الأقطار العربية مع ظهور الطباعة.

إنّ الكاريكاتير خطاب بصريّ يحمل شفرة دائمة متقلّبة ومتغيّرة القراءات، فيها الكثير من الدلالات والأفكار المعرّية للأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة يرصدها الفنّان من زوايا ومرايا متعدّدة الأوجه، ينفذ من خلالها لذهن المتلقّي، ويسعى إلى فكّ ألغازها وذلك بحقن الخطاب بحجج ملبسة بروح التّهكم وحتّى السّخرية السوداء.

فمن الطّبيعيّ أن يجدّ الفنّان الكاريكاتيريّ من أبجديات الاشتغال بالحجج والأساليب البلاغيّة لتمثيل الواقع في سياق النّظام البصريّ الذي أوجده، فثمة تعالق بين الأيقونة اللّسانية و المرّيّة اللّتان تؤسّسان لخطاب كاريكاتيريّ غايته الولوج بالمتلقّي إلى فضاءات الفرحة والمتعة والإقناع، "فالمرسل إليه هو محورية المتلقي اذ يصيب الخطاب على قدرة أو مقامه مادام المراد إقناعه"¹، حتّى وإن كان هناك جدل بين الباحثين في أحقيّة الصّورة على النّصّ والعكس صحيح، وأنّ الصّورة بإمكانها حمل الخطاب دون الاتّكاء على عكّاز اللّغة، لهذا علّق الكاريكاتيريّ فرزات عليّ قائلاً: "نحن نفهم الإنسان الذي يملك السيطرة على الرّيشة والألوان، لماذا إذن إدخال الكلمة في الرّسومات؟ هذا يعتبر عصيان"²، ولكن من جهة أخرى هناك تخطيطات قد تحتاج إلى اللفظ لتأكيدتها بالنّظر إلى وجود موقفين "ارتباط الرّؤية بالتّفكير البصريّ أو ارتباط العالم من خلال لغة الشّكل"³، لهذا لم تعدّ اللّغة وعاء المثل فقط، بل "أنّ" الكلمة تستدعي ما يكون "هناك" لكي يكون قريباً على نحو عيانيّ"⁴. وبين القطبين يواصل الكاريكاتير في تشكيل آليات فهم الخطاب الحجاجي الكاريكاتيريّ المؤسس على فكرة الصامت الناطق. "فالحجاج حسب بلانشي (BLANCHI): فرع من فروع من فروع لتواصل والمتمثل في الاقناع وولوج الى عدة تخصصات ومنها الكاريكاتير"⁵.

ولعلّ هذا ما جعل الفنّان الكاريكاتيريّ يبحث عن ضالته ساعياً للتوأمة بين المثل الشّعبيّ والكاريكاتير، لأنه ينبني على تفصيل نسقين مغايرين: نسق لغوي وآخر لغوي"⁶، بوصفهما من فنون الاختزال

¹ جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص116.

² زروطة نصيرة، المناحي الحجاجية للخطاب الكاريكاتيري في تمثيل الواقع الجزائري (دراسة سيميائية لاستراتيجيات الخطاب الحجاجي)، رسالة ماجستير، تحت

إشراف: فائزة بخلف، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم الاعلام، جامعة الجزائر 2011، 3-2012، ص5

³ عبد الحميد شاعر، الرمز والاسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 1998، ص189.

⁴ المسكيني بن شيخة ام الزين، تحرير المحسوس، مرجع سابق، ص194.

⁵ زروطة نصيرة، المناحي الحجاجية، مرجع سابق، ص2.

⁶ البوجديدي ناجي، الفضاء في الكاريكاتير الساخر (رسوم ناجي العلي الكاريكاتيرية)، مجلة الكوفة، السنة الثانية، العدد 2، ربيع 2012،

العراق، ص195

والتمسك للوصول إلى أقصى آليات التأثير والإقناع؛ حيث "يمضي فنّ الكاريكاتير بالاختزال إلى نهايته، ويحتشد بالاكتمال إلى أقصى الحدود على غرار ما تقدّمه لنا الأمثال الشعبيّة العريقة السّاخرة"¹.

ثالثاً- المثل الشعبيّ في الصّورة الكاريكاتيريّة: يوظف الفنّ الكاريكاتيريّ الصّورة والصورة والنص كرفاد تواصل للوصول بالمتلقي إلى أقصى درجات الإقناع، ويعد المثل الشعبي أحد آلياته الاستراتيجية في الخطاب "فالشيء المرئي ليس بالضرورة عينه، وإنما قد يكون شيئاً آخر يمثله"².

المثل الأوّل:

تقول أم الزين بن شيخة المسكيني "إننا إزاء حقل غموض ومساحة إبهام بين الحيوان والإنسان، فالإنسان يصير حيواناً لا في معنى هويّة جديدة بل في معنى نوع من التّزاوج بين الإنسان والحيوان (...). لقاء مشترك، اللّحم هو موضوع اللّقاء" لأجل ذلك تمّ ربط الخطاب البصريّ بالمثل الشعبيّ القائل "اللّي يشوف مصيبة غيره تهون عليه مصيبته" وفي رواية أخرى "اللّي يشوف بلاوي الناس تهون عليه بلوته"، وجاء المثل في صياغته الفصيحة: "من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته"، "ومأ لا ريب فيه أنّ العاميّة متفرعة عن الفصحى، ومتأثرة بها وإن كانت أحياناً تشويهاً"³، وهناك الكثير من الأمثلة في نفس السياق، مثل "الهمّ في الدنيا كثير... بس مفرّق"، ذلك أنّ الهمّ والحزن من أقوى ما يتعرض له الإنسان من مصائب إبتلاءات لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:115]⁴. وعندما يعُمُّ الهمّ لا يجد الإنسان من يتعاطف معه ويسمع شكواه لأنهم كلهم في الهم سواء، لقولهم "أشكي لمين والناس مجاريح"، و"لا تعايرني وأعايرك، ياللي الهمّ طابلي وطايلك". فظاهر الأمثال تحث على التجلّد بالصبر، على أساس أنّه مفتاح الفرج وقضاء، لذا جاء المثل مرافقاً لصورة "خاروف العيد" الذي علّت فقاعة المثل فوقه ناصحاً نفسه بالصبر على مصيبته التي ستحل به بعد أيام، لكن الخطاب الكاريكاتيريّ يضمّر أكثر مما يظهر، "فهو لا يخرج عن دائرة القصدية والإعمال المسبق بهدف تلبس علاماته قوالب حجاجيّة مضّمة"⁵، إذ يلتقي الإنسان والحيوان في فعل القتل، الأوّل (الخروف) الذي أُسْتُحِلَ دمه باسم "الشريعة" لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾: [الكوثر:2]، والثاني (الإنسان) باسم الشرعيّة الدوليّة أو العرقيّة أو القوميّة، وتبدو من سخريّة الأقدار بمقارنة الحيوان "غير العاقل" مع الإنسان "العاقل"، في حوارية

¹ صمويل إبراهيم، فن البديهة الراصدة، ينظر الموقع: تاريخ الانشاء، 11/21م2013، أخر زيارة: 2019/3/20، على الساعة، 12:33. <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2013/11/21/%D9%81%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%87%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%B5%D8%AF%D8%A9>

² الدهري أمينة، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس النشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 2011-1432، ص 5.

³ رياض عبود الدليمي، اللسانيات والصوتيات، جهود في اللغة والتحقيق، دار غيداء، ط1، الاردن، 1435-2014م، ص 151.

⁴ سورة هود، الآية 115.

⁵ زروطة نصيرة، المناحي الحجاجية للخطاب الكاريكاتيري في تمثيل الواقع الجزائري، مرجع سابق، ص3.

الانصات للمعنى تتضامن فيه "الصياغة التمثيلية وهو ما يتجلى في الصّور والوسائل التشكيلية وفي كل ما هو لفظي"¹، فالمشهد يوحى بفضاعة المجازر التي حلّت ببني البشر، حيث تتخفى الأيدي المنفذة في خلفيّة الصورة كشبح، تظهر شحد السكاكين، وتتملص من المسؤولية، هاته الممارسات تتنافى وحقوق الإنسان، التي شرعتها الديانات والمواثيق. لهذا الموقف مثل الخطاب الكاريكاتيري جزءا من الوضع الأمني في العالم، وشهد على وضعية حية آثارها في حدود سياقية محددة، حيث انطلق من وضعية حقيقية تستدعي الفرحة الذي يعكسه أحد الطقوس الدينية المتمثل في أضحية "العيد"، فجاءت الحجة على شكل تناص ديني وتراث شعبي وظفته الصّورة بمحملتها للوصول إلى وضعية حقيقية مأساوية، تحيد اللثام على التّمزق الحضاري، وعدمية الإنسان، وغياب القيم الإنسانية في العالم، فأصبحت الحرب ديدن السياسات من أجل المصالح والنفوذ.



الصّورة (1)

المثل الثاني: شكّل التّمثّل بالحيوان مسلكا من مسالك التّعبير عن التّراث العربيّ وبيّن الجاحظ ذلك في كتابه "الحيوان"² وعليه جاء ذكر الحيوان في كتاب الله أكثر من مرة ، أنّ توظيف أيقونة الحيوان في المثل الشعبيّ "لا تدفن راسك في الرّمّل كالنعّام"، وهو مثل من بين العشرات التي مثلت بالحيوان في الشجاعة والجن والوفاء والخيانة، ولكن الملاحظ أنّ مثل النعام عادة ما نسمعه حينما يهّم أحدهم بالهروب من اتّخاذ القرار أو الهروب من المشاكل مردّه إلى الخوف أو الجن كالصفرد³ الذي أرفقه العرب بمثل "أجن من

¹ المسكيني بن شيخة ، تحرير المحسوس، مرجع سابق، ص206.

² ينظر: قطامش عبد المجيد، من الامثال الشعبية، ص125

³ الصفرد: طائر بري مهاجر شتوي وربيعي ومقيم ومعشش ، سمي بالصفرد نسبة إلى صوت الصغير المميز الذي يصدره وهو طائر جميل وأحقت به صفة الجن لأنه عندما يطير يصدر صوتا ذو طنين يكشف عن وجوده. ينظر عن الموقع:

[:https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%B1%D8%AF](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%B1%D8%AF)

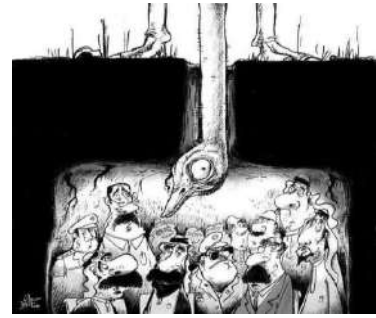
تاريخ الزيارة: 2019/3/19، على الساعة، 23:45.

صفر¹. ولكن المثل الشعبي "ألف كلمة جبان ولا كلمة الله يرحمو"²، يقي على صفة الجبن من أجل الخلاص.

والحقيقة ان هذا المثل هو موروث شعبي يجب أن يصوب، ذلك أن النعام ألصقت به هاته التهمة، فقد اكتشف العلماء أن النعام اختصها الله بميزة لم يعطها لغيرها وهي معرفة دقيقة لخصائص الصوت؛ حيث أن النعام قصيرة النظر بالرغم من أنها طويلة الرقبة إلا أنها لا ترى الأشياء البعيدة، لذلك تدفن رأسها للتصت في التراب لتسمع خطوات المتربص بها عبر الصوت الذي ينتقل عبر الذبذبات.³



الصورة(3): القضية الفلسطينية



الصورة(2): النعام والعرب

لهذا يذهب جبران خليل جبران في تشبيهه للعرب (ينظر الصورة:2) إلى حد القول: "يحكى أن نعامه أرادت دفن رأسها في الرمال، فارتطم رأسها برؤوس العرب"، فالكاريكاتير هنا اكتفى بالأيقونة البصريّة التي استدعت المثل الشعبي كخطاب بصري "على اعتبار ما استقر في الذهن الشعبي لا يتغير بسهولة أمام الحقائق"، في محاولة لترسيخ معنى الجبن الذي يحترفه العرب على قول المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بُدُ
فمن العجز أن تموت جبان⁴.

وفي نفس المقام تظهر الصورة(4) تحاذل المجموعة الدولية الممثلة بالنعام وهي تغرس رأسها في الأرض محاولة تجاهل مطالب الأسرة الفلسطينية في حقها بالعيش بسلام في أرضها، والإنصات لصوت اسرائيل الصادر من باطن الأرض حيث الحفريات في القدس وحث الشهداء الذين يدفنون والسجون التي تحتضن الشرفاء.

المثل الثالث: الشمس التجم الذي يستيقظ من النوم الكوني ليكشف المستور، تستحضر الأيقونة البصريّة التناص التراثي في المثل الشعبي "لا تغطي الشمس بالغربال، وإنّ الحقيقة لا يمكن أن تحتبئ وراء الأكاذيب،

¹ قطامش عبد المجيد ، من الأمثال العربية، 403

² ينظر الموقع:

<https://www.muhtwa.com/274090/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9/>

³ يتصرف:

⁴ سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون ، الحكمة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ب.ت، ص 48.

و"يحدث للحقيقة ألا تناسب علما ويحدث لها أن تكون حقيقتية في كل الحالات"¹، فهناك من يتوهم النبوغ في إخفاء الحقيقة بادعاء الأكاذيب، لذا يضرب المثل للكذاب الذي يزيّف الحقائق ويخالف الواقع، ويحاول أن يبرّر أقاويله بالأغاليط، وقد ورد في شأن الكذب الكثير من الأمثال الشعبية، تظهر الصورة (5) التي طُعمت بنصّ المثل "الشمس لا تغطّي بالغربال". ويقترب هذا المثل من اللغة الفصحى، ويتشابه في كل الدول العربية. فقد طغى عليه الأسلوب المباشر، يشبه فلسطين بالشمس والغربال بالاحتلال الإسرائيلي.



الصورة(4): مثل " الشمس لا تغطّي بالغربال "

المثل الرابع: يضطلع المثل الشعبي الجزائري "وطني وطني لا فراش القطني"، وفي صيغة أخرى "وطني وطني ولا رقادى في القطني"²، ويهم المثل الشعبي بالخطاب الصريح الذي يتطلبه النص الكاريكاتيري، حيث أن العيش في الوطن في كل ولو في أحوال متواضعة خير من الحجر ولو من أجل حياة كريمة، وورد في هذا السياق "اللي كبروا أولاده يرجع لبلاده"³، فدواعي الغربة تنتفي هنا بمجرد الزامية الغربة التي تصبح لا مبرر لها هنا، لقول الشاعر:

تغربت عن أهل وعن وطن فقلت لم يبق لي أهل ولا وطن⁴

فوظف العصفور كدال على المغترب، مشبها الطير الذي يعيش في قفص قوامه الراحة يفترش القطن، وبين طير يعيش في البراري صنع عشّه من القشّ، لتحليل الصورة بدون النسق اللغوي المتمثل في المثل الشعبي، إلى الحرية في بادئ الأمر، ولكن إقحام المثل أدى إلى ملمة شتات التأويل، وحصره في نطاق الوطن، ويبدو هنا أنّ الخطاب الكاريكاتيري تحول من خطاب مجسد للانفتاح التأويلي المتعدد، إلى خطاب مرسل يمثل شعبي للمحاجة عليه.

¹ المسكيني بنشيجة أم الزين، تحرير المحسوس، مرجع سابق، ص210.

² بوتارن قادة، الامثال الشعبية الجزائرية (بالامثال يتضح المقال) تر: عبد الرحمن الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص87.

³ المرجع نفسه، ص87.

⁴ الهرامة عبدالله عبد الحميد، القصيدة الاندلسية خلال القرن الثامن الهجري، الظواهر والقضايا والابنية، دار الكاتب، طرابلس، ط1،

1999، ج1، ص412.



الصورة(5): مثل شعبي عن الوطن

رابعاً- المثل في الكاريكاتير بوصفه حفظاً للتراث:

المثل الشعبيّ، تاريخ لذاكرة شعبية تندسّ فيها قيمنا ومعتقداتنا، أفرزها مخاض الحياة بأشكالها المختلفة، وككلّ تاريخ ملزم بالتدوين حتّى لا يضيع مع انصهار الثقافات في عصر العولمة، وبالنظر إلى التراث العربيّ الزّاحر بالأعمال الثريّة والشعريّة، فإنّ ما وصلنا منه إلّا القليل من الكثير لتعرضه للتحقيق فطاله التحريف والتّصحيف، فضاع ما ضاع من كلام العرب بسبب الأميّة، وفي هذا السياق يقول أبو عمرو بن علاء أنّ: " ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلّا قليله " ¹.

فمعظم الأمثال جاءت لتنظّم قواعد السلوك الأخلاقيّ والاجتماعيّ بين عموم النّاس والأمثال حكمة الشّعوب وصورة لثقافتهم وجزء من تراثهم، يحرص على صيانه وترك أثره الحضاريّ مخافة الاندثار بتفعيل تداوله بين النّاس، وقد شهد العصر الحاليّ عزوف الشّباب عن استعماله في خطاباتهم بعد أن قلّ الكلام وتفكّكت الرّوابط الأسريّة والاجتماعيّة على حدّ السّواء، ولأنّ المثل الشعبيّ ينفرد بخصوصية سرعة الانتشار فهو كلّ " ما نطق بها كلّ زمان، على كلّ لسان، فهي أبقى من الشّعور، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء سيرها، ولا عمّ عمومها حتّى قيل: " أسير من مثل " ². وليس معنى هذا أنّ المثل على قدر واحد من الدّيوع، فهناك من الأمثال من شاعت وتعدّدت حدود الزّمان والمكان شهرة وكانت أكثر حظاً من أمثال أخرى، وعلى ما يبدو أنّ حفظ المثل عن طريق الصّورة باعتبارها " الثّابت الذي لا يقبل الإنكار " ³ قد وجد دربه، فالمثل الشعبيّ استوطن الأعمال الكاريكاتيريّة، سواء أكان صياغة لفظيّة، أو كشاهد خفيّ تستدعيه الصّورة من خلال أيقوناتها التّشكيليّة لتدلل على مرجعيّته، أو بالاثنين معاً صورة ونصاً.

ويبدو أنّ حركة الأمثال دفعت ببعض الفنّانين إلى توثيقها بالصّورة، فهذا هو الفنّان التّونسيّ يحاول توظيف البناء اللّغويّ العامّيّ في تمرير مضمون المثل الشعبيّ محملاً إياه عبر أيقونة تقبع في الذاكرة البصريّة من بمنظور جمالي ابداعى في كتاب جمعه "الظاهر الحميري" وسماه "منتخبات من الأمثال العاميّة

¹ قطامش عبد المجيد، من الأمثال العربية، مرجع سابق، ص282.

²، المرجع نفسه، ص270.

³ دوبري ريجيس، حياة الصورة وموتها، تر: فريد الزاهي، افريقيا الشرق، 2013، المغرب، ص

التونسية" (ينظر الصورة:5)، وعلى نفس المنوال ساق الكاريكاتيري العراقي "غازي العبد الله" 1957 تحت عنوان (الأغاني والأمثال الشعبية) "1 رسوما كاريكاتيرية موسومة بأمثال شعبية متفرقة (ينظر الصورة:6) وذلك بغية الحفاظ" على الموروث الكبير الذي يختصر معطيات عظيمة وأفكاراً رائعة بدأت تفقد معناها ومبناها، في حركة نسميها «العصرنة» التي لا تميز بين صالح وطالح" 2، وكذا كتاب محمد الحمامصي الذي عنوانه "الأمثال الشائعة-مدخل إلى الثقافة الإماراتية" (الصورة:7)، يجوي "عمل كاريكاتيري يجسد أحد الأمثال الواردة" 3.

الصورة (6): مثل عراقي غازي العبد الله
الصورة (7): مثل تونسي
الصورة (8): مثل اماراتي



الخاتمة:

إنّ هذا النوع من التراث الشفويّ يرتحل مع الفنّ الكاريكاتيريّ الأكثر الفنون انتشاراً ممّا يجعله يجاوز محدودية تواجده، وينقل ثقافة شعوب البلدان التي تحمل نفس الهوية على الأقل، فهناك من يرى " أنّ المراد من جوائز الأمثال ما جاز من بلد إلى بلد، ومن جوائبها ما جاب البلاد واحترقها" 4، فهو يشكّل نوعاً من "التخاطر الثقافيّ" 5 الممزوج بالاختزال الإجرائيّ لفنّ الكاريكاتير.

المثل الشعبيّ حكمة الأمم والشعوب الغابرة، تؤطرها لغة شعبية عامية في الأكثر الأحيان، فهي مصدر لتشريعات تستند على المعتقدات الدينية والفلسفية والاجتماعية والنفسيّة. ولهذا له تأثير واضح لدى المتلقي، من وعظ وتحذير أو تعريض، أدى إلى استحضاره في الفن الكاريكاتيري كخطاب للعقل يفترض عليه التمثيل، وذلك للوصول بالمتلقي بطريقة حجاجية طريفة سواء تعلق الأمر بالخطاب البصري والحامل لجميع عناصره، سواء تعلق الأمر بالبعد الكلامي أو اكتفى بما تحيله عليه الصورة. ومهما يكن فإن المثل الشعبي وجد ضالته في الفن الكاريكاتيري، ضرب عصفرين بحجر واحد، وذلك بجمع وظيفة الحجاج التي تعمق في استدامة الموروث الشفوي، والآخر في الحفاظ عليه من خلال الصورة، وكسر نمطية التدوين المتبعة منذ القدم.

¹ ينظر الموقع: <http://www.iraqiart.com/inp/view.asp?ID=147>، تاريخ الزيارة، 2019/3/17، على الساعة، 10:30

² الشحادة محمد الزين، الامثال الشعبية في "رسوم الكاريكاتيرية في الثورة، تاريخ الانشاء، 2008/21، تاريخ الزيارة: 2019/3/20، ينظر الموقع:

<http://esyria.sy/sites/code/index.php?site=raqqa&p=stories&category=activities&filename=200805212220011>

³ الحمامصي، الأمثال الشعبية أبلغ من الخطابة وأبقى من الشعر، تاريخ: 2017/5/15، تاريخ الزيارة: 2019/3/18، على الساعة: 10.30.

⁴ قطامش عبد المجيد، من الأمثال العربية، مرجع سابق، ص 270.

⁵ شقرون نزار، شاكر حسن آل سعيد ونظرية الفن العربي، تقد: شربل داغر، دار محمد علي النشر، ط1، تونس، 1431هـ-2010، ص.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1-الدليمي رياض عبود، اللسانيات والصوتيات ،جهود في اللغة والتحقيق، دار غيداء،ط1، الاردن، 1435هـ-2014م.
- 2-الداهري أمينة، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس النشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 1432-2011.
- 3- الراوي محمد، موسوعة الأمثال الشعبية والعامية في الوطن العربي، دار اسامة للنشر والتوزيع ،ط1، الاردن ، عمان
- 4-المسكيني بنشيجة أم الزين، تحرير المحسوس، لمسات في الجماليات المعاصرة، دار الامان، منشورات الضفاف والاختلاف، الرباط، المغرب، ط1،1435هـ-2014م.
- 5- الهرامة عبدالله عبد الحميد ، القصيدة الاندلسية خلال القرن الثامن الهجري، الظواهر والقضايا والابنية، دار الكاتب، طرابلس، ط1 ، ج1، 1999،
- 6-بوتارن قادة، الامثال الشعبية الجزائرية (بالأمثال يتضح المقال) تر: عبد الرحمن الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 7- جميل عبد الحميد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب ، القاهرة، 2000
- 8-دوبري ريجيس، حياة الصورة وموتها، تر: فريد الزاهي، افريقيا الشرق، المغرب، 2013
- 9- سراج الدين محمد، موسوعة المبدعون ،الحكمة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت ،لبنان، ب.ت.
- 10- شقرون نزار، شاكر حسن آل سعيد ونظرية الفن العربي، تقد: شربل داغر، دارمحمد علي النشر، ط1، تونس، 1431هـ-2010.
- 11-عبد الحميد شاكر ، الرمز والاسطورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر،1998، ص189.
- 12--قطامش عبد المجيد ، من الأمثال العربية، دراسة تحليلية تاريخية، دار الفكر،ط1، دمشق، سوريا،1988
- 13- معروز عبد العالي، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، افريقيا الشرق، ب.ط، المغرب، 2014
- 14-بوسماحة عبد الحميد، توظيف التراث الشعبي في رواية عبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغة والادب العربي، جامعة الجزائر، 1991-1992.
- 15-زروطة نصيرة، المناحي الحجاجية للخطاب الكاريكاتيري في تمثيل الواقع الجزائري(دراسة سيميائية لاستراتيجيات الخطاب الحجاجي)، رسالة ماجستير، تحت اشراف:فايزة يخلف، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم الاعلام، جامعة الجزائر،2011،3-2012،
- 16-البوحديدي ناجي، الفضاء في الكاركاتير الساخر (رسوم ناجي العلي الكاركاتيرية)، مجلة الكوفة ، السنة الثانية، العدد 2، ربيع 2012، العراق.

17- Dictionnaire de la Peinture et la Sculpture , Larousse , Italie ,1933 .

18-<http://www.iraqiart.com>

19_ <https://ar.wikipedia.org>

20_ <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>

21_ <https://www.muhtwa.com>

22-<http://alhiwarmagazine.blogspot.com>

التراث الأثري في الجزائر وعلاقته بالتنمية - مدينة تبسة أنموذجا - الجزائر

أ. معمر نصري

جامعة أحمد دراية - أدرار - الجزائر

الملخص:

التراث المعماري هو المنجز الذي حققه الإنسان في مضمار البناء عبر عصور التاريخ المختلفة، وهو ليس قاصرا على المباني وإنما يتضمن بجانبها الأحياء والمدن التاريخية ومحيطاتها البيئية المختلفة التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من هذا التراث الذي تعزز به الشعوب وتظل حريصة على الحفاظ عليه، وتسخر لتحقيق هذا الهدف كل ما أوتيت من إمكانيات فنية وعلمية ومالية حتى يظل إلى الأجيال المعاصرة والقادمة في المستقبل بحالة جيدة ومحتفظة بعناصرها الإنشائية والزخرفية وما تعكسه من قيم تاريخية وحضارية وفنية وعلمية واقتصادية واجتماعية.

تشكل المدن الجزائرية القديمة واجهة عمرانية تتفاعل فيها الروابط الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وتعاني أغلب المدن التراثية بالجزائر كسائر الدول العربية من التهميش وقلة الاهتمام، ترتبط أساسا بتراجع وظائفها الحيوية وفقدان التوازن بين مكوناتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، كما أضحت تعاني من عدة مشاكل تتعلق بطبيعة هيكلتها العمرانية ونسيجها الاجتماعي وإطارها المبني وجدواها الاقتصادية، وباعتبار أن التراث أصبح يشكل أحد الركائز الأساسية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فإن مسألة رد الاعتبار والتأهيل أضحت ضرورية ليس لكونه إطارا ماديا فحسب لكن من أجل تقوية الشعور الوجداني للافتخار بالتاريخ والارتباط الوثيق بالهوية الوطنية.

وتبعاً لذلك سنسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على غنى وتنوع واقع التراث التاريخي بمدينة تيفاست التاريخية (تبسة حالياً)، وإبراز معالم وآثار الفترة الرومانية من المسرح والمدرج الأثري إلى قوس النصر كاراكلا ومعبد مينارف، وصولاً إلى الحمامات الرومانية ومعصرة بيزقال للزيوت، كما سنتطرق إلى سبل إعادة التأهيل ورد الاعتبار وفق مقاربة شمولية هادفة لتثمين هذا المنتوج الثقافي الحضاري وإدماجه في عملية التنمية.

الكلمات المفتاحية: التراث، المدن التراثية، تيفاست القديمة، مقاربة التثمين والتأهيل، التنمية.

مقدمة:

تشكل المدن الجزائرية القديمة واجهة عمرانية تتفاعل فيها الروابط الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وتعاني أغلب المدن التراثية بالجزائر كسائر الدول العربية من التهميش وقلة الاهتمام، ترتبط أساسا بتراجع وظائفها الحيوية وفقدان التوازن بين مكوناتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، كما أضحت تعاني من عدة مشاكل تتعلق بطبيعة هيكلتها العمرانية ونسيجها الاجتماعي وإطارها المبنى وجدواها الاقتصادية، وباعتبار أن التراث أصبح يشكل أحد الركائز الأساسية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فإن مسألة رد الاعتبار والتأهيل أضحت ضرورية ليس لكونه إطارا ماديا فحسب لكن من أجل تقوية الشعور الوجداني للافتخار بالتاريخ والارتباط الوثيق بالهوية الوطنية.

وتبعاً لذلك سنسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على غنى وتنوع واقع التراث التاريخي بمدينة تيفاست التاريخية (تبسة حالياً)، وإبراز معالم وآثار الفترة الرومانية من المسرح والمدرج الأثري إلى قوس النصر كاراكلا ومعبد مينارف، وصولاً إلى الحمامات الرومانية ومعصرة بيرزقال للزيوت، كما سنتطرق إلى سبل إعادة التأهيل ورد الاعتبار وفق مقاربة شمولية هادفة لتضمن هذا المنتج الثقافي الحضاري وإدماجه في عملية التنمية.

• مفهوم التراث:

التراث بمفهومه البسيط هو كل ما خلفته الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة في مختلف الميادين الفكرية والمادية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهو يعني كل ما هو موجود في الحياة، مما وصل إلينا من تجارب الأجداد في كل المجالات، ويندرج مفهوم التراث في أنه امتداد السلف إلى الخلف واستمرار ما ورثه الأبناء والأحفاد على الآباء والأجداد، بمعنى أنه نقطة انطلاق¹.

وباعتبار أن التراث يجمع الذاكرة الجماعية فهو يمثل ذاكرة الفرد والجماعة، وبها يمكن معرفة الهوية والانتماء إلى حضارة من الحضارات ويجمع بين الشقين المادي والفكري، فالتراث الأثري يشمل الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية بمختلف أنواعها، وكذلك الأماكن الأثرية والتحف الفنية والمخطوطات والكتب، كما تشمل أيضاً المتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات وحتى المخابئ المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة والتي تشكل ركيزة هامة في حياة الأمم والشعوب، كما يؤدي دوراً هاماً في ربط حاضر هذه الشعوب بماضيها، كما يعد إرثاً مشتركاً للأجيال القادمة².

أما عن التراث المادي الثابت فيتمثل في المعالم والمواقع الأثرية التي تشمل المباني ذات الطابع المدني والديني والعسكري، والتي تتميز بقيمتها وطابعها الأثري والتاريخي والمعماري والجمالي وهي تشمل جميع المعالم التاريخية

¹ سلامة سالم سلمان، دور المصادر التراثية في تحقيق التنمية المستدامة مع بيان دور المنظمات غير الحكومية في إدارة المصادر التراثية، ندوة الاتجاهات الحديثة في إدارة المصادر التراثية، تونس، 2007.

² أحمد صلاح الدين عوف، مفاهيم الحفاظ العمراني للألفية الجديدة، دائرة الثقافة والإعلام، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص22.

والمواقع الأثرية والمجموعات الحضريّة والريفية، كما نجد التراث المادي المنقول والذي يتمثل في القطع المنقولة والتحف الفنية الناتجة عن الاستكشافات والأبحاث الأثرية في البر وتحت الماء، ومنها القطع الخزفية والفخارية والكتابات الأثرية والعملات والأختام والحلي والألبسة التقليدية والأسلحة وبقايا المدافن والمخطوطات ووثائق الأرشيف، كما نجد إلى جانب الثابت والمنقول التراث اللامادي الذي يتمثل في الموارد الثقافية والمعارف والابتكارات وممارسات المجتمعات، ولهذا التراث اللامادي أهمية كبيرة لاسيما في الوقت الحالي في ظل العولمة والتحول الاجتماعي، فهو تعبير صادق عن عادات وتقاليد وثقافات الشعوب وهويتها وانتمائها الحضاري¹.

• خصائص التراث العمراني:

يعرف الميثاق العالمي للحفاظ وترميم المعالم الأثرية (ميثاق البندقية لعام 1964) في مادته الأولى على أنه التراث العمراني لا يشمل المباني المعمارية المنفصلة بل يشمل أيضا المعالم البيئية والطبيعية التي تكون دليلا على حضارة ما، أو تكون دليلا على تطور لحدث تاريخي، إن هذا المفهوم لا ينطبق على المعالم الكبيرة بل إنه يشمل أيضا الأعمال التي كانت قد اكتسب بمرور الوقت معنا ثقافيا².

كما يعرف التراث العمراني أو المباني التراثية هو كل بناء له قيمة معمارية تاريخية أو معاصرة أو لمعماري هام، وهو أي مبنى كان محلاً لأحداث تاريخية هامة إيجابية أو سلبية، أو مباني أقامت فيها شخصيات تاريخية مؤثرة في التاريخ البشري فكريا وأديبا وسياسيا، أو أي مبنى ارتبط بأحداث قومية مؤثرة تعطيه أهمية خاصة كجزء من ذاكرة الحيز المكاني، ويمكن قياس القيمة التاريخية للمباني باستعمال المؤشر الزمني الذي يعبر عن تاريخ إنشاء المبنى أو المنشأة، حيث كلما كان التاريخ بعيدا ازداد هذا المؤشر تأثيرا وأصبح المبنى أو المنشأة ذات قيمة أكبر، فكل منشأة تتميز بقيمة تاريخية أو رمزية أو معمارية فنية أو اجتماعية يجب أن تتميز بقبول المجتمع مما يتيح لها الاستمرار، كما أنها تكون معبرة عن ظواهر مادية ومعنوية أو فكرية في حقبة زمنية معينة، على أن تكون حالتها تسمح باستمرارها تواجدتها وإمكانية التعامل معها، وللتراث العمراني خصائص نذكر منها:

- الخاصية المعمارية التاريخية.
- الخاصية المعمارية الفنية.
- الخاصية المعمارية الرمزية.
- الخاصية المعمارية العمرانية.
- الخاصية الوظيفية الاجتماعية.

وتصنف المباني التراثية إلى ثلاثة فئات رئيسية تبعا لأهمية القيمة التراثية المرتبطة بها، كما تصنف المباني التراثية طبقا لحالتها إلى عدة مستويات من جيدة إلى متدهورة جزئيا إلى متدهورة كليا، والهدف من هذا التصميم هو

¹ محمد عبد الهادي، عبد الرحمن محمد فهمي سيد أحمد، الأخطار المهددة للتراث العمراني وسبل الحفاظ عليه، مجلة الغدير، العدد 74، دار الفلاح للنشر والتوزيع، لبنان، 2017، ص23.

² عليان جمال، الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، ع322، الكويت، 2005، ص55.

وضع أولويات التعامل مع المباني التراثية، فالمباني المتدهورة كلياً أو جزئياً توضع على رأس أولويات خطط الحفاظ، ويمكن تحديد مستويات التدخل بناءً على ما يقرره خبراء التراث المعماري والترميم على الشكل التالي:

- مبنى تراثي يتم ترميمه مع عدم إجراء تعديلات داخلية أو خارجية به إلا في أضيق الحدود.
- مبنى تراثي يسمح فيه بقدر من المرونة في عمل بعض التعديلات الداخلية.
- مبنى تراثي يتاح قدر كبير من المرونة يصل إلى الهدم مع الاحتفاظ بالهيكل أو الواجهة الخارجية للمبنى فقط، مع إعادة تأهيل أو إعادة بناء المبنى من الداخل كلياً¹.

• الشواهد التراثية لمدينة تبسة (تيفاست) الجزائر:

تشمل مباني التراث العمراني القصور والمباني التاريخية والقرى والتجمعات الحضرية والريفية والأحياء التراثية ومراكز المدن القديمة بما في ذلك القلاع والأبراج الدفاعية وأماكن العبادة والألبسة والمدارس والحمامات وكل له ارتباط بأحداث تاريخية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، حيث أن هذه كل الأنماط نجدها في الجزائر محمية بموجب القانون 98/04 المؤرخ في 15 جوان 1998² أين يعرف ويشرع طرق الحفاظ عليها وسبل حمايتها واستحداثها في شكل قطاع محفوظ، ومنذ سنة 2005م تم استحداث خمسة قطاعات محفوظة في الجزائر من بينها قصبه الجزائر التي صنفت كتراث عالمي منذ سنة 1992م، كما يوجد في الجزائر الكثير من المواقع الأثرية والمدن العتيقة.

تتوفر الجزائر على العديد من المواقع الأثرية الموزعة على كامل التراب الوطني، هذه المواقع التي شملت جميع الفترات التاريخية من ما قبل التاريخ إلى يومنا الحالي، حيث أن استغلالها سيكون له انعكاس إيجابي على دفع عجلة التنمية الوطنية التي أصبحت مهزوزة في ظل الأزمات العالمية، لذا وجب علينا النهوض ومحاولة إنعاش وترميم هذه المواقع الأثرية خاصة مناطق الآثار القديمة التي تعد الوجهة الأكثر استقطاباً للسياح الأجانب، ومن أهم هذه المدن التاريخية في الجزائر التي لا تزال تحافظ على بريقها التاريخي مدينة تبسة (تيفاست).

• تاريخ مدينة تبسة (تيفاست):

تقع هذه المدينة في أقصى الجهة الشرقية لنوميديا قديماً والجزائر حديثاً، يحدها من الشمال ولاية سوق أهراس، ومن الجنوب ولايتي وادي سوف وبسكرة، ويحدها من الغرب ولايتا أم البواقي وخنشلة، ومن الحدود الشرقية الجمهورية التونسية، تقع على ارتفاع 900 متر فوق سطح البحر بين خطي طول 5 و 8 شرق خط غرينيتش وبين خطي عرض 25 و 35 شمالاً، شيدت المدينة بين التل والصحراء في السفح الشمالي لجبل الدكان وتنوكة

¹ يحي الزيني، المدينة بين التنسيق والتأصيل، الجهاز القومي للتنسيق الحضاري، ط1، القاهرة، ص120-121.

² يعرف القانون 98/04 المؤرخ في 15 جوان 1998 التراث المعماري على أنه: "كل القطاعات المحفوظة والمجموعات العقارية الحضرية أو الريفية مثل: القصبات والمدن والقصور والقرى والمجمعات السكنية التقليدية المتميزة التي تكنس بتجانسها ووحدها المعمارية والجمالية أهمية تاريخية أو معمارية أو فنية أو تقليدية من شأنها أن تبرز حمايتها وإصلاحها وإعادة تأهيلها وتأمينها".

على منبعي ماء هما: عين سيدي محمد الشريف وعين شهلة (شالة)، يبلغ عدد سكانها سنة 2018 أكثر من 900 ألف نسمة¹.

تشير الدلائل الجغرافية إلى أن المنطقة كانت خصبة وغنية بمواردها الطبيعية وتتوفر فيها وسائل العيش من ماء وهواء ملائم، مناخها عموماً جاف مرتفع الحرارة صيفاً وبارد ممطر شتاءً، وعادة تغطي الثلوج كل المرتفعات التي تذوب صيفاً فتكثر الجداول والعيون الجارية وتنشع بذلك الزراعة ويزدهر الاقتصاد بها، ومما زاد في أهمية موقعها اتصالها بسلسلة جبال سوق أهراس وجبال الأوراس يصل ارتفاع بعضها من جهة الجنوب إلى حوالي 1800 متر، فهي بمثابة حصن تحمي المدينة من الزواجر الرملية والرياح العاتية، كما يوجد فيها السهول الزراعية تزرع بها الحبوب ويكثر بها غابات الزيتون، حيث تكثر معاصر الزيتون الأثرية التي قدرت بـ200 معصرة، ولم تكن تبسة معزولة في وقت من الأوقات في العهد الفينيقي شيدت كمدينة بعيدة عن البحر المتوسط للمبادلات التجارية ونشطت في كل الميادين، وبلغت درجة عالية من الحضارة والتقدم، كما تطورت في العهد الروماني ووجدت بها شبكة طرق عديدة وعرفت نهضة شاملة اقتصادية وعمرانية ومخازن تجارية كبرى، حيث كانت ملتقى القوافل الصحراوية من إفريقية الوسطى لجلب الأحجار الكريمة والعاج والذهب والحيوانات المفترسة لتصديرها مع القمح إلى روما، وكانت طرق القوافل الهامة والمعتبرة أيضاً، إذ هي واقعة في نقطة التقاء واتصال دائمين مما جعلها قادرة على ممارسة جميع النشاطات سواء المادية منها أو الروحية².

537

استوطن الإنسان بمنطقة تبسة منذ عصور ما قبل التاريخ، عاش خلال 40 ألف سنة وتطور عبر عشرات السنين في منجزاته وصنع أدواته وأسلحته من الحجارة والصوان، وهي حقبة طويلة جدا قسمها العلماء إلى عدة أدوار حسب تشذيب القطع الحجرية وأطلق عليها بالعصور الحجرية، وتكثر المواقع الأثرية لعصور ما قبل التاريخ في ربوع مدينة تبسة مما يثبت أنها كانت آهلة بالسكان في عصور ما قبل التاريخ وذلك لعثورهم على المخلفات الأثرية العديدة التي تعتبر بمثابة سجلات ثقافية بعد التنقيب العلمي والدراسة³، وهذا ما يوضح لنا كل المراحل والحضارات التي نشأت وترعرعت في هذه المنطقة والتي تطورت باستمرار قبل اكتشاف الكتابة اللببية خصوصا في الأماكن التي مكث فيها الإنسان وترك بصمات ثقافية واضحة داخل الكهوف وعلى جدران جبال قسطل بالدير وجبل متكي نارو بالماء الأبيض وتازينت ورسوم الكهوف الحمراء بجبل الدكان التي تعود إلى العصر الحجري القديم (الباليوليتي)، إلى جانب الحضارة العاترية العريقة والمعروفة حيث توصل الإنسان إلى اختراع صناعات حجرية متطورة من لب الحجارة بعد تشذيبها لاستخدامها للهجوم والدفاع، كما استعملت شظاياها كمكاشط وسكاكين وسهام⁴.

¹ مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للتوزيع والنشر، ط4، الجزائر، 1999، ص96.

² أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المؤسسة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 2003، ص63.

³ أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها بوابة الشرق ورثة العروبة وأريج الحضارات، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص24.

⁴ شارل آنديري جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية، تر: محمد مزالي، الدار التونسية للطبع والنشر، تونس، 1962، ص208.

ويرجع أصل تسمية مدينة تبسة إلى الأصل البربري الأول الذي أطلق عليها سكانها الأصليون والذي يعتقد حسب الترجمة اللوية القديمة بأنها تعني: "اللبؤة" "أنثى الأسد"، ولما دخلها الإغريق شبهوها بمدينة "تيسس" الفرعونية لكثرة خيراتها، وبعد دخول الرومان سموها "تيفاست" لسهولة نطقها، ومع الفتح الإسلامي تم تعريبها فأصبحت "تبسة"، وتذكر بعض المصادر إلى أن تعمير المدينة حدث خلال العهد الفينيقي، ففي حوالي 418 ق.م اعتمدها الفينيقيون مركزا لمبادلاتهم ورحلاتهم التجارية إلى أن استولى عليها القرطاجيون حوالي 247 ق.م.¹

وتعد الحضارة الرومانية من أرقى الحضارات القديمة التي تركت موروثا حضاريا ساهم في تقدم الحضارة الإسلامية، لاسيما أنها شغلت رقعة جغرافية واسعة من العالم القديم، وكونت أكبر الإمبراطوريات القديمة التي خلفت الكثير من المواقع والمباني والمعالم الأثرية أهمها المدن الرومانية العتيقة التي وفق المعمارين الرومان في بنائها استجابة للاحتياجات العملية للمجتمع الروماني، إضافة أنها كانت تمثل مركزا دفاعيا محصنا، فالرومان شيدوا الكثير من المدن ذات التخطيط المحكم والمتقن، وهي على العموم جاءت متأثرة في نسقها العمراني بحضارات أخرى لكنهم أضافوا طابعهم الخاص ووفقوا في بناء مدنهم التي كانت نموذجا مثاليا في فن العمارة، ومن أشهر تلك المدن الرومانية التي لا تزال تحتفظ بسحرها مدينة تيفاست التي شهدت استقرارا للرومان إلى أن أصبحت ثاني أكبر مدينة بعد قرطاج في عهدهم، ويتضح ذلك من خلال الازدهار والرفي التي وصلت إليه في عديد المجالات التي نذكر منها:

- المجال الاقتصادي: حيث انتشرت الزراعات الواسعة للحبوب، بالإضافة إلى الزيتون والكروم.
 - المجال الثقافي: حيث أدى الاستقرار الاجتماعي بالمنطقة إلى تشييد المباني والحمامات الفخمة والمسارح واستغلال مصادر المياه الجوفية إلى أن بلغ تعداد السكان في عهد "هادر يانوس" 50 ألف نسمة².
 - المواقع الأثرية الرومانية بمدينة تيفاست:
 - تيفستي القديمة (تبسة الحالية):
- توجد تيفستي القديمة على بعد كيلومترين من السور البيزنطي في الماضي، أما في وقتنا الحالي فقد وصل إليها العمران، وتقع بالجنوب الغربي للسور وأسست ربوة قليلة الارتفاع في السفح الشمالي الغربي لجبل الدكان. بدأت التنقيبات في هذه المدينة "قصر التميمات" سنة 1869م تحت إشراف رئيس هيئة التنقيب القائد "زريزبات"، وقد أسفرت على نتائج هامة تتمثل في: اكتشاف أعمدة من الرخام الأخضر، وأرض مبلطة بالفسيفساء الفاخرة التي تزين المباني والمعابد والقصور، على جميع الاتجاهات حسب المواقع العمرانية واختلاف الأغراض المشيدة لها.

¹ أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص28.

² أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص53.

وقد عشر القائد "زرييات" على عدة لوحات من الفسيفساء في الحمامات الرومانية هناك ولا تزال الأرض مبلطة من خلال نظرة عابرة للمختصين، وأنه لا فرق في أنواع التبليط في هذه المدينة لأن الحضارات غير متباعدة، فأطلال المباني المكتشفة التي لا تزال موجودة تكون مدينة كاملة بأسوارها ومعابدها وأقواسها وحماماتها ومسكنها، وكل هذا ينتظر التنقيب والبحث من طرف علماء الآثار والأنثروبولوجيا¹.



جانب من الآثار الرومانية بموقع تبسة انخالية وامتداد العمران حوله شرقاً



Tobessa El Gharbi Par Jour



- قوس النصر كاركلا:

من أهم الآثار العمرانية التي تميزت بها المدينة، ويقع في قلب مدينة تبسة وهو معلم أثري جميل خلفه الوجود الروماني، ويعود تاريخه إلى سنة 212م، حيث قدم الإمبراطور كاركلا حق المواطنة لكل أهالي شمال إفريقيا دون تمييز، ففرح الأهالي التيفستيون به وأقاموا له قوس النصر كعرفان له بحريتهم، وقد بني بأمر القائد "كورنيليوس أقرينوس" قائد الفرقة الرابعة عشر المكونة من الإفريقيين الأغنياء سكان تيفست، ولقد بلغت تكلفة بناءه 250 سارس.

¹ علي سلطاني، مرشد عام للمتحف والمعالم الأثرية تبسة، الوراق الجديدة، تبسة، الجزائر، 1999، ص 100.

تصميمه مربع الأقواس وغني بالنصوص الكتابية باللغة اللاتينية والرسومات المتنوعة منها الآدمية والحيوانية والنباتية وبعض الطيور الموجودة على القوس التي كانت تحمل تماثلا للآلهة "أقست" التي تحمي المدينة من كل مكروه، يرتفع ضلعه عن الأرض بـ11م وفي كل واجهة يوجد قوس بفتحة يقدر عرضها بـ0.4م، وتجمع الواجهات الأربعة تحت سقف واحد متكون من الحجارة البركانية الضخمة وتزين كل واجهة بعمودين كورنثيين، وفي أعلى الأقواس أنواط (ميداليات) تحمل صوراً مختلفة محيت معظمها فيما عدا النوط المنحوت بشكل بارز وتمثل والدة كاركلا "جوليا دومنا" ابن كاهن حمص، وفي داخل الواجهة الشمالية للقوس توجد كتابات لاتينية أضيفت في مرحلة لاحقة من بناء القوس¹.



- المسرح المدرج الكبير:

شيد في عهد الإمبراطور "فسبيانوس" حوالي 77م على شرف القنصل الخامس بعد عودة الاستقرار إلى المنطقة ونجاح الفلاحة والزراعة وانتعاش الاقتصاد، وتطور القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية إلى جانب توسيع المشاريع والأعمال والفنون والتي من أبرزها بناء المسرح المدرج للرياضة والتمثيل والمصارعة². وللوصول إلى المدرج يجب المرور بحي "سولومون"³ بالاتجاه نحو الجنوب الشرقي، وهذا الأخير قد أنشأ على الجانب الأيسر من الوادي الصغير، ففي دراسة أجريت سنة 1859 من طرف القائد "مول" تتحدث عن المدرج كتب: "أنه عبارة عن حلبة دائرية من 45 م إلى 50 م محاطة ببناء ينتهي -داخليا- بـ146 صف مطرج المنحوتة والمتقابلة في الاتجاه، أما خارجيا فهناك عدد معين من الأدرج التي تؤدي إلى أماكن الجلوس وكذلك تم اكتشاف مدخلين يقودان إلى الحلبة متقابلان ولهما نفس القطر الأول الذين بلا شك للمصارعين وللحيوانات المفترسة.

كان مدرج تبسة في حالته الأولى ذا طراز عيكروس وإقامة مثل هذا النوع والطراز من المدرجات يتطلب تكون ردم وهي أشغال تعود عليها الجنود الرومان، فالمدرج يكون بجانب معسكر ويتبع إليه من أجل تدريبات

¹ علي سلطاني، المرجع السابق، ص83، 84.

² عبد السلام بوشارب، تبسة معالم وآثار، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1996، ص09.

³ سولومون: قائد بيزنطي عظيم كان نائب بيلزار الذي انتبه الرومان للقضاء على الواندال، خاض عدة معارك في تيفاست.

وتسليية الحاميات¹، فخلال القرن الرابع كانت هناك عائلات ذات غنى ومكانة تحجز أماكنها في الدرجات الأولى وهذه العائلات كانت تسيّر نجح الألعاب، وكان المدرج يتسع لـ 7000 من المتفرجين وهذا العدد الكبير يدل على مدى أهمية المدينة وطريقة إنشائها وتقدمها².

وللتعرف على المدرج أكثر لا بد من الإشارة إلى أبعاده - المسرح مع المدرجات - وهي: 50 م - 86 م طولاً و 50 م - 80 م عرضاً، وأبوابه كالتالي:

- باب يتجه نحو الشرق.
- باب يتجه نحو الغرب أطلق عليه باب الشرف "يتجه نحو باب سولومون".
- باب يتجه نحو الجنوب.
- باب يتجه نحو الشمال يسمى باب السيرك وهو مدخل الحيوانات المفترسة في اتجاه أقواس النصر كاراكالا. وهذه الأبواب هي الأصلية بالإضافة إلى بابين آخرين يتم العبور منهما إلى ساحة بيضاوية الشكل مرملة، فالباب الأول تمر منه الحيوانات المفترسة نحو بيوت مخصصة لها مكتوب على واجهة كل بيت اسم الحيوان ونوعه باللاتينية ولا تزال محفورة في الحجر، أما الباب الثاني فيمر منه المقاتلون³.



- المسرح المدرج الصغير:

يقع هذا المدرج حالياً بين دار البلدية والصور البيزنطي في اتجاه الدار الرومانية على باب شالة بجوالي 05 أمتار، ويذكر "ستيفان غزال" أشياء عجيبة عنه، منه وجود سبعة قواعد كانت تحمل الأعمدة التي تكون العقود والبوانك تشبه تماماً بنايات تيمقاد، حيث يعود تاريخ بنائها إلى عهد "أنطونينوس" المقرب من الإمبراطور "أدرينانوس" حوالي 180 م⁴.

كما توجد على الجهة الأمانية من الطريق أعمدة من الرخام مربعة الشكل وأعمدة أخرى أسطوانية، إلى جانب الأقواس المتصلة على كامل طولها إضافة إلى السلام والحلبة، والأعمدة المذكورة سابقاً التي تنتصب على

¹ Robert Equement, Fouilliez a l'Amphithéâtre de Tebessa, 1968, P12.

² عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 11، 12.

³ هانيريتش فون مالتاس، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 32.

⁴ Gsell, S, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T.IV, Paris, 1920, P143-156.

المداخل مشابهة لقوس النصر، وفي سنة 1886 بني جدار قصد المحافظة عليها ومنع اندثارها حسب قول "غزال" والأستاذ "ليشي" القائل: أن هذه الأعمدة الداشرية منقولة من البازيليك، أما التبليط فكان بالحجارة الغليظة الخشنة على طول حائط الجدار يعود إلى عهد "نارتاكس"، ويقابل مجموعة الأقواس العمياء (غير النافذة) أقيم ممر على هذه الأقواس ولم تكن كلها ممرات تؤدي إلى المسرح ومع مرور الوقت تم غلقها من طرف البيزنطيين خلال القرن السادس ميلادي لحماية لأنفسهم من خطر البرابرة وأعدائهم الوندال¹.

وفي الجنوب حيث الحديثة وجدت خشبة المسرح ومجموعة من المدرجات المتراصة في شكل رائع من البناء ويوجد في العمق الخدار أرضي لكن لم يظهر أنه بعيد نوعا ما في الوقت الحالي يكون من المستحيل أخذ فكرة واضحة ولو تقريبيه عنه لأن معظم الحجارة قد اختفت واستعملت في بناء السور وما بقي يوجد في الشكنات العسكرية في العهد الفرنسي.

و"ستيفان غزال" لا يرى بأن هذه بالأدلة الكافية لوجود مسرح غير المسرح المدرج في مكان ساحة "أفرت"، فحديقة البلدية خارج السور والأقواس السبعة عبارة عن مدخل إلى المسرح، والتقنيات التي قام بها "لامون تكبرون" سنة 1903 في الموقع أثبتت وجوده وأهميته².



- معبد مينارف:

هو معبد وثني قيل أنه لمينارف شيد لعبادة آلهة الحكمة والفن في عهد "سبتيم سفار" وابنه "موريس كاركلا" سنة (193م-217م)، حجمه صغير لكنه عظمتة كبيرة، فقال عنه "ستيفان غزال": عند الرومان أجمل المباني في مدن الآلهة، وهذا المعبد يعتبر من أجمل المعابد المتبقية وغالبا ما يقارن بالمنزل المتواجد "نيمس" من حيث الأناقة والمقاسات الدقيقة، ولم يظهر الكابتول إلا في وقت لاحق حيث أهدى للآلهة الثلاث مينارف وجونون وجوبتير الذي يمجدها ويقدها.

يعود بناؤه إلى عهد "سمبتوس سفروس" (193م-217م) تحت إشراف "أنطونينوس" المقرب من الإمبراطور "أدريانوس" خلال القرن 3م وهو يقع في القسم الشمالي من المدينة داخل السور البيزنطي قرب قوس النصر كاركلا¹.

¹ Gsell, S, Op.Cit, P158.

² علي سلطاني، المرجع السابق، ص76.

فهو بيت مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب كما هو الحال في هياكل المدن المغربية عامة طوله 8 متر وعرضه 6.75 متر، أرضيته ترتفع بـ 2.5 متر على المستوى الأرضي، نصدت إليه بواسطة درج يأخذ شكلا هرميا ويقع الناووس على بعد أربعة أمتار من القاعدة والباب المؤدي إلى المدخل².

وإذا نظرنا إلى الخارج فهو بناء قديم أصفر مع تغير في لونه بفعل العوامل الطبيعية، وتقف أربعة أعمدة كورنثية مقابلة بتيحائها الأفقية البديعة في شموخ وتكامل ويزين الإفريز صور مختلفة لا تخرج عن الإطار الديني، وهناك نقش يمثل الكباش وما هو في حقيقة الأمر إلا الآلهة القرطاجية (بعل حمون)، بالإضافة إلى صور تمثل مسوخ بشرية بأذرع عديدة وأفاعي ملتوية، ويزخر المعبد من الداخل بلوحات فسيفسائية والحلي وتبوت حجري مرسوم عليه 12 آلهة مصنوعة من الرخام الفاخر إلى جانب الأواني الفخارية والمصاييح الزيتية ورؤوس التماثيل³.



- البازيليك المسيحية (الكاتدرائية):

تعد البازيليك المسيحية من أهم وأبرز المعالم الأثرية بتبسة، والتي تبعد عن قوس النصر كاركلا بحوالي 500م، تعتبر البداية الأولى لبناء وتشيد البازيليك سنة 310م في عهد القنصل الإفريقي، وأيضا خلال سنة 322م من طرف والي روما "أنينوس جليانوس" الذي عرف بعطفه على المسيحيين، أما المرحلة الأخيرة في تشييدها خلال الفترة الممتدة من 313م إلى 385م من قبل الإمبراطور قسطنطين عند انتدابه لعائلة السفريين والأفارقة والسماح للطبقة الغنية بالمشاركة والمنافسة في بناء البازيليك⁴.

كما يذكر "غزال" أنها شيدت على اسم القديسة "كريسبينا" النوميديّة التي كانت من أعظم وأغنى المسيحيات في تلك الفترة، حكم عليها بالإعدام لعدم تمسكها بأرائها بساحة تبسة سنة 304م، ودفنت بالم عبد السري هناك⁵.

¹ المرجع نفسه، ص156.

² عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص87.

³ عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص156.

⁴ GUII, Basilique chrétienne d'Afrique du nord, Invention de l'Algérie, 1 Texte 2 illustration, Paris, 1992, P311.

⁵ IBID, P312.

ومن أشهر من درس هذا المجمع الكنسي العظيم "دوبري"، "بالو" و"كرستين"، ويتفقون على أنها بنيت خلال فترات تاريخية كانت في أوج غناها ورفعتها، ويعتقد "دوبري" بأنها أقيمت من طرف الرومان في الوقت الذي أقيم فيه قوس النصر خلال (211م-212م) وهي مهداة إلى القديسة "الوليدو منا"¹.

في حين يرى بعض المؤرخين أن البازيليك هو عبارة عن مقبرة كانت مركزا للحج، حيث تم العثور على نقيشة في القاعة النفضية الشكل المخصصة إلى تبجيل الشهداء وتكرما لروح القديسة "كريسينا"، ويرى "دوبري" أن البازيليك شيدت خلال فترة عرفت صراعات مذهبية واشتهرت بالمجمع الكنسي.

تقع البازيليك المسيحية خارج أسوار المدينة العتيقة التي تقدر مساحتها بـ20 ألف متر²، 200م طولاً و100م عرضاً، وهي عبارة عن دير يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثاني للميلاد، محصنة بسور دفاعي بيزنطي مزود بأبراج مراقبة وزوايا بارزة نحو الداخل، تتميز بمدخلها المقوس المسقوف (يعرف بباب الشرق)²، يرتكز على أربعة أعمدة بقواعدها، ثم أضافوا عمودين من الرخام على كل واحد منهما تمثال، وعند الدخول نجد ساحة كبيرة مبلطة بالأحجار المسطحة الصلبة التي يبلغ طولها 52م وعرضها 7.5م، تتصل على يمينها بالدرج الكبير المؤلف من 17 درجة وبالعروض الثمانية الكبرى المصنوعة من الحجر الأبيض المنقوش، وعلى يسارها بالحدائق والدياميس، وفي نهايتها تتصل بالإسطبلات (مرابط الخيول).

كما تتكون البازيليك من رواق -بعد صعود الدرج الكبير- يتصل بمعبرين يبقى فيهما الزوار الأجانب، يؤديان إلى صحن الكنيسة الكبير "الأتريوم" الذي يمتاز بعين ماء أدخلها المسلمون (بعد الفتح الإسلامي)، إضافة إلى الأعمدة المنقوشة الدقيقة الصنع وحوض الغسيل، كما أن البازيليك بها ثلاث كنائس، الأولى بنيت على شرف القديسة "كرسينا"، وهناك كنيسة القديسة "قابيليا" فهي مجهزة بأعمدة، أما الكنيسة الكبيرة فتحتوي على الساحة الداخلية ومطهرة القساوسة³.



¹ IBID, P314.

² علي سلطاني، المرجع السابق، ص104.

³ المرجع نفسه، ص105.

- الفوروم (الساحة العامة):

لم يبق شيء من أطلال الفوروم المشيد في عهد "فسبلسيانوس" 77م في عهد القنصل الخامس عند تشييد المسرح المدرج، حيث يروي محافظ الآثار السابق ان شيوخ المدينة ذكروا له أنهم كانوا يشاهدون أعمدة وركائز بالسوق كانت قائمة غير بعيدة عن موقع الحراسة الحالي، وحسب المؤرخ "جيرول" فإنه بعد الحفر والتفتيش عثر على بقايا وأشياء غاية الأهمية، ففي الواجهة الجنوبية للمدينة وجدت عظام وسيقان تحمل علامة حضراء نتيجة تأكسد سلاح الفرقة العسكرية، وفي شمال الكنيسة الرومانية باتجاه المزرعة (المرجة) وجدت أضرحة عديدة عليها كتابات إضافة إلى ميدان الرمي الذي كانت تمارس فيه الفرقة الثالثة التمرينات، وكان الفوروم مركزا للحياة العامة حيث كان الأهالي يصوتون فيه أثناء الانتخابات ويدفعون الضرائب وكذلك ممارسة التجارة¹، وقد تم اكتشاف بقايا ما يدل على الفوروم في الموقع عند القيام بأشغال حفر قنوات في قلب المدينة سنة (1978م-1979م)، حيث عثر على عدة تحف من أهمها صور من الإفريز عليها رموز نباتية وأدمية وحيوانية لعلها كانت إحدى أفريز الفوروم².

**- الحمامات:**

في سنة 1886م عثر القائد "ألوت دو لافاي" في الحفريات التي أجراها في حي الخيالة الواقعة على بعد 200 متر شمال غرب المدينة (200م خارج باب قسنطينة ومديرية البريد والمواصلات حاليا) على ممرات الحمامات من الطوب والبلاط تحتوي على حمامات السباحة وعشرات القاعات مزخرفة بالفسيفساء الفاخرة لمساحات شاسعة منها: قاعة كبيرة مخططها على شكل حرف (T) تشمل قاعتين نصف دائريتين، القاعة الأولى تتصل بالقاعة الثانية بواسطة باب في أسفل إحدى القاعتين النصف الدائرية، كما وجد باب آخر يفتح على القاعة الأولى وفي الجانب المقابل لحوض السباحة الأكبر الذي يسمح بالدخول لعدة شقق بالقاعتين الثالثة والرابعة الموجودتين على شكل (T)، كما زينت الحمامات من الداخل بفسيفساء رائعة ذات ألوان جذابة موضوعات

¹ صالح لمعي، عمارة الحضارات القديمة، بيروت، 1997، ص133،

² علي سلطاني، المرجع السابق، ص75.

فنية وأسطورية عديدة ومتنوعة اختيرت لتغطية السقوف والجدران والأحواض والممرات حسب رغبات وميول السكان في ذلك الزمان¹.



خاتمة:

يوجد في الجزائر الكثير من المواقع الأثرية التي تعد تراثا معماريا وعمريا متميزا في عطاءه الحضاري ومنفردا في خصائصه ومفرداته الإنشائية والزخرفية، وتعد حاضرة تيفاست أهم تلك المواقع نظرا لتمامسك آثارها التي لا تزال ظاهرة للعيان معبرة عن تمازج حضاري فريد من نوعه، حيث يعتبر التراث العمراني في مدينة تيفاست حلقة هامة من حلقات التواصل بين الحضارات ما قبل التاريخ وصولا إلى الحضارة الرومانية والإسلامية، إذ حافظ على هذه الحضارات التي اندمجت معه في تجانس حضاري فريد، وقد تعددت النظم الإنشائية والعناصر الزخرفية في المباني الأثرية بمدينة تيفاست ما بين أحجار بأنواعها المختلفة وأسوار وقلاع ومسارح وحمامات وأماكن للعبادة نجح المعمار الروماني في توظيفها بإتقان شديد.

من أهم الآثار العمرانية التي تميز مدينة تيفاست والتي يمكن استغلالها في الوقت الحالي سياحيا باستقبال وفود السياح لا على المستوى الداخلي فحسب بل حتى على المستوى الدولي لما تتوفر عليه المدينة من معالم تاريخية مثل: قوس النصر كاركلا، معبد مينارف، المدرج الروماني، الكنيسة المسيحية، القلعة البيزنطية، الحديقة الأثرية وغيرها.

¹ المرجع نفسه، ص 89.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المؤسسة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 2003.
2. أحمد صلاح الدين عوف، مفاهيم الحفاظ العمراني للألفية الجديدة، دائرة الثقافة والإعلام، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
3. أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها بوابة الشرق ورثة العروبة وأريج الحضارات، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
4. سلامة سالم سلمان، دور المصادر التراثية في تحقيق التنمية المستدامة مع بيان دور المنظمات غير الحكومية في إدارة المصادر التراثية، ندوة الاتجاهات الحديثة في إدارة المصادر التراثية، تونس، 2007.
5. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي، الدار التونسية للطبع والنشر، تونس، 1962.
6. صالح لمعي، عمارة الحضارات القديمة، بيروت، 1997.
7. عبد السلام بوشارب، تبسة معالم وآثار، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1996.
8. علي سلطاني، مرشد عام للمتحف والمعالم الأثرية تبسة، الوراقة الجديدة، تبسة، الجزائر، 1999.
9. عليان جمال، الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، ع322، الكويت، 2005.
10. مبارك محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للتوزيع والنشر، ط4، الجزائر، 1999.
11. محمد عبد الهادي، عبد الرحمن محمد فهمي سيد أحمد، الأخطار المهددة للتراث العمراني وسبل الحفاظ عليه، مجلة الغدير، العدد 74، دار الفلاح للنشر والتوزيع، لبنان، 2017.
12. هانيريتش فون مالتاس، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
13. يحيى الزيني، المدينة بين التنسيق والتأصيل، الجهاز القومي للتنسيق الحضاري، ط1، القاهرة.
14. Gsell, S, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T.IV, Paris, 1920.
15. GUII, Basilique chrétienne d'Afrique du nord, Invention de l'Algérie, 1 Texte 2 illustration, Paris, 1992.
16. Robert Equement, Fouilliez a l'Amphithéâtre de Tebessa, 1968.

علم الاجتماع السياحي وحماية الغرس الثقافي ودورها في تحقيق التنمية المستدامة

د. بن عرفة إبراهيم جامعة البليدة 2

د. عالية بشيرة جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة

ملخص: تعتبر ظاهرة السياحة في علم الاجتماع الثقافي من الظواهر التي يمكن أن نطلق عليها اسم النظائر الثقافية، وهي ظواهر ثقافية متشابهة توجد في مختلف أنحاء العالم، وهناك عدة مجالات مجتمعية تتفاعل فيما بينها لكي تساعد على انتشار وتماسك ظاهرة الممارسة السياحية، ومن بين هذه المجالات نجد: التنمية الاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: السياحة، علم الاجتماع السياحي، التنمية السياحية، التنمية الاجتماعية، التنمية الثقافية.

Résumé :

548

Le tourisme demeure un des phénomènes sociologiques par excellence . Dans cette visée, cette étude tente d'étudier l'apport du tourisme dans le développement social et culturel.

La prise en charge de la question du tourisme en Algérie demeure une des priorités dans le développement du pays.

Mots clés: le tourisme, la sociologie du tourisme, le développement social, le développement culturel.

مقدمة:

في الواقع لا يمكن الفصل بين علم الاجتماع الثقافي و علم الاجتماع السياحي بل إن هذا الأخير يمكن اعتباره جزء من الأول يكمله ولا يلغيه، لذا يرى البعض أن علم الاجتماع السياحي هو شبه اختصاص وليس اختصاصا كاملا، وهذا بالرغم من تداخل عدة مجالات بحث كالمجالات الاقتصادية الأنثروبولوجية، المجالات النفسية الاجتماعية والثقافية.

ولهذا سنحاول الإمام من خلال هذا المقال تقريب الصورة للباحث حول موضوع السياحة في بعض جوانبها الاجتماعية والثقافية لا موضوع علم الاجتماع السياحي صراحة، بدءا بماهية علم الاجتماع السياحي وأهدافه، ثم الولوج إلى علاقة السياحة بعلوم المجتمع والثقافة، ثم نتحدث عن التنمية السياحة في علاقتها بالتنمية الاجتماعية والثقافية.

أولا- تعريف علم الاجتماع السياحي: تعتبر السياحة ظاهرة اجتماعية عرفها الإنسان منذ القدم، فلقد اعتاد منذ نشأته على الانتقال من مكان إلى آخر لكي يحقق هدفا أو أكثر من أهدافه المعاشة، فقد يبحث عن التنقل بقصد الحصول على المأكل والمشرب والملبس، وأيضا لكي يجد الأصدقاء والرفاق الذين يبعدون عنه الوحدة ويصدون عنه الخطر.

وبتطور الحياة البشرية سعى الإنسان إلى الانتقال من مكان إلى آخر لإيجاد صلات وعلاقات بين التجمعات البشرية الأخرى للتعرف عما يزيد عن حاجته، كما أدى اتصال أفراد المجتمعات المختلفة بعضهم ببعض إلى اكتساب معارف جديدة.¹ هذا ويعتبر علم الاجتماع من أكثر العلوم الاجتماعية التي تمد الدراسات السياحية بنظرياتها، وكذلك فإن أساليب ومناهج البحث العلمي في علم الاجتماع هي الأكثر استخداما في دراسات السياحة، الأمر الذي جعلنا نؤكد أن النظرية الاجتماعية في السياحة هي نظرية علم الاجتماع.²

علم الاجتماع السياحي هو أحد فروع علم الاجتماع حديث النشأة، يبحث في الجوانب الاجتماعية (أفرادا وجماعات) سلبيا أو إيجابيا، وموقف أفراد المجتمع من السياحة، وتأثير السياحة، وتأثير السياحة العالمية على الثقافات المحلية، وقضايا أخرى عديدة تمثل نقاط التماس و تقاطع بين السياحة والمجتمع.³

وعليه فإن علم الاجتماع السياحي هو علم المجتمع والمؤسسات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، وبتكر الزائرون لأي مجتمع أو منطقة من المناطق علاقات اجتماعية تختلف نمطيا إلى درجة كبيرة عن علاقات الاندماج بين السكان الوطنيين، إن الآثار المطلقة لتجارب السفر على السكان في المناطق الأصلية، كما في أماكن المزارات السياحية ينبغي أن تقرر إلى أي حد يجب أن تشجع المجتمعات السياحية أو لا تشجعها.

¹ محمد الغريب عبد الكريم، السوسيولوجيا النظرية في السياحة، دب، دن، 1993، ص 168.

² محمد الغريب عبد الكريم، مرجع سابق، ص 193.

³ روبرت ماكوتنش وآخرون، بانوراما الحياة السياحية، تر عطية محمد شحاتة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 283.

- ثانيا- أهداف علم الاجتماع السياحي: تتحدد أهداف علم الاجتماع السياحي على النحو التالي:
- تقدير التأثير الاجتماعي المفرط الذي تسف عنه الخبرات السياحية على الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع كوحدة متكاملة، وخاصة المجتمع المضيف.
 - إدراك أن السكان أو الأهالي قد يستاءون من حضور الزائرين وخاصة بأعداد كبيرة.
 - أيضا إدراك أن تأثير هؤلاء الزوار قد يكون غير مرغوب فيه وضارا اجتماعيا واقتصاديا.
 - اكتشاف أن أنماط السفر تتغير مع تغير خصائص الحياة والطبقات الاجتماعية.
 - التآلف مع مفهوم السياحة الاجتماعية وأهميتها في مختلف الدول.
 - ملاحظة أن هناك أربع درجات قصوى تتصل بأفضليات السفر للسائحين الدوليين.
 - إدراك تحديد علماء الاجتماع لأربعة نماذج شخصية من أدوار السائحين العالميين.¹
- ثالثا- علاقة السياحة بعلوم المجتمع:

1-علاقتها لعلم الاجتماع: تمثل السياحة كنشاط إنساني اجتماعي بعلم الاجتماع حيث يتطلب تنشيطها وتسويقها وتنميتها، التعرف على النظم الاجتماعية القائمة وعلاقتها بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والقانونية والأخلاقية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات والأسباب التي ساعدت على تكوينها وسلوك الأفراد والجماعات من الجنسيات المختلفة والدوافع ورائها وأهم المشكلات الاجتماعية والعوامل التي تسببت فيها، وعلم الاجتماع هو العلم الذي يختص بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية وما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية، كما يعالج الخصائص المشتركة والتأثيرات والعلاقات المتبادلة بين المجتمعات المتباينة وأيضا يتناول علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به بقصد الوصول إلى القواعد والقوانين التي يعتمد عليها في تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل، وهو ما يمكن الاستعانة به عند رسم السياسات ووضع الخطط للسياحة لكي تبنى على حقائق وأسس علمية²

2-علاقتها بالثقافة: تؤثر السياحة على الثقافة في جميع دوافع السائح في اتخاذ القرار بالقيام برحلة معينة يكون نتيجة عوامل نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، فمثلا هناك دوافع ثقافية مثل مشاهدة بعض الأحداث المهمة بالعالم أو حضور مهرجانات أو حفلات ثقافية أو معارض، والاطلاع على حياة الناس في البلدان الأخرى والتعرف على حياتهم وأعمالهم وثقافتهم ونمط حياتهم الاجتماعية والحضارية والثقافية واكتشاف أشياء جديدة لغرض العلم والثقافة والمعرفة، ومن ثم التعرف على ما يدور من حوادث الساعة والتقدم العلمي أي التعرف حول ما يحدث من أخبار وحوادث مثل مشاهدة انطلاق المركبات الفضائية وهذا

¹ روبرت ماكوتش وآخرون، مرجع سابق، ص 284.

² ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، عمان، دار زهران، 2008، ص 90.

الدافع يعتبر من أهم مصادر الدعاية حيث نجد أن كثير من الموظفين يتوجهون إلى منطقة معينة لمشاهدة حدث علمي جديد¹.

3- علاقة السياحة بالأنثروبولوجيا: ويكون ذلك خلال علم الأنثروبولوجيا والذي يعد جزءا من الأنثروبولوجيا حيث يمكننا وصف الاختلافات بين الجنس البشري وتوزيعها الجغرافي، بالإضافة إلى كل ما هو مثير في الثقافة بالنسبة للشعوب الأخرى وذلك بعد أحد أهم دوافع السفر، وكذا يشكل حب الاستطلاع في عالمنا وشعوبه المختلفة أحد أهم الدوافع المؤثرة للسفر وأقواها، وكذا يمكننا الربط بين دافع السفر وبين الاختلافات الأساسية في الثقافة بين شعوب العالم. وتلك الثقافات المحلية أو الجماعات الثقافية سوف تكون أكثر جاذبية لخصوصياتها ولذا تشجع على السفر، ويرى (جرايون) أن الأنثروبولوجيون يركزون على العلاقات الاجتماعية ويعتمد ذلك على اهتمامات الباحث وخلفيته العلمية.²

رابعا- تأثير التنمية السياحية بالتنمية الاجتماعية والثقافية: يعد تأثير التنمية الاجتماعية والثقافية وغيرها من بين التأثيرات الناتجة من العلاقة المتبادلة بين التنمية والسياحة، حيث تدير هذه العلاقة مجموعة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع، ونتيجة لهذا التفاعل والاحتكاك والتبادل الاجتماعي والثقافي بين التجمعات تنتج مجموعة من التأثيرات التنموية المميزة لتلك العلاقة، وفيما يلي عرض لأهم تأثيرات السياحة على التنمية الاجتماعية والثقافية:

1- السياحة في علاقتها بالتنمية الاجتماعية: إن التنمية السياحية مثلها مثل أي تنمية أخرى تقوم على أساسيات لا بد من توافرها لكي تكون تنمية حقيقية، ويحدد الدكتور عبد الهادي الجوهري وآخرون هذه الأساسيات التنموية في كتاب دراسات في التنمية الاجتماعية على النحو التالي:

- تغييرا بنائيا كان أو اجتماعيا أو سياحيا أو جزئيا، وهذا يعني إدخال تعديلات على النظم والمنظمات والتنظيمات والإدارة و العلاقات والتعاملات المالية وغيرها.
- دفعة أو دفعات قوية وذلك لتغيير البناء والأبنية الموجودة أو بعضها و التنسيق بين مختلف الجهود.
- إستراتيجية ملائمة وتخطيطا مناسبا، وهذا يتطلب دراسة الواقع والبعد عن الاستراتيجيات الأجنبية ومحاولة الأخذ بالاتجاه الكمي إلى جانب الاتجاه الكيفي.
- إن الاعتماد على النظرة العلمية في التخطيط لمجال السياحة أمر مطلوب كذلك ويجب علينا أن نضع نصب أعيننا الهدف الذي نسعى إليه و نسأل أنفسنا إذا كنا نريد التنمية السياحية الشاملة، إذن وجب علينا العمل بكل طاقاتنا للوصول إلى هذا الهدف.³ وللتنمية الاجتماعية السياحية مجموعة عناصر وتمثل فيما يلي:
- توفر برنامج مخطط يتركز حول الاحتياجات الكلية للمجتمع.

¹ زيد عبودي، معجم المصطلحات السياحية و الفندقية و الفندقية عربي/الانجليزي، عمان، دار كنوز المعرفة، 2006، ص 154.

² وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص 57-58.

³ محمد منير حجاب، الاعلام السياحي، القاهرة، دار الفجر، 2002 ص 43.

- تشجيع المساعدات الذاتية باعتبارها حجز الزاوية في برنامج التنمية عامة.
 - ما تقدمه الهيئات الحكومية والأهلية من مساعدات فنية تشمل العاملين الفنيين والآلات والأدوات والإعانات المالية.
 - تحقيق التكامل بين التخصصات المختلفة والداخلية في مجال التنمية كالزراعة وتربية الحيوان والصحة العامة ولتعليم والاقتصاد المنزلي ورعاية الطفولة والشباب والنشاط النسائي وذلك من أجل مساعدة المجتمع على النهوض و التقدم¹
 - ولكي تؤمن عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العملية أو النشاط السياحي لا بد أن نذكر الشروط الأساسية على وجه الخصوص وتمثل فيما يلي:
 - توفر الاستقلال السياسي بمعنى إنهاء الوضع الاستعماري.
 - لا بد من توفر الاستقلال الاقتصادي.
 - إحداث تحول اجتماعي عميق ينفي إلى إخفاء الطبقات الطفيلية أو المرتبطة بالاستعمار.²
- وتتركز التنمية الاجتماعية أساسا على موارد المجتمع البشرية لتنمية قدراتها وإمكانياتها، ولا بد من تحقيق مستوى حياة كريمة ومضمون التنمية البشرية هو أن يصبح الإنسان مركزا لعملية التنمية ومحورها، وذلك من خلال تكوين وبناء القدرات البشرية واستخدام تلك القدرات في أنشطة إنتاجية بها يضمن استمرارية التنمية وتواصلها، والتنمية البشرية ليست مجرد تنمية الموارد البشرية بل هي أشمل من ذلك فهي عملية توسيع للخيارات وإقامة الفرصة لهم لتحقيق حياة أفضل للناس يتطلعون إلى تحصيل المعارف (التعليم والصحة الجيدة وإلى فرص العمل المنتج والملائم لكل فرد بحسب اختياره) وتلك الخيارات لا تقتصر على سد الحاجات الأساسية من طعام، شراب ومسكن بل تمتد لتشمل الرغبة في الانخراط في كل أشكال الحياة في المجتمع، حيث أن الإنسان هو العنصر الحيوي الذي يحقق للمجتمع استمراره في الوجود.
- ويبرى (شاكبي جي) Chucky Gee أن هناك عدة مراحل لتنمية المناطق السياحية اجتماعيا وهي:
- مرحلة الاكتشاف وتعتمد ملاحظة نصيب المكان من السائحين، ويرحب السكان المحليين بالتنمية السياحية وتكون هذه خطوة التنمية، حيث تسهم السياحة في الاقتصاد المحلي وتظهر الفوائد من السياحة في نمو مستوى الدخل مباشرة عن طريق استقبال السياحة أيضا قد تشجع على قيام الجريمة حيث يظهر السائحون في الأسواق وهم يقومون بالشراء مما يثير الاستياء ويظهر الاستياء المحلي في مرحلة الصراع والتقارب، وينشأ هذا الصراع عادة كنتيجة التنافس على مصادر الماء والطاقة واستخدام الأرض والشواطئ.

¹ عبد العزيز مصطفى العشماوي، دور المؤتمرات العلمية في التنمية الاجتماعية بالجزائر، بحث مقدم لنيل شهادة الدراسات العليا في علم الاجتماع، إشراف إبراهيم محمد خليفة، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1978/1977، ص 27.

² شارل بتهيم، التخطيط والتنمية، تر: إسماعيل صبري عبد الله، ط 2، القاهرة، دار المعارف، دت، ص 71.

وتأتي مرحلة التوازن حيث تظهر المشكلات التي تنشأ نتيجة للتنمية الحديثة والتي تقوم على أقصى استخدام للبيئة المتاحة، ومثال ذلك نجد في بعض البلاد القائمة على الزراعة يكون استحداث أي منطقة معتمدا على توصيل المياه مما يؤثر على القائمين بالعمل الزراعي. أما مرحلة الهدم فتأتي بقوة حيث أشكال التخريب المختلفة مثل انتشار الجريمة وانخفاض الأمان وهروب رؤوس الأموال، والمراحل الثلاثة الأخيرة ليست مراحل تنموية ومن الصعوبة التحكم فيها أو منعها.¹

وعليه نقول بأن السياحة ترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا حيث يتفاعل السائحون كأحد مدخلات النظام السياحي مع البيئة الاجتماعية في دولة الزيارة لكي ينتج في النهاية الآثار الاجتماعية المختلفة، وبالتالي فالتنمية الاجتماعية للسياحة تترك دائما آثارها على مستوى المجتمع الذي يتجه بقوة نشاطه إلى التنمية السياحية.

وتعتبر الآثار الاجتماعية للسياحة واضحة جدا تظهر آثارها بقوة على جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة مثل الطابع العام للمجتمع وبعض المظاهر أو الظواهر الاجتماعية والعادات والتقاليد الموجهة لسلوك الأفراد، ومن أهم العوامل لحدوث هذه الآثار هو التداخل بين المواطنين والسائحين، خاصة من لهم علاقة مباشرة مع السائحين مثل العاملين بشركات السياحة والفنادق والإرشاد السياحي. كما تؤثر السياحة على المجتمع الدولي بالإسهام في إفضاء جو من السلام والأمن العالمي مما يخفف من حدة التوتر الدولي ويعمل على زيادة روح المودة والتفاهم العالمي بين المجتمعات والشعوب المختلفة.²

553 2- السياحة في علاقتها بالتنمية الثقافية: تمثل السياحة وسيلة حضارية اجتماعية لنقل وتبادل الثقافات

والحضارات بين الشعوب العالمية المختلفة، وعن طريقها يتحقق التبادل الثقافي بين الدول السياحية و بعضها البعض حيث تنتقل اللغات والمعتقدات الفكرية والآداب والفنون ومختلف ألوان الثقافة عن طريق الحركة السياحية الوافدة إليها، فتؤثر هي أيضا بما في الدول السياحية من ثقافة وحضارة، وبذلك يتحقق التأثير الثقافي للسياحة الذي يمثل محورا هاما من محاور التنمية في المجتمع.³

وللسياحة من الناحية الثقافية دورا لا يمكن إغفاله في تعريف المواطنين والسائحين بتراث البلد وحضارته والتعريف بالبيئة، مما يؤدي إلى إدراك الشخصية القومية للبلد وبالتالي زيادة الانتماء للوطن من جانب مواطنيه وإعطاء صورة حقيقية عن البلد والمعلومات الصحيحة عن البيئة الاجتماعية والثقافية والدينية التي سيواجهها السائحون، وهذا مما لا شك فيه أن الحكومة ممثلة في الهيئة العليا للسياحة تصفه ضمن استراتيجياتها للتنمية السياحية بنفس مستوى الحفاظ على البيئة ومن أهم مجالات الحفاظ على البيئة هي الحفاظ عليها من التلوث والحفاظ على البيئة الطبيعية وتنظيم العمران.⁴

¹ وفاء زكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 401 - 402.

² www.suhuf.net/2001jaz/sep/1/ec25.htm

³ محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص 28 - 29.

⁴ www.suhuf.net, op,cit.

الثقافة هي ذلك الكل المعقد يحتوي على المعارف والعقيدة والفن والقواعد العقلية والقضائية، التقاليد والعادات وكل القدرات أو العادات المكتسبة من طرف الفرد بصفته عضوا في المجتمع.¹

والتنشئة الثقافية تعني بها اكتساب الطفل مجتمعه أو تذويب الفرد في الثقافة، وذلك كما يحصل عندما يكتسب الطفل عقائد وأخلاقيات وعادات وصفات الثقافة التي يولد فيها، وقد حل مصطلح التنشئة الثقافية تدريجيا محل مصطلح التثقيف من الخارج الذي يعني عملية التغيير النفسي التي تجعل الفرد جزءا من ثقافته ومجتمعه.² يقول (بيار بورديو): "عمليا نعلم أن السياحة غير مستغلة عن المستوى التعليمي لأن اتساع وتوتر ودوام الانتقال من أجل السياحة مرتبط بشدة بالمهنة والدخل أي بالمستوى التعليمي".³

والسياحة الثقافية حتى وإن كان الدافع الأساسي لعدد كبير من السواح اليوم هو الراحة والاستمتاع، فإن هذا لا يمنع السائح من إثراء الثقافة وذلك بممارسة عدة أنواع من السياحة تنتمي في مجملها إلى نوع واحد هو السياحة الثقافية وتمثل هذه الأخيرة في:

- **سياحة الشباب**، كالرحلات، الدراسة المنظمة من طرف المؤسسات الثقافية أو السياحة من أجل أهداف ثقافية.
- **السياحة الريفية**، كالإقامة مع العائلات التي نزورها بالإضافة إلى زيارة القرى السياحية ومحاولة التكيف مع البيئة الثقافية للمنطقة.
- **الرحلات الثقافية**، التي يشمل زيارة المتاحف والمدن التاريخية والمواقع التذكارية والمشاركة في النشاطات الثقافية المحلية أو الوطنية أو العالمية.
- **السياحة الدينية**، والتي تهدف للعبادة كالحج وزيارة الأولياء أو البقاع المقدسة.⁴

وإن التنمية الثقافية بذلك للسياحة تعمل على تطوير البناء الاجتماعي الثقافي و كذا تحسين ظروف الحياة الاجتماعية بحيث عن طريق الاحتكاك وعملية التأثير والتأثر بتعلم الإنسان سواء الزائر أو المستقبل أشياء كثيرة تحسن من طريقة عيشه وتكسب بعض الممارسات التي لم يكن يعرفها من قبل، إضافة إلى اكتسابه بعض السلوكيات الحضارية. التحسين من الوضعية الاجتماعية للجماعة المستقبلية بحيث أنها بكونها مركز اهتمام السواح، فإن السلطات المعنية ستعمل على توفير المرافق الأساسية والضرورية للحياة كتحسين الطرقات، الماء، الفنادق... الخ.⁵

¹Sumpe (Joseph) et Hugues (Michel), Dictionnaire de sociologie, librairie, la rousse, Paris, 1973, p 75.

² محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ص 233.

³ Bourdieu (Pierre) et Derbal(Alain) , l'Amour de l'art, Ed, de minuit, Paris, 1967, p47.

⁴Toumi (Omar), Le tourisme culturel dans le grande sud, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1992/ 1994, p 20.

⁵Sber (Djamila), Le tourisme culturel a travers les musées d'Alger, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1990/ 1992, p 45.

وفي الأخير نقول بأن التنمية الثقافية للسياحة تكون عن طريق نقل التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة، فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن بل والأكثر من ذلك أن ملامح الثقافة وسماتها تنتقل من مجتمع لآخر نتيجة التنمية السياحية عن طريق وسائل الاتصال الثقافي.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه في هذا المقال يمكننا القول بأن تعريف علم الاجتماع السياحي هو من قلة التعريفات التي قدمت لهذا المصطلح العلمي الحديث النشأة. وفي ضوء ما تم عرضه يمكن القول بأن علم الاجتماع السياحي هو أحد فروع علم الاجتماع العام حديث النشأة، يهتم ببحث الجوانب الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالظاهرة السياحية بوصفها ظاهرة تتصل بسلوك إنساني اجتماعي، كما يبحث هذا العلم في الجوانب المختلفة التي ترتبط بالسياحة بوصفها ظاهرة اجتماعية، فالتقاطعات الاجتماعية والثقافية بين السياحة والمجتمع هي المحاور الأساسية التي يقوم عليها علم الاجتماع السياحي.

المصادر والمراجع:

1. عبد العزيز مصطفى العشماوي، دور المؤتمرات العلمية في التنمية الاجتماعية بالجزائر، بحث مقدم لنيل شهادة الدراسات العليا في علم الاجتماع، إشراف إبراهيم محمد خليفة، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1978/1977.
2. شارل بتهيم، التخطيط والتنمية، تر: إسماعيل صبري عبد الله، ط 2، القاهرة، دار المعارف، دت.
3. روبرت ماكونتش وآخرون، بانوراما الحياة السياحية، تر عطية محمد شحاتة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
4. زيد عبودي، معجم المصطلحات السياحية و الفندقية عربي/ انجليزي، عمان، دار كنوز المعرفة، 2006.
5. محمد الغريب عبد الكريم، السوسيولوجيا النظرية في السياحة، دب، دن، 1993.
6. ماهر عبد العزيز توفيق، صناعة السياحة، عمان، دار زهران، 2008.
7. محمد منير حجاب، الاعلام السياحي، القاهرة، دار الفجر، 2002.
8. محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991.
9. وفاء زكي إبراهيم، دور السياحة في التنمية الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
10. Bourdieu (Pierre) et Derbal(Alain) , l'Amour de l'art, Ed, de minuit, Paris, 1967.
11. Sber (Djamila), Le tourisme culturel a travers les musées d'Alger, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1990/ 1992.
12. Sumpe (Joseph) et Hugues (Michel), Dictionnaire de sociologie, librairie, la rousse, Paris, 1973.
13. Toumi (Omar), Le tourisme culturel dans le grande sud, Mémoire fin études, Ecole national supérieur du tourisme, El Aurassi, 1992/ 1994.
14. www.suhuf.net

التسويق السياحي للمواقع الأثرية لتحقيق التنمية الاقتصادية

أ.د تومي ميلود

د. شلوق فتيحة

جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر

جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر

الملخص

السياحة الأثرية هي زيارة المناطق والمعالم الأثرية ذات الصورة المميزة والماضي الحضاري والتاريخ المعبر، يهتم بها كل من يرغب في إشباع المعرفة وزيادة معلوماته الحضارية والتمتع بما هو متاح من تراث قديم للبشرية ومعايشة الشعوب المختلفة بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وفنونها وقيمها وأساليب حياتها، وفي عصرنا أصبح لهذا النوع من السياحة دورا بارزا في تنشيط إقتصاديات الدول ومصدرا رئيسيا للدخل القومي، ومحركا فعالا للإقتصاد من خلال المساهمة في تنشيط الكثير من القطاعات التجارية والصناعية والخدمية، وتدفع إلى إستثمارات جديدة وتطوير وتنمية الكثير من المناطق، محققة بذلك التوازن الجهوي بين الأقاليم وموفرة لمناصب شغل بما يجسد العدالة بين المواطنين وإسعادهم وزيادة دخولهم وتحسين معيشتهم وإنعاش حياتهم وتحقيق رفاهيتهم، بهذه الصور فقط تصبح السياحة الأثرية مساعدة وداعمة بل تصبح ركيزة أساسية لتحقيق نتائج وأهداف التنمية الإقتصادية.

وفي هذه المداخلة نتساءل عن مفهوم السياحة الأثرية؟ وعناصر ومقومات الجذب السياحي؟ وعلاقة السياحة بالتنمية الإقتصادية والإجتماعية؟ وفي الأخير سبل إظهار وتسويق المواقع الأثرية لتحقيق أهداف التنمية؟

الكلمات المفتاحية: السياحة الأثرية، الجذب السياحي، التنمية الإقتصادية، التسويق السياحي.

Abstract

Archaeological tourism is a visit to the areas and monuments with a distinctive image and the past civilization and history crossing that attract tourists who wish to satisfy the knowledge and increase their cultural information and enjoy the available legacy of humanity and the different peoples of the customs and traditions, beliefs, arts, values and methods of living,

In this era, this type of tourism has played a prominent role in activating the economies of countries, which has become a major source of national income and an effective engine of the economy by contributing to the revitalization of many sectors of trade, industry and service, and push to new investments and development of many areas, Regional balance between the regions and provide jobs that embodies justice among citizens and their happiness and increase income and improve their livelihood and the revival of their lives and the well-being of the results and objectives of economic and social development, in this way become archaeological tourism help and support, but become the cornerstone Exponential development.

So we wonder in this speech about the concept of archaeological tourism? elements and attractions of tourism? and the relationship of tourism to economic and social development? and in the latter ways to show and market archaeological sites for development?

Keywords: archaeological tourism, attractions, economic development, tourism marketing.

مقدمة

لقد احتلت التسويق السياحي دور فعال في تنشيط وترقية السياحة بكل أنواعها والسياحة الأثرية على الخصوص، حيث من خلاله برزت مكانة هذا النوع من السياحة في تنشيط الكثير من القطاعات التجارية والصناعية والخدمية من خلال مساهمته في زيادة إستثمارات جديدة وتنويعها وبالتالي تطوير وتنمية الكثير من المناطق ومنه تلبية الكثير من حاجات المواطنين وتحسين معيشتهم وإنعاش حياتهم وتحقيق رفاهيتهم وهذا ما يجسد أهداف التنمية الإقتصادية.

فما هي السياحة الأثرية؟ وما هي عناصر ومقومات الجذب السياحي؟ وما علاقة السياحة بالتنمية الإقتصادية؟ وما هي متطلبات تسويق المواقع الأثرية لتحقيق أهداف التنمية؟

1. تعريف السياحة الأثرية

تختلف أنواع السياحة بتنوع رغبات وإحتياجات السواح، وقد صنفت أنواعها تبعاً لمعايير عديدة منها: **معيار الغرض من السياحة** وتندرج ضمنه **السياحة الثقافية والتراثية** التي تعرف على أنها: "إمتصاص السائح لمظاهر الحياة الماضية لمجتمعات قديمة؛ فهي عنصر جاذبية للمناطق السياحية"¹، أي التنقل بهدف زيارة الأماكن والمواقع الثقافية، والمتاحف والآثار والمعالم التاريخية، إضافة إلى اكتشاف الصناعات التقليدية وعادات وتقاليد شعوب ومجتمعات أخرى، ويقصد بها أيضاً: "كل استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة من خلال اكتشاف تراث عمراني على غرار المعالم التاريخية والدينية، أو تراث روحي على غرار التقاليد والعادات الوطنية والمحلية"²، والتراث العمراني أو الروحي اللذان يشكلان تراثاً ثقافياً للأمة يشمل: "جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة؛ الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا... (وأيضاً)... الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات إجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا"³.

ولتنشيط السياحة الثقافية والأثرية يجب إستغلال كل ما هو متاح مع إستحداث إمكانيات ومناسبات متجددة بما يساير الواقع المعاش والموارد المتوفرة وتقديم نشاطات ثقافية مختلفة ومتجددة، وتظهر أكثر في:

¹. يسري دعيبس، **السياحة والمجتمع**، سلسلة الدراسات السياحية والمتحفية، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، مصر، 2009، ص504.

². الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 03/11، القانون رقم 01/03 الصادر بتاريخ 2003/02/17 المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة، ص05

³. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 1998/44، القانون رقم: 04/98 المتعلق بحماية التراث الثقافي، المادة 2، ص04.

* إستحداث مناسبات جديدة: حيث لم تعد السياحة الثقافية مقتصرة في مفهومها على الثروات التاريخية والأثرية والثقافية، وإنما أدخلت عليها عناصر جديدة من خلال إستحداث مناسبات واستغلال ظروف معينة بما يحقق تنوع المنتج السياحي لجذب شرائح جديدة من السياح.

*تفعيل الوسائط الثقافية: التي تعتبر من أهم الحوافز التي تدفع السائح إلى زيارة منطقة معينة، وتظهر في: .. الفرق المسرحية والكشفية والموسيقية: لأن هذه الفرق بما لها من قدرة على تنظيم لقاءات ومسرحيات وحفلات موسيقية وعروض كشفية في المواقع السياحية الحديثة منها والتاريخية والأثرية؛ تشكل ركائز أساسية في تنشيط السياحة الثقافية بما تقدمه من مادة ثقافية متنوعة تجسد عادات وتقاليد المجتمع التي يسعى السائح إلى إكتشافها ومعرفتها.

..المراكز الثقافية: يشكل نشاط المراكز الثقافية وسيلة ناجعة لتنشيط السياحة الثقافية خاصة منها السياحة الداخلية، وتستطيع هذه المراكز أن تجتذب السائح بما تقدم من عروض ونشاطات فنية وثقافية متنوعة كالمحاضرات والندوات ومختلف اللقاءات والحفلات.

..المعارض السياحية: تلعب المعارض دورا بارزا في الدعاية والإشهار والتعريف بالمواقع السياحية والحرف والصناعات اليدوية والفنون التشكيلية والأزياء التقليدية والمأكولات الشعبية، بما تساعد السائح وتمكنه من تحديد الوجهة المطلوبة للسفر.

..النشاطات والمؤتمرات العلمية: تشكل مختلف النشاطات والملتقيات وسيلة ترويج ودعاية سياحية مهمة، حيث تتحقق السياحة الثقافية من خلال المشاركة في مثل هذه النشاطات والمؤتمرات العلمية، ومختلف الأعياد والمهرجانات الدينية والتاريخية والفلكلورية والفنية.

والسياحة الثقافية والتراثية تحقق فوائد كثيرة منها:¹

. المساهمة في تحقيق التنمية الشاملة وتحقيق الانتعاش الاقتصادي للمناطق السياحية من خلال خلق فرص العمل نتيجة زيادة الإنفاق السياحي، وتنشيط مختلف الصناعات مثل الصناعات الغذائية والبيئة والصناعات التقليدية والخدمات الفندقية والنقل... وغيرها؛

. زيادة الاستثمارات في مجال الفنادق والمطاعم والمحلات العامة وخدمات النقل والصناعات التقليدية.

. ترقية ونمو السياحة الثقافية والتراثية يساهم في ترقية وتطوير مختلف أنواع السياحة الأخرى.

. التعرف والإطلاع على الثقافات والعادات والتقاليد المحلية لكل منطقة بما يمكن من زيادة الوعي الثقافي والفكري والسياحي لدى المواطنين، ويعزز العلاقات والتبادلات بينهم بمختلف أنواعها، كما يجد من التفرقة والجهوية ويدعم مبدأ المواطنة؛

¹ . للتوسع راجع:

. محمد الصيرفي، مهارات التخطيط السياحي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2008-2009، ص ص 51-52.

. ماهر عبد الخالق السيبي، مرجع سابق، ص ص 4241.

. دعم النسيج القومي للمجتمع الواحد من خلال المساهمة في فك العزلة عن مختلف مناطق التراب الوطني بتدفق السياح المحليين على مناطق الجذب السياحي، زيادة عن إحداث التقارب والتبادل الاجتماعي بين فئات المجتمع على تنوع طوائفهم وتقسيماتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم، مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق وتأمين وحماية وحدة التراب الوطني وتقوية ودعم نسيجه الاجتماعي.

2. عناصر ومقومات الجذب السياحي

معلوم أن المنتج السياحي منتج مركب مميز بمكوناته عن باقي السلع لا يمكن نقله ولا تخزينه؛ مزيج من مجموعة مكونات وعوامل تتشابه فيما بينها وتتكامل مع بعضها لتعطي منتجا متجانسا؛ كل هذه المكونات والعوامل تسمى بعناصر ومقومات الجذب السياحي.

ويقصد بها: العوامل التي تحدد وتساعد السائح في اختيار مكان معين لزيارته دون غيره¹، أي كل الشروط الأساسية للنشاط السياحي من موارد ومغريات ومعالم وصناعات وخدمات وتسهيلات وأحداث وعوامل تشكل في مجموعها عناصر جذب للسائح؛ طبيعية منها كانت أو تاريخية أو أثرية أو ثقافية أو دينية أو بشرية أو علاجية أو رياضية أو حضارية أو حديثة،... فهي ركائز أساسية للعرض السياحي لأي بلد، ومع كثرتها يمكن تقسيمها إلى:

أ. **عناصر ومقومات طبيعية:** أي مختلف المكونات الخام الناتجة بفعل الطبيعة ولا دخل فيه لعمل الإنسان، والترابط بينها يعطي تميزا ظاهرا للمنطقة السياحية، ويشكل عنصر جذب قوي وساحر لا يمكن أن يقاومه السائح، حيث يلجأ إليه " للتمتع بجمال الطبيعة والابتعاد عن التلوث بأشكاله المختلفة والإزدحام وتوتر الأعصاب التي تتسم بها الحياة الحضرية الحديثة"²؛ وتتضمن جميع الثروات والمغريات والجاذبيات الطبيعية من موقع البلد أو الإقليم، هيئة سطح الأرض، المناخ، المياه والمواقع والمكونات الطبيعية الأخرى³.

ب. **عناصر ومقومات بشرية:** مختلف المرغبات من عناصر ومكونات التي هي من صنع الإنسان، المادية منها والبشرية المسخرة للسائح لإتحاد قرار الزيارة لمكان معين؛ من موارد ومغريات وصناعات وخدمات وتسهيلات وأحداث وعوامل تشكل في مجموعها عناصر جذب للسائح؛ تاريخية منها وأثرية وثقافية ودينية وبشرية وعلاجية ورياضية وحضارية ومنشآت حديثة؛ كالقرى السياحية والمنتزهات والفنادق والمخيمات والمتاحف والمباني والمواقع الأثرية والتاريخية والأحداث والمعارض والمهرجانات والفنون والحرف والصناعات ومختلف الخدمات؛ ونصنفها تبعا لخصائص مشتركة إلى:

¹. نبيل الروبي، نظرية السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص ص6057.

². نعيم الظاهر، سراب إلياس، مبادئ السياحة، دار المسيرة، عمان، 2007، ص 141.

³. يسرى دعبس، الجذب السياحي، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، الإسكندرية، 2001، ص ص7068.

مرغبات تاريخية وأثرية¹، مرغبات دينية، مرغبات إجتماعية، وهناك عوامل أخرى إجتماعية لها تأثير كبير في عملية الجذب السياحي يمكن جمعها في:

الإقامة، المواصلات، حجم المعلومات والمعارف المتوفرة، الإستقرار الاجتماعي والإقتصادي والسياسي في البلد محل الزيارة، مستوى التسهيلات.

3. عناصر ومتطلبات التنمية

قبل التطرق لعناصر ومتطلبات التنمية وتبيان طبيعة ونوع العلاقة بين السياحة والتنمية ومظاهر تأثير النشاط السياحي في التنمية؛ نعتقد أنه يجدر بنا أولاً تعريف التنمية وعناصرها ومتطلباتها.

تعريف التنمية: نقول أن التنمية لغة: هي النماء؛ أي الإزدياد التدريجي، يقال تنمية الشيء: أي جعله نامياً²، ونما المال نمواً أي تراكم وكثر؛ كما يستخدم مصطلح التنمية بمعنى الزيادة في المستويات الإقتصادية والإجتماعية وغيرها³، وإصطلاحاً تعرف التنمية على أنها:

" عملية تغيير في البنية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية للمجتمع وفق توجهات عامة لتحقيق أهداف محددة تسعى أساساً لرفع مستوى معيشة السكان في كافة الجوانب"⁴؛ أي: " عملية تحرر إنساني تشمل تحرير الفرد من الفقر والقهر والإستغلال وتقييد الحرية، كما تشمل تحرير المجتمع من دُلال الإعتقاد على الخارج وتخليصه من التبعية بكل ما تحمله من إستغلال وتقييد للإرادة الوطنية وهشاشة أمام الصدمات الخارجية"⁵.

بهذا يظهر أنه من خصائص التنمية إحداث تغييرات جذرية في مختلف الجوانب مع الإستغلال الأمثل لكل ما هو متاح سعياً لتحقيق نمو المجتمع وتطوره، وبهذه الصورة فإن التنمية تتجلى في: " عملية متعددة الأبعاد تتضمن إجراء تغييرات جذرية في الهياكل الإجتماعية والسلوكية والثقافية، والنظم السياسية والإدارية جنباً إلى جنب، مع زيادة معدلات النمو الإقتصادي، وتحقيق العدالة في توزيع الدخل الوطني، واستئصال جذور الفقر المطلق في مجتمع ما"⁶؛ ومن أجل تحقيق زيادة في معدلات النمو فإن التنمية تكون بالضرورة: " عمليات مخططة وموجهة تحدث تغييراً في المجتمع لتحسين ظروفه وظروف أفراد من خلال مواجهة مشكلاته وإزالة العقبات وتحقيق الإستغلال الأمثل للإمكانات والطاقات لتحقيق التقدم والنمو للمجتمع والرفاهية والسعادة

1. نعيم الظاهر، سراب إلياس، مرجع سابق، ص 141.142.

2. المنجد في اللغة والإعلام، ط 26، دار الشروق، بيروت، 1982، ص 840.

3. إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام مفاهيم مناهج وتطبيقات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص 59.

4. أحمد رشيد، التنمية المحلية، دار الجامعة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1986، ص 14.15.

5. إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير (دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها)، دار الشروق، ط 2، مصر، 2001، ص 94.

6. رمزي علي إبراهيم سلامة، اقتصاديات التنمية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1991، ص 197.

للأفراد¹؛ وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها؛ محدثة فيها تغيرات جذرية شاملة محققة إنتقال المجتمع من الحال الذي هو عليه فعلا إلى حال أحسن وفق مجهودات مخططة ومنظمة للأفراد والجماعات والسلطة العامة.

. **متطلبات التنمية:** متطلبات عديدة من أجل تحقيق التنمية نجتمعها في:

الجانب التنظيمي: تحتاج التنمية إلى تغير هيكلية في مختلف الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وغيرها، وتغير هيكلية في السياسات المعتمدة وفي قواعد وطرق التسيير، واستغلال أمثل لكل ما هو متاح من موارد وإنشاء مؤسسات جديدة مالية ومصرفية وإقتصادية قادرة على تدعيم الإدخار وتعبئة قدراته الكامنة في المجتمع، وتوجيهه واستغلاله في استثمارات جديدة أو في تنمية وتطوير الموجود منها.

إن عملية التنمية تحتاج إلى إزالة كافة القيود الإدارية والتنظيمية والتشريعية والسياسية التي قد تقف عائقا أمام الوصول إلى أقصى كفاءة ممكنة، وبالتالي ضرورة تكاثف الجهود مع توفر قناعة تامة لدى الجميع بالسياسات والبرامج التي تعتمد، مع رعاية كلية من قبل السلطات العامة بسياسات واقعية شاملة ومتكاملة، وجهاز تنفيذي كفء وإدارة دون عوائق بيروقراطية، ومجتمع مستعد يود ويسعى جاهدا إلى التطور والرقي، وتحديد دائم للقوانين والتشريعات التنظيمية، خاصة منها المتعلقة بالإدارة والإستثمار وبالجوانب المالية والضريبية والجمركية...، وكل هذه الأسس التي اعتبرناها جانب تنظيمي هي متطلب أساسي لتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة.

561

الجانب السياسي والإقتصادي: إن الإستقلال الكلي للبلاد مطلب أساسي لتحقيق التنمية؛ ويقصد هنا إستقلال سياسي وإستقلال إقتصادي وإستقلال إجتماعي، بل إستقلال التنمية في حد ذاتها بمخططاتها وأفكارها وسياساتها، لأنه بدون إستقلال كلي لا يمكن بأي حال تحقيق التنمية الشاملة المستدامة التي تنقل المجتمع من حالته إلى وضع أحسن، ونقول مع التأكيد إن الجميع يقر بأن:

..الإستقلال السياسي يمكن من تحديد السلطة الحاكمة وفق إرادة الشعب وبالتالي تكون قادرة على صيانة القرار الوطني واختيار الأنسب واعتماد تنمية نابعة من المجتمع مراعية لمقوماته لا تقليد سلبى فيها ولا تبعية ..والإستقلال الإقتصادي يمكن من صيانة القرار الوطني في الجوانب الإقتصادية وتسيير الموارد المتاحة وتوجيهها وإستغلالها بالشكل الأمثل لصالح كل أفراد المجتمع.

الجانب الإجتماعي: إن التنمية الإقتصادية تتطلب تغييرا في القيم والعادات السائدة، وفي سلوك الأفراد ونظرتهم للعمل والنشاط الإقتصادي، وهذا يقتضي تغييرا جذريا في الأفكار والعلاقات بما يؤثر في اختيار المسيرين الذين يستطيعون تقديم الإضافة في العملية التنموية، بالإضافة إلى الإستقلال الإجتماعي الذي يمكن

¹ . محمد شفيق، التنمية الاجتماعية؛ دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص19.

من بناء مجتمع متلاحم ناضج وواعي يكون سندا قويا للسلطة الحاكمة المختارة من أجل تحقيق التنمية الشاملة المستدامة.

الجانب الثقافي: تتطلب التنمية تحسنا في المستوى العلمي والثقافي لكل أفراد المجتمع بما يمكنهم من استيعاب احتياجات التنمية وأهدافها وبذل الجهد الكافي لذلك، وهذا بدوره يتطلب تغييرا هيكليا لنظام التعليم في مناهجه وتطبيقاته وتخصصاته؛ بما يمكن من خلق عقلية علمية مثقفة مبدعة قادرة على مسايرة التطور العلمي وصناعة التكنولوجيا وإدارتها، مستوعبة لواقعها ومحيطها وواعية بضرورة التغيير إلى الأفضل.

4. علاقة السياحة بالتنمية الاقتصادية

سنحاول تبيان طبيعة ونوع العلاقة بين السياحة والتنمية الاقتصادية من خلال النقاط التالية:

أ. **الأهمية الاقتصادية للسياحة:** لم تعد السياحة في عالم اليوم حاجة إجتماعية أو مجالا للترفيه والراحة والإستجمام بل أصبحت ترتبط بالتنمية الاقتصادية إرتباطا كبيرا، وتشكل قطاعا هاما وصناعة مميزة، وموردا أساسيا له أهميته التجارية والاقتصادية والسياسية والإجتماعية؛ تعتمد عليه الدول في تنميتها الشاملة وفي دعم مسيرة نموها الإقتصادي وفي تنوع مصادر دخلها؛ فهي تعتبر المورد الأول للمداخيل في العالم حيث تجاوزت مداخيلها مداخيل صادرات البترول ومشتقاته والآلات الالكترونية وكثير من السلع الأخرى، كما عرفت نموا أكثر سرعة من سائر القطاعات الاقتصادية، وأرتفعت إيراداتها السنوية خلال الفترة: 1983 . 1993 بنسبة 13%، بينما أرتفعت الخدمات التجارية بنسبة 10% وصادرات السلع بنسبة 7%، ووفق إحصائيات المنظمة العالمية للسياحة فإن النشاط السياحي حقق طفرة نوعية، وقفز عدد السياح الوافدين من 25 مليون سنة 1950 إلى أكثر من 278 مليون سنة 1980 لتصل إلى 528 مليون سنة 1995 ثم 698.8 مليون سنة 2000 و 1 مليار و 87 مليون سنة 2013، وتشير نفس هذه الإحصائيات إلى الأهمية المستقبلية لقطاع السياحة عالميا حيث تتنبأ بأن عدد السياح الوافدين في العالم سيتزايد بمعدل: 3.3 % سنويا خلال الفترة 2010 . 2030 ليصل إلى 1.8 مليار وافد سنة 2030، وقدر عدد الوافدين نحو الوجهات الناشئة بزيادة سنوية تقدر ب: 4.4 % مقارنة بالإقتصاديات المتطورة التي تزداد ب: 2.2 % سنويا، أي أن حصة الإقتصاديات الناشئة انتقلت من 30% سنة 1980 إلى 47 % سنة 2013 لتصل إلى 57 % سنة 2030 وهذا يعني أكثر من 1 مليار سائح دولي وافد، وبمراجعة الإحصائيات الحالية؛ فإن عدد الوافدين من السياح الدوليين في العالم زاد سنة 2013 ب: 5 %، وخلال الموسم السياحي 2014 قدر عدد الوافدين بأكثر من 460 مليون سائح بين شهر ماي وشهر أوت، وقد استقبلت الأماكن المقصودة حول العالم حوالي 317 مليون سائح دولي (زائر لليلة واحدة) بين شهر جانفي وشهر أفريل 2014، أي بزيادة 14 مليون سائح مقارنة بنفس الفترة من سنة 2013، وهذه الزيادة المقدر ب: 5 % تؤكد الزيادة الكبيرة التي سجلت بالفعل سنة 2013 (+ 5%) والتي فاقت بكثير المعدل المتوقع للمدى الطويل من قبل المنظمة العالمية للسياحة للفترة 2010 . 2020 والمقدر ب: + 3.8 %، وبالنسبة لمجمل المقبوضات السياحية العالمية فقد

بلغت سنة 2014 مبلغ 478.8 مليار دولار، لتصل سنة 2013 إلى 1159 مليار دولار ومن المتوقع أن تصل عام 2020 نحو 2000 مليار دولار.¹

إن هذه الصورة تبين بوضوح أن السياحة حققت نمواً متسارعاً اعتباراً من سنة 1950؛ وكما سبقت الإشارة أضحت صناعة متكاملة تتضمن التخطيط والتنظيم والإستثمار والتشييد والإنتاج والترويج والتسويق؛ وهي صناعة متعددة المراحل تعتمد على مخرجات قطاعات أخرى بل تتفاعل وتتشابك معها لأنها تقوم على أساس مخرجاتها وبالمقابل تساعد وتدعمها وتنميها، ومستوى أداء القطاع السياحي يعتمد بشكل مباشر على زيادة الإنتاجية في باقي القطاعات التي تتصل به والخدمات التي تتفاعل معه؛ خاصة منها مرافق الإقامة والنقل والطرق وشبكة الإتصالات وخدمات الكهرباء والمياه والبنوك والخدمات الصحية والمطاعم والفنادق وحتى القطاعات المنتجة مثل القطاع الزراعي والصناعي وغيرها، لأنه لا يكفي إقامة أو تهيئة وتطوير المواقع السياحية إذا لم تكن لها طرق ومنافذ ويتعذر الوصول إليها أو كانت هذه المواقع تفتقر للخدمات الضرورية، وعلاوة على ذلك فإن قطاع السياحة ينشط الحركة ويجلب الإستثمارات اللازمة لتطوير الخدمات الأساسية في محيط المواقع السياحية وبالتالي يعطي حافزاً قوياً لتنمية القطاعات الأخرى.

ب . مظاهر علاقة قطاع لسياحة بالتنمية الإقتصادية: لا جدال في أن هناك علاقة وثيقة بين تنمية قطاع السياحة والتنمية الإقتصادية بمفهومها الشامل، ويتجلى هذا بوضوح في مجال البنية التحتية للإقتصاد وإقامة الكثير من المرافق وجلب العملة والمساهمة في تقليص حجم البطالة، وتنمية العلاقة بين قطاع السياحة والقطاعات الأخرى، ونقل التكنولوجيا، وتقنيات التسيير الحديثة، وتطور المستوى الثقافي والإجتماعي، وتحقيق التوازن الجهوي، وتحسين الهياكل والمنظر العام والتهيئة العمرانية للبلد.

5. متطلبات التسويق السياحي للمواقع الأثرية

تعتبر المواقع الأثرية من المنظور الثقافي كنزاً حضارياً ثميناً؛ تجسد شاهداً ورمزاً صادقاً عن الإبداع الإنساني ورؤاه الفنية عبر مسيرة التاريخ الحضاري الإنساني، تعمل على إبراز عناصر الفن والجمال والتميز والإبداع والأصالة²، ومن المنظور الإقتصادي والإجتماعي تعتبر مصدراً لمنافع إقتصادية وإجتماعية عديدة؛ فهي مورداً إقتصادياً هاماً يمكن من تحقيق تنمية شاملة مستدامة، وأساساً إجتماعياً ينمي روح الإلتواء والهوية للشعوب بتمسكها بحضارتها وتراثها³، فأهميتها تنبع بصورة رئيسة من القيم والمعاني والدلالات الثقافية والتاريخية والفنية والإجتماعية والإقتصادية التي تجسد تاريخ الأمم والشعوب، ومختلف الثروات غير المادية مثل نوع المناخ وجمال الطبيعة، ونوعية الأماكن التاريخية والأثرية؛ وبالتالي فهي تتمتع بإمكانيات كبيرة لتحقيق عوائد مادية غير

¹ - UNWTO, **Faits saillants OMT du tourisme**, Edition 2014. (mkt.unwto.org)

² . قسيمة كباشي حسين، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، المروة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2005، ص 27.

³ - Enskeep. E, **Tourism planing An integrated and sustainable development**, Van Nostrand Reinhold, New York. 1991, P34.

محدودة إذا ما أحسن إستغلالها وتسويق منتوجها، الأمر الذي يشكل دافعا أساسيا للإهتمام بها والعمل على تخطيطها وتهيتها، ويقصد بتخطيط المواقع الأثرية والمعالم التاريخية سياحياً: " كافة الإجراءات المؤدية إلى وضع أهداف ممكنة التنفيذ من الناحية البيئية وعلى ضوء الموارد الثقافية (التاريخية والأثرية) والموارد البشرية والموارد المالية المتاحة وفق الأولويات المحددة " ¹.

ولأن تطوير النشاط السياحي يتحقق عبر التسويق السياحي الذي يُمكنُ من إبراز المقومات السياحية ويساعد في جذب السياح وتحريك دوافعهم السياحية، لهذا نحاول التطرق لكيفية تسويق المواقع الأثرية لتحقيق التنمية.

وقبل ذلك نشير أن التسويق السياحي يعرف على أنه: " نشاط إداري وفني تقوم به المنشآت السياحية داخل الدولة وخارجها وذلك في سبيل تحديد الأسواق السياحية المرتقبة والتعرف عليها والتأثير فيها، بهدف تنمية وزيادة الحركة السياحية القادمة منها وتحقيق التوافق بين المنتج السياحي ودوافع السائحين " ² وهو يتجسد في: " مجموعة من الإستراتيجيات التي تسمح بتوجيه المنتج السياحي إلى مستهلك معين (السائح)، وهذا المنتج يستجيب للمتطلبات الكمية والنوعية " ³ أي يتجسد في كل: " الجهود والأنشطة المنظمة التي يتم تأديتها بتناغم مدروس من قبل كافة مقدمي الخدمة السياحية بعناصرها وأجزائها المختلفة، والتي تهدف إلى إشباع أذواق المتلقين أو الراغبين في السياحة بشتى صورها " ⁴، يتضح بهذا أن السائح هو المحور الرئيسي لهذا النشاط، فالتسويق السياحي يبدأ بالسائح وينتهي به من حيث تحديد رغباته ودوافعه ومن ثم تقديم الخدمات التي تناسبه وبالسعر المغربي المتاح.

والتسويق السياحي بشكل عام وللمواقع الأثرية بشكل خاص لا يقتصر على مجرد عرض الخدمات أو البرامج السياحية، بل يبدأ بدراسة الأسواق المصدرة للسياح وتحديد إحتياجاتها من طبيعة ونوع المنتج السياحي وتلبية هذه الرغبات والإحتياجات بأعلى مستوى ممكن، ولا ينتهي عند هذا الحد بل يمتد إلى متابعة الرحلة السياحية لمعرفة درجة رضاء السياح عنها والمشاكل التي واجهتهم خلالها، وبهذه الصورة يختلف عن تسويق السلع المادية تبعا لطبيعة وخصائص منتجات كل منهما.

ويظهر هذا الاختلاف في أن:

- التسويق السياحي بشكل عام وللمواقع الأثرية بشكل خاص يعتمد في نشاطه على وسائل إعلامية وإشهارية تبرز الأهمية السياحية لبلد أو منطقة ما أو موقع أثري ما، في حين لا تكفي هذه الوسائل بالنسبة للمنتجات والسلع المادية التي قد يحتاج المستهلك إلى لمسها وتذوقها...

¹ عيدان محمد، الإستثمار السياحي، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص ص 81-87.

² مصطفى عبد القادر، دور الإعلان في التسويق السياحي (دراسة مقارنة)، المؤسسة الجامعية، بيروت، 2003، ص 195.

³ - Gérard tocquer, Michel zins, **Marketing Touristique**, édition aska, France, 1994, P3.

⁴ . محمد عبيدات، التسويق الحديث مدخل سلوكي، دار وائل للنشر، عمان، 2000، ص 18.

- التسويق السياحي يعتمد على العرض السياحي، خلاف السلع المادية تتصف بالمرونة والقابلية للتغيير بسهولة، مع إمكانية إنتاج سلع جديدة تتماشى ورغبات المستهلكين.
 - التسويق السياحي يعتمد على إثارة الدوافع لدى السائح المرتقب، بينما يقوم التسويق السلعي على دراسة حاجات ورغبات المستهلكين المشتريين ودوافعهم حتى تنتج السلع التي توافق هذه الحاجات والرغبات.
 - التسويق السياحي يعتمد على إستقطاب عدد كبير من السياح لزيارة المنطقة أو الموقع الأثري موضوع التسويق السياحي، بينما تسويق السلع المادية يعتمد على إنسياب السلعة إلى المستهلك.
- لهذا يمكن القول أن تسويق المواقع الأثرية تختلف غيرها من المواقع السياحية عن عملية تسويق المنتجات الأخرى، فهي تبدأ بالمنتجات نفسها لأن هذه المواقع الأثرية موجودة ولن/ولم/ يتم تصنيعها، بل فقط يجب إستخدام مميزاتا مباشرة دون محاولة تغييرها لتناسب مع رغبات المستهلك، مع ضرورة تحضير الموقع أي وضعه في صورة مناسبة حتى يلبي حاجة الجمهور الزائر ويتلاءم مع توقعاتهم ويجعل الزيارة أكثر تشويقا ومتعة، ويجعل الموقع بمكوناته أكثر راحة وسهولة للحركة وأسهل للوصول إليه.
- بمذه الصورة يكون التسويق السياحي للمواقع الأثرية عاملا أساسيا لتحقيق التنمية لما يقوم به من دور هام في الترويج للمنتج السياحي والخدمات السياحية، ويشكل من خلال الدعاية والإعلان متطلبا أساسيا من أجل خلق رغبات ودوافع إستهلاك المنتج السياحي وتوسيع السوق السياحية وجذب أكبر عدد ممكن من طالبي هذه الخدمات.
- ولا مناص من التأكيد أن التسويق الناجح هو الذي يخلق الإتصال المستمر بين صناعة السياحة ومستهلكيها مما يقتضي وجود تخطيط متكامل طويل الأمد وخطة شاملة عملية فضلا عن الجهود التي تتم على مستوى النشاط الفردي من خلال الشركات السياحية والفندقية، زيادة عن الجهود المشتركة لمختلف الهيئات التي تلعب دورا هاما في ترويج المنتج السياحي خاصة في المناسبات مثل المهرجانات والمؤتمرات وغيرها.
- ونشير على ضرورة تحضير وتكييف الموقع الأثري ليصبح جاهزا للنشاط السياحي؛ أي أن يصبح جاهزا للإستخدام من قبل المستهلك (السائح) مع إحترام شخصيته وهويته وقيمه ومميزاته وعدم الإضرار به، ولهذا نؤكد على ضرورة وضع حدود للموقع وتأمينه، وضع شعار للموقع (لوغو)، تأمين وسائل نقل مناسبة، تأمين مواقف لوسائل النقل، تحديد رسوم الزيارة، تأمين الخدمات اللازمة لراحة الزائر، تحضير الأدلاء وتنظيم عملهم، وضع نظام للتوجيه، تنظيم جولات سياحية محددة، تنظيم جولات سياحية متنوعة، تنظيم المناسبات الفنية والتجارية، تحضير مواد الدعاية والإعلان والإرشاد والتذكارات، تحضير حملات العلاقات العامة في وسائل الإعلام، تنظيم جائزة الموقع السنوية للصحافيين، تنظيم معارض وأسابيع سياحية.

خاتمة

في الأخير نقول أن السياحة الأثرية تتجسد عموما في زيارة الأماكن والمواقع الأثرية والمعالم التاريخية بما لها من مقومات الجذب، واكتشاف الصناعات التقليدية وعادات وتقاليد شعوب ومجتمعات أخرى، سعيا لإشباع المعرفة من الصور المميزة والماضي الحضاري وقراءة التاريخ، والتمتع بما هو متاح من تراث قديم للبشرية ومعايشة الشعوب المختلفة بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وفنونها وقيمها وأساليب حياتها، وباستخدام التسويق السياحي الذي سبق تعريفه بعد توفير متطلباته تبرز مكانة هذا النوع من السياحة (السياحة الأثرية) في تنشيط الكثير من القطاعات الأخرى التجارية والصناعية والخدمية من خلال مساهمته في زيادة إستثمارات جديدة وتنويعها وبالتالي تطوير وتنمية الكثير من المناطق ومنه تلبية الكثير من حاجات المواطنين وتحسين معيشتهم وإنعاش حياتهم وتحقيق رفاهيتهم وهذا ما يجسد أهداف التنمية الإقتصادية.

السياحة سبيلا للثقافة

من المعطى الثقافي إلى العمل التنموي المستدام

أ. خيرى نوح

جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله

أ. سيفون فريال

جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله

الملخص:

نحاول في هذه الورقة العلمية الانتقال من بدهة التساؤل في عجز البعض عن تقديم نموذج سياحي متكامل، يستوعب الإمكانيات البشرية والمادية، إلى البحث عن المانع من توافق سياسات التنمية وما سُخِرَ للسياحة من موارد، وتحقيق الغاية، ونُدّعي من وجهة نظرنا أنّ هذا الإشكال هو ثقافي بحت.

موضوعنا هو مقارنة نظرية للبحث عن سبل الارتقاء بالسياحة من المعطى الوظيفي إلى المعطى الحضاري، وفي ما يجعل السياحة باب الحضارة على ذاتها، والتأكيد على ضرورة تجاوز ممانعة الثقافة المحلية للآخر، من خلال تحصين التراث المادي واللامادي، وفي صون "الأنا" من الانحلال في مواجه "الهو"، ثمّ الارتقاء في هذا المسار من جعل ما كان مانعا أسه الثقافة، مورداً للسياحة اللامادية، ومكاملة المادي منها كالتراث، وواجهة لتقابل الثقافات وتعريف الحضارات فيما بينها، هذا ما يدعونا إلى اقتراح نموذج يصلح لأن يجعل السياحة سبيلاً للثقافة والتنمية والمستدامة.

الكلمات المفتاحية: تجاوز الممانعة الثقافية، صون النموذج الثقافي، سياحة المادي واللامادي، التراث والثقافة، التعارف والثقافة الحضاري، السياحة الثقافية المستدامة.

مقدمة:

أصبح موضوع السياحة من بين المواضيع التي تثير تفكير الباحثين في المجال العلمي والمتخصصين في القطاع السياحي، وهذا لأهمية الظاهرة من بعدها الاقتصادي والاجتماعي في عائداتها التنموية المستدامة. ويعد البعد الثقافي روح الظاهرة السياحية ومبعثها، إذ تشكل الثقافة الجدار الاستنادي لأي عملية تنموية ذات رؤية مستدامة.

في الوقت الراهن تعد السياحة مأسسة الثقافة وتلاقح الحضارات، هذا ما يجعلها مشروع ثقافي مورد رابع إضافة إلى الموارد الطبيعية والبشرية والمادية، قابلاً لترويجه ومصدراً للإستثمار الإقتصادي، مستهدفاً النجاعة الفعالة وليس الحقيقة.

وعليه ارتأينا من خلال مقاربتنا النظرية لظاهرة السياحة في بعدها الثقافي بلوغ فهم علمي متجاوزاً بساطة تناوله مؤسساً روح نقدية حركية مساهمة في إيصال رؤية تصورية عملية تساهم في تنمية فعالة للموضوع. وهذا كله انطلاقاً من تساؤل دراستنا وهو: كيف يمكن للسياحة أن تكون سبيلاً للثقافة؟ أي كيفية الانتقال من المعطى الثقافي إلى العمل التنموي المستدام؟

1- في تجاوز الممانعة الثقافية:

لعلّ أهم مانع عن فعل سياحي تنموي ليس نقص الإمكانيات المادية أو البشرية، بقدر ما هو التحصن وراء ذريعة الخوف من الآخر، أو بالأحرى الخوف من انحلال الأنا في مواجهة الهو القادم من بعيد، بثقافته الجديدة والمغرية أحياناً، الجذابة جاذبية اللامعهود والجديد.

فمن مفهوم الممانعة الثقافية الذي يعني التحصن ضد كل ما من شأنه أن يحدث حرقاً أو شرحاً في أهم تجليات العملية الثقافية، بالطرق غير الطبيعية التي تتكون بها العناصر الثقافية في الثقافات المختلفة¹، إلى مفهوم الممانعة الثقافية الذي يتحول إلى المعطى السلبي للمفهوم، من خلال سلوكيات وممارسات غير اندماجية وتوافقية مع الآخر، تغذيه ارتياحات مبنية على أساس عدم معرفة الأنا لذاته الثقافية، معرفة تسمح له من تحصين حدوده، والتفاعل مع السائح مثاقفة لا انحلالاً.

إنّ البناء الثقافي للمجتمع قد يكون مانعاً حضارياً بقدر ما هو أساس حضاري، هذه المفارقة هي نتيجة لنوع التحضر الذي نبغي تبيئته في المجتمع من خلال مراعاة هذه الثقافة، أو تجاوزها وكأنها تقاليد بالية لا تقوم

¹ صلاح كاظم جابر، "المواطنة بين ثقافة المنع والممانعة الثقافية"، جامعة القادسية، العراق، دراسة منشورة بموقع:

<http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/2017/01/25>، تاريخ الاطلاع: 2019/01/25.

السياحة كمشروع حضاري بها، "وفي هذا الخصوص، يرى فوستر Foster George في أبحاثه حول الثقافات التقليدية وصدمة التغير التكنولوجي والحداثي، أن القيم والاتجاهات الثقافية التقليدية مثل: الكبرياء والكرامة والتمركز حول الذات، تشكل أخطر المعوقات في وجه النماء الحضاري لهذه المجتمعات"، هذه المقومات هي ما يجب استيعابه لا نفيه، إذا ما أردنا النهوض بالسياحة، لأنّ المشروع الذي لا ينبعث من الثقافة المجتمعية سيصطدم بها في ممانعة ثقافية قد تحيل مشروع السياحة إلى التقاعد من التنمية مبكراً¹.

2- صون النموذج الثقافي:

يقول دانييل باتريك موينيهان إن «الثقافة هي التي تحدد وتقرر نجاح وتقدم المجتمع وليس السياسة»، فالثقافة تتفاعل جوهرياً مع التنمية وتشكل المناخ الحيوي لكل فعل تنموي، وقد ألح ماكس فيبر على أهمية البعد الثقافي للتنمية والحضارة حيث كان يقول "إننا لو استطعنا أن نتعلم شيئاً من تاريخ التنمية الاقتصادية فإن ذلك الشيء هو أن الثقافة هي التي تصنع كل التغيرات والاختلافات"²، لذلك فبناء نموذج سياحي يجب أن يبنى على رصيد ثقافي واضح المعالم والحدود، من أجل أن تنبعث منه سلوكيات وممارسات حضارية منفتحة على الآخر يكون منطلقها مرجعيات راسخة وثابتة، ومتأسسة على مبدأ التقابل الحضاري والثقافي، ووضوح الغاية التنموية من السياحة.

حقيقةً، أنّ صون النموذج الثقافي لأي حضارة ينقل أفرادها من أن يكونوا سياحاً فقط لحضارات أخرى، إلى اكتساب ثقافة السياحة التي نلقن فيها حضارتنا للآخر من خلال معرفتنا الراسخة بذاتنا الثقافية، المتشربة للبعد التاريخي المتصالح مع نفسه المتقبل للاختلافات والتعددية الإثنية والعرقية واللّهجية، المتمسكة بقيم الوطنية المكتوبة والشفهية من أجل ترسيمها وتلقينها جيلاً بعد جيل، كل هذه المكتسبات هي ذخر سياحي وجب الاستثمار فيه، وربطه بغاية التنمية من خلال سبيل السياحة كمورد تنموي، كل هذا لا يتأتى إلا إذا بصونها في نموذج ثقافي من أجل مفاقة الآخر.

¹ شاربي محمود، خيرى نوح، "السياحة في الجزائر من الفعل إلى العمل ثم الثقافة - الاشكالات والآفاق"، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، البلدة، العدد العاشر، نوفمبر 2017، ص: 235.

² علي أسعد وطفة، "الممانعة الثقافية للتنمية في الوطن العربي"، مجلة المعرفة، سوريا، عدد 569، فبراير 2011، ص: 85.

لقد أصبح من الصعوبة بمكان تحقيق نجاحات فعلية في مجال التنمية من دون التركيز على البعد الثقافي لهذه التنمية، فثقافة التنمية تشكل مهمازا لانطلاق الحداثة والتقدم والحضارة، وهذا يعني أن الثقافة الحقيقية، أي ثقافة الانطلاق، تشكل الضمان الحيوي للعملية التنموية والحضارية برمتها¹.

3- سياحة المادي واللامادي: من التراث إلى الثقافة

من خلال تجاوز الممانعة الثقافية بصون النموذج الثقافي يتأتى لنا مقارنة مشروع سياحي حضاري، ينبعث على أساس مادي، كتقديم التراث الحضاري كقيمة سياحية جاذبة غير متكررة باعتبارها لازمة حضارية. تنصل السياحة التراثية بالبحث في ما بعد الحداثة عن الأصالة كما يقول ماك كانيل (1999)، وتركز سياحة التراث على المواقع التاريخية والثقافية بصفتها وجهات سياحية حيث يعرض أسلوب حياة خاص بمرحلة تاريخية أو مجموعة محددة، فيقوم المضيفون في بعض المواقع بارتداء أزياء ذلك الزمان وقد يقومون بتمثيل أسلوب الحياة الذي اتسمت به الحقبة التاريخية المعنية، أو أداء المسرحيات الثقافية أمام السائحين². في حين يمكن أن تكون حالة اكتمال صون هذا النموذج الثقافي في جعل هذا النموذج هو مطلب السياحة الخارجية، ومكاملة للسياحة المادية التراثية، يمكن أن تصبح الثقافة في حد ذاتها مورداً سياحياً ومقصداً لذاتها. والسياحة الثقافية نوع أنواع السياحة حيث يكون هدفها ثقافة الشعب الذي تتم زيارته (Van 1994) dcن Berghe فعلى سبيل المثال، قد يزور السياح القرى العرقية الرؤية كيف تعيش جموع السكان، وقد يؤدي هذا بدوره إلى عروض من الأصالة المحلية حيث يقوم المضيف بعرض ثقافته أمام السياح (مثل الرقص والحرف التقليدية)، ففي بعض الحالات يمكن أن يؤدي هذا إلى تجديد النشاطات التقليدية المتلاشية والمتاجر بها. وتعد السياحة الثقافية عاملاً مهماً في البحث عن الأصالة³.

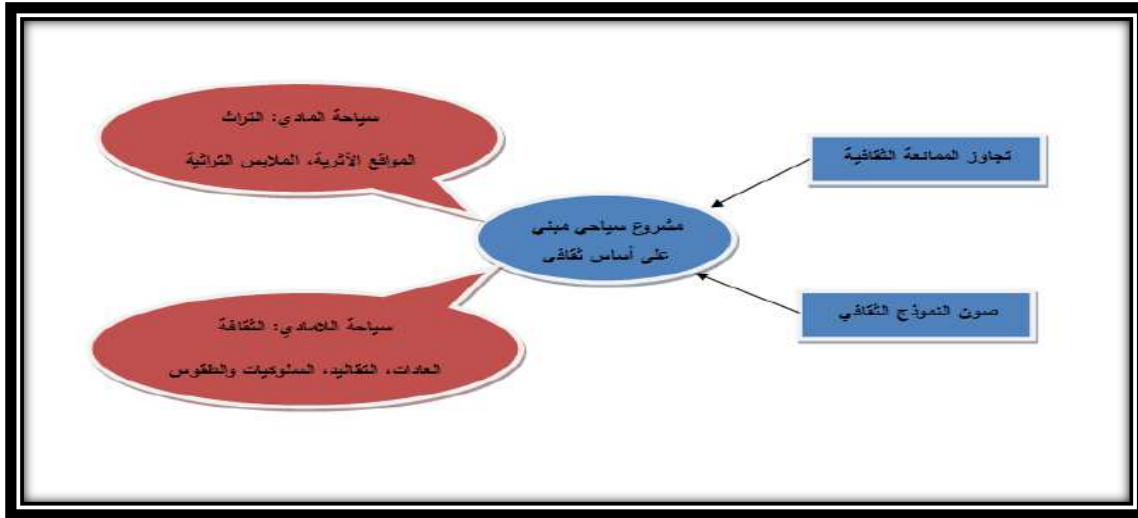
ويمكن تلخيص التحول من الممانعة الثقافية إلى صون النموذج الثقافي، ثم إلى السياحة المادي واللامادي من خلال الشكل التالي:

¹ علي أسعد وطفة، "ديناميات التنمية الثقافية في الخليج العربي- من ثقافة الممانعة إلى ثقافة الانطلاق"، مجلة آراء الخليج، مركز الخليج للأبحاث، العدد 70، يوليو 2010، ص: 34.

² أنابيل موني، بيتسي إيفانز، العولمة المفاهيم الأساسية، ترجمة أسيا دسوقي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص: 182.

³ أنابيل موني، بيتسي إيفانز، مرجع سابق، ص: 182.

الشكل رقم (01): في التحول من إشكال ثقافي إلى مشروع سياحي



المصدر من إعداد الباحثان

4- السياحة واجهة تقابل الثقافات: من التعارف إلى التثاقف الحضاري

الممارسة السياحية مرتبطة مباشرة بالجانب الثقافي لأي مجتمع، فثقافة المجتمع مسؤولة عن تنظيمه واستقراره، والانسجام الاجتماعي مرهون بالتوازن الثقافي والنسق القيمي، وينتج عن اندماج الثقافة بالسياحة تألق جاذبية الوجهة السياحية، باعتبار أن هناك طلبا متزايدا للسياحة الثقافية من خلال مشاركة السائح في الحياة اليومية للسكان المحلي، وبهذا تصبح السياحة عامل لحفظ والتراث المحلي وتثمينه، وتجاوز الدونية للمجتمعات خاصة العربية منها. بترسيخ الهوية وإعلاء قيم وحدود الثقافة المجتمعية لحمايتها من الاختراق الثقافي والعولمة الثقافية. يعمل التثاقف على تحويل المجتمعات المغلقة إلى مجتمعات منفتحة، فالتقاء الحضارات واختلافها وتداخلها هي عوامل تقدم، وعدم التجانس في الجماعة السائحة والجماعة المستقبلية لها أو المحلية يخلق التنوع الذي هو ضروري¹.

يقودنا مفهوم تقابل الثقافات بين السواح والسكان المحليين إلى مفهوم آخر وهو التعارف الحضاري المحدث التثاقف بالفعل السياحي، حيث اعتلت مسألة التثاقف أهمية كبيرة في مجال النقد الثقافي المقارن، خاصة مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وهذا للظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر بين جماعتين من الأفراد مختلفين في الثقافة مع ما تجره من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية لدى إحدى المجموعتين أو كليهما، وهذا ما يؤدي بنا إلى القول إن لسياحة الثقافية تكون واجهة لتقابل الثقافات وتأثرها ببعضها البعض

¹ بن معمر بوخضرة، "التعايش من الاختراق الثقافي إلى التثاقف الحضاري"، مجلة الفكر المتوسطي، العدد 8، ماي 2014، ص: 141.

نتيجة التواصل الثقافي، وأهم جامع لكل هذه الأنساق المكونة للدول والشعوب والحضارات هو إمكانية التعارف والتعايش فيما بينها.

وتؤدي السياحة إلى إحداث تعارف بين الحضارات هنا تحدث علاقة تجمع بين ثقافة الأنا وثقافة الأنا الذي ليس أنا، قال تعالى في سورة الحجرات: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"¹ والتأمل الفاحص لهذه الآية يكشف لنا حقائق كلية ذات أبعاد إنسانية عامة نتوصل منها لمفهوم تعارف الحضارات، والقصد من ذلك هو الإقرار بالتنوع الإنساني كحقيقة اجتماعية وقانون تاريخي، فتنوع الناس إلى شعوب وقبائل وتكاثرهم في أرجاء الأرض لا يعني أن يتفرقوا وتتقطع بهم السبل ويعيش كل شعب وأمة وحضارة في عزلة وانقطاع، كما لا يعني التنوع أن يتصادم الناس ويتنازعوا فيما بينهم وإنما ليتعارفوا². وعليه الانتقال من التعارف بين الحضارات إلى التثاقف فيما بينها تأسيسا للشراكة الحضارية وتبادل المعرفة والخبرة، وتجاوزا للاعتراف فقط بالحضارات وتنوعها، فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة، وإنما إلى استنهاض الحضارات كافة بفعل سياحي ثقافي ذات بعد عملي استمراري لا انقطاعي، أبدي لا آني، حفاظا على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني ناقلا للموروث التاريخي.

5- السياحة الثقافية أفقا للتنمية المستدامة:

أصبحت الثقافة في الوقت الراهن معطى ومورد تسويقي، يجعل من السياحة مشروع لا مركزي مستدام بالعمل التنموي اللامنتقطع، إذا ما أحسن استغلاله والاستثمار فيه من طرف كل عضو فعال في المجتمع، لا الرسميين فقط في القطاع، بل هو نسق تراكمي من طرف التجار وأصحاب المهن الحرفية، والصناعات التقليدية، والفنادق والسكان المحليين، أي مشروع مجتمع يجهد متواصل لا متناهي، يحمل في سياقه ثقافة السياحة.

يأتي تأكيد تعميق الوعي بمردودية الاستثمار في قطاع السياحة الثقافية في الوطن العربي، لما له من إسهامات جمة في تحقيق التنمية المستدامة، وهذا وفق استراتيجية تنمية السياحة الثقافية حماية للهوية الحضارية والإعتزاز بمؤهلاتها التراثية وتنوعها الثقافي المتسم تاريخيا بروحه المنفتحة، وهذا لا يتحقق إلا برصد المزيد من الجهود والإمكانات المادية واللوجيستكية لتطوير السياحة الثقافية وتنميتها وفق خطط تنموية متكاملة تتأسس على

¹ القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

² زكي الميلاد، تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة، التأسيس، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 2، العدد 1، 21 فيفري 2013، ص: 18.

رؤية محددة، ذات عملية واضحة وخلاقة¹، تساهم في إحداث مجالات جديدة من مجالات التنمية المستدامة، وتسمح بتوفير الشروط الموضوعية للتواصل المتكافئ مع شعوب العالم، إلى جانب تحقيق ولوج فضاءات العولمة الثقافية والسياحية بثوابت قوية، وقناعات حديثة متمسكة بقيمها وجذورها أي الأصالة والمعاصرة.

التطور والتقدم وفق رؤية استشرافية استراتيجية مستقبلية للسياحة الثقافية يجعلها أفقا للتنمية المستدامة، مما يمكن الحضارة العربية خاصة من التوفر على عناصر دفع أساسية وإضافية في الجانب الاقتصادي، يجعلها تحتل مكانة مهمة ورائدة على مستوى الخريطة السياحية العالمية أي الانتقال من القرية السياحية إلى القارة السياحية العالمية بالنظر ما تحظى به من مخزون تراثي، مؤهل لمضاعفة مردودياتها التنموية ببعديها الاقتصادي والاجتماعي والارتقاء بها إلى مستوى متقدم ينسجم مع خصوصياتها التاريخية والحضارية².

وفيما يلي نلخص في الشكل التالي الأساسيات التي تجعل السياحة الثقافية أفقا للتنمية المستدامة:

الشكل رقم (02): السياحة الثقافية بديل حضاري للتنمية المستدامة



المصدر: من اعداد الباحثين

¹ استراتيجية تنمية السياحة الثقافية في العالم الإسلامي، ايسيسكو، دراسة منشورة في موقع: <http://www.isesco.org.ma> 2015/05، تاريخ الاطلاع: 2019/01/02، 10:22، ص: 20.

² نفس المرجع، ص: 20.

خاتمة:

ونختم دراستنا بالقول والتأكيد أنه الفرق بين الحديقة الغناء والصحراء ليس الماء وإنما العنصر البشري الذي يعتبر أهم مورد يصنع السياحة الثقافية، التي تعتبر ثروة تراكمية لا متناهية من البعد الثقافي، قوية في بعدها البشري، دائمة في بعدها الطبيعي، مشروع فعال ومضاعف المردودية في بعدها الاقتصادي، من هنا يأتي تأكيد تبني نظرة مستقبلية تسعى إلى تحويل قطاع السياحة الثقافية إلى قاطرة أساسية للتنمية المستدامة، للظفر بمكانة محلية وعالمية مرموقة، وإزالة ما يواجهها من عقبات وصعاب، بتبني ثقافة القطاع السياحي هو مشروع مجتمع بأكمله، بالانتقال من الفكرة إلى الخبرة وصولاً إلى التأسيس العملي في أرض الواقع. ما يجب التوصل إليه من خلال إقامة مشروع سياحي تنموي هو رأسمال سياحي يساعد على إعادة إنتاج تمثلات وتصورات سياحية تؤدي إلى إقامة نوع من النموذج المثالي للسياحة الثقافية يحمل خصائص ومميزات معينة لكل إنتاج ثقافي.

المراجع:

1. صلاح كاظم جابر، "المواطنة بين ثقافة المنع والممانعة الثقافية، جامعة القادسية"، العراق، دراسة منشورة بموقع: <http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/2017/01/17:25>.
2. شاري محمد، خيرى نوح، "السياحة في الجزائر من الفعل إلى العمل ثم الثقافة - الاشكالات والآفاق"، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، البلدة، العدد العاشر، نوفمبر 2017.
3. علي أسعد وطفة، "الممانعة الثقافية للتنمية في الوطن العربي"، مجلة المعرفة، سوريا، عدد 569، فبراير 2011.
4. علي أسعد وطفة، "ديناميات التنمية الثقافية في الخليج العربي - من ثقافة الممانعة إلى ثقافة الانطلاق"، مجلة آراء الخليج، مركز الخليج للأبحاث، العدد 70، يوليو 2010..
5. أنابيل موني، بيتسي إيفانز، العولمة المفاهيم الأساسية، ترجمة أسيا دسوقي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009..
6. بن معمر بوخضرة، "التعايش من الاحتراق الثقافي إلى التناغم الحضاري"، مجلة الفكر المتوسطي، العدد 8، ماي 2014.
7. القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.
8. زكي الميلاد، "تعارف الحضارات: الفكرة، الخبرة، التأسيس"، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 2، العدد 1، 21 فيفري 2013.
9. استراتيجية تنمية السياحة الثقافية في العالم الإسلامي، ايسيسكو، دراسة منشورة في موقع <http://www.isesco.org.ma> 2015/05

دور المتاحف الوطنية العمومية بالجزائر في الحفاظ على الهوية الوطنية

تجربة المتحف الوطني العمومي بتبسة- الطفل مجالا

د. دوادي فرادي

جامعة تبسة- الجزائر

د. مها عيساوي

جامعة تبسة- الجزائر

تمهيد

يعتبر المتحف في مقدمة المؤسسات الثقافية والتربوية التي يعتمد عليها رجال التربية المعاصرون في تطبيق أصور التربية الحديثة بعدما اكتشفوا أهمية المتحف في تطبيق أهداف التربية. و هكذا يضطلع المتحف بدور تربوي كبير إذا ما احسن إشراكه في العملية التعليمية التربوية، إذ يسهم في تنمية الحس الحضاري والشعور الإنساني بين الأفراد الذين ينتمون إلى دائرة ثقافية مشتركة، ومن هنا تنمو مظاهر الإحساس بمبادئ الهوية المشتركة بينهم. ويضطلع المتحف بدور فعال في تنمية الحس الحضاري والشعور الإنساني والواجب الأخلاقي والالتزام بالمحافظة على آثار الأمم الماضية، ومن هنا تتجلى وظيفة المتحف الحضارية والتعليمية والتربوية والفنية والجمالية والأخلاقية والوطنية والسياحية، مما يؤكد على نبل مهمتها في الحياة المعاصرة ودورها الكبير في سبيل المحافظة على التراث والاسهام في إعداد إنسان المستقبل الواعي بتاريخه والمتمن له.¹

ومن هنا حري بنا أن نتساءل في البداية عن الدور التربوي الذي يقوم به المتحف مع النشء.

لقد برزت وظيفة المتحف التربوية والتعليمية منذ نشأته مقرا لعرض مخلفات الشعوب البائدة وإبراز مكانتها وعظمتها عبر التاريخ، وعندما تأسس المجلس الدولي للمتاحف (الإيكوم) سنة 1948 اعتبرت وظيفة المتحف التربوية من أهم وظائفه الأساسية، وفي مقدمة أولوياته التعريف بمعرضاته وإبرازها لجمهور الشباب بشكل خاص، والطرق المتبعة في قيام المتحف بوظيفته التربوية كثيرة ومتعددة، ولكل متحف أسلوبه وطريقته المبتكرة في تنمية الإحساس بالهوية الثقافية لكل مجتمع شامل أو مونوغرافي، فبذلك ينمو المجتمع واعيا بتاريخه وحضارات الإنسانية جمعا.²

وفي هذه المداخلة سوف نعرض تجربة متحف أثري عقد جل عزمه على الاهتمام بالطفل وترسيخ القيم الوطنية والوعي بتاريخه وهو المتحف العمومي الوطني بتبسة بالجزائر.

¹ بشير زهدي، المتاحف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص ص 76 / 79.

² المرجع نفسه، ص 77.

1- تاريخ المتاحف في تبسة

1.1- متحف معبد مينارف (1889-1971)

ارتبط انشاء المتاحف في مدينة تبسة بتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر وبخاصة بعد احتلال الجيش الفرنسي لمدينة تبسة في 12 ماي سنة 1842 حيث قام العقيد نيقري (Nigrier) بترتيب الأوضاع الإدارية في المدينة وتثبيت سلطة الاحتلال الفرنسي فيها شأنها شأن بقية مدن الجزائر؛ فكان من أولوياته الاهتمام بالآثار القديمة وثلة من زملائه من الضباط العسكريين.¹ (ينظر الملحق رقم 01).

ويعد أول متحف يفتح أبوابه للزوار في مدينة تبسة هو متحف معبد مينارف وكان ذلك سنة 1889- وهو عبارة عن معلم أثري يعود انشاؤه لعهد حكم الأسرة السويوية (193-235م)- والذي اعتبر أيقونة متاحف الشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر بسبب كثرة معروضاته.²

وفي سنة 1952 قام آخر محافظ للمتحف في العهد الاستعماري وهو سيرري د يروك (Serre de Roch) بإصدار أول دليل للمعالم التاريخية والأثرية للمدينة، واثرا اندلاع الثورة التحريرية ضاع سجل المتحف والذي أُغلقت أبوابه من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال، أين استأنف نشاطه من جديد سنة 1964 وكان أول محافظ للمتحف هو السيد علي سلطاني (Ali Soltani)⁴ والذي شغل

¹ علي سلطاني، المرشد العام للمتحف والمعالم الأثرية بتبسة، مؤسسة الطبع و الوراقة الجديدة، تبسة، 1994، ص.208.

² المرجع نفسه، ص.156.

³ هو إيتيان سيرري د يروك (1881-1961): شغل منصب آخر محافظ للمتحف فيما بين (1936-1958)، من مدينة تولوز، والده أحد ملاك الأراضي، وأمه معلمة للغة الفرنسية، استوطنت أسرته مدينة تبسة سنة 1900، تزوج من أوديل بيرير وسكن في يوكوس، شارك في ح ع 1 وجرح في الدردنيل، وحينما تأسست مدرسة الذكور والجمعية الأثرية بتبسة سنة 1936، كان أستاذا فيها، قام بحفريات مهمة في بازيكا تبسة سنة 1942 وفي سنة 1949 اكتشف أقبية كنيسة قايينيل، وله الفضل في حفظ اللوحات الفسيفسائية بالمدينة، وفي سنة 1951 اكتشف موقع عين الذكارة القفصي، في 1954 اكتشف كذلك موقع تبسة الحالية، توفي في 07 أبريل سنة 1961 عن عمر يناهز الثمانين ودفن في فرنسا.

- ينظر : تكريم جان بيير لا بورت له في مجلة أوراس، عدد 07، ديسمبر 2012. ص. -ص. (331-337).

⁴ هو علي بن بلقاسم سلطاني من مواليد 16 سبتمبر 1927م بتبسة، يعتبر أحد الشخصيات الجهادية التي جمعت بين العمل السياسي والثوري، حفظ في طفولته وصباه نصف القرآن الكريم وأنهى ذلك سنة 1934، ثم واصل دراسته في تونس بجامع الزيتونة ثم توزر إلى غاية 1954 حصل خلالها على شهادة التحصيل في العلوم، بعدها التحق بفدرالية جبهة التحرير بتونس سنة 1954، حين كان طالبا فلم يفرط في عمله الجهادي إلى جانب تحصيله العلمي، وبقي كذلك إلى أن أرسله مسؤولي الحكومة المؤقتة إلى المشرق رفقة 110 طالبا فكان من الطلبة الذين اختيروا للدراسة في العراق فنال شهادة الليسانس في علم الآثار الإسلامية سنة 1963. وبعد الاستقلال شغل منصب المسؤول العام للدائرة الأثرية للشرق الجزائري، وظل فيه إلى غاية تقاعده سنة 1998. ساهم في اكتشافات القصر القديم 1972 والمقبرة الرومانية بالدكتور سعدان سنة 1976، وفيما بين (194-1977) ساهم في التنقيبات الأثرية مع الدكتور لويال من جامعة كندا في اكتشاف انسان عين المستحية القفصي، وفي حفريات ندرومة والمسيلة وحفريات سطيف كما ساهم في إعادة تهيئة البازليكا سنة 1984- عن : لقاء مع محافظ المتحف بتاريخ: 06/03/2015 بمقر إقامته، من (13.30-16.00). مذكرة ماستير غير منشورة انجزت من طرف الطالبتين: فاطمة بوعزيز وحמידان خولة، إشراف: د. مها عيساوي، ك ع إن وع إج، جامعة العربي التبسي، تبسة، دفعة: 2015، ص. -ص. (52-56).

منصب " رئيس الدائرة الأثرية لولايات تبسة وسوق أهراس وأم البواقي " فيما بين (1963-1998). ولما ضاق متحف معبد مینارف بمعرضاته بسبب كثرةلقى الناتجة عن الزحف العمراني على المواقع الأثرية من جهة خلال الستينات من القرن الماضي وحملات التنقيب العلمية خلال السبعينات من جهة أخرى، قامت " مصلحة حفظ التراث الأثري" باعتماد متحف جديد هو " متحف تيفاست(الكنيسة الفرنسية سابقاً"، وتجدر الإشارة هنا إلى أن متحف معبد مینارف قد حظي باهتمام الأب ديلابارد (De Lapard) والضابط ألوت ديلافويي Allotte de la Fûye فيما بين (1892-1902)، وظل هو المتحف الرسمي والوحيد في المدينة إلى ما بعد استقلال الجزائر بعشرة سنوات. ينظر الملحق رقم (02) و(03)

2.1- متحف تيفاست (الكنيسة الفرنسية سابقا) (1971-2001)

كان هذا هو المتحف الثاني في مدينة تبسة المعتمد رسمياً بموجب قرار صدر في (15 / أكتوبر/ 1971) إلى غاية 1982¹، ينظر الملحق رقم (04) وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن متحف تيفاست ليس سوى معلماً تاريخياً أيضاً، تم إنشاؤه من طرف سلطة الاحتلال الفرنسي على يد الضابط نيقري الذي قام بوضع حجر الأساس لأول كنيسة كاثوليكية ضمن السور البيزنطي وسط المدينة، فكانت لا تبعد عن معبد مینارف إلا بمسعين متراً فقط، وقد شيدت على مراحل، فوجدت عناية من طرف مشيدي الكنيسة الثانية الضابطين بوتيفالي (Potivalli) ونيكار Nickar سنة 1856 وفيما بين (1885-1902) تم تشييدها بالكامل وتحسين زخارفها حيث عقدت فيها أول صلاة بحضور الراهب بيرون (Peyronne) سنة 1908 للميلاد، ومن يومها فإن التحف التي حواها متحف تيفاست تشمل أيضاً مخلفات الكنيسة الأصلية المسيحية الكاثوليكية، وقد ظل متحف تيفاست مفتوحاً إلى أن تم إفراغه من محتوياته وإعادة إلى متحف معبد مینارف وتخزين الكثير منها، واعتبارها معلماً تاريخياً فقط. ومنذ 1982 والمعروضات موزعة بين متحف معبد مینارف ومتحف تيفاست المتجاورين، إلى غاية أن تقرر انشاء متحف وطني عمومي ولم يتحقق ذلك إلا في سنة 2009 .

2- التعريف بالمتحف العمومي الوطني بتبسة (2009-2019)

يعد هذا المتحف نموذجاً معاصراً للمتاحف التي تتماشى مع التطور العلمي والتكنولوجي الكبير، وإلى جانب متحف معبد مینارف - الذي لا يزال يفتح أبوابه للزوار- يعتبر المتحف العمومي الوطني المتحف الأول في الولاية من حيث امتلاكه للوسائل الحديثة التي يتيحها علم التحافة والمتاحف في الألفية الثالثة.

1.2- موقعه وقوانين تنظيمه، باعتبار المتحف وسيلة لإبراز ذاكرة الأمة بما يحتويه من موروث

ثقافي، قامت الجزائر بخطوة هامة سنة 2011 تتعلق بإصدار القانون الأساسي النموذجي للمتاحف ومراكز

¹ علي سلطاني، المرجع السابق، ص.208.

التفسير ذات الطابع المتحفى والذي جعل من المتاحف العمومية الوطنية الجزائرية تسير وتنظم وفق أحدث المقاييس المتحفية المعمول بها في دول العالم، ووفقا لذلك تم انشاء المتحف العمومي الوطني لولاية تبسة بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 09/68 المؤرخ في 07/02/2009¹، وفي سنة 2012 تم تعيين السيدة لندة مريم مقراني² مديرة للمتحف إلى يمنا هذا، أما تنظيمه الداخلي ف جاء بناءً على قرار وزاري مشترك مؤرخ في 12/10/2009، ويضم أقسام المتحف وهي:

- قسم حفظ المجموعات المتحفية والبحث.

- قسم النشاط والوثائق.

- قسم (مصلحة) الإدارة والمالية والوسائل العامة.

يقع المتحف الوطني بجانب الإذاعة المحلية للولاية، وتقدر مساحته بـ: 1630م². وتعد مصلحة التنشيط الثقافي المضطلع الأول بالطفل محور دراستنا.³ ينظر الملحق رقم (05)

2.2- الدور الإداري للمتحف مع الطفل من خلال مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية

بموجب القرار الوزاري المؤرخ في 04/05/2014 المحدد للتنظيم الداخلي للمتحف العمومي الوطني وملحقاته، وفي المادة 05 فإن المصلحة تكلف بما يلي:

- تنفيذ برامج التنشيط في الداخل والخارج.

- تنظيم ورشات بيداغوجية في الداخل والخارج.

- إنجاز المعارض المؤقتة والمتنقلة.

- وضع سينوغرافيا المعارض الدائمة والمؤقتة.⁴

ومنذ تلك الفترة عملت المصلحة على العناية بالطفل من خلال نشاطات مبتكرة تناسب مختلف الأطوار التعليمية ومناسبة لجميع الفئات العمرية، بحيث أن تلك العناية البيداغوجية التي يتلقاها الطفل عبر ربوع الولاية لم يكن فيها التركيز كبيرا على تحبيب التراث الثقافي بقدر ما كان مركزا على تعليمه للناشئة من خلال برنامج مخطط ومدروس.

وفي 09/11/2015 قامت وزارة الثقافة ووزارة التربية الوطنية بعقد اتفاقية الهدف منها وضع برنامج عمل في إطار التعاون في مجال التراث الثقافي وتحبيبه لدى الناشئة، ويشمل ما يلي:

- مجانية الزيارة لمختلف المواقع والمعالم التاريخية للمتمدرسين والمرافقين لهم، مع التكفل البيداغوجي من

¹ قرار وزاري مشترك مؤرخ في 4 رجب عام 1435هـ الموافق 4 مايو سنة 2014، يحدد التنظيم الداخلي للمتحف العمومي الوطني وملحقاته، ص. 30.

² السيدة مقراني مريم لندة: آثارية حريجة معهد الآثار بالجزائر، قسم آثار قديمة، دفعة 1989، ولها مساهمات واسعة في عمليات التنقيب.

³ لندة مقراني مريم، متحف تبسة حضارة وتحف، ط. 2، مطبعة عمار قربي وشركائه، الجزائر، 2015.

⁴ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع. 08، 12، مارس/2015، ص. 31.

طرف ملحق الحفظ.

- - بعث الحقبة المتحفية لا سيما في المناطق المعزولة.
- - وضع كل اللوازم البيداغوجية في متناول الزوار المتمدرسين.
- - إشراك المتمدرسين في احياء فعاليات شهر التراث.
- - إقامة دورات تكوينية وتحسيسية ودروس في مجالات التراث الثقافي في ربوع المتحف.¹

هكذا يعتمد المتحف على المربين والعكس في التعريف بمجموعته من الممتلكات الثقافية، ويكون الاهتمام متبادلا حول القضايا التي تهم المدرسة والمتحف، فالمتحف إذن أحسن وسيلة تعليمية لتدريس مادة التاريخ.

3- دور المتحف العمومي الوطني بتبسة مع الطفل: لا اختلاف في أن المتحف من المؤسسات ذات

الإسهام التربوي، فالبيت والمدرسة ليس وحدهما ينبوع الطفل المتمدرس السائر في طريق النمو، بل عليه الاحتكاك بمختلف المؤسسات الثقافية والتربوية الموجودة في محيطه، ومن هنا فقد سعى المتحف للمؤسسات التربوية لتحقيق هدفه المتمثل في تنمية الهوية المحلية والوطنية، وذلك يؤكد على أن المتحف لم يعن بالطفل بناءً على التزامه بتنفيذ القرارات الوزارية، وإلا فإن تجربته لن تكون على ذلك القدر من الأهمية للدراسة في ظرف ثلاث سنوات (2016-2018)، هذه السنوات لا تكفي لتلمس النتائج على النشء، ومن ثمّ كان لا بد من تتبع نشاطاته منذ إنشائه، والمتحف اليوم يحتفل بالعيد الأول لإنشائه، فماذا قدم فعلا للطفل؟

1.3- تاريخ نشاط المتحف مع الطفل (2011-2014)

تعد علاقة المتحف العمومي الوطني بالمؤسسات التربوية باعتبارها الفضاء المعرفي للطفل التلميذ علاقة متينة، حيث بدأ الاحتكاك الفعلي أولا خلال شهر التراث لسنة 2011، ثم أصبح شبه دائم منذ شهر جانفي 2014، فمنذ تلك الفترة وإلى غاية غرة جانفي 2019 تم التفاعل مع (243) مؤسسة تربوية موزعة على الأطوار الثلاثة (ابتدائي، متوسط، ثانوي) وكذلك مع (13) رياض أطفال خاصة. وتجدر الإشارة إلى أن نوع النشاط البيداغوجي كان مختلفا من القاعدة كالتالي:

أ- بالنسبة للمؤسسات التربوية (الابتدائيات): التي توظف الطور الأول والطور الثاني، فيضطلع بالنشاط قسم التنشيط والورشات البيداغوجية والاتصال.

ب- بالنسبة للمؤسسات التربوية (المتوسطات والثانويات): توظف الطور الثالث وطالب المرحلة الثانوية، فيضطلع بالنشاط "مصلحة نشاطات البحث"، هذه الأخيرة التي تتقدم الدعم لمصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية نظرا لكثافة برنامجها، كما أنها تتميز بالتعامل مع فئة عمرية أكبر.²

ت- توجد قاعة خاصة بالورشات المتحفية البيداغوجية تم افتتاحها في (2016/02/09).

¹ تعليمية رقم 323 مؤرخة في 2015/03/09 تتعلق بتنفيذ بنود الاتفاقية الإطار المبرمة بين وزارتي الثقافة ووزارة التربية الوطنية.

² ينظر بنود المادة 04: من قرار التنظيم الداخلية للمتحف العمومي الوطني، ص. 31.

2.3- الإرهاصات الأولية لنشاطات المتحف العمومي الوطني بتبسة مع الأطفال خلال سنة 2014

بشعار: "لنحافظ على موروثنا" بدأ المتحف بنشاطات تجريبية شهرية في إطار خرجات ميدانية خارج جدران المتحف، وكانت البداية مع 07 مؤسسات ابتدائية ومثلها متوسطة وثانوية بهدف التحسيس الأولي في المؤسسات التربوية. و تمثلت تلك النشاطات فيما يلي:

- إقامة معارض للتلاميذ في المتوسطات والثانويات بهدف تعريفهم بمختلف الفترات التاريخية للحضارات التي تعاقبت على تيفاست (تبسة).
 - تقديم دروس بسيطة ومسلية خارج المقرر الدراسي تتماشى ومستوى التلاميذ.
 - توزيع حقيبة المتحف.
- وقد أبدى 70% من التلاميذ استعدادهم لزيارة المتحف في مرحلة لاحقة.¹

ب- مظاهر تجربة المتحف العمومي الوطني بتبسة مع الطفل**1.3- نشاطات المتحف خلال سنة 2015² بشعار " المتحف والطفل "**

تعد نشاطات هذا الموسم خارجية أسبوعية، حيث كان التركيز على الموروث الثقافي المادي من معالم وتحف أثرية للولاية من أجل غرس الذاكرة الجماعية في أذهان التلاميذ والطلبة وشمل النشاط 08 مؤسسات ابتدائية في شهر فيفري، و 03 في مارس، ومن الصعوبات المواجهة صغر سن الأطفال مما تتطلب مجهودا مضاعفا من أجل إيصال المعلومة لتلاميذ الطور الأول. أما المعارض فقد وجهت لطلبة الثانويات وحدد عددها بالمثل وكان النشاط بالموازاة مع نشاط الورشات البيداغوجية.

كما شارك المتحف في عطلة الربيع في مهرجان " القراءة في احتفال " حيث اختص المتحف بتنمية العلاقة بالطفل والمتحف ، مما استدعى تكتيفا للنشاطات المبرمجة في عطلة الربيع (ما بين 21/مارس وإلى غاية 04 أفريل) فكانت الحقيبة المتحفية والمعارض وورشات التلوين هي سيدة الموقف.³

أما بعد فعاليات شهر التراث و تظاهرة صيفيات المتاحف، استأنف المتحف نشاطه مع المؤسسات

¹ مصلحة الحفظ ومصلة التنشيط الثقافي، تقرير حول معارض بالمؤسسات التربوية لسنة 2014، مراسلة رقم 59 صادرة عن المتحف العمومي الوطني بتبسة ، بتاريخ 2014،08/02/24 صفحات.

-غرب زعرة وآخرون، تقرير حول النشاط المقام بالمؤسسات التربوية لشهر أكتوبر 2014، مراسلة رقم 238 صادرة عن المتحف العمومي الوطني بتبسة، بتاريخ 2014.12،12/11/30 صفحة.

² من الضروري الإشارة إلى أن المتحف يتماشى في برنامجه مع البرنامج الدراسي للتلميذ ، بحيث أن النشاطات تبدأ مع شهر أكتوبر وإلى غاية شهر ماي من كل موسم دراسي، كما أن فترة ازدهار نشاط مصلحة الورشات البيداغوجية التابعة للمتحف تكون في شهر مارس وهو شهر عطلة الربيع، وكذلك شهر التراث من كل عام (أفريل-ماي).

³ غرب زعرة وعبيد مريم، تقرير حول النشاطات الثقافية المقامة بالمؤسسات التربوية، مراسلة رقم 41، صادرة بتاريخ 2015/03/23، 11صفحة.

التربوية في شهر أكتوبر بالشراكة مع " دار البيئة" للمتمدرسين المنتمين للنوادي الخضراء¹ حيث نشط مع مؤسسات ابتدائية ومثلها متوسطة وثانوية وشمل العمل إقامة معارض في بعض مؤسسات الولاية.

هذا وقد أولى شهر التراث بالغ عنايته بالطفل واستقباله في ورشات يومية فبلغ عدد المؤسسات التي زارته في هذا الشهر فقط (123 مؤسسة تربوية).

واعتبرت تظاهرة صيفيات المتاحف التي ركزت على ورشات عمل مع الأطفال تضمنت مسابقات فكرية حاول المتحف من خلالها إيصال معلومات عن التراث الثقافي للولية للمتنافسين السياح فأضحى مثلا جميع المشاركين يعرفون القيمة التاريخية والأثرية لقوس النصر كراكلا بتبسة.²

وتواصل النشاط المتحفى إلى نهاية السنة وكانت إنجازات الأطفال تثمن بجوائز تشجيعية.³

2.4- نشاطات المتحف خلال سنة 2016 بشعار: " التراث الثقافي قيمة اقتصادية"

بعد النتائج الملحوظة التي سجلها قسم التنشيط والورشات البيداغوجية في ما يتعلق بحماس التلاميذ ورغبتهم المتزايدة في معرفة تاريخ ولايتهم، قرر تكثيف النشاط في المؤسسات التربوية على النحو التالي:

الأشهر (2016)	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
عدد المؤسسات	09	07	04	03	02	07	07	03

الملاحظ أن المجموع كان 42 مؤسسة تربوية، وهذا ما يعكس الاهتمام بتنمية روح الوعي التاريخ عند الأطفال المتمدرسين.

¹ غريب زعرة وبخطوط سفيان، تقرير حول النشاطات المقامة بالتنسيق مع دار البيئة بتبسة، مراسلة رقم 98، صادرة بتاريخ: 2015/12/06، 05 صفحات.

² مصلحة الحفظ ومصلة التنشيط الثقافي، تقرير حول تظاهرة صيفيات المتاحف، مراسلة رقم 72، مؤرخة في: 2015/10/26، 13 صفحة.

³ مصلحة الحفظ ومصلة التنشيط الثقافي، تقرير شهر أكتوبر حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية، مراسلة رقم 97، صادرة بتاريخ: 2015/10/29، 05 صفحات.

- سجل الحصيلة السنوية للنشاطات الثقافية الخاصة بالمتحف العمومي الوطني بتبسة لسنة 2015، ص. 17.

⁴ مصلحة الحفظ والتنشيط الثقافي، تقرير حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية لشهر جانفي، فيفري ومارس 2016، مراسلة رقم ومراسلة رقم 33، 32، صادرتان بتاريخ: 2016، 08/03/17، 03 صفحات.

⁵ لندة مقراني مريم، تقرير حول الورشات البيداغوجية المقامة بالمتحف بالموازة مع زيارة معالي السيد وزير الثقافة، مراسلة رقم: 28، صادرة بتاريخ: 2016، 04/04/18، 05 صفحات.

⁶ مصلحة الحفظ والتنشيط الثقافي، تقرير حول النشاطات المقامة بالمتحف العمومي الوطني بتبسة بمناسبة شهر التراث 2016 مع المؤسسات التربوية، مراسلتان رقمي: 32، 27، صادرتان بتاريخ: 2016، 04/19-18، 10 صفحات.

⁷ غريب زعرة، تقرير شهر أكتوبر حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية، مراسلة رقم 120، صادرة بتاريخ: 2016، 03/10/31، 03 صفحات.

⁸ غريب زعرة وسفیان وبخطوط ومراد شادلي، تقرير حول الورشات والمعارض المقامة بالمتحف خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2016، مراسلة دون رقم ، صادرة بتاريخ: 2016، 12/25، 03 صفحات.

1.2.4 - البرنامج التعليمي الموجه للأطفال سنة 2016

سطر مؤطرو الورشات الممثلين لقسم مصلحة الحفظ والتنشيط البيداغوجي برنامجا من إبداعهم كان كالتالي:

تحليل الورشة الأطوار التعليمية	عنوان الورشة	طبيعة النشاط	عمر الطفل	الهدف المسطر
الطور الأول (السنة الأولى ابت)	الرسم والتلوين	رسم تحفة أثرية وتلوينها	(6-7 سنوات)	معرفة التحف الأثرية وتواجدها
الطور الأول (السنة 2-3 ابت)	حيوانات ما قبل التاريخ	تلوين بالريشة والألوان المائية والترابية	(8-9 سنوات)	التعرف على البيئة القديمة وطريقة الرسم البدائي
الطور الثاني (السنة 4-5 ابت)	تركيب الصور المبعثرة	البازل لعبة فكرية شهيرة تركيبية	(10-11 سنة)	التعرف على معلم في وقت قياسي
الطور الثالث (السنة 1-4م)	معرض	عرض مخزون المتحف	(12-15 سنة)	التعرف على التراث الأثري

الملاحظ أن جميع المشاركين في الورشات والمعارض قد أبدوا اهتماما منقطع النظير.

أما بالنسبة لشهر التراث فقد أضيف نشاط جديد لتلاميذ الطور الثاني هو "مسابقة القراءة" وهي عبارة عن ورشة لقراءة فصل من قصة الإنسان البدائي تليها أسئلة للفهم والهدف منها زرع حب المطالعة.¹

3.4- نشاطات المتحف خلال سنة 2017 بشعار: " التراث الثقافي دافع لتنمية الإقليم" زاد

النشاط المتحف مع الأطفال على النحو التالي:

الأشهر (2017)	جانفي ²	فيفري ³	مارس	أفريل ⁴	ماي ⁵	أكتوبر ⁶	نوفمبر	ديسمبر ⁷
عدد المؤسسات	04	04	03 مت	12 ج. أط	03 مت	11 اب/07 مت	06	02 اب/04 م

¹ غريب زعرة وعبيد مرتم، تقرير حول اختتام شهر التراث المقام بالمتحف العمومي الوطني بتبسة 2016، مراسلة رقم 42، صادرة بتاريخ 2016/06/08، 07 صفحات.

² غريب زعرة، تقرير حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية لشهر جانفي 2017، ردا على مراسلة رقم 01 صادرة بتاريخ 2017/01/05 التقرير صادر بتاريخ: 2017/01/31، صفحتان.

³ غريب زعرة، تقرير حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية لشهر فيفري، ردا على مراسلة رقم 01 مؤرخة بـ 2017/01/05، التقرير صادر بتاريخ: 2017/03/28، 03 صفحات.

⁴ تقرير حول النشاطات المقامة خلال شهر أفريل 2017، ردا على مراسلة رقم 27 مؤرخة في 2017/03/27، التقرير صادر بتاريخ: 2017/04/16، صفحة واحدة.

⁵ تقرير حول النشاطات المقامة بالمؤسسات التربوية خلال شهر التراث لسنة 2017، ردا على مراسلة رقم 32 مؤرخة في 2017/04/12، التقرير صادر بتاريخ: 2017/05/21، صفحتان.

⁶ قسم التنشيط الثقافي والورشات البيداغوجية، تقرير حول النشاطات المقامة خلال شهر أكتوبر 2017، مراسلة رقم 174، صادرة بتاريخ: 2017/10/29، 05 صفحات.

⁷ مصلحة حفظ المجموعات المتحفية وقسم التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرير حول الورشات والمعارض والنشاطات المقامة مع المؤسسات التربوية خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2017، مراسلة رقم 208، صادرة بتاريخ 2017/04/12/06، 07 صفحات، و مراسلة رقم 210، صادرة بتاريخ: 2017/12/07، 07 صفحات.

الملاحظ أن عدد المؤسسات زاد فأصبح المجموع 66 مؤسسة تربوية من مختلف الأطوار وتمس الفئات العمرية المختلفة للأطفال (6-15 سنة).

1.3.4- البرنامج التعليمي الموجه للأطفال سنة 2017

عمل المؤطرون على التنوع والتميز في وضع برامج جديدة كما يلي:

الهدف المسطر	عمر الطفل	طبيعة النشاط	عنوان الورشة	تحليل الورشة الأطوار التعليمية
معرفة التحف الأثرية وتواجدها	(6-7 سنوات)	رسم تحفة أثرية وتلوينها	التلوين	الطور الأول (السنة الأولى ابت)
التعرف على البيئة القديمة وطريقة الرسم البدائي	(8-9 سنوات)	تلوين بالريشة والألوان المائية والترابية	الرسم والتلوين	الطور الأول (السنة 2-3 ابت)
التعرف على معلم في وقت قياسي وتحبيب المطالعة للنشء	(10-11 سنة)	الموزايك لعبة جديدة ومبتكرة من الزجاج وقراءة قصة	الفيسفساء والقراءة	الطور الثاني (السنة 4-5 ابت)
التعرف على التراث الثقافي الأثري والحفاظ عليه	(12-15 سنة)	1 عرض الحضارات المتعاقبة في الولاية 2 تعلم المبادئ	1. معرض تبسة عبر التاريخ 2. الحفرية والترميم	الطور الثالث (السنة 1-4 م)

583 نستنتج أن تلقين التراث الثقافي للأجيال أصبح أكثر عمقا¹، فزيارة الطفل المتمدرس للمتحف في الورشة تكون وفق تخطيط وتحضير مسبقين مع هيئة مصلحة تنشيط الورشات البيداغوجية والذين يبذلون قصارى جهدهم في الاهتمام بالصغار ويحرصون حرصا كبيرا على نقل المادة المعرفية لهم وهو عمل شاق ومضن.²

4.4- نشاطات المتحف خلال سنة 2018 بشعار: "تراثي...مستقبلي"

الأشهر (2018)	جانفي ³	فيفري ⁴	مارس ⁵	أفريل ⁶	ماي ⁷	سبتمبر	أكتوبر ¹	نوفمبر	ديسمبر ²
---------------	--------------------	--------------------	-------------------	--------------------	------------------	--------	---------------------	--------	---------------------

¹ سجل الحصيلة السنوية للنشاطات الثقافية الخاصة بالمتحف العمومي الوطني بتبسة لسنة 2017.

² تقي الدباغ وفوزي رشيد، علم المتاحف، مطبعة جامعة بغداد، 1979، ص. ص. (208-209).

³ مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرير حول النشاطات المقامة خلال شهر جانفي 2018، مراسلة رقم 18، صادرة بتاريخ: 2018/01/31، 04 صفحات.

⁴ مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرري حول النشاطات المقامة خلال شهر فيفري 2018، مراسلة رقم 38، صادرة بتاريخ: 2018/02/25، صفحتان.

⁵ مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرري حول النشاطات المقامة خلال شهر مارس 2018، مراسلة رقم 53، صادرة بتاريخ: 2018/03/21، صفحتان.

⁶ مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرري حول النشاطات المقامة خلال شهر أفريل لسنة 2018، مراسلة رقم 76، صادرة بتاريخ: 2018/04/16، صفحتان.

⁷ مصلحة التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرري حول النشاطات المقامة خلال شهر التراث لسنة 2018، مراسلة رقم 91، صادرة بتاريخ: 2018/05/15، صفحتان.

عدد المؤسسات	04	05	02مت	12 ج.أط	03 مت	02 ايت	06مت/12اب	06	08
--------------	----	----	------	---------	-------	--------	-----------	----	----

1.4- البرنامج التعليمي الموجه للأطفال سنة 2018

عمل المؤطرون على التنوع والتميز في وضع برامج جديدة ، كما تجدر الإشارة إلى أنه قد بدأ الاهتمام بمرحلة ما قبل التمدرس (التحضيرية) بورشة واحدة فقط هي: " ورشة التلوين " فيما يلي:

تحليل الورشة الأطوار التعليمية	عنوان الورشة	طبيعة النشاط	عمر الطفل	الهدف المسطر
الطور التحضيري	التلوين	تلوين تحفة اوحوان	(4-5سنوات)	التعرف الأولي على معنى القديم
الطور الأول (السنة الأولى ايت)	التلوين	رسم تحفة أثرية وتلوينها	(6-7سنوات)	معرفة التحف الأثرية و تواجدها
الطور الأول (السنة 2-3 ايت)	المسرح والحكواتي	مسرحية تعالج مضمونا تاريخيا وأثريا حول تبسة	(8-9 سنوات)	الوعي والتوعية بالآثار وذلك بحمايتها من كل أشكال التلف والاندثار
الطور الثاني (السنة 4-5 ايت)	المسرح والبازل والفيسفساء والمتاهة	متنوعة وثرية	(10-11 سنة)	تعميق الوعي والتحميس بقيمة التراث بالولاية
الطور الثالث (السنة 1-4م)	الفيسفساء الحفرية والترميم	تعلم خطوات اجراء حفرية ووسائل وتقنيات وكيفية الترميم	(12-15 سنة)	التعرف على التراث الثقافي الأثري والحفاظ عليه

584

نستنتج أنه بقدر ما يكون إقبال من المؤسسات فإن الطفل يحصل على تكوين في الثقافة المتحفية بحسب عمره رغم ما يعتري هذه الورشات من صعوبات غير أنها ملتزمة بمبدئها القائم على تلقين أبناء الجزائر تراثهم بشكل علمي ومسلّ في آن واحد.³ ينظر الملحق رقم (07)

5.4- الإصدارات العلمية والمعرفية للمتحف العمومي الوطني الموجهة لفئة الأطفال

السنة	طبيعة الإصدار	اسم الإصدار	الفئة العمرية
2015	قصة وتلوين	رحلة الإنسان البدائي	(5-8سنوات)
2015	قصة فقط	الإنسان البدائي واكتشافه العظم والزجاج والفخار	(8-12سنة)
2016	تلوين وألعاب	متحفنا والألوان الجزء الأول	(5-9سنوات)
2016	قصة فقط	الإنسان البدائي واكتشافه للمعادن	(8-13سنة)
2017	تلوين وألعاب	متحفنا والألوان الجزء الثاني	(6-9سنوات)
2017	ألعاب وتسلية	فكر، العب وتعلم مع المتحف العمومي الوطني بتبسة	(6-9سنوات)

ينظر الملحق رقم (08)

¹ قسم التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرير حول النشاطات المقامة خلال شهر سبتمبر وشهر أكتوبر 2018، مراسلة رقم 152، صادرة بتاريخ 2018،04/10/29 صفحات. ومراسلة رقم 154، صادرة بتاريخ 2018/10/31.

² قسم التنشيط والورشات البيداغوجية، تقرير حول النشاطات المقامة خلال شهري نوفمبر وديسمبر لسنة 2018، مراسلة رقم 179، صادرة بتاريخ 2018/12/03، صفحتان. ومراسلة رقم 193، صادرة بتاريخ: 2018/12/20. صفحتان.

³ سجل الحصيلة السنوية للنشاطات الثقافية الخاصة بالمتحف العمومي الوطني بتبسة لسنة 2018.

ت - حصيلة وتقييم

1.5- عدد الورشات البيداغوجية المقامة داخل وخارج المتحف ولجميع أطوار التعليم خلال السنوات (2015-2018)¹

السنة	الورشة في المتحف	الورشة المتنقلة	المجموع
2015	/	15	15
2016	13	20	33
2017	16	21	37
2018	14	30	44
المجموع	43	86	122

الملاحظ ان عدد الورشات قد بلغ 122 ورشة وهو عدد لا بأس به إذا ما قورن بورشات المتاحف الأخرى.

2.5 - حصيلة تبين عدد المستفيدين من الورشات البيداغوجية من الأطفال²

قام المتحف العمومي الوطني بتبسة بالعديد من الورشات التي استفاد منها 4299 طفلا مقسمين بين 981 مستفيدا زائر للمتحف، و3318 مستفيد مزور خارج المتحف، وهذه الحصيلة تعكس مدى جهود المتحف في تنمية الوعي بالتراث الثقافي لدى جيل المستقبل.

السنة	عدد المستفيدين من الورشات داخل المتحف	عدد المستفيدين من الورشات خارج المتحف	المجموع
2015	/	930	930
2016	360	950	1310
2017	439	948	1387
2018 (س.1)	182	490	672
المجموع	981	3318	4299

نستنتج أن عدد الأطفال الذين أدركوا قيمة المتحف وما يقدمه من نشاط تربوي وبيداغوجي قد بلغ

4300 طفل. ينظر الملحق رقم (09)

خاتمة

خلاصة لما سبق نتساءل: هل قام المتحف العمومي الوطني بتبسة بدوره التثقيفي حيال الأطفال -رغم حداثة نشأته- مما يؤهله لأن يزرع في نفوس الجيل القادم الوعي والاهتمام بالتراث الثقافي؟ لقد قام المتحف بتقديم تعريفات شاملة ووافية عن التراث الحضاري للإنسان الجزائري القديم منذ مرحلة ما قبل التاريخ وإلى يومنا هذا من خلال إلقاء الضوء على جوانب من التراث المادي واللامادي أيضا، كما قام بإبراز المخلفات الحضارية للمنطقة وتعريفها للمتمدرسين الصغار، ونجح من خلال إصداراته عن مكتشفات الإنسانية في إظهار التأثير والتأثير بين الإنسان القديم وعلاقته بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وكيفية التعامل بينهما، وهذا ما يجعل من تجربة المتحف العمومي بتبسة مع الطفل تجربة ناجحة ويحتذى بها في كبريات متاحف الجزائر.

¹ سجل الحصيلة السنوية للنشاطات الثقافية المقامة بالمتحف لسنة 2018.

² المصدر نفسه.

بيبلوغرافية المداخلة

المصادر الإدارية والقانونية

- مصلحة التنشيط الثقافي والورشات البيداغوجية بالمتحف العمومي الوطني بتبسة، تقارير حول النشاطات المقامة مع المؤسسات التربوية بالمتحف العمومي الوطني بتبسة لسنوات 2018، 2017، 2016، 2015، 2014.
- سجل الحصيلة السنوية للنشاطات الثقافي للمتحف العمومي الوطني بتبسة لسنوات 2018، 2017، 2016، 2015.
- الجريدة الرسمية، عدد 12، 2015/03/08.
- تعليمية رقم 323 مؤرخة في 2015/03/09 تتعلق بتنفيذ بنود الاتفاقية الإطار المبرمة بين وزارتي الثقافة ووزارة التربية الوطنية.

المصادر الأثرية

- دليل متحف تبسة لستيفان جزال، 1912، éd.Ernest Leroux, – Stéphane Gsell, Musée de Tebessa,
- دليل متحف تيفاست لسيري دي روك، 1952. -Serre de Roch, Tebessa (antique theveste), imp. officielle, Alger, 1952, 78p.
- دليل المتحف تبسة تاريخ ومعالم لعلي سلطاني، 1994.
- دليل المتحف العمومي الوطني بتبسة، 2015.

المراجع

- بشير زهدي، المتاحف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988.
- فاطمة بوعزيز وحيدان خولة، "علي سلطاني ودوره في الثورة التحريرية"، مذكرة ماستير غير منشورة، إشراف: مها عيساوي، قسم التاريخ والآثار، ك ع إن وع إج، جامعة العربي التبسي، تبسة، دفعة: 2015.
- تقي الدباغ وفوزي رشيد، علم المتاحف، مطبعة جامعة بغداد، 1979.
- لعلى عبد الرحيم، "الدور التثقيفي للمتاحف الجزائرية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف: معروف بلحاج، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (2013-2014).
- عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.
- رفعت موسى محمد، مدخل إلى فن المتاحف، الدار المصرية اللبنانية، ط. 2، 2008.
- فوزية عزت أبو عمه، المتاحف وأثرها الفعال في دراسة مناهج التاريخ، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، 2008.
- نور جلال عبد الحميد، الحفائر والمتاحف الأثرية، دار المستقبل للطباعة، ط. 3، القاهرة، 2009.
- Jean –Pierre Laporte, Etienne Serrée de Roch, AOURAS, n°7, décembre 2012, Paris.
- Roger Hanoune et Xavier Dupuis, Le pavement des thermes de Tébessa, pp125-127.

الملاحق



الملحق رقم (01): متحف معبد مينارف



الملحق رقم (02): القاعة الداخلية لمتحف معبد مينارف.



الملحق رقم (03): فسيفساء (فورتونا ريدوكس) في متحف معبد مينارف



الملحق رقم (04): متحف تيفاست (الكنيسة الفرنسية سابقا)

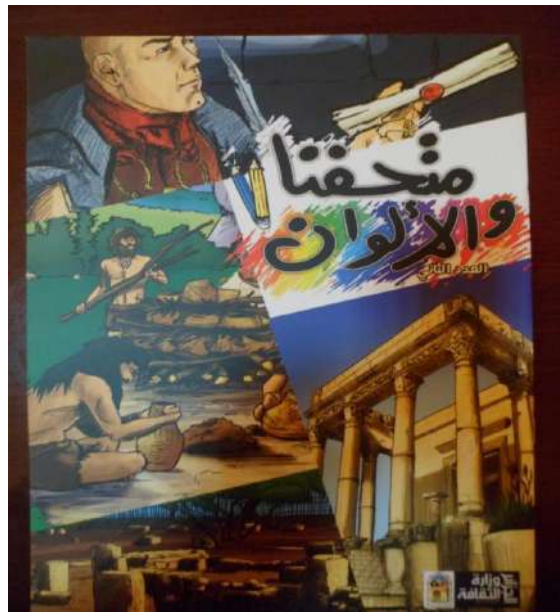


الملحق رقم (05)





الملحق رقم (06): نماذج من إصدارات المتحف الموجهة لفئة الأطفال من الطورين الثاني والثالث





الملحق رقم (07): نماذج من الإصدارات الموجهة لفئة أطفال الطورين الثاني والثالث



الملحق رقم (08): نماذج من الإصدارات الموجهة لفئة أطفال الطور الأول



الملحق رقم (09): جانب من فعاليات الورشات البيداغوجية

دور السياحة البيئية في تفعيل التنمية المستدامة والمحافظة على التراث الأخضر

دراسة حالة المحميات الطبيعية في الجزائر

د. فطيمة سايح

المركز الجامعي أحمد زبانة - غيليزان - الجزائر

د. صليحة حفيفي

جامعة الجليلي بونعامة - خميس مليانة - الجزائر

الملخص

تعتبر مصادر التراث الثقافي والطبيعي من أهم عناصر الجذب السياحي، خاصة ما يعرف بالسياحة البيئية، والتي تركز على مقومات ثلاث هي: التراث الثقافي والطبيعي، والزوار، والسكان المحليين. وتعد السياحة البيئية أحد القطاعات الهامة التي تساهم في دفع عجلة الاقتصاد الوطني، لذلك كان لزاما توسيع قاعدة السياحة لتشمل السياحة البيئية، ودمج المناطق الريفية والتراث الأخضر ضمن هذه العملية وذلك بهدف زيادة التطوير والتنمية فيها، واستثمار ما فيها من موارد تمد السياحة بعناصر جذب متميزة وهو ما ينعكس إيجابا لصالح البيئة والسكان المحليين على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي إذ من شأنه أن يؤدي إلى تنمية حقيقية، والتي تضمن المحافظة على التراث الثقافي والطبيعي من خلال ما يعرف بالتنمية المستدامة.

والجزائر غنية بالمحميات الطبيعية التي تمثل أحد أشكال التراث الأخضر، الأمر الذي يساهم في تبني سياسات السياحة البيئية، وبالتالي تفعيل التنمية المستدامة على مستوى هذا القطاع

الكلمات المفتاح: السياحة البيئية، التنمية المستدامة، التراث الأخضر (المحميات الطبيعية)

Abstract:

The sources of cultural and natural heritage are among the most important tourist attractions, especially the so-called environmental tourism, which is based on three components: cultural and natural heritage, visitors, local people.

Eco-tourism is an important sector that contributes to the national economy. Therefore, it was necessary to expand the tourism base to include ecotourism and the integration of rural areas and green heritage within this process in order to increase the development and to invest its resources that provide attractive elements, which is positively reflected on the environment and the local population in the economic, social and cultural levels. Which would lead to real development and ensure the preservation of cultural and natural heritage through what is known as sustainable development.

Keywords: ecotourism, sustainable development, green heritage (nature reserves)

المقدمة

يشهد النشاط السياحي في العالم نمو وتطور كبير في الوقت الراهن ، حيث أصبحت السياحة ترتبط بالجوانب الثقافية والحضارية للإنسان، وهي جسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية للأمم والشعوب، كما أنها من أهم القطاعات في التجارة الدولية، حيث تعتبر قطاع إنتاجي يسهم في زيادة الدخل من خلال جلب العملة الصعبة .

وتعتبر السياحة البيئية ظاهرة حديثة، تهدف إلى البحث والتأمل في الطبيعة والنباتات، وتوفير الراحة للإنسان بكل أشكالها، والمساهمة في تحقيق أبعاد التنمية المستدامة، والميزة التي توفرها السياحة البيئية هي ربط الاستثمار والمشاريع الانتاجية للمجتمع المحلي مع حماية البيئة، والتنوع الحيوي والثقافي للمناطق السياحية، وهو ما يزيد من الامكانيات المالية لخدمة المجتمعات، وذلك من خلال تخصيص جزء من الموارد المتحصل عليها في المحافظة على التراث الطبيعي والثقافي لها.

لذلك حاولنا معالجة هذا الموضوع بمداخلة تحت عنوان: دور السياحة البيئية في تفعيل التنمية المستدامة والمحافظة على التراث الأخضر من خلال دراسة حالة المحميات الطبيعية في الجزائر، ذلك بطرح الإشكالية العامة التالية: كيف يمكن للسياحة البيئية تساهم في تفعيل التنمية المستدامة وتحافظ على التراث الأخضر؟ وما واقع ذلك في الجزائر؟ والإجابة على هذه الإشكالية يقتضي منا البحث في الفرضية التالية:

قد تكون المحميات الطبيعية التي هي بمثابة تراث أخضر، وذلك من خلال ما تشمله من تنوع بيولوجي وطبيعي متميز، بمثابة مؤهلات حقيقية للوصول إلى تنمية سياحية بيئية مستدامة ويتمثل السبب الرئيسي في اختيار هذا الموضوع، في التعريف بالسياحة البيئية، وضرورة تبنيها كأحد أدوات تفعيل التنمية المستدامة، من أجل المساهمة في المحافظة على التراث الطبيعي .

أما فيما يتعلق بمنهج الدراسة: فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي ، وذلك للإلمام بمختلف المفاهيم النظرية الخاصة بجوانب هذه الدراسة

ولدراسة فحوى هذا الموضوع حاولنا تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة محاور رئيسية هي:

المحور الأول: مفاهيم عامة حول السياحة البيئية، وذلك بالإشارة إلى: نشأة وتعريف السياحة البيئية أهدافها ومكوناتها، قواعدها ومبادئها، محاورها وأنواعها... الخ

المحور الثاني: عموميات حول التنمية المستدامة، وذلك بالإشارة إلى: نشأة وتعريف التنمية المستدامة، أهدافها ومبادئها، مقوماتها وأبعادها، العلاقة بينها وبين حماية البيئة... الخ

المحور الثالث: علاقة السياحة البيئية بالتنمية المستدامة، وذلك من خلال التطرق إلى: تأثير السياحة البيئية على التنمية المستدامة، ووسائل دعمها، والقواعد العامة التي تحدد العلاقة بينهما... الخ

المحور الرابع: السياحة البيئية والتراث الأخضر في الجزائر، وذلك بالإشارة إلى المؤهلات السياحية في الجزائر، وواقع السياحة البيئية والتراث الأخضر فيها من خلال المحميات الطبيعية، معوقات السياحة البيئية وآليات تطويرها في الجزائر... الخ

المحور الأول: مفاهيم عامة حول السياحة البيئية

تعتبر السياحة البيئية ذلك النوع السياحي الذي جعل المحيط الطبيعي البيئي الموقع الأساسي للزائر أو السائح، وذلك بهدف التعرف على ما يحتويه المحيط البيئي من أنواع وأنظمة، ومظاهر وعناصر طبيعية وثقافية.

أولاً: نشأة وتعريف السياحة البيئية:

1/ نشأة السياحة البيئية:

"ظهر مصطلح السياحة البيئية منذ مطلع الثمانينات من القرن العشرين، وهو مصطلح حديث نسبياً جاء ليعبر عن نوع جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة، والذي يحافظ على التراث الطبيعي والحضاري للوسط الذي يعيش فيه الإنسان"¹ ولقد مر مفهوم السياحة البيئية تاريخياً بثلاثة مراحل هي:²

المرحلة الأولى: مرحلة حماية السائح من التلوث، من خلال توجيهه للمناطق التي لا تحتوي على تهديد له، خاصة في المنطق البعيدة عن العمران.

المرحلة الثانية: مرحلة وفق الهدر البيئي، من خلال استخدام السياحة التي لا تسبب أي هدر أو تلوث وبتالي تحافظ على ما هو قائم وموجود في الموقع البيئي.

المرحلة الثالثة: مرحلة التعامل مع أوضاع البيئة القائمة، من خلال إصلاح الهدر البيئي ومعالجة التلوث، وإصلاح ما سبق أن قام به الإنسان.

2/ تعريف السياحة البيئية:

عرف الصندوق العالمي للبيئة السياحة البيئية على أنها: "السفر إلى المناطق الطبيعية، التي لم يلحق بها التلوث، ولم يخضع توازنها الطبيعي إلى خلل، وذلك للاستمتاع بمناظرها وطبيعتها وحيواناتها البرية، ويعتبر هذا النوع مهم جداً للدول كونه يمثل مصدراً للدخل، إضافة إلى دورها في المحافظة على البيئة، وترسيخ ثقافة التنمية المستدامة"³ وعرفت السياحة البيئية على أنها "تلك السياحة التي تركز على المشاركات الرياضية والحمامات الصحية والشمسية، ويتم الترويج لها غالباً من خلال الصور الملونة الجميلة للرمال، والبحار التي تجذب الناس إليها"⁴

¹ أكرم عاطف رواشدة، السياحة البيئية، الأسس والمكونات، عمان: دار الراجحة للنشر والتوزيع، 2009، ص 46.

² خان أحلام، زاوي صورية، السياحة البيئية وأثرها على التنمية في المناطق الريفية، (مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية)، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السابع، جوان 2010، ص 229.

³ لمياء السيد حنفي، فنحي الشرقاوي، الاتجاهات الحديثة في السياحة، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 37

⁴ مياس رجاء العربي، التسويق السياحي في المنشآت السياحية، عمان: دارأسامة للنشر والتوزيع، 2012، ص 34

ومن ذلك نستخلص أن السياحة البيئية هي " السياحة التي تقتضي السفر إلى المناطق الطبيعية المستقرة نسبيا لهدف محدد ، قد يتمثل في الدراسة أو الاعجاب ، أو الاستمتاع بالمناظر الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها البرية ، بالإضافة إلى أية مظاهر ثقافية موجودة في تلك المناطق "

3/ خصائص السياحة البيئية:

من خلال ما سبق يمكن استخلاص خصائص السياحة البيئية على النحو التالي:¹

- * السياحة البيئية سياحة حضراء نظيفة ، تستند أساسا إلى البيئة والطبيعة ؛
- * السياحة البيئية سياحة مسؤولة راشدة ، فهي سياحة يحكمها الوعي والعقل والحس بالمسؤولية ؛
- * هي سياحة لها عائد ومردود اقتصادي متعدد الجوانب، حيث تجمع بين الجانب المادي الملموس والجانب المعنوي الأخلاقي، وذلك من خلال محاولتها المحافظة على سلامة البيئة ؛
- * السياحة البيئية نشاط يجمع بين الأصالة في الموروث الحضاري الطبيعي، والحداثة في تحضرها الأخلاقي والقيم، حيث تجمع بين القديم والحديث، مما يخلق نمطا رائعا في التجانس.

لذلك فهي سياحة مستدامة تتجدد بمواردها، فلا تنضب بفعل الاستعمال الكثيف

ثانيا: أهمية ، قواعد ومبادئ السياحة البيئية :

1/ أهمية السياحة البيئية :

للسياحة البيئية أهمية خاصة من كونها تعمل على تحقيق مجموعة متكاملة من الأهداف ، وفي نفس الوقت تستمد أهميتها من ذاتها التي تنبع من طبيعة الممارسة ، ويمكن أن نوجز أهمية هذا النوع من السياحة في النقاط التالية:²

- * تدفع السياحة البيئية إلى إقامة المزيد من البنى الأساسية، من طرق ومواصلات، ومنتجعات صيفية وشتوية... الخ، وهو ما يؤدي إلى تدفق السياح نحو هذه المناطق، الأمر الذي يحقق إيرادات هامة تنعكس على الدخل الوطني ورفاهية الإنسان، وتطوير الجهود للمحافظة على البيئة ؛
- * يخلق تدفق السياح نحو المناطق السياحية مجالات عمل مريحة للسكان المحليين، وهو ما ينمي الوعي لديهم للحفاظ على بيئتهم، من أجل زيادة مكاسبهم؛
- * تساعد السياحة البيئية على تطوير الصناعات التقليدية اليدوية والمحافظة عليها، وذلك من خلال استغلال الموارد واليد العاملة الماهرة بالتراث؛
- * تدفع السياحة البيئية إلى الاهتمام بترميم وصيانة الآثار والحفاظ عليها؛

¹خان أحلام ، زاوي صورية ، مرجع سابق ، ص 228

²المرجع السابق ، ص 230.

* تعتبر السياحة البيئية صديقة للمجتمع، إذ تؤدي إلى الاستفادة مما هو متاح في المجتمع من موارد وأفراد ، وتعمل على تنمية العلاقات الاجتماعية ؛

* تساهم السياحة البيئية في نشر المعارف والمعلومات السياحية، ونشر ثقافة المحافظة على البيئة والتراث الإنساني ، وثقافة الحضارة والمواقع التاريخية .

2/ قواعد السياحة البيئية:

فيما يلي نستعرض أهم قواعد السياحة البيئية:¹

- * تقليل الأثار السلبية للسياحة على الموارد الطبيعية والثقافية والاجتماعية للمناطق السياحية ؛
- * تثقيف السياح بأهمية المحافظة على المناطق الطبيعية ؛
- * التأكيد على الاستثمار المسؤول، والذي يركز على تعاون السلطات المحلية، من أجل تلبية احتياجات السكان المحليين، والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم؛
- * إجراء البحوث الاجتماعية والبيئية في المناطق السياحية، للتقليل من الأثار السلبية؛
- * العمل على مضاعفة الجهود لتحقيق أعلى مردود مادي للبلد المضيف، من خلال استخدام الموارد المحلية الطبيعية والموارد البشرية؛

* أن يسير التطور السياحي بالتوازي مع التطور الاجتماعي والبيئي؛

* رفع الوعي البيئي للعاملين في القطاع السياحي والسكان المحليين؛

* الاعتماد على البنى التحتية التي تنسجم مع ظروف البيئة، وتقليل استخدام الأشجار في التدفئة والمحافظة على الحياة الفطرية والثقافية؛

* تشجيع التدوير وإعادة التصنيع وممارسة الزراعة العضوية؛

3/ مبادئ السياحة البيئية وشروط ممارستها:

للسياحة البيئية عدة مبادئ نذكرها على النحو التالي:²

- * توفر مراكز دخول محددة تزود السائح بمعلومات عن المنطقة السياحية، من خلال المجتمع المحلي للمنطقة؛
- * إدارة سليمة للموارد الطبيعية والتنوع الحيوي بطرق مستدامة بيئيا؛
- * وضع قوانين صارمة لحماية السياح والمواقع البيئية معا؛
- * دمج سكان المجتمع المحلي وتوعيتهم وتثقيفهم بيئيا وسياحيا؛
- * تعاون مختلف القطاعات المختصة بيئيا وسياحيا من أجل إنجاح السياحة البيئية.

¹ ام عبد الفتاح الشريعي ، تنمية المبيعات السياحية في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية ، الاسكندرية ، 2009 ، ص 81

² موفق عدنان الحمري ، نبيل زحل الحوامده ، الجغرافيا السياحية في القرن 21، كنهج وأساليب وتحليل رؤية فكرية جديدة وتركيبية منهجية حديثة ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص 288

ثالثا - مكونات وأنواع السياحة البيئية:

1/ مكونات السياحة البيئية:

وهي تتمثل في العوامل الطبيعية الايكولوجية، وما تضمه من عناصر وأنظمة حيوية، أي ما تقدمه الطبيعة كليا، مثل سطح الأرض وما عليه من جبال ووديان، وغابات ومغاور، وأنهار ومحميات وصحارى، وأنواع المشاهدات والخيرات الواسعة المتضمنة فيها، أو التي عمل الإنسان على إنشائها مثل الحدائق والمنتزهات، إضافة إلى العوامل المناخية والعوامل البيولوجية من كائنات برية وبحرية وأسماك وطيور... الخ

2/ أنواع السياحة البيئية:

توجد عدة أنواع من السياحة البيئية يمكن استغلالها والاستفادة منها، قد تكون مرتبطة بالطبيعة أو بالتراث الحضاري، والتي نذكر منها ما يلي: ¹

* سياحة المحميات الطبيعية والتي يطلق عليها السياحة الفطرية؛

* سياحة المزارع والسياحة الخضراء في السهول والغابات، والمنتزهات وحدائق الحيوانات؛

* سياحة الصيد للحيوانات البرية والبحرية والأسماك؛

* سياحة الغوص تحت الماء، والألعاب المائية والتنزه على الشواطئ، ودراسة النباتات البحرية، والرحلات

الشراعية البحرية، والفنادق العائمة في البحر؛

* سياحة الصحاري، حيث السكنية والهدوء، ومراقبة الطيور والحشرات والزواحف، والتزلج على الرمال، وسباق الجمال... الخ؛

* سياحة تسلق الجبال؛

* السياحة العلاجية في الجبال والصحاري للشفاء من بعض الأمراض، إضافة إلى العلاج بالرمال والأعشاب الطبيعية، والكهوف والمغارات؛

* سياحة المنتجعات الصيفية والمعسكرات الكشفية؛

* سياحة الآثار والنقوش والمغارات الأثرية، وتحليل الصخور البيولوجية؛

* سياحة المناطق الرطبة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن السياحة البيئية تنمي الوعي المبني على الطبيعة، والذي يهتم به السائحون المهتمين بالطبيعة، ومعرفة ثقافة وتاريخ المنطقة، وكذلك تحقق السياحة البيئية منافع اقتصادية واجتماعية للبلد الذي يتبناها.

¹ حامد نور الدين، السياحة البيئية كمدخل لتحقيق استدامة التنمية المحلية، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات المنتدى الوطني حول فرص ومخاطر السياسة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة يومي 19-20 نوفمبر 2012، ص ص: 6-7

المحور الثاني : عموميات حول التنمية المستدامة

إن مشاكل البيئة لا تعرف الحدود، وهذا العصر يشهد تحديات بيئية مختلفة، أخذت تهدد الأجيال بسبب قيم وأعراف وأخلاقيات تؤصل في النفس أهمية التقدم الاقتصادي، والثراء المادي على حساب الاستغلال السليم للموارد الطبيعية، فالتحسن في مستوى المعيشة الناتج عن التنمية، قد يضع بسبب التكاليف التي يفرضها التدهور البيئي على الصحة وعلى نوعية الحياة، لذلك كان لزاما على الحكومات جعل سكان العالم أكثر وعيا واهتماما بالبيئة، وبالمشاكل المتعلقة بها، من أجل إيجاد حلول للمشاكل الآنية والحيولة دون نشوء مشاكل جديدة، وذلك في إطار ما يعرف بالتنمية المستدامة

أولا - تعريف ومسار التنمية المستدامة

1/ تعريف التنمية المستدامة:

أ/الأصل والمعنى اللغوي للتنمية المستدامة: بالرجوع إلى المعنى اللغوي الذي هو المدخل الرئيسي لتحديد المعنى الاصطلاحي، نجد أن "الفعل استدام الذي جذره (دوم) له معاني متعددة منها: الثأني في الشيء، وتمني دوامه والمواظبة عليه، و"هي مرتبطة بالمعنى الاصطلاحي، بالتنمية تحتاج إلى تأني في سياستها وديمومة مشاريعها، وبجاجة إلى مواظبة في تنفيذ برامجها"¹

ب/المفهوم العلمي للتنمية المستدامة: لقد عرفت التنمية المستدامة تراجما شديدا في التعريفات والمعاني وظهرت العديد من المعاني التي تظم عناصر وشروط هذه التنمية، و التي ندرجها على النحو التالي :

ب1/ التعريف المادي للتنمية المستدامة: إن المفهوم المادي للتنمية المستدامة يركز على "ضرورة استخدام الموارد الطبيعية بطريقة لا تؤدي إلى فئائها أو تدهورها، أو تناقص جدواها بالنسبة للأجيال المقبلة، وذلك بالمحافظة على الموارد الطبيعية، مثل التربة و المياه الجوفية والكتلة البيولوجية"²

ب2/ التعريف الاقتصادي للتنمية المستدامة: " تركز التعريف الاقتصادية للتنمية المستدامة على الإدارة المثلى للموارد الطبيعية، وذلك بالحصول على الحد الأقصى من المنافع الاقتصادية، مع المحافظة على الموارد الطبيعية ونوعيتها، بحيث استخدام موارد الحاضر ينبغي أن لا تقلل من الدخل الحقيقي في المستقبل"³ وفي هذا الإطار نجد أن التنمية المستدامة هي: "السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات النظام البيئي على استيعاب هذا التطور"⁴

¹ ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صابر، 1972، ص 450

² محالد مصطفى قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الاسكندرية: الدار الجامعية، 2007، ص 156

³ نفس المرجع، ص 158

⁴ محمد صالح الشيخ، الآثار الاقتصادية والمالية للتلوث البيئي ووسائل الحماية منها، القاهرة: مكتبة ومطبعة الإشعاع، 2002، ص 245

14/ نفس المرجع، ص 248

ج/ التعريف الدولي للتنمية المستدامة:

ج-1: تعريف البنك الدولي للتنمية المستدامة : عرفها البنك الدولي على أنها " تلك العملية التي تهم بتحقيق التكافؤ المتصل، والذي يضمن إتاحة نفس الفرص التنموية الحالية للأجيال القادمة، من خلال ضمان ثبات رأس المال الشامل أو زيادته عبر الزمن "

¹ج-2 تعريف هيئة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة: لقد عرف المبدأ الثالث في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية المستدامة، الذي انعقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل عام 1992 التنمية المستدامة بأنها "ضرورة إنجاز الحق في التنمية، بحيث يتحقق على نحو متساوٍ للحاجات التنموية والبيئية للأجيال الحاضرة والمستقبلية، وأشار المبدأ الرابع إلى أنه لكي تتحقق التنمية المستدامة ينبغي أن تمثل الحماية البيئية جزءاً لا يتجزأ من عملية التنمية، ولا يمكن التفكير فيها بمعزل عنها " ²

مما سبق يتضح لنا وجود اختلاف في تعريف التنمية المستدامة يتجاوز الحدود السياسية والعلمية فلا يوجد اتفاق بين الدول المتقدمة والنامية حول ضبط هذا المفهوم، وهذا راجع إلى تباين المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وانطلاقاً من التعاريف السابقة يمكن القول أن التنمية المستدامة، هي تلك التنمية التي تستجيب لحاجات الأجيال الراهنة دون تعريض حاجات الأجيال القادمة للخطر، ولن يتحقق هذا إلا إذا كانت التنمية فعالة اقتصادياً، وعادلة اجتماعياً، ومحتملة بيئياً، بحيث يتم البحث عن موارد جديدة تستخدم بطرق لا تؤدي إلى إنتاج نفايات بكثرة، عن طريق إتباع أسلوب الإنتاج الأنظف، ومحاولة الوصول إلى مستوى صفر نفاية، من خلال تميمها والاستفادة منها إلى أقصى حد ممكن.

2/ مسار التنمية المستدامة: " في سنة 1969 تأسست مجموعة من المنظمات غير حكومية اهتمت بالبيئة، على غرار منظمة السلام الأخضر وأصدقاء البيئة، كما ألفت الكتب حول التدهور البيئي وآثاره على الإنسان و البيئة... الخ، وفي ذات السنة صرح السيد يوثانت، وهو السكرتير العام للأمم المتحدة خلال الفترة من 1961 إلى 1971، بأن لدى هيئة الأمم المتحدة عشر سنوات لتحسين بيئة الإنسان، والحد من الانفجار السكاني في العالم، وشهدت سنة 1970 وسنة 1971 نشاطاً دولياً مكثفاً، حيث استلمت اللجنة التحضيرية أكثر من 100 تقرير وطني يعكس الحالة البيئية لهذه الدول " ³، " وفي عام 1972 كانت فكرة عقد مؤتمر الأمم المتحدة بستوكهولم حول البيئة، حيث انعقد هذا المؤتمر في مدينة ستوكهولم بالسويد في الفترة الممتدة ما بين 15-16 يونيو 1972، بحضور 1200 مندوب من 114 دولة، كما حضره العديد

¹ المرجع السابق، ص 248² نفس المكان³ لورين البرت، (ترجمة جاسم الحسن)، السياسة العالمية للبيئة، الكويت: دار عالم للفكر، 2001، ص 283

من المنظمات الحكومية والمنظمات غير الحكومية، ولقد نتج عن هذا المؤتمر بيان مؤتمر ستوكهولم، والذي احتوى على 26 بندا اختياري لا تلزم الدول على تطبيقها حيث تمثل حلولا وسطا بين الدول النامية والدول المتقدمة¹، كما انبثق عنه برنامج البيئة للأمم المتحدة، أين شرح فكرة محدودية الموارد الطبيعية، وأنه إذا استمر تزايد معدلات الاستهلاك فإن الموارد الطبيعية لن تفي باحتياجات المستقبل، ومن أهم توصيات مؤتمر ستوكهولم ما يلي:²

* دعوة الحكومات لبذل المزيد من الجهود لحماية البيئة من التلوث؛

* إنشاء شبكة عالمية من محطات رصد التلوث؛

* الاهتمام بتدريب الأفراد في كل المستويات للعمل في مجال البيئة؛

* إنشاء صندوق خاص لتمويل مشروعات البيئة.

ولقد عرف مؤتمر ستوكهولم نجاحا كبيرا، حيث أوضح حقيقة مفادها أن الجوانب الايكولوجية والفيزيائية إذا كانت تشكل الأساس الطبيعي للبيئة البشرية، فإن أبعاده الاجتماعية والاقتصادية هي التي توجه الإنسان نحو الاستخدام الأمثل لموارده، وما تجدر الإشارة إليه هو أن النجاح الذي حققه يعتبر نجاحا سياسيا فقط، حيث أستمر التدهور البيئي عمليا.

" وفي عام 1973 هزت أزمة البترول العالم، ونهت إلى أن الموارد محدودة الحجم، وفي عام 1980 صدرت وثيقة الاستراتيجية العالمية للصون البيئي، أين نهت إلى أهمية تحقيق التوازن بين ما يحصده الإنسان من موارد البيئة، وقدرة النظم البيئية على العطاء، وفي عام 1983، تم إنشاء لجنة الأمم المتحدة للبيئة والتنمية CNUED، وفي عام 1987 أصدرت اللجنة العالمية للتنمية والبيئة تقرير "مستقبلنا المشترك" والمعروف بتقرير بورتلاند، حيث كانت رسالة هذا التقرير الدعوة إلى مراعاة حق الأجيال القادمة في الموارد المتاحة، وفي سنة 1989 أصدرت الأمم المتحدة قرار 44/228 المؤرخ في 1989، والذي عبر عن القلق إزاء تردي وضع النظم البيئية في الأرض، والمشاكل الأخرى كإدارة النفايات، وفي عام 1990 انعقد مؤتمر بيرغن بالنرويج، وفي 1991 انعقد مؤتمر تورنتو بكندا حول المدن وبيئتها³

وفي عام 1992 انعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية في ريو دي جانيرو بالبرازيل عرف بقمة الأرض، والذي أقر على الحكومات التعاون مع المنظمات الدولية من أجل تبني إستراتيجية وطنية للتنمية المستدامة،

¹ نفس المرجع، ص 286

² عبد العزيز قاسم محارب، الأثار الاقتصادية لتلوث البيئة، مصر: مركز الاسكندرية للكتاب 2006، ص 43

³ مرجع السابق، ص 48

ضم هذا المؤتمر ممثلي 178 دولة، وعدد معتبر من المنظمات الحكومية وغير الحكومية، وتنج عن هذا المؤتمر ما يلي¹:

* إعلان ريو حول البيئة والتنمية والذي تضمن خطوط إرشادية وصل عددها إلى 27 مبدأ؛
* برنامج أجندة القرن 21، وهو الوثيقة الرئيسية للمؤتمر، احتوى على 40 جزء، يتضمن الجزء الأول الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، واختص الجزء الثاني بمشاكل البيئة... الخ، وفي الجزء الأخير تم استعراض طرق ووسائل تطبيق الأجندة.

بدأ تطبيق برنامج القرن 21 في العديد من دول العالم، إذ وقع على هذه الأجندة أكثر من 150 دولة 80% منها تقع في أوروبا، وتم التأكيد في الندوة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة التي عقدت في عام 1997، استعراض جدول أعمال القرن 21، وأنيط لجميع البلدان أن تكمل بحلول عام 2002 صياغة ووضع استراتيجيات وطنية للتنمية المستدامة، وقام رؤساء دول وحكومات 147 دولة وحكومة في سبتمبر 2000 بالتوقيع على إعلان الألفية، وأكدوا مجددا دعمهم لمبادئ التنمية المستدامة، وعقدت في غانا خلال الفترة من 7 إلى 9 نوفمبر 2001 المحفل الدولي المعني بالاستراتيجيات الوطنية للتنمية المستدامة، " ثم جاءت قمة جوهانسبرج للتنمية المستدامة بجنوب إفريقيا في الفترة من 26 أوت إلى 04 سبتمبر 2002، بحضور أكثر من 100 ملك ورئيس دولة وحكومة، بالإضافة إلى ممثلي 174 بلد، وتم التأكيد في هذه القمة على ضرورة أن تستكمل كافة الدول وضع استراتيجية للتنمية المستدامة بحلول 2005 حيث نوقش فيها مشكلة الفقر، حماية البيئة، مواجهة التزايد السكاني، الديون الخارجية، الرعاية الصحية التمويل، وتوصلت القمة إلى نتائج إيجابية منها:²

* إدراج قضية مصادر الطاقة المتجددة في جدول أعمال القمة؛
* موافقة جميع الدول التي لم تنظم إلى اتفاقية كيوتو، منع زيادة حرارة الأرض ماعدا الولايات المتحدة الأمريكية؛

* إنشاء صندوق تضامن عالمي للقضاء على الفقر، وتعزيز التنمية الاجتماعية والبشرية في البلدان النامية وتشجيع دور القطاع الخاص والأفراد؛
* وضع معايير عملية لحماية الثروة السمكية في العالم.

" ثم جاء المؤتمر الدولي لمواجهة التغيرات المناخية في الفترة ما بين 03 و14 ديسمبر 2007 ببالي في اندونيسيا، و الذي وضع خارطة طريق للمفاوضات، تهدف إلى تمديد بروتوكول كيوتو إلى ما بعد 2012

¹ صليحة حيفي، تسيير النفايات الصلبة وعلاقة تديرها بالتنمية المستدامة، دراسة حالة الجزائر أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد بيئية، جامعة الجزائر 3، 2015، ص 110

² المرجع السابق، ص 111

وبعد ذلك جاء مؤتمر الدوحة للتنمية المستدامة في 2010، وتعاقبت بعد ذلك الندوات والمؤتمرات إلى يومنا هذا، والتي تنادي كلها بضرورة تبني مفهوم التنمية المستدامة وإرساء أبعادها، نتيجة الخطر الكبير الذي يهدد البشرية على الكرة الأرضية، في ظل تزايد التلوث وتراكم النفايات بكل أنواعها

ثانيا- أهداف، خصائص ومبادئ التنمية المستدامة

1/ أهداف التنمية المستدامة: تسعى التنمية المستدامة من خلال آلياتها ومحتواها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، يمكن تلخيصها فيما يلي:¹

* تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان، عن طريق التركيز على الجوانب النوعية للنمو وليس الكمية وبشكل عادل ومقبول؛

* احترام البيئة الطبيعية، وذلك من خلال التعامل مع النظم الطبيعية ومحتواها على أساس حياة الإنسان؛

* تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة، وذلك من خلال تنمية إحساسهم بالمسؤولية تجاهها وحثهم على المشاركة الفعالة في إيجاد حلول مناسبة لها، عن طريق مشاركتهم في إعداد وتنفيذ ومتابعة وتقييم برامج التنمية المستدامة؛

* تحقيق استغلال واستخدام عقلاني للموارد، حيث تعامل التنمية المستدامة الموارد الطبيعية على أنها موارد محدودة، لذلك تحول دون استنزافها أو تدميرها، وتعمل على استخدامها وتوظيفها بشكل عقلاني؛

* استخدام تكنولوجيا الإنتاج الأنظف، وذلك من أجل تقليل حجم التلوث وكمية النفايات؛

* جعل المجالس والحكومات المحلية مسؤولة عن إدارة وتسيير النفايات، وذلك عن طريق معالجتها وتثمينها للاستفادة منها؛

* العمل على تلبية الحاجات الأساسية للإنسان، فهو محور التنمية المستدامة، لأنها تتضمن تنمية بشرية تؤدي إلى تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم للبشر؛

* ضمان مستوى سكاني مستقر، وذلك من خلال إيجاد نوع من التوازن بين النمو السكاني وقدرة البيئة على استيعاب الزيادة السكانية؛

* المحافظة على قاعدة الموارد وتعزيزها، من خلال ترشيد استخدامها وإيجاد البدائل؛

* دمج الشؤون البيئية في عملية صنع القرارات الاقتصادية، ويكون ذلك عن طريق دراسة مدى تأثير المشاريع الاقتصادية على البيئة، بالنظر إلى مدخلات العملية الإنتاجية وكذا مخرجاتها؛

* إنعاش النمو الاقتصادي مما يسمح له بالاستمرار والتواصل، من خلال تغيير أنماطه وتوجيهاته في الإطار البيئي السليم؛

* إعادة توجيه التقنيات الإنتاجية، وذلك بالاعتماد على التقنيات المرشدة بيئيا.

¹ سعاد زراي، إشكالية البيئة في إطار التنمية المستدامة، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، تخصص نقود ومالية، جامعة الجزائر، 2008، ص48

وعلى العموم يمكن إدراج أهداف التنمية المستدامة في الجدول التالي:

جدول رقم: 01 أهداف التنمية المستدامة

الهدف	الاستدامة الاقتصادية	الاستدامة الاجتماعية	الاستدامة البيئية
المياه	ضمان المد الكافي ورفع كفاءة استخدام المياه في التنمية الزراعية والصناعية	تأمين الحصول على المياه في المناطق بالكمية الكافية	ضمان الحماية الكافية للمجمعات المائية
الغذاء	رفع الإنتاجية الزراعية من أجل تحقيق الأمن الغذائي والتوجه نحو للتصدير	تحسين الإنتاجية وضمان الأمن الغذائي المنزلي	ضمان الاستخدام المستدام والحفاظ على الأراضي والغابات والمياه
الصحة	زيادة الإنتاجية من خلال الرعاية الصحية والإجراءات الوقائية في أماكن العمل	فرض معايير للهواء والمياه والضوضاء وضمان الرعاية الصحية للفقراء	ضمان الحماية الكافية للموارد البيولوجية والأنظمة الإيكولوجية
المأوى والخدمات	ضمان الإمداد الكافي والاستعمال الكفء لموارد البناء و المواصلات	ضمان الحصول على السكن المناسب بالسعر المناسب	ضمان الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة
الطاقة	ضمان الإمداد الكافي والاستخدام الأمثل للطاقة في مجالات التنمية	ضمان الحصول على الطاقة الكافية للأغلبية الفقيرة	خفض الآثار البيئية للوقود والتوسع في استعمال الطاقات المتجددة
التعليم	ضمان وفرة اليد العاملة المدربة لكل القطاعات الاقتصادية	ضمان التعليم لكل الفئات	إدخال البيئة في المناهج التعليمية
الدخل	زيادة الكفاءة الاقتصادية وفرص العمل	دعم المشاريع الصغيرة وخلق الوظائف للأغلبية الفقيرة	ضمان الاستعمال المستدام للموارد الطبيعية

المصدر: رزاي سعاد ، إشكالية البيئة في إطار التنمية المستدامة ، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في علوم التسيير ، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة الجزائر ، 2008 ، ص 50

2/ خصائص التنمية المستدامة:

- للتنمية المستدامة مجموعة من الخصائص نذكرها على النحو التالي :¹
- * هي تنمية تعتبر البعد الزمني أساسا لها، فهي تنمية طويلة المدى؛
 - * هي تنمية تراعي الحفاظ على المحيط الحيوي في البيئة الطبيعية، من خلال عناصره الأساسية؛
 - * هي تنمية تضع تلبية الحاجات الأساسية للفرد من البشر في المقام الأول؛
 - * هي تنمية متكاملة تقوم على التنسيق والتكامل بين سياسات استخدام الموارد واتجاهات الاستثمار.

¹ محسن عبد الحميد توفيق وآخرون ، التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ، 1992 ،

3/ مبادئ التنمية المستدامة: حتى تتحقق التنمية المستدامة، لا بد من توفر مجموعة من المرتكزات أو المبادئ، تم وضعها في إعلان ريو دي جانيرو، نوجزها فيما يلي:¹

- تشجيع استخدام البنزين الخالي من الرصاص، وتحسين وسائل النقل العام وشبكة الطرق، للحد من التلوث الناجم عن السيارات؛
 - خلق سياسات تنموية متوازنة إقليمياً بين القطاعات الاقتصادية، حيث أن وفرة الموارد الطبيعية اللازمة للزراعة لا تعني التركيز على التنمية الزراعية وإهمال التنمية الصناعية والعكس صحيح، كما يجب خلق توازن جهوي بين التنمية الريفية والتنمية الحضرية؛
 - إدراج البيئة وتكاليف حمايتها ضمن دورة حياة المنتجات؛
 - تحقيق الفعالية الاقتصادية من خلال الاستخدام المتوازن للموارد الطبيعية، خاصة الناضبة منها، مع التوجه للموارد والطاقات المتجددة؛
 - الحفاظ على التنوع البيولوجي باعتماد سياسات تتعامل مع المشاكل البيئية طويلة الأجل؛
 - زيادة اتساع قاعدة اتخاذ القرار والسماح للجمهور بالمشاركة؛
 - الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص في الدول تحقيقاً للتنمية المستدامة؛
 - دعم برامج تنظيم الأسرة، خاصة في الدول النامية التي تتسم بمعدلات نمو سكاني سريعة جداً، من أجل تخفيض معدل النمو السكاني عند مستوياته الآمنة بيئياً؛
 - التخفيف من حدة الفقر، والذي يعتبر عائقاً أمام التنمية المستدامة؛
 - المتابعة المستمرة للآثار البيئية للمشروعات الإنمائية، وذلك من خلال رقابة بيئية مستمرة لضمان وجود علاقة سليمة ومتوازنة بين البيئة والتنمية؛
 - تعزيز الأساس العملي للإدارة البيئية السليمة، بما يكفل حسن استخدام الموارد البيئية الطبيعية والبشرية؛
 - اعتماد المحاسبة البيئية الاقتصادية كأساس حتمي في تقييم جدوى المشروعات الإنمائية؛
 - دعم برامج التوعية البيئية التنموية على أسس علمية.
- ومن خلال هذا نرى أن التنمية المستدامة تمثل هدفاً استراتيجياً للبشرية، ينبغي العمل على تحقيقه من أجل استمرار الحياة دون خطر، وهي مسؤولية فردية وجماعية، ومسؤولية المجتمع الدولي كله الغني والفقير، المتقدم منه والنامي.

¹ إيماري عمار، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، يومي 08/07 وأفريل 2008، جامعة شلف، الجزائر، ص ص 08-09

4/ أبعاد التنمية المستدامة: إن التنمية المستدامة تتضمن مجموعة من الأبعاد المتداخلة فيما بينها، تتصل بالوسائل التقنية التي يعتمد عليها الناس في جهودهم التنموي، وتتصل بالمناهج الاقتصادية التي يجري عليها حساب المأخوذ والمردود، نتناولها على النحو التالي:¹

أ/ البعد الاقتصادي: يستند هذا البعد على المبدأ الذي يقضي بزيادة رفاهية المجتمع إلى أقصى حد والقضاء على الفقر، من خلال استغلال الموارد الطبيعية على النحو الأمثل، فهو بعد ذو أساس كمي يتعلق برفع معدل النمو والدخل وعدالة توزيعه، فالتنمية المستدامة تعني إجراء خفض عميق ومتواصل في استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، ويندرج ضمن هذا البعد العناصر التالية:

- إيقاف تبيد واستنزاف الموارد الطبيعية؛
- ضمان حق حصول الأفراد على الموارد الطبيعية؛
- إظهار مسؤولية البلدان المتقدمة على التلوث البيئي وضرورة معالجته؛
- تقليص تبعية الدول النامية للدول المتقدمة، وبالتالي الانطلاق في نمط تنموي يعتمد على الذات لتنمية القدرات وتأمين الاكتفاء الذاتي؛
- المساواة في توزيع الموارد من أجل التخفيف من الفقر وتحسين مستويات المعيشة؛
- الحد من التفاوت في المداخل؛
- تقليص الإنفاق العسكري، وذلك بتحويل الأموال من الإنفاق على الأغراض العسكرية إلى الإنفاق على متطلبات التنمية.

ب/ البعد الإنساني والاجتماعي: يشير هذا البعد إلى العلاقة بين الطبيعة والبشر وتحقيق الرفاهية وتحسين سبلها، من خلال الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية، ووضع المعايير الأمنية واحترام حقوق الإنسان في المقدمة، ويتضمن هذا البعد العناصر التالية:²

- تثبيت النمو السكاني، وذلك لأن النمو السريع يحدث ضغطا حادا على الموارد الطبيعية وعلى قدرة الحكومات على توفير الخدمات؛
- الاهتمام بتوزيع السكان من خلال اهتمام التنمية المستدامة بالتنمية الريفية والتقليل من الهجرة نحو المدن؛
- الاستخدام الكامل للموارد البشرية، وذلك بتحسين مستوى التعليم والخدمات الصحية، فالتعليم مثلا من شأنه أن يساعد المزارعين وغيرهم من سكان البلدية على حماية الغابات وموارد التربة والتنوع البيولوجي؛
- الاهتمام بالمرأة على اعتبار أنها المدير الأول للموارد والبيئة في المنزل ورعاية وتربية الأطفال؛
- تحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات المجتمع وبين الأجيال المتعاقبة؛

¹ خالد مصطفي قاسم، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الاسكندرية: الدار الجامعية، 2007، ص 28 / 37

² إبراهيم خليل بظاظو، التخطيط والتسويق السياحي، عمان: الوراق للنشر والتوزيع، 2008، ص 206

- العمل على إشراك المواطنين مشاركة فعالة في مراحل التخطيط والتنفيذ للتنمية؛
 - العمل على ضبط السلوك الاستهلاكي للناس، والابتعاد عن الإسراف وما يتبعه من زيادة في كمية النفايات.
 ج/ **البعد البيئي**: يتعلق بالحفاظ على الموارد المادية والبيولوجية، مثل الاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية والموارد المائية في العالم، وذلك من خلال الأسس التي تقوم عليها التنمية المستدامة، ويتضمن هذا البعد العناصر التالية:

- حماية الموارد الطبيعية؛
 - الحفاظ على المحيط المائي؛
 - صيانة ثراء الأرض في التنوع البيولوجي؛
 - حماية المناخ من الاحتباس الحراري؛
 - التقليل من إتلاف التربة و استعمال المبيدات وتدمير الغطاء النباتي والمصايد.
 د/ **البعد التكنولوجي والإداري**: وهو البعد الذي يهتم بالتحول إلى نظم تكنولوجية أنظف وأكثر كفاءة، تنقل المجتمع إلى عصر يستخدم أقل قدر من الطاقة والموارد، وأن يكون الهدف من هذه النظم التكنولوجية إنتاج حد أدنى من الغازات والملوثات، واستخدام معايير معينة تؤدي إلى الحد من تدفق النفايات وتعيد تدوير النفايات داخليا، ويتضمن هذا البعد العناصر التالية:

- استخدام تكنولوجيا الإنتاج الأنظف؛
 - الحد من انبعاث الغازات؛
 - استخدام قوانين البيئة للحد من التدهور البيئي؛
 - إيجاد وسائل بديلة للمحروقات مثل الطاقة الشمسية وغيرها؛
 - الحيلولة دون تدهور طبقة الأوزون؛

ثالثا - العلاقة بين التنمية المستدامة وحماية البيئة: في هذا الصدد يمثل حماية البيئة الهدف الأساسي للتنمية المستدامة، ويرجع ذلك إلى أن البيئة هي المصدر الأساسي لجميع الموارد التي تستحقها برامج التنمية المستدامة ومشروعاتها، وعدم التوازن البيئي يؤدي إلى تدمير النظم البيئية وتدهور حالة الموارد الطبيعية، وبما أن البيئة هي العنصر الأساسي للسياحة البيئية، كان لزاما وضع ضوابط خاصة لبرامج التنمية المستدامة تهدف إلى حماية البيئة، بحيث تضمن هذه الضوابط عدم تدهور النظم البيئية. وتتمثل هذه الضوابط فيما يلي:¹

- المحافظة على سلامة البيئة (خصوبة التربة، جودة الهواء، نظافة الماء... الخ)؛
- المحافظة على التراث الحيواني والنباتي، والحد من فقدان الحيوي؛
- الترشيد المتواصل لاستخدام الموارد الطبيعية.

¹ إبراهيم خليل بظاظو، التخطيط والتسويق السياحي، عمان: الوراق للنشر والتوزيع، 2008، ص 206

المحور الثالث- علاقة السياحة البيئية بالتنمية المستدامة

تمثل السياحة البيئية أحد أنواع السياحة القائمة على مبدأ الاستدامة السياحية، وهي تعتمد بشكل أساسي على عنصر الطبيعة، فهي سياحة قابلة للحياة من منظور اقتصادي دون أن تؤثر على الموارد الطبيعية والمقومات البشرية داخل أي موقع سياحي

أولاً- تأثير السياحة البيئية على التنمية المستدامة

1/ التنمية السياحية المستدامة: تمثل التنمية السياحية مختلف البرامج التي تسعى إلى تحقيق الزيادة المستمرة للموارد السياحية، وترشيد إنتاجية القطاع السياحي، وبالتالي فهي تنطوي على الارتقاء والتوسع في الخدمات السياحية، وبالتالي تعرف التنمية السياحية المستدامة على أنها "تلك السياحة التي تلي احتياجات السائح والمواقع المضيفة إلى جانب حماية وتوفير فرص للمستقبل"، "إن إقامة تنمية سياحية مستدامة، أمر يترتب عليه الحفاظ على تنوع الأنظمة البيئية الموجودة، لأنها تمثل القاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذا النشاط، وعلى هذا النحو فهي تمثل عملية تغيير يكون فيها استغلال الموارد واتجاه الاستثمارات، ووجهة التطور التكنولوجي في حالة انسجام، وتعمل على تعزيز امكانية ربط الحاضر بالمستقبل، لتلبية الحاجات الأساسية للسائح"¹

2/ مبادئ وأهداف التنمية السياحية البيئية المستدامة: يمكن أن نوجزها على النحو التالي:

- حماية البيئة وزيادة الاهتمام بالموارد الطبيعية والموروثات الثقافية للمجتمع؛
 - تحقيق العدالة بين أفراد الجيل الواحد، وبين الأجيال المختلفة من حيث الحق في الاستفادة من الموارد البيئية؛
 - الارتقاء بالوعي البيئي والقضايا البيئية لدى السياح وأفراد المجتمع المحلي للمنطقة السياحية؛
 - الاستخدام الفعال للأرض بما يتناسب مع البيئة المحيطة.
- ثانياً - القواعد العامة التي تحكم العلاقة بين التنمية المستدامة والسياحة البيئية: يمكن أن نوجز هذه القواعد على النحو التالي²:
- وجود قوانين وأنظمة تضمن السيطرة على أعداد السياح الوافدين، وتزويدهم بالخدمات والمعلومات حول المناطق السياحية، لكن دون إلحاق الضرر بالبيئة والتراث الذي تحويه؛
 - ضرورة وجود إدارة سليمة للموارد التي تتوفر عليها المنطقة، تمكنها من المحافظة على هذا الموروث للأجيال القادمة؛
 - توعية وتثقيف السكان المحليين بضرورة المحافظة على البيئة؛
 - تحديد القدرة الاستيعابية للمكان السياحي، بحيث يحدد عدد السياح الوافدين إلى المنطقة دون ازدحام.

¹ علي فلاح الزغي، التوثيق السياحي والفندقي: مدخل صناعة السياحة والضيافة، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2012، ص121.

² عصام حسن السعيد، التسويق والترويج السياحي، دار الراية للنشر والتوزيع، 2009، ص131

ثالثا - أثر السياحة البيئية على التنمية المستدامة: إن التزام الدولة والمجتمع على حد سواء بنشر ثقافة سياحية نظيفة، تقوم على أخلاق ومبادئ تضمن حماية وصيانة البيئة، وتعمل على تحسينها بصفة مستمرة، وهذا من شأنه أن يساهم في تحقيق تنمية سياحية تعود بالفوائد الإيجابية على مختلف جوانب التنمية المستدامة، ويمكن ذكر أهم هذه الآثار على النحو التالي¹:

1/ الآثار البيئية:

- إن الالتزام بالقيام بسياحة بيئية يؤدي إلى تخفيض مستوى الاستهلاك من الطاقة، والموارد الطبيعية ويعمل على تغيير نمط الاستهلاك الذي يهدد التنوع البيولوجي والمنتجات الحيوانية؛
- في ظل سيادة ثقافة السياحة البيئية، يقع على عاتق الدولة المسؤولية الكاملة في معالجة مشكلة التلوث وذلك لكونها تملك الموارد المالية والبشرية والتقنية الكفيلة باستخدام تكنولوجيا أنظف؛
- بفضل الالتزام الأخلاقي والسلوكي للسياحة البيئية، يتم صيانة تراث الأرض للأجيال القادمة.

2/ الآثار السياسية والاجتماعية:

- التثبيت السكاني والحد من الهجرة إلى المدن؛
- الاستخدام العقلاني للموارد البشرية وتنميتها؛
- الترويج الحسن لصورة البلد وتحقيق التواصل بين الشعوب.

3/ الآثار الاقتصادية:

- زيادة الإنفاق في المناطق السياحية دون التأثير على البيئة؛
- تنشيط الحركة الاقتصادية، من خلال شق الطرق وإنشاء المدن والمركبات السياحية، وإقامة المعالم والنصب التذكارية، والمتاحف والمعارض، وتوسيع شبكة النقل؛
- خلق مناصب شغل جديدة.

المحور الرابع - السياحة البيئية والتراث الأخضر في الجزائر

أولا - المؤهلات السياحية في الجزائر: الجزائر من الدول التي تتوفر على امكانيات سياحية متنوعة، مما يجعلها مؤهلة للنهوض بهذا القطاع ويمكن أن نوجز هذه المؤهلات على النحو التالي:

1/ المقومات الطبيعية: تعتبر الجزائر من الدول التي تسخر بالمناطق الطبيعية المتنوعة، وتتمثل فيما يلي²:

¹ بن خديجة منصف ، أولاد زاوي عبد الرحمن ، السياحة البيئية مدخل حديث للإسهام في تحقيق التنمية المستدامة ، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات الملتقى الوطني حول : المقاولاتية ودورها في تطوير القطاع السياحي في الجزائر ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالة ، يومي 08-09 نوفمبر 2015، ص ص 19 - 20

² عويدان عبد القادر ، السياحة في الجزائر الامكانيات والمعوقات ، رؤية 2000 - 2025 في ظل الاستراتيجية السياحية الجديدة للمخطط التوجيهي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2013 ، ص 141

أ- **الموقع الجغرافي والتضاريس:** تقع الجزائر في الساحل الشمالي لقارة أفريقيا، فيحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط على امتداد 1660 كم، ومن الغرب تتقاسم الحدود مع دولة المغرب على مسافة مقدارها 1601 كم، ودولة موريتانيا على مسافة تبلغ 463 كم، بينما يحدّها من الشرق دولة تونس على مسافة تقدر بـ 96 كم، بالإضافة لدولة ليبيا على مسافة تبلغ 982 كم، أما من الجهة الجنوبية فتحدها دولة مالي على مسافة تبلغ 1376 كم، ودولة النيجر على مسافة 956 كم، وتعتبر الجزائر الإقليم الجغرافي الأكبر في المغرب العربي، تتوفر على مقومات متنوعة، تتمثل في شريط ساحلي يمتد على مسافة 1200 كلم، تتخلله رؤوس وخلجان، ومن أهم شواطئها: الجزائر، وهران، عنابة، جيجل، سكيكدة، القالة... الخ، هذا إلى جانب توفرها على سهول مثل سهل متيجة، ويأتي بعدها حزام جبلي يحتوي على سلاسل جبلية متفاوتة الارتفاع، مثل جبل شيليا بالأوراس بالشرق الجزائري، وقمة لالة خديجة، وجبال القصور والونشريس... الخ من الجبال التي تتميز بها الجزائر، والتي يمكن استغلالها لتطوير السياحة الجبلية، خاصة وأن هذه الجبال تنطوي على مقومات الجذب السياحي، من جمال الطبيعة من غابات وثلوج مثل جبال الشريعة بولاية البليدة، وجبال تيكجدة بولاية البويرة، وجبال تاغيفلاف بولاية تيزي وزو، ويتخلل هذه الجبال منابع مائية وحيوانات، وطيور مختلفة الأشكال والألوان وهو ما من شأنه أن يلبي حاجيات هواة السياحة الترفيهية والجبلية.

ب / **المناخ:** تتميز الجزائر بمناخ متوسطي معتدل، مما يجعلها تعيش معظم الفصول في وقتها، وهو ما يوفر لها كل أنواع السياحة البيئية التي تم الإشارة إليها سابقا، حيث أدى التنوع المناخي في دولة الجزائر إلى تنوع المناطق الطبيعية فيها، فلو نظرنا إلى المناطق الساحلية الشمالية، لوجدناها خضراء ذات سهول خصبة ومناظر خلابة رائعة، بسبب اعتدال جوّها، وامتلاكها غطاءً نباتياً مميّزاً لوفرة الأمطار فيها، إذ يتمتع سكانها في الساحل الشمالي بمناخ البحر المتوسط المعتدل شتاءً وصيفاً، بينما سكان المناطق الجبلية فيكون المناخ فيها بارداً في فصل الشتاء ومعتدل في فصل الصيف، أمّا سكان المناطق الجنوبية والوسطى فيها فيسود المناخ الصحراوي الحار صيفاً والدفء شتاءً، حيث تغطّي المناطق الصحراوية جزءاً كبيراً من مناطقها الجنوبية.

2/ **المناطق السياحية في الجزائر:** يمكن إيجاز المناطق السياحية في الجزائر تبعا لمعطيات جغرافية إلى¹:

أ/ **منطقة السواحل والسهل الشمالية وهضاب الأطلس الشمالي:** تتميز هذه المنطقة بطول شواطئها، وبعدد كبير من المواقع الأثرية تعود للعهد الروماني والعرب المسلمين، وأثار تعود للعصور القديمة.

ب/ **منطقة الهضاب العليا:** تتميز بمناخها القاري، وبمواقعها الأثرية، وبصناعاتها التقليدية المتنوعة.

ج/ **منطقة الأطلس الصحراوي:** وهي المناطق الواقعة بين الهضاب العليا والصحراء الكبرى، والتي يمكن تنمية السياحة الصحراوية فيها

¹ خالداكوش، مقومات السياحة في الجزائر، (مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا)، العدد الأول، 2011، ص 222

د/ منطقة واحات شمال الصحراء: تتميز باعتدال درجة الحرارة فيها، وبتمركز الواحات النخيلية ضمنها، وبحيراتها، كما تتميز بحرفها التقليدية.

هـ/ منطقة الصحراء الكبرى: وهي المنطقة المعروفة بالجنوب الكبير " الهقار " و " الطاسيلي "، تتميز بالجبال الشامخة والمساحات الشاسعة، والحرارة المعتدلة في فصل الشتاء، والتي تمثل مصدر السياحة الشتوية فيها.

3/ بعض المناطق السياحية الأكثر شهرة في الجزائر: من أشهر المناطق السياحية والطبيعية في الجزائر السهول الساحلية في مدينة بجاية، التي تتمتع بمناظر خلابة جداً، بفعل التضاريس الجميلة والمحاطة بجبال جرجرة في المناطق القبائلية غرباً، والتي تتمتع بثلوج شبه دائمة على قمم جبالها، ومن المناطق الرائعة والتي يزورها العديد من السياح، منطقة جانيت الواقعة في المنطقة الجنوبية الغربية من الحدود الليبية، التي تتميز بالرمال الحمراء وصخورها الموزعة بشكل جميل. من المعالم الأخرى في الجزائر هضبة أسكرام الواقعة في المناطق الجنوبية والتي تتميز بأرض صخرية يكسوها بعض الرمال، وتنتشر فيها العديد من الأحاديث الشاهقة، والتي نشأت بفعل التغيرات في القشرة الأرضية وانحسار المياه فيها، كما في الجزائر العديد من المناطق الأثرية المنتشرة في أرجاء كبيرة منها، ومن أشهر هذه المناطق الآثار الرومانية في تيمقاد، والحمامات القديمة والرسوم الصخرية القديمة في تاسيلي ناجر، بالإضافة لاحتوائها على عدد كبير من الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية، أهمها حديقة طاسيلي ناجر.

610 ثانيا- واقع السياحة البيئية من خلال المحميات الطبيعية كتراث أخضر في الجزائر: كأكبر بلد إفريقي، ترتفع الجزائر على ثروة حيوانية ونباتية فريدة من نوعها، وهذا ما يعجل إنشاء الدولة لحضائر طبيعية وطنية، بهدف الحفاظ على العناصر المكونة والممثلة لهذا التباين والتميز الطبيعي من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب إلى الشرق، بدأت الجزائر بتأسيس حضائر وطنية محمية بمراسيم رئاسية منذ 1983، وتأتي هذه الحضائر ثروة نباتية قيمة، من حيث تنوعها وندرتها إضافة إلى عدد كبير من الثدييات والعديد من أنواع الطيور التي تعطي منظرا خلابا بل مدهشا حيثما تناغمت عناصرها مع تضاريسها وجبالها، ناهيك عن كونها محفوفة بالأماكن والأثار التاريخية والنقوش الصخرية، ويمكن أن نبين هذه المحميات على النحو التالي¹:

1/ الحظيرة الوطنية لقورايا: تقع هذه الحظيرة في ولاية بجاية، تغطي مساحة قدرها 2080 هكتار تتمتع بثروة أثرية وطبيعية عالية الجمال، بما في ذلك قمة القروود، الحصن قورايا، مع المنحدرات الرائعة، في عام 2004 تم الاعتراف للحديقة باعتبارها أحد محميات المحيط الحيوي من قبل اليونسكو

2/ الحظيرة الوطنية للشريعة: تمتد حظيرة الشريعة على مسافة 26 000 هكتار جنوب غرب الجزائر العاصمة في قلب الأطلس البلدي، أُلحقت بالحضائر الوطنية سنة 1983، وصنفت كحظيرة عالمية للمحيط

¹ الحظائر الطبيعية الوطنية 10 في الجزائر، متاحة على الموقع الإلكتروني www.akhbalyon.dz تاريخ الاطلاع يوم 2019/01/14 على الساعة 17:00.

الحيوي من طرف اليونسكو في 2002م، تحوي الحظيرة على ما لا يقل عن 1200 نوع نباتي وحيواني، أبرزها الأرز البلوط، الفلين، الصنوبر .

3/ الحظيرة الوطنية للقالة: تقع في الشمال الشرقي للجزائر، تغطي الحظيرة مساحة قدرها 76438 هكتار، مما يجعلها واحدة من أكبر الحدائق الوطنية في الجزائر، والأكثر ثروة في شمال البلاد، حيث تحوي على أكثر المجموعات الحيوانية والنباتية في الجزائر، أكثر من 50 نوع من الطيور، اتخذت كحظيرة وطنية في 1983 وكحظيرة عالمية للمحيط الحيوي سنة 1990 من قبل اليونسكو.

4/ الحديقة الوطنية تازة: تقع هذه الحديقة في ولاية جيجل شمال شرق الجزائر العاصمة، وهي تغطي مساحة قدرها 3807 هكتار، وتعتبر فريدة من نوعها في منطقة البحر الأبيض المتوسط، نظرا لتنوعها، الحديقة عبارة عن تضاريس جبلية منخفضة العلو، أعلى نقطة لها هي قمة جبل كوديت كيرن 1121 متر، صنفت من قبل منظمة اليونسكو كمحمية للمحيط الحيوي العالمي منذ عام 2004

5/ الحديقة الوطنية لثنية الحد: تقع في الشمال الغربي من الجزائر في ولاية تيسمسيلت، وتغطي مساحة 3425 هكتار، منها 2968 هكتار مغطاة بالنباتات، تتألف النباتات بشكل رئيسي من أطلس السنديان، البلوط الأخضر، البلوط الفليني

6/ الحظيرة الوطنية لبلازمة: تقع هذه الحظيرة بولاية باتنة، تأسست سنة 1984، وتمتد على مساحة 250 26 هكتار، وتمثل مجموعة جبلية وعرة مزينة بغطاء نباتي متنوع وثرثري، كما تمثل بوابة لسلسلة تضاريس الأوراس.

7/ الحديقة الوطنية لتلمسان: تقع شمال غرب الجزائر . وتغطي مساحة قدرها 8225 هكتار، غنية بالتنوع البيولوجي بمجموعة استثنائية من النباتات والحيوانات، الحديقة هي أيضا موطن لمواقع تاريخية مثل : أنقاض المنصورة .وأعلنت حديقة وطنية في عام 1993.

8/ الحظيرة الوطنية للأهقار: تقع حظيرة الأهقار بولاية تمنراست بجبال الأهقار، حيث صنفت كحظيرة وطنية منذ عام 1987، ودخلت في تصنيف اليونسكو كتراث عالمي للإنسانية سنة 1988، وتمتد هذه الأخيرة على مدى 450 000 كم²، وتأوي تراثا ثقافيا وطبيعا فريدا من نوعه، وتعود حقبته إلى مليون سنة.

9/ الحظيرة الوطنية لجرجرة: تقع في الشمال الشرقي للجزائر، في منطقة جبلية عالية الانحدار بين ولايتي تيزي وزو والبويرة، تتربع على مساحة 18 500 هكتار، تتميز بمناخ البحر الأبيض المتوسط والقاري، وهذا ما يجعلها واحدة من أغنى البيئات الجبلية، حيث تحتوي على ما لا يقل عن 600 نوعا من النباتات.

10/المحمية الوطنية طاسيلي ناغر: تقع المحمية الوطنية طاسيلي ناغر في الجنوب الشرقي من الجزائر، بجبال طاسيلي ناغر في جانت بولاية إليزي، تتمتع الحديقة بشرة كبيرة من النقوش الشهيرة واللوحات الصخرية، وقد

صنفت طاسيلي كحديقة وطنية في عام 1372، وصنفت كموقع من التراث العالمي في عام 1982 من قبل اليونسكو.

ثالثا - معيقات السياحة البيئية في الجزائر ومقترحات تطويرها

1/ معيقات السياحة البيئية في الجزائر: رغم أهمية السياحة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة، ورغم توفر كل المؤهلات التي تساعد في المحافظة على هذا التراث الأخضر، إلى أنها لازالت لا ترقى إلى المستوى المطلوب، ويعود ذلك للأسباب التالية:

- ضعف الاستثمار في هذا القطاع؛

- سوء تسيير هذا القطاع؛

- قلة تمويل المشاريع الاستثمارية في مجال السياحة البيئية؛

- غياب ثقافة السياحة البيئية لدى المواطن الجزائري؛

- انتشار مختلف أنواع التلوث في الجزائر.

2/ مقترحات لتفعيل السياحة البيئية في الجزائر: من أجل تطوير السياحة البيئية في الجزائر، يمكن تقديم

بعض المقترحات وذلك على النحو التالي:

- الاستفادة من تجارب البلدان الرائدة في مجال السياحة البيئية؛

- تشجيع الاستثمار في مجال السياحة البيئية؛

- تحسين الخدمات في مجال السياحة البيئية وتدريب العاملين في هذا المجال؛

- استخدام التكنولوجيا في مختلف مجالات السياحة البيئية؛

- توفير البنى اللازمة والتي تتوافق مع السياحة البيئية، مثل الفنادق الخضراء.

الخاتمة: يتضح مما سبق أن السياحة البيئية تساهم بشكل كبير في تفعيل التنمية المستدامة، وهو ما من شأنه أن يساهم في المحافظة على التراث الأخضر بمختلف أشكاله، والسياحة البيئية في الجزائر تعد حلقة هامة في تنمية القطاع السياحي، وتشجيعها حتمية مطلقة، من أجل استغلال أفضل للثروات الطبيعية التي تزخر بها الجزائر، حيث أصبحت السياحة البيئية اختيار علمي للاستمتاع بالطبيعة، والمحافظة على التراث الأخضر والتراث الثقافي المحلي، خاصة في ظل التطور التكنولوجي والصناعي الذي أحدث تلوثا رهيبا، أدّى إلى تقلص حجم المساحات الخضراء التي يحتاج لها الإنسان، وعليه يمكن اعتبار الفرضية التي تم الانطلاق منها صحيحة، إذ تساهم المحميات الطبيعية كتراث أخضر. بما تحتويه من تنوع بيولوجي وحيواني- في تطوير السياحة البيئية، ومنه تحقيق أهداف وأبعاد التنمية المستدامة، باعتبارها أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها، ويظهر ذلك من خلال الجانب الاجتماعي عن طريق تمكين المجتمع المحلي من تحسين مستواه المعيشي، وتعزيز الصناعة الحرفية على مستواه، أما في الجانب الاقتصادي فيتمثل دورها في توفير الدخل للسكان المحليين

للمنطقة السياحية، وفي الجانب البيئي فيتمثل دورها في الحفاظ على الحياة الطبيعية، وبتالي فالسياحة البيئية تستخدم كمنهاج للوقاية لا أسلوب للمعالجة .

قائمة المراجع

أولا: الكتب

1. أكرم عاطف رواشدة ، السياحة البيئية ، الأسس والمكونات ، عمان : دار اليا للناشر والنشر والتوزيع ، 2009
 2. إبراهيم خليل بظاظو ، التخطيط والتسويق السياحي ، عمان : الوراق للنشر والتوزيع ، 2008
 3. لمياء السيد حنفي ، فتحي الشرقاوي ، الاتجاهات الحديثة في السياحة ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 2008
 4. مياس رجاء العربي ، التسويق السياحي في المنشآت السياحية ، عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، 2012.
 5. ام عبد الفتاح الشريعي ، تنمية المبيعات السياحية في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية ، الاسكندرية ، 2009
 6. موفق عدنان الحمري ، نبيل زحل الحوامده ، الجغرافيا السياحية في القرن 21، كمهج وأساليب وتحليل رؤية فكرية جديدة وتركيبة منهجية حديثة ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، بدون تاريخ نشر
 7. ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت : دار صابر ، 1972
 8. خالد مصطفى قاسم ، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة ، الاسكندرية: الدار الجامعية، 2007.
 9. محمد صالح الشيخ ، الآثار الاقتصادية والمالية للتلوث البيئي ووسائل الحماية منها ، القاهرة : مكتبة ومطبعة الإشعاع ، 2002.
 10. لورين البرت ، (ترجمة جاسم الحسن) ، السياسة العالمية للبيئة ، الكويت : دار عالم للفكر ، 2001.
 11. عبد العزيز قاسم محارب ، الآثار الاقتصادية لتلوث البيئة ، مصر : مركز الاسكندرية للكتاب 2006
 12. محسن عبد الحميد توفيق وآخرون ، التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ، 1992
 13. خالد مصطفى قاسم ، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة ، الاسكندرية : الدار الجامعية، 2007.
 14. علي فلاح الرزغي ، التوثيق السياحي والفندقي ، مدخل صناعة السياحة والضيافة، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع ، 2012.
 15. عصام حسن السعيد ، التسويق والترويج السياحي ، دار اليا للنشر والتوزيع ، 2009
- ثانيا : الرسائل العلمية
16. صليحة حيفي ، تسيير النفايات الصلبة وعلاقة تديرها بالتنمية المستدامة، دراسة حالة الجزائر أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد بيئية، جامعة الجزائر 3، 2015
 17. عويدان عبد القادر، السياحة في الجزائر الامكانيات والمعوقات، رؤية 2000 - 2025 في ظل الاستراتيجية السياحية الجديدة للمخطط التوجيهي، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر ، 2013

18. سعاد رزاي ، إشكالية البيئة في إطار التنمية المستدامة، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، تخصص نقود ومالية، جامعة الجزائر ، 2008

ثالثا : المجالات العلمية

19. مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا) ، العدد الأول ، 2011

20. (مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية) ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر، العدد السابع، جوان 2010

الملتقيات

21. الملتقى الدولي حول :التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، يومي 08/07 أفريل 2008، جامعة شلف، الجزائر.

22. الملتقى الوطني حول : فرص ومخاطر السياسة الداخلية في الجزائر ، جامعة الحاج لخضر، باتنة يومي 19-20 نوفمبر 2012

23. الملتقى الوطني حول : المقاولاتية ودورها في تطوير القطاع السياحي في الجزائر، جامعة 08 ماي 1945، قلمة، يومي 08-09 نوفمبر 2015

24. المواقع الالكترونية : www.akhbalyon.dz

ماذا على الإعلام أن يقدم للتراث الثقافي؟

د. رجاء مصطفي موسي قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بنغازي

يعتبر تراث أي مجتمع من أهم الخصائص والسمات الثقافية التي تميزه عن غيره من المجتمعات. نظرا لما يعكسه التراث من حضارة اكتسبها علي مدي السنين، وتعاقب الأجيال كإنتاج ومحصلة للتطور التاريخي علي كافة الأصعدة سياسيا واجتماعيا وثقافيا ومعنويا ووطنيا، وتحتاج الدول في ظل متغيرات العصر إلي جهود مضاعفة للحفاظ علي تراثها وحمايته من الإندثار بإستخدام كافة الوسائل، لذا فالهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء علي هذا التراث العظيم من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

ونظرا لأهمية التراث في الحفاظ علي تاريخ وجذور أي دولة، فإنه يمثل العنصر الأساسي في تماسك وترابط أبناء الشعب الواحد بما يعكسه من ثقافة وعادات وتقاليد وتحاول معظم الدول إظهار ما يشكله التراث من حضارة وتسعي بإستمرار إلي التأكيد علي جذوره والحفاظ عليه بما يضمن وجودها، بكافة الوسائل والأساليب المتاحة، ومنها : وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والمرئية التقليدية والحديثة.

تكمن أهمية الدراسة في تناول دور الإعلام في الترويج والجذب السياحي، حيث تلعب وسائل الإعلام دوراً خطيراً في إقناع السائح وإغرائه بالقدوم إلي بلد ما، مثلما هي قادرة علي تشويه صورة هذا البلد وبث الإشاعات عنه وتخويف السائح من القدوم، لذا فالإعلام عامل أساسي في الترويج السياحي وكذلك الإعلان من خلال إعطاء الصورة الصحيحة والمشرقة عن بلدنا وتقديمه للعالم والتعريف به بأشكال متعددة من وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال المهرجانات والمعارض والمؤتمرات وتبادل الوفود والفرق الفنية والمطبوعات وغير ذلك...

يتمحور موضوع هذه الدراسة حول (الإعلام والتراث) وينقسم إلي: **المبحث الأول** ويتناول التراث، أنواعه، أهميته، وطرق حماية التراث والحفاظ عليه. أما **المبحث الثاني** فإنه يتحدث عن: الإعلام أهميته وأنواعه وأهدافه ووظائفه. أما **المبحث الثالث** فسنحاول من خلاله الإجابة علي التساؤل: ماذا علي الإعلام أن يقدمه للتراث الثقافي وذلك من خلال التطرق إلي دور الإعلام في نشر الوعي السياحي، وتعريف الإعلام السياحي وأهميته، وخصائصه، والآثار الإيجابية والسلبية لانفتاح الإعلام السياحي، ومشاكل الإعلام السياحي. وستنتهي الدراسة بطرح النتائج والتوصيات التي المتوصل إليها.

- المنهج المتبع في الدراسة: المنهج التاريخي والتحليلي.

- كلمات مفتاحية (الإعلام - الثقافة - الموروث الثقافي)

المبحث الأول: التراث الثقافي أنواعه، أهميته، وكيفية المحافظة عليه.

أولاً- التراث: معنى التراث في اللغة هو: مصدر من فعل (ورث) إذ يقال: ورث فلانا، أي انتقل إليه مال فلان بعد وفاته، وما يخلفه الرجل لورثته⁽¹⁾ أي كل ما يتعلق بالإرث والميراث، وفي ضوء المفهوم اللغوي لكلمة التراث، نرى أنها لفظ يشمل الأمور المادية والمعنوية التي يتوارثها الخلف عن السلف، فكل ما نستلمه من الأجداد وننقله فيما بعد للأجيال القادمة يعتبر تراثاً⁽²⁾.

أما معنى الثقافة في اللغة فأنها تحظي بمعاني كثيرة، فجاء في تهذيب اللغة للازهري⁽³⁾ رجل ثقف لقف إذا كان ضابطاً لما يحويه، قائماً به، يقال ثقف الشيء: يعني سرعة التعلم. والتمكن من الشيء. فالكلمة تعني إجمالاً: التهذيب والفظانة. وأن كلمة ثقافة تناظرها في اللاتينية كلمة **Culture** التي تُعني بالعلم والفنون والآداب التي نتعلمها، أما كلمة **ivilization** فهي تتعلق بالأمور المادية وتعني مدنية أو حضارة⁽⁴⁾. انطلاقاً مما ورد في المعجم نجد أن هناك الكثير من التعريفات لكلمة الثقافة ولكن أكثرها شمولاً التعريف الذي أورده الصادق " هي ذلك الكل الذي يتضمن المعرفة، القيم، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادة وكل ما يكتسبه الإنسان بإعتباره عضو في المجتمع"⁽⁵⁾

ومن هنا علينا أن ندرك أن الثقافة مرآة المجتمع ومظهر تراثه بشقيه التاريخي والاجتماعي، فهي ذاكرة المجتمع. وهي خط التواصل بين الأجيال بذهنية متجددة ومتقدمة لا يمكن تجاهلها، وتشمل مكونات عدة إذ تتكون من مجموعة الأفكار والرموز والمعاني والطقوس والقوانين والقيم والعادات والفنون والآداب والموروثات الشعبية.. وما إلى ذلك من المكونات الثقافية وهي نسق مهم في البناء الاجتماعي عبر الزمان والمكان تحدد هوية المجتمع وتميزه عن غيره⁽⁶⁾.

التراث الثقافي (Cultural Heritage)

هو لفظ يطلق علي ما انتجته الحضارات السابقة، ويتم توارثها من السلف إلى الخلف وهذا يعني مجموع خبرات الإنسان في حياته، وتنبثق هذه الخبرات من تجاربه مع البيئة المحيطة به، وبمن حوله من الأفراد. مع إضافة ما اكتسبه من خبرات في حياتهم، في كافة مناحي الحياة المادية، والمعنوية، والتي عبرت عنه، وتمثلت في تحقيقه لتراث شملت ميادين الفكر، والعلم، واللغة، والآداب، والفنون، والعمران علي الأرض⁽¹⁾. إمّا من خلال البناء، أو فنّ الكتابة، أو النقش، أو

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ص199-201؛ عن عبدالعزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرياض (2011)، ص12

⁽²⁾ يحي ياسين سعود، الممتلكات الثقافية العراقية ووسائل حمايتها واستردادها دولياً، مجلة الحقوق، العدد 4، جامعة المستنصرية، العراق، 2011، ص111؛ على صقر أحمد، "الموروث الثقافي واللغوي في تدمر القديمة"، مجلة جامعة البحث، مج39، العدد4، (2017)، ص7

⁽³⁾ محمد بن احمد بن الازهري، تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج9، (2001)، ص81.

⁽⁴⁾ سلامة سالم سلمان، " دور التراث الثقافي في التنمية المستدامة ومدى مساهمته في تحسين نوعية حياة المجتمعات المحلية " أعمال ندوات : الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، (2009)، ص87.

⁽⁵⁾ صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفولكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، (2006)، ص311

⁽⁶⁾ نجوى عبدالمعنى الشايب، "مركز الابداع الثقافي وحفظ التراث دراسة فولكلورية"، مجلة البحث العلمي في الآداب، ج3، العدد 15، كلية البنات للآداب

والعلوم والتربية جامعة عين شمس، القاهرة، سنة 2014، ص398.؛ على صقر أحمد، المرجع السابق، ص88-89

⁽¹⁾ سلامة سالم سلمان، المرجع السابق، ص86.

من خلال الأدوات المصنّعة والعادات، والممارسات، والتعبيرات، والقيم الفنية والصفات غير الملموسة لمجتمع ما. موروثه من الأجيال السابقة، والتي يتم الحفاظ عليها في الحاضر لبقائها للأجيال القادمة⁽²⁾.

إذن ؛ يقصد بالمتعلقات الثقافية هي كل ما أنشأه الإنسان مما هو ثابت بطبيعته، وكل ما أنتجه بيده أو فكره، والبقايا التي خلفها ولها علاقة بالتراث الانساني⁽³⁾. وبحسب المادة الأولى من اتفاقية (1954) والتي تتمتع بجد ذاتها بقيمة فنية أو تاريخية أو بطابع آثري⁽⁴⁾.

حددت منظمة التراث العالمي* نوعين من موارد التراث هما: التراث الثقافي والتراث البيئي الطبيعي:

فالتراث الثقافي هو ما صنعه البشر، ويشمل علي المعالم الأثرية والمباني الفنية والتاريخية والأعمال الأثرية الناتجة عن عمل الإنسان، أو المشتركة بين الطبيعة والإنسان، أما **التراث الطبيعي** فيشمل علي (المحميات النباتية والمحميات الحيوانية والمحميات الطبيعية) والتي لها جمال طبيعي يجب الحفاظ عليه⁽⁵⁾، وعلي هذا الأساس يمكننا أن نحدد أنواع التراث الثقافي: التراث الثقافي المادي: وتشمل البقايا المادية للإنسان وتضم التراث الثقافي الثابت والمنقول⁽⁶⁾، ومن الشائع أن يحتوي أي عنصر للتراث الثقافي الثابت على واحدة أو أكثر من هذه التصنيفات و(المباني المعمارية والمواقع والمسكن والكهوف، والنقوش والرسوم علي الصخور في الجبال، والمراكز التاريخية والمتاحف والمكتبات والأرشيف، والرموز الوطنية الثابتة ذات الأهمية للتراث) ويحتوي التراث الطبيعي على (المواقع ذات الجمال الطبيعي - التكوين الجيولوجي والطبيعي - والمحميات المائية أو الطبيعية)⁽⁷⁾.

التراث المنقول: فيقصد به كل ما يمكن نقله من مكان لآخر مثل اللقي الأثرية، والعملات والأختام وقطع الأثاث (التي تزيد عن مئة عام)* والأشياء ذات الأهمية الفنية منها (الصور واللوحات والمنحوتات، والنقوش، والوثائق والمخطوطات، والكتب والمنحوتات، والأدوات الأثرية وغيرها)⁽²⁾.

(2) يحي ياسين سعود، المرجع السابق، ص 111.

(3) محمد ثامر مخاط، عدنان محمد الشدود، "الحماية الدولية للممتلكات الثقافية دراسة تطبيقية على الممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار"، مجلة الحقوق، العدد 4، جامعة المستنصرية، العراق، (2011)، ص 32

(4) حسن جوي، "تدمير الأعيان الثقافية أو احتلال التاريخ"، مجلة الانساني، العدد 47، تصدر عن اللجنة الدولية للصليب الاحمر، (2010)، ص 1

* اتفاقية التراث الثقافي والطبيعي الصادرة عن منظمة اليونسكو عام 1972.

(5) عبدالناصر الزهراني، "تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث"، أعمال ندوات : الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، (2009)، ص 272؛ يحي ياسين سعود، المرجع السابق، ص 111.

(6) في المادة الأولى من إتفاقية لاهاي (حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح سنة 1954)، عرفتھا بأنها الممتلكات المنقولة والثابتة رشاد عارف السيد، "دراسة لاتفاقية لاهاي لعام 1954 والمتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في فترات النزاعات المسلحة" المجلة المصرية للقانون الدولي، العدد 40، 1984، 248 ومابعدها. محمد ثامر مخاطر وعدنان محمد، المرجع السابق، ص 32-33.

(7) زكي اصلان، مونيكا اردمان، "تعريف الشباب بحماية وادارة مواقع التراث والمدن التاريخية"، دليل علمي لمعلمي المدارس في المنطقة العربية (ت: ابراهيم عبدالرازق)، ط1، حقوق الطبع لايكروم، روما، (2003)، ص 12

* اليونسكو، الاتفاقيات والتوصيات اليونسكو بشأن حماية التراث الثقافي، باريس (1985)، ص 129-138.

(2) عبدالناصر الزهراني، المرجع السابق، ص 273؛ يحي ياسين سعود، المرجع السابق، ص 111

التراث الثقافي غير المادي (المعنوي): يشمل هذا النوع من التراث الثقافي العناصر غير المادية، والتي تشمل المآثورات الشعبية والنظم الاجتماعية التي تنظم شؤون الناس⁽³⁾، والطقوس، والمعارف والمهارات ويشمل أيضاً الموسيقى والغناء، والاحتفالات والرقص الشعبي واللعب الشعبية، والأدب الشعبي⁽⁴⁾، والحكاية الشعبية⁽⁵⁾ والمسرح والعلوم المنقولة من جيل إلى جيل داخل مجتمع معين⁽⁶⁾.



(الصورة 1 الحرف الشعبية والرقص الشعبي اللببية)

⁽³⁾ سلامة سالم سلمان، المرجع السابق، ص 86

⁽⁴⁾ سكينه ابراهيم بن عامر، طيارة ورق، القاهرة، دار طبية للنشر والتوزيع، (2005)، ص 191؛ سكينه ابراهيم بن عامر، " دور اللعبة الشعبية في الحفاظ على الهوية الذاتية للطفل العربي في ظل إفرازات العمولة"، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 18، مج 5، المجلس العربي للطفولة والتنمية، جامعة القاهرة (2011)، ص 47؛ أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، القاهرة، ط3، (1971).

⁽⁵⁾ سكينه ابراهيم بن عامر، "دور الحكايات الشعبية في تجسيد الذاكرة الوطنية"، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 25، مج 7، المجلس العربي للطفولة والتنمية، جامعة القاهرة، (2016)، ص 15

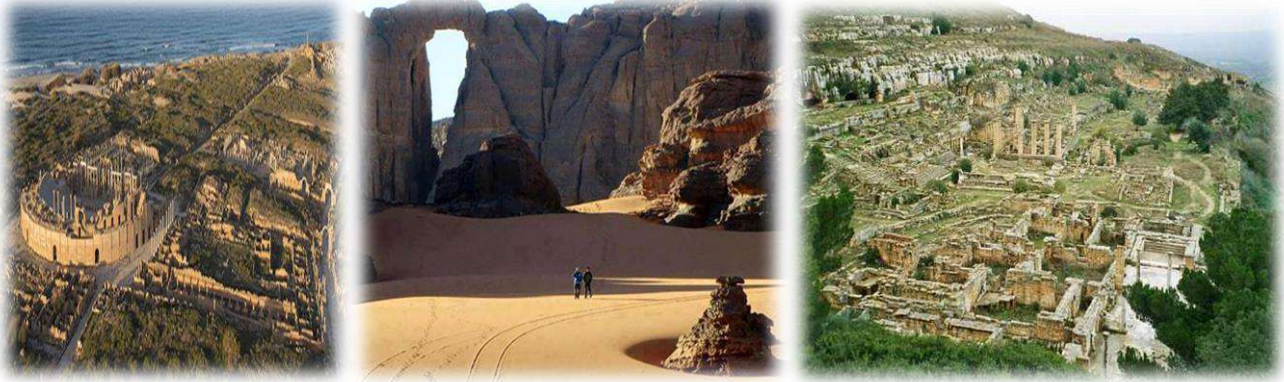
⁽⁶⁾ يحي ياسين سعود، المرجع السابق، ص 111، غالية عزالدين، "الحماية الدولية للممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة"، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، (15-2016) ص 25



(الصورة 2 أكلات شعبية ليبية)



(الصورة 3 الزي الشعبي الليبي)



(الصورة 4 مواقع سياحية من ليبيا)

تتمثل أهمية التراث في كونها:

- مصدر مهمّ لمعلوماتنا والتي تجعلنا قادرين علي استعادة ما فقد في الوقت الحاضر.
- إن التراث هو شكل الأصالة التي تحدد معالم الهوية الخاصة التي تميز الهوية العربية عن غيرها من الهويات⁽¹⁾.
- يساهم التراث في تعزيز وتطوير الإقتصاد وإنعاشه، وخاصةً الاقتصادات المحلية التي أظهرت أهمية التراث، وخاصةً للسياح من خارج البلاد، كما ويساعد التراث علي زيادة معدلات التنمية في البلاد، وزيادة تداول النقد الأجنبي، وزيادة الخبرات التدريبية والتي تساهم في تعزيز التنمية الإقتصادية والإجتماعية⁽²⁾.
- يساهم التراث في تعزيز الروابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو وسيلة للتعرف علي تنوع الشعوب كما أنه يساعد علي استمرارية المجتمعات، وتغيير هيكل المجتمع ليصبح أكثر سموً ورفعة.

(1) عفيف البهنسي، العمران الثقافي بين التراث والقومية ، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، (1997)، ص43.

(2) سلامة سالم سلمان، المرجع السابق، ص 97 وما بعدها ..

- يعمل التراث علي زيادة التماسك الإجتماعي والمساعدة علي تعزيز السلام ما بين الجميع، وذلك من خلال دوره في تعزيز الثقة والمعرفة المشتركة، كما وتعترف منظمة اليونيسكو بأهمية زيادة الوعي حول التراث، وإنشاء الوكالات والمؤسسات التي تزيد الوعي بين الناس بأهمية التراث من أجل المحافظة عليه، كما وتشجع الباحثين من مختلف المناطق علي استكشاف وتأريخ التراث المدفون.
 - ينقل التراث قيم ورسائل تاريخية فنية جمالية سياسية دينية اجتماعية علمية تساهم في اعطاء معان لحياة الشعوب فهي تمثل الهوية للمجتمعات المتعددة⁽³⁾.
 - التراث هو العطاء الثقافي الذي يتنوع بشكل كبير، فمنه ما هو مرتبط بالدين والمعتقدات، ومنه ما يرتبط بالعلم والفن والأخلاق والعادات، وكما يرتبط التراث بالصناعات والمهن التقليدية⁽⁴⁾ (الصورة 1).
- لذا؛ فالحفاظ علي التراث ضرورة أساسية للشعوب التي تسعى لتحقيق ذاتها الحضارية، وإثبات هويتها. فالتراث مكون أساسي للهوية، والهوية معبرة عن التراث وناقلة عنه، وأن الأمم تعرف بجوياتها التراثية التي تجسدها الثقافة والحضارة، والمحافظة علي التراث بأشكاله وانماطه واجب ومسؤولية ورسالة، بإعتبار أن التراث رصيد انساني متراكم يعد ثروة الأمة، ورصيدا الذي لا يجف⁽⁵⁾، ومصدر مهم للإبداع المعاصر، ولا يقتصر التراث الثقافي علي المعالم والصروح، والآثار فقط، بل هو أيضاً كل ما يؤثر علي الأمة من تعبير غير مادي، كالفولكلور الشعبي والزي الشعبي (الصورة 3) ** والمناسبات والاحتفالات التي نتوارثها عبر العصور (الصورة 1)، تعبيراً عن ثقافتنا⁽¹⁾.

فقد أخذت المجتمعات العربية في السنوات القليلة الماضية علي عاتقها تكوين المنظمات والجمعيات التي تعبر عنها فيما يسمى (بمنظمات المجتمع المدني)، والتي كان الغرض الأساسي من نشأتها هو التحدث باسم المجتمع والسعي لخدمة مصالحه في كافة المجالات، حيث أخذت الطابع الاجتماعي المدني، وخلقت علاقة بينها وبين الدولة، وقد نشأت علي اساس تطوعي لخدمة المجتمع. ومن هنا وجب استقطاب هذه المنظمات المتمثلة في المجتمع المدني لكي تكون الإدارة نحو تغيير نظرة المجتمع إلي التراث الثقافي من كونه مجرد (آثر قديم عفا عليه الزمن)، إلي نظرة جديدة وهي أداة من أدوات النمو والتفاعل مع المجتمع⁽²⁾.

⁽³⁾ زكي اصلان، مونيكا اردمان، المرجع السابق، ص 12-13.

⁽⁴⁾ سلامة سالم سلمان، المرجع السابق، ص 93؛ عفيف البهنسي، المرجع السابق، ص 43.

⁽⁵⁾ عبدالعزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص 31

** يرجع تاريخ الألبسة التقليدية في ليبيا الي عصور مختلفة، فقد كانت الالبسة في مجملها يدوية تدخل في صناعتها جوانب عدة من الادوات والمعدات وتمر بمراحل عديدة.. عن هذا الموضوع طالع سالم سالم شلابي، المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس، مركز جهاد البيبين للدراسات التاريخية، طرابلس، (2006)، ص 7.

⁽¹⁾ زكي اصلان، مونيكا اردمان، المرجع السابق، ص 11

⁽²⁾ سلامة سالم سلمان، المرجع السابق، ص 94. ؛ علياء عادل احمد، التنمية السياحية المستدامة للعرمان السياحي، المرجع السابق، ص 9 ؛ وزارة السياحة، " تفعيل مشاركة المحليين بالمحافظة السياحية وأثره علي التنمية السياحية"، مجلة البحوث السياحية، "البحث الخامس، المكتبة المركزية، (2009).

كيفية المحافظة علي التراث:

يتعرض تراثنا وآثارنا - في الوقت الحالي - للعديد من الانتهاكات، كالضياع والتدمير والمتاجرة غير المشروعة بالقطع الأثرية، ونهب المواقع الأثرية، وتدمير المباني التاريخية والأثرية، والتي تتسبب في إلحاق ضرر يمس مجتمعا العربي بالأخص. بسبب تغيرات الأحوال السياسية والاجتماعية والإقتصادية، لذا يفضل بذل جهود مضمينة للمحافظة علي التراث من الضياع من خلال حمايته بعدة طرق أهمها:

- تعريف الأمة بتراثها، من خلال وسائل الإعلام و إقامة المعارض والمتاحف.
- توفير الحماية اللازمة للمعالم الأثرية والمتاحف.
- إعداد منهج واضح وموسع يكون كدليل للآثار، وهذا من مهام الدولة ومصصلحة الآثار، مع ضرورة دراسة المعالم الأثرية دراسة وافية شاملة.
- نشر المعلومات المتعلقة بالتراث، وذلك من خلال الكتب المدرسية، لنشر الوعي عند الأطفال وفتة الشباب علي وجه الخصوص للتأكيد علي أهمية الحفاظ علي التراث، وعمل رحلات مدرسية إلي الأماكن التي تعبر عن التراث، بما تحتويه من آثار ومعالم تاريخية مهمة.
- البحث المستمر عن الآثار في أماكن جديدة، ورصد الآثار الموجودة في بيئات معينة.
- (توثيق وترميم وصيانة* وحماية الموروث الثقافي، والعمل علي تقليل المخاطر والدمار الذي يلحق به***).

اهتمت منظمات عالمية عديدة بالتراث والآثار، كمنظمة اليونسكو التي دعت لحماية التراث الثقافي والطبيعي؛ من خلال عقد اتفاقية دولية في عام 1972م، والتي عُرفت باسم ((اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي)) كما انبثق عنها اللجنة الحكومية الدولية لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي، وصندوق حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي⁽¹⁾، بالإضافة إلي وضع سياسات وشروط للمساعدات الدولية الخاصة بحماية التراث والحفاظ عليه، ويتجسد العمل علي حماية التراث من خلال تنفيذ العديد من الأنشطة بتعاونٍ مُنسَّق بين المنظمات العالمية، ومن الأمثلة علي طرق حماية التراث والحفاظ عليه:

- نشر الحرف التقليدية القديمة من جديد، وعمل برامج خاصة تعترف بالحرفيين التقليديين وترفع من قيمتهم.
- تنظيم وإعداد مشاريع وورش عملٍ تسعي لتعليم التراث والحفاظ عليه من الإندثار.
- عقد وإنشاء الدورات التدريبية في دور خاصة بهدف مناقشة القضايا المتعلقة بالتراث.
- إعادة تأهيل التراث والنهوض به من خلال تنظيم العلاقة بين السياسة الوطنية وخطة العمل وتنفيذ المشاريع.

أما بنود الاتفاقية المذكورة سابقاً فقد تضمنت ما يلي:

* إن مصطلح الترميم يعني اصلاح ما قد تلف من البناء ومحاوله اعادته إلى حالته الاصلية قبل تلفه . أما الصيانة فيعني تهيئة الظروف المناسبة لحفاظ على المباني من العوامل الطبيعية وتوث البيئة ذات التأثير السي في المباني عن طريق استخدام الوسائل العلمية الحديثة لتشخيص مناطق التلف ومن ثم تحديد العلاج المناسب. عبد المعز شاهين، طرق صيانة وترميم الآثار وترميم الآثار والمقتنيات الفنية، القاهرة، (1978)، ص 13

*** عبد الناصر الزهراني، المرجع السابق، ص 273

⁽¹⁾ عفيف البهنسي، المرجع السابق، ص ص 90-91

- ❖ اتخاذ سياسة عامة تستهدف جعل التراث الثقافي والطبيعي يؤدي وظيفة في حياة الجماعة وإدماج حماية هذا التراث في مناهج التخطيط العام .
- ❖ تأسيس دوائر لحماية التراث الثقافي والطبيعي والمحافظة عليه وعرضه وتزويد هذه الدائرة بالموظفين الأكفاء، وتمكينها من الوسائل التي تسمح لها بأداء الواجبات المترتبة عليها .
- ❖ تنمية الدراسات والأبحاث العلمية والتقنية ووضع وسائل العمل التي تسمح للدولة بأن تجابه الأخطار المهددة للتراث الثقافي والطبيعي .
- ❖ اتخاذ التدابير القانونية والعلمية والتقنية والإدارية والمالية المناسبة لتعيين هذا التراث وحمايته والمحافظة عليه وعرضه واحيائه .
- ❖ دعم إنشاء أو تنمية مراكز التدريب الوطنية والإقليمية، في مضمار حماية التراث الثقافي والطبيعي والمحافظة عليه وعرضه، وتشجيع البحث العلمي في هذا المضمار، وهو مناهج علمي لا بد من تنفيذه في الخطة المستقبلية للثقافة العربية⁽²⁾ .

المبحث الثاني: الإعلام يقصد بالإعلام في اللغة: التبليغ، ويقال: بلغت القوم بلاغاً: أي أوصلتهم بالشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، ففي الحديث "بلغوا عني ولو آية"⁽¹⁾، ويقال: أعلمم يُعلمُ إعلاماً.. وأعلمته بالأمر: أبلغته إياه، وأطلعته عليه، وجاء في لغة العرب: "استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه واستعلمني الخبر فاعلمته إياه"⁽²⁾ .

أما معناه الاصطلاحي: فهو نشر الحقائق والمعلومات الدقيقة الصادقة بهدف التقرير والإقناع⁽³⁾، والتي تبدأ بمعرفة المخبر الصحافي بمعلومات ذات أهمية، أي معلومات جديرة بالنشر والنقل، ثم تتوالى مراحلها: تجميع المعلومات من مصادرها، نقلها، التعاطي معها وتحريرها، ثم نشرها وإطلاقها أو إرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة أو محطة تلفزة إلى طرف معني بها ومهتم بوثائقها..⁽⁴⁾

للإعلام دور مهم في حياتنا، تزداد أهميته كلما ازدادت الحياة تقدماً وتمدنا وتعقيداً، وكلما ارتفع المستوى التعليم والثقافي للمجتمع، حيث يلجأ إليه الأفراد لتعويض ما يحتاجون إليه من معلومات المتابعة ومسايرة ما يحدث من حولهم⁽⁵⁾. فالإعلام إذن؛ هو نشر الحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل متنوعة ومختلفة⁽⁶⁾.. فما هي هذه الوسائل؟

(2) عفيف البهنسي، المرجع نفسه، ص ص 87-88.

(1) محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ط1، مطبعة تامة، السعودية، (1982م)، ص 21.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج9، بيروت، (1988)، ص 371

(3) محمود محمد سفر، المرجع السابق، ص 21

(4) طلعت همام: مائة سؤال عن الإعلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان (عمان)، ط2، (1985)، ص 7؛ سامي ذبيان، مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، (1987م)، ص 35.؛ إبراهيم السامرائي، المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، (1999)، ص 5؛ محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (2004م)، ص 61.

(5) محمد حمد بن عروس، "البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية اليبية،" دراسة ميدانية لآراء عينة من المشاهدين في مدينة بنغازي حول البرامج الثقافية " رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قارون، بنغازي، (1998)، ص 97

(6) محمود محمد سفر، المرجع السابق، ص 22

وسائل الإعلام: يعتمد انتشار الإعلام في المجتمعات علي مجموعة وسائل إعلامية رئيسية، من أهمها :

- الإذاعة المرئية: وهي وسيلة إعلامية تعتمد علي عرض الصورة والصوت وتخطب ملايين المشاهدين، تبرز أهم مقومات السياحة والآثار، وهي الوسيلة التي استطاعت أن تعمل علي وجود الإنسان في مكانين مختلفين في آن واحد⁽⁷⁾، وتظهر أهميتها في القدرة علي مخاطبة كل الفئات وبمختلف المستويات، والوصول الي أكبر عدد ممكن من المشاهدين ، حيث تعد من أكثر الوسائل المستخدمة في العالم إذا أن حوالي 88% من المعلومات المكتسبة تكون من خلاله⁽⁸⁾.
- الإذاعة المسموعة والوسائل السمعية الأخرى: تتميز بسهولة وصولها إلي المستمعين في أيّ زمان ومكان، وخصوصاً أثناء قيامهم بأعمال أخرى، وخاصة للذين يقومون بأعمال لا تحتاج الي تركيز فكري شديد⁽¹⁾ وهي من أنجح الوسائل حيث يستخدم السائح حاسة السمع من خلال جمل، وتعبيرات كلامية يكون لها وقع خاص لدي المستمع وايصال الرسالة الإعلامية، وترسيخها لديهم، كذلك نقل المعارف إليهم وتزويدهم بمختلف المعلومات حول مختلف الأماكن السياحية، كما تتميز بقدرتها علي استقطاب المستمعين من خلال البرامج الإذاعية التي تشمل علي معلومات متنوّعة، وتُساهم في التنوير والتثقيف بين الناس وهي وسيلة جيدة لنشر الدعاية والإعلان أثناء بثّها عبر الإذاعة⁽²⁾.
- الصحف اليومية: أحد الوسائل الإعلامية التي تُساهم في مخاطبة السواح لانتشارها الواسع، وبتكاليف منخفضة، حيث تحمل في طياتها مختلف الأخبار حول الوجهات السياحية في البلاد.. فهي أداة لتوصيل المعلومات، والمعارف لكل من يرغب في الاحاطة بها واستيعابها حتي يكون علي صلة بالمجتمع أو العالم الذي يعيش فيه، ومن ثمّ يستطيع أن يفهمه، ويتعامل معه علي أسس واعية مستنيرة⁽³⁾، وتمتاز الصحف عن الوسائل الإخبارية الأخرى بأنها تغطي مزيدا من الأنباء وبتفاصيل أكبر من نشرات أخبار الإذاعة والتلفزيون وتنوع الصحف فهناك اليومية والاسبوعية والصحف ذات الاهتمامات الخاصة⁽⁴⁾.
- المجلات والكتب: وسيلة إعلامية تُشبه الصحف في استخدام الأدوات الإعلانية، لكنّها تتميز بأنّها تُقرأ بناءً علي اختيار القراء، كما لا تتعرض للتلف أو الضياع مثل الصحف؛ إذ من الممكن الاحتفاظ بها لأطول فترة زمنية مُمكنة، ويقرأها العديد من الأفراد ضمن الأسرة الواحدة. لقد أصبح من السهل علي ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم الاطلاع علي عدد كبير من الصحف والمجلات المختلفة كل يوم مجاناً عن طريق استخدام شبكة (الانترنت)⁽⁵⁾.

(7) محمد حمد بن عروس، المرجع السابق، ص 97.

(8) بخاري سامي بن الحسن ناصرالدين " تأثير الإعلام السياحي في صورة السياحة الداخلية - دراسة ميدانية لعينة من السياح- الجزائر، (2017)، ص5-6

(1) نبيل راغب، أساسيات العمل الصحفي المقروء والمسموع والمرئي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، ط1، (1999)، ص 347

(2) بخاري سامي بن الحسن ناصرالدين، المرجع السابق ص ص5-6؛ نبيل راغب، المرجع السابق، ص ص 434-448 .

(3) نبيل راغب، المرجع نفسه، ص 11.

(4) كريمة مقاوسي، دور تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة المسموعة والمقروءة والمرئية في تنمية المواهب، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، د.ت،

ص 5

(5) نبيل راغب، المرجع السابق، ص 4

كذلك المجالات والنشرات تصدرها أغلب أجهزة السياحة الرسمية، وتجمع هذا النوعية من الدعاية بين وظيفتين (هما التعبير بطريقة فنية عن روح المكان أو المنطقة السياحية بالاعتماد علي الصور والألوان، والتأثير في الجوانب العاطفية للسياح) ومن خلال المقالات التي يجرها الكاتب عن الأحداث الثقافية والرياضية، والتي يجب اختيارها بعناية فائقة بغية التأثير في اللاشعور بالنسبة للقارئ⁽⁶⁾.

• الإعلام الإلكتروني والإعلام الجديد*: الذي يعتمد علي استخدام الكمبيوتر والاتصالات عن بعد في إنتاج المعلومات، وتخزينها وتوزيعها. وهي من الوسائل الأكثر انتشارا، وتكمن أهمية استخدام الانترنت في الاعلام السياحي من خلال قدرته الواسعة علي الوصول إلي الأسواق السياحية المختلفة بصورة تختصر الكثير من الجهد والوقت والمال بأساليب بالغة التأثير، حيث تتيح للمستهلك السياحي الحصول علي جميع البيانات التي يحتاجها عن المنتج السياحي، ويشمل ذلك معلومات عن الطيران والفنادق وغير ذلك. فمع دخول الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية في مجال الإرسال الإذاعي قد اتاحت للدول أيضا لا يتوقف من المعلومات والمعارف والأفكار والآراء⁽¹⁾.

أهمية الإعلام: الإعلام ركيزة أساسية في بناء الدولة، وتبرز أهميته من خلال الوظائف والأهداف التي يسعى إلي تحقيقها للمجتمع، وقد زادت أهميتها في المجتمع الحديث من خلال ما يلي:

- التقدم العلمي والتقني: وهذا التقدم السريع جعل من الإعلام عنصرا مهما في إيصال هذا التقدم إلي جميع أفراد المجتمع.
- الزيادة السكانية: لا يستطيع أفراد المجتمع الاتصال بمصادر المعلومات والأخبار إلا من خلال وسائل الإعلام⁽²⁾.
- التغيير المعرفي: وهو أعمق أثرا في حياة الإنسان، حيث تؤثر وسائل الإعلام في التكوين المعرفي للأفراد، من خلال عملية التعرض - طويلة المدى - لوسائل الإعلام كمصادر للمعلومات، فتقوم بإجتثاث الأصول المعرفية القائمة لقضية ما، وإحلال أصول معرفية جديدة بدلا منها⁽³⁾.
- التنشئة الاجتماعية والتكيف: حيث ساهمت وسائل الإعلام لتنشئة الاجتماعية وساعدت الأفراد علي التكيف من خلال نشر الوعي الاجتماعي، والحفاظ علي العادات والتقاليد وتوحيد المجتمع في نسق واحد.
- ربط المجتمعات: وذلك عن طريق نقل الأفكار والأخبار والأحداث⁽⁴⁾.

⁽⁶⁾ بخاري سامي بن الحسن ناصرالدين، المرجع السابق، ص 5-6

* يطلق على الاعلام الجديد العديد من المسميات ومنها الاعلام الرقمي والاعلام التفاعلي واعلام المعلومات واعلام الوسائط المتعددة والاعلام الشبكي والاعلام السيبروني والاعلام التشعبي .. ويقصد بهو العملية الاتصالية الناتجة من اندماج ثلاثة عناصر (الكمبيوتر/الشبكات/الوسائط المتعددة) فهد بن عبدالرحمن الشميمري، المرجع السابق، ص 182.

⁽¹⁾ صبيحة صاحبي، المرجع السابق، ص 353.

⁽²⁾ إيمان العلمي، دور الإعلام في رفع كفاءة التسويق السياحي بالجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة العربي بن مهدي، ام البواقي كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، الجزائر، (16-1917)، ص 21

⁽³⁾ فهد بن عبدالرحمن الشميمري، التربية الإعلامية، فهرسة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، الرياض، (2010)، ص 58

⁽⁴⁾ عبد الجابر نعيم الظاهر، وسائل الاتصال السياحي، ط1، دار البازوري، العالمية للنشر والتوزيع، الاردن، (2001)، ص 44

أهداف الإعلام :

• **النقل والتوصيل:** حيث تهدف وسائل الإعلام إلى نقل المعلومات العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية التي تحدث في العالم، مما زاد في سهولة نقل المعلومات من جهة لأخرى، مع توفر الأقمار الصناعية وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة المتطورة⁽⁵⁾.

• **الترفيه والتسلية:** لأفراد المجتمع سواء أكان مكتوباً في الصحف والمجلات أو ما هو مشاهد علي المسارح وفي دور السينما أو التلفزيون أو ما هو مسموع من المذياع أو عبر وسائل الاتصال الأخرى كالإنترنت ووسائله المختلفة كوسائل التواصل الاجتماعي وغير ذلك .

• **التأثير في آراء وأفكار الآخرين وتشكيلها:** ومن الأهداف التي تسعى إليها وسائل الإعلام التأثير في آراء وأفكار الأفراد وتشكيلها سواء السياسية أو الاجتماعية أو دينية غير ذلك. وكذلك فإنها تستخدم للتأثير التجاري لترويج سلع معينة⁽¹⁾.

وظائف الإعلام: يعتمد الإعلام علي مجموعة من الوظائف التي ترتبط بطبيعة الدور الخاصّ فيه ضمن المجتمع؛ إذ يحرص علي مواكبة حاجات الأفراد الفكرية والمادية، وتختلف وظائف الإعلام بين المجتمعات، ممّا أدّى إلي قيام مجموعة من المفكرين الإعلاميين بتحديد وظائف معينة منها:

• **الإعلام والأخبار:** من خلال تزويد الأفراد بالمعلومات المهمّة والضرورية؛ حتي يتمكنوا من فهم المجتمع والعالم، والتصرف والتواصل بطريقة سليمة، وأهم ما يميزها هو الصدق والموضوعية حيث يستهدف الإعلام تقديم الحقائق بصدق وتفسيرها بطريقة موضوعية، ويعتمد الاقناع في هذه الوظيفة علي الحقائق والعرض الموضوعي لها⁽²⁾.

• **التعليم والتثقيف التنشئة الاجتماعية:** إن الإعلام ناقل للمعلومات من طرف إلي آخر، عن طريق توفير المعرفة المناسبة للأفراد؛ ممّا يساهم في تعزيز تفاعلهم مع المجتمع، ومشاركتهم في الأحداث العامة، ويؤدّي ذلك إلي تطوّر وعيهم الاجتماعي .

• **الحفز والترفيه:** تحقيق بعض الاشباع النفسية والاجتماعية و تحرير الناس من التوتر والضغط والمصاعب⁽³⁾.

• **دعم الدوافع:** أي الأهداف المجتمعية المباشرة عن طريق تشجيع النشاطات الخاصة بالأفراد .

• **وظيفة ترابط المجتمع ونقل تراثه:** أي ربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض ونقل تراث المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليدته ولغته، والمحافظة علي تماسكه ووحدته وحماية كيانه ومعتقداته، وتوحيد أفراد المجتمع لتحقيق أهدافهم وأهداف مجتمعاتهم⁽⁴⁾.

⁽⁵⁾ نبيل راغب، المرجع السابق، ص 353.

⁽¹⁾ ربيعة بوداي، المرجع السابق، ص 20

⁽²⁾ إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 22

⁽³⁾ صبيحة صاحبي، المرجع السابق، ص 68

⁽⁴⁾ فهد بن عبدالرحمن الشميمري، المرجع السابق، ص 51

• **المناقشة والحوار:** عملية تبادل الأفكار حول مجموعة من الحقائق، من أجل مناقشتها وتوضيح وجهات النظر المختلفة، ومحاولة الوصول إلى اتفاق حول القضايا المطروحة (5).

• **الإعلان** والدعاية:** الإعلان وسيلة من وسائل الدعاية التجارية للتسويق، وتستهدف الدعاية استمالة الجماهير إلى الأهداف أو الاتجاهات أو الأراء بشكل عمدي، ومقصود عن طريق المساهمة في دعم الأنشطة الاقتصادية، من خلال استخدام الإعلان والتسويق للخدمات والسلع (1).

الإعلان السياحي: كوظيفة من وظائف الإعلام، هو وسيلة اتصال غير شخصية موجهة إلى الجمهور المستهدف لجذب اهتمامه واستثارة رغباته وقناعاته بالشيء المعلن عنه واتخاذ تصرف ايجابي نحوه من أجل تحقيق أهداف محددة لصاحب الإعلان (2) لذا، فهو لا يركز على المنطقة الرمادية في الدماغ، بقدر ما يعتمد على إثارة المشاعر، وتهميج النفوس، وتوقها للزيارة والسياحة في منطقة معينة. وتعد الوسيلة المرئية أكثر الوسائل* تأثيراً على السائح..لذا يجب أن تتوفر مجموعة من الخصائص في الإعلان السياحي منها:

- أن تكون رسالته متجانسة مع عادات وتقاليد وتاريخ وقيم المجتمع الذي تخاطبه (3).
- أن يعتمد الإعلام السياحي على الحقائق والبيانات الصادقة المعبرة فعلاً عن الخدمات التي ستقدمها (الشركة السياحية) من خلال البرنامج السياحي المعلن عنه بدون مبالغة.
- أن تعبر فعلاً عن ما يتضمنه من (المحفزات السياحية) وبالإضافة إلى العناصر التي تجذب السياح وتدفعهم إلى زيارة دولة معينة، وتزيد من إنفاقهم (4).

إن الميزات السياحية والأثرية التي تتمتع بها (ليبيا)- علي سبيل المثال - تحتاج إلى تسويق وترويج، مثلما هي بحاجة إلى استثمار وتوظيف أموال.. حيث تتمتع ليبيا بموروث ثقافي ثري ومتنوع، يساهم مساهمة حقيقية في عملية الجذب السياحي مثل الزخم الكبير من الفنون الشعبية التي تتميز بها كل منطقة عن الأخرى، (الصورة 1) كذلك الزي الشعبي، (الصورة 3) والأكلات الشعبية المتنوعة (الصورة 2)، والحفلات والأعراس والمواسم الدينية وغير ذلك. فالإعلام وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة، عامل أساسي مهم في الترويج السياحي، وكذلك الإعلان من خلال إعطاء الصورة الصحيحة والمشرفة عن بلدنا، وتقديمه للعالم، والتعريف به، بأشكال متعددة من وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال المهرجانات

(5) إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 22

** الإعلان هو اتصال غير شخصي للمعلومات وهو ذو طبيعة إقناعية حول المنتجات والخدمات والأفكار للمول معروف يدفع ثمن اعلانه في الوسائل الإعلامية المختلفة. ووظائفه تسويقية واقتصادية وتعليمية واجتماعية وترفيهية... فهد بن عبدالرحمن الشميمري، المرجع السابق، ص 118.

(1) مجد الهاشمي، الاعلام الدبلوماسية والسياسي، المرجع السابق، ص 56-57.

(2) طه احمد عبيد، التسويق السياحي (دراسة ميدانية)، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (2010) ص 90-91

* أهم وسائل الإعلان السياحي (الاذاعة المرئية والمسموعة والصحف والمجلات والبريد المباشر والبطاقات البريدية والبريد الالكتروني والاعلانات وتشمل الملصقات المصورة والمرسومة والمعروضة على مساحات جذابة)، طه احمد عبيد، المرجع نفسه، ص 93-94

(3) رييحة بوداي، المرجع السابق، ص 24؛ إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 242

(4) محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 96.

والمعارض وتبادل الوفود والفرق الفنية والمطبوعات والأفلام ويتم من خلال الاتصال عبر أنشطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالسائح لإقناعه بأهمية التعامل علي برنامج معين⁽⁵⁾.

المبحث الثالث: ماذا علي الإعلام أن يقدم للتراث الثقافي؟

هناك علاقة مترابطة بين التراث والسياحة والإعلام، إذ يعتمد التراث الثقافي علي السياحة، مثلما تجد وسائل الإعلام مادة إعلامية ممتعة ومشوقة لإرضاء الجمهور، فالسياحة منتج بحاجة ضرورية إلي الإعلام للتعريف بالآثار والتراث الثقافي للشعوب، لاستقطاب السواح ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بوسائل الإعلام⁽¹⁾.

من المتوقع أن تقل حركة السياحة مع تطور الإعلام، وظهور شبكة الإنترنت التي تعج بالمعلومات والصور عن جميع دول العالم، ولكن السنوات أثبتت أن السياحة ستظل أكثر الصناعات نمواً، وأكثرها رسوخاً، وأكثرها اعتماداً علي وسائل الإعلام، وقد انعكست القفزة الهائلة في وسائل التواصل الاجتماعي علي أداء الوسائل الإعلامية المختلفة التي استفادت كثيراً من استخدام هذه الوسائل التي أصبح لا غني عنها لوسائل الإعلام وللإعلاميين، كما أن تقنية الهواتف الذكية وتطورها أعطت زخماً لوسائل الإعلام المختلفة⁽²⁾.

دور الإعلام في نشر الوعي السياحي:

• إعداد برامج إعلامية وتخصيص مساحات صحفية وإذاعية خاصة بالمعالم السياحية الداخلية ونشر الوعي السياحي.

• تحفيز التدابير المحافظة علي السمات المادية للسياحة البيئية⁽³⁾.

• رعاية المواقع والمعالم التاريخية والحياة البشرية البرية.

• تكثيف البرامج التوعوية من خلال النشرات الإرشادية حول الوعي السياحي. وترويج الخدمات السياحية ونشر المعرفة السياحية وتحقيق الاقناع لدي السائح⁽⁴⁾.

والحقيقة إن الأدوار المنتظرة من جميع وسائل الإعلام في التعريف بالتراث كبيرة للغاية، وهنا تبدو الحاجة ماسة لوجود خطة وطنية إعلامية شاملة؛ لرفع مستوى الوعي السياحي ونشر الإعلام السياحي في المجتمع. كذلك تلعب المكاتب السياحية دوراً إعلانياً وتعريفياً للتراث ولاستقدام السياح والأفواج السياحية، كذلك تلعب المحاضرات السياحية، الندوات والمؤتمرات السياحية والمعارض السياحية. والأزياء الوطنية والتقليدية، والمسابقات الرياضية والفرق الشعبية والعروض المسرحية والفنية، دوراً كبيراً في الترويج السياحي. كذلك هناك وسائل أخرى تلعب دوراً ترويجياً غير مباشر، كالأفلام

⁽⁵⁾ ربيحة بوداي، المرجع السابق، ص 23

⁽¹⁾ ربيحة بوداي، المرجع نفسه، ص 22.

⁽²⁾ فايز محمد الحميدات، الإعلام السياحي في الأردن " إذاعة سياحة fm نموذجاً " جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعلام، رسالة ماجستير، الاردن، 2013، ص ص 46-47

⁽³⁾ علياء عادل احمد، المرجع السابق، ص ص 17-19

⁽⁴⁾ محمد منير حجاب، الإعلام السياحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (2002)، ص ص- 79 - 71

والمسلسلات التلفزيونية - مثلما نراه حالياً في المسلسلات التركية⁽⁵⁾ - من خلال إظهار المواقع التي تم التصوير فيها، والتي كثيراً ما جذبت السياح وجعلتهم يزورون تلك المدن، وخاصة السياح العرب.

تعريف الإعلام السياحي: هو أحد أشكال الإعلام المتخصص، ويعرف علي أنه كافة أوجه النشاط الاتصالية المخططة والمستمرة والتي يمارسها إعلاميون متخصصون بهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والسليمة عن القضايا ومجريات الأمور المتعلقة بالسياحة بطريقة موضوعية⁽¹⁾، وبدون تحريف عن طريق وسائل الاتصال المختلفة وبكافة الأساليب الفنية للإقناع والتأثير من أجل تهيئة الوعي السياحي لدي الجمهور من ناحية، ومن أجل اجتذاب أكبر عدد من الأفراد للإقامة بعيداً عن موطن إقامتهم سواء داخل البلاد أو خارجها من ناحية أخرى⁽²⁾.

أهمية الإعلام السياحي: تتحدد أهمية الإعلام السياحي في ضوء التفاعل بين أربعة عناصر أساسية للنشاط السياحي وهي (العرض السياحي - الطلب السياحي - التسويق السياحي - السفر) وعن طريق التفاعل المستمر بين هذه العناصر، والأنشطة الإعلامية المختلفة لتتم حركة ونمو النشاط السياحي⁽³⁾.

خصائص الإعلام السياحي :

- يقدم صورة متجانسة عن عادات وتقاليد الشعوب.
- يأتي معبراً عن حضارة الشعوب القديمة ونهضتها الحديثة.
- التعريف بالمقومات السياحية وتسهيلات الدخول وغيرها.
- تقديم المقومات السياحية من فنادق ووسائل الترفيه وتسهيلات السفر .
- ملائمة الأنشطة الإعلامية لتراث الشعوب⁽⁴⁾

الآثار الإيجابية لانفتاح الإعلام السياحي:

- تحرير القطاع السياحي من القيود المفروضة عليه، وتسهيل هذه المؤسسات بتقديم خدمات شاملة، من خلال عرض مشكلات هذه المؤسسات وحلها عبر وسائل الإعلام.
- خلق فرص للانطلاق نحو أسواق خارجية جديدة، وخلق فرصة عمل والحد من البطالة.
- خلق التكيف مع متطلبات المنافسة علي مستوي الكفاءات والتكاليف، وزيادة كفاءة فعالية الأسواق المحلية السياحية، ورفع مستوي الخدمات فيها.

⁽⁵⁾ نجحت المسلسلات التركية المدبلجة في اقل من خمس سنوات من احتلال الشاشات العربية بدء من قناة MBC وفي هذه الفترة حضرت الدراما التركية بمعدل 25 عملاً درامياً بمتوسط حلقة اي ما يعادل 159 من الاعمال الدرامية العربية . وذلك بسبب تواضع تكلفتها . إيمان العلمي ، المرجع السابق، ص 295 وما بعدها ...

⁽¹⁾ ريبيحة بوداي، المرجع السابق، ص13.

⁽²⁾ محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص63

⁽³⁾ محمد منير حجاب، المرجع نفسه، ص71.

⁽⁴⁾ ريبيحة، المرجع السابق، ص ص 24-25

• زيادة مصداقية الدول أمام المستثمرين الأجانب وتهيئة المناخ المناسب لجذب الإستثمارات الأجنبية، وهذه المصدقية مرتبطة بثقة الدولة بالسياحة لديها وخدماتها والتسهيلات المختلفة والكفاءات البشرية العالية، وبغير ذلك قد ينقلب الإعلام ضدها.

• خلق فرص للاستفادة من رؤوس الأموال المهاجرة⁽⁵⁾.

المخاطر المرتبطة بانفتاح الإعلام السياحي: بقدر ما للإعلام السياحي من أثار إيجابية في الترويج السياحي فإنه قد يتحول إلي وسيلة مدمرة للسياحة ويكون ذلك بطريقتين: الطريقة الأولى هي (إعلام البلد نفسه)، والطريقة الثانية هي (إعلام الآخرين).

أما إعلام البلد نفسه: فيكون مدمراً للسياحة عندما يكون مخادعاً، لا يوافق الحقيقة ويبالغ في إظهار التسهيلات والمرافق، والأسعار المنخفضة، وجودة الخدمات لجذب السواح هذا بلا شك سيخلق صورة ذهنية إيجابية، ولكن وهمية ومخادعة، ستتحوّل إلى ردود أفعال سلبية عند رؤية الواقع، وتمثل هذه الردود بعدم تكرار العودة إلى هذا البلد مرة أخرى، إلى تحريض الأصدقاء علي ذلك، وأحياناً مقاضاة إعلامها أمام المحاكم الدولية بتهم الغش والخداع.⁽¹⁾

إعلام الآخرين: المتمثل في دول تتصف علاقاتها بالتوتر تجاه البلد (موضع الحديث)، فتستخدم الدولة القوية وسائل إعلامها المختلفة وأدوات الترويج المضاد للتأثير سلباً علي السياحة في هذا البلد، وهذه الأساليب هي:

- أسلوب مباشر والوقوف وراء عمليات إرهابية تستهدف سواحاً أجانب.

- أسلوب غير مباشر، كأن تحذر رعاياها في الدولة الأخرى مستخدمةً تفوقها الإعلامي من عمليات إرهابية تستهدفهم والطلب منهم مغادرة البلد علي الفور⁽²⁾.

المشاكل التي يعاني منها الإعلام السياحي :

- ضعف وسائل الإعلام التقنية الموائمة للتقنيات العالمية المرئية والمسموعة والمقروءة.
- عدم وجود برامج سياحية تعرض آثار ومناظر المناطق المراد تحقيق السياحة فيها.
- عدم الاهتمام بالإعلان والترويج السياحي أو وجود دليل سياحي يتواصل مع السياح ويعرفهم علي مناطق البلد.
- عدم الاهتمام بالمعارض والمهرجانات والإعلانات التي لها دور كبير في تشجيع السياحة عبر انتشارها عالمياً.
- الافتقار إلى خطط تدريبية مدروسة وموجهة لتنظيم الرحلات السياحية وترشيد الدليل السياحي لممارسة دوره بالطريقة الأفضل.
- عدم معرفة الوقت المناسب لبث الإعلام السياحي.
- اختيار وسيلة إعلامية غير مناسبة ولا تفي بالغرض.
- عدم دراسة طبيعة الجمهور ومعرفة اتجاهاته قبل البدء بالحملة الإعلانية.

⁽⁵⁾ إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 281

⁽¹⁾ إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 283-82؛ عن عبدالرزاق محمد الدليمي، الاعلام المتخصص، دار البازوري العلمية للنشر، عمان، (2015) ص 107

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 107

- تشويه الصورة الحضارية للبلد علي المستوي الاجتماعي والديني والسياسي من قبل بعض الدول، قد تكون الحروب والكوارث المنتشرة عبر وسائل الإعلام هي مانع يحول دون تحقيق الإعلام السياحي لأهدافه المنشودة⁽³⁾.
- وفي الختام؛ لقد حاولنا خلال هذه الورقة التطرق إلي التراث والإعلام ووسائله وأهميته وآثاره السلبية والإيجابية، وترتب علي ذلك بعض النتائج أهمها:
 - يساهم التراث في تعزيز الروابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهو وسيلة للتعرف علي تنوع الشعوب كما أنه يساعد علي استمرارية المجتمعات، وتغيير هيكل المجتمع ليصبح أكثر سموً ورفعة.
 - يساهم التراث في تطوير الإقتصاد وإنعاشه، وخاصة الإقتصاد المحلي الذي أظهر أهمية التراث للسياح من خارج البلاد، كما ويساعد التراث علي زيادة معدلات التنمية في البلاد، وزيادة تداول النقد الأجنبي، وزيادة الخبرات التدريبية والتي تساهم في تعزيز التنمية الإقتصادية والإجتماعية.
 - يعتبر الإعلام سلاح ذو حدين يمكن أن يساهم في الترويج • والجذب السياحي، وكذلك في إقناع السائح، وإغرائه بالقدوم إلي بلد من البلدان، ويمكن أن يسيء ويشوه سمعة بلد ما، ويبيث الدعايات الكاذبة ويحول دون قدوم السواح إليه!!.
 - لم ينم القطاع السياحي في الوطن العربي بالمستوي المأمول والمستهدف منه بالرغم من امتلاكه المقومات السياحية ومن المفترض أن يكون للإعلام دور اساسي في الاسهام في تنمية وتطوير هذا القطاع الذي يعتمد كثيرا علي الترويج السياحي .
 - إن الأدوار المنتظرة من جميع وسائل الإعلام في التعريف بالتراث كبيرة للغاية، وهنا تبدو الحاجة ماسة لوجود خطة وطنية إعلامية شاملة؛ لرفع مستوي الوعي السياحي ونشر الإعلام السياحي في المجتمع.
 - تساهم السياحة في تنمية المجتمع إسهاماً واضحاً إذ تقضي علي العديد من المشاكل، كالبطالة والركود الإقتصادي.

وعلي ضوء هذه النتائج اوصي بـ:

- أوصي بإنشاء مجلة خاصة للتعريف بالسياحة في الوطن العربي.
- انشاء قناة فضائية متخصصة بالسياحة.
- إدراج مادة (التثقيف السياحي) في المناهج التربوية وتعديل المناهج الدراسية وتضمنها موضوعات سياحية.
- تطوير والاهتمام بوسائل الإعلام كمصادر للمعلومات تساعد علي تنمية السياحة وتحقيق الجذب والترويج السياحي، وحماية التراث القومي من كل ما قد يعرضه للخطر.

⁽³⁾ إيمان العلمي، المرجع السابق، ص 283

• الترويج السياحي لفظان ينصرفان إلي اسفار المتعة لإشباع رغبات السكان والسياح. وهي الجهود والأعمال التي تبذل في سبيل الاتصال بالمستهلك المستهدف عن طريق قنوات الاتصال الشخصية وغير الشخصية التي تحمل هل رسالة معينة بغرض إثارة اهتمامه واقناعه بتفضيل المنتج واقناعه بشرائه. طه احمد عبيد، المرجع السابق، ص 86؛ محمد حسن النقاش، استراتيجية المشاركة الجماهيرية في تخطيط المواقع والخدمات الترويجية السياحية، دار امنة للنشر والتوزيع، (2014) ص 4-6

- الإعلان عن المسابقات السياحية التي تنظمها وزارة السياحة وتخصص جوائز للفائزين للقيام برحلات داخلية سياحية.
- الحد من الإجراءات الصارمة علي الحدود، والأسعار المرتفعة التي تنفر السائح من الزيارة والتعرف علي تراث البلدان المجاورة.
- إقامة دورات منتظمة لتدريب الإعلاميين العاملين في القطاع السياحي للنهوض بهذا القطاع ونشر الوعي وترسيخ الثقافة السياحية.
- تنمية الوعي السياحي لدي المواطنين عن طريق: توزيع كتيبات عن السياحة والترويج لها.

المصادر والمراجع والدوريات

1. إبراهيم السامرائي، المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، (1999)
2. ابن منظور، لسان العرب، ج9، بيروت، (1988)
3. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، القاهرة، ط3، (1971).
4. إيمان العلمي، دور الإعلام في رفع كفاءة التسويق السياحي بالجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، الجزائر، (16-1917).
5. بخاري سامي بن الحسن ناصرالدين " تأثير الإعلام السياحي في صورة السياحة الداخلية - دراسة ميدانية لعينة من السياح - الجزائر، (2017) .
6. حسن جوني، "تدمير الأعيان الثقافية أو احتلال التاريخ" ، مجلة الانساني، "العدد 47، تصدر عن اللجنة الدولية للصليب الاحمر، (2010).
7. ربيعة بوداي، " دور الإعلام السياحي في الحفاظ علي الموروث الثقافي الجزائري " ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، رسالة ماجستير، (2017).
8. رشاد عارف السيد، "دراسة لاتفاقية لاهاي لعام 1954 والمتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في فترات النزاعات المسلحة" المجلة المصرية للقانون الدولي ، العدد 40، 1984، 248.
9. زكي اصلان، مونيك اردمان، " تعريف الشباب بحماية وادارة مواقع التراث والمدن التاريخية "، دليل علمي لمعلمي المدارس في المنطقة العربية (ت: ابراهيم عبدالرازق) ، ط1، حقوق الطبع لايكروم، روما .
10. سالم سالم شلابي، المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس، مركز جهاد اللبين للدراسات التاريخية، طرابلس (2006).
11. سامي ذيبان، مدخل نظري وعملي إلي علم الإعلام، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، ط2 (1987 م)
12. سكينه ابراهيم بن عامر ، طيارة ورق ، القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (2005).
13. سكينه ابراهيم بن عامر، " دور اللعبة الشعبية في الحفاظ علي الهوية الذاتية للطفل العربي في ظل إفرزات العولمة" ، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 18، مج 5، المجلس العربي للطفولة والتنمية، جامعة القاهرة (2011)

14. سُكَيْنَةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَامِرٍ ، " دور الحكايات الشعبية في تجسيد الذاكرة الوطنية " ، مجلة الطفولة والتنمية ، العدد 25، مج 7، المجلس العربي للطفولة والتنمية، جامعة القاهرة ، (2016)
15. سلامة سالم سلمان، " دور التراث الثقافي في التنمية المستدامة ومدى مساهمته في تحسين نوعية حياة المجتمعات المحلية " أعمال ندوات : الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، القاهرة ، (2009)
16. صبيحة صاحبي، " اتجاهات الشباب الجزائري نحو مصادر الأخبار بين الإعلام التقليدي والإعلام الجديد"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية العربي بن مهدي - ام البواقي ، (17-2018)
17. صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفولكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، (2006)
18. طلعت همام: مائة سؤال عن الإعلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان (عمان)، ط2، (1985)
19. عبد الجابر نعيم الظاهر، وسائل الاتصال السياحي، ط1، دار اليازوري، العالمية للنشر والتوزيع، الاردن، (2001).
20. عبدالرزاق محمد الدليمي، الاعلام المتخصص، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، (2015).
21. عبدالعزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، الرياض (2011).
22. عبدالمعز شاهين، طرق صيانة وترميم الآثار وترميم الآثار والمقتنيات الفنية، القاهرة، (1978)
23. عبدالناصر الزهراني، " تجربة جامعة الملك سعود في إدارة التراث " ، أعمال ندوات : الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، القاهرة، (2009)
24. عبداللطيف حمزة ، الإعلام والدعاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، (1984).
25. عفيف البهنسي، العمران الثقافي بين التراث والقومية ، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة ، (1997)
26. علي صقر أحمد، "الموروث الثقافي واللغوي في تدمر القديمة" ، مجلة جامعة البحث، مج39، العدد4، (2017)
27. غالية عزالدين، "الحماية الدولية للممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة" ، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، (2015-2016)
28. فهد بن عبدالرحمن الشميمري، التربية الإعلامية، فهرسة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، الرياض، (2010)
29. كريمة مقاوسي، دور تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال الحديثة المسموعة والمقروءة والمرئية في تنمية المواهب، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، د.ت
30. محمد تامر مخاط، عدنان محمد الشدود، " الحماية الدولية للممتلكات الثقافية دراسة تطبيقية علي الممتلكات الثقافية في محافظة ذي قار" ، مجلة الحقوق، العدد 4، جامعة المستنصرية، العراق، (2011)

31. محمد حسن النقاش، استراتيجية المشاركة الجماهيرية في تخطيط المواقع والخدمات الترويجية السياحية، دار امنة للنشر والتوزيع، (2014)
32. محمد حمد بن عروس، "البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية الليبية،" دراسة ميدانية لآراء عينة من المشاهدين في مدينة بنغازي حول البرامج الثقافية" رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قارونوس، بنغازي، (1998)
33. محمد منير حجاب، الإعلام السياحي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (2002).
34. محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، (2004 م) .
35. محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ط1، مطبعة تهامة، السعودية، (1982م)
36. محمد بن احمد بن الازهري، تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض) ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج9، (2001)
37. نبيل راغب، أساسيات العمل الصحفي المقروء والمسموع والمرئي، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوبنجمان، ط1، (1999)
38. نجوي عبدالمنعم الشايب، "مركز الابداع الثقافي وحفظ التراث دراسة فولكلورية"، مجلة البحث العلمي في الآداب، ج3، العدد 15، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس، القاهرة (2014)
39. يحي ياسين سعود، الممتلكات الثقافية العراقية ووسائل حمايتها واستردادها دوليا، مجلة الحقوق، العدد 4، جامعة المستنصرية، العراق، (2011)

دور الرواية الشفوية في تدوين تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

وردة دهماص

جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله

ملخص:

لم يُعرف التدوين لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء قبل القرن السابع ميلادي، باستثناء بعض المناطق بشرق إفريقيا، حيث تأثرت هذه الأخيرة بالتجار العمانيين. لذلك بحث المؤرخون في ذاكرة الإنسان الإفريقي، ليجدوا ضالتهم في الرواية الشفوية.

يري فليسيان شالي (Falsian Chali) أن الرجل الأسود يستطيع أن يعطي رأيه حول الذاكرة الصحية للتاريخ الإفريقي، عن طريق سرده للأخبار الماضية، وحسب جان فانسينا (Jean Vancena) فإن هذه الروايات من المصادر الأولية عن الشعوب الإفريقية التي لا تعرف الكتابة.

يعتبر البعض أن الرواية الشفوية تعتمد علي الخيال مبتعدة كل البعد عن الحقيقة لتتحول إلي أساطير لا علاقة لها بالتاريخ، خاصة أنها مشبعة بالذاتية، غير أن كثيراً من المؤرخين يعتبرونها مصدراً أساسياً لدراسة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

- Résumé:

L'écriture de l'histoire de l'Afrique subsaharienne n'était pas connue avant le Septième siècle après JC, sauf Certaines zones à l'est de l'Afrique. Les commerçants d'Oman lui ont laissé des empreintes. C'est pour cela les historiens ont cherché l'esprit de l'homme africain, pour trouver leur ombre dans le récit oral.

Selon Falsian Chali, l'homme noir peut donner son opinion sur la mémoire saine de l'histoire africaine en racontant des histoires passées. Et selon Jean Vancena, ces récits sont des sources primaires de peuples africains qui ne savent pas écrire.

Certains considèrent que le récit oral base sur la fiction, loin de la vérité. Ce récit devient une légende qui n'a aucune relation avec l'histoire. Il est saturé de subjectivité. Mais de nombreux historiens y voient une source d'étude essentielle pour l'Afrique subsaharienne.

مقدمة :

لظالما كان تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء قصة الآخرين، أي قصة التواجد الأوروبي، من الكشوفات الجغرافية إلى الاستعمار وما بعد ذلك، فكان الفكر الراجح في أوائل القرن العشرين أن إفريقيا ليس لها تاريخ لأنه لم يكن لديها وثائق مكتوبة قبل وصول الأوروبيين. في الحقيقة كانت هذه إشاعات، روج لها الاستعمار لكي يتسني لها الإستيطان في القارة واستغلالها لعدة أسباب، كحاجته الي تموين وتمويل وتسويق.

يعتقد بعض المؤرخين أن الرواية الشفوية - استنادًا إلى ذاكرة الأشخاص - لا يمكن اعتبارها صادقة، بالنظر إلى أنهم سيسردونها بذاتية، إضافة إلى أنها مع مرور الزمن تتعرض لتعديلات وتزوير مستمر، لذلك، فإنه لم يكن نقل الحقائق مخلصًا كما كان في المصادر المكتوبة. في حين يري البعض الآخر أنها سرد وتناقل الأخبار بين العناصر الشعبية عن طريق سرد الحكايات من شخص لآخر، وأن الرجوع لها حتمية تاريخية في حالة غياب الشواهد المادية، كما هو الحال في إفريقيا جنوب الصحراء، فما مدي صحة هذه المقولتين؟

1. تعريف الرواية الشفوية:

يعرف معظم الباحثين الرواية الشفوية علي أنها مجموعة التقاليد من اساطير ووقائع ومعارف ومذاهب وآراء وعادات وممارسات.⁽¹⁾ غير انه لمن يبحث في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء تعريف آخر، فبالنسبة لمن يؤرخ للقارة، سيجد أنها تلك الأخبار المتواترة عن أحداث تاريخية ماضية غير مدونة، يتناقلها الأجداد عن الأجداد، وتتداولها فئة خاصة من المجتمع الإفريقي يطلق عليها بصفة عامة لقب الجريوت "LES GRIOTS" بمعنى الرواة. ولكل شعب من الشعوب الإفريقية قبيل خاص يحتكر هذه المهنة، فنجدهم عند قبائل الماندينغ، مؤسسي مملكة مالي يلقبون بالجللا، جمع جالي.⁽²⁾ لا تقتصر الرواية الشفوية علي المقابلة الشخصية فحسب، بل تمتد إلى كل الأشكال التعبيرية الأخرى، كالأغنية والحكايات المنقولة عبر الأجيال، وكذا الأمثال الشعبية والفلكلور والتراث عمومًا.⁽³⁾

2. أسباب الإعتقاد علي الرواية الشفوية في تدوين تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء:

إن المتتبع للدراسات التي تناولت الشؤون الإفريقية يلاحظ بأن هناك إجحاف في حق ثقافة شعوبها خاصة ثقافة شعوبها خاصة تراثها الذي تعرض لشتي أنواع التهميش والتخريب والنهب والطمس. وكل ما تناولته هذه الدراسات هي عبارة عن شذرات من تاريخ عميق وطويل تعرض للتشويه من طرف الدول الإستدمارية.⁽⁴⁾ من أسباب ضعف تقاليد الحفظ في تاريخ إفريقيا، هو ضعف الكلمة المكتوبة، ذلك أن كثيرًا من المجتمعات الإفريقية لم تبدأ تعرف الكلمات المكتوبة إلا أثناء القرن الماضي أي إبان التواجد الإستدماري الأوروبي في إفريقيا، والجدير بالذكر أن القارة تأثرت بمشكلة

⁽¹⁾: عبد الله بن إبراهيم العسكر، "أهمية تدوين التاريخ الشفهي"، مجلة الدرعية، العددان 39-40، 2009، ص:1، منقول من الموقع الإلكتروني (www.alukah.net/culture)

⁽²⁾: أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي (1230-1430م)، الجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص: 39.

⁽³⁾: أحمد بن يغزر، "الشهادة الشفوية كمصدر لتاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية بين الإمكان والضوابط"، الحوار المتوسطي، ع 13-14، ديسمبر 2016، ص: 241.

⁽⁴⁾: منصف بكاي، أضواء على تاريخ إفريقيا، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص: 9.

التوثيق بطريقتين أساسيتين، تتمثل أولهما في نقص فادح في مجال الآثار المكتوبة، وثانيهما في وجود فائض في مجال الذاكرة الفطرية للإنسان.⁽¹⁾

لأجل هذا لم تكن الوثيقة المكتوبة أداة وحيدة لاستخراج المعلومات والبناء عليها، لتشمل أي تعبير انساني آخر، وفي طليعتها التعبير الشفوي. مع الأخذ بعين الاعتبار ان الرواية الشفوية كطريقة في نقل الأخبار ليست جديدة، بل هي الطريقة الأولى والعفوية في النقل، ومن خلالها بدأ التدوين التاريخي في الحضارات المكتوبة كلها. ونظيف إلى هذه الحقيقة البديهية أن الجديد في اعتماد الشفوية مصدرًا في الكتابة التاريخية العلمية الحديثة والمعاصرة، يكمن في مستجدات فكرية وذهنية ومعرفية أدركها وعي إنساني جديد بمعنى التاريخ. فالبحت فيما يحتزنه الإنسان الإفريقي خاصة فيما يحتزنه الإنسان من عواطف وذاكرة وقدرات، إفريقيًا علي سبيل المثال لا الحصر، قارة لا ينطق بها المكتوب، ذلك لأن ذاكرة شعوبها تروي تاريخًا شفويًا.⁽²⁾ بالتالي لا يمكننا كباحثين الغاء ذاكرة الانسان الافريقي، والإكتفاء بما ورد في مصادر أوروبية دُست بها سموم عنصرية، فنحن لا نتوقع ممن يلقب بني جلدته في كتاباته بالبيض، ويلقب غيرهم بالسود، أن يقدم لنا حقائق خالية من الذاتية.

3. تدوين تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء اعتمادًا علي الرواية الشفوية :

إن أولي محاولات تأريخ القارة الإفريقية عمومًا هي قديمة قدم بداية التاريخ المكتوب. فمؤرخو عالم البحر الأبيض المتوسط القديم اتخذوا كلهم إطارًا معتمدًا هو مجموع العالم المعروف، لكن كان يشل الجزء الشمالي فقط،⁽³⁾ الذي مصر وحوض النيل والمغرب القديم. لكن جنوب تلك الأقاليم، فكان من المعتقد أن ليس له تاريخ.⁽⁴⁾ لكن علي عكس ذلك تمامًا، فحيث ما وجد الإنسان وجد تاريخ. ذلك أن طبيعة المنطقة حتمت علي مؤرخي العالم القديم كهيرودوت، منتون، بلين القديم وسترابون وغيرهم، عدم التوجه جنوب الصحراء، بالتالي لم يسردوا - لا سيما يخص إفريقيا الغربية- إلا باختصار عن رحلات قليلة أو زحف عبر الصحراء أو أسفار بحرية علي سواحل المحيط الأطلسي. أما فيما يخص الجهة الشرقية، كان لها أساس أكثر جدية، إذ من المحقق أن تجار البحر الأبيض المتوسط وعلي الأقل تجار الإسكندرية، قد نشروا التجارة علي شواطئ البحر الأحمر، فعلي سبيل المثال لا الحصر نجد "رحلة بحر إيريتيريا سنة 100م" و"آثار كلوديوس بطليموس حوالي 150م" كانت المصادر الرئيسية للتاريخ القديم في المنطقة.⁽⁵⁾

أما في العصر الوسيط فقد كان المؤرخون العرب أكثر اطلاعًا من غيرهم ، ففي عصرهم كان استخدام الحمل قد سهل الربط بين ضفتي الصحراء، مما سهل التجارة التي خدمت الجميع، فمن جهة ساهمت في نمو الحراك الاقتصادي في المنطقة عن طريق تبادل السلع، ومن جهة أخرى ساهمت في نشر الإسلام بالمنطقة، وكان التاجر آنذاك بمثابة داعية، ومعلم ومؤلف في الوقت ذاته.

(1): نفسه، ص: 14-15.

(2): مجموعة مؤلفين، التاريخ الشفوي، ج2، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، 2015، ص: 15.

(3): ج. د. فاج، "تطوير التدوين التاريخي في إفريقيا"، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، مع 1، 1983، ص: 41.

(4): دونالد ويدز، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، مصر، 2001، ص: 7.

(5): فاج، نفس المرجع، ص: 42.

صحيح أن اتصال التجار العرب كان قبل الإسلام بالمنطقة،⁽¹⁾ غير أن نتج عن هذا الاحتكاك الثقافي كان أكبر بعد انتشار الإسلام، فقد أنتج ذلك مصادر تتحدث عن المنطقة باللغة العربية، اعتمدت علي الملاحظات الشخصية والروايات الشفوية المحلية. فالآثار التي قدمها المسعودي، البكري، الإدريسي، ياقوت الحموي، الحسن الوزان، ابن حوقل وابن بطوطة وغيرهم لها أعظم الأهمية في حماية الذاكرة الإفريقية. كذلك ظهر مؤرخون محليون ساهموا في حفظ تراثهم من الاندثار، أشهرهم عبد الرحمان السعدي، محمود كعت، وأحمد بابا التمبكتي.⁽²⁾

أما الجيل المعاصر من الكتاب الأفارقة، فقد اعتمدوا علي الرواية الشفوية لأسباب لا علاقة لها بالبحث العلمي. حيث أن الأفارقة بعد استقلالهم الذي كان معظمه في ستينيات القرن العشرين، تحفزوا لضرورة كتابة تاريخهم الوطني مهما بلغت التنازلات المنهجية، فاختلطت هكذا كل الاعتبارات الموضوعية بمشكل الهوية الإفريقية والبحث عن الذات، فاندفعوا بقوة للدفاع ومناصرة المعتقدين بأهمية الرواية الشفوية ووظفو كل الأساليب العلمية والأدبية المؤثرة لاستقطاب جمهور الباحثين واقناعهم بموقفهم منها.⁽³⁾

4. أهمية الرواية الشفوية في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء:

علي وجه العموم، تبدأ أهمية الرواية الشفوية من عجز الحصييلة الوثائقية 'الوثائق الرسمية المكتوبة' في إكمال إعادة بناء الحادثة التاريخية. سواءً لعدم وجود الوثيقة أصلاً أو لضياعها أو لصعوبة التأكد من صحتها، أو لعدم كفايتها التفسيرية... وفي هذه الحالة يقف المنهج التاريخي الصارم -الذي يأخذ بالمبدأ القائم علي أنه لا تاريخ بدون وثائق- عاجزاً غير قادر علي الاستمرار لأنه سيتناقض مع مبدئه.⁽⁴⁾

تتحلي أهمية الرواية الشفوية كمصدر تاريخي أساسي وأصيل للبحث عن الماضي الإفريقي، في أنها فرضت نفسها، أمام شح المصادر المكتوبة قبل الفترة الاستعمارية التي مرت بها القارة. حيث كان لهذه الفترة دور أساسي في تثبيط تطورها ناهيك عن السخرية الأوربية من هذا الموروث الثقافي، وتقزيمه وحصره في مجال السحر والشعوذة.

إن الموروث الشفوي هو المكمل الأساسي للنصوص والوثائق الأركيولوجية، لكونها تقوم بتغطية ما يعثرها ويشوبها من نقائص، كما بإمكانها أن تقدم وجهة نظر مغايرة. وهي أيضا مصدر تاريخي أساسي يمكن اعتماده في إعادة بناء ماضي الشعوب التي تفتقر لرصيد مكتوب، كشعوب إفريقيا التي تقدر الكلمة وتعيش في عالم الإشارة وفي مضمون الذاكرة الجماعية. ثم أن هذا الاهتمام الذي أولاه الأفارقة للرواية الشفوية، جعل أحد الباحثين وهو هامباتي با (Hambati Ba) يري أنه كلما مات شيخ أفريقي ضاعت مكتبة تاريخية لا تعوض، كما أنها حسب جون فان سينا J Vancina يري أنها تساعد المؤرخ علي فهم الاحداث من الداخل.⁽⁵⁾

(1): عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، جامعة قان يونس، بنغازي، 1998، ص: 100.

(2): عبد القادر زبدي، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت ط، ص 287.

(3): الشكري، المرجع السابق، ص: 39.

(4): بن يغير، المرجع السابق، ص: 241.

(5): الحسين عماري، " جذور اسهام الرواية الشفوية والأركيولوجيا في كتابة تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء"، مجلة كان التاريخية، ع 14، ديسمبر 2011، ص 13.

إن الرواية الشفوية تعطي اهتماما بالغا للطبقات المنسية في المجتمع، فنادرا ما يذكر التاريخ بطولات جندي، لكنه يزخر ببطولات وأساطير كبار القادة. تلك الفئة المنسية في التاريخ لا نتذكرها سوى الرواية الشفوية، غير أن هذا الاسترسال في الوقوف عند أهميتها لا يجنبنا الوقوف عند بعض سلبياتها.

6- سلبيات الاعتماد المطلق علي الرواية الشفوية :

مع أن ذاكرة الإنسان الإفريقي لا يقهرها الزمن،⁽¹⁾ وبالرغم من الأهمية التي تكتسيها الرواية الشفوية كمصدر من مصادر تاريخ إفريقيا، غير أن استغلالها يطرح إشكالية منهجية وموضوعية.⁽²⁾ ثم أن الإستطراد في الوقوف عند أهمية الرواية الشفوية لا يزيدنا إلا اصرارًا ذلك أن آراء المؤرخين تضاربت حول هذا المصدر.

إن المؤرخ في حوار مستمر بين الماضي والحاضر، عن طريق إعادة تفسير الماضي مع إلقاء الضوء علي صغائر الأمور ثم الوصول إلي نتائج موضوعية بناءً علي أدلة.⁽³⁾ وتحلي أولي سلبيات الموروث الشفوي في إشكالية الذاتية والموضوعية، ففي النهاية ليست كل المرويات الشفوية من قبيل التاريخ، ثم أن هناك من يري أنها تم المؤرخ لا لكي يثبت الحوادث كما وقعت، وإنما للتعرف علي الصورة التي كانت في أذهان الناس إزاء هذه الأحداث، مما جعل الكثير من مؤرخي إفريقيا - قبل اقتناعهم بالاعتماد عليها كمصدر من المصادر التاريخية- يبدون تشكيكهم في قيمتها المصدرية ومدى مصداقيتها ويشترطون تعزيزها في مصدر آخر.⁽⁴⁾

إن تداخل الأسطورة مع الرواية الشفوية، يصعب علينا الفصل بينها دون الرجوع إلي مصدر آخر، ثم أنها لا تؤطر الأحداث التي تذكرها بالبعدين " الزماني والمكاني"،⁽⁵⁾ ذلك أنه من المعروف أن الحادثة التاريخية بدون إحدائياتها المكانية والزمانية لا تساوي ولا تقدم لنا شيئًا.

يتجلى مشكل الرواية الشفوية الأساسي في جمعها ثم استغلالها، بعد إخضاعها لنقد تاريخي بناء لاختيار الروايات التي من شأنها أن تشكل مصدرًا للتاريخ. ولا شك أن استغلالاً من هذا النوع أو بهذا الشكل يتطلب تكويلاً وعملاً ضخماً، ناهيك عن توفر المؤرخ علي سمات وخصائص مميزة، من الصعب توفرها في أي كان. لذلك لا نستغرب إذا وجدنا تناقضاً في مواقف الباحثين بخصوص هذه النقطة. فهناك معارضون لفكرة الاعتماد علي النص الشفهي كمصدر من المصادر التاريخية، ويكزون بالدرجة الأولى علي النص المكتوب والحفريات. ويرون انه في ظل غياب حجج مادية ملموسة ليس هناك تاريخ، لأن اعتماد المؤرخ علي الرواية الشفوية من شأنه أن يقوده إلي مزلق.⁽⁶⁾

- الخاتمة: في الأخير نستخلص أن الموروث الشفوي الإفريقي قد فرض نفسه أمام غياب الشواهد المادية والوثائق الكتابية. فهي سند لا غني لنا عنه، غير أن استغلالها يوقع المؤرخ في حيرة أخرى، ألا وهي وجوب التحلي

(1): الشكري، المرجع السابق، ص: 40.

(2): عماري، المرجع السابق، ص: 13.

(4): Arthur Marwick, 'the new nature of history-knowledge- evidence- language', Palgrave, Great Britain, 2001, p: 44.

(4): عماري، نفس المرجع، ص: 14.

(5): الشكري، نفس المرجع، ص: 40.

(6): عماري، نفس المرجع، ص: 14.

بالفطنة والنزاهة والموضوعية. فكما مكنتنا من التعرف علي تاريخ بعض الشعوب الإفريقية التي لم تُعرف بها المصادر العربية، يمكنها الانزلاق بنا إلي تشويه صورة حضارات لا نعرفها.

يمكن اعتبار الرواية الشفوية ميزة افريقية، تفتقر إليها الشعوب الأخرى، فمن غير الإنسان الافريقي له مثل هذه الذاكرة التي حافظ عليها وتناقلها جيلاً عن جيل؟ ذلك لأنه مهما حاول الاستعمار الأوروبي طيلة قرون محو وطمس معالم الشخصية الإفريقية، لم ينجح، من هنا تنبع أكبر أهمية للموروث الشفوي الإفريقي، لكن قد آن الأوان لحفظه من الاندثار عن طريق تدوينه.

قائمة المراجع :

- 1- بكاي، منصف، أضواء علي تاريخ إفريقيا، دار السبيل، الجزائر، 2009.
- 2- مجموعة مؤلفين، التاريخ الشفوي، ج2، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، 2015.
- 3- الشكري، أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي (1230-1430م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.
- 4- الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، جامعة قان يونس، بنغازي، 1998.
- 5- ويدز، دونالد، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، مصر، 2007.
- 6- زبادية، عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ت-ط.
- 7- فاج، ج/د، "تطوير التدوين التاريخي في إفريقيا"، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، مج1، 1983.
- 8- عماري، الحسين، " جذور اسهام الرواية الشفوية والأركيولوجيا في كتابة تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء"، مجلة كان التاريخية، ع 14، ديسمبر 2011.
- 9- العسكر، عبد الله بن إبراهيم، "أهمية تدوين التاريخ الشفهي"، مجلة الدرعية، العددان 39-40، 2009، منقول من الموقع الالكتروني (www.alukah.net/culture)
- 10- بن يغزر، أحمد، "الشهادة الشفوية كمصدر لتاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية بين الإمكان والضوابط"، الحوار المتوسطي، ع 13-14، ديسمبر 2016.

11- Marwick, Arthur, *the new nature of history-knowledge- evidence- language*, Palgrave, Great Britain, 2001.

تجليات التراث في حراك الهوية الوطنية جدل الالتزام والتواصل

أ.د. خميس غربي حسين

العراق/جامعة تكريت/كلية الآداب

تتجه الأفكار والرؤى في هذا البحث إلى تركيب بعض أسئلة الفكر العربي فيما يخص تجليات التراث العربي، لأن التراث لدي أي أمة له أهمية ويلعب كذلك دور فاعل ومؤثر في تعزيز الذات وبناء الشخصية المجتمعية، ذلك أن التراث في مضامينه المتنوعة والمتعددة هو المركب الذي يشتمل علي المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والمهارات الذي يكتسبها أبناء مجتمع ما عبر الزمن التاريخي أي إن التراث هو حصيلة تجارب اجتماعية تحولت بمرور الوقت إلى منظومات سلوكية وقيمية وعادات وتجارب قابلة للزيادة والتجاوز نحو الأفضل .

من جانب آخر فإن حضور التراث في الهوية الوطنية علي وفق هذا الفهم، يعني وعي حضاري، وأفق إلتقاء الآفاق وانصهارها بين الماضي والحاضر، وهذا بطبيعة الحال، لا يتحقق إلا بتلك الرؤية الحوارية التي تتجاوز وهم الهوية، وتفتح باتجاه التراث، كي تتجلي به، وتتواصل معه، لذلك فإن الهوية العربية هي بدو أدني شك ترتبط بالتراث وهي لا تسبقه بل تنسج منه حياتها ووجودها عبر ممارسات عدة، منها الفكرية والاجتماعية والرؤية الإنسانية .

إن المتتبع لسّمات الثقافة العربية المعاصرة، لن يفوته تلمس ما وصلت إليه من الانشطار علي مستوي المعرفة، فهناك من يمثل التيار الأصولي، الذي لا ينظر إلا بعين السلف، يقابله تيار آخر وقع في الذات المنزلة (معرفة الذات التي تكون الهوية بعين غريبة)، فالأول يحاول إصاق الواقع بالماضي، والثاني يحاول دفعه باتجاه واقع وصل إليه الآخر عبر سلسلة من تطورات (متنوعة ومتفردة) لم تتوافر للواقع العربي، ومن هنا يقع الوهم والارباك، وفي هذا المجال يبقى التراث طوق النجاة لمحاولة الالتزام والتواصل الذي كان عنوان هذه المقالة .

اعتماداً علي ما قدمناه أعلاه ارتأينا أن نستقصي تجليات التراث في حراك الهوية الوطنية، وعند ذلك تبرز لنا ثلاثة أسئلة، أين ينتهي الماضي ويبدأ الحاضر؟ إلي أي مدى يمكن أن نعود إلي الماضي لتفسير الحاضر؟ وهل الماضي دعامة لحاضر حيّ متطلع إلي الأمام، أم إنه قيد عليه يعوق اللحاق بركب المستقبل؟ .

يشكل موضوع الهوية في الوقت الحاضر مركز اهتمام الدرس الثقافي والانثروبولوجي والسياسي، وذلك للصلة الوثيقة بين الهوية والبنى الاجتماعية والسياسية، كما أنها، الهوية، المرآت التي تعكس شبكات الجماعات الرمزية وتصوراتها الموروثة أو الجديدة التي قامت متراكمة فوق بعضها والتي تشكل باعتبارها ملامح رمزية ومادية للجماعات، مثلما هي تُكوّن البطانة التخيلية لها⁽¹⁾.

¹ - ناجح المعموري: جدل الهويات، حوار المجاورة أو صراع الاختلاف، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، ط1 (وهران - بيروت/2017م)، ص211 .

هذه التساؤلات والأطروحات ستكون هي الإشكالية، بل الإشكاليات التي سوف ننطلق من خلالها لمعالجة فرضيتنا السالفة الذكر، والتي هي تجليات الهوية المرسومة بالوان التراث، لأن الهوية الوطنية صارت تعبر عن راهنية تكشف عن واقعنا بكل الأزمات والانفعالات الذي نعيشها في هذا العصر العربي الحافل بأشكال من الأزمات والتناقضات والمتغيرات؛ والذي يدفعنا إلى ضرورة طرح هذه الإشكالية بحثاً عن حلول، وصولاً إلى تفكيك المهيمنات الضاغطة علي واقعنا .

لقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة والأهداف التي تدور عليها تقسيمها علي مقدمة وثلاثة مباحث، ثم أنتهت بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، أما المقدمة فقد اشتملت علي مدخل تمهيدي للموضوع بينا أهميته وإشكاليته والأهداف التي يدور عليها . وحرصنا في المبحث الأول للحديث عن الهوية العربية بين تجليات التراث والمعاصرة والموقف عند معظم المفكرين العرب والذي يتمحور حول الأخذ أو الاعتماد. وقد تتبعنا في المبحث الثاني عن تجليات الهوية العربية تواصل أم انقطاع مع التراث . أما الفصل الثالث فإنه يعني حصراً بمحرك الهوية العربية وتقاسم الأدوار بين الأخذ من الحضارة الغربية، أم رفضها بالمطلق .

المبحث الأول: الهوية بين تجليات التراث والمعاصرة

في مفهوم الهوية تزخر الكتابات العربية منها والأجنبية بالكثير من البحوث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع مما قد يوقع الباحث في نوع من اللبس عند تناول الظاهرة قيد البحث⁽¹⁾، ويأتي صعوبة البحث من صعوبة إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية؛ لأن الهوية من الظواهر التي يصعب وضع مدلول محدد لها، وهذا يرجع إلى عدد من الاعتبارات، منها تعدد المدارس التي تناولت الموضوع، فضلاً عن سعته وشموليته، إذ تتشارك في تكوينه عوامل ومتغيرات عدة، لا سيما المتغيرات المجتمعية التي تطرأ في حقبة زمنية معينة، والتي تشكل طبيعة الوعي البشري في ظرفيه الزماني والمكاني⁽²⁾. اعتماداً علي ما قدمناه أعلاه؛ فإن مفهوم الهوية له ترميز اجتماعي لا يشترط الانتماء البيولوجي، بل تعبير عقدي حسي وشعوري داخلي تختاره الذات الإنسانية تجاه الواقع الطبيعي أو الواقع الاجتماعي⁽³⁾. ولأن مفهوم الهوية يعتمد كما هو متعارف عليه علي مجموعة متجانسة دينياً أو قومياً أو اثنيياً، ولأنها وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي⁽⁴⁾، يمكنها أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم، وتدفعهم إلي العمل معاً في تثبيت وجودهم، والمحافظة علي منجزاتهم، وتحسين موقعهم التاريخي⁽⁵⁾، وعلي ذلك يمكن أن ينظر إليها علي أنها حالة دائمة من التطور والتكون والتحول أي أنها كينونة مستمرة شكلاً ومضموناً⁽⁶⁾.

¹ - رشيد عمارة ياس الزيدي: أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال، بحث منشور في كتاب استراتيجية التدمير، آليات الاحتلال الأمريكي للعراق ونتائجه، سلسلة كتب المستقبل العربي (94)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2006م)، ص50.

² - خالد البحري : من تأويلية الهوية إلى امتحان الإتيقا كونيا، بحث منشور ضمن كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافي ناشرون، ط1، (وهران، بيروت/2017م)، ص167 .

³ - رشيد عمارة ياس الزيدي : أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال، ص50 .

⁴ - سالم لبيض : الهوية الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2009م)، ص33 .

⁵ - سالم لبيض : الهوية الإسلام، العروبة، التونسية، ص33 .

⁶ - حليم بركات : المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/2000م)، ص62 .

والنتيجة المنطقية التي تترتب علي هذه القناعة، هي إن كل وجود لا بد أن تكون له ماهية، ولا يمكن تصور شيء دون ماهيته، فالعلاقة بالذات - ذات الموجود - في ضوء دائرة الماهية هي صورة الهوية علي الذات⁽¹⁾، في ضوء دائرة الماهية هي صورة الهوية علي الذات .

ولعل ما يجدر التأكيد عليه أن العقلية العربية قد تأثرت إلي حد ما، بفكرة الوجود والماهية، وأصبح سؤال الماهية غالباً في العقل الجمعي، بغض النظر ما كانت أو سوف تكون الإجابات، وما تترتب عليها من نتاج فكري وأدبي⁽²⁾ وهذا ما جعل مفهوم الهوية مفهوماً تراثياً في الدوائر الثقافية العربية حيث كان أول مجال تأثرت فيه بفكرة الوجود والماهية هو المجال الأنطولوجي الميتافيزيقي، باعتبار أن الوجود المطلق، والماهية المتفردة لله قد كانت راقية لدي أكثر المفكرين المسلمين، وبخاصة أصحاب الاتجاهات المثالية، فقد وجدوا فيها مسوغاً معرفياً لإضفاء الفرادة علي الله (جل شأنه) وجعله هوية متفردة ومتميزة، ومن ذلك بُني أساس الهوية لديهم في الوجود المحض المستوعب للكمال الوجودي، وهذا ظاهر في منظومات علم الكلام والفلسفة والتصوف⁽³⁾ .

كذلك، فإن التراث للأمة يشكل ركيزة أساسية ومهمة في حراك الهوية الوطنية، ذلك أن التراث بما يحويه من إجابات شافية وعلمية ذات منهج منظم وقويم لكثير من التساؤلات التي غالباً ما تظهر بأبعادها الفكرية، وكل محاولة مهما كانت متواضعة لإعطاء بعد معرفي للهوية لا بد من العودة إلي التراث بل أننا لنجد العديد من المفكرين ورواد التجديد قد اعتمد بصورة مباشرة علي التراث الفكري للأمة في بناء المنظومة الفكرية للتجديد . علي اعتبار أن حفظ التراث، هو حفظ ذاكرة الأمة، والاستفادة منه علي نحو يجدد في حيويتها، وفي نفس الوقت فإن هذا التراث ماثل في واقعنا المعاصر، بكل أشكاله وهو يزامن تحقيق الذات المعترية لأمةٍ تزاحم الأعداء عليها، وتواجه تحديات عدة، وترنو إلي مستقبل أكثر إشراقاً في كثير من صفحاته⁽⁴⁾ .

وعلي هذا فإن الذات العربية كامنة في صميم التراث العربي، وفي وجدان أبنائه، وهي تمثل منبع الطاقة للروح العربية، ليست تلك الذات العتيقة القائمة علي عظام نخرة، ولكنها الذات المفعمة بالإحساس العميق وبالقيم الروحية والإنسانية، لأن الفكر العربي اجمالاً، كثافة وحضارة ومنهج هو من يصنع الإنسان القادر علي بث الحياة في أوصال المجتمعات المفتتة، المغترية عن ذاتها، التابعة الذليلة، ولكن السؤال مازال قائماً، أي تراث هذا الذي نتحدث عنه ؟ التراث بعيداً عن صورته المكررة وتقاليد اللواعية والعفوية، وهي أكبر عوامل الانحطاط، بل ينبغي أن يطرح في صورة تراث باعث للوعي الثوري، تقدمي ومعتز، وأيدلوجيا محفزة للوعي، وقائم بالتنوير، لذلك ينبغي أن يتحول التراث من صورة تقليد اجتماعي إلي صورة إيديولوجية، ومن مجموعة من المعارف، إلي إيمان واعٍ، ومن صورة مجموعة من الشعائر والطقوس والأعمال التي تؤدي إلي تمجيد الماضي إلي أكبر قوة تهب الإنسان قبل الموت المسؤولية والميل إلي بناء الحياة؛ كما أنه لا

¹ - أشرف حافظ: الهوية العربية والصراع على الذات، دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة الذات، كنوز المعرفة للنشر، (عمان/2011م)، ص 23.

² - أشرف حافظ : الهوية العربية والصراع على الذات، ص 23 .

³ - أشرف حافظ : الهوية العربية والصراع على الذات، ص 23 .

⁴ - محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط، (القاهرة/1990م)، ص 23 .

معني للتراث في الفكر العربي إذا لم يحقق هذا الفكر معاصرته وحدائته في إطار شروطه التاريخية والثقافية، ويبرهن علي مواكبة العصر، والانخراط في تجربة الحداثة العالمية، والمشاركة في إنتاج المعرفة الإنسانية.

ما يهمنا هنا ليس استقصاء مكونات التراث العربي بما فيه من الإيجابيات ما يمكن تطويرها والإفادة منها، كذلك يجب التأكيد علي بعض السلبيات التي قد تشكل معوقات أو عقبات إذا لم يحسن فهمها بعلمية وفق البعد الزماني والمكاني لها، كي لا تكون عقبة أمام التجديد، بدل أن تكون دافعاً ومهمازاً للتجديد .

والتراث قد يكون دافعاً إذا خططنا له بدقة ورسمنا سياسات الاتجاه السليم نحوه⁽¹⁾. من هذا المنطلق يمكن تقييم الصراع الذي يحدث علي الساحة الفكرية العربية بين التراث وبين الاستلاب الغربي المتمكن من مؤسسات الفكر والإعلام والتربية والتعليم داخل المجتمع العربي⁽²⁾، وفق منهج يقوم علي النقد والتقييم، والأخذ والاعتباس بما يناسب المرحلة والظروف الاجتماعية والسياسية. وهكذا فإن التخطيط للمستقبل العربي يجب أن يمر عبر التخطيط لثقافة الماضي لأنه ما من قضية من قضايا الفكر العربي المعاصر، إلا والماضي حاضر فيها كطرف منافس إلي درجة يبدو معها أنه من المستحيل علينا نحن العرب المعاصرين أن نجد طريق المستقبل أو الإعداد له ما لم نستحضر الماضي أو يتبوأ هذا الماضي مكانه في حاضرنا⁽³⁾.

لم تكن هذه الثنائية علي مستوى الأداة، لذلك يري الدكتور (محمد عمارة) إن خروج الفكر العربي من أزمته وانعتاق الأمة الإسلامية من مأزقها الحضاري لا يتم إلا من خلال تجديد الفكر العربي، وهذا التجديد يشكل إسهاماً مطلوباً وفاعلاً لترشيد الخيارات الحضارية الأخرى⁽⁴⁾، لأن الإسلام الناهض المتجدد هو المرشح اليوم لممارسة المهمة التي نهض بها عند ظهوره، لذلك لا غرابة أن تنصدر مشكلة التجديد بين الأُخذ من التراث أو إتباع التجربة الغربية أولويات رواد التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر .

كذلك فإن رواد الفكر العربي المعاصر وهم يتلمسون السبيل لبناء منظومة فكرية في التجديد كانوا أمام خيارين، أحدهما : تيار الانسحاب إلي الماضي بما يكتنزه هذا الماضي من مفاتيح رئيسة للتجديد تتمثل بالعودة إلي التراث بحثاً عن الهوية الحقيقية للعروبة، ومن ثم، البحث عن الحلول الناجعة لأبرز المشكلات الحضارية التي تواجهها. لقد عاش هؤلاء أسري وَهْمَ تضخم الأنا، ودونية الآخر، وهو وَهْمٌ أفضي تاريخياً إلي خلق هوة فاصلة، تقطع الطريق للأخذ أو الاقتباس⁽⁵⁾. ونحن نعتقد أن عدم الأخذ أو الاقتباس من الآخر أمر غير مسلم به لا ثقافياً ولا فكرياً، لأن أي أمة مهما كان إسهامها في بناء سلم الحضارة الإنسانية، ودورها الإيجابي في صنع واقع متطور لا بد لها أن تقتبس من الحضارات الأخرى، وهذه البديهة أمر لا مفر منه، بل هو دلالة مهمة علي حيوية الحضارتين كليهما، التي تأخذ والتي تعطي .

لا ينكر أن قيام الدولة العربية الحديثة رافقه تشتت في الرؤي واضطراب في بعض المفاهيم، ذلك أنّ العرب وهم يتلمسون الطريق لبناء كيانهم المرتقب كانت خطواتهم تتعثر، ومع قيام الدولة العربية الحديثة قطعت عدد من الأقطار

1- طه جابر العلواني : إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب، ط2، (الرياض/1994م)، ص53 .

2- طه جابر العلواني : إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، ص55 .

3- محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (25)، ط3، (بيروت/2006م)، ص27 .

4- أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص10 .

1- شوقي جلال : التراث والتاريخ، ص6 .

العربية صلتها بالمنظومة الإسلامية في مجال التشريعات والنظم والقوانين، ووثقت بالمقابل ارتباطها المرجعي بالمنظومة الغربية، الأمر الذي ساهم في تراجع الفكر الإسلامي وتغليب مفهوم الهوية القومية والتشبيث بهذا المفهوم وإظهار التخوف عليه باستمرار وإعطائه درجة عالية من الأولوية⁽¹⁾.

إن مفردة الأصالة أو الحفاظ علي الذات الثقافية كما يصفها جلال شوقي هي: (الإيمان بأن التراث ينطوي علي عناصر تمثل محور بنية الشخصية القومية في اتصالها التاريخي، وأن الملائمة لا تعني الانفصال أو النفي الكامل للتراث، وهو أمر مستحيل، لأنه يعني نفياً للذات، وإنما المقصود هو الانتماء الواعي للتراث، وملائمته من خلال اكتشاف عناصره الإيجابية في إطار من التأويل الإبداعي وهو ما يتأتى تلقائياً من خلال الانغماس في مواجهة تحديات الواقع بأدوات العصر وفقاً لرؤية مستقبلية أو مشروع قومي يحقق من خلاله المجتمع وجوده الذاتي)⁽²⁾.

أما مفردة المعاصرة كما أشار إليها الدكتور (محمد عمارة)، ((فهي تعني: المفاعلة، أي التفاعل بين الإنسان، أو الثقافة، أو الحضارة، وبين العصر، أي الزمن المعيش، فإذا تمايزت الأمم في حضارتها لتمايز هذه الثقافات، فإنها لا بد وأن تتمايز في العصر الذي تعيش فيه، فللأمم المتمايزة في الهويات الثقافية (معاصرات) متميزة وليس هناك في الواحد معاصرة واحدة لكل الأمم والثقافات والحضارات))⁽³⁾.

المبحث الثاني: تجليات الهوية العربية تواصل أم انقطاع مع التراث

من المعروف أن الهوية في أي مجتمع هي نتاج التفاعل الجدلي بين التراث والبيئة والمعطيات المعاصرة، فالتراث يمد الهوية بالمشيرات التي تجعل منها واقع يتبني من قبل افراد المجتمع، وهذه المشيرات تستجيب بصورة ثابتة، ونسبية، ذلك لأن التراث هو نتاج بيئة علي تنوع محدداتها، الطبيعية والاجتماعية والتاريخية، وهذه جميعاً لا تخرج عن كونها مشيرات تعمل علي توليد مجموعة من الاستجابات التي تمثل الصورة العامة للهوية، وهذا من يمكننا أن نطلق عليه الصفات العامة لأي هوية، وهو كذلك يمثل الجدلية بين المرجعية التراثية والمعاصرة.

في خضم هذه التأويلات يمكن القول: إن كل ظاهرة فكرية أو ميتافيزيقية متخيلة أو اجتماعية، علي قدر من التعقيد أو التبسيط، لا بد أن تتسريل في ثلاثة أسئلة، أين ينتهي الماضي؟ أين نحن الآن، إلي أي مدي يمكن أن نعود إلي التراث لتفسير الحاضر؟ وبطبيعة الحال فإن التراث دعامة لحاضر حيّ متطلع إلي الأمام، وليس قيد عليه، يُعَوَّق للحاق بركب المستقبل⁽⁴⁾؟

وفي هذا السياق يجد المتتبع للثقافة العربية المعاصرة نوعاً من الإنشطار علي المستوي المنهجي والمعرفي، فمن يدعو إلي العودة للتراث، ولا يري الحاضر إلا بعين الماضي، يقابله تيار آخر وقع في الذات المتأرجحة، فلا يري خلاص للهوية العربية المتشظية إلا من برؤية غربية، أي اسقاط الممكنات الفكرية والحضارية والعلمية والتكنولوجية علي حال العرب

¹ - زكي الميلاد: من التراث إلى الاجتهاد، المركز الثقافي العربي، ط1، (الدار البيضاء/2004م)، ص6.

² - شوقي جلال: التراث والتاريخ، ص123.

³ - أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص25-26.

⁴ - غسان حسين الدايني: الأنا والآخر، كيف يفهم البعض؟، بحث منشور في مجلة حوار الفكر، اصدار المركز العراقي للبحوث للدراسات المستقبلية، السنة

(4) العدد (6) بغداد، آيار / 2008م، ص73.

مشتماً بذلك علي الهوية؛ لأن الهوية وكما أسلفنا في هذه الدراسة تشمل كل هذه المعطيات سواء بصورة مباشرة أو أخذها بطريقة التضمين. إذن كلا التيارين وقعا في التناقض؛ فالتيار الأول يحاول إصاق الماضي بالحاضر، أما الثاني فيحاول دفعه باتجاه واقع وصل إليه، الآخر، عبر سلسلة من تطورات طبيعية، لم تتوافر للثقافة العربية، ومن هنا يأتي الوهم، في مسألة تبني المنهج الغربي بدون نقاش أو تحليل أو ابداء الرأي مما يولد ما يمكن أن نطلق عليه (عسر الهضم)؛ لأن فرض قيم مستوردة يحتمل أن قسم كبير منها لا تتوافق مع واقع له ظروفه وخصوصيته ومحدداته .

لم تكن هذه الثنائية علي مستوي الأداة فقط، فخصوصية إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر كامنة في كون العرب يمتلكون تراثاً ثقافياً حياً في نفوسهم وعواطفهم وعقولهم ورؤاهم وذاكرتهم وتطلعاتهم، في صدورهم وكتبهم تراثاً، هو من الحضور وثقل الحضور علي الوعي واللاوعي بصورة قد لا نجد لها نظيراً في العالم المعاصر⁽¹⁾، وقد زاد من ثقل هذا الحضور، تجذر التراث في الوعي واللاوعي معاً، وكان للعامل الخارجي (الغزو الاستعماري) أثر في هذا التجذر في الذات العربية، تمثلت في توظيف التراث، والدعوة للأخذ بالتراث كسلاح أيديولوجي لمقاومة تحديات التوسع الاستعماري المادية والروحية، وعلي الأخص الجوانب الروحية، بل أن استمرار التهديد الخارجي (اسرائيل والأمبريالية العالمية) قد جعل توظيف التراث كسلاح أيديولوجي ضد الآخر يطمس ويقمع المحاولات التي كانت ترمي إلي توظيفه في العملية النهضوية كتلك التي قامت عليها سلفية الأفغاني وعبدة ومن سار علي دربهما في المشرق أو المغرب⁽²⁾ .

أمام هذا التمايز والتشظي الذي تعاني منه الهوية العربية أو لنقل الأسلوب الذي يمكن فيه معالجة إعتلال الهوية العربية، وتجلياتها في التواصل أو الانقطاع، يبدو لنا أن الأمر لا يخلو من التعقيد والتداخل إلي درجة يصعب معها الإختيار، ومع هذا فإننا نجد أنه لا بد من اخضاع الجوانب المادية والروحية في المجتمع العربي إلي الدراسة والتحليل، ومن ثم الاستنتاج، من الواضح أنه لا يوجد هنا مطلق، بل تدريج لا نهائي بين حالات المعرفة، الأيسر أو الأرقعي علي الرغم أن العرب وعلي مدي تجربة الدولة الوطنية أو القومية في تاريخهم المعاصر كانوا منشغلين بالحكايات أو الاقتباس⁽³⁾، لذلك فإن تمثل المعاني في التاريخ، لا بد أن يتمثل في قوامه توكيد رهانات المعني، والتوجه للأخذ بالمبادرة من أجل تصحيح الذات بالذات، انطلاقاً من الإعتماد علي الاعتبارات والمضامين التي تحملها هذه القوي المساهمة في عملية التصحيح⁽⁴⁾ .

إن المتتبع للأطروحات التي ما أنفك ينظر لها المفكرون العرب⁽⁵⁾ وهي في مجملها محاولة للإجابة علي السؤال المطروح كيف يتم تأكيد الهوية العربية؟ هنا تكمن الصعوبة، بل أن الإجابة الشافية تكاد تكون غير ممكنة؛ لأن تأكيد الهوية عن

1 - محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية في الوطن العربي، ص 88 - 89 .

2 - محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية في الوطن العربي، ص 89 .

3 - عبد الإله بلقزيز : العولمة والهوية الثقافية من كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/1998م)، ص 313 .

4 - عبد الإله بلقزيز : العولمة والهوية الثقافية، ص 313 .

5 - إسماعيل نوري الربيعي : التاريخ والهوية إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، دار ومكتبة الحامد، (عمان/2002م)، ص 54 ؛ محمد أركون : التراث محتواه وهويته - إيجابيته وسلبياته، بحث منشور ضمن أعمال ندوة التراث وتحديات العصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2 (بيروت/1987م)، ص 155 ؛

طريق المدرك المعربي وتوسيع آفاقه لا يمكن الوصول إليه، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التراكمات وما يلحق بها من تشويهات مقصودة أو عرضية، وهل يكون الفصل بين معرفتين عامة وخاصة، شعبية عامة، ونخبوية شديدة العسر والغموض⁽¹⁾، وهل يمكن ترسيخ القناعة في الفصل الثقافي في ظل العولمة، والشفافية، وتصاعد مسألة الهويات التي باتت تستحضر قواعد بقائها المتمثلة في العقيدة والقومية والإثنية، في الوقت الذي تحاول فيه (العولمة) طرح نموذجها الشمولي الذي يستهدف المجتمع الإنساني برمته، هنا تتبدى ملامح التطورية التاريخية من خلال الاتجاه الخاص في رسم ملامح القرار السياسي، حيث مصدره (التراث) وليس الآخر⁽²⁾.

المبحث الثالث : حراك الهوية العربية جدل الالتزام وتقاسم الأدوار

لا نريد القول في هذا السياق أن مفهوم الهوية الذي تزخر الدراسات والبحوث العربية به قد تداخل إلى درجة يصعب معها التمييز لأن ذلك يوقع الباحث في نوع من اللبس والغموض، غير أن تعدد المدارس التي تناولت الموضوع تعطي معناه قريب من هذا، فضلاً عن ذلك لأن سعة الموضوع وشموله، إذ تتشارك في تكوينه عوامل ومتغيرات عدة، لا سيما المتغيرات المجتمعية التي تطرأ في حقبة زمنية معينة والتي تشكل طبيعة الوعي الإنساني في ظرفيه الزماني والمكاني، قد تشير إلى نوع من اللبس. وهذا ما دفع (لابلاتين) إلى أن يعترف بحقيقة ضبابية مفهوم الهوية، إعماماً، بقوله: ((إنها من أكثر المفاهيم الفلسفية فقراً علي المستوى الإبستمولوجي، لكنه بالمقابل يتمتع بفاعلية أيديولوجية كبرى))⁽³⁾. وهذه الحقيقة الماثلة أمامنا لا تعفي الباحث من إيجاد مقتربات لهذا المفهوم، قد لا تحضي بقبول الجميع، لكنها تقدم تصوراً لواقعية اجتماعية متداولة ومعروفة في المجتمع⁽⁴⁾.

وتأسيساً على ما تقدم، يمكن أن نستعير من زوربا مقولته: ((إما أن أكبر أنا، أو أن يصغر العالم))⁽⁵⁾ هنا يتمظهر مفهومان للهوية أحدهما (استبعادي)، بمعنى الاختلاف عن الآخر بهدف الأبتعاد عنه أو استبعاده، وهو يمثل هوية استبدادية، تعني بتكريس مفهوم التفوق سواء كان عرقياً، أو ثقافياً، أو حضارياً، وهي لا تبحث عن الآخر بقدر ما تبحث عن تهميشه لذلك فهي أداة للكراهية⁽⁶⁾. أما النوع الثاني ما يمكن أن نطلق الهوية التواصلية التي يمكن أن نفهمها من خلال الدعوة للمساواة بين البشر تحقيق لمقولة أن كل الناس ينتمون إلى أب واحد، فهي إذن أداة للمحبة والأخوة والمساواة بين أبناء الجنس البشري.

كمال عبد اللطيف : أسئلة النهضة العربية، التاريخ - الحداثة - التواصل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2003م)، ص144؛ محمد عابد الجابري : المسألة الثقافية في الوطن العربي، ص25.

1- كمال عبد اللطيف : أسئلة النهضة العربية، ص54.

2- كمال عبد اللطيف : أسئلة النهضة العربية، ص54.

3- عزيز مشواط: إشكالية الهوية في العلوم الإنسانية، مآزق الأشكال وقلق المفهوم، الحوار المتمدن، 11/9/2005م، على الموقع الإلكتروني

<http://www.rezgar.com>

4- رشيد عمارة ياس الزيدي : أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال، ص50.

5- كازانتزافي نيكوس : زوربا، ترجمة : جورج طرابيشي، دار الآداب، (بيروت/1989م)، ص192.

6- رشيد عمارة ياس الزيدي : أزمة الهوية، ص52.

إن افتعال التباينات وتأسيسها هو العنصر المولد للنزاعات من خلال تشويه الأطر الإنسانية للهوية⁽¹⁾، هنا، كيف يمكن تقليص هذه الفجوة بخيارات ومواقف تروم تجاوز حالات الاحتقان والترصب، وهي حالات مبنية في الأعم الغلب علي تجاهل متبادل، تجاهل تغذيه دعوات فارغة، حيث يتم الإنكفاء والتراجع والإحتماء بهويات قد تكون وهمية أحياناً، ولهذا السبب نحن نعد أي دعوة للانغلاق هي محاولة لزرع النزعة العنصرية العرقية التي أثبتت الدراسات البايولوجية والأثروبولوجية والأركيولوجية بطلانها .

يمكننا أن نوضح هذه المسألة من خلال مثال محدود، يتعلق بالتراث الإسلامي في تظاهراته النظرية المختلفة، لنذكر درجة قوة وحضور الموروث الثقافي السياسي القديم (اليونان، الفرس) في هذا التراث، ونكشف في الآن نفسه قدرة العقل السياسي العربي علي بناء المرجعية السياسية بصورة مركبة، حيث تداخلت مقدمات التصور السياسي العقائدي (الوحي، النص، تجربة التاريخ الإسلامي)⁽²⁾. وهذا يؤشر أن الانفتاح علي الآخر والتفاعل الفكري والحضاري معه هو جوهر الحياة وحقيقتها .

من الجدير بالذكر أن الحضارة العصرية بتحتاق بقدراتها جميع الأمم والشعوب، ولذلك أصبح مفهوم الإنكفاء علي الذات من المفاهيم الميتة؛ لأن أي دولة أو مجتمع سواء كان الوطن العربي أو البلاد الأخرى لا تستطيع العيش في الوقت الحاضر علي نمط الدولة المغلقة، وذلك بسبب من تطور وسائل الاتصال والعولمة، وهذا ما استخدمه الأمريكيان في الحروب الاقتصادية ضد الدول التي تعارض نهجهم بالحصار الاقتصادي والمثال الشاخص العراق أبان التسعينيات من القرن الماضي، وإيران في الوقت الحاضر .

نستطيع أن نستمر طويلاً في سرد المظاهر التي تبرز من خلالها أن معطيات الحضارة الحديثة أثرت كثيراً علي تجليات الهوية العربية بمنظورها المقارن في عالم اليوم، ولكن سنكتفي بما ذكر لأن ما يهمنا هنا، ليس استقصاء تلك المظاهر، بل يهمنا فقط إثارة الإنتباه إليها.

من المعلوم أن مفهوم الهوية يستمد رسوخه وبنائه المعرفي استناداً إلي التاريخ، علي اعتبار أن التاريخ هو ثمرة الثقافة والسياسة والعقيدة الفكرية⁽³⁾، ويأتي التراث مكملاً للتاريخ أو شامل علي بعض جوانبه علي الرغم من المقف لا سلمي تجاه التراث من قبل قامة فكرية عربية وهو الدكتور (محمد أركون) بقوله: ((لن أكرر هنا ما شاع من آراء ومواقف تبريرية أو نقدية أو اطرائية ومن استغلالات نفسانية وأيديولوجية للتراث، وقد تراكمت المشاكل وتعددت التصورات الخيالية حول التراث، بحيث لا يمكن الباحث اليوم أن يحدد النظر في الموضوع إذ لم يتحرر أولاً من شعارات فارغة وأقوال باطلة))⁽⁴⁾ .

إن إدراك عناصر القوة للهوية العربية هو بداية حياتها، لأن الهوية المنتجة القادرة علي توليد البدائل وصناعة التغيير هي التي استحكمت ببقاءها في الأرض ووعت بعناصر الدفع الحضارية لإنسانها⁽⁵⁾، وإن عدم الوعي بمكامن القوة

¹ - انطوان مسرة: الإعتراف بالولاءات التحتية وشرعتها عامل توحيد أم انقسام، مجلة المستقبل العربي، السنة 9/العدد90، آب، اغسطس/1986م، ص18.

² - كمال عبد اللطيف: أسئلة النهضة العربية، ص149.

³ - إسماعيل نوري الربيعي: التاريخ والهوية، ص132.

⁴ - نفس المرجع، ص155.

⁵ - محمد المستيري: جدل التأصيل والمعاصرة في الفكر الإسلامي، منشورات دار كارم الشريف، ط1، (تونس/20014م)، ص89 .

والتفعيل ومواطن الخلل لهذه الهوية سيؤخر لا محالة، وأن غياب الرؤية الاستراتيجية للهوية يحكم عليها بوهم المواجهة الحضارية مع الآخر⁽¹⁾.

يتساءل الدكتور (محمد عابد الجابري)، إلى أي حد يمكن أن يكون التراث ضرورياً في حياتنا المعاصرة⁽²⁾؟ هذا السؤال المولّد يثير أسئلة أخرى، لكن لن نتطرق إليها كي لا نخرج عن صلب الموضوع، تأتي الإجابة من (الجابري) بعمق الشعور بالأزمة، بقوله: ((من الضروري بنظري التمييز بين موقفين في هذه المسألة. ذلك لأن حياتنا المعاصرة تصطدم فيها إرادتان: إرادة الآخر الأوربي الذي يُصر علي جعلنا موضوعاً له، سياسي واقتصادي وثقافي وعسكري، انطلاقاً من تمرّكه علي ذاته وتحويله العالم كله إلى محيط خادماً إياه))⁽³⁾. وفي معرض اشارته يضيف (الجابري) إلى إرادتنا نحن العرب في أن نكون أنفسنا، أي أن نبني لأنفسنا هوية خاصة بنا، علي شرط أن يبقى التراث ماثلاً حيث الضرورة للتراث في الموقفين معاً فمن جهة، لا يمكن اطلاقاً مواجهة إرادة السيطرة الأوربية علينا بتراث أوربا، ولا بقيمها، مهما كانت أسماء هذه القيم⁽⁴⁾.

يبقى التراث يشكل أهمية وضرورة من ضرورات الحياة لا سيما للعرب؛ لأن التاريخ المعاصر للعرب يتطلب ذلك، فالأمة العربية في مخاض صعب، والهوية العربية في حالة الصيرورة، وإن الارتفاع إلى مستوى الحياة المعاصرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة يتطلب من جملة ما يتطلب إعادة بناء التراث، وإعادة ترتيب العلاقة بينه كشيء ينتمي إلى الماضي، وبين الحياة المعاصرة كشيء ينتمي إلى الحاضر والمستقبل⁽⁵⁾، علي ذلك يؤكد الجابري أن التراث بالنسبة للعرب، كما هو بالنسبة للشعوب الأخرى عنصر ضروري في مواجهة تحديات الآخر، وفي إعادة بناء الذات المعاصرة⁽⁶⁾.

ينفتح التراث علي بعدين أساسيين في الحياة الثقافية العربية المعاصرة، فهو مُشَرِّعٌ من جهة علي ماضٍ نَسِمُهُ بالقداسة، وهو ملتحم بحاضر يعاني من التأخر العام، كما يعاني من تبعات التخلف الاقتصادي، عند هذا التوصيف ستكون علاقة العربي بالتراث علاقة مركبة وسلطوية في الآن نفسه⁽⁷⁾. ونظراً لتغلغل التراث في الحاضر، وتحوّله إلى قضية تاريخية (سياسية اجتماعية أيديولوجية) لذلك يصعب الركون إلى موقف نهائي بصدده، فالمواقف السلفية التقليدية، والمواقف التغريبية الراديكالية، وكذلك المواقف التوفيقية الإنتقائية تكشف عن عيوب متعددة في كيفية تعاملها مع التراث، ومع المنتج التراثي للعرب⁽⁸⁾.

¹ - محمد المستيري: جدل التأصيل والمعاصرة في الفكر الإسلامي، ص 90.

² - المسألة الثقافية، ص 249.

³ - المسألة الثقافية، ص 251.

⁴ - المسألة الثقافية، ص 251.

⁵ - محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية، ص 252.

⁶ - المسألة الثقافية، ص 252.

⁷ - كمال عبد اللطيف: أسئلة النهضة، ص 207.

⁸ - فهمي جدعان: نظرية في التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق، (عمان/1985)، ص 267.

غير أن للمسألة وجهاً هاماً آخر، وهو أن المرجو والمنشود من أجل بناء الثقافة العربية الذاتية، ليس مجرد استعادة الماضي والارتباط بجبله بعد أن انقطع، بل هو فوق هذا، وقبل هذا أن ندمج هذا الماضي بالواقع العربي القائم وبالتجربة العالمية المعاصرة برؤي المستقبل ووعوده ومرتحياته⁽¹⁾، وتعبير آخر الثقافة العربية الذاتية المرجوة، ليست مجرد اكتشاف لثقافة طمستها عصور التخلف، بل هي أولاً وقبل كل شيء بناء ذو أربعة أعمدة: ((التراث، والواقع العربي، والواقع العالمي، والمستقبل العربي والعالمي))⁽²⁾، إنها ثقافة جديدة وليس تكرار لثقافة مضت، فالثقافة الغابرة لا تحيا ولا تغدو مؤثرة وفعالة وفعالة إلا إذا تم إغناؤها بمخاض الثقافات الأخرى والتجارب الجديدة⁽³⁾.

وعلي أية حال فإن الاتجاه الذي اتخذ مفهوم الأصالة منطلقاً له، قد جعل بين الدالتين علاقة الضرورة الحتمية علي الرغم من انتفائها بينهما، ولكن أنت الحتمية من خلال الجانب المعرفي، حيث ذهب إلى أنه لا معاصرة دون الأصالة، فأنت النتائج عبارة عن عملية انتقائية من التراث⁽⁴⁾. كذلك فإن أهل الحداثة قد وجدوا في الهوية عقبة ومانعاً، في المقابل وجد أهل الهوية في الحداثة اختراقاً واستلاباً، وكان موقف أهل الحداثة يتسم بحالة الاندفاع، بينما اتسم موقف أهل الهوية بحالة الدفاع⁽⁵⁾.

ومن أجل استعادة حيوية مفهوم الهوية عبر مقارنة معرفية، وأخلاقية، ودينية لاستكمال مواطنة متساوية في الواجبات والحقوق، كل هذا يستلزم المناقشة الديمقراطية كميّار مقبول من لدن الجميع، من اجل بلورة رؤية استراتيجية⁽⁶⁾، والهدف والهدف الأسمى هو رسم مستقبل الكيان السياسي والاجتماعي العربي وصولاً إلى تجاوز الصدع الحاصل في قراءة الهوية العربية ضمن رؤية معاصرة تستثمر المنجزات لإشادة مفهوم جديد للهوية في تجليات التراث والمعاصرة، وجدل الالتزام والتواصل.

خاتمة

بعد أن أكملنا هذا البحث لا بد أن نضع خاتمة نلخص فيها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، وهي الآتي:
أولاً- في ضوء الدراسة والتحليلات يمكن أن ننظر إلى الهوية علي أنها ذات طبيعة حركية، شبيهة بالكائن الحي إلى حد ما، لأن لها دلالة وجودية تتفاعل وتؤثر وتتأثر، وتتنازع مع ذاتها ومع الآخر أيضاً، تنمو وتنضج، ذات طبيعة خاصة ونسبية وهو ما يجعل كل هوية تتمايز عن الأخرى، كما أن لها دلالة نفسية باعتبارها كائناً حياً، تمر بمراحل نمو وتطور كي تتوافق مع معطيات الطبيعة الاجتماعية، لذلك تحدث لها أزمات نفسية في حالات صراعها مع الذات ومع الآخر،

¹ - عبدالله عبد الدائم: المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة، بحث منشور ضمن كتاب التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، (بيروت/1987م)، ص 690.

² - عبدالله عبد الدائم: المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة، ص 690.

³ - عبدالله عبد الدائم: المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة، ص 690.

⁴ - أشرف حافظ: الهوية العربية والصراع مع الذات، ص 156.

⁵ - زكي الميلاد: من تحدي الحداثة إلى تحدي العولمة، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1، (وهران - بيروت/2017م)، ص 75.

⁶ - عامر عبد زيد: الهوية العراقية في فضاء مجتمعي متعدد ثقافياً، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1، (وهران - بيروت/2017م)، ص 263.

تستخدم ميكانيزمات الدفاع النفسية لمواجهة الشعور بالإحباط في حالة الأزمات، كالتبرير والإسقاط، بصرف النظر عن عوامل الفشل، كذلك لها دلالة اجتماعية وثقافية تتعامل وتتفاعل مع الذات والآخر، ولأن لها ماضٍ وحاضر ومستقبل، تحتوي التغيير والصيرورة والتماثل والتقابل، وكذلك الصراع والنزاع، من رؤية أن الهوية ما هي إلا مجموعة من الأفراد في المجتمع الواحد بما لهم من حياة ووجود وفكر وتاريخ ومصالح مشتركة .

ثانياً- تزخر الكتابات العربية منها والأجنبية بالكثير من البحوث والدراسات التي تناولت هذا موضوع الهوية مما قد يوقع الباحث في نوع من اللبس عند تناول الظاهرة قيد البحث، ويأتي صعوبة البحث من صعوبة إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية، وذلك لتعدد المدارس، فضلاً عن سعته وشموليته، إذ تتشارك في تكوينه عوامل ومتغيرات عدة، لا سيما المتغيرات المجتمعية التي تطرأ في حقبة زمنية معينة، والتي تشكل طبيعة الوعي البشري في ظرفيه الزماني والمكاني. ومن جانب آخر فإن مفهوم الهوية له ترميز اجتماعي لا يشترط الانتماء البيولوجي، بل تعبير عقدي حسي وشعوري داخلي تختاره الذات الإنسانية تجاه الواقع الطبيعي أو الواقع الاجتماعي، ولأن مفهوم الهوية يرتبط كما هو متعارف عليه علي مجموعة متجانسة دينياً أو قومياً أو اثنيياً، وهي وعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي، يمكنها أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم، وتدفعهم إلى العمل معاً في تثبيت وجودهم، والمحافظة علي منجزاتهم، وتحسين موقعهم التاريخي، وعلي ذلك يمكن أن ينظر إليها علي أنها حالة دائمة من التطور والتحول أي أنها كينونة مستمرة شكلاً ومضموناً.

ثالثاً- إن الحضور الأيديولوجي للتراث في الوعي العربي المعاصر، يعني فيما يعني، الأخذ به كسلاح أيديولوجي ضد التهديد الخارجي، وهذا وجه من العملة، أما الوجه الآخر وهو الأكثر وقعاً وثقلاً علي الوعي واللاوعي العربيين في الوقت الحاضر، فهو ذلك الشعور بعمق الهوية التي تفصل بين التراث ومضامينه المعرفية والأيديولوجية والمعيارية، وبين الفكر العالمي المعاصر ومنجزاته العلمية والتقنية، ومعاييره العقلية والأخلاقية.

رابعاً- لا ريب في أنّ استعادة الإيمان بعناصر القوة والتمكين داخل الهوية العربية فرضه منطق المواجهة مع عناصر الجذب الداخلية التي تسود واقع أمة محبطة، من جوانب عدة، جهل، انهزامية، تناحر صراعات، يرافقه صراع مع ثقافة التغريب التي هيمنة علي العقل الغربي في علاقته مع البلدان العربية، لذلك نجد ازدحام صور المعركة في تبني الهوية قاعدة للنهضة العربية المنشودة، صبغ مفاهيمها التعبوية انسداد كامل لمرجعية القومية الثابتة، بل وحتى التماهي مع هذه المرجعية مما أضعف البعد الواقعي في النظر إلي الهوية .

المصادر

1. إسماعيل نوري الربيعي، التاريخ والهوية إشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر، دار ومكتبة الحامد، (عمان/2002م).
2. أشرف حافظ، الهوية العربية والصراع علي الذات، دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة الذات، كنوز المعرفة للنشر، (عمان/2011م).
3. انطون مسرة، الاعتراف بالولاءات التحتية وشرعنتها عامل توحيد أم انقسام، مجلة المستقبل العربي، السنة (9) العدد (90)، آب، اغسطس / 1986م .

4. **حليم بركات**، المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغيير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/2000م).
5. **خالد البحري**، من تأويلية الهوية إلى امتحان الإيثيقا كونيا، بحث منشور ضمن كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافي - ناشرون، ط1، (وهرا، بيروت/2017م).
6. **رشيد عمارة ياس الزبيدي**، أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال، بحث منشور في كتاب استراتيجية التدمير، آليات الاحتلال الأمريكي للعراق ونتائجه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2006م).
7. **زكي الميلاد**، من التراث إلى الاجتهاد، المركز الثقافي العربي، ط1، (الدار البيضاء/2004م).
8. من تحدي الحداثة إلى تحدي العولمة، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1، (وهرا - بيروت/2017م).
9. **سالم لبيض**، الهوية الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2009م).
10. **طه جابر العلواني**، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، الدار العالمية للكتاب، ط2، (الرياض/1994م).
11. **عامر عبد زيد**، الهوية العراقية في فضاء مجتمعي متعدد ثقافياً، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1، (وهرا - بيروت/2017م).
12. **عبد الإله بلقزيز**، العولمة والهوية الثقافية من كتاب العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/1998م).
13. **عبدالله عبد الدائم**، المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة، بحث منشور ضمن كتاب التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، (بيروت/1987م).
14. **غسان حسين الدايني**، الأنا والآخر، كيف يفهم البعض؟، بحث منشور في مجلة حوار الفكر، اصدار المركز العراقي للبحوث للدراسات المستقبلية، السنة (4) العدد (6) بغداد، آيار/2008م.
15. **كازانتزاكي نيكوس**، زوربا، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، (بيروت/1989م).
16. **كمال عبد اللطيف**، أسئلة النهضة العربية، التاريخ - الحداثة - التواصل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، (بيروت/2003م).
17. **فهمي جدعان**، نظرية في التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق، (عمان/1985).
18. **محمد أركون**، التراث محتواه وهويته - إيجابيته وسلبياته، بحث منشور ضمن أعمال ندوة التراث وتحديات العصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، (بيروت/1987م).
19. **محمد عابد الجابري**، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (25)، ط3، (بيروت/2006م).
20. **محمد عمارة**، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط، (القاهرة/1990م).
21. **محمد المستيري**، جدل التأصيل والمعاصرة في الفكر الإسلامي، منشورات دار كارم الشريف، ط1، (تونس/20014م).
22. **ناجح المعموري**، جدل الهويات، حوار المجاورة أو صراع الاختلاف، بحث منشور في كتاب الهوية وتحديات العصر، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية - ناشرون، ط1 (وهرا - بيروت/2017م).
23. **عزيز مشواط**، إشكالية الهوية في العلوم الإنسانية: مآزق الأشكال وقلق المفهوم، الحوار المتمدن، 11/9/2005م، علي الموقع الإلكتروني <http://www.rezgar.com>

دور المتحف في حماية التراث وتنمية السياحة

أ. بن عيسى أحمد

يعد المتحف من بين المؤسسات التراثية والثقافية التي تهتم بجمع وحماية الموروث الثقافي وعرضه، ومع التطور الذي يشهده العالم في مختلف الميادين والمجالات، تعددت مهام المتحف وتشعبت وأصبح المتحف عبارة عن فضاء معرفي مفتوح لكامل شرائح المجتمع لغرض المتعة والتسلية والمعرفة وقبلة للسائحين والزوار من مختلف الأقطار، ومصدر اقتصادي لكثير من دول العالم، فما هو دور المتحف في حماية التراث وتنمية السياحة؟

1- تعريف كلمة متحف: قبل ضبط تعريف كلمة متحف لا بد علينا معرفة أصل هذه الكلمة:

1.1- أصل كلمة متحف:

يعود أصل كلمة متحف إلى الكلمة الفرنسية "Musée" وتعني مؤسسة العلوم والفنون¹، كما تعني بأنها مؤسسة أو مكان عمومي يجمع الأشياء ذات القيمة التاريخية أو الفنية أو الأثرية² و Museum بالألمانية تعبر في معناها العام الاهتمام بأجناس الشعوب وأثارهم³. أما مصطلح كلمة متحف فيقاله في اللغة الإنجليزية اسم "Museum" والذي يحمل نفس المعنى باللغة الفرنسية⁴، حيث يرجع أصل هذه التسمية إلى اللغة اليونانية ويقابلها كلمة "Muses" وهن الشقيقات السبع التي يراعين الفنون التسع⁵ إلهة الشعر والملاحم "Calliope" ربة التاريخ "Kaleio" ربة العزف علي المسمار "Euterpe" إلهة المأساة "Melppomene" ربة الرقص "Terpsichore"⁶.

2.1- المتحف في اللغة العربية: هو موضع التحف الفنية والأثرية والمقتنيات واللقي وهو المكان الذي تعرض به التحف الفنية والآثار القديمة⁷، وجمع "متحف" "متاحف" مشتق من الفعل المجرد "تحف"، ومزيده "أتحف" الشيء بالشيء، وقيل أصل التحفة هو التقرب والدنو⁸.

3.1 المفهوم الاصطلاحي للكلمة: تعددت المفاهيم الاصطلاحية حول المتحف عند الكثير من المفكرين، إلا أنها تصب في قالب واحد من خلالها يتحدد تعريف المتحف أنه مبني ومكان لحفظ المقتنيات وعرضها، أما بمفهومه البسيط هو مبني لإيواء مجموعات بقصد الفحص والدراسات والتمتع، أو يمكننا القول أنه عبارة عن مكان أو مؤسسة تقوم بحفظ

¹ عبد الحق معزوز، علم المتاحف، مدخل إلى علم المتاحف، الدار الوطنية للكتاب، 2014، ص 11.

² نفس المرجع، ص 11.

³ حسين إبراهيم العطار، المتاحف (عمارة وفن وإدارة)، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ص 11.

⁴ عبد الحق معزوز مرجع سابق، ص 11.

⁵ عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف، ص 171.

⁶ نفسه، مرجع سابق ص 171.

⁷ مصطفى غنيم، المتاحف و المعارض و القصور وسائل تعليمية، كلية الآداب جامعة المنوفية، 1990، ص 71.

⁸ بشير زهدي، المتاحف، "دراسات ونصوص قديمة" ج 1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988، ص 16/15.

وعرض المقتنيات وإعادة الاعتبار لها إضافة إلى أنها ذات أهمية ثقافية وعلمية وقد يعني من خلال تعريفه الاهتمام بأجناس الشعوب والآثار القديمة، فهو المؤسسة التي تحفظ وتعرض الأعمال الفنية والآثار القديمة¹.

المتحف في الوقت الحاضر: جميع الأماكن المخصصة لعرض التحف والمواد الفنية ذات القيمة الثقافية أو الحضارية أو العلمية أو الصناعية وهذه المتاحف تقوم أساسا على تنظيم دقيق يتمثل في عرض تلك المواد مهما كان نوعها على أن يستدعي هذا العرض انتباه الزوار وتقديره²، أما المجلس الدولي للمتاحف بموجب المادة 02 البند الأول: "أنه مؤسسة دائمة دون هدف مريح، في خدمة المجتمع وتطوره، مفتوح للجمهور، تقوم بأبحاث تتعلق بالشواهد المادية للإنسان وبيئته فتقتنيها وتحفظها وتنشرها لأغراض دراسية، تربوية، ترفيهية"³.

أما المشرع الجزائري فعرفه في الجريدة الرسمية 277-85 المادة الأولى: "أنها مؤسسات عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي وتوضع تحت وصاية الوزير المكلف بالثقافة"⁴، وفي مرسوم آخر رقم 07-160 المادة 3 منه: "يعد المتحف كل مؤسسة دائمة تتوفر على مجموعات ثقافية و/أو علمية تتشكل من ممتلكات يكتسي حفظها وعرضها أهمية عمومية وتنظم بغرض المعرفة والتربية والثقافة والتمتع"⁵.

حيث قسمها إلى الأقسام التالية:

- المتحف العمومي الوطني: مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي تنشأ بموجب رسوم تنفيذي بناءً على اقتراح من الوزير المكلف بالثقافة.
- المتحف العمومي التابع للجماعات المحلية: حيث يشترط في إنشائه شهادة مطابقة يسلمها الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة لجنة المتاحف.
- المتحف الخاص: هو مؤسسة دائمة يتم إنشائه من طرف أشخاص معنويين خاضعون للقانون الخاص يكون موضوعها للمنفعة الاجتماعية والثقافية.
- مركز التفسير ذو الطابع المتحفي: وهو مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي تكلف بالتوعية في ما يخص رهنات التراث الثقافي أو الطبيعي بجميع الوسائل الإعلامية والسينوغرافية، كما توفر جميع الأدوات التربوية والبيداغوجية اللازمة للجمهور من أجل فهم مواضيع التفسير، فتح ورشات بيداغوجية مفتوحة للجمهور من فئة الشباب من أجل صحيح نظراته وتلقيه التراث الثقافي والطبيعي.

2- أنواع المتاحف بالجزائر: تعددت وتنوعت المتاحف بالجزائر حيث نوعية مقتنياتها وشكلها حيث نجد:

1.2 - متاحف مكشوفة: وهي عبارة عن مواقع ومعالم أثرية وطبيعية مثل الحظائر الثقافية الوطنية:

1 Petit Larousse, lustres 1991 (librairie Larousse, 1990), p651

² أحمد أمين خلوصي و محمد ماجد عباس خلوصي، الموسوعة المعمارية للمتاحف، ج1، د ت، د البلد، ص3

³ المجلس الدولي للمتاحف (ICOM)، نظام الآداب المهنية، شراكة، 1992، ص766

⁴ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد47، المرسوم التنفيذي، رقم 85-277 المؤرخ في 29 صفر1406 هـ. /12 نوفمبر 1985 م.

⁵ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد36، المرسوم التنفيذي، رقم 07-160 المؤرخ في 10 جمادى الأولى 1428 هـ/27 ماي 2011، ص 10.

- الحظيرة الثقافية للتاسيلي إليزي.
- الحظيرة الثقافية للاهقار تمنراست.
- الحظيرة الثقافية لتندوف.
- الحظيرة الثقافية لتوات قورارة تدكلت أدرار.
- الحظيرة الثقافية للأطلس الصحراوي.

2.2 متاحف المغلقة: وهي تختلف باختلاف نوع المجموعات الثقافية التي تحتويها حيث نجد:

- متاحف الآثار والتاريخ:

- ✓ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة الجزائر العاصمة.
- ✓ المتحف العمومي الوطني سيرتا قسنطينة.
- ✓ المتحف العمومي الوطني البحري.
- ✓ المتحف العمومي الوطني شرشال.
- ✓ المتحف العمومي الوطني شلف .
- ✓ المتحف العمومي الوطني للآثار الإسلامية والفن والتاريخ تلمسان.

بالإضافة إلى متاحف المواقع وهي عبارة عن متاحف صغيرة موجودة بالمواقع الأثرية: متحف تمقاد بياتنة ومتحف جميلة بسطيف.

- متاحف الإثنوغرافيا وما قبل التاريخ: متحف العمومي المنبوعة- متحف العمومي الوطني البارديو الجزائر العاصمة- المتحف العمومي الوطني زبانة وهران.

- متاحف الفن:

- ✓ متحف العمومي الوطني للفن الحديث والمعاصر الجزائر العاصمة.
- ✓ متحف الفنون الجميلة الجزائر العاصمة.
- ✓ متحف الزخرفة والمنمنمات وفن الخط الجزائر العاصمة.
- ✓ متحف العمومي الوطني نصر الدين ديني بوسعادة مسيلة.
- ✓ متحف الخط الإسلامي تلمسان.

- متاحف الفنون والتقاليد الشعبية:

- ✓ متحف الفنون والتقاليد والشعبية الجزائر العاصمة.
- ✓ مركز التفسير واللباس التقليدي تلمسان.
- ✓ متحف التعابير والتقاليد قسنطينة.
- متاحف تاريخية: المتحف الوطني للجيش الجزائر العاصمة.

3- وظائف المتحف: يقوم المتحف بمجموعة من الوظائف المختلفة التي يهدف من خلالها إلى الحفاظ على

الممتلكات الثقافية التي يحتويها من جهة والتعريف بها لمختلف شرائح المجتمع من جهة أخرى حيث تتمثل في:

أ. **اقتناء وجمع الممتلكات الثقافية المادية:** يعتبر المتحف مؤسسة علمية يحول لها القانون بعض الصلاحيات في مجال الاقتناء، البحث، التنقيب وجمع التراث الثقافي من أجل حمايته وتثمينه وعرضه للجمهور، ومن أهم مصادر تمويل المتحف بقطع أو مجموعات جديدة نجد:

- **التنقيب،** يعد التنقيب من أهم المصادر الأساسية التي بواسطتها يتحصل المتحف على قطع ومجموعات جديدة تكون بمثابة تحف مميزة من حيث خصائصها الفنية وقيمتها العلمية¹، تساهم هذه في شهرة المتحف وجلب اهتمام الباحثين والزوار.
- **الاقتناء (الشراء)،** يقوم المتحف باقتناء جميع التحف التي يري فيها قيمة تاريخية أو فنية والتي بواسطتها يستطيع إثراء مجموعاته التي يحتويها وهذا عن طريق تعويض مالكيها²، وتدرج هذه الأعمال ضمن نشاطات المتحف وفي إطار حماية التراث الثقافي من الضياع و التجارة غير المشروعة.
- **المصادرة،** هي شكل من الأشكال التي يستطيع من خلالها المتحف إثراء مجموعاته المتحفية، وذلك عن طريق الأنظمة والتشريعات الدولية، وكذا القوانين الداخلية التي تضعها الدولة في إطار حماية مورثها الوطني، سواء في مجال التنقيب غير الشرعي أو في مجال التهريب والتجارة غير شرعية، فكل من يقوم بمخالفة هذه القوانين والأنظمة تسلط عليه عقوبات، وتقوم الدولة بمصادرة جميع القطع التي يحملها، وتقوم بحفظها في المتحف مما يمكنه من اكتساب مجموعات جديدة يحق له التصرف فيها.
- **التبادل،** يتم التبادل بين المتحف ومؤسسة أخرى مشابهة لنشاطه سواء على المستوى الوطني أو الدولي فمن خلاله يستطيع المتحف استكمال مجموعاته أو تكوين مجموعات جديدة³.
- **الإعارة،** هي عملية يقوم بها المتحف باستعارة مجموعات أو قطع متحفية من المتاحف أو المؤسسات العلمية من أجل إقامة المعارض المؤقتة، ولتسهيل وتمكين الباحثين من إجراء عمليات البحث والمقارنة.
- **التحف المنقولة ملكيتها،** يمكن للمتحف نقل ملكية التحف ذات القيمة الفنية والتاريخية أو العلمية من الأفراد والمجموعات والهيئات، نظرا لقيمتها، وهذا من أجل المنفعة العامة، ومقابل ذلك تقوم الدولة بتعويض مالكيها⁴.

ب. **ترقيم التحف:** يعتبر التقييم من العمليات المهمة و المميزة في المتحف، وهو عبارة عن إعطاء رقم خاص بكل

تحفة ما يسمى برقم الجرد Numéro d'inventer حيث يكون هذا الرقم بمثابة الصاحب لها، في جميع عمليات التسجيل المختلفة، وبواسطته نستطيع تمييزها عن بقية التحف الأخرى، فلكل متحف الحرية في اختيار ما يناسبه من أجل ترقيم

¹ بشير زهيدي، المرجع السابق، ص 123.

² بشير زهيدي، المرجع السابق، ص 124.

³ نفسه، ص 125.

⁴ نفسه، ص 125.

القطع، بواسطة أرقام أو حروف، وعادة ما يتكون رقم الجرد من أرقام وحروف، كما يمكن أن يتشكل هذا الرقم من ثلاث أرقام علي النحو الآتي:

الرقم الأول: هو تاريخ دخول التحفة.

الرقم الثاني: هو رقم المجموعة التي تنتمي إليها.

الرقم الثالث: هو مكانتها في المجموعة¹.

تتم هذه العملية بوضع رقم الجرد علي التحفة الخاص بها، وتختلف طريقة وضعه باختلاف نوع التحفة.

ج. التسجيل والتوثيق: يعد التسجيل والتوثيق العلمي للمقتنيات أهمية كبرى وسند قانوني وخاصة في حالة السرقة أو التلف، كما يوضح التسجيل الطبيعة القانونية للتحفة من اقتناء أو إبداع أو نقل للملكية، ويعتبر من بين الأعمال المهمة في المتحف، بحيث يقوم العمال المتحفون بعمليات التسجيل الفوري لكل القطع التي تدخل إلي المتحف لمعرفة عدد المقتنيات المتحفية ومعرفة أماكن تواجد القطع والمتحف.

وهناك نوعان من التسجيل في المتحف التسجيل اليدوي و التسجيل الآلي:

- **التسجيل اليدوي**، يشمل كل المعلومات المتعلقة بالقطع والمجموعات التي تدون يدويا علي مختلف السجلات وكذا البطاقات التقنية الخاصة بها.

- **التسجيل الآلي**، يعني نقل جميع المعلومات المدونة في السجلات، والبطاقات التقنية الخاصة بالتحف والقطع، في أقراص مضغوطة (CD-ROM) أو في برامج آلية خاصة مثل البرنامج الفرنسي (MICRO- MUSEE) الذي يتماشى مع مختلف المقتنيات المتحفية، وبرنامج (AFRICUM) الذي صممه منظمة اليونسكو خصيصا لجرد التراث الإثنوغرافي الإفريقي²، ولهذا التسجيل ميزات خاصة عن التسجيل اليدوي، حيث أن:

1. عملية التسجيل الآلي تأخذ حيز أقل بالنسبة للتسجيل اليدوي الذي يتطلب مجموعة من السجلات والبطاقات والكتالوجات.
2. عملية التسجيل الآلي تتيح لنا سهولة نسخ وطبع المعلومات المسجلة.
3. وتعد عملية التسجيل الآلي سهلة بالنسبة للترتيب والتنظيم في حين عملية التسجيل اليدوي تتطلب الحيلة والحذر أثناء القيام بها لأنه لا يسمح بالخطأ فيها.
4. تسهل عملية البحث عن التسجيلات واسترجاعها بشكل سريع.
5. تسهل عملية ربط المعلومات بالصور الرقمية.
6. تسهل عملية تخزين المعلومات الخاصة بالوثائق الورقية المكتملة.
7. تسهل عملية التبادل والبحث بين المتحف والباحثين ومختلف المؤسسات الأخرى.

¹ علي حملاوي، المرجع السابق ص30.

² شرقي الرزقي، المرجع السابق، ص116.

8. تسهل من عملية التحكم في استخدامها ونقلها من أجل استغلالها في برامج أخرى، كإعداد الكتالوجات أو نصوص المعارض أو من أجل التعريف بالتحف في مواقع الانترنت¹.

د. حفظ وتخزين المجموعات: تتطلب عملية حفظ وتخزين المجموعات المتحفية مجموعة من الشروط من أجل ضمان حماية تامة للتحف ولتفادي الآفات والمخاطر المختلفة التي يمكن أن تتعرض إليها حيث تتمثل هذه الشروط في:

- تسجيل التحف في المخزن، لا بد من تسجيل كل تحفة تدخل إلى المخزن في سجل المخزن مع ذكر مكان التخزين كرقم الخزانة أو الرفوف، وفي حالة إخراجها من المخزن للعرض أو الصيانة أو الدراسة والبحث تسجل كذلك في سجل خاص يسمى بسجل حركة التحف والذي تدون عليه اسم التحفة ورقم الجرد وتاريخ وسبب إخراجها مع ذكر اسم الشخص،

- عدم السماح لبقية العمال وكذا الباحثين للدخول إلى المخزن بدون رخصة من مدير المتحف،

- مراقبة وتفتيش المجموعات والقطع بشكل دوري ومنتظم وتسجيل ذلك في سجل خاص بها من أجل الكشف علي أي ضرر وتحديد نوعه مع اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد منه،

- مراقبة وتفتيش مكان التخزين للكشف عن أي قوارض أو حشرات يمكن أن تهدد بصحة القطع،

- عزل القطع التي تعاني من أي ضرر ومعالجتها،

- التأكد من الغلق الجيد للخزانات الداخلية و أبواب المخزن لتفادي وقوع أي سرقة أو دخول أشخاص أحر،

- عدم تخزين القطع علي الأرض مباشرة وضرورة استعمال معدات وتجهيزات تناسب مع شكل وحجم التحف المخزنة،

- استعمال الرموز والمخططات التوضيحية للتحديد أماكن تواجد التحف بسهولة².

د. صيانة وترميم المجموعات: يعد مخبر الصيانة والترميم في المتحف المسئول الأول و المباشر علي صيانة وحفظ

جميع المجموعات والقطع المتحفية، سواء كانت في قاعة التخزين أو في قاعة العرض أو في مخبر الصيانة، ولهذا

يجب علي موظفي هذا القسم أن يكون علي دراية تامة بشروط حفظ، وتخزين جميع القطع المتحفية التي يحتويها

المتحف، حيث تمر صيانة القطع علي ثلاث مراحل³:

المرحلة 1- جمع الملف التقني والعلمي: حيث يقوم قسم الصيانة والترميم بالتنسيق مع بقية المصالح بجمع كامل الوثائق والمعلومات المتعلقة بالتحفة والتي تصاحبها.

المرحلة 2- المحافظة: تتطلب المجموعات والقطع المتحفية عناية ومحافظه دورية من أجل إبقائها في وضعية جيدة⁴، ولا تتحقق هذه الحالة إلا إذا قام مخبر الصيانة والترميم بالأعمال التالية:

¹ La documentation des collections d'œuvres d'art, UNESCO, 2007, France, p p17-18

² كتيب عن حماية التراث الثقافي، المرجع السابق، ص ص 15-17.

³ عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص 122.

⁴ نفسه، ص 123.

- المراقبة المستمرة لمحيط التحفة في المخزن والمعرض وخلال جميع تنقلاتها.
- مراقبة وفحص المناخ الذي تتواجد فيه هذه القطع.
- معالجة جميع الأضرار التي تتعرض لها التحفة وعزل المتضررة منها وفحصها.
- تهيئة المناخ والجو المناسب بعرض وتخزين القطع وتأمينها من جميع المخاطر.
- تسجيل جميع الملاحظات وتقديم الإجراءات والحلول الممكنة للحد من الأضرار.
- تدريب العمال علي كيفية النقل السليم للتحف وطريقة حملها للحد من المخاطر.
- تكوين وتدريب عمال النظافة علي طريقة تنظيف مكان العرض والتخزين.

المرحلة 3- الترميم: يعتبر الترميم آخر مراحل الصيانة وأخر عملية تدخل يقوم بها المرمم من أجل إنقاذ حالة التحف من الضرر الذي لحق بها¹، وهو يعتمد في منهجه علي ضرورة جمع كل المعلومات والوثائق التي تتعلق بالتحفة سواء كانت تاريخية أو تقنية وبعدها، تأتي **مرحلة معاينة درجة الخطر** أو الضرر، الذي لحق بالتحفة، مع تحديد سببه وطرق وكيفية معالجته الوسائل المستعملة في ذلك مع ذكر مراحل علاجه، وقبل القيام بأي عملية من عمليات المعالجة لابد على المرمم القيام بإعداد تقرير يتضمن طريقة التدخل وكيفيته مع صور توضح ذلك.

4- دور المتاحف في السياحة

1.4- تعريف السياحة: تعبر السياحة عن ظاهرة تنقل الأفراد من مكان إقامتهم الدائمة إلي أماكن أخرى لأغراض مختلفة لفترة من الزمن لا تقل عن 24 ساعة ولا تصل إلي الإقامة الدائمة.

2.4- النشاط السياحي: يشمل كافة العمليات والأنشطة المتعلقة بتنقل السائح ابتداء من وكالات السفر وشركات النقل والطيران والفنادق والمطاعم وغيرها التي يتعامل معها السائح منذ بدأه بالتفكير في الرحلة إلي غاية عودته، حيث يهدف العمل السياحي إلي تحقيق المتعة والاستقرار والراحة في نفسية السائح سواء كان محليا أو أجنبيا².

أنواع السياحة: تنقسم السياحة من حيث الحدود والمكان إلي نوعين رئيسيين:

1- **السياحة الدولية أو الخارجية:** وهي النشاط السياحي أو الحركة السياحية التي تتم بين الدول.

2- **السياحة الداخلية:** وتعني جميع الأنشطة السياحة التي يقوم بها المواطنين داخل دولهم.

أما من حيث الغرض فهي تختلف حسب من سائح فنجد:

- **سياحة ترفيهية،** وهي السفر إلي الوجهات السياحية بغرض الترفيه أو الاستجمام والترويح عن النفس
- **سياحة علاجية،** لغرض العلاج والاستشفاء حيث يمكن تقسيمها إلي **سياحة وقائية** و**سياحة استشفائية** و**سياحة طبية.**
- **سياحة تعليمية أو تدريبية،** تكون مرتبطة ببرامج علمية وتكوينية كالمدارس والمعاهد المتخصصة.
- **سياحة ثقافية،** عن طريق زيارة الأماكن الأثرية والتاريخية والمعارض ومختلف الأنشطة الثقافية.

¹ نفسه، ص 124.

² محمد أحمد الحضيري، التسويق السياحي: مدخل اقتصادي متكامل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989، ص 72.

- السياحة الدينية، مثل القيام بمناسك الحج والعمرة.

3.4- علاقة المتحف بالسياحة: تعتبر المتاحف شكل من أشكال الجذب للسياحة الثقافية، وتعد السياحة أداة قومية للتنمية الاقتصادية فهي تعزز الاقتصاد المحلي وتساعد المتاحف في استقطاب السياح، مما يجعل منه أداة ووسيلة تساهم في الفوائد الاقتصادية باعتباره عاملا من عوامل الجذب السياحي الثقافي للدول، أما وظيفة المتحف لا تقتصر فقط على المجموعات الأثرية التي يقتنيها بل في كل التراث سواء كان مادي أو غير مادي، فهو يحتوي على كل أنواع التراث الحضاري والإنساني لمختلف العصور والحضارات باعتبار التراث المحفوظ في المتاحف عاملا وأداة للحوار بين الأمم ورؤية دولية ترمي إلى تحقيق التنمية الثقافية، ويمكن الإشارة أيضا إلى متاحف المواقع أو المتاحف المكشوفة التي تعتبر كذلك عاملا من عوامل الجذب السياحي الثقافي مثل الحظائر الوطنية بالصحراء والتي تستقطب أكبر نسبة من السياح الأجانب مقارنة بالمناطق الأخرى من الجزائر، ومن هنا يأتي ارتباط السياحة بالمتاحف، فغياب هذه الأخيرة يؤدي إلى تراجع السياحة وبالتالي تراجع التنمية الاقتصادية للدولة.

4.4 الآثار الإيجابية للسياحة

- تحقيق التطور الاقتصادي وزيادة إيرادات الدولة مع توفير مناصب شغل جديدة،

- تعتبر وسيلة للتعريف بالتراث الثقافي المحلي والارتقاء به عالميا،

- إثراء التراث الثقافي وترقية الصناعات التقليدية.

5.4 متطلبات السياحة المتحفية: تتطلب السياحة مجموعة من الشروط والهياكل من أجل تحقيق الراحة والمتعة في نفسية الزائر حيث تتمثل هذه الهياكل والشروط في:

- الهياكل السياحية، كالفنادق وما يتبعها من تجهيزات وكل الوسائل الترفيهية والضرورية لضمان راحة السائح.

- الأسواق والمحلات والقرى السياحية.

- توفير وسائل النقل البرية والبحرية والجوية ووسائل الاتصال لتسهيل تنقل السائح.

- توفير الأمن لحماية السواح من جهة وحماية المجموعات المتحفية من جهة أخرى .

- تهيئة المتاحف والمواقع الأثرية والسياحية.

6.4 المشاكل التي تعيق المتاحف في أداء مهمتها:

- قلة العروض مقارنة بكمية المجموعات التي تحتويها و تكديسها بقاعات العرض.

- نقص البرامج التثقيفية المتمثلة في المحاضرات التعليمية الندوات.

- قلة المطبوعات مما يقلل استيعاب وجذب الجمهور.

- عدم الاهتمام بوسائل الدعاية والاتصال التي تساهم بالتعريف بالمتاحف وبرامجها وأنشطتها المختلفة.

- عدم إدراج المتاحف ضمن البرامج السياحية أو ما يسمى بالخريطة السياحية.

5- متطلبات المتاحف للمساهمة في ترقية السياحة:

1.5- الإعلام: يعتبر الإعلام بمختلف أنواعه (السمعي البصري والمقروء) عنصرا هاما للتعريف بمختلف نشاطات المتحف التربوية والثقافية بغية خلق جسر تواصل بين المتحف والجمهور بمختلف شرائحه.

- الاعتماد على المطبوعات المتحفية والمنشورات من أجل التعريف بالمؤسسة المتحفية ومختلف برامجها وأنشطتها.
- توزيع الدعوات لمختلف شرائح المجتمع وفي الساحات العمومية والمؤسسات التربوية وبالجمان من أجل التعريف بالمؤسسة المتحفية ومختلف نشاطاتها من أجل استقطاب أكبر عدد من الزوار.

2.5- المعارض المتنقلة: تعتبر المعارض المتنقلة من أهم وسائل الاتصال والإعلام تهدف إلى جذب الجمهور بمختلف فئات وشرائح المجتمع، بحيث تهدف المعارض المتنقلة إلى التعريف بالمتحف ومختلف مجموعاته مما يدفع بالزوار للتنقل إلى المتحف لمشاهدة مختلف معروضاته والتعرف على باقي هياكله.

3.5- الإعلام الآلي: يعتبر عنصرا أساسيا ومهم من حيث فعاليته في نشر وتعميم المعلومات باستعمال شبكة الانترنت، حيث تسهل هذه الأخيرة عملية انتقالها وإيصالها إلى أكبر عدد من الناس والباحثين داخل وخارج الوطن في وقت وجيز وبدون التنقل إلى المتحف. مما يدفع بالزوار الأجانب إلى مشاهدتها والرغبة في زيارتها .

الخاتمة: مما سبق يتضح أن للمتحف دور كبير في حماية الموروث الثقافي من جهة وتنمية وترقية السياحة الثقافية من جهة أخرى، باعتباره وسيلة من وسائل الجذب السياحي كما يعتبر كمصدر اقتصادي لكثير من دول العالم، نظرا لما يقدمه من أنشطة علمية تربوية وتاريخية تثقيفية تدفع كل من يشاهدها للتنقل إليها وزيارتها في أماكنها الأصلية.

المراجع:

- أحمد أيمن خلوصي ومحمد ماجد عباس خلوصي، الموسوعة المعمارية للمتاحف، ج1، د ت، د البلد.
- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد47، المرسوم التنفيذي، رقم 85-277 المؤرخ في 29 صفر 1406هـ /12 نوفمبر 1985.
- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد36، المرسوم التنفيذي، رقم 07-160 المؤرخ في 10 جمادى الأولى 1428هـ /27 ماي 2011.
- المجلس الدولي للمتاحف (ICOM)، نظام الآداب المهنية، شراكة، 1992.
- بشير زهدي، المتاحف، "دراسات ونصوص قديمة" ج1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988.
- حسين إبراهيم العطار، المتاحف (عمارة وفن وإدارة)، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.
- عبد الحق معزوز، علم المتاحف، مدخل إلى علم المتاحف، الدار الوطنية للكتاب، 2014.
- عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف
- مصطفى غنيم، المتاحف والمعارض والقصور وسائل تعليمية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، 1990.
- محمد أحمد الخضيرى، التسويق السياحي: مدخل اقتصادي متكامل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989.
- La documentation des collections d'œuvres d'art, UNESCO, 2007, France.
- Petit Larousse, lustres 1991 (librairie Larousse, 1990).

دور الإعلام الملموس في التنمية السياحية

أ.د شروق عاشور

المعهد العالي للدراسات النوعية - مصر

مقدمه

ليس هناك مراقب ومتطلع لحركة المجتمع أقوى من الإعلام (المقروء والمسموع والمرئي) والإعلام الإلكتروني فهو يسجل في متابعته كل قضايا المجتمع ويستطيع أن يحصد وسائل التنمية المجتمعية المختلفة وله دور فعال في مواجهة أي قضايا والوصول به لمنفعة عامة ولذا ستدور هذه الفاعلية العلمية في دور الإعلام في تنمية قطاع هام من قطاعات الاقتصاد المأمولة فيها مستقبلاً وهي قطاع السياحة وهو من القطاعات سريعة التأثير بالأحداث والظروف المتغيرة بالمجتمع ومن هذا أجمعت الحاجة ملحه لاستغلال عناصر الجذب أفضل استغلال وأن يتسع مفهوم السياحة من اقتصاره علي سياحة طبيعية وتراثياً إلي تكامل اجتماعي واقتصادي يكون له دور إيجابي واقتصادي متزن وعمل عمليات منظمة تحدث تغير مرغوب في واقع موجود فعلاً والأداة التي تساعدنا في ذلك هو الإعلام.

تعريف الإعلام: هو أداة في متناول قطاع شاسع من الجمهور علي اختلاف نوعيته وجنسيته وثقافته ولا يكلفهم عبئاً مادياً ثقيلاً وتنقل مضمون واحد. وله دور ملموس في المعرفة والمساعدة في تقييم القضايا والوصول لمعالجة في كثير من الأحيان بزوايا مستقبلية ومعناها لغويه.

الإعلام مصدر من أعلم ومعناها وضع علامة علي الشيء وإظهار وإبرازة وأشار لذلك القرآن الكريم في سوره القصص آيه 59 (لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)، والإعلام يتواصل مع الإنسان اتصالاً واعياً ومدركاً وعلل دوره الملموس أيضاً أنه يؤثر علي أفكار الناس وتحفزهم إلي سلوك معين مرغوب فيه.

أنواع الإعلام:

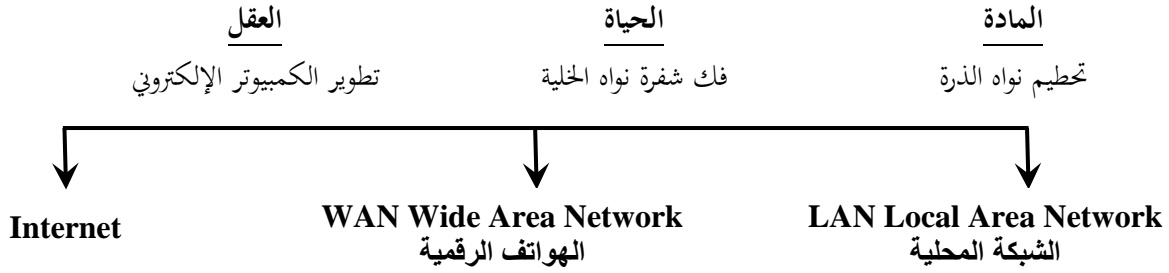
1) المقروء: وتمثل في:

- أ- الصحف: سريعة الانتشار ومنخفضه في التكلفة مع سهولة في الحصول وإضافة معلومة وعرض مشكلة ما ولكن لها عيوب: قصر عمر الصحيفة وعدم إستخدام الألوان بكثرة ونوع الورق الذي قد يتهالك بسرعة.
 - ب- المجلات: مختلفة عن الصحيفة من حيث التقنية عمرها أطول يمكن الاحتفاظ بها مدة أطول توحى المادة بالثقة والطمأنينة.
 - ج- الملاحق والمنشورات التعريفية: قد تكون أسبوعية - شهرية - عامة - مهنية.
- 2) الإعلام المسموعة: المذياع - الراديو - المحطات المحلية والإقليمية والعالمية لها دور في توجيه رسائل متنوعة تختلف باختلاف ثقافة الجمهور والرقعة الجغرافية وقد بدأ الراديو بعد الحرب العالمية الأولى أي بعد مؤتمر فرساي.

ومن أوائل البث الموسيقي البوب والروك حيث كانت الموسيقي المصدر الرئيسي للتسليه الإذاعية وهي من الوسائل ذات الانتشار المنظم لمواد إخبارية وثقافية وتعلمية وتجارية ليلتقطها في وقت واحد المستمعون المنتشرون في شتي أنحاء العالم.

- 3) الإعلام المرئي سينما + T.V: فهي قليلة التكلفة وتعطي شيء من التسليه بجانب الأشياء الأخرى ويمكن متابعة مع نشاط آخر لا يعوق لمستخدمه حاسة واحدة، السينما - T.V 30.000 محطة T.V قوة جذب تجاوز حدود الزمن والمكان دون تكلفة مشقة الخروج سريع الانتشار للجميع بين الصوت والصور، والكلمة والحركة واللون النغم وله عوامل تأثير نفسي وجذب معنوي ومن أنجح وسائل الإشهار له تأثير علي كل قطاعات المجتمع خاصاً علي أطفالنا وقد بدأت السينما عام 1888م ولكن في صورة التجارب 1890م أول عرض 1895م.

4) الإعلام الإلكتروني: في البداية لابد أن نعلم الأعمدة الثلاثة في القرن الواحد والعشرين والعناصر الأساسية التي تعتمد عليها الأعمدة هي:



الشبكات المترابطة وليس كما هو معروف الشبكة العالمية:

Internet Inter Connection networks International Net

الشبكة:

Net Work net (Super information hight way)

وهو عبارة عن الطريق السريع للمعلومات (الشبكة المتداخلة) Internetwork

وهو عبارة عن رسالة مشتركة مع شخص أو جماعة نحاول نشرها سوياً:

- منذ القدم استخدام الرموز أو اللغة.
- الوسائل إيماءات - إشارات Bodelngil.
- الاتصال Contact.

يتم بواسطة: صحف - إذاعة - T.V أدوات الأتصال وأدخل معها التكنولوجيا الحديثة.

وسائط الإعلام الجديدة:

الكتاب الإلكتروني E-Books

من الكتاب الورقي Book

الصحافة الإلكترونية E-press

من New Spoper

المدونات B-Logs

التحرير من الصحف Journalism

E-Zines, Museums

Magazines, Radio, Art, Photology

بعد أن تم عرض وسائل الإعلام المختلفة لابد أن نشير إلى القطاع الهام وهو (السياحة) الذي نرغب في الاستفادة منه في تنشيط السياحة أكثر مما هي فتونس بالفعل قد خطت خطوات فعالة في ذلك.

أهمية قطاع السياحة: يعد الصناعة الأولى في العالم ويعمل بها أعداد تفوق عديد من الصناعات وذات عائد له دور في اقتصاد البلد وتوفر العملات الأجنبية.

- فهي عبارة عن السفر والانتقالات الوقتية التي يقوم بها بعض الأشخاص لأماكن مختلفة والأنشطة المترتبة عليها للإنتفاع بخدمات معينة مقابل دفع أجر مادي.
- وهي الحركة الاجتماعية التي تتم اختيارياً وتهدف إلى الترفيه والاستمتاع الذهني والعقلي والبدني.
- غريزة نفسية واجتماعية الانتقال من المكان الأولي والتحوال ثم العودة له مرة أخرى رغبة التغيير.
- بدأ هذا النشاط توماس كوك نجار إنجليزي حيث استضاف 570 شخص الفطار وشاي 15 سنت وهكذا كانت البداية 1841م - 1855م أول رحلة دولية لأوروبا 1880م فوسترفلوريدا.

بدأت هكذا: مآكل وونس أشخاص، ثم : هدف ديني زيارة الأماكن المقدسة، ثم في القرن 18م استمتع health resorts بالطبيعة والتراث الثقافي بجانب الديني إلي الآن.

وللسياحة عناصر جذب عديدة تختلف بلد دون الأخرى ملخصه في:

1) مزارات دينية:

- يهودية: المعابد والمزارات التي بها رفات مثال مقابر الكومبولث.
- مسيحية: كالكنائس والأديرة.
- إسلامية: كالمساجد والمدارس والقلاع والأسبله.
- ديانات أخرى البوذية (جوناما بوذا في الهند) وخلافه.

2) ثقافية:

- مناطق أثرية: جميله بالجزائر - سيناء بمصر - الأقصر.
- آثار وتاريخ: مثل بورسعيد والقبروان بتونس.
- متاحف: المتروبوليتان - برادوا بتونس - المتحف المصري الكبير بمصر.
- مؤسسات تعليمية: الجامعة الأمريكية بمصر - المركز الثقافي الفرنسي سكاني.

3) التقاليد:

- موسيقي: حفلات الموسيقي العربية.
- فولكلور: حضور موروث شعبي يعرف (بالمولد) آل البيت أو بعض الشهداء المسيحيين.
- فنون زخرفية: زيارة متاحف متخصصة (الفن الإسلامي) - متحف النسيج - قسم المخطوطات بالمتحف القبطي.

4) مشاهد طبيعية:

- مناطق لها جمالها الطبيعي: مثل جعيتا لبنان منطقة يستهوى - بني سويف مصر.
- حياة صحراوية: رحلات السفاري.
- نباتات وحيوانات: جزيرة النباتات بأسوان - حديقة جنوب أفريقيا للحيوان.

5) وسائل جذب ترفيهية:

- ألوان من الرياضة.
- معارض أحياء مائية.
- منتزهات للإستمتاع.
- دورات رياضية.

6) وسائل جذب أخرى:

- المناخ (تزلج جليدي).
- منتجعات صحية وعيون معدنية: مثل عيون موسي والمياة الكبريتية بلحوان مصر.
- رمال - مياة كبريتية.

لا سياحة بدون إعلام مؤثر:

- تلعب وسائل الإعلام دوراً خطيراً في إقناع السائح وإغرائه بالقدوم إلي بلد بعينها فهو صفة لازمة ومحورية للصناعة السياحية.
- حيث نستطيع أن نلقي الضوء علي المعالم السياحية سوي طبيعية - أثرية - فندقية - تاريخية.

والوسائل عديدة (الإعلام السياحي):

(1) الوسائل المطبوعة:

صحف	مجلات	كتيب	ملصقات	طوايع بريد
- مجلة عن أثر.	- دورية أو مخصصة.	- صغير يحكي عن	- بالشوارع.	- عليها تراث ومعالم
- أنقذ أثر لك أو	- بلدي.	تراث البلد في		البلد.
صفحة من صفحات	- المساجد جزء	الطائرة.		
تاريخك بحس المسفول	أثري.			
والدولة.				

(2) الوسائل المسموعة:

ورش عمل	إذاعة	محاضرات	اجتماعات	مؤتمرات
- لقاء حوار عن	- خمسة سياحة.	- إضافة بصفة دائمة	- بين مندوبي	- عنابة وخلافة
موقع بعينه مثل	- برنامج سريع 5	للمخصص وغير	الشركات	والمؤتمر الذي نحن
منطقة بوسعيد	دقائق لمعلومة.	المتخصص.	والعملاء.	بصدده.
مثلاً.				

(3) الوسائل المرئية: جمال مواقع التصوير + نسبة المشاهدة

(1)	(2)	(3)	(4)
تليفزيون	سينما	شاشات عرض	السياحة الإلكترونية

1. تليفزيون: من أهم وأخطر الإعلام السياحي الدراما بالتليفزيون فإن تعاون صناعات السياحة مع صناعات الدراما حيث المزج مع المكون الفكري والمكون المرئي مع عرض مقومات الجذب في الأماكن لأصبحت النتيجة مذهلة.

(A) مسلسل Dollos مساعد في تنشيط السياحة والأقدام بكثرة على مدينة دالاس بولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، (B) مسلسل (نور) فضه بالتركي المدبلج باللهجة السورية وقد أثر تأثير فعال في تدفق السياحة بتركيبه وقد قمنا بدراسة حالة عبارة عن سؤال عينة تتكون من 30 مشاهد للدراما التركية وبعد الدراسة والفحص قد تبين زيادة 44% إقبال علي السياحة التركية بعد عرض العديد من المسلسلات حيث التركيز علي معالم أثرية بأسطنبول ومضيق البسفور - تله العرسان - القصور - المباني - الجبال. من 2008 ولمدة أربعة سنوات تركيا في الصدارة في الإقبال الأقدم بالترتيب علي مزاراتها: سوريا - الأردن - العراق - الجزائر - مصر

2. السينما:

- Out of Africa: خارج أفريقيا زيادة السائحين في كينيا.

- The Lord of the rings: سيد الخواتم سبب في زيادة 10% من التدفق لنيوزيلاندا.

- Crocodile Dmmdee: التمساح داندي.

الأقبال أكثر لأستراليا بنسبة 20% في فترة عرض الفيلم 88 - 89:

(1) فيلم شاطئ الغرام بمصر الإقبال علي منطقة مرسى مطروح والتل التي غنت عليها ليلي مراد.

(2) فيلم جحيم تحت الماء صور في الغردقة زاد الإقبال علي المنطقة السياحة الترفيهية.

(3) شورت وفانلة وكاب وتصوير مناظر شرم الشيخ جعل السائح يحجز لشرم والعودة منها دون اللجوء إلى أي أماكن أخرى.

(4) فيلم أفريكانو والإقبال الغير عادي علي جنوب أفريقيا.

3. **شاشات العرض:** في الأماكن العامة - المطارات - أماكن التجمع - الطرقات العامة لعرض مقاصد سياحية متنوعة من البلد ذاته - الإعلانات الضوئية في الميادين - الموانئ - ثابتة ومتحركة.

4. الإعلام السياحي الإلكتروني:

- فرضت المتغيرات التكنولوجية وأصبحت مسار اهتمام العديد.
- استخدام الإنترنت للتعامل مع السائح يسير عليه أمور عديدة.
- تقدم الخدمات لمقدمي الخدمة السياحية وكذلك السائحين.
- تيسير تقديم الخدمة - المعلومة - طيران - فنادق - برامج.
- أماكن تأجير السيارات (تحقيق رغبات السائح وإرضاء احتياجاته فالسائح يقوم بالعديد من المقارنات واختيار الأنسب دون الذهاب للمواقع لمعلومات مكتوبة ومصورة أيضاً).
- تقليل تكاليف التسويق السياحي.
- زيادة القدرة التنافسية Marketing Communication حتى يكون عمل الإعلام السياحي ناجح لا بد أن التزم بعديد من النقاط:

(1) دراسة سلوك وطبيعة الجمهور ومعرفة اتجاهاته قبل البدء في الحملة.

(2) تحسين الصورة الذهنية.

(3) نشر الوعي السياحي.

(4) إبراز المقومات.

(5) الإهتمام بالسياحة الداخلية.

(6) الإهتمام بكافة الأنماط كبار السن والمعاقين.

(7) معرفة عادات وتقاليد الشعوب الموجهة لهم الرعاية.

(8) الوضوح والاستعداد للإجابة على أي استفسار.

(9) الإثارة في العرض يجعل الرغبة في استكشاف الزيارة للمقصد.

(10) الاستمرارية ترك الحملة الإعلانية مدة كافية.

(11) اختيار الوقت المناسب للعرض مع التخطيط الجيد.

التوصيات

1. وضع الأسس الكفيلة بخلق مناسبات سياحية أو قومية كبرى يمكن عن طريقها تحويل الأنظار والرأي العام العالمي.
2. وضع أجندة ثابتة للأحداث والمناسبات السياحية كالمهرجانات الفرعونية في بعض المحافظات والكرنفالات الموسيقية والشعبية والأوبريتات بحيث لا تقل بأي حال من الأحوال عن اثني عشر مناسبة في السنة بواقع واحدة كل شهر.
3. ضرورة اهتمام وزارة السياحة بتنشيط كافة أنماط السياحة والمحافظة على التنوع في المنتج السياحي.
4. الإهتمام بتطبيق نظام الجودة في الفنادق والقرى السياحية وشركات السياحة وأماكن تقديم الخدمات السياحية من أجل تقديم خدمة ذات جودة عالية.
5. قيام وزارة السياحة بعمل خطط سياحية بديلة يمكن العمل بها عند حدوث الأزمات من أجل تلاشي أو التقليل من حدة الأزمة.
6. ضرورة توفير كافة البيانات اللازمة عن المقصد السياحي على شبكات الانترنت.

7. توزيع خطة معارض المكاتب السياحية في الخارج معارضها في كافة شهور العام مما يكون له بالغ الأثر في تنشيط حركة السياحة علي مدار العام والقضاء علي الموسمية مزودة بالورقيات والكتب الإيضاحية.
 8. الاستغلال الأمثل للإمكانيات السياحية التي تتوفر في البلدان والاستفادة من تجارب بعض من الدول الناجحة في مجال السياحة، خاصة تلك التي تتوفر فيها نفس المميزات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، كتونس التي حققت قفزة نوعية في استغلال مقوماتها السياحية وتتمني أن تسير الجزائر علي نفس النهج.
 9. وضع الخطط وفتح باب الحوار مع رجال الأعمال والهيئات والمؤسسات الحكومية الأخرى لعلاج مواطن الضعف وتطوير مواطن القوة التنافسية للنهوض بقطاع السياحة ككل.
 10. انشاء صندوق للقدرة التنافسية ويساهم فيه القطاع الخاص ويضاف رأس ماله إلي الميزانية التي تخصصها الدولة سنوياً للتسويق بقصد تدعيم وتنويع المنتج السياحي.
 11. تحسين الخدمات السياحية وذلك بالاهتمام بتكوين وتدريب العاملين في صورة دورات تدريبية للموارد البشرية.
 12. وضع السياسات والقوانين البيئية وتفعيلها للحفاظ علي الموارد الطبيعية.
 13. توفير الظروف الأمنية للسائحين وحمايتهم من مختلف أشكال الاعتداءات التي قد يتعرضون له.
 14. الدعم الإعلامي للقطاع السياحي (الحملات الاعلانية المجانية - خفض قيمة الإعلانات السياحية).
 15. تغيير الصورة الذهنية لدي السائح عن الوضع الأمني الذي اهتز بعد ثورات الربيع العربي مثل تركيب كاميرات في المناطق السياحية والأثرية للبت المباشر وعرضها علي شاشات في أهم ميادين الدول السياحية أو عمل لقاءات مع السائحين بالمناطق السياحية.
 16. إعادة تعيين أو توظيف مستوى قطاع السياحة، وتطوير هذا القطاع في الأعوام القادمة من خلال هذه الخطة المتعلقة بالسياحة وشبكة الإنترنت:
- إعادة بناء المواقع التي تهتم بإستراتيجية السياحة الإلكترونية، عن طريق بناء شبكة داخلية تهتم بالإدارة وبناء شبكة خارجية تهتم بالمهنية وبناء مساحة كبيرة من الرأي العام يونية 2012.
 - تطوير الحكومة، عن طريق إطلاق البرامج السياحية عبر مواقعها الإلكترونية.
 - تحقيق برنامج آرسيبال، عن طريق إطلاق برنامج آرسيبال لتحسين عرض المواقع السياحية التونسية وهي كلمات تفتح التراث السياحي التونسي في الفترة من يوليه 2011 وحتى ديسمبر 2012.
 - إعادة تأسيس الوسائل المتخصصة علي شبكة الإنترنت، عن طريق تخصيص ميزانية تهتم بالعروض السياحية علي حد أدني 20، 30%، في الفترة من أكتوبر 2010 وحتى ديسمبر 2011.

المراجعالمراجع العربية:

1. أحمد حمدالله السمان: التجارة الإلكترونية وتنمية العادات سلسلة أوراق اقتصادية - جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - العدد 24 - 2005.
2. أحمد عبدالسميع علام، علم الاقتصاد السياحي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2007 - 2008.
3. أحمد محمود مقابلة، صناعة السياحة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، 2007.
4. جليلة حسن حسنين، إقتصاديات السياحة، بدون، القاهرة، 2005.
5. علا الخواجه، الفرص والتحديات أمام تطبيق نموذج الحكومة الإلكترونية في مصر سلسلة أوراق اقتصادية - جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - العدد 35، 2007.
6. أحمد محمد زيدان، دور الدعاية في تنشيط السياحة في مصر، كلية الإعلام - جامعة القاهرة - 1988م.
7. فؤاد البكري، الإعلام السياحي، دار نهضة الشرق، 2001.
8. سوزان يوسف احمد القليني الاتصال ووسائله ونظريته دار النهضة العربية - القاهرة - 1998م.
9. فاروق عز الدين، محمد عبده عاشور، جغرافية الترويج، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الزقازيق، بدون، 2003.
10. محمد عبده عاشور، جغرافية مصر السياحية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، بدون، 2001.
11. كمال شكيب حماد، الدورة التدريبية: رفع كفاءة العاملين في الأمن السياحي خلال الفترة من (10-14 / 9 / 2011)، (إستراتيجية السياحة الناجحة)، مدينة أجم، 2011.
12. محمد الصيرفي، التخطيط السياحي، دار الفكر الجامعي، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 2005.

المراجع الأجنبية:

1. Wahab, S. (1975), tourism Management, London: International Tourism Press.
2. Anon, (2007), [http:// www.Travel Insights.org/guide/air/ travel.html](http://www.Travel Insights.org/guide/air/ travel.html).
3. Anon, (2010), [http:// www.Gate1 Travel.com](http://www.Gate1 Travel.com).
4. Charles R.Goeldner. J. R. Brent Ritchie, Tourism Principles, Practices, Philosophies "TENTH EDITION", JOHN WILEY & SONS, INC. USA, 2006.
5. Ray Youell, TOURISM an introduction, first published, Singapore, 1998.
6. Victor T.C. Middleton with Jackie Clarke, Marketing in travel and tourism, third edition, oxford, 2001.

الهندسة الثقافية في التراث الفرجوي المسرحي ودوره في تنمية اقتصاد المغرب (جامع الفنا نموذجاً)

إشراف الدكتورة: هاجر مدقن

طالبة الدكتوراه: لطيفة خمّان

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر

◆ ملخص:

إن التراث في أبسط معانيه تراكم لخبرات بني البشر، ذاكرة حية لكل أمة من الأمم بكل تجلياتها المعرفية، والثقافية، والأدبية، والفنية، والجمالية، عالم رحب، يشمل مجالات وأنواع وتخصصات عدة، كالأداب والفنون التي لطالما كانت على اختلاف أنواعها معبراً للمرء لولوج عوالم الترفيه والمتعة، طريقاً للوعي، وهي مهمة اضطلعت بها العديد من الأشكال الفنية، كالمسرح مثلاً، هذا الفن الأدبي الذي فرض عناصر الدهشة وغرس عوامل الانبهار في نفوس متلقيه، فلم يترك لهم بدا من الاندماج في آفاقه خاصة بتمثيله لعناصر مختلفة، وامتياحه من منابع متعددة كان فيها التراث أول الروافد، وبامتزاجه به أضحت هندسة ثقافية في كثير من الدول، ما جعله محجة وقبلة لحشود هائلة من الناس، ولعل هذا ما ساعد بطريقة أو بأخرى في تنمية الجوانب الاقتصادية، لذا ستسعى هذه الدراسة إلى إبراز ملامح الهندسة التراثية المسرحية المغربية من خلال "جامع الفنا" المغربي، وانعكاسها على الجانب الاقتصادي المغربي.

الكلمات المفتاحية: المسرح، التراث، التنمية الاقتصادية، الهندسة الثقافية. جامع الفنا المغربي

◆ **Abstract:**

Heritage in its simplest meaning is the accumulation of human beings experiences. It is also, a vivid memory of a nation with all its cultural, literary, artistic existence. It is welcoming word, encompassing various fields, types and specialties, such as arts and literature which have been away to enter the words of entertainment and pleasure, a way of consciousness, a task undertaken by many forms of art, such as theater. This literary art, which imposed the elements of representing different elements and multiple sources namely the heritage. Thanks to it, the theater becomes a cultural engineering in many countries, gathering masses of people, and perhaps this has helped in one way or another in the development of economic aspects. Therefore. This study will highlight the features of the heritage engineering of Morocco Theater through Jamaà El Fna and its reflection on the Maghreb economic side.

Keywords: theater, heritage, economic development, cultural, engineering, Jamaà El Fna of Morocco.

في ماهية التراث

هو مصطلح عام غامض فضفاض ومطاط، من الصعب الإحاطة به وتطويقه بشكل دقيق، نظرا لتعدد دلالاته ومعانيه ومفاهيمه واختلافها من مفكر إلى آخر، ومن مبدع إلى آخر، والسبب في ذلك التباين، اختلاف المرجعيات، وتنوع المشارب الثقافية، وتعدد المقاربات المرجعية، وتناقض المنظورات، لكن ما يمكن قوله، إن مصطلح التراث لم يطرح في ساحة النقاش الفكري، والإبداعي، إلا مع صدمة الحداثة، وتغلغل المستعمر في العالم العربي الإسلامي، وتفاحش منطق الاستغلال، وبروز ظاهرة الاستلاب والتغريب، وارتباطه بمناقشات المفكرين لجدلية الأصالة والمعاصرة وظهور إشكالية الأنا والآخر وطرح مفهوم الهوية والخصوصية الحضارية والثقافية⁽¹⁾، أما من الناحية اللغوية وكما يذهب الكثير من الدارسين فلا توجد للتراث مادة معينة في معاجم اللغة كبيرها وصغيرها⁽²⁾، وإنما جاءت هذه الكلمة من مادة (ورث)، التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه، من والد أو قريب أو موص، أو نحو ذلك، والأصل فيه أن تاءه أصلها واو: أي (الوراث)، ثم قلبت الواو تاء، لأنها أجلد من الواو وأقوى، ولا تتغير بتغير أحوال ما قبلها كما يقولون، فصارت (تراث)، والراجح أن أقدم النصوص التي وردت فيها هذه الكلمة ما جاء في الكتاب العزيز: { وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا } [الفجر: الآية 19]، وكما هو متعارف عليه في الجاهلية أنهم كانوا يمنعون توريث النساء وصغار الأولاد، فيأكلون نصيبهم ويقولون: لا يأكل الميراث إلا من يقاتل، ويحمي حوزة القوم، وكانوا يلمّون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام ويسرفون في إنفاقه⁽³⁾، والدلالة نفسها نجدها في الحضارة الغربية إذ يطلق مصطلح التراث (le patrimoine/l'héritage) على المخلفات الحضارية والثقافية والدينية⁽⁴⁾.

وعموما مصطلح التراث من بين أهم المصطلحات ذيوياً في حقل الدراسات الإنسانية، والنقدية المعاصرة، وفي معناه الواسع هو كل ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها⁽⁵⁾، ويشرح إسماعيل سيد علي تفاصيله: «هو ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشمتم على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث أو مبثوثة بين سطورها أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن، وبعبارة أكثر وضوحاً: إن التراث هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، وتموت شخصيته وهويته إذا ما ابتعد عنه، أو فقده»⁽⁶⁾.

1 - جميل حمداوي: المسرح المغربي والتراث التصورات النظرية والأوراق البيانية وآليات التعامل مع التراث، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، (د، ط)، 2014، ص ص، 29، 30.

2 - عبد السلام محمد هارون: التراث العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، الإصدار - الثمانون، الكويت، ط01، 2014، ص 19.

3 - المرجع السابق، ص 20.

4 - أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة 10، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية للنشر، قطر، ط01، 1405 هـ، ص 29.

5 - أحسن ثلبلاني: المسرح الجزائري دراسة تطبيقية في الجذور التراثية وتطور المجتمع، دار التنوير، الجزائر، ط01، 2013، ص 11.

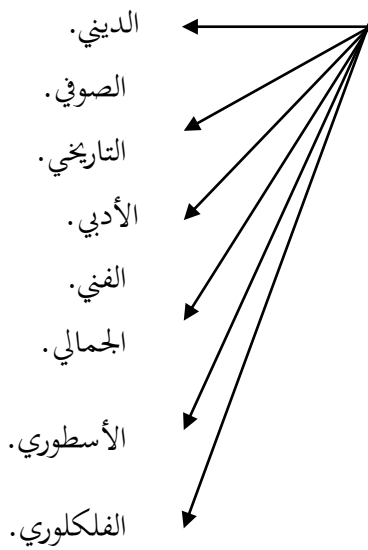
6 - (م، ن)، ص 12.

أما عن أهمية التراث فتكمن في قدرته على التواصل والاستمرار في الحاضر بل والتوجه نحو المستقبل، يقول أدونيس في ذات الصدد: « ليس التراث ما يصنعك، بل ما تصنعه ، التراث هو ما يولد بين شفيتك ويتحرك بين يديك ، التراث لا ينقل بل يخلق»⁽¹⁾ .

- التراث وتجلياته في الفن المسرحي المغربي ودوره في تنمية الجانب الاقتصادي:

لا شك أن التراث حجر أساس في معمارية الأجناس الأدبية والفنية، فما من شكل أدبي أو فني إلا وكان له في التراث متكأ، وبالعودة إلى علاقة المسرح بالتراث، يتضح لنا أنها علاقة وطيدة، ارتبطت بنشأته، بل إن الكثير من الدارسين اعتبروا أن ولادة المسرح كانت ولادة تراثية، فقد كان رواد المسرح العربي-المغربي- يوفقون في نصوصهم وعروضهم الدرامية بين القلب الأرسطي أو الشكل الغربي، والمضامين التراثية، سواء كانت تاريخية، أو أدبية، أو أسطورية، أو خرافية.⁽²⁾، و توظيف التراث في المجال المسرحي يعني قراءة الموروث التاريخي والديني والفكري والأدبي والتقني والجمالي قراءة هادفة ووظيفية متبصرة وواعية، قوامها قراءة الماضي بالحاضر وقراءة الحاضر بالماضي عبر الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتشبث بالهوية والكينونة والخصوصية الحضارية والفكرية، إذ يستوجب الفن المسرحي التعامل مع التراث بطريقة ناجعة لتشغيله دراميا كأداة للتغيير والبناء والإبداع والتأسيس والتأصيل والتخييل، واقتراح الحلول المناسبة للإقلاع الحضاري من خلال الجمع بين قيمنا الدينية وهويتنا الوطنية، ويعني هذا أن التراث أداة فاعلة ووسيلة إيجابية لقراءة الماضي والحاضر بطريقة تزامنية للدفاع عن الذات وتحصينها من الاغتراب⁽³⁾ .

وبالعودة إلى أنواع المستنسخات التراثية الكثيرة الموظفة نذكر: (*):



أما المسرح المغربي فقد ارتبط بمظاهر وأشكال تراثية شعبية مختلفة منذ ظهوره، فبالعودة إلى العديد من الدراسات التي أدلى بها المنشغلون بالبحث الأدبي والتاريخي والاثنوغرافي، نجد أن المغاربة قد عرفوا المسرح ومارسوه بطريقة فطرية، قبل

1 - (م، ن)، (ص، ن).

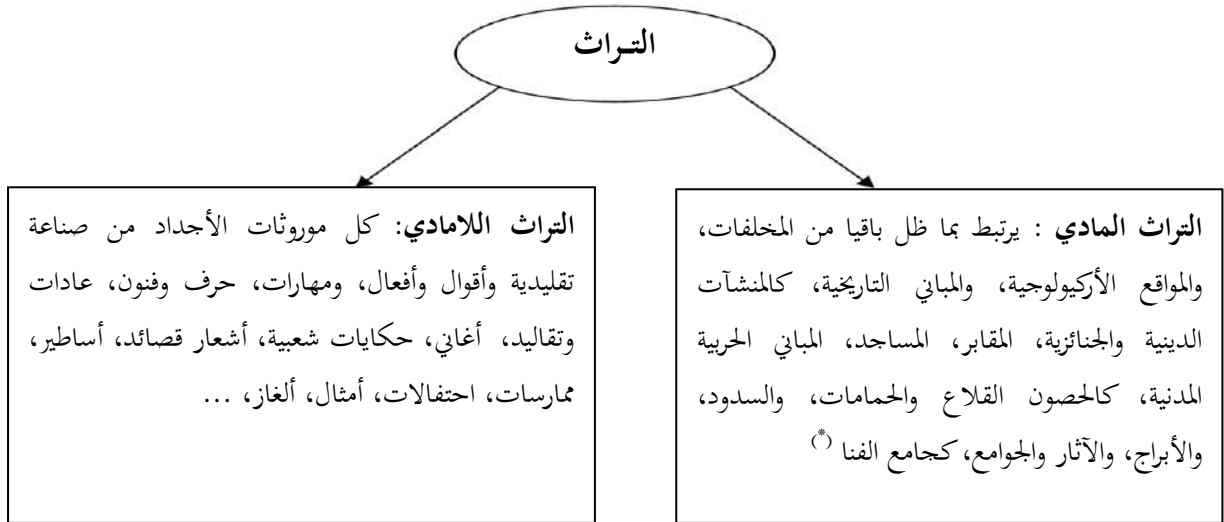
2 - ينظر: جميل حمداوي: المسرح المغربي والتراث التصورات النظرية والأوراق البيانية وآليات التعامل مع التراث، مرجع سابق، ص 25.

3 - (م، ن)، ص 38.

(*): يستغرق التراث في الإبداع المسرحي التراثي الشعبي في شكل فرجات وطقوس دينية وممارسات فنية وجمالية وألعاب طفيلية والتراث العربي الإسلامي، والشعبي والرمسي، والتراث العالمي والكوني الإنساني: (م، ن)، ص 43. والخطاطة مستوحاة أيضا من ذات المرجع. ص42.

أن تحمل رياح الميثاقفة إليهم المسرح في شكله النهضوي، في إطار الأشكال الفرجاوية التراثية القريبة من الطقس المسرحي، والتي عرفت بأشكال ما قبل المسرح، وقد ظهرت في سلسلة من الأنماط نحصرها في: الحلقة، والبساط، وسيدي الكتفي، وسلطان الطلبة،...، وهي عروض متعددة متنوعة، عرضت في فضاءات المدن والقرى، والمطلع على امتداداتها خاصة فيما يرتبط بالحلقة، الحلايقي، والحكواتي، يجد بأنها باقية إلى اليوم تتمتع بحضور جد فعال، في المجتمعات المغربية العتيقة⁽¹⁾، وبالعودة إلى التضاريس الجغرافية المغربية الكثيرة التي تجسد لنا المفهوم الواسع لفن الفرجة/المسرح، التراث، وانعكاسات ذلك على الجانب الاقتصادي، دون منازع يتصدر حلبة الظهور "جامع الفنا".

لقد لاح التراث في المسرح المغربي في الشخصيات، وفي المواقف، وفي الأحداث، وفي القضايا، وفي الرموز، وفي الدلالات، والاصطلاحات، وفي الأساطير، كما تجلّى في العروض من خلال الديكور، والموسيقى، والملابس، والسينوغرافيا والمؤثرات الخاصة فوق ركح المسرح...، لذا نشير إلى أننا لن نركز على التوظيف ضمن النصوص والخطابات بقدر ما سنسعى لإظهاره في شقه المادي واللامادي، اللذين تكفلت باحتضانهما "ساحة جامع الفنا".



- الهندسة الثقافية لساحة "جامع الفنا" المغربي:

تنبسط ساحة جامع الفنا الأثرية وسط مدينة مراكش، وهي أحد أهم المدن التاريخية في المغرب، تشير الكثير من الروايات إلى تواجد جامع بجوارها ثم حولت ساحته إلى مركز للتسوق، يعود تاريخ وجودها إلى عهد الدولة المرابطية (1056-1147م)، صنفتها منظمة "اليونسكو" إرثا عالميا مشتركا⁽²⁾.

ثمة من يربط تسميتها بساحة جامع الفنا، نسبة إلى فناء الدار، أي الباحة المفتوحة، وهناك من يعتمد الفناء بالفتحة، فيقرنها بالفناء فقد كانت مسرحا لتنفيذ عمليات الإعدام في عصور غابرة، لكن هناك إجماع على أن الساحة

¹ - محمد أديب السلاوي: المسرح المغربي جدلية التأسيس، منشورات المرسم، الرباط، (د،ط)، (د،ت)، ص ص24،23.

(*) للإشارة الفكرة مقتبسة من: علي عفيفي علي غازي: التراث المادي والتراث المعنوي، 17 أبريل 2015، متاح في صحيفة الحياة، على الرابط، www.alhayat.com، تاريخ الإطلاع: 2019/01/04، بتوقيت: (16:00:01).

² - ساحة جامع الفنا بمراكش تستقبل نجوم السينما، الجمعة 29 نوفمبر 2013، متاح في صحيفة العرب 21، على الرابط <https://m.arabi21.com>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/07، بتوقيت (14:28:00) ..

شكلت عبر قرون طويلة مكانا لاستعراض الجيوش في طريقها إلى الحملات العسكرية، وتقول بعض المصادر أن الساحة كانت مكان تجمع الجيش في عهد الدولة المرابطية قبل الانطلاق نحو الحملات العسكرية في مختلف الاتجاهات، بما في ذلك حملة "يوسف بن تاشفين" على الأندلس التي توجت بانتصاره في معركة "الزلاقة" الشهيرة على الإيبان، في حين يربط بعض المؤرخين اسم "الفنا" بفناء المسجد الأعظم الذي بناه السعديون بجي روض الزيتون في القرن السادس عشر الميلادي، وقد اكتست الساحة منذ القدم شهرة واسعة، ومما ورد على لسان الكاتب الإسباني "غويتيسولو" الذي اختار الاستقرار بمراكش منذ السبعينات، "أنها ساحة لا نظير لها عبر العالم"، وقد ألهمت العديد من الشعراء والروائيين، فكتبوا نصوصا خلدت هذا الفضاء فخّلت هي به، كما صنفت ساحة جامع الفنا ثاني أفضل عشر ساحات عالمية من قبل موقع adiso.com، المختص في السياحة والسفر⁽¹⁾.

تعيش هذه الساحة ومنذ مئات السنين على وقع زمنها الخاص، صاحبة بأهازيج روادها من الفنانين الفلكلوريين وزوارها المتحلقين حول رواة الأحاجي ومروضي الأفاعي وأصحاب ألعاب الخفة، الذين صنعوا منها ساحة فرجة، ورواية للتاريخ⁽²⁾، وفيما يلي بعض من صوره:



¹ - ينظر: جامع الفنا، 2015/04/28، متاح على الرابط: <https://www.aljazeera.net>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/20، بتوقيت (11:18:05).

² - ساحة جامع الفنا. تاريخ فني مغربي لا يفنى، الثلاثاء 2014/02/04، متاح في صحيفة العرب <https://alarab.com>، تاريخ الإطلاع: 2018/12/27. بتوقيت: (00:00:02).



673

في ساحة جامع الفناء، ترجع الذاكرة بالمتجول إلى عادات وممارسات أسطورية تعود إلى أزمان غابرة، عند مدخله يؤسر المرء بالموسيقى "الغيطة" وهي آلة تراثية شهيرة، بالألبسة، والعروض، ونقوش الحناء، والتداوي بالأعشاب، والتطيب، كما يشد النظر للعديد من المهن التي اختار الكثير امتهاها طلبا للرزق وكسبا لقوت اليوم، كبائعي الفوانيس، والسلال القصبية، والحقائب الجلدية، والمشروبات والأطعمة التقليدية، ومنشدي الأهازيج، قارعي الطبول، ومروزي الأفاعي والقرود، والخيول، ورواة الأحاجي، والقصاصين، ومرددي الأغاني الشعبية، وناقخي المزامير، ...⁽¹⁾.



¹ - المرجع السابق.



وإذا جئنا للمسرح فساحة "جامع الفنا" بكل المقاييس تعتبر أكبر خشبة مسرح استعراضية تراثية في المغرب، وتجسد ذلك في الحكواتي والحلايقي، نسبة للحلقة⁽¹⁾.

والحلقة هي تجمع دائري يقف فيها الراوي ومساعدته وسط الناس يقصان على الجمهور بالتناوب قصص البطولات والأساطير والحكايات الخرافية، بطريقة تستند إلى الحوار المباشر والتشخيص والإيماءة و الغناء، وكأي عمل مسرحي تعتمد الحلقة الشعبية على الجمهور، فهي فرجة شعبية تعتبر الجمهور مشاركا فعلا، يصف الباحث المغربي حسن المنيعي هذه الفرجة بقوله: « لا يمكن أن تكون شيئا آخر غير الريبورتوار التقليدي الذي يقوم على الحكايات والأساطير العجيبة التي تجلب المارة...»⁽²⁾.



في الحلقة الشعبية تقدم أقدم الاستعراضات الفلكلورية التي يمتزج فيها العزف بالتمثيل وسرد العبر والحكم ونظم الأشعار، يقدم الموروث بكل تفاصيله⁽³⁾، بهذه المشاهد الفرجوية الفلكلورية المسرحية وشبه مسرحية. التي تتطلب من صاحبها أن يكون موسوما بمؤهلات لغوية وذهنية وتحليلية حتى يشنف مسامع رواده، ويدغدغ مشاعرهم ويستجيب

1 - المرجع السابق.

2 - محمد أديب السلاوي: المسرح المغربي جدلية التأسيس، مرجع سابق، ص ص 26، 27.

3 - ينظر: ساحة جامع الفنا بمراكش تستقبل نجوم السينما، مرجع سابق

لرغبتهم وتطلعاتهم، فكلما كانت مشوقة ممتعة ضاقت حلقتهم بالمتفرجين الذين يدرون عليه بما جادت به جيوبهم⁽¹⁾، يقول الشاعر عبد الرفيق جواهري واصفا إياه: « لتتصور هذا الكائن الذي لا يلفت شكله الانتباه يتسلل إلى جامع الفنا باحثا في زحمة الساحة عن مكان فارغ يوظفه بدائرة بشرية وسط ضحيج أبواق بائعي الأدوية الشعبية وصيحات أولاد أحمد أموس ودقات طبول كناوة وتداخل غناء أحواش و الحوزي، يقف هذا الكائن (الحلايقي) أعزلا إلا من لسانه وحكاياته ومواجهها عزلته الوجودية»⁽²⁾، وتجدد الإشارة إلى أن الحلقة تبنى على أنواع وقواعد، فمنها الحلقة العادية وهي عبارة عن دائرة مكتملة، ومنها أيضا حلقة الرواة، وهي الحلقة التي يطلق عليها لفظ (مخزومة)، كما تبنى على ما يسمى الخللخال، وهي ثغرة في دائرة الحلقة، تقع خلف الراوي عادة ما تسمح له بالاندفاع وبالقهقري، أما أهم قاعدة ذهبية يجمع عليها أصحاب الحلقة، فتتكون من أربعة حروف: الجيم الذي يرمز إلى (الجرأة)، التاء إلى (الثبات وتجنب الوقوع في شرك الاستفزاز)، ثم الميم التي تعني (المركبة: أي انعدام الخجل)، ثم القاف، إضافة إلى ذلك يستعملون لغة مشفرة (الغوص)، للتواصل فيما بينهم وتنبه بعضهم البعض، حتى لا يدرك المتفرجون مقاصدهم، ففي حالة تسرب لصوص للحلقة يستعملون "أولاد علي"، أما المخبرين فيطلقون عليهم "السرير"، والكذب "بسيدي منصور"، والجمهور "بالنبور"، والفاحة الصغرى "بالشليلة، والفاحة الكبرى "بالجهمه"، ومائة درهم "بعين موكة"، وعشرة دراهم "بطازونة"....⁽³⁾.

لذا كانت كل هذه المظاهر الفرجوية الشعبية التراثية بوابة للوقوف على التنوع والثراء، واجهة سياحية استقطبت العديد من الوجوه، ومصدر عائدات مالية كبيرة، فقد ثبت وحسب الكثير من التقارير الإخبارية والمعينة الفعلية، أن جامع الفنا أضحت قاطرة للجلب السياحي، وسوقا مفتوحا للتنمية الاقتصادية بمدينة مراكش، تلك العروض والتضاريس التراثية كانت آية جلب، وقبله للكثير من نجوم السينما لإنتاج الأفلام كما حدث مع نجوم الهند "رانبير كابور"⁽⁴⁾، والوجوه المعروفة، وأصحاب المراكز المرموقة "كزيارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون"⁽⁵⁾ والمستشارة الألمانية "أنجيلا ميركل"⁽⁶⁾، وللسياح الأجانب بل وللمغاربة أنفسهم، للاستمتاع، للفرحة ولصناعتها أيضا، إضافة إلى رواج بعض التجارات المرتبطة بالسياح، خاصة فيما يتعلق بالمنتجات الصناعية التقليدية المحلية، وتحول الساحة إلى أكبر مطعم مفتوح

¹ - محمد الداوي: كتاب "جامع الفن... الصورة وظلالها" لعبد الرفيق جواهري، الأحد 2010/07/11، متاح على الرابط: <http://www.mohamed-dahi.net>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/12، بتوقيت: (13:15:00).

² - (م، ن).

³ - (م، ن).

⁴ - ينظر: نجوم السينما الهندية "دايرين حلقة" بساحة جامع الفنا بمراكش، 2016/05/11، متاح على الرابط: كيش24 جريدة إلكترونية مغربية <https://kech24.com>، تاريخ الإطلاع: 2018/12/17، بتوقيت: (00:00:02).

⁵ - ينظر: الرئيس الأمريكي الأسبق بل كلينتون يتحول بساحة الفنا بمراكش، 2015/05/05، متاح على الرابط: <https://kech24.com>، تاريخ الإطلاع: 2018/12/17، بتوقيت (20:22:00).

⁶ - ينظر: أنجلا ميركل تتحول بساحة جامع الفنا بمراكش، 2018/10/10، متاح على الرابط: <https://m.youtube.com>، تاريخ الإطلاع: 2018/12/17، بتوقيت (20:22:00).

في الهواء الطلق؛ إذ ابتداءً من غروب الشمس يستقطبها كل مرتاديها على اختلافهم، سكان أصليين وأجانب، من فرنسا، وإنجلترا من اسبانيا وإيطاليا، من الشرق الأوسط من بلدان الكويت، والإمارات والسعودية⁽¹⁾.
 بالتالي فساحة جامع الفنا محور اقتصاد قائم بذاته بمدينة مراكش، يعتمد على التراث، وعلى الثقافة، والسياحة، والصناعة التقليدية، دون تردد يمكننا اعتباره ركحاً مسرحياً كبيراً ومفتوحاً يمكن المشاهد المطل عليه من سطوح المقاهي، والمطاعم، ... المحيطة به أن يتمتع بمشاهد مسرحية واقعية متعددة الفرجة:



¹ - ينظر: مطعم ساحة جامع الفنا في مراكش، متاح على الرابط: <https://m.youtube.com>, 2017/11/06، تاريخ الإطلاع: 2019/01/07، بتوقيت (14:28:00).

ونظرا لما تزخر به ساحة جامع الفنا، حددت المصادر التاريخية وفقا لإحصائيات صادرة عن المجلس "الجهوي للسياحة"، عدد السياح الذين توافدوا عليها خلال شهر أغسطس بـ 149 ألف و766، ما يعني ارتفاعا بلغ 10%، مقارنة بفترات أخرى، وقد كان الفرنسيون في مقدمة الذين زاروا المدينة بـ 62 ألفا و214 سائحا بزيادة وصلت إلى 12%، يليهم الإسبان بـ 12 ألفا، أما الإيطاليون فبلغ عددهم 9535، ثم البريطانيون بـ 3953، وبالنسبة للسياح من الدول العربية فبلغ عددهم 2168 وهي بيانات 2011⁽¹⁾، وأضاف المرصد السياحي، واستنادا إلى الكثير من المعطيات أن عدد السياح قد زاد في سنة 2017⁽²⁾ و2018⁽³⁾، ما يعني زيادة في مداخل العملة، فقد بلغ إجمال مداخل الأسفار في المغرب ما يفوق 4 ملايين درهم، وفيما يلي تقرير المرصد السياحي:

نة 2017 (راند 19 في المائة بالنسبة للسياح الأجانب وزائد 6 في المائة بالنسبة للسياح من المغاربة المقيمين بالخارج).

جكك أهم الأسواق المصدرة للسياح نتائج إيجابية، خاصة الولايات المتحدة (راند 23 في المائة) وإيطاليا (راند 24 في المائة) ألمانيا (راند 17 في المائة). وفرنسا (راند 15 في المائة) إسبانيا وبلجيكا (12 في المائة لكل منهما).

تابع المرصد، وفقا لبيانات مهنيي القطاع السياحي، أن لبالى لمبيت المسجلة بمختلف المؤسسات الفندقية المصنفة ارتفع بنسبة 3 في المائة في نونبر 2018 (راند 4 في المائة للسياح غير المقيمين نافي 1 في المائة للمقيمين)، مبرزا أن وجهات فاس (راند 7 في المائة) والرباط (راند 3 في المائة) ومراكش (3 في المائة) أكادير (+ 3 في المائة) سجلت أداء جيدا، في حين عرفت مدينتنا لدار البيضاء وطنجة ركودا في أدائهما.

11.3 مليون سائح زاروا المغرب ما بين يناير و نونبر 2018 !

أفاد مرصد السياحة بأن ما مجموعه 11,3 ملايين سائح زاروا المغرب ما بين يناير ونونبر 2018 بارتفاع بنسبة 8,5 في المائة مقارنة مع الفترة نفسها من السنة الماضية، (أي راند 15 في المائة في عدد السياح الأجانب، وراند 2 في المائة في عدد سياح مغاربة العالم).

وأوضح المرصد، الذي نشر إحصائياته حول السياحة المغربية لظهر نونبر 2018، أن هذا الارتفاع هم الأسواق الرئيسية المصدرة للسياح، وخاصة السياح القادمين من إيطاليا وألمانيا (راند 15 في المائة، وراند 10 في المائة على التوالي)، تليها فرنسا وألمانيا (راند 8 في المائة، وراند 6 في المائة على التوالي).

وبخصوص إجمالي عدد لبالى المبيت بالمؤسسات السياحية المصنفة، أشار ذات المصدر، إلى أنها سجلت ارتفاعا بلغ 8,47 في المائة خلال الأشهر الإحدى عشر الأولى من 2018 (راند 12 في المائة بالنسبة للسياح الأجانب وراند 1 في المائة بالنسبة لمغاربة العالم).

وذكر مرصد السياحة أن قطبي السياحة مراكش وأكادير استحوذا لوجدهما على 60 في المائة من العدد الإجمالي للبالى المبيت نهاية شهر نونبر المنصرم، مشيرا إلى أن هاتين الوجهتين سجلتا ارتفاعا بنسبة 10 و8 في المائة على التوالي، في حين سجلت الوجهات السياحية الأخرى بدورها نتائج إيجابية، خاصة مدن فاس (17 في المائة) والرباط (10 في المائة) وطنجة (10 في المائة).

وأما المرصد أنه خلال شهر نونبر 2018، سجل عدد السياح الوافدين على المراكز الحدودية، حسب البيانات التي تقدمها المديرية العامة للأمن الوطني ارتفاعا بنسبة 14 في المائة مقارنة بالفترة ذاته من

¹ - ينظر: مدينة مراكش: قبلة السياحة العالمية، 25 يوليو 2011، متاح في جريدة الغد، على الرابط: <https://alghad.com>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/07، بتوقيت (14:28:00).

² - ينظر: ارتفاع بنسبة 10 في المائة في عدد السياح الوافدين إلى المغرب في يناير 2017، 17 مارس 2017، متاح على الرابط: جامع الفنا بريس، جريدة إلكترونية وطنية شاملة: <https://jamaalfnapress.com>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/18، بتوقيت (19:16:01).

³ - ينظر: 11.3 مليون سائح زاروا المغرب ما بين يناير و نونبر 2018، 4 يناير 2019، متاح على الرابط: <https://jamaalfnapress.com>، تاريخ الإطلاع: 2019/01/18، بتوقيت (19:16:01).

ما قالته صحيفة "أو تيمبو" البرازيلية، عن جمال المغرب، مراكش، وعن "جامع الفنا":

صحيفة "أو تيمبو" البرازيلية تسلط الضوء على روعة وجمالية المغرب خصوصا مدينة مراكش

أبرزت الصحيفة البرازيلية "أوتيمبو"، في مقال نشرته على موقعها الإلكتروني، جمالية المغرب "البلد الغرائبي بصيغة الجمع لتنوع ثقافته". مسلطة الضوء على الجمال الطبيعي الذي تتمتع به مدينة مراكش والمناطق المحيطة بها.

وفي مقال تحت عنوان "جولة مذهلة في مغرب متعدد وغرائبي"، يقترح الصحافي دانيال سانتوس كاسترو غوميز على قرائه جولة بين أزقة ودروب المدينة العتيقة لمراكش، ورحلة بمنطقة جبل توبقال، المكان الرائع المزهو بغابات أشجار الصنوبر المكسوة بالثلوج.

وكتب كاسترو غوميز، في مقاله، أن المغرب، من الناحية الدينية، يعتبر "أرضا تحتضن جميع الأديان حيث يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في سلام"، مبرزا انطباعاته حول زيارة قام بها في دجنبر الماضي لبلد تميزه ألوانه الجميلة وطيبوبة أهله.

وتتميز المدينة العتيقة لمراكش بأسواقها التقليدية، يضيف كاتب المقال، حيث يمكن للزائر أن يجد صالته من حلي وإكسسوارات وأوشحة وتوابل وعطور وغيرها... مشيرا إلى أن التفاوض بشأن الأسعار بين الباعة وزبائنهم يدخل في نطاق الثقافة المحلية، وهي تجربة تستحق، برأيه، أن يعيشها الزائر لأنها تختلف عن طريقة البيع في البلدان الغربية.

وفي تقديره، فإن ساحة جامع الفنا، وهو أحد المواقع المصنفة تراثا إنسانيا من قبل اليونسكو، مكان يتعين زيارته بالضرورة لاكتشاف "كل الجوانب الغرائبية والفريدة من نوعها في المغرب". كما يقترح كاتب المقال على قرائه زيارة مدرسة ابن يوسف، التي تعد مكانا يتميز بهندسته المعمارية الرائعة وبسحره الذي لا يوصف، مبرزا أنه أعجب بالأجواء الصوفية والروحية التي تنجس من هذه المعلمة التاريخية التي تعكس جمال وغنى الثقافة الإسلامية.

ولم يغفل كاسترو غوميز في مقاله، تسلط الضوء على جمالية منطقة جبل توبقال، الذي يسر الناظر إليه بهائه.

فعلى المستوى الجغرافي كانت مراكش دائما تستأثر بمعاملها أكبر النسب دائما، والمطلع على حصيلة السنوات الأخيرة يدرك حجم التزايد المستمر للسياحة، و للتنمية، يدرك أن جامع الفنا تراث إنساني منقطع النظير، كما يدرك الدور الريادي الذي يلعبه التراث الفني والأدبي في ترقية وتنمية الجوانب الاقتصادية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة 10، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية للنشر، قطر، ط01، 1405 هـ .
- 2- جميل حمداوي: المسرح المغاربي والتراث التصورات النظرية والأوراق البيانية وآليات التعامل مع التراث، منشورات المعارف، الرباط، المغرب، (د،ط)، 2014.
- 3- أحسن ثليلاني: المسرح الجزائري دراسة تطبيقية في الجذور التراثية وتطور المجتمع، دار التنوير، الجزائر، ط01، 2013.
- 4- عبد السلام محمد هارون: التراث العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، الإصدار - الثمانون، الكويت، ط01، 2014
- 5- محمد أديب السلاوي: المسرح المغربي جدلية التأسيس، منشورات المرسم، الرباط، (د،ط)، 2011.

- المواقع الإلكترونية:

- 1- علي عفيفي علي غازي: التراث المادي والتراث المعنوي، 17 أبريل 2015، متاح في صحيفة الحياة، على الرابط، www.alhayat.com
- 2- محمد الداوي: كتاب "جامع الفن... الصورة وظلالها" لعبد الرفيع جواهري، الأحد 2010/07/11، متاح على الرابط: <http://www.mohamed-dahi.net>.
- 3- ساحة جامع الفنا بمراكش تستقبل نجوم السينما، الجمعة 29 نوفمبر 2013، متاح في صحيفة العرب 21، على الرابط: <https://m.arabi21.com>.
- 4- ساحة جامع الفنا: تاريخ فني مغربي لا يفنى، الثلاثاء 2014/02/04، متاح في صحيفة العرب، على الرابط: <https://alarab.com>
- 5- نجوم السينما الهندية "دايرين حلقة" بساحة جامع الفنا بمراكش، متاح على الرابط: كيش 24 جريدة إلكترونية مغربية <https://kech24.com>:
- 6- الرئيس الأمريكي الأسبق بل كلينتون يتجول بساحة الفنا بمراكش، متاح على الرابط: <https://kech24.com>.
- 7- أنجلا ميركل تتجول بساحة جامع الفنا بمراكش، متاح على الرابط: <https://m.youtube.com>.
- 8- مطعم ساحة جامع الفنا في مراكش، متاح على الرابط: <https://m.youtube.com>.
- 9- مدينة مراكش: قبلة السياحة العالمية، 25 يوليو 2011، متاح في جريدة الغد، على الرابط: <https://alghad.com>.
- 10- ارتفاع بنسبة 10 في المائة في عدد السياح الوافدين إلى المغرب في يناير 2017، 17 مارس 2017، متاح على الرابط: جامع الفنا بريس، جريدة إلكترونية وطنية شاملة: <https://jamaalfnappress.com>.
- 11- 11.3 مليون سائح زاروا المغرب ما بين يناير ونونبر 2018، 4 يناير 2019، متاح على الرابط: <https://jamaalfnappress.com>.

أثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية

دراسة تحليلية لحالة الجزائر في الفترة الممتدة (1990-2017)

أ. أحسن صليحة

جامعة الجزائر 03 - الجزائر

ملخص:

يشهد القطاع السياحي في الجزائر نمواً واسعاً نتيجة الجهود الحثيثة التي تبذلها الدولة لتوجيه الاستثمار في هذا القطاع الذي يعتبر من أهم القطاعات الحيوية التي تساهم في النهوض بالاقتصاد الوطني و جلب العملة الصعبة عبر تبني العديد من الإصلاحات الحثيثة في المؤسسات المعنية بقطاع السياحة. لذلك تحاول هذه الدراسة تحليل أثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية كبديل عن الاقتصاد الريعي من خلال أهم الإحصائيات المحصل عليها من طرف الديوان الوطني للإحصائيات خلال فترة الدراسة الممتدة من: (1990-2017).

الكلمات المفتاحية: الاستثمار، القطاع السياحي ، التنمية السياحية، السياحة الثقافية، الإحصائيات السياحية.

Abstract:

The tourism sector in Algeria is experiencing strong growth as a result of the efforts exerted by the State to direct investment in this sector, which is one of the most vital sectors that contribute to the advancement of the national economy and the introduction of hard currency through the adoption of many of the terminology in the tourism sector.

Therefore, this study attempts to analyze the impact of investment in tourism sector on cultural tourism as an alternative to the rent economy through the most important statistics obtained by the National Bureau of Statistics during the period of study from (1990-2017)

Keywords: Investment, Tourism Sector, Tourism Development, Cultural Tourism, Tourism Statistics.

المقدمة:

تعد السياحة أحد المجالات التي شهدت اهتماما متزايدا في الآونة الأخيرة بحيث أصبحت أحد الدعائم المعول عليها من أجل الدفع بعجلة التنمية الاقتصادية بحيث تسعى السياسة الاقتصادية إلى الاهتمام بهذا القطاع متمثلا ذلك في رسم والمخططات الاقتصادية التنموية وتنفيذ عدة مشاريع استثمارية قصد تنويع العرض السياحي لتنشيط الطلب السياحي **لفلسفة اقتصاد خارج قطاع المحروقات.**

يمثل الاستثمار السياحي الوطني و الأجنبي لما له من تدفقات وسيولة على القطاع بأثر فعال على التنمية السياحية والتنمية الاقتصادية، بحيث زيادة حجم الاستثمار يؤثر في زيادة المشاريع السياحية، بحيث تشير الاحصائيات المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء خلال السنة المالية 2017 أن القطاع السياحي حاليا يساهم بحوالي 12% من الناتج المحلي الخام وإلى ما يزيد عن 56% من الوافدين إلى الجزائر بهدف الترفيه خاصة في المناطق الجنوبية و تمثل المنتوجات السياحية 7% من الصادرات الجزائرية وبلغ حجم الاستثمار إلى ما يقارب 25% في القطاع مقارنة بالسنوات السابقة خاصة بعد تفعيل الشراكات الدولية و الأور متوسطة في القطاع.

في هذا السياق، تعالج هذه الدراسة تحاول دراسة أثر الاستثمار السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر وتحليل وضعيته الراهنة قصد تفعيل القطاع الحيوي، من هذا المنطلق يمكن صياغة الاشكالية التالية : كيف يمكن قياس وتحليل أثر الاستثمار السياحي على السياحة الثقافية في الجزائر خلال فترة الدراسة الممتدة (1990-2017) .؟

معاور الدراسة:

1. التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة.
2. دراسة تحليلية لأثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية خلال فترة الدراسة (1990-2017).
3. دراسة اقتصادية اجتماعية للاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر.

المنهج الدراسة المستخدم: سيتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة و تحليل مختلف المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تمد بصلة لموضوع الدراسة.

1. التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة: حظيت السياحة باهتمام كبير نظرا لارتباطها بالعديد من القطاعات الاقتصادية الحيوية ولها آثار مهمة مباشرة على المظاهر الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية، بحيث أصبحت التنمية السياحية من أولويات السياسة الاقتصادية من خلال البرامج المسطرة و المشاريع قيد التنفيذ و الشراكات الأور متوسطة والدولية على حد سواء.

1.1. ماهية السياحة: نورد بعض التعريفات العامة المعتمدة من طرف المنظمة العالمية للسياحة (OMT):

▪ **السائح:** كل زائر مؤقت يقيم في البلد الذي يزوره **24 ساعة** بحيث تكون أغراض الزيارة السفر لأجل الترفيه، الراحة، الصحة، قضاء العطل، الدراسة، الرياضة أو من أجل القيام بأعمال عائلية، المؤتمرات، ندوات علمية، ثقافية وسياسية.

▪ **المتجول-المنتزه:** كل زائر لا تتجاوز مدة إقامته **24 ساعة** على الأكثر خارج مقر إقامته المعتادة. تبنت الجزائر عدة مفاهيم للسياحة منها:

- **الدخول:** كل مسافر عبر الحدود ودخل التراب الوطني خارج مساحة العبور الدولية يعتبر داخلا.
- **المسافر:** كل شخص دخل التراب الوطني مهما كانت الدوافع للدخول وباختلاف مقر إقامته وجنسيته باستثناء الجوالين في الرحلات البحرية.
- **الجوال في الرحلة البحرية:** كل زائر يدخل الحدود الوطنية في نفس الرحلة السفينة التي جاء فيها ويمكث على متنها طول مدة إقامته في البلاد.
- **الزائر:** كل من دخل الجزائر من غير أن يقيم فيها ولا يمارس فيها أي نشاط مقابل أجر وهذا يشمل الزائر والجوال¹.

تعتبر السياحة مزيج بين مختلف القطاعات الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية فهي ظاهرة من الناحية الاجتماعية الثقافية التي تحاول اشباع حاجات و رغبات السائحين من خلال الراحة، الاستجمام، الدراسة، الدراسة، الاطلاع، المؤتمرات، التظاهرات الثقافية-الدينية-السياسية-التجارية ومن جهة أخرى تعتبر صناعة قائمة بجد ذاتها تحاول عرض تشكيلة متنوعة من مختلف الخدمات التي تساهم في التنمية الاقتصادية.

عرفت المنظمة العالمية للسياحة السياحة على أنها: مجموعة أنشطة التي يمارسها الأفراد أثناء سفرهم، بقاؤهم في أماكن تقع خارج بيئتهم المعتادة لغرض قضاء أوقات الفراغ، الأعمال أو أغراض أخرى.

عرف **جويبر فرويلر- (2005)** السياحة بأنها: ظاهر من ظواهر العصر، تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة و تغيير المكان والتمتع بجمال الطبيعة، الاحساس بمختل المناطق باختلاف طبيعتها.²

تعتبر **الخدمة السياحية** على أنها مجموعة الأعمال و النشاطات التي توفر عند للسائح الراحة و التسهيلات عند شراء الخدمات السياحية خلال وقت سفرهم أو إقامتهم في المرافق السياحية بعيدا عن مكانهم الأصلي.

يعرف **السيد كاسبر-عضو الأكاديمية الدولية للسياحة للخدمة السياحية** على أنها مجموع الوسائل المادية الضرورية لتأمين أو تسهيل اشتراك الأفراد في السياحة و تحقيق أهدافها وكذا خلق الخدمات لمختلف السائحين.¹

¹: كواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر3، 2004، ص14.

²: عبد الكريم قاسم: ترقية السياحة في الجزائر-دراسة حالة الديوان الوطني للإحصاء السياحي، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تقنيات كمية مطبقة، المدرسة العليا للتجارة، دفعة 1998، ص 32-33.

تتمثل أهم خصائص الخدمات السياحية ما يلي:

1. استحالة النقل والتوزيع.

2. حضور الزبون.

3. عدم مرونة الطلب السياحي في المدى القصير.

4. موسمية الطلب السياحي على الخدمة السياحية.²

تحتاج الخدمة السياحية إلى السوق السياحية التي تعتبر أهم العناصر الأساسية في عملية تسويق الخدمة السياحية وذلك لتنشيط الطلب وتنوع العرض السياحي من مختلف المنتجات السياحية المقدمة من مختلف الوكالات السياحية، الفنادق، المطاعم، المتاحف، والمنتزهات... إلخ والتي يطلبها السائح .

2.1. مفهوم الاستثمار السياحي: لا بد من أن الصناعة السياحية تعتمد بصورة رئيسية على

الشركات والمؤسسات الخاصة التي تفرض أهمية الاعتناء بالمناطق الجذب السياحي وكذلك الاستثمار في المرافق والخدمات والتسهيلات السياحية، التي تعد الركن الأساسي الداعم في الصناعة السياحية بعد الموارد الثقافية والطبيعية (الثروة السياحية).

كون أن السياحة تعتبر مصدرا للدخل للعديد من الدول في العالم أهمها ماليزيا وتركيا فضلا على الجوانب الإيجابية للتنمية السياحية في جذب الاستثمارات في المشاريع السياحية والمشاريع الأخرى واسهاماتها في توفير مناصب العمل الدائمة والمؤقتة كما أن النشاط السياحي يرتبط بعدة خدمات منها: النقل، المواد الغذائية، الخدمات المصرفية، الإيواء... إلخ، ويعرف الاستثمار بأنه الإضافات من الطاقات الإنتاجية المتاحة في المجتمع بإنشاء المشروعات الجديدة أو التوسع في مشروعات القائمة وكذلك شراء الأوراق المالية لإنشاء المشروعات الجديدة.³

يعتبر الاستثمار على المستوى الوطني الإنفاق الرأسمالي على المشروعات الجديدة في المرافق العامة والبنية التحتية كمشروعات الطرق الرئيسية و الفرعية، مشاريع تمديد المياه، صرف المياه، تهيئة المناطق العمرانية، تمديدات الكهرباء... إلخ، وكذلك المشروعات التي تتعلق بتنمية المجتمعات في مجالات التعليم والصحة والاتصالات الانترنت بالإضافة للمشاريع التي ترتبط بالقطاع الصحي كإنتاج السلع والخدمات في القطاع: الصناعي، الخدماتي، الفلاحي، قطاع السكن، التعليم، السياحة.⁴ من أهم خصائص الاستثمار السياحي ما يلي:

✓ الاستثمار السياحي ذو طبيعة طويلة الأجل.

✓ يعتمد كثيرا على الموارد البشرية وبالتالي هو أكبر موفر للفرص الوظيفية.

✓ يمكن أن يكون محفزا لتنمية المناطق غير النامية أو الأقل نمو.

تتمثل أهم متطلبات الاستثمار السياحي في التالي:

¹: منظمة السياحة العالمية، مفاهيم و تعاريف الاحصائيات السياحية، الدليل الفني رقم 01، واشنطن، 1995، ص 11.

²: حمدي عبد العظيم، اقتصاديات السياحة-مدخل نظري علمي متكامل، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء للشرق، القاهرة، 1993، ص 12.

³ : <http://www.brbrnet.net/vb/showthread.php?t=43898>.

⁴ : <http://www.scta.gov.sa/TourismInvestment/SupportTourismInvestment/Pages/default.aspx>.

- تخصيص الأراضي: تحديد المناطق التي تمتلك المقومات السياحية لتأهيلها.
- التطوير السياحي: وضع تخطيط سياحي تحضيري للمنطقة التي توجه للاستثمار فيها.
- البنية التحتية: ربط المناطق السياحية بأهم الخدمات العامة (الكهرباء-الماء-الغاز-الإنترنت).
- سهولة الوصول: ربط المناطق السياحية بمختلف خدمات النقل (البري-الجوي-البحري-الخدمات-الارشادات)¹.
- التراخيص النظامية: تشمل:
 - شفافية الأنظمة واللوائح القانونية التي تقود التراخيص الاستثمارات السياحية.
 - توحيد آليات التعامل مع الجهات الرسمية المختلفة التي تتعامل مع الاستثمارات السياحية.
 - تأسيس كيان المجتمع المدني الذي يساعد الحكومة في تطبيق الأنظمة والقوانين.
 - سرعة تفعيل التراخيص دون عراقيل بيروقراطية.
 - عرض تجارب دولية الناجحة في تفعيل دور الاجراءات الحكومية في تنشيط الاستثمار السياحي-حالة تركيا.
- تتلخص أهم العوامل المشجعة على الاستثمار في:
- السياسة الاقتصادية الملائمة: من خلال وضوحها، شموليتها، استقرارها، انسجام القوانين مع تعدد الاعفاءات والامتيازات.
- البنية التحتية للاستثمار: توفر الكهرباء، الغاز، الماء، النقل، الإنترنت، توفر الكفاءة المهنية، المصارف والسوق المالية.
- الجهات الادارية: توفر مختلف التراخيص الضرورية، الامتيازات و الاعفاءات للاستثمار من طرف مختلف الوزارات الوصية².

2. دراسة تحليلية لأثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية خلال فترة الدراسة (1990-

2017):

عرف الاستثمار في القطاع السياحي في الجزائر عراقيل من حيث القوانين واللوائح التنظيمية التي تبناها السياسة الاقتصادية وذلك نظرا للنظام الاقتصادي الذي تبناه الجزائر والذي ينص على الملكية العامة لوسائل الانتاج لكن بعتد الأزمات الاقتصادية التي عرفها الاقتصاد الوطني وتعددتها مع مرور الأزمات تبنت الجزائر فلسفة اقتصاد ما بعد المحروقات وذلك لتشجيع صادرات غير الربعية وتقليص الاستيراد لذلك تبنت الجزائر عدة مخططات اقتصادية الهدف منها تفعيل القطاع السياحي الذي يتعدد ويتنوع في الجزائر من خلال تنوع الأنماط تتمثل في:

¹: <http://www.arabegyfriends.com/vb/t5142.html>.

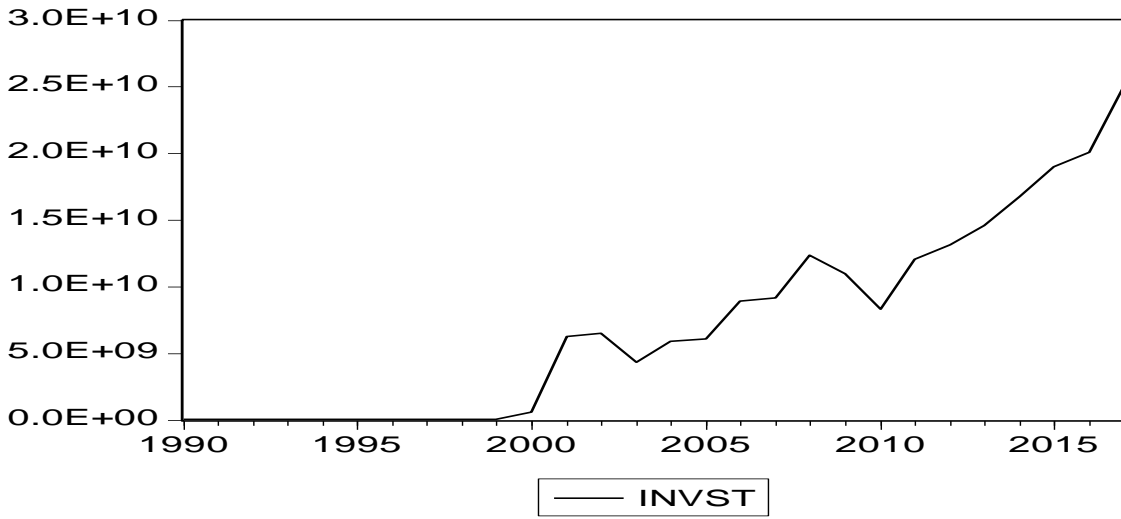
²: <http://www.ahram.org.eg/Provinces/News/27267.aspx>.

السياحة الدينية، سياحة الحفلات، المهرجانات، سياحة المتاحف والسياحة الأثرية التي تتوزع على 7 أقطاب كما يلي:¹

الأقطاب السياحية	الولايات المعنية	التراث المادي	التراث غير المادي
شمال شرق POT N.E	عنابة، الطارف، سكيكدة، قالمة، سوق أهراس، تبسة	مواقع مغليبية بولاية قالمة، النقوش الصخرية بولاية تبسة، كنيسة القديس أوغسطين، المدن الأثرية تيمقاد وجميلة، جامع أبو مروان، مساجد المدن العثمانية بعنابة.	أعياد:المرجان، العسل، الطماطم، الفرولة؛ مهرجان موسيقى المالوف، الأيام المسرحية، والسينمائية والفولكلورية
شمال وسط POT N.C	الجزائر، تيبازة، بومرداس، البلدية، الشلف، عين الدفلى، المدينة، البويرة، تيزي وزو، بجاية	مقابر الفينقيين بالمدينة و تيبازة، المدن الرومانية، الأضرحة الملكية بموريطانيا، أسوار مليانة، قصبه الجزائر، مسجد كتشاوة، الكنيسة القديمة للسيدة الإفريقية، كنيسة رأس جنات..	تراث غير مادي مرتبط بالإنتاج الحرفي والفني
شمال غرب POT N.O	مستغانم، وهران، عين تيموشنت، تلمسان، معسكر، سيدي بلعباس، غليزان	أكثر من 300 موقع أثري، تاريخي وثقافي: أطلال سيقا، أضرحة صفاقس، آثار المدينة الرومانية بوهران، الأماكن التاريخية للأمير عبد القادر، قلعة بني راش..	عدة احتفالات وأعياد محلية : عيد الكرز، مهرجان الموسيقى الأندلسية..
جنوب شرق POT S.E	غرداية، بسكرة، الوادي	النقوش الصخرية، الأضرحة والنصب التذكارية، الآثار الرومانية بالقنطرة، ضريح عقبة بن نافع ببسكرة، ضريح حيزية ببسكرة.	685 موسم سيدي خالد ببسكرة، عيد المهري، عيد الزربية بغرداية..
جنوب غرب POT S.O	أدرار وبشار	294 قصر(قلعة حماد و ملوكة ...)	المولد النبوي السبوع ببني عباس وتيميمون، موسم تاغيت ببشار..
الجنوب الكبير TASSILI- N'AJJER	إليزي و جانت	أكبر متحف مفتوح في الهواء الطلق بمساحة 80000 كم ² مصنّف ضمن التراث العالمي من طرف UNESCO	حفلة السببية، عاشوراء، عيد الطاسيلي، عيد جانت، عيد سيدي علي بنوي، عيد أسيهار، عيد تافسيت، عيد تيماسينين..
الجنوب الكبير POT G.S	تمنراست	نقوش صخرية و آثار تعود لما قبل التاريخ.	المهرجان الوطني لفنون الأهقار.

¹: قاسم كريم، السياحة الثقافية رافد لتنشيط السياحة الداخلية في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، البلدة الجزائر، المجلد 1،

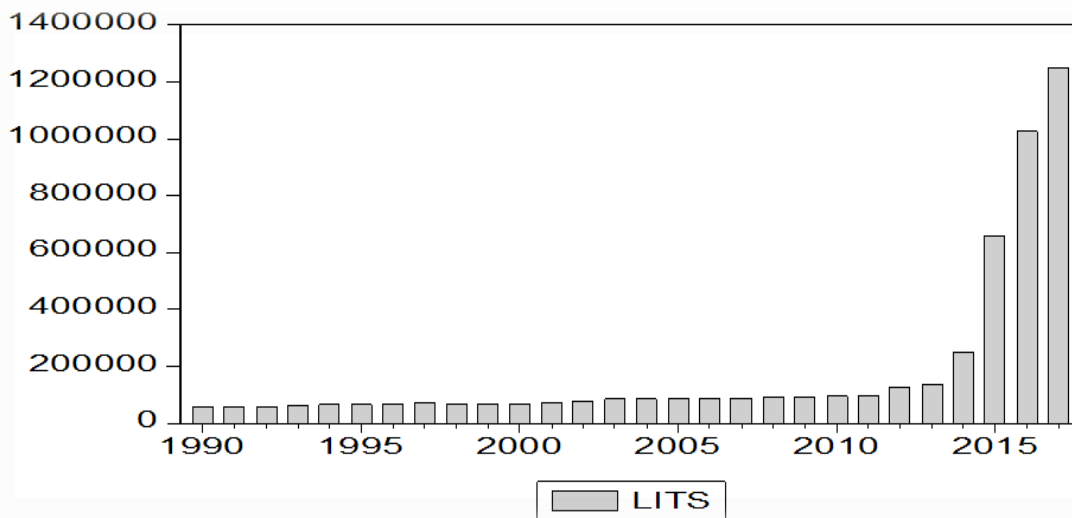
لاستثمار في السياحة الثقافية: يمثل الشكل رقم (1): تطور الاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر خلال الفترة الممتدة (1990-2017):



المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: من خلال المنحنى أعلاه، يتضح أن الاستثمار (المحلي والأجنبي) في السياحة الثقافية عرف قفزة نوعية منذ سنة 2000 وذلك بسبب فتح المجال للاستثمار الخاص في هذا المجال و تحسن الظروف الاقتصادية، خاصة عمليات الترميم للقصبة ومختلف المناطق الأثرية التي صنفت على أنها تراث عالمي، أنجاز المركبات السياحية، استغلال المناطق التي بها مياه معدنية وتأهيلها... الخ.

الأسرة السياحية: يمثل الشكل رقم (2) تطور عدد الأسرة السياحية في الجزائر خلال الفترة الممتدة (1990-2017):

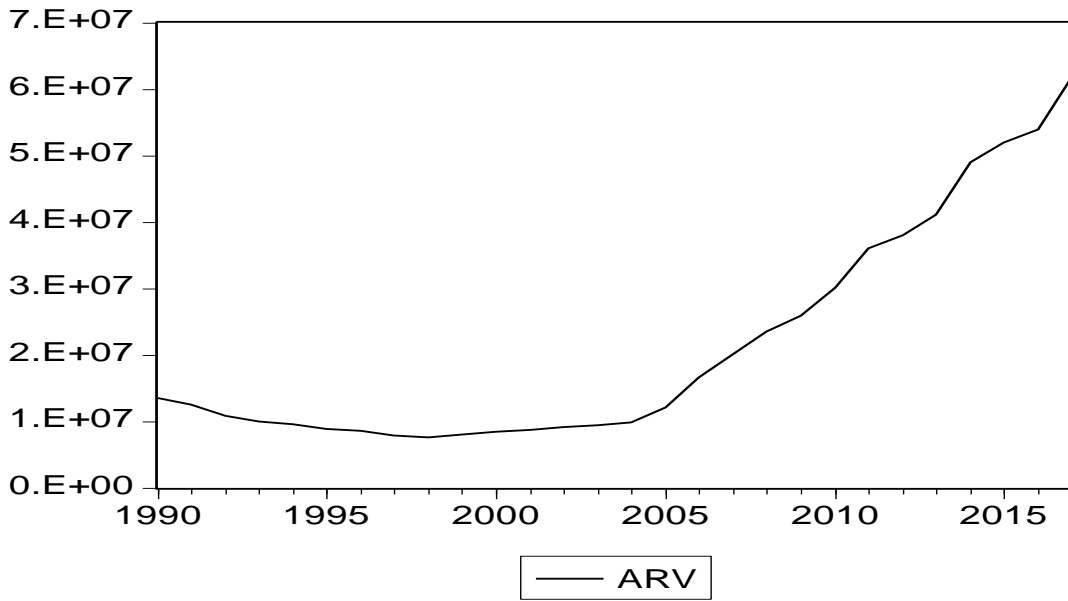


المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: من خلال المنحنى أعلاه، نلاحظ أن عدد الأسرة السياحية عرف استقرارا طيلة فترة السنوات الأولى و في الفترة الممتدة من 1990 إلى غاية 2010، وذلك بسبب فشل المخططات التنموية في انعاش القطاع السياحي لتبدأ في التزايد لتصل إلى غاية: 1245670 سرير سياحي و ذلك بسبب العناية التي خصصتها السياسة الاقتصادية بهذا المجال الحيوي، دون أن ننسى أن العائدات السياحية من الاستثمار السياحي المحلي والأجنبي ازدادت مع تطور وزيادة التظاهرات الثقافية على المستوى المحلي والدولي، النشاطات الرياضية، النشاطات الدينية.

دخول السائحين: يعتبر أهم العناصر المؤثرة على القطاع السياحي كونه يمثل الاستثمار في الثقافة السياحة يتضح من خلاله التقلبات التي يشهدها الاستثمار في الثقافة السياحة بحيث أنه تذبذب في فترة غياب الأمن والاستقرار السياسي، ليشهد استقرارا و زيادة ابتداء من سنة 1994 حيث بلغ قدره: 9452620 سائح ليصل في لسنة 2017 بتسجيل : 61609000 سائح.

الشكل البياني (3): يوضح عدد السائحين الوافدين إلى الجزائر في الفترة الممتدة (1990-2017):



المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: بحيث يوضح المنحنى أعلاه الارتفاع المستمر لتطور الوافدين خاصة بعد الاستقرار الأمني التي عرفته الجزائر، والاتجاه القوي انصب حول المعالم الثقافية كمهرجان تمقاد ، مهرجان جميلة، التظاهرات الثقافية كقسنطينة و تلمسان عاصمة الثقافة الرياضية، التظاهرات الثقافية و كذا مقام الشهيد (مسرح الهواء الطلق)، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ارتفاع نسبة التوجه نحو السياحة الثقافية.

3. دراسة اقتصادية إجتماعية للاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر:

تعد السياحة من منظور اجتماعي حضاري جسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية لمختلف المجتمعات والأمم والشعوب، أما من منظور اقتصادي فهي من أهم القطاعات الاقتصادية، حيث تسعى مختلف الدول المتقدمة والمتخلفة للاهتمام بها وتطويرها باعتبارها من أهم المقومات الرئيسية للتجارة الدولية، بالإضافة لكونها ذات قيمة حضارية فهي كذلك ذات قيمة اقتصادية.

نظرا لإدراك مختلف الدول لأهمية السياحة ولإثبات الواقع بالأرقام لمدى فاعلية هذا القطاع في تحقيق التنمية، فقد اهتمت بتطوير هذا القطاع في مختلف أبعاده، ولعل أهم هذه الأبعاد البعد الثقافي للسياحة، أو ما يسمى بالسياحة الثقافية والتي تقوم على أساس التراث الثقافي، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم عناصر الجذب للسياح، إذ أضحي مطلباً أساسياً لمن لهم ثقافة الاطلاع على الحضارات القديمة.

السياحة الثقافية هي المقوم السياحي الأول في الدول ذات التاريخ العريق والتي مرت بالعديد من الحضارات، إذ أن إرثها الثقافي المتنوع من أهم روافد التنمية الشاملة المستدامة، فهو يساهم في تحقيق تنمية اجتماعية، ثقافية واقتصادية، وهذه السياحة لا يمكن أن تشكل عامل تنمية إلا إذا سعت لتحقيق سياحة ثقافية مستدامة، وهذا ما أكد عليه التقرير المنجز من طرف المجلس الاقتصادي والاجتماعي سنة 2000، حيث أشار إلى أن "التنمية السياحية يجب أن تبنى على أساس إيكولوجي على المدى الطويل وكذا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات المحلية، وإن كان هذا التقرير قد أشار إلى ضرورة تحقيق سياحة مستدامة فهو في مضمونه قد اعترف بأهمية قطاع السياحة في تحقيق التنمية المستدامة.

والسياحة الثقافية بما تقوم عليه من تراث ثقافي بشقيه المادي وغير المادي من معالم، صروح معمارية، كتابات جدران، آثار، وبقايا أواني، ملابس، عادات، تقاليد، آكلات، فولكلور، موسيقى شعبية، حكايات.. وغيرها من ما يعتبر مظهر من مظاهر تاريخ الامم والشعوب، وركيزة من ركائز هويتها الثقافية، تعد من أهم عوامل تحقيق تنميتها المستدامة، إذ تساهم في تحقيق¹:

1- تنمية اجتماعية وثقافية:

إن أهمية التراث الثقافي تكمن في كونه يعطي لكل شعب هويته الخاصة التي تميزه عن الشعوب الأخرى، والسياحة الثقافية باعتبارها تقوم على أساس التراث الثقافي، تعد من أهم الوسائل التي تعبر عن ثقافة الشعوب وتقدم تراثها الاثري، وتبرز مكوناتها الحضارية، لتعطي بذلك فرصة للتبادل الثقافي والحضاري بين البلد المضيف والزائر مؤسسة لما يعرف بحوار الحضارات، وهي تساهم في رفع مستوى الوعي بأهمية التراث الثقافي وتوفر التمويل للحفاظ على تراث المباني والمواقع

¹: مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 29، 30.

الأثرية والتاريخية، كما أنها تلعب دورا في رفع مستوى المعيشة وتحسين نمط الحياة، والتقليل من معدلات البطالة وبالتالي التقليل من الآفات الاجتماعية.

2- تنمية اقتصادية:

كما يعد التراث الثقافي من أهم عوامل تطور القطاع السياحي، فالسياحة بصفة عامة والسياحة الثقافية بصفة خاصة تعد من أهم عوامل تطور القطاع الاقتصادي، حيث تدفع السياحة الثقافية بعجلة الاقتصاد إلى الأمام، عن طريق العائدات المالية الضخمة التي توفرها، فتعد مصدر للعملة الصعبة، وفرصة للتقليل من مشكلة البطالة التي تعد آفة اليوم، عن طريق توفير مناصب شغل في مختلف المجالات سواء كمراقف سياحي، أو في الفنادق، المطاعم، المتاحف، المعارض.. وغيرها من مجالات العمل التي ازدهرت من خلال السياحة، حتى أنها حولت الطعام اليومي العادي في البلد المضيف إلى خط إنتاج جديد باعتبارها أكالات تعبر عن ثقافة البلد.

كما أن زيادة معدلات السياح سيؤدي لزيادة معدل الانفاق على السلع الاستهلاكية والخدمات، مما يؤدي تلقائيا لزيادة معدلات الادخار وتنشيط هذه الصناعات والخدمات.

لكن السياحة الثقافية على الرغم من كونها تقوم على أساس التراث الثقافي إلا أنها قد تؤدي لإتلافه بدل حمايته، إذ قد تتسبب في خلق ضغط من خلال زيادة عدد الزوار للمواقع الأثرية، لهذا "توصي المنظمة العالمية للسياحة بضرورة وضع مخطط لإدارة المواقع الأثرية من أجل معالجة وإدارة الأخطار المتعلقة بالارتياح السياحي من خلال برنامج يقوم على حماية وترميم ودراسة قدرات استيعاب هذه المواقع وإشراك السكان المحليين وتأهيلهم من خلال دورات تدريبية والعناية بالمنتجات المحلية كالحرف التقليدية وتأمين الاستضافة لدى السكان المحليين وينبغي أن ترفق هذه الاجراءات بسلسلة من العمليات التنظيمية والتشريعية الرامية إلى حماية وحفظ التراث.¹

وتجدر بنا الإشارة إلى ان العلاقة بين التنمية السياحية الثقافية والتنمية الاقتصادية هي علاقة تكاملية، حيث أن السياحة الثقافية تعد من أهم مصادر الدخل ومن أهم مقومات التجارة الدولية، كذا الاقتصاد يشغل حيزا هاما في السياحة الثقافية وذلك عن طريق تمويله القطاع السياحي بالأموال اللازمة لتطويره.

يعتبر الاستثمار في السياحة الثقافية توجهها جديدا في السياسة الاقتصادية المتبناة من طرف الجزائر وذلك من خلال المخططات الاقتصادية المسطرة والمبرمجة بالاعتماد على التوجه الحديث في التسويق باستخدام وسائل الاتصال وشبكة الانترنت بهدف رسم استراتيجية سياحية ثقافية وفق طبيعة احتياجات السائحين بل وتستخدم المعلومات التسويقية الحديثة من أجل تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية بغية التأثير على قراراتهم السياحية.²

¹: مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، مرجع سبق ذكره، ص 31.

²: مليكة زغيب، سوسن زريق، استراتيجيات تطوير السياحة الداخلية في الجزائر، ملتقى وطني فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، 20/19 نوفمبر 2012، ص 09.

الخاتمة:

التراث الثقافي رمز من رموز حضارة الدولة وسمة من سماتها وهو من أهم أبعاد هويتها الثقافية، ومن أهم مقوماتها وركائزها التنموية، والجزائر باعتبارها بلدا تعاقبت عليه عدة حضارات ورث من خلاله تراث ثقافي متنوع، يعد تراثها الثقافي بديل اقتصادي عن النفط لتوفير العملة الصعبة والتقليل من البطالة وتحسين ميزان المدفوعات، وذلك عن طريق الاستثمار في التراث الثقافي وادماجه في عملية تحقيق التنمية المستدامة، من خلال السياحة الثقافية.

تتوفر الجزائر على موارد سياحية للتراث الثقافي والتي يمكن أن تجعلها الرائد في الحوض الأبيض المتوسط ولكن على الرغم من مختلف الاستراتيجيات التي اتبعتها من اقامة حفلات ومهرجانات وترميم آثار وتشريع مراسيم ونصوص قانونية لحماية التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي وغيرها من الاستراتيجيات، فنقص الاستثمارات، قلة التنظيم والتسويق غير الفعال جعلها تنتكس وانعكست على مؤشرات السياحة الجزائرية فبالنسبة لطاقت الايواء تبقى غير كافية وبعيدة عن الانجازات المحققة في الدول المجاورة ونفس الشيء بالنسبة للمناصب المحدثه والاستثمارات السياحية الضخمة المسطرة بالأخص في ظل المعطيات الجديدة المتعلقة بالشراكات الأورومتوسطية للاستفادة منها في المجال السياحي، وفي نفس السياق تقوم السياسة الاقتصادية حاليا تحديث النصوص والأوامر الصادرة السابقة لتعديلها مع ما يتلاءم مع مناخ الاستثمار الأجنبي لتنمية القطاع لآفاق سنة 2030 و ذلك من أجل تأهيل القطاع ، فيشترط ذلك توفير تنظيم سياحي فعال و تهيئة هياكل قاعدية مع تشريعات و قوانين مرنة و محفزة.

وعليه فالتراث الثقافي يعد بديل اقتصادي لا بد للدولة الجزائرية بالإضافة لمجهوداتها للاستثمار فيه من خلال السياحة الثقافية أن تقوم بجهود أكبر في سبيل ادماج التراث الثقافية لتحقيق تنمية مستدامة بمختلف أشكالها.

التوصيات:

نحمل بعض التوصيات المقترحة لدعم الاستثمار في القطاع السياحي وبالتالي السياحة الثقافية في الجزائر من خلال:

4. الدعم المباشر:

☞ تخصيص منح الأراضي الحكومية المعتمدة على أنها مناطق ذات جاذبية سياحية لإقامة المشروعات السياحية.

☞ دعم تكاليف تدريب العمالة الوطنية.

☞ تقديم القروض المسيرة من خلال صندوق التنمية السياحية.

➤ الدعم غير المباشر:

☞ توفير موارد مالية مستدامة للتنمية السياحية المستدامة تأتي مباشرة من الدولة.

☞ رفع المخصصات الهيئة العامة للسياحة و الآثار من الموازنة العامة.

☞ تمويل الدراسات، البحوث، الخبرات السياحية وذلك عن طريق البعثات الدولية.

☞ تطوير الاجراءات الحكومية في القطاع السياحي وجعلها أكثر مرونة لتحفيز الاستثمارات في القطاع السياحي.

❖ قائمة المراجع:

- الكتب

1. حمدي عبد العظيم، اقتصاديات السياحة-مدخل نظري علمي متكامل، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء للشرق، القاهرة، 1993.
2. منظمة السياحة العالمية، مفاهيم و تعاريف الاحصائيات السياحية، الدليل الفني رقم 01، واشنطن، 1995.
3. مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
4. قاسم كريم، السياحة الثقافية رافد لتنشيط السياحة الداخلية في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، البلدة الجزائر، المجلد 1، العدد التاسع، 2016.

- الرسائل العلمية:

5. كواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 3، 2004.
6. عبد الكريم قاسم: ترقية السياحة في الجزائر-دراسة حالة الديوان الوطني للإحصاء السياحي، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تقنيات كمية مطبقة، المدرسة العليا للتجارة، دفعة 1998.

- مؤتمرات علمية:

7. مليكة زغيب، سوسن زيرق، استراتيجيات تطوير السياحة الداخلية في الجزائر، ملتقى وطني فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، 20/19 نوفمبر 2012.

- المواقع الالكترونية:

8. <http://Www.Ahram.Org.Eg/Provinces/News/27267.aspx>.
9. <http://Www.Arabegyfriends.Com/Vb/T5142.Html>.
10. <http://Www.Brbrnet.Net/Vb/Showthread.Php?T=43898>.
11. <http://Www.Scta.Gov.Sa/Tourisminvestment/Supporttourisminvestment/Pages/Default.aspx>.

البرامج:

1. برنامج: 07- Eviews .

الملاحق: الملحق رقم (1): يوضح الاحصائيات المستخدمة في التقدير لدالة الاستثمار في الثقافة السياحة

Année	Arv	Lits	Invst
1990	13457320	53812	901001
1991	12438790	54986	501000
1992	10836220	57290	13400000
1993	9873210	60235	18900000
1994	9452620	62000	20100000
1995	8761200	64695	27000000
1996	8567300	65704	26000000
1997	7862100	70981	30660000
1998	7563300	66902	43170000
1999	7890300	67087	48800000
2000	8340850	66523	596000000
2001	8720100	72567	6224600000
2002	9023200	77473	6498097000
2003	9354000	82034	4308870000
2004	9805400	83895	5911808000
2005	12033000	84869	6085694000
2006	16538000	85000	8892015000
2007	20054000	85642	9172130000
2008	23492000	88694	12339490000
2009	25806000	92377	10967000000
2010	30083700	94021	8326000000
2011	35942900	96497	12042303120
2012	37890200	126713	13105000000
2013	41047800	134576	14590000000
2014	48932000	245690	16750000000
2015	51873600	657509	18970000000
2016	53872000	1023476	20100000000
2017	61609000	1245670	24980000000

المصدر: وزارة السياحة، معطيات قسم التخطيط و الاحصاء، 2017.

أثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية

دراسة تحليلية لحالة الجزائر في الفترة الممتدة (1990-2017)

أ. أحسن صليحة

جامعة الجزائر 03 - الجزائر

ملخص:

يشهد القطاع السياحي في الجزائر نمواً واسعاً نتيجة الجهود الحثيثة التي تبذلها الدولة لتوجيه الاستثمار في هذا القطاع الذي يعتبر من أهم القطاعات الحيوية التي تساهم في النهوض بالاقتصاد الوطني و جلب العملة الصعبة عبر تبني العديد من الإصلاحات الحثيثة في المؤسسات المعنية بقطاع السياحة. لذلك تحاول هذه الدراسة تحليل أثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية كبديل عن الاقتصاد الريعي من خلال أهم الإحصائيات المحصل عليها من طرف الديوان الوطني للإحصائيات خلال فترة الدراسة الممتدة من: (1990-2017).

الكلمات المفتاحية: الاستثمار، القطاع السياحي، التنمية السياحية، السياحة الثقافية، الإحصائيات السياحية.

Abstract:

The tourism sector in Algeria is experiencing strong growth as a result of the efforts exerted by the State to direct investment in this sector, which is one of the most vital sectors that contribute to the advancement of the national economy and the introduction of hard currency through the adoption of many of the terminology in the tourism sector.

Therefore, this study attempts to analyze the impact of investment in tourism sector on cultural tourism as an alternative to the rent economy through the most important statistics obtained by the National Bureau of Statistics during the period of study from (1990-2017)

Keywords: Investment, Tourism Sector, Tourism Development, Cultural Tourism, Tourism Statistics.

المقدمة:

تعد السياحة أحد المجالات التي شهدت اهتماما متزايدا في الآونة الأخيرة بحيث أصبحت أحد الدعائم المعول عليها من أجل الدفع بعجلة التنمية الاقتصادية بحيث تسعى السياسة الاقتصادية إلى الاهتمام بهذا القطاع متمثلا ذلك في رسم والمخططات الاقتصادية التنموية وتنفيذ عدة مشاريع استثمارية قصد تنويع العرض السياحي لتنشيط الطلب السياحي **لفلسفة اقتصاد خارج قطاع المحروقات.**

يمثل الاستثمار السياحي الوطني و الأجنبي لما له من تدفقات وسيولة على القطاع بأثر فعال على التنمية السياحية والتنمية الاقتصادية، بحيث زيادة حجم الاستثمار يؤثر في زيادة المشاريع السياحية، بحيث تشير الاحصائيات المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء خلال السنة المالية 2017 أن القطاع السياحي حاليا يساهم بحوالي 12% من الناتج المحلي الخام وإلى ما يزيد عن 56% من الوافدين إلى الجزائر بهدف الترفيه خاصة في المناطق الجنوبية و تمثل المنتوجات السياحية 7% من الصادرات الجزائرية وبلغ حجم الاستثمار إلى ما يقارب 25% في القطاع مقارنة بالسنوات السابقة خاصة بعد تفعيل الشراكات الدولية و الأور متوسطة في القطاع.

في هذا السياق، تعالج هذه الدراسة تحاول دراسة أثر الاستثمار السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر وتحليل وضعيته الراهنة قصد تفعيل القطاع الحيوي، من هذا المنطلق يمكن صياغة الاشكالية التالية : كيف يمكن قياس وتحليل أثر الاستثمار السياحي على السياحة الثقافية في الجزائر خلال فترة الدراسة الممتدة (1990-2017) .؟

معاور الدراسة:

1. التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة.
2. دراسة تحليلية لأثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية خلال فترة الدراسة (1990-2017).
3. دراسة اقتصادية اجتماعية للاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر.

المنهج الدراسة المستخدم: سيتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة و تحليل مختلف المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تمد بصلة لموضوع الدراسة.

1. التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة: حظيت السياحة باهتمام كبير نظرا لارتباطها بالعديد من القطاعات الاقتصادية الحيوية ولها آثار مهمة مباشرة على المظاهر الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية، بحيث أصبحت التنمية السياحية من أولويات السياسة الاقتصادية من خلال البرامج المسطرة و المشاريع قيد التنفيذ و الشراكات الأور متوسطة والدولية على حد سواء.

1.1. ماهية السياحة: نورد بعض التعريفات العامة المعتمدة من طرف المنظمة العالمية للسياحة (OMT):

▪ **السائح:** كل زائر مؤقت يقيم في البلد الذي يزوره **24 ساعة** بحيث تكون أغراض الزيارة السفر لأجل الترفيه، الراحة، الصحة، قضاء العطل، الدراسة، الرياضة أو من أجل القيام بأعمال عائلية، المؤتمرات، ندوات علمية، ثقافية وسياسية.

▪ **المتجول-المنتزه:** كل زائر لا تتجاوز مدة إقامته **24 ساعة** على الأكثر خارج مقر إقامته المعتادة. تبنت الجزائر عدة مفاهيم للسياحة منها:

- **الدخول:** كل مسافر عبر الحدود ودخل التراب الوطني خارج مساحة العبور الدولية يعتبر داخلا.
- **المسافر:** كل شخص دخل التراب الوطني مهما كانت الدوافع للدخول وباختلاف مقر إقامته وجنسيته باستثناء الجوالين في الرحلات البحرية.
- **الجوال في الرحلة البحرية:** كل زائر يدخل الحدود الوطنية في نفس الرحلة السفينة التي جاء فيها ويمكث على متنها طول مدة إقامته في البلاد.
- **الزائر:** كل من دخل الجزائر من غير أن يقيم فيها ولا يمارس فيها أي نشاط مقابل أجر وهذا يشمل الزائر والجوال¹.

تعتبر السياحة مزيج بين مختلف القطاعات الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية فهي ظاهرة من الناحية الاجتماعية الثقافية التي تحاول اشباع حاجات و رغبات السائحين من خلال الراحة، الاستجمام، الدراسة، الدراسة، الاطلاع، المؤتمرات، التظاهرات الثقافية-الدينية-السياسية-التجارية ومن جهة أخرى تعتبر صناعة قائمة بحد ذاتها تحاول عرض تشكيلة متنوعة من مختلف الخدمات التي تساهم في التنمية الاقتصادية.

عرفت المنظمة العالمية للسياحة السياحة على أنها: مجموعة أنشطة التي يمارسها الأفراد أثناء سفرهم، بقاؤهم في أماكن تقع خارج بيئتهم المعتادة لغرض قضاء أوقات الفراغ، الأعمال أو أغراض أخرى.

عرف **جويبر فرويبلر- (2005)** السياحة بأنها: ظاهر من ظواهر العصر، تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة و تغيير المكان والتمتع بجمال الطبيعة، الاحساس بمختل المناطق باختلاف طبيعتها.²

تعتبر **الخدمة السياحية** على أنها مجموعة الأعمال و النشاطات التي توفر عند للسائح الراحة و التسهيلات عند شراء الخدمات السياحية خلال وقت سفرهم أو إقامتهم في المرافق السياحية بعيدا عن مكانهم الأصلي.

يعرف **السيد كاسبر-عضو الأكاديمية الدولية للسياحة للخدمة السياحية** على أنها مجموع الوسائل المادية الضرورية لتأمين أو تسهيل اشتراك الأفراد في السياحة و تحقيق أهدافها وكذا خلق الخدمات لمختلف السائحين.¹

¹: كواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر3، 2004، ص14.

²: عبد الكريم قاسم: ترقية السياحة في الجزائر-دراسة حالة الديوان الوطني للإحصاء السياحي، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تقنيات كمية مطبقة، المدرسة العليا للتجارة، دفعة 1998، ص 32-33.

تتمثل أهم خصائص الخدمات السياحية ما يلي:

1. استحالة النقل والتوزيع.

2. حضور الزبون.

3. عدم مرونة الطلب السياحي في المدى القصير.

4. موسمية الطلب السياحي على الخدمة السياحية.²

تحتاج الخدمة السياحية إلى السوق السياحية التي تعتبر أهم العناصر الأساسية في عملية تسويق الخدمة السياحية وذلك لتنشيط الطلب وتنوع العرض السياحي من مختلف المنتجات السياحية المقدمة من مختلف الوكالات السياحية، الفنادق، المطاعم، المتاحف، والمنتزهات... إلخ والتي يطلبها السائح .

2.1. مفهوم الاستثمار السياحي: لا بد من أن الصناعة السياحية تعتمد بصورة رئيسية على

الشركات والمؤسسات الخاصة التي تفرض أهمية الاعتناء بالمناطق الجذب السياحي وكذلك الاستثمار في المرافق والخدمات والتسهيلات السياحية، التي تعد الركن الأساسي الداعم في الصناعة السياحية بعد الموارد الثقافية والطبيعية (الثروة السياحية).

كون أن السياحة تعتبر مصدرا للدخل للعديد من الدول في العالم أهمها ماليزيا وتركيا فضلا على الجوانب الإيجابية للتنمية السياحية في جذب الاستثمارات في المشاريع السياحية والمشاريع الأخرى واسهاماتها في توفير مناصب العمل الدائمة والمؤقتة كما أن النشاط السياحي يرتبط بعدة خدمات منها: النقل، المواد الغذائية، الخدمات المصرفية، الإيواء... إلخ، ويعرف الاستثمار بأنه الإضافات من الطاقات الإنتاجية المتاحة في المجتمع بإنشاء المشروعات الجديدة أو التوسع في مشروعات القائمة وكذلك شراء الأوراق المالية لإنشاء المشروعات الجديدة.³

يعتبر الاستثمار على المستوى الوطني الإنفاق الرأسمالي على المشروعات الجديدة في المرافق العامة والبنية التحتية كمشروعات الطرق الرئيسية و الفرعية، مشاريع تمديد المياه، صرف المياه، تهيئة المناطق العمرانية، تمديدات الكهرباء... إلخ، وكذلك المشروعات التي تتعلق بتنمية المجتمعات في مجالات التعليم والصحة والاتصالات الانترنت بالإضافة للمشاريع التي ترتبط بالقطاع الصحي كإنتاج السلع والخدمات في القطاع: الصناعي، الخدماتي، الفلاحي، قطاع السكن، التعليم، السياحة.⁴ من أهم خصائص الاستثمار السياحي ما يلي:

✓ الاستثمار السياحي ذو طبيعة طويلة الأجل.

✓ يعتمد كثيرا على الموارد البشرية وبالتالي هو أكبر موفر للفرص الوظيفية.

✓ يمكن أن يكون محفزا لتنمية المناطق غير النامية أو الأقل نمو.

تتمثل أهم متطلبات الاستثمار السياحي في التالي:

¹: منظمة السياحة العالمية، مفاهيم و تعاريف الاحصائيات السياحية، الدليل الفني رقم 01، واشنطن، 1995، ص 11.

²: حمدي عبد العظيم، اقتصاديات السياحة-مدخل نظري علمي متكامل، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء للشرق، القاهرة، 1993، ص 12.

³ : <http://www.brbrnet.net/vb/showthread.php?t=43898>.

⁴ : <http://www.scta.gov.sa/TourismInvestment/SupportTourismInvestment/Pages/default.aspx>.

- تخصيص الأراضي: تحديد المناطق التي تمتلك المقومات السياحية لتأهيلها.
- التطوير السياحي: وضع تخطيط سياحي تحضيري للمنطقة التي توجه للاستثمار فيها.
- البنية التحتية: ربط المناطق السياحية بأهم الخدمات العامة (الكهرباء-الماء-الغاز-الإنترنت).
- سهولة الوصول: ربط المناطق السياحية بمختلف خدمات النقل (البري-الجوي-البحري-الخدمات-الارشادات)¹.
- التراخيص النظامية: تشمل:
 - شفافية الأنظمة واللوائح القانونية التي تقود التراخيص الاستثمارات السياحية.
 - توحيد آليات التعامل مع الجهات الرسمية المختلفة التي تتعامل مع الاستثمارات السياحية.
 - تأسيس كيان المجتمع المدني الذي يساعد الحكومة في تطبيق الأنظمة والقوانين.
 - سرعة تفعيل التراخيص دون عراقيل بيروقراطية.
 - عرض تجارب دولية الناجحة في تفعيل دور الاجراءات الحكومية في تنشيط الاستثمار السياحي-حالة تركيا.
- تتلخص أهم العوامل المشجعة على الاستثمار في:
 - السياسة الاقتصادية الملائمة: من خلال وضوحها، شموليتها، استقرارها، انسجام القوانين مع تعدد الاعفاءات والامتيازات.
 - البنية التحتية للاستثمار: توفر الكهرباء، الغاز، الماء، النقل، الإنترنت، توفر الكفاءة المهنية، المصارف والسوق المالية.
 - الجهات الادارية: توفر مختلف التراخيص الضرورية، الامتيازات و الاعفاءات للاستثمار من طرف مختلف الوزارات الوصية².

2. دراسة تحليلية لأثر الاستثمار في القطاع السياحي على السياحة الثقافية خلال فترة الدراسة (1990-

2017):

عرف الاستثمار في القطاع السياحي في الجزائر عراقيل من حيث القوانين واللوائح التنظيمية التي تبناها السياسة الاقتصادية وذلك نظرا للنظام الاقتصادي الذي تبناه الجزائر والذي ينص على الملكية العامة لوسائل الانتاج لكن بعتد الأزمات الاقتصادية التي عرفها الاقتصاد الوطني وتعددتها مع مرور الأزمات تبنت الجزائر فلسفة اقتصاد ما بعد المحروقات وذلك لتشجيع صادرات غير الربعية وتقليص الاستيراد لذلك تبنت الجزائر عدة مخططات اقتصادية الهدف منها تفعيل القطاع السياحي الذي يتعدد ويتنوع في الجزائر من خلال تنوع الأنماط تتمثل في:

¹: <http://www.arabegyfriends.com/vb/t5142.html>.

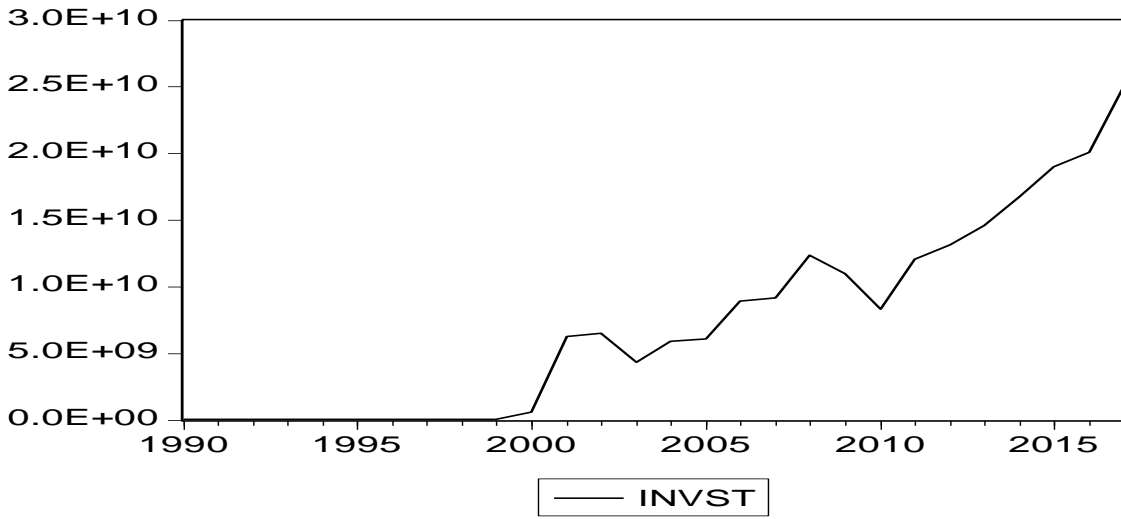
²: <http://www.ahram.org.eg/Provinces/News/27267.aspx>.

السياحة الدينية، سياحة الحفلات، المهرجانات، سياحة المتاحف والسياحة الأثرية التي تتوزع على 7 أقطاب كما يلي:¹

الأقطاب السياحية	الولايات المعنية	التراث المادي	التراث غير المادي
شمال شرق POT N.E	عنابة، الطارف، سكيكدة، قلمة، سوق أهراس، تبسة	مواقع مغليبية بولاية قلمة، النقوش الصخرية بولاية تبسة، كنيسة القديس أوغسطين، المدن الأثرية تيمقاد وجميلة، جامع أبو مروان، مساجد المدن العثمانية بعنابة.	أعياد:المرجان، العسل، الطماطم، الفرولة؛ مهرجان موسيقى المالوف، الأيام المسرحية، والسينمائية والفولكلورية
شمال وسط POT N.C	الجزائر، تيبازة، بومرداس، البلدية، الشلف، عين الدفلى، المدينة، البويرة، تيزي وزو، بجاية	مقابر الفينقيين بالمدينة و تيبازة، المدن الرومانية، الأضرحة الملكية بموريطانيا، أسوار مليانة، قصبه الجزائر، مسجد كتشاوة، الكنيسة القديمة للسيدة الإفريقية، كنيسة رأس جنات..	تراث غير مادي مرتبط بالإنتاج الحرفي والفني
شمال غرب POT N.O	مستغانم، وهران، عين تيموشنت، تلمسان، معسكر، سيدي بلعباس، غليزان	أكثر من 300 موقع أثري، تاريخي وثقافي: أطلال سيقا، أضرحة صفاقس، آثار المدينة الرومانية بوهران، الأماكن التاريخية للأمير عبد القادر، قلعة بني راش..	عدة احتفالات وأعياد محلية : عيد الكرز، مهرجان الموسيقى الأندلسية..
جنوب شرق POT S.E	غرداية، بسكرة، الوادي	النقوش الصخرية، الأضرحة والنصب التذكارية، الآثار الرومانية بالقنطرة، ضريح عقبة بن نافع ببسكرة، ضريح حيزية ببسكرة.	685 موسم سيدي خالد ببسكرة، عيد المهري، عيد الزربية بغرداية..
جنوب غرب POT S.O	أدرار وبشار	294 قصر(قلعة حماد و ملوكة ...)	المولد النبوي السبوع ببني عباس وتيميمون، موسم تاغيت ببشار..
الجنوب الكبير TASSILI- N'AJJER	إليزي و جانت	أكبر متحف مفتوح في الهواء الطلق بمساحة 80000 كم ² مصنّف ضمن التراث العالمي من طرف UNESCO	حفلة السببية، عاشوراء، عيد الطاسيلي، عيد جانت، عيد سيدي علي بنوي، عيد أسيهار، عيد تافسيت، عيد تيماسينين..
الجنوب الكبير POT G.S	تمنراست	نقوش صخرية و آثار تعود لما قبل التاريخ.	المهرجان الوطني لفنون الأهقار.

¹: قاسم كريم، السياحة الثقافية رافد لتنشيط السياحة الداخلية في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، البلدة الجزائر، المجلد 1،

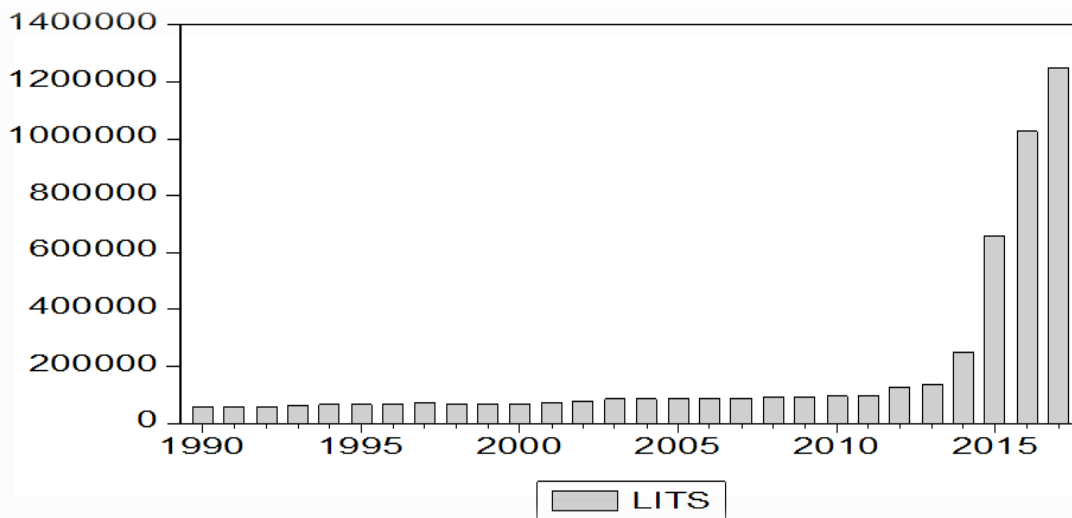
لاستثمار في السياحة الثقافية: يمثل الشكل رقم (1): تطور الاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر خلال الفترة الممتدة (1990-2017):



المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: من خلال المنحنى أعلاه، يتضح أن الاستثمار (المحلي والأجنبي) في السياحة الثقافية عرف قفزة نوعية منذ سنة 2000 وذلك بسبب فتح المجال للاستثمار الخاص في هذا المجال و تحسن الظروف الاقتصادية، خاصة عمليات الترميم للقصبة ومختلف المناطق الأثرية التي صنفت على أنها تراث عالمي، أنجاز المركبات السياحية، استغلال المناطق التي بها مياه معدنية وتأهيلها... الخ.

الأسرة السياحية: يمثل الشكل رقم (2) تطور عدد الأسرة السياحية في الجزائر خلال الفترة الممتدة (1990-2017):

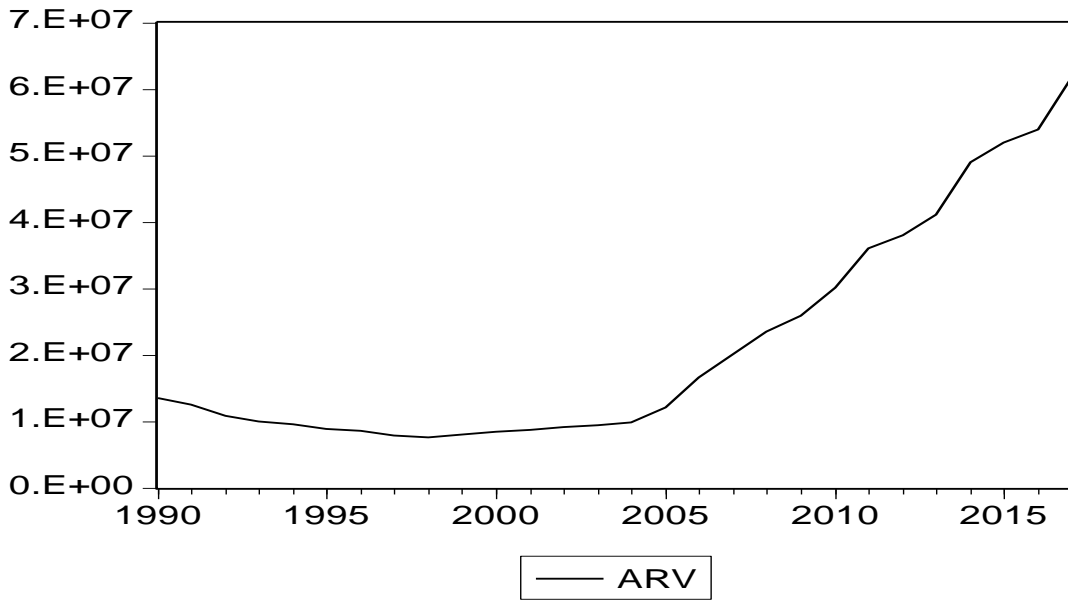


المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: من خلال المنحنى أعلاه، نلاحظ أن عدد الأسرة السياحية عرف استقرارا طيلة فترة السنوات الأولى و في الفترة الممتدة من 1990 إلى غاية 2010، وذلك بسبب فشل المخططات التنموية في انعاش القطاع السياحي لتبدأ في التزايد لتصل إلى غاية: 1245670 سرير سياحي و ذلك بسبب العناية التي خصصتها السياسة الاقتصادية بهذا المجال الحيوي، دون أن ننسى أن العائدات السياحية من الاستثمار السياحي المحلي والأجنبي ازدادت مع تطور وزيادة التظاهرات الثقافية على المستوى المحلي والدولي، النشاطات الرياضية، النشاطات الدينية.

دخول السائحين: يعتبر أهم العناصر المؤثرة على القطاع السياحي كونه يمثل الاستثمار في الثقافة السياحة يتضح من خلاله التقلبات التي يشهدها الاستثمار في الثقافة السياحة بحيث أنه تذبذب في فترة غياب الأمن والاستقرار السياسي، ليشهد استقرارا و زيادة ابتداء من سنة 1994 حيث بلغ قدره: 9452620 سائح ليصل في لسنة 2017 بتسجيل : 61609000 سائح.

الشكل البياني (3): يوضح عدد السائحين الوافدين إلى الجزائر في الفترة الممتدة (1990-2017):



المصدر: من اعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج: **Eviews 7** و الملحق رقم: 1.

التحليل: بحيث يوضح المنحنى أعلاه الارتفاع المستمر لتطور الوافدين خاصة بعد الاستقرار الأمني التي عرفته الجزائر، والاتجاه القوي انصب حول المعالم الثقافية كمهرجان تمقاد ، مهرجان جميلة، التظاهرات الثقافية كقسنطينة و تلمسان عاصمة الثقافة الرياضية، التظاهرات الثقافية و كذا مقام الشهيد (مسرح الهواء الطلق)، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ارتفاع نسبة التوجه نحو السياحة الثقافية.

3. دراسة اقتصادية إجتماعية للاستثمار في السياحة الثقافية في الجزائر:

تعد السياحة من منظور اجتماعي حضاري جسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الانسانية لمختلف المجتمعات والأمم والشعوب، أما من منظور اقتصادي فهي من أهم القطاعات الاقتصادية، حيث تسعى مختلف الدول المتقدمة والمتخلفة للاهتمام بها وتطويرها باعتبارها من أهم المقومات الرئيسية للتجارة الدولية، بالإضافة لكونها ذات قيمة حضارية فهي كذلك ذات قيمة اقتصادية.

نظرا لإدراك مختلف الدول لأهمية السياحة ولإثبات الواقع بالأرقام لمدى فاعلية هذا القطاع في تحقيق التنمية، فقد اهتمت بتطوير هذا القطاع في مختلف أبعاده، ولعل أهم هذه الأبعاد البعد الثقافي للسياحة، أو ما يسمى بالسياحة الثقافية والتي تقوم على أساس التراث الثقافي، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم عناصر الجذب للسياح، إذ أضحي مطلباً أساسياً لمن لهم ثقافة الاطلاع على الحضارات القديمة.

السياحة الثقافية هي المقوم السياحي الأول في الدول ذات التاريخ العريق والتي مرت بالعديد من الحضارات، إذ أن إرثها الثقافي المتنوع من أهم روافد التنمية الشاملة المستدامة، فهو يساهم في تحقيق تنمية اجتماعية، ثقافية واقتصادية، وهذه السياحة لا يمكن أن تشكل عامل تنمية إلا إذا سعت لتحقيق سياحة ثقافية مستدامة، وهذا ما أكد عليه التقرير المنجز من طرف المجلس الاقتصادي والاجتماعي سنة 2000، حيث أشار إلى أن "التنمية السياحية يجب أن تبنى على أساس إيكولوجي على المدى الطويل وكذا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات المحلية، وإن كان هذا التقرير قد أشار إلى ضرورة تحقيق سياحة مستدامة فهو في مضمونه قد اعترف بأهمية قطاع السياحة في تحقيق التنمية المستدامة.

والسياحة الثقافية بما تقوم عليه من تراث ثقافي بشقيه المادي وغير المادي من معالم، صروح معمارية، كتابات جدران، آثار، وبقايا أواني، ملابس، عادات، تقاليد، آكلات، فولكلور، موسيقى شعبية، حكايات.. وغيرها من ما يعتبر مظهر من مظاهر تاريخ الامم والشعوب، وركيزة من ركائز هويتها الثقافية، تعد من أهم عوامل تحقيق تنميتها المستدامة، إذ تساهم في تحقيق¹:

1- تنمية اجتماعية وثقافية:

إن أهمية التراث الثقافي تكمن في كونه يعطي لكل شعب هويته الخاصة التي تميزه عن الشعوب الأخرى، والسياحة الثقافية باعتبارها تقوم على أساس التراث الثقافي، تعد من أهم الوسائل التي تعبر عن ثقافة الشعوب وتقدم تراثها الاثري، وتبرز مكوناتها الحضارية، لتعطي بذلك فرصة للتبادل الثقافي والحضاري بين البلد المضيف والزائر مؤسسة لما يعرف بحوار الحضارات، وهي تساهم في رفع مستوى الوعي بأهمية التراث الثقافي وتوفر التمويل للحفاظ على تراث المباني والمواقع

¹: مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 29، 30.

الأثرية والتاريخية، كما أنها تلعب دورا في رفع مستوى المعيشة وتحسين نمط الحياة، والتقليل من معدلات البطالة وبالتالي التقليل من الآفات الاجتماعية.

2- تنمية اقتصادية:

كما يعد التراث الثقافي من أهم عوامل تطور القطاع السياحي، فالسياحة بصفة عامة والسياحة الثقافية بصفة خاصة تعد من أهم عوامل تطور القطاع الاقتصادي، حيث تدفع السياحة الثقافية بعجلة الاقتصاد إلى الأمام، عن طريق العائدات المالية الضخمة التي توفرها، فتعد مصدر للعملة الصعبة، وفرصة للتقليل من مشكلة البطالة التي تعد آفة اليوم، عن طريق توفير مناصب شغل في مختلف المجالات سواء كمراقف سياحي، أو في الفنادق، المطاعم، المتاحف، المعارض.. وغيرها من مجالات العمل التي ازدهرت من خلال السياحة، حتى أنها حولت الطعام اليومي العادي في البلد المضيف إلى خط إنتاج جديد باعتبارها أكالات تعبر عن ثقافة البلد.

كما أن زيادة معدلات السياح سيؤدي لزيادة معدل الانفاق على السلع الاستهلاكية والخدمات، مما يؤدي تلقائيا لزيادة معدلات الادخار وتنشيط هذه الصناعات والخدمات.

لكن السياحة الثقافية على الرغم من كونها تقوم على أساس التراث الثقافي إلا أنها قد تؤدي لإتلافه بدل حمايته، إذ قد تتسبب في خلق ضغط من خلال زيادة عدد الزوار للمواقع الأثرية، لهذا "توصي المنظمة العالمية للسياحة بضرورة وضع مخطط لإدارة المواقع الأثرية من أجل معالجة وإدارة الأخطار المتعلقة بالارتياح السياحي من خلال برنامج يقوم على حماية وترميم ودراسة قدرات استيعاب هذه المواقع وإشراك السكان المحليين وتأهيلهم من خلال دورات تدريبية والعناية بالمنتجات المحلية كالحرف التقليدية وتأمين الاستضافة لدى السكان المحليين وينبغي أن ترفق هذه الاجراءات بسلسلة من العمليات التنظيمية والتشريعية الرامية إلى حماية وحفظ التراث.¹

وتجدر بنا الإشارة إلى ان العلاقة بين التنمية السياحية الثقافية والتنمية الاقتصادية هي علاقة تكاملية، حيث أن السياحة الثقافية تعد من أهم مصادر الدخل ومن أهم مقومات التجارة الدولية، كذا الاقتصاد يشغل حيزا هاما في السياحة الثقافية وذلك عن طريق تمويله القطاع السياحي بالأموال اللازمة لتطويره.

يعتبر الاستثمار في السياحة الثقافية توجهها جديدا في السياسة الاقتصادية المتبناة من طرف الجزائر وذلك من خلال المخططات الاقتصادية المسطرة والمبرمجة بالاعتماد على التوجه الحديث في التسويق باستخدام وسائل الاتصال وشبكة الانترنت بهدف رسم استراتيجية سياحية ثقافية وفق طبيعة احتياجات السائحين بل وتستخدم المعلومات التسويقية الحديثة من أجل تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية بغية التأثير على قراراتهم السياحية.²

¹: مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، مرجع سبق ذكره، ص 31.

²: مليكة زغيب، سوسن زريق، استراتيجيات تطوير السياحة الداخلية في الجزائر، ملتقى وطني فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، 20/19 نوفمبر 2012، ص 09.

الخاتمة:

التراث الثقافي رمز من رموز حضارة الدولة وسمة من سماتها وهو من أهم أبعاد هويتها الثقافية، ومن أهم مقوماتها وركائزها التنموية، والجزائر باعتبارها بلدا تعاقبت عليه عدة حضارات ورث من خلاله تراث ثقافي متنوع، يعد تراثها الثقافي بديل اقتصادي عن النفط لتوفير العملة الصعبة والتقليل من البطالة وتحسين ميزان المدفوعات، وذلك عن طريق الاستثمار في التراث الثقافي وادماجه في عملية تحقيق التنمية المستدامة، من خلال السياحة الثقافية.

تتوفر الجزائر على موارد سياحية للتراث الثقافي والتي يمكن أن تجعلها الرائد في الحوض الأبيض المتوسط ولكن على الرغم من مختلف الاستراتيجيات التي اتبعتها من اقامة حفلات ومهرجانات وترميم آثار وتشريع مراسيم ونصوص قانونية لحماية التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي وغيرها من الاستراتيجيات، فنقص الاستثمارات، قلة التنظيم والتسويق غير الفعال جعلها تنتكس وانعكست على مؤشرات السياحة الجزائرية فبالنسبة لطاقت الايواء تبقى غير كافية وبعيدة عن الانجازات المحققة في الدول المجاورة ونفس الشيء بالنسبة للمناصب المحدثه والاستثمارات السياحية الضخمة المسطرة بالأخص في ظل المعطيات الجديدة المتعلقة بالشراكات الأورومتوسطية للاستفادة منها في المجال السياحي، وفي نفس السياق تقوم السياسة الاقتصادية حاليا تحديث النصوص والأوامر الصادرة السابقة لتعديلها مع ما يتلاءم مع مناخ الاستثمار الأجنبي لتنمية القطاع لآفاق سنة 2030 و ذلك من أجل تأهيل القطاع ، فيشترط ذلك توفير تنظيم سياحي فعال و تهيئة هياكل قاعدية مع تشريعات و قوانين مرنة و محفزة.

وعليه فالتراث الثقافي يعد بديل اقتصادي لا بد للدولة الجزائرية بالإضافة لمجهوداتها للاستثمار فيه من خلال السياحة الثقافية أن تقوم بجهود أكبر في سبيل ادماج التراث الثقافية لتحقيق تنمية مستدامة بمختلف أشكالها.

التوصيات:

نحمل بعض التوصيات المقترحة لدعم الاستثمار في القطاع السياحي وبالتالي السياحة الثقافية في الجزائر من خلال:

4. الدعم المباشر:

☞ تخصيص منح الأراضي الحكومية المعتمدة على أنها مناطق ذات جاذبية سياحية لإقامة المشروعات السياحية.

☞ دعم تكاليف تدريب العمالة الوطنية.

☞ تقديم القروض المسيرة من خلال صندوق التنمية السياحية.

➤ الدعم غير المباشر:

☞ توفير موارد مالية مستدامة للتنمية السياحية المستدامة تأتي مباشرة من الدولة.

☞ رفع المخصصات الهيئة العامة للسياحة و الآثار من الموازنة العامة.

☞ تمويل الدراسات، البحوث، الخبرات السياحية وذلك عن طريق البعثات الدولية.

☞ تطوير الاجراءات الحكومية في القطاع السياحي وجعلها أكثر مرونة لتحفيز الاستثمارات في القطاع السياحي.

❖ قائمة المراجع:

- الكتب

1. حمدي عبد العظيم، اقتصاديات السياحة-مدخل نظري علمي متكامل، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء للشرق، القاهرة، 1993.
2. منظمة السياحة العالمية، مفاهيم و تعاريف الاحصائيات السياحية، الدليل الفني رقم 01، واشنطن، 1995.
3. مخلوف بوكروج، حنان الحاج علي، مارينا برهم، بسمة الحسيني، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
4. قاسم كريم، السياحة الثقافية رافد لتنشيط السياحة الداخلية في الجزائر، مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، البلدة الجزائر، المجلد 1، العدد التاسع، 2016.

- الرسائل العلمية:

5. كواش خالد، أهمية السياحة في ظل التحولات الاقتصادية-دراسة حالة الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 3، 2004.
6. عبد الكريم قاسم: ترقية السياحة في الجزائر-دراسة حالة الديوان الوطني للإحصاء السياحي، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تقنيات كمية مطبقة، المدرسة العليا للتجارة، دفعة 1998.

- مؤتمرات علمية:

7. مليكة زغيب، سوسن زيرق، استراتيجيات تطوير السياحة الداخلية في الجزائر، ملتقى وطني فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، 20/19 نوفمبر 2012.

- المواقع الالكترونية:

8. <http://Www.Ahram.Org.Eg/Provinces/News/27267.aspx>.
9. <http://Www.Arabegyfriends.Com/Vb/T5142.Html>.
10. <http://Www.Brbrnet.Net/Vb/Showthread.Php?T=43898>.
11. <http://Www.Scta.Gov.Sa/Tourisminvestment/Supporttourisminvestment/Pages/Default.aspx>.

البرامج:

1. برنامج: 07- Eviews .

الملاحق: الملحق رقم (1): يوضح الاحصائيات المستخدمة في التقدير لدالة الاستثمار في الثقافة السياحة

Année	Arv	Lits	Invst
1990	13457320	53812	901001
1991	12438790	54986	501000
1992	10836220	57290	13400000
1993	9873210	60235	18900000
1994	9452620	62000	20100000
1995	8761200	64695	27000000
1996	8567300	65704	26000000
1997	7862100	70981	30660000
1998	7563300	66902	43170000
1999	7890300	67087	48800000
2000	8340850	66523	596000000
2001	8720100	72567	6224600000
2002	9023200	77473	6498097000
2003	9354000	82034	4308870000
2004	9805400	83895	5911808000
2005	12033000	84869	6085694000
2006	16538000	85000	8892015000
2007	20054000	85642	9172130000
2008	23492000	88694	12339490000
2009	25806000	92377	10967000000
2010	30083700	94021	8326000000
2011	35942900	96497	12042303120
2012	37890200	126713	13105000000
2013	41047800	134576	14590000000
2014	48932000	245690	16750000000
2015	51873600	657509	18970000000
2016	53872000	1023476	20100000000
2017	61609000	1245670	24980000000

المصدر: وزارة السياحة، معطيات قسم التخطيط و الاحصاء، 2017.

التوجهات السياحية في الجزائر دراسة حالة منطقة تيبازة

أ. شيباني محمد- معهد الآثار جامعة بوزريعة 2

أ. شيباني مليكة - معهد الاقتصاد المركز الجامعي تيبازة

ملخص

نحاول في هذه الدراسة البحث عن المقومات الأساسية للنهوض بالسياحة في احدى اهم مدن البحر الأبيض المتوسط تاريخيا واثريا وطبيعيا في التنمية المستدامة. من خلال البحث في برامج الحكومة الجزائرية الموجهة لهذا القطاع ومساهمة المكونات الاجتماعية والاقتصادية لإقليم تيبازة الذي يعتبر الطاقة الكامنة لمستودع ذاكرة الشعوب التي استوطنت المنطقة أن تلعب دوراً كبيراً في حماية التراث المادي الثقافي وتسهيل التعرف عليه، لذا عمدت الحكومة الجزائرية إلى وضع خطط تنموية في قطاع السياحة باستحداثها وتطويرها لتقديم خدمات تساعد في رفع المستوى الفكري والثقافي لأفراد المجتمع أولاً، ثم فتح فرص الاستثمار لجلب السواح من مختلف بلدان العالم ثانياً.

Résumé

Dans cette étude, nous essayons de rechercher les éléments de base de la promotion du tourisme dans l'une des villes les plus importantes de la Méditerranée, historiquement, éthiquement et naturellement, dans le développement durable.

Par la recherche sur les programmes du gouvernement Algérien visant ce secteur et la contribution des composantes socio-économiques de la province de Tipaza, qui constitue le potentiel du réservoir de mémoire des peuples qui se sont installés dans la région.

Jouant un rôle majeur dans la protection du patrimoine culturel matériel et en facilitant la reconnaissance, le gouvernement algérien a élaboré des plans de développement dans le secteur du tourisme en les développant de manière à fournir des services permettant d'élever le niveau intellectuel et culturel des membres de la société, puis d'ouvrir des opportunités d'investissement pour attirer des touristes de différents pays du monde.

المختصرات المستعملة

ANDT : Agence Nationale de Développement du Tourisme

MATET : Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement et du Tourisme

SDAT : Schéma Directeur d'Aménagement Touristique

CAR : Centre d'Activités Régionales

CAR/PAP : Centre d'Activités Régionales pour le Programme d'Actions Prioritaires

PAP : Programme d'Actions Prioritaires

ZET : Les zones d'expansion touristique

ANRH : Agence Nationale des Ressources en Eau

AREA - ED : Association de Réflexion d'Echanges et d'Actions pour l'Environnement et le Développement

مقدمة

تستقبل المناطق الساحلية للبحر الأبيض المتوسط حوالي 220 مليون سائح سنويا حسب الدراسات التي قام بها الاتحاد الأوروبي في مشروع (destination)، من أجل تحقيق هدف الوصول إلى 350 مليون سائح خلال الـ 20 سنة المقبلة⁽¹⁾. فرضية هذه الزيادة المتوقعة يمكن أن تؤدي إلى تطور غير منضبط في جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط، مما يؤدي إلى تضرر يمس بالطبيعة الفريدة في الحوض وكذا ارثها الثقافي التي تعتمد عليهما صناعة السياحة .

من هنا يجب التركيز على التدابير الناجعة في أخذ القرارات والتخطيط المحكم في إدارة التوجهات الفاعلة ذات مهنية عالية نحو إقرار مناهج تخدم برامج التنمية البيئية والاجتماعية حسب مشروع "وجهات"²، وعليه نطرح الإشكالية التالية: فيما تكمن استراتيجيات الحكومة الجزائرية لوضع خطط مستقبلية تصب في تحقيق سياحة في منطقة تيبازة كونها قبلة السواح من كل دول العالم؟.

ولمعرفة هذه التوجهات والمخططات الاستعمالية قمنا بعملية مسح شامل تمس جوانب عدة منها: المقومات الاجتماعية والثقافية والأثرية التي تتوفر عليها منطقة إقليم تيبازة .

1- الوعي بالسياحة المستدامة.

يجب على دول الحوض المتوسط استغلال كل المقومات السياحية المتاحة من طرف الطبيعة والموقع الاستراتيجي لهذه الدول لا سيما الإرث التاريخي الذي وفر للمنطقة تنوعا ثقافيا مهما، كما يجب على البلدان الثلاثة (الجزائر والمغرب وتونس) العمل على صناعة السياحة (بالترويج لها، وتنظيم الرحلات السياحية عبر كل الوسائل المتاحة وإنشاء الوكالات السياحية التي تقررها القوانين لكل بلد حسب الإمكانيات المتاحة مع توفير الفنادق اللازمة لإستيعاب السياح ...). في جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط بهدف الاستقطاب.

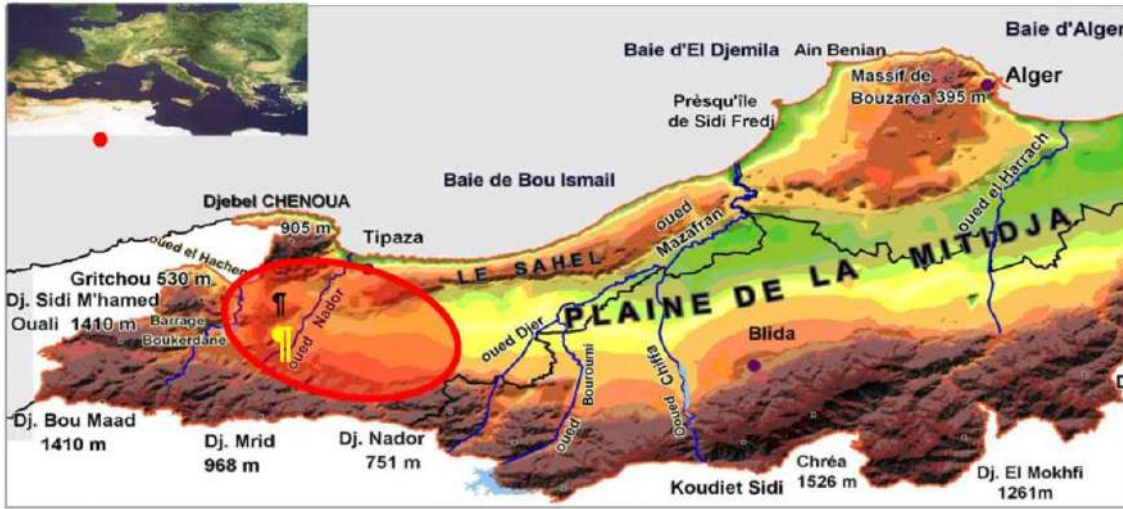
2- المقومات السياحية في إقليم تيبازة

تم اختيار ولاية تيبازة من طرف الاتحاد الأوروبي كجزء من مشروع "وجهات" (الذي يهدف إلى تشجيع الدول على إيجاد حلول عملية لتطوير سياحتها) تجمع ثلاث ولايات ساحلية تقع في مركز الجزائر، وهي بومرداس والجزائر العاصمة وتيبازة، للعمل كمنطقة تجريبية لتعميق الدراسة. هذا الاختيار هو تفسير لوفرة الموارد الطبيعية لتلك المناطق وإمكاناتها السياحية.

¹ -Samir (G.) , et Mmes Hafida (LA.) , et Radia (F.) ., "Destinations" cofinancé par le programme LIFE - Pays Tiers de la Commission Européenne..

² وجهات: مشروع يهدف إلى تحقيق إدخال أدوات دعم القرار للإدارة الفعالة للوجهات سياحية و تطوير المبادئ التوجيهية التي سوف تسمح للمهتمين في مجال الاستثمار في السياحة لتحقيق تنمية مستدامة ضمن شروط بيئية مدروسة و بناء القدرات لاستخدام الأدوات الناجعة.

الخريطة 1 : تيبازة منطقة الدراسة



المصدر: PAC Algérois, 2006

غنى إقليم تيبازة بالطبيعة الخلابة وتراثها الثقافي والتاريخي هو عامل استقطاب للكثيرين من النشطاء في السياحة، ولكن السياحة الساحلية لا تزال الأكثر جاذبية كونها ترتفع على شواطئ ومواقع أثرية كثيرة لا تزال قائمة ومصنفة محمية من طرف الدولة وفقا لقانون 04 - 1998 المتضمن حماية الممتلكات الثقافية الوطنية.

2. 1 - المنطقة الساحلية لولاية تيبازة: جمال الساحل يمكن من ممارسة العديد من الأنشطة المتنوعة للغاية مثل السباحة والتخييم وصيد الأسماك والغوص وممارسة الرياضة البحرية أو علاج بمياه البحر.

الخريطة 2 : الحدود الساحلية لمنطقة تيبازة



المصدر: Projet Destination, MATE/ANDT-PAP RAC, 2008-2010

كما يشكل التراث الغني لهذه الأماكن (المناطق الساحلية والغابات الواقعة سواء بمحاذات البحر أو التي هي داخليا) التي لم تحض بالاهتمام للسماح للناشطين في مجال الحرفي والصناعات التقليدية بالرواج. وتبعد ولاية تيبازة

عن العاصمة الجزائرية بـ 70 كيلومترا، وتقع على الساحل الغربي منها عند سفح جبل شنوي (Chenoua) بخطها الساحلي والأرضي وبـ 145.81 كم وبـ 178.01 كم على التوالي وهي الأهم من بين الولايات الثلاث.

2. 2- المناخ: هو مناخ البحر الأبيض المتوسط، يتميز بصيف حار جاف وشتاء معتدل ورطب على الساحل، درجة الحرارة بالكاد تنخفض إلى أقل من 0 درجة مئوية ولا تتجاوز 40 درجة مئوية. متوسط درجة الحرارة هو 10 درجة في يناير و25 درجة في أغسطس، كما ان الأنشطة الصناعية والتي يمكن أن تكون مصدر التلوث بعيدة من 15 إلى 30 كم عن الساحل وتقتصر على عدد قليل من محاجر الركام للاستغلال كتلك الموجودة بأحمر العين ومراد وسيدي أعمر (Ahmeur El Ain, Meurad, Sidi Amer)

2. 3- المقومات السياحية: تمتلك ولاية تيبازة إمكانات سياحية قوية في المجال السياحي بواجهتها الساحلية التي يبلغ خطها الساحلي 115 كم والذي يعتبر قطب سياحي وطني ودولي كما يمكن أن يصبح في المستقبل أكثر أهمية بشرط قيام استثمارات مناسبة في قطاع السياحة والفندقة، ومع هذه النظرة الاستشرافية للمستقبل يمكن تحديد وتعيين حدود المواقع التي ستصبح مناطق الجذب السياحي المحتملة كمناطق كامنة، لدينا ستة عشر (16) منطقة للتوسع السياحي تم التعرف عليها (ZET)¹، كما تتميز المنطقة بتوفر نوعية جيدة للمياه السطحية حسب (ANRH، 2001) والتي يمكن استخدامها كمياء الشرب بعد علاج بسيط.

3 - الهياكل القاعدية المتوفرة في إقليم تيبازة: يتوفر إقليم تيبازة على هياكل قاعدية هامة مما أهله أن يكون ضمن المناطق المرشحة للتنمية السياحية بالحوض الأبيض المتوسط.

3. 1 - الطرق: يبلغ طول شبكة الطرق في الإقليم حوالي 1293 كم، منها 19,1% طرق وطنية و20.5% طرق ولائية و 60.4% طرق بلدية .

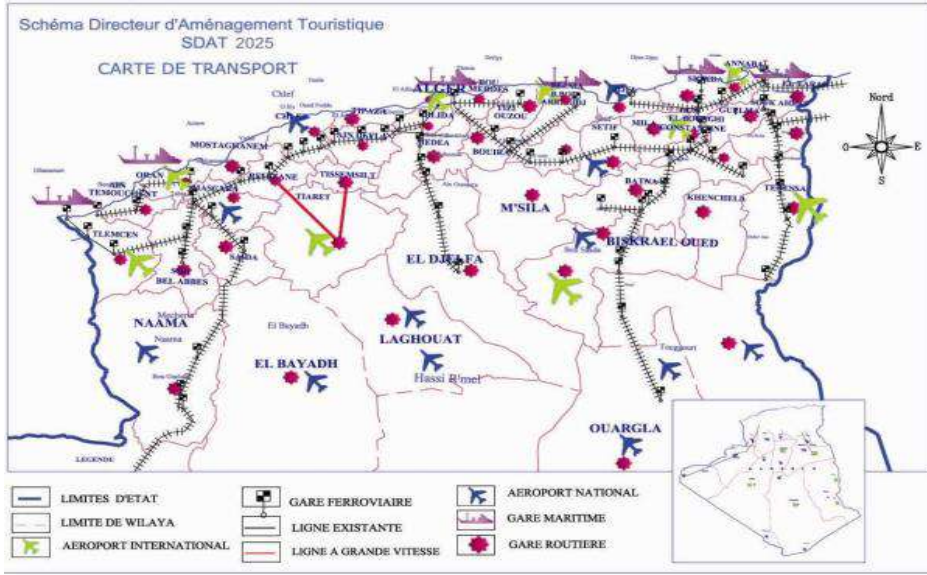
3. 2 - الموانئ: يحتوي الإقليم على 4 موانئ تتوزع في كل من شرشال وبوهارون وخميسي و تيبازة، كما أن لديه مرفئ للصيد في قورايا (Gouraya) .

3. 3 - وسائل النقل: يضم إقليم تيبازة 6 محطات للنقل البري تتمركز في كل من بو اسماعيل (bousmail)، حجوط (Hadjut) والناظور (Nador) وشرشال (Cherchell) و تيبازة (Tipaza) والقليعة (kolea) حيث تساهم هذه المحطات الرئيسية في تحسين ظروف المسافرين والسماح بسهولة التنقل وبأسرع وقت وفي كل حين على مدار السنة، كما ستعزز المنطقة بخطط نقل بسكة حديدية حديثة جدا تحت الأرض يربط عاصمة البلاد بالإقليم مستقبلا وذلك لفك الاكتظاظ خاصة أثناء أوقات العمل وتوفير الراحة والوقت للمسافر في غضون أقل من ساعة للوصول إلى أبعد نقطة في الإقليم وبهذا يمكن التقليل من التلوث البيئي ومن ضوضاء محركات مختلف المركبات

¹ ZET: zones d'expansion touristique

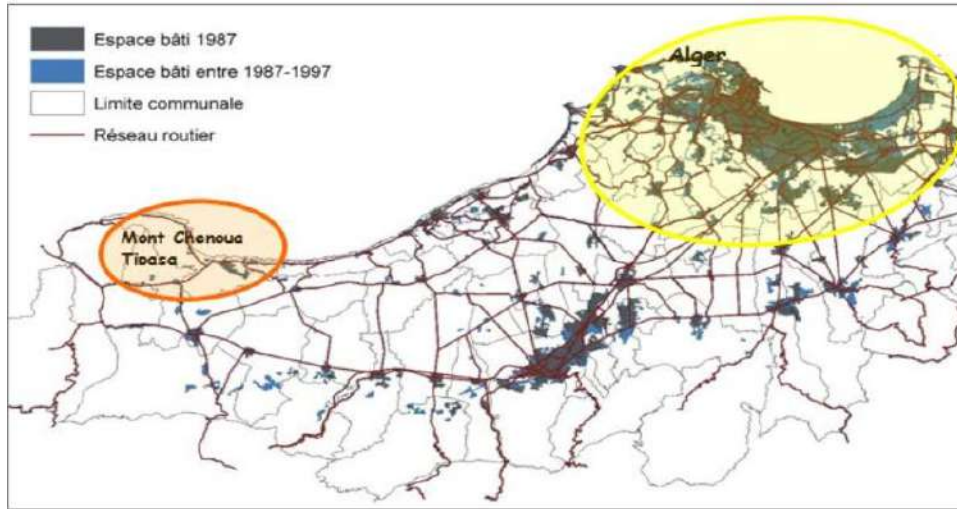
² ANRH, Agence Nationale des Ressources Hydrauliques, 2001

الخريطة 3: خريطة تمرکز الموانئ للنقل البحري ومطارات للنقل الجوي



المصدر: Samir (G.), Hafida (LA.), Radia (F.), op-cit, p 28

الخريطة 4 : الخريطة الحضرية لولاية تيبازة بين عامي 1987 و 1997 المعالجة من صور القمر الصناعي لاند سات، التي تم إنتاجها كجزء من دراسة PAC (المقياس الأصلي: 1 : 500,000)



المصدر : PAC algérois , 2006

4 - التجمعات السكانية: تضم ولاية تيبازة 28 بلدية مجمعة في 10 دوائر (Dairates)، وتقع كلها في الشمال وقريبة من الساحل، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب ولاية الشلف ومن الجنوب الغربي ولاية عين الدفلة ومن الجنوب ولاية البليدة ومن الشرق ولاية الجزائر.

الجدول 1 : قائمة الدوائر والبلديات لولاية تيبازة

البليات Communes	الدوائر Dairs
تيازة	تيازة
القليعة والشعبية والحطاطبة	القليعة
شرشال، سيدي غيلاس، حجرة النص وسيدي سميان	شرشال
حجوط ومراد	حجوط
قوراية ومسلمون	قوراية
فوكة والدواودة	فوكة
بوسماعيل وعين تغورايت وبوهارون وخميسي	بوسماعيل
الداموس والأرهابت وبني ميلك	الداموس
سيدي اعمر والناظور ومناصر	سيدي اعمر
احمر العين وبورقيقة وسيدي راشد	احمر العين

المصدر: Samir (G.) , Hafida (LA.) , Radia (F.) , ibid , p 8

يغطي إقليم ولاية تيبازة مساحة 1707 كم² ينقسم على النحو التالي:

- الجبال: 336 كلم² تمثل نسبة (19.6%).
- التلال والسفوح: 577 كلم² بنسبة (33.8%).
- السهول: 611 كم² بنسبة (35.7%).
- المساحة الباقية: 183 كلم² بنسبة (10.8%).

تعد مدينة تيبازة القلب النابض كونها تحتوي على مرافق تاريخية وثقافية وأثرية منها أطلال المدينة الرومانية القديمة والتي تعد أهم المزارات للسواح، من أهم البقايا الموجودة من هذه الآثار الرومانية، توجد في الجهة الغربية بزليكا (basilicas) إسكندر مع تواجد مقبرة رومانية، وفي الجهة الشرقية نجد توابيت وبزليكا صلصا القديسة. أما باقي البلديات (شرشال، بوسماعيل وغوراية والداموس والناظور) لديهم تراث غني متنوع، وهي موطن للمواقع الأثرية والآثار التاريخية التي ما تزال إلى اليوم تحكي مجمل الحضارات التي مرت من هنا منذ آلاف السنين. إن الموقع الجغرافي الاستراتيجي للإقليم (يقع في الوسط للشمال الجزائري وقربه من العاصمة) ساهم في تشكيل الشبكة الحضرية الحالية له، هذه الشبكة تحيط بالتكتلات أو التجمعات السكانية وتقع معظمها في مناطق حساسة (شرشال، غوراية، سيدي غيلاس، الداموس) تطل على الساحل البحري وترتفع بحوالي 300 متر على سطح البحر وتتوفر على أراضي فلاحية خصبة ومجاري مائية طبيعية مهمة وأما الفضاء الجنوبي لهذا الجزء من الإقليم يجري توجيهه لولاية الشلف.

2.4 - توزع المدن: لدينا في الجزء الأوسط المدن التالية، حجوط والقلية وتيبازة وخليج بوإسماعيل الذي يمتد على خط بحري مستمر من وادي مزفران إلى دواودة البحرية إلى وادي هاشم على طرف رعن أو رأس جبل شينوي ووادي الداموس، تفتح هذه الواجهة البحرية على المناطق النائية الساحلية التي تتكون من ثلاث مناطق طبيعية متميزة هي: - سهول متيجة (les plaines de la Mitidja)،
- الهضاب الساحلية (les plateaux côtiers)،
- تلال الساحل (les collines de Sahel).

تضم المنطقة الساحلية لولاية تيبازة أكثر من أربع عشرة (14) مدينة ساحلية من الشرق إلى الغرب وهي دواودة، فوكة، بوإسماعيل، خميستي، بوهارون، عين تغورايت، سيدي رشيد، تيبازة، شرشال، سيدي غيلاس، حجرة النص، مسلمون، قوراية، الارهاط والداموس. يعطينا الجدول رقم 2 فكرة تركيبية عن الخصائص الرئيسية للمنطقة الساحلية لتيبازة التي أهلها للاهتمام بها من طرف مشروع "وجهات" الذي يدعم دول البحر الأبيض المتوسط بالنهوض بالسياحة في الحوض المتوسطي.

الجدول رقم 2 : مساحة السواحل مع الأراضي

البلديات	المسافة (كلم)	الخط الساحلي (هكتار)	المساحة (كلم)
دواودة	5,97	4,13	669
فوكة	6,10	4,92	146,7
بوسماعيل	6,51	5,87	724,5
خميستي	4,39	1,14	212,8
بوهارون	5,06	5,45	731
عين تغورايت	13,01	14,73	1994,6
سيدي راشد	6,39	33,83	442
تيبازة	33,45	26,56	636,4
الناظور	7,29	7,59	1.994,7
شرشال	36,76	8,05	6138,9
سيدي غيلاس	6,30	2,92	1.535,9
حجرة النص	7,60	13,94	981,8
مسلمون	5,04	12,11	625
قوراية	13,76		1.591,4
الارهاط	10,99		1.760
الداموس	9,39	5,02	665,4
المجموع	178,01	145,81	24.850,1

المصدر: Samir (G), Hafida (L.A), Radia (F), op-cit , p. 10

2.4 - الكثافة السكانية كمؤشر النشاط: حسب إحصاء عام 1998، بلغ عدد سكان ولاية تيبازة 506,054 نسمة، وهو ما يمثل 1.74٪ من الإجمالي الوطني. معدل النمو السنوي المتوسط لسنتين 1987 و1998 هو 2.34 ٪، هذا الانخفاض راجع الى الدعم الكبير الموجه لتنظيم الأسرة وزيادة الوعي وتدعيم المرأة وتحسين ظروف العلاج ووضع مخططات جديدة مستقبلية تأخذ في عين الاعتبار النمو الديموغرافي.

في عام 2007 بلغ عدد سكان ولاية تيبازة 616,668 نسمة، ونتيجة لذلك ازدادت الكثافة السكانية من 293 نسمة لكل كيلومتر مربع في 1998 إلى 361 نسمة لكل كيلومتر مربع، وتتميز دائرة فوكة بأكبر كثافة سكانية حيث يبلغ عدد سكانها 2787 نسمة في الكيلومتر المربع، تليها دائرة القليعة بـ 749 نسمة لكل كيلومتر مربع والتي تمثل 16.7 ٪ من مجموع السكان في الولاية، استقر السكان في مراكز المدن بكثافة سكانية قدرت بـ 360418 ما يعادل نسبة 58.5 ٪ من إجمالي السكان، كما تتوزع الكثافة السكانية في مناطق متفرقة حيث بلغت 140872 نسمة بنسبة 22.8 ٪ من مجموع السكان، أما بقية السكان - 115178 نسمة - تتجمع وتتم تسويتها في تجمعات ثانوية وتمثل 18.7 ٪ من مجموع السكان.

3.4 - التوزيع حسب الفئات والجنس: حسب الجنس يكشف أن عدد الذكور يتجاوز قليلا عن عدد الإناث مع معدل 50.4 ٪ للذكور و49.6 ٪ للإناث أما من حيث معدلات المواليد فهناك زيادة في عدد المواليد الأحياء بزيادة من 9176 في 2006 إلى 10262 في 2007.

هناك تقدم واضح في التغطية الطبية عند الولادة حيث معدل وفيات الرضع انخفض: من 484 في عام 1993 إلى 221 في 1998 ومن 206 في عام 2000 إلى 203 في عام 2007. بالنسبة للفئات السكانية حسب الأعمار تنصدر فئة الشباب بـ 74 ٪ من الأفراد الذين يبلغون من العمر 35 سنة. وتعرف ولاية تيبازة تدفقا مهما للمهاجرين من الأقاليم الأخرى مقارنة بالولايات الأخرى في البلاد فقد تميزت بالسرعة وبأعداد كبيرة من مختلف الولايات خاصة منها الداخلية والصحراوية.

5 - المحيط السياحي والثقافي والتاريخي لتيبازة: عرفت المنطقة قديما التواجد الفينيقي والروماني وما بعدها على كامل أراضيها، يمكن تلخيص هذا الإرث الثقافي والتاريخي عبر الخرائط التالية:
الخريطة 5: المحيط الثقافي والتاريخي لتيبازة (A)



المصدر : AREA ED, 2010

جدول رقم 3: توزيع الحرفيين حسب نشاطهم في 2007

طبيعة النشاط	عدد الحرفيين	%
الصناعات التقليدية الفنية	166	8,7
الصناعات التقليدية المصنعة	537	28,0
الصناعات التقليدية للاستعمال	1212	63,3
المجموع	1915	100

المصدر: Samir (G.), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p 38.

ولعل أهم ما يعرف به إقليم تيبازة خاصة مدينة شرشال هي الزربية التي تصنع يدويا تحمل زخارف ضاربة في عمق تاريخ المنطقة كما تظهر في الصورة رقم 1 التالية.

الصورة 1 : زربية شرشالية



702

2.5 - المجال الثقافي والترفيهي: يتمتع إقليم تيبازة بمرافق شحيحة في المجال الثقافي والترفيهي لذلك وضعت الحكومة الجزائرية مشاريع ضخمة كالمركب السياحي الضخم المزمع بنائه في تيبازة بالإضافة إلى إنجاز المركز العربي للآثار ومركب ديني يتضمن مسجد كبير ومرافق أخرى لتعليم القرآن وتدرّيس اللغة وغيرها ومحطة نقل وطنية تربط كل الولايات بالولاية. أما في المجال التعليمي فقد تم فتح مركز جامعي سنة 2012 بمدينة تيبازة وقطب جامعي بمدينة القليعة يشمل بعض التخصصات في العلوم التجارية والاقتصادية والتسيير .
بالإضافة إلى الجانب التعليمي تملك الولاية عددا من قاعات للعروض المسرحي كما يظهر في الجداول التالية مع طاقة الاستيعاب:

جدول رقم 4: قاعات السينما

المدينة	تيبازة	القلعة	الحطاطبة	شرشال	حجوط	قوراية	فوكة	بواسماعيل	عين تاغورايت	الداموس	مناصر	احمر العين	بورقيقة	المجموع
العدد	1	1	1	2	1	1	1	1	1	1	1	1	1	14
طاقة الاستيعاب	420	300	200	380	450	325	300	374	150	325	350	236	400	4210

المصدر: Samir (G), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p 42

الجدول رقم 5: قاعات المسرح

المدينة	العدد	طاقة الاستيعاب
بواسماعيل	1	3000
القرن الذهبي (تيازة)	1	300
شرشال	1	3000
المجموع	3	6300

المصدر: Samir (G.), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p 42.

كما يتمتع الإقليم بعدد غير كافي للمتاحف بالنظر إلى الإرث الثقافي والتاريخي والأثري المتنوع والهائل عبر مدن الإقليم والذي يمكن تلخيصه في الجدول الموالي:

الجدول 6: المتاحف

المدينة	العدد
تيازة	1
شرشال	2
المجموع	3

المصدر: Samir (G.), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p 42.

703

3.5 - مجال الخدمات: تتوفر تقريبا كل دوائر إقليم تيازة على جملة من البنوك والمستشفيات وخدمات البريد والمواصلات ووكالات السفر المختلفة.

3.5. 1 - تجهيز الفنادق: يتمتع الإقليم بمرافق أساسية موجهة للاستيعاب الوافدين إلى الولاية خاصة في فصل الصيف من داخل الوطن وخارجه للاستجمام وزيارة مختلف المواقع الأثرية التاريخية.

الجدول 8: أهم هياكل الفنادق عبر إقليم تيازة

الفندق	المستغل	طاقة الاستيعاب (سرير)
المتوسطي	SARL Mazafran I	60
الكاهنة	SARL EL Kahina	50
عطوش	Afftouche Younes	50
مدينة تيازة	EGT	1.000
القرن الذهبي	EGT	208
مطارس	EGT	1.220
لالة فوغالة	شايب محمد	56

المصدر: Samir (G.), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p132.

5.3.1 - التخييم: تعرف شواطئ الإقليم توافدا كبيرا والتخييم بها سواء بالإمكانات الخاصة للأشخاص أو التوجه لمراكز شباب مهينة لذات الغرض.

الجدول 9: أهم هياكل التخييم عبر إقليم تيبازة

أماكن الاستغلال	طاقة الاستيعاب (سرير)	القرار/ المرسوم	عقد تأجير (طلب مبتكر)
العقيد عباس تحت إشراف CNAS	264	n°403 du:1998/07/26	بدون تأجير منذ: 1997/06/17
نجمة البحر (Etoile de la mer)	600	n°247 du 14/06/1997	1997/09/01 (امتياز 3، 6، 9 سنوات)
الأزرق الكبير Grand bleu	430 espaces tentes	n°247 du 14/06/1997	2002/01/01 (امتياز 3، 6، 9 سنوات)
حنان	100	n°247 du 14/06/1997	1997/09/01 (امتياز 3، 6، 9 سنوات)
Chenoua 4 (ex ECB)	58	Non crée	2004/01/1 (امتياز 3، 6، 9 سنوات)
Chenoua 5	-	Non crée	غير متوفر

المصدر: Samir (G.), Hafida (L.A), Radia (F), ibid, p132

5.4 - المواقع الأثرية بإقليم تيبازة: تم تصنيف موقع تيبازة الأثري سنة 1982 حسب اليونسكو 2003 وقد أخذ في عين الاعتبار في هذا التصنيف العالمي العناصر التالية (التسمية وتاريخ التصنيف، نوع التراث المصنف (مادي أو غير مادي)، موقع المصنف حسب الولاية، الفترة التاريخية للمصنف).

5.4.1 - المواقع الأثرية في تيبازة المدينة: المسرح الروماني (Théâtre) بالمدينة الرومانية والبازيليك والمقبرة (La Basilique et le cimetière)، بالإضافة إلى باقي مرافق المدينة الرومانية التي بقيت أغلب عناصرها المعمارية من حمامات وحوريات المياه وشوارعها ومعاصرها ومنازلها وأعمدتها وفرومها وجدارها الدفاعي ظاهرة للعيان تسمح للزائر معرفتها ودراستها والتعرف على العالم الروماني القديم بشمال أفريقيا موطن الرخاء، لدينا أيضا المعبد (La Temple) والتابوت (Sarcophage) ومزرعة أو كاستلوم الناظور (La ferme de Nador)

الصورة 2: بزيليك تيبازة إسكندر



الصورة 3: المقومات السياحية لتيبازة



المصدر : Lamri, 2009

5. 4. 2 - المواقع الأثرية الساحلية في تيبازة (Le littoral de Tipaza)

المخطط 1: الحضيرة الأثرية والتاريخية لمدينة تيبازة (الخط الأزرق يشير إلى محيط ونقاط المراقبة المختلفة للدراسة



المصدر : AREA ED, 2010

5. 4. 3 - المواقع الأثرية في بلدية سيدي راشد وسيدي عمر

سيدي راشد: تحتوي البلدية على الضريح الملكي الموريتاني فوق هضبة في الناحية الشمالية للبلدية يطل على البحر كما هو موضح في الصورة رقم 4 يعود إلى فترة الملك النوميدي يوبا الثاني الذي بناه كقبر لزوجته سيليني بنت كليوباترا المصرية.

الصورة 4: الضريح الملكي الموريتاني (Le Mausolée Royal de Mauritanie SIDI RACHED)



سيدي عمر (Sidi Amar) تحتوي البلدية على قناطر أثرية (Aqueduc Antique)، كما تظهر في الصورة الموالية:
الصورة 5: قناطر لقناة مياه لتزويد مدينة شرشال



5. 4. 4 - المواقع الأثرية ببلدية شرشال (Cherchell): تحتوي البلدية على عدد من المواقع أهمها موقع الجزر الثلاث المتواجدة بالحمدانية والتي تعود الى الفترة الرومانية وهي بقايا لأثار ريفية تمثل مزرعة لشخصية مرموقة ثرية رومانية.

الصورة 6: موقع الجزر الثلاث بالحمدانية (Trois Ilots El Hamdania)



المصدر: عن غوغل ارث 2019

كما تحتوي البلدية على المواقع الأثرية التالية:

- المدرج الروماني (Amphithéâtre)
- الفوروم (Forum)
- مسارح (Théâtres)
- منزل سيدي إبراهيم الغبريني (Maison Sidi Braham El Ghobrini) وهو معلم يعود للفترة الاسلامية
- الحمامات الغربية (Thermes de l'Ouest CHERCHELL)
- الجسر الروماني (Pont Romain)
- المقبرة الغربية والضريح (Nécropole Occidental et le Mausolée)



الصورة 7 :ضريح ابراهيم الغريبي

- مثنى ذو تمايزي زوايا وأضلاع (Octogonale)
- جامع ساحة سكوير الرومانية (Mosquée de la Place Romaine)
- متحف شرشال القديم (Ancien Musée de Cherchell)

5.5 - الشواطئ المسموحة للاستغلال في إقليم تيبازة

إن أغلبية شواطئ الإقليم مهيئة للاستغلال نظرا لتوفرها على الخدمات البشرية والمادية والأمنية والطبيعية وأماكن لركن السيارات ومرافق للعب الأطفال والتي أعطي لها اهتماما جد خاص في الآونة الأخيرة، ومن أهم هذه الشواطئ التي سنستعرضها في الجدول التالي:

الجدول 10: أهم الشواطئ عبر إقليم تيبازة

التدفق لسنة 2007	التدفق لسنة 2006	التدفق سنة 2005	طول الشاطئ (متر)	الشاطئ
-	4.482.000	5.363.800	3000	العقيد عباس
-	-	-	650	بوهارون
-	-	-	250	تيازة
1.343.000	569.040	465.330	300	كوالي
436.300	565.850	362.190	450	مدينة تيبازة
178.400	477.800	352.285	150	القرن الذهبي
1.440.400	2.643.900	2.237.220	400	مطارس
874.400	1.372.100	1.918.450	800	تورينغ
1.161.500	2.471.140	2.084.400	1000	شينو
1.224.700	-	-	1000	شينو CRF
596.800	191.200	777.600	150	بلحسن
310.200	181.500	389.700	150	لبان أي الصنوبر

1.198.500	1.207.000	197.242	400	البلج
303.500	118.000	364.950	150	سي الطيب
1.007.500	473.500	1.188.640	1200	شاطئ الأزرق
451.600	329.500	384.290	300	بن عودة
637.500	2.060.000	1.706.010	2000	الحمدانية 1
468.200	1.560.000	-	1000	الحمدانية 2 (ستغلق)

المصدر: Samir (G) , Hafida (LA) , Radia (F), op-cit , p. 134.

الصورة 8 : بعض مناظر من سواحل ولاية تيبازة

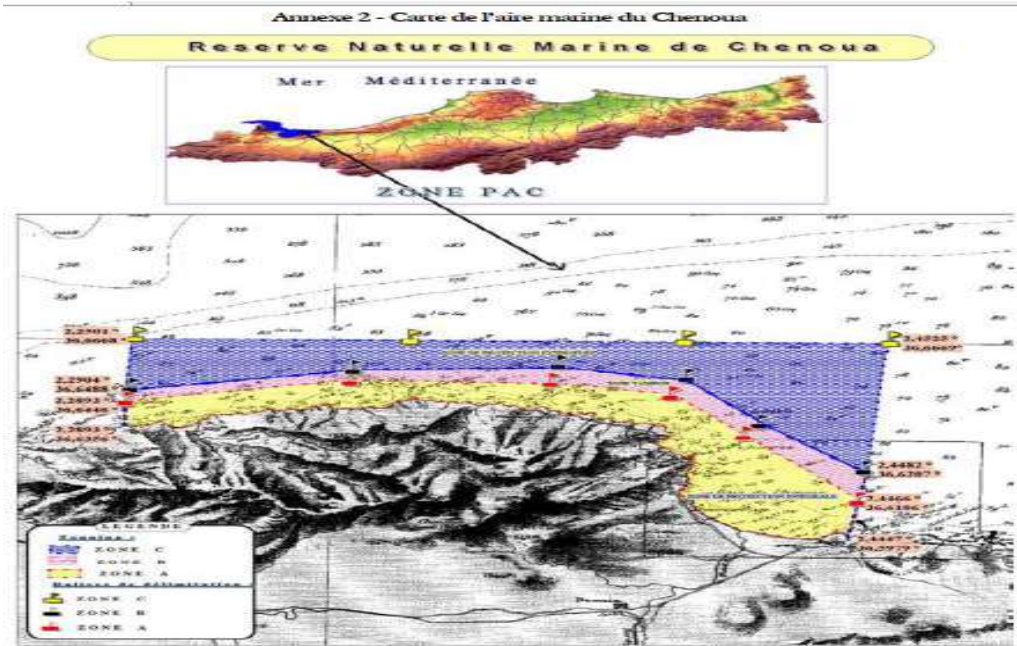


708

5.6 - منطقة شينوى: تعرف هذه المنطقة تركيبية جيولوجية بحرية خاصة بحيث يبدأ خليج شينوى من نقطة تدفق وادي الناظور في تيبازة إلى جانبها الغربي من جبل شينوى مكونا كتلة صخرية، الجزء السفلي من هذا الخليج يتكون من شاطئ رملي جميل جدا، تتميز هذه المناطق بضيق الجرف القاري (4 كم) إلى مستواهم والعديد من التتواءات الصخرية الموجودة هناك، بعض الشواطئ تغطي بحصاة لمسافة 120 مترا ومن 15 إلى 20 مترا عرضا (مساحة تقريبية تبلغ 2000 م²).

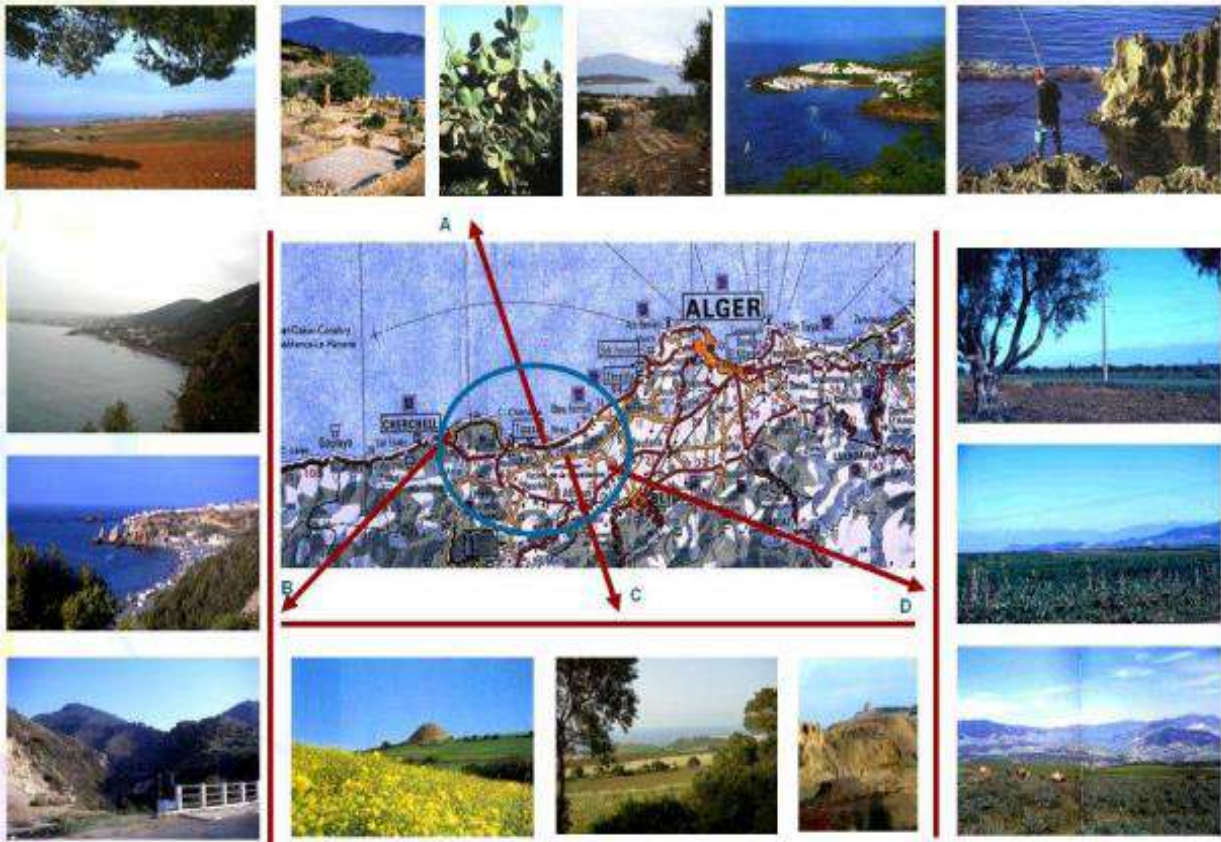
يبلغ طول شاطئ شينوى (الرمال الناعم) 285 م وعرضه من 15 إلى 50 متر وبمساحة تقريبية تبلغ 6000 م² ثم يستمر بطول 590 م بعرض من 18 إلى 26 م وهكذا يبلغ طوله الإجمالي 875 متر. ولشرح هذه التركيبية الجيولوجية للمنطقة يمكن إظهارها في الخريطة رقم 8 أدناه.

الخريطة 8 : الفضاء البحري لمنطقة شينوى



المصدر : Grimes (S.), PAC algérois, rapport N° 3 ,2005.

الصورة 9 : أهم المواقع السياحية لولاية تيبازة



الصورة: A المواقع الأثرية الساحلية لتيبازة B شاطئ شينوى C الضريح الملكي الموريتاني D هضبة متيجة

6- المشاريع السياحية الكبرى بالإقليم: سخرت الولاية 16 منطقة سياحية (ZET) بمساحة قدرت بـ 1587 هكتار تتوزع على جل مناطق إقليم تيبازة منها ما هو منجز ومنها ما هو في طور الإنجاز ومنها ما هو في مكاتب الدراسات حسب برامج الحكومة الجزائرية في قطاع السياحة، يمكن حصر هذه المشاريع في الجدول رقم 11 الذي سنلخص فيه جل هذه المشاريع

الجدول 11: القائمة الاسمية والمكانية لمشاريع كبرى في اقليم تيبازة (ZET)

رقم	البلدية	المشروع	المساحة بالهكتار
1	دواودة	العقيد عباس	150
2	بوهارون	بوهارون	13
3	تيبازة	تيبازة السات	87.5
4	تيبازة	تيبازة ماتاريس وشنوى	157
5	شرشال	شاطئ شنوى	425
6	شرشال	واد البلاع	131
7	سيدي غيلاس	سيدي غيلاس	25
8	سيدي غيلاس/ حجرة النص	فيشي الكبرى والصغرى	67
9	حجرة النص	غونيني	19
10	مسلمون قوراية	واد السبت مسلمون	175
11	قوراية	بونعمة	19
12	قوراية	الغابة المقدسة	57
13	الارهاط	سيدي ابراهيم غرب وشرق	61
14	الارهاط	واد الملاح غرب وشرق	61
15	الارهاط	ازروت	62.5
16	الداموس	الداموس	75
		المجموع	1587.0

المصدر: مديرية السياحة لتيبازة، 2006، ص127.

كما يجدر الإشارة إلى انه حاليا يتم الانتهاء من 5 مشاريع سياحية هي:

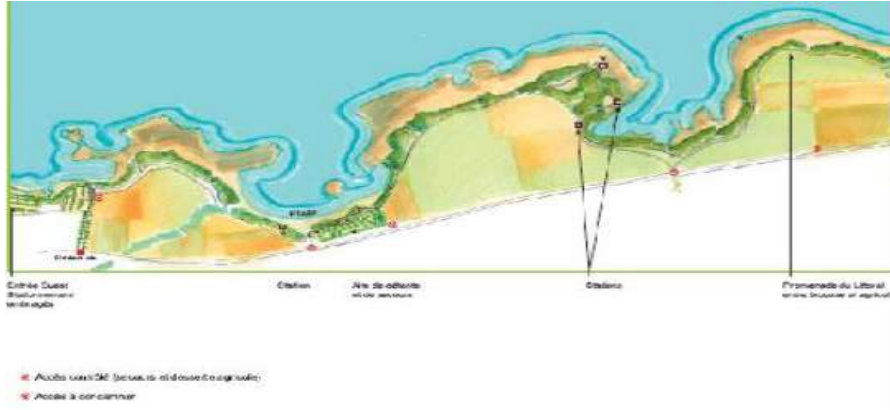
- شاطئ العقيد عباس (ZET colonel Abbés)
- بوهارون (ZET Bouharoun)
- مركب السات بتيبازة (ZET TIPAZA - CET)

- شينوى ومركب مطاريس (ZET Chenoua Matares)

- شاطئ شنوى (ZET Corniche du Chenoua)

كما عرفت بعض الشواطئ اعادة تهيئتها اما كلياً أو جزئياً وعلى سبيل المثال لدينا شاطئ كوالي الواقع شرق مركب السات الذي يظهر في المخطط 2 التالي

مخطط 2: مخطط إعادة تهيئة شاطئ كوالي



المصدر: CNL/BRLi 2010

خاتمة

من خلال هذه المعطيات يمكن وضع خطط مستقبلية تنموية مستدامة في المجال السياحي لهذه المنطقة التي تقسم الساحل الجزائري إلى قسمين متساويين الغربي والشرقي وتقابل الساحل المقابل للقارة الأوربية مع تحسين الخدمات التي طالما عانت منها المنطقة خاصة من ناحية الأسعار وقلة الفنادق وتسيير الشواطئ. تتمتع منطقة تيبازة بالعديد من المقومات المحفزة - الشواطئ الجميلة، والغابات، والجبال، والقرى الخلابة، المواقع الأثرية والأضرحة مثل الضريح الملكي الموريتاني وهي غنية بتراثها الثقافي و ثروات طبيعية أخرى - التي يمكن أن تجذب السياح، وخاصة في فصل الصيف، كما أن سمعة المنطقة كوجهة سياحية عالمية تسمح لها بعرض الصورة الحقيقية للإرث الثقافي للمنطقة والتعريف بماضيها. فساحلها يمتد على مسافة 123 كم تقريباً ويمتلك 51 شاطئاً (منها 43 شاطئاً مفتوحاً للاستحمام) بالإضافة إلى العديد من الخلجان الصغيرة وغيرها من المنحدرات التي تمنح فرص انعاش السياحة.

تملك منطقة تيبازة لهماكل قاعدية هامة أهمها: مجتمعين سياحيين بسعة إجمالية تقدر بـ 2428 سريراً مع إمكانية التوسع والتحديد في المستقبل حسب الحاجة و 5 فنادق خاصة بسعة 226 سريراً و 8 فنادق غير مصنفة بسعة 2654 سريراً و 3 مخيمات شباب (الداموس، شرشال، داودة) بسعة 250 سريراً، وعلاوة على ذلك تم تزويد المخيمات بـ 24 بناية بسعة إجمالية قدرها 5800 مقعد بالإضافة إلى 14 مكاناً مهيباً ومصنفاً في 9 بلديات ساحلية وبهذا يصل مجموعها 6400 سريراً.

ونظرا للفرص المتاحة لتطوير هذا القطاع، فإنه قد تم اتخاذ العديد من الإجراءات مستقبلا من اجل الدراسة، وتغطي أربعة مناطق للاستغلال السياحي ال(ZET) عبر كامل تراب الولاية التي تتوزع على البلديات الساحلية وتقع في كل من الداموس، وادي البلاع (شرشال)، بوهارون ودواودة من ضمن الـ 16 مشروع المزمع إنجازه، كما يتم التفكير في الزامية تكامل هذه الهياكل المختلفة مع المواقع الطبيعية التي سيتم وضعها دون الإضرار بها وبالتالي الحفاظ على حالتها الأصلية والبرية.

المراجع:

- ANRH, Agence Nationale des Ressources Hydrauliques, 2001
- Projet Destination, MATE/ANDT-PAP RAC, 2008-2010 pour Tipasa
- Association de Réflexion, d'Echanges et d'Actions pour l'Environnement et le Développement (AREA ED, 2010)
- CNL/BRLi, 2010
- Direction du Tourisme de la wilaya de Tipaza (2008). *Monographie 2008 de la wilaya de Tipaza.*
- Direction du Tourisme de la wilaya de Tipaza (2009). *Monographie 2009 de la wilaya de Tipaza.*
- Grimes (S), (2009). *Indicateurs du développement du tourisme durable : définition de stratégies pour un tourisme durable dans les pays méditerranéens.* rapport N°3, Septembre 2009.
- Grimes (S), Lamri (H), (2009). *DIAGNOSTIC de la Destination touristique de Tipasa : définition de stratégies pour un tourisme durable dans les pays méditerranéens.* Rapport N°1, Avril 2009, p.148
- Grimes (S), Lamri (H), (2009). *Evaluation environnementale de la structure pilote : La Corne d'Or (Wilaya de Tipaza) : Définition de stratégies pour un tourisme durable dans les pays méditerranéens.* Rapport N° 2, Mai 2009.
- Grimes .S, PAC algérois, rapport N° 3,2005
- LYNDA (CH), la mise en tourisme du patrimoine culturel saharien- cas d'étude: la vallée du m'zab mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en développement du tourisme janvier 2017.
- PAC Algérois : Programme d'Aménagement Côtier de la zone algéroise PAM MATE, 2002/2006
- Samir (G), et Mmes Hafida (LA), et Radia (F), "Destinations" cofinancé par le programme LIFE - Pays Tiers de la Commission Européenne. sans date.
- Wilaya de Tipasa (2007). *Monographie de la wilaya de Tipaza.*
- Wilaya de Tipasa (2008). *Monographie de la wilaya de Tipaza.*
- Wilaya de Tipasa (2009). *Monographie de la wilaya de Tipaza.*
- مديرية السياحة لتيبازة، 2006.
- غوغل ارث، 2019.

التحكيم كآلية لتشجيع الإستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر

أ. عبدالنور بوناح

أ. سيود سوسن

جامعة باجي مختار - عنابة

جامعة باجي مختار - عنابة

الملخص:

تعتبر السياحة إحدى أهم المجالات الحيوية التي تراهن عليها الجزائر لدفع عجلة التنمية، سواء على المستوى الاقتصادي أو حتى الاجتماعي، مما جعل المشرع الجزائري يبحث عن آليات لتشجيع الاستثمار في هذا المجال خاصة منه الاستثمار السياحي الأجنبي، غير أنه ونتيجة لتخوف المستثمرين الأجانب من الاستثمار في الجزائر نتيجة عدم رغبتهم في حل النزاعات التي قد تنشأ عن هذه الاستثمارات عن طريق القضاء الجزائري، جعل المشرع الجزائري يكرس صراحة حق اللجوء إلى التحكيم في النزاعات الناتجة عن الاستثمار الأجنبي السياحي بموجب قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وكذلك قوانين الاستثمار، مما جعل التحكيم يعد أهم الآليات لتشجيع الاستثمار الأجنبية في الجزائر، نظراً لما يقدمه هذا الأخير من ضمانات للمستثمر الأجنبي، من خلال المزايا التي يوفرها له من مرونة وحياد وسرعة واحترافية المحكمين بالإضافة إلى السرية.

الكلمات المفتاحية: التحكيم، الاستثمار الأجنبي السياحي، تشجيع الاستثمار الأجنبي السياحي

Résumer

Le tourisme est l'un des domaines les plus importants sur lesquels l'Algérie mise pour accélérer son développement ce qui a amené le législateur algérien à rechercher des mécanismes pour encourager les investissements dans ce domaine, en particulier les investissements touristiques étrangers, cependant, en raison de la crainte des investisseurs étrangers d'investir dans des entreprises étrangères pour investir dans l'Algérie en raison de leur réticence à résoudre les différends pouvant résulter de ces investissements par le système judiciaire algérien, faire en sorte que le législateur algérien consacre explicitement le droit de recourir à l'arbitrage dans les litiges résultant d'investissement touristique étrangers en vertu de la loi sur les procédures civiles et administratives ainsi que des lois sur l'investissement, ce qui fait de l'arbitrage le mécanisme le plus important pour encourager les garanties que ce dernier offre à l'investisseur étranger grâce à la flexibilité et à l'impartialité, à la rapidité et au professionnalisme des arbitres.

مقدمة

لقد حرصت الجزائر منذ الاستقلال على النهوض بجميع القطاعات، والتي من بينها القطاع السياحي هذا الأخير يعد من أهم المجالات التي من شأنها خلق الثروة ودفع عجلة التنمية، لذلك فقد عملت على تشجيع الاستثمار في هذا المجال خاصة منه الاستثمار الأجنبي السياحي، من خلال منح العديد من الامتيازات والضمانات للمستثمرين الأجانب، والذي يعد التحكيم إحدى أهم الضمانات المقررة لجذب رؤوس الأموال الأجنبية، وأحد الوسائل الفعالة لتسوية ما قد يثور من نزاعات تتعلق بالاستثمار الأجنبي، كما أنه يعد في نظر المستثمرين الأجانب الحياض اللازم والضمانة الضرورية لحماية استثماراتهم، إذ أن السبب الرئيس الذي يجعل الأطراف المتنازعة تستبعد اللجوء إلى القضاء الوطني هو عدم الثقة في النظام القضائي لدولة الطرف الآخر، وهو ما دفع بالدولة الجزائرية وفي رغبة منها لتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي، إلى تعديل سياستها من خلال تعديل وتكييف قوانينها الداخلية بما يتلاءم مع ما هو سائد في دول العالم وبما يحقق مسعاها، بأن أجازت بصفة صريحة ورسمية اللجوء إلى التحكيم كإحدى الوسائل البديلة لحل النزاعات الناشئة عن الاستثمارات الأجنبية، في قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وكذلك في قوانين الاستثمار.

من خلال ما سبق تبرز إشكالية الدراسة في:

دور التحكيم كضمانة قانونية لتشجيع الاستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر

وفي محاولة منا للإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا تقسيم دراستنا إلى:

- الإطار المفاهيمي للدراسة.
- قابلية اللجوء إلى التحكيم في منازعات الاستثمار الأجنبي السياحي.
- القانون الواجب التطبيق على التحكيم في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي.
- أثر اختيار الأطراف اللجوء إلى التحكيم في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي.
- مزايا ومبررات اللجوء للتحكيم التجاري في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي.

المنهج المتبع: المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي فيما يتعلق بماهية التحكيم وماهية الاستثمار الأجنبي السياحي، والمنهج التحليلي فيما يتعلق بتحليل النصوص القانونية.

أولا: الإطار المفاهيمي للدراسة

إن أي دراسة أو بحث علمي لابد من التعرض في البداية إلى المفاهيم العامة لمصطلحات عنوان الدراسة، ولذلك فإنه في سبيل معرفة مدى نجاعة التحكيم في تشجيع الاستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر، ينبغي أولا التطرق إلى ماهية التحكيم من خلال عرض مختلف التعاريف لهذا المصطلح، ثم التطرق إلى ماهية الاستثمار.

1- ماهية التحكيم: التحكيم هو تلك التقنية القانونية المختارة من الأطراف، للقيام بالفصل في منازعة محددة ووفقا لقواعد قانونية مختارة، سواء كانت هذه الهيئة التحكيمية خاصة أو مؤسساتية، وعليه "فالتحكيم اتفاق بين طرفين أو أكثر على إخراج النزاع أو عدد من النزاعات من اختصاص القضاء العادي، وأن يعهد بها إلى هيئة تتكون من محكم أو أكثر للفصل فيه بقضاء ملزم"¹ ويعرف التحكيم " بأنه اتفاق أطراف علاقة قانونية، عقدية أو غير عقدية على أن يتم الفصل في المنازعة التي ثارت بينهم بالفعل، أو التي يحتمل أن تثور عن طريق أشخاص يتم اختيارهم كمحكمين، ويتولى الأطراف تحديد المحكمين، أو أن يعهد إلى هيئة أو مركز تحكيمي ليتولى تنظيم عملية التحكيم وفقا للقواعد واللوائح الخاصة بهذه الهيئات أو المراكز"².

وقد عرفته المادة 07 من القانون النموذجي للتحكيم التجاري الدولي سنة 1985: " هو اتفاق بين الطرفين على أن يحيلوا إلى التحكيم جميع أو بعض النزاعات التي نشأت أو قد تنشأ بينهما بشأن علاقة قانونية محددة سواء كانت هذه العلاقة تعاقدية أم غير تعاقدية، ويجوز ان يكون اتفاق التحكيم في شكل بند تحكيم وارد في عقد أو في شكل اتفاق منفصل"³

من خلال التعريف السالف الذكر نجد أن اللجوء إلى التحكيم حسب هذا الأخير، نابغ عن رغبة الأطراف، في حل النزاعات التي نشأت فعلا، أو التي ستنشأ في المستقبل، حيث تكون هذه الرغبة في شكل اتفاق يأخذ صورتين، إما في شكل بند وارد في العقد أو في شكل اتفاق منفصل

وبالرغم من أن المشرع الجزائري تطرق إلى التحكيم التجاري الدولي ضمن المرسوم التشريعي 09/93 وكذا قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجديد 09/08 المؤرخ في 25 فيفري 2008 كوسيلة بديلة لحل المنازعات، إلا أنه لم يتطرق إلى تعريف التحكيم تاركا ذلك للفقه والقضاء. وبما أن دراستنا تتعلق بالإستثمار الأجنبي في الجزائر، فإن التحكيم الذي يعقد لحل النزاعات التي تنشأ هو تحكيم تجاري دولي، وهو الوصف الذي منحه إياه المشرع الجزائري، عند تعلقه بنزاعات تخص المصالح الاقتصادية لدولتين على الأقل⁴.

إن التحكيم يحتل أهمية كبيرة من حيث أنه وسيلة بمقتضاها يستغني الأطراف عن قضاء الدولة، فكما أن الأطراف يستطيعون باتفاقهم حل منازعاتهم فيما بينهم، فإنهم يستطيعون عرض هذه المنازعة على شخص أو عد أشخاص يختارونهم لكي يتولوا الفصل في هذه المنازعة .

فالأستاذ أحمد عبد الكريم سلامة يرى "أن نظام التحكيم وإن كان مبتدأه إرادة واتفاق تعاقدية يقال أنه يشكل أساس سلطة هيئة التحكيم في الفصل في النزاع غير أن لذلك حدوده، فهذه الإرادة هي إرادة خضوع لنظام قضائي، والجانب الإرادي فيه يتمثل في مجرد خضوع نفسي من جانب الأطراف لقضاء اختاروه بإرادتهم، حيث أنهم بمجرد أن يتفق الأطراف على اللجوء إلى التحكيم ينشأ نظام قانوني مستقل يخرج بعد ذلك عن سيطرة هؤلاء"⁵.

نحن نتفق مع الأستاذ عبد الكريم سلامة على أن إرادة طالبي التحكيم تجدد حدودها عند الإتفاق على اللجوء إلى التحكيم، ومع ذلك فإن معرفتهم بمزايا هذا الأخير تجعلهم يفضلونه على القضاء.

2- ماهية الاستثمار الأجنبي: لقد عرف الاستثمار تعاريف عديدة منها أنه: " استخدام للمدخرات في تكوين الاستثمارات أو الطاقات الإنتاجية الجديدة اللازمة لعمليات انتاج السلع والخدمات والمحافظة على الطاقة الإنتاجية وتجديدها"، وعرف كذلك بأنه " عملية توظيف واستعمال رؤوس الأموال في مشروع اقتصادي من أجل جني مدخول يطلق عليه الربح، وغالبا ما يكون في شكل استغلال مؤسسة أو شركة " وتجدر الإشارة إلى أن الاستثمار نوعان، إما أن يكون استثمارا داخليا (وطنيا)، أو استثمارا خارجيا (أجنبي)، ويقصد بالاستثمار الأجنبي " كل استثمار خارج الحدود الوطنية للمستثمرين، وبذلك يعد استثمارا أجنبيا للبلد المستثمر فيه، أما جهة الاستثمار فهي إما أن تكون دولة أو مجموعة دول أو شركة أو مجموعة شركات أو حتى أفراد".

كما أن هناك نوعان من الاستثمار الأجنبي فهو إما أن يكون استثمارا مباشرا أو استثمارا غير مباشرا ويقصد بالنوع الأول (المباشر) على أنه: "استثمار طويل الأجل ويتضمن مصلحة دائمة وسيطرة كيان مقيم في اقتصاد ما (متمثلا بالشركة المقر) على مشروع مقام في اقتصاد آخر وهنا يمارس المستثمر الأجنبي درجة مهمة من التأثير على إدارة المشروع المقام في بلد آخر غير بلده الأم"⁶.

وقد عرفته منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OCDE على أنه: " ينطوي على تملك المستثمر الأجنبي حصة لا تقل عن 10 بالمائة من إجمالي رأس المال أو قوة التصويت"، وعليه فإن الاستثمار الأجنبي المباشر حسب هذه المنظمة حتى يكون استثمارا أجنبيا مباشرا يجب أن يكون 10 بالمائة فما فوق، وعليه فإذا كانت حصة المستثمر الأجنبي أقل من ذلك ففي هذه الحالة يعد استثمارا أجنبيا غير مباشر، وتجدر الإشارة إلى أن ليس هناك اجماع على هذه النسبة، حيث يعتبر في استراليا حيازة 25 بالمائة على الأقل من حقوق الملكية يمثل استثمارا مباشرا، في حين النسبة تختلف في فرنسا حيث يشترط 20 بالمائة على الأقل و 10 بالمائة في كل من السويد وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.⁷

تكمن أهمية الإستثمار الأجنبي المباشر في أنه يعد مصدرا من مصادر التمويل لدى الدولة المضيفة، بالإضافة إلى أنه ثابت ومستقر عند حدوث الأزمات المالية، وهو تمويل غير مكلف باعتباره لا يولد أقساط أو فوائد كما في حالة القروض، بالإضافة إلى أنه يعد أداة لنقل التكنولوجيا والخبرات الإدارية والتسويقية، والتي تكون الدول النامية في أمس الحاجة إليها لتحقيق تنميتها الاقتصادية⁸، فالمستثمر الأجنبي في المجال السياحي كثيرا ما يفضل صيغة الاستثمار الأجنبي المباشر، حتى يتمكن من إدارة المشروع بنفسه.

ثانيا: قابلية اللجوء إلى التحكيم في منازعات الاستثمار الأجنبي السياحي

إن عدم ثقة المستثمر الأجنبي في القضاء الوطني فيما يتعلق بالنزاعات الإستثمارية الأجنبية، وتحججه الدائم بعدم معرفته لقوانين الدولة المضيفة، وبطأ الإجراءات القضائية وتعدد درجات التقاضي⁹، جعلت المستثمر الأجنبي يتخوف من الإستثمار في الجزائر، ونتيجة لرغبة الجزائر في التخلص من التبعية للمحروقات، فقد أخذت على عاتقها تنويع الإقتصاد الوطني من خلال تشجيع الإستثمار الأجنبي، عن طريق الإعتراف بالتحكيم كأسلوب بديل لحل النزاعات الناشئة عن منازعات الإستثمار الأجنبي نصت المادة 24 من القانون المتعلق بترقية الاستثمار 16/09: " يخضع كل خلاف بين المستثمر الأجنبي والدولة الجزائرية في حقه للجهات القضائية الجزائرية المختصة اقليميا، إلا في حالة وجود اتفاقيات ثنائية أو متعددة الأطراف أبرمتها الدولة الجزائرية تتعلق بالمصالحة والتحكيم، أو في حالة وجود اتفاق مع المستثمر ينص على بند تسوية يسمح للطرفين بالاتفاق على تحكيم خاص "

كما نص **المشروع الجزائري في المادة 975 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية:** " على أنه لا يجوز للأشخاص المعنوية العامة المتمثلة في كل من الدولة، الولاية، البلدية، المؤسسات العمومية ذات الصبغة الإدارية، أن تجري تحكما إلا في الحالات الواردة في الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها الجزائر.."، حيث يتم اللجوء إلى التحكيم حسب **المادة 976** من نفس القانون بمبادرة من الوزير المعني أو الوزراء المعنيين إذا كان متعلقا بالدولة، ويتم عن طريق الوالي أو رئيس البلدية إذا تعلق النزاع بالولاية أو البلدية على التوالي، أما إذا كان التحكيم يتعلق بمؤسسة عمومية ذات طابع إداري، يتم اللجوء إلى هذا الإجراء بمبادرة من ممثلها القانوني أو من السلطة الوصية التي يتبعها.

من خلال نص المواد السالفة الذكر نجد أن المشروع الجزائري قد أخضع أي نزاع أو خلاف بين المستثمر الأجنبي والدولة الجزائرية سواء كان المتسبب فيه المستثمر الأجنبي أو نتيجة لإجراء اتخذته الدولة الجزائرية في حقه كنزع الملكية للجهات القضائية الجزائرية، غير أنه قد أجاز في حالات محددة فظ هذه النزاعات بالطرق البديلة لتسوية النزاعات والمتمثلة في كل من المصالحة والتحكيم، هذا الأخير الذي تتمحور حوله دراستنا قد أجاز المشروع الجزائري اللجوء إليه في حالتين على سبيل الحصر:

- الاتفاقيات الثنائية أو المتعددة الأطراف المبرمة من طرف الجزائر حول اللجوء إلى التحكيم.
- الاتفاق مع المستثمر الأجنبي على اللجوء إلى التحكيم في حالة وقوع نزاع.

وهو ما سنحاول التطرق إليه بشيء من التفصيل فيما يلي:

1- جوازية اللجوء إلى التحكيم بموجب الاتفاقيات الدولية: لقد أجاز المشروع الجزائري في المادة

24 من القانون المتعلق بترقية الاستثمار السالف الذكر، اللجوء إلى التحكيم التجاري الدولي في حالة وجود اتفاقية ثنائية أو متعددة الأطراف التي أبرمتها أو صادقت عليها أو انضمت إليها الجزائر:

أ- **الاتفاقيات الثنائية:** بغية تشجيع وحماية الإستثمار الأجنبي أجازت الجزائر من خلال الإتفاقيات الثنائية اللجوء إلى التحكيم ، وتجدر الإشارة إلى أنها تسمح بالحل الودي والدبلوماسي قبل اللجوء إلى التحكيم¹⁰ ، من بين هذه الاتفاقيات:

- الاتفاقية المبرمة بين الجزائر والكويت لتشجيع والحماية المتبادلة للاستثمار والتي منحت بموجبها للمستثمر الأجنبي بأن يتم تسوية المنازعات عن طريق التحكيم الدولي بعد نفاذ الطرق الودية طبقا للمادة 09 من الاتفاقية¹¹.

- الاتفاقية المبرمة بين الجزائر وفرنسا ، حيث نصت مادتها الثامنة على أن: " كل خلاف يتعلق بالإستثمارات بين أحد الطرفين المتعاقدين ومواطن أو شركة من طرف المتعاقد الآخر، بسوى ويقدر المستطاع بتراضي الطرفين المعنيين، إذا لم تكن تسوية الخلاف بتراضي الطرفين ممكنة في مدة 06 أشهر من تاريخ رفعه منه أحد الطرفين في النزاع، فإنه يمكن أن يرفع بطلب من المواطن أو الشركة إما إلى الهيئة الاقتصادية المختصة للطرف المتعاقد المعني بالنزاع أو إلى المركز الدولي لحل النزاعات المتعلقة بالاستثمار C.I.R.D.I المنشأ بمقتضى الاتفاقية الخاصة بحل النزاعات المتعلقة بالاستثمارات بين الدول ورعايا الدول الأخرى الموقعة بواشنطن لسنة 1965...¹²"

ب- الاتفاقيات المتعددة الأطراف: انضمت الجزائر إلى عدة اتفاقيات جماعية منها:

- اتفاقية نيويورك المتعلقة باعتماد وتنفيذ القرارات التحكيمية لسنة 1958، أكدت من خلالها الجزائر قبولها للتحكيم كوسيلة لحل النزاعات، وتعتبر الاتفاقية ذات أهمية بالغة، فكل دولة صادقت عليها تعتمد وتنفذ القرارات التحكيمية الصادرة في تراب دولة أخرى غير الدولة طالبة اعتماد القرارات التحكيمية وتنفيذها¹³.

- اتفاقية واشنطن المتضمنة تسوية المنازعات المتعلقة بالاستثمارات بين الدول و رعايا الدول الأخرى للمركز الدولي¹⁴ (، إذ كرست من خلالها الجزائر إمكانية اللجوء إلى التحكيم عن طريق C.I.R.D.I وذلك بإرادة الطرفين المتنازعين، فأغلب الاتفاقيات التي صادقت عليها الجزائر نصت من خلالها على إمكانية حل النزاع من طرف المركز¹⁵.

2- الاتفاق على اللجوء إلى التحكيم: تجدر الإشارة إلى ان إتفاق اللجوء للتحكيم في عقد الاستثمارات الأجنبي يتم وفق صورتين¹⁶: تتمثل الصورة الأولى في مشاركة التحكيم والتي تتم بعد وقوع النزاع فهي عبارة عن اتفاق أطراف العلاقة الاستثمارية في عقد مستقل عن عقد الاستثمار الأجنبي على عرض المنازعات التي نشأت بينهم بالفعل على التحكيم لحلها.

وقد نص المشرع الجزائري على اتفاق التحكيم في المادة 1011 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية بأن عرفه "اتفاق التحكيم هو الاتفاق الذي يقبل الأطراف بموجبه عرض نزاع سبق نشوؤه على التحكيم"، وقد اشترط المشرع الجزائري صراحة أن يكون الاتفاق على التحكيم مكتوبا¹⁷، وأن يتضمن تحت طائلة البطلان موضوع النزاع

وأسماء المحكمين أو كيفية تعيينهم¹⁸، كما يجوز للأطراف الاتفاق على التحكيم، حتى أثناء سريان الخصومة أمام الجهة القضائية.¹⁹

وبما أن دراستنا تتمحور حول الإستثمار الأجنبي، والذي هو متعلق بصفة آلية بمصالح دولتين فأكثر، فإن طبيعة التحكيم الذي يختار لتسوية النزاعات الناشئة عن هذه الإستثمارات هو تحكيم تجاري دولي، والذي اشترط المشرع الجزائري بشأنه فيما يتعلق باتفاق التحكيم التجاري الدولي حسب المادة 1040:

- شروطا شكلية، أن يكون مكتوبا أو بأي وسيلة اتصال أخرى تجيز الإثبات بالكتابة.

- شروطا موضوعية، تتمثل أساسا في استجابته للشروط التي يضعها إما القانون الذي اتفق الأطراف على

اختياره أو القانون المنظم لموضوع النزاع أو القانون الذي يراه المحكم ملائما

أما الصورة الثانية لاتفاق التحكيم هي شرط التحكيم وهو على عكس مشاركة التحكيم، هو اتفاق بين أطراف العلاقة العقدية الاستثمارية بموجب نص أو بند في العقد المبرم بينهم، والذي يقضي بعرض المنازعات التي من المحتمل أن تنشأ بينهم مستقبلا عن هذه العلاقة على التحكيم، فقد عرف المشرع الجزائري شرط التحكيم في المادة 1007 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية " شرط التحكيم هو الاتفاق الذي يلتزم بموجبه الأطراف في عقد متصل بحقوق لهم مطلق التصرف فيها لعرض النزاعات التي قد تثار بشأن هذا العقد على التحكيم"، وعليه فقد حظر المشرع الجزائري اللجوء إلى التحكيم في المسائل المتعلقة بالنظام العام أو حالة الأشخاص وأهليتهم بموجب المادة 1006 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

لكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا الشأن عن وضعية ومصير شرط التحكيم في حالة بطلان العقد

الذي ورد فيه شرط التحكيم؟.

لقد ذهب جانب من الفقه إلى أن استقلال اتفاق التحكيم يعني أن ننظر إلى شرط التحكيم الوارد في العقد على أنه يعتبر عقدا قائما بذاته رغم أنه ليس إلا جزءا من هذا العقد أو أحد بنوده، وتستند استقلالية الاتفاق التحكيمي إلى أن هذا الاتفاق يشكل عقدا ضمن العقد الآخر، أي أن الاتفاق التحكيمي يعد عقدا معادلا للعقد الأساسي²⁰، وهو ما أكدته الأستاذة ناريمان عبدالقادر بقولها: " إذا كان الشرط باطلا، فإن هذا يجب ألا يؤثر في العقد الذي يتضمنه، وإذا كان العقد نفسه باطلا أو فإن هذا يجب ألا يؤثر على شرط التحكيم، وهذا ما يعبر عنه بذاتية أو استقلالية شرط التحكيم، فشرط التحكيم وإن كان يرد في العقد الأصلي إلا أن له ذاتية متميزة ومستقلة عن العقد"²¹

ونحن نؤيد هذا الطرح، باعتبار أن كل من العقد وشرط التحكيم الذي ورد فيه كبند، كل منهما متميز عن الآخر، مما يؤدي إلى نتيجة مفادها بطلان أحدهما لا يؤدي إلى بطلان الآخر، والذي من شأنه تحقيق الغاية المرجوة من اللجوء إلى التحكيم كأسلوب بديل لحل المنازعات.

وعليه فيترتب عن النتيجة السابقة أنه إذا اعتبرت هيئة التحكيم أن العقد المتضمن لاتفاق التحكيم غير قائم أو باطل ولا أثر له، فإن هذا لا يؤدي إلى عدم نفوذ أو بطلان اتفاق التحكيم²²، ذلك لأن اتفاق التحكيم هو مجرد عقد يرد على الإجراءات، هدفه الفصل في المنازعات الناتجة عن الشروط الموضوعية التي يتضمنها العقد الأصلي وليس تحديد حقوق والتزامات الأطراف²³، وهو ما أكد عليه المشرع الجزائري في المادة 1040 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية ".... لا يمكن الاحتجاج بعدم صحة اتفاقية التحكيم، بسبب عدم صحة العقد الأصلي" ولقد اشترط المشرع الجزائري أن يثبت شرط التحكيم تحت طائلة البطلان بالكتابة في الاتفاقية الأصلية أو في الوثيقة التي تستند إليها، كما اشترط أن يتضمن شرط التحكيم تعيين المحكم أو المحكمين أو تحديد كيفية تعيينهم.²⁴ تجدر الإشارة إلى أنه في حالة ما إذا اعترضت عملية تشكيل محكمة التحكيم صعوبة بفعل أحد الأطراف أو بمناسبة تنفيذ إجراءات تعيين المحكم أو المحكمين، يعين المحكم أو المحكمين من قبل رئيس المحكمة الواقع في دائرة اختصاصها محل إبرام العقد أو محل تنفيذه²⁵، أما فيما يتعلق بمسألة عرض النزاع على محكمة التحكيم فيتم ذلك من قبل طرفي النزاع معا أو من الطرف الذي يهمله التعجيل²⁶.

مما سبق نستنتج أن الفرق بين شرط التحكيم واتفاق التحكيم (مشاركة التحكيم)، أن شرط التحكيم يرد كأحد بنود عقد معين لتنظيم طريقة حل المنازعات التي قد تنشأ في المستقبل بين طرفي العقد على خلاف ذلك كانت مشاركة التحكيم لا تبرم إلا في حالة وجود نزاع قائم بين الطرفين أو أكثر وتتفق الأطراف على إخضاعه للتحكيم لذلك تعتبر مشاركة التحكيم عقدا مستقلا قائما بذاته، بينما لا يتجاوز شرط التحكيم كونه شرطا أو بندا في عقد موضوعي وإن كان القانون الجديد قد أعطى له استقلاليته²⁷.

ثالثا: القانون الواجب التطبيق على التحكيم في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي

تثور مسألة تحديد القانون الواجب التطبيق على التحكيم أمام المحكم، حيث يجب على هذا الأخير التأكد من صحة الاتفاق على التحكيم ونفاذه، بأن يكون مستجيبا للمتطلبات التي يشترطها القانون الذي اتفق الأطراف على اختياره، أو القانون المنظم لموضوع النزاع أو القانون الذي يراه المحكم ملائما، كما يجب التحقق من قابلية النزاع للفض عن طريق التحكيم، فالمحكم في الخصومة التحكيمية غالبا ما يقوم بتطبيق قانون الإرادة، حيث يجوز للأطراف الاتفاق على اختيار نظام قانوني متكامل لكي يطبق على التحكيم أو أن يشترطوا تطبيق طائفة معينة من القواعد القانونية، حيث يمكن للأطراف اختيار نظام قانوني لأي من الطرفين أو كليهما أو حتى قانون دولة ثالث، كما يمكنهم الاتفاق على فض منازعاتهم طبقا للمبادئ العامة للقانون أو بعض القواعد السائدة في نظام معين²⁸، كما يمكن للأطراف النص صراحة على القانون الواجب التطبيق كاختيار القانون الجزائري مثلا، فمعظم التشريعات الوطنية تمنح الأولوية لإرادة الأطراف في اختيار القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع الاستثماري طالما أن ذلك لا ينطوي على أي خروج عن القواعد الآمرة والمتعلقة بالنظام العام في الدول المعنية، أو يكون هذا الاختيار مشوبا بالغش نحو القانون الذي كان من المفروض تطبيقه على موضوع النزاع²⁹.

غير أنه قد يصعب على الأطراف في عقود الاستثمارات الأجنبية الاتفاق على قانون معين نظرا لرغبة كل طرف في تطبيق قانونه الوطني أو قانون من اختياره وحده، إذ يجهل كل طرف احكام قانون الطرف الآخر وكلاهما يجهل احكام قانون محايد، ومن ثم فلا يكون أمامهما من خيار سوى التزام الصمت وعدم الاتفاق على القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع، حيث يترك الأطراف الحرية للمحكم لتحديد القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع طالما لم يتفق الأطراف على اختيار قانون معين ليحكم موضوع النزاع الاستثماري³⁰.

رابعاً: أثر اختيار الأطراف اللجوء إلى التحكيم في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي

إن اختيار الأطراف اللجوء إلى التحكيم سواء عن طريق شرط التحكيم أو مشاركة التحكيم تترتب عنه آثار عديدة أهمها:

1- منع اللجوء إلى القضاء عند اتفاق الأطراف على اللجوء إلى التحكيم في عقود الإستثمار الأجنبي السياحي، فإن هذا ينزع الإختصاص من القضاء الداخلي، وهو ما كرسته الاتفاقيات الدولية، منها اتفاقية نيويورك التي صادقت عليها الجزائر سنة 1989 المتعلقة بالإعتراف وتنفيذ الأحكام التحكيمية الأجنبية³¹ والتي عرفت بموجبها الجزائر التحكيم التجاري الدولي أول مرة، والتي نصت في المادة 2 فقرة 2 على أنه: "تقوم أي دولة متعاقدة يرفع إليها النزاع بشأن قضية أبرم الأطراف بخصوصها اتفاق التحكيم" وهو ما تبناه وكرسه المشرع الجزائري في المادة 1045 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية بقوله: "يكون القاضي غير مختص بالفصل في موضوع النزاع إذا كانت الخصومة التحكيمية قائمة، إذا تبين له وجود اتفاقية تحكيم على أن تثار من أحد الأطراف"، حيث يفهم من نص المادة السالفة الذكر أن المشرع الجزائري قد نزع صراحة الاختصاص من القاضي للفصل في موضوع النزاع في حالتين:

- الحالة الأولى وهي أن نكون أمام خصومة تحكيمية قائمة.
 - الحالة الثانية وهي وجود اتفاقية تحكيم سواء تمثلت في شرط التحكيم الوارد في العقد الأصلي أو مشاركة (اتفاق) التحكيم والذي يكون قد تم ابرامه بعد وقوع النزاع.
- إلا أن عدم اختصاص القضاء لا يكون بصفة تلقائية، بل يشترط أن يكون بموجب طلب من أحد أطراف إتفاقية التحكيم لعقد الإختصاص للتحكيم.

2- اللجوء إلى هيئة التحكيم: إن الالتزام بإسناد النزاع في اتفاق التحكيم على المحكمين ناتج عن التطبيق المحض لقاعدة العقد شريعة المتعاقدين والتي نص عليها المشرع الجزائري في المادة 106 التي نصت على: "العقد شريعة المتعاقدين فلا يجوز نقضه، ولا تعديله إلا باتفاق بين الطرفين، أو للأسباب التي يقرها القانون" كما تم تكريس نفس الاتجاه في المادة 2 فقرة 1 من اتفاقية نيويورك التي صادقت عليها الجزائر "تعتمد كل دولة من الدول المتعاقدة "الاتفاقية المكتوبة" التي يلتزم بها الأطراف بأن تعرض على التحكيم جميع الخلافات أو بعضها التي قامت أو يمكن أن تقوم بينها بخصوص علاقة قانونية معينة تعاقدية كانت أو غير تعاقدية"

3- مبدأ الاختصاص بالاختصاص: يقصد بهذا المبدأ أن يختص المحكم بتحديد اختصاصه بنظر المنازعات، تحديد سلطته وتقرير إذا كان النزاع صحيحاً أم لا، ونتيجة لذلك فإنه في حالة اعتراض أحد طرفي عقد الاستثمار بأنه لا يوجد اتفاق تحكيم أو أن موضوع النزاع مما لا يختص به التحكيم، فإن الذي يحدد ذلك ويقرر صحته من عدمه هي هيئة التحكيم وحدها دون قضاء الدولة، هذا ما يجعل هذا المبدأ ينسجم ويؤكد فعالية التحكيم في منازعات الاستثمار والتي تتطلب السرعة في الإجراءات، وعليه فإن هذا المبدأ من شأنه قطع الطريق أمام الطرف السيء النية من تعطيل إجراءات التحكيم وذلك عن طريق عدم تمكينه من تقديم طعون أمام جهات القضاء العادي للدولة.

خامساً- مزايا ومبررات اللجوء للتحكيم التجاري في عقود الاستثمار الأجنبي السياحي

إن اختيار التحكيم كإحدى الوسائل البديلة لحل المنازعات الناتجة عن الاستثمار الأجنبي السياحي المباشر ليس عبثياً، بل نتيجة لما يتميز به هذا الأخير من مزايا وضمائمات من شأنها تشجيع الاستثمارات الأجنبية السياحية في الجزائر، هذه المزايا تتمثل في:

1- مرونة التحكيم وتناسبه مع منازعات الاستثمار الأجنبي السياحي: إن التحكيم يرتكز أساساً وفي المقام الأول على مبدأ سلطان الإرادة، لذلك فهو الأنسب لعقود الاستثمار التي تتميز بأنها ذات قيمة مالية كبيرة، وممتدة لفترة زمنية طويلة قد تدوم عشرات السنين، لذلك يعد التحكيم الأكثر ملاءمة لأطراف العلاقة العقدية باعتباره يتلاءم ويتوافق مع عقود الاستثمار، وهذا ما يبرز في القواعد والإجراءات التي تنظم التحكيم التي تعتبر قواعد مكتملة لإرادة الأطراف، مما يضيف على التحكيم صفة المرونة في تسوية النزاعات الناشئة عن عقود الاستثمار الأجنبي السياحي.

2- توفر عنصر السرعة: تتميز عقود الاستثمار الأجنبي السياحي بأنها تتعلق بمشاريع ومصالح اقتصادية بالغة الأهمية، كما أنها تتطلب أموال ضخمة، لذلك وجب الفصل في النزاعات التي قد تنشأ عنها والتي يمكن أن تؤدي إلى تعطيل أو تأخير تجسيدها، لذلك تعد الطرق البديلة لحل النزاعات، والذي يعد التحكيم أحسن وأسرع الطرق لفض المنازعات الناشئة عن عقود الاستثمار الأجنبية السياحية، وذلك لسرعة إجراءاته، والتي لا يجدها عادة الخصوم لدى الأنظمة القضائية التقليدية، مما جعل أطراف عقود الاستثمار الأجنبي تفضل التحكيم التجاري الدولي لإعتبارين³²: الأول أن نظام التقاضي الخاص بالتحكيم هو نظام من درجة واحدة على خلاف الأحكام القضائية الخاضعة لمبدأ التقاضي على درجتين ومعرضة لطرق الطعن العادية وغير العادية³³، أما الثاني فلأن المحكم ملزم بالفصل في النزاع في زمن محدد من قبل أطراف النزاع.

3- ضمان السرية لأطراف النزاع: إن أهم ميزة يتميز بها التحكيم هي الحفاظ على السرية، وذلك يتناسب مع ما تستلزمه بعض عقود الاستثمار الأجنبي من سرية، فجلساته غير علنية وأحكامه غير منشورة، فأطراف العقود

الإستثمارية غالبا ما يفضلون عدم إداء مَنازعاتهم حتى لا تتأثر مراكزهم المالية أو الإقتصادية³⁴، كما أن السرية من شأنها أن تحافظ على استمرار العلاقة بين الأطراف المتنازعة³⁵.

4- توفر الخبرة في هيئة التحكيم: إن خصوصية منازعات الإستثمار الأجنبي، تتطلب عملية الفصل فيها، من قبل أشخاص مؤهلين لذلك، وهو الأمر الذي يتوفر أكيد في المحكمين المختارين من قبل الأطراف، لأن سبب اختيارهم راجع لما يتمتع به هؤلاء من خبرة ودراية في مجال عقود الإستثمار³⁶، على عكس القضاة الذين يفتقرون إلى التكوين المتخصص في هذا المجال، مما يجعل المحكمين أكثر فعالية وسرعة في فض المنازعات الناشئة عن عقود الإستثمار الأجنبي المباشر السياحي، كما ان استقلالية المحكم ميزة إضافية تبرر اللجوء إليه فهو غير تابع لأي دولة، ولا لأي قانون، كما أن القرارات التي يصدرها لا تصدر باسم سيادة دولة معينة، مما يدعم ثقة أطراف النزاع في هذا الطريق البديل لحل النزاعات³⁷.

5- سهولة الإجراءات أمام هيئة التحكيم: إن تحديد الخصوم لإجراءات سير الخصومة التحكيمية بحرية وفقا لإرادتهم، أو اختيارهم لقانون وطني معين ليحكمها، أو تركهم الحرية لهيئة التحكيم لإختيار القواعد الإجرائية المناسبة في ذلك، من شأنه جعل إجراءات التحكيم التجاري الدولي لاسيما في منازعات عقود الإستثمار أكثر سهولة وغير معقدة، سواء من حيث مواعيد الجلسات أو تقديم البيانات³⁸.

خاتمة

من خلال دراستنا نجد أن التحكيم عامة والتحكيم التجاري الدولي خاصة يلعب دورا هاما في تشجيع الإستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر، لما يقدمه هذا الأخير من ضمانات للمستثمر الأجنبي، من خلال احتكامه للتحكيم كوسيلة بديلة لحل النزاعات الناشئة عن الإستثمارات الأجنبية السياحية، بدلا من القضاء الوطني، هذا الأخير الذي يعتبر محل شك وعدم ثقة فيه من المستثمرين الأجانب.

إن المشرع الجزائري ونتيجة لتعديل قوانينه بإجازة اللجوء للتحكيم في قانون الإجراءات المدنية والإدارية 08-09 وقوانين الإستثمار، قد تخطى بذلك النظرة الضيقة التي كانت سائدة في الثمانينيات، وفتح المجال للجوء للتحكيم، مما أسهم ويسهم في جذب الإستثمار الأجنبي السياحي في الجزائر، وهذا أكيد راجع إلى المزايا التي تميز التحكيم عن قضاء الدولة الداخلي باعتباره أكثر مرونة ويسر وأقل تكلفة، إضافة إلى طابعه السري وفعالته في حل النزاعات الناشئة عن الإستثمارات الأجنبية السياحية نتيجة اعتماده على محكمين يعدون خبراء في مجال الإستثمار. تعد استقلالية شرط التحكيم عن عقد الإستثمار ومبدأ الاختصاص بالاختصاص ضمانتين إضافيتين للإستثمار الأجنبي في الجزائر، من شأنهما تشجيع المستثمرين الأجانب للإقبال على الإستثمار السياحي.

الهوامش والمراجع

- ¹ خليل بوضنوبرة، القرار التحكيمي وطرق الطعن فيه وفقا للقانون الجزائري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم "قانون عام"، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، 2008، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، 2008، ص 16.
- ² ربيعة بسكري، التحكيم كضمانة إجرائية لتسوية منازعات الاستثمار الدولية، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد السابع، جوان 2016، ص 172.
- ³ ميلود سلامي، جمال بوسته، التحكيم التجاري كضمان إجرائي لتسوية منازعات الإستثمار، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسة، العدد الخامس، مارس 2017، ص 145.
- ⁴ أنظر المادة 1039 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ⁵ وائل عز الدين يوسف، التحكيم في العقود الإدارية ذات الطابع الدولي (دراسة مقارنة بين مصر وفرنسا والدول العربية)، دار النهضة العربية، 2010، ص 96.
- ⁶ طاهر حيدر حردان، مبادئ الاستثمار، دار المستقبل، الأردن، 1997، 37.
- ⁷ سمية كمال، النظام القانوني للاستثمار الأجنبي في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير "قانون خاص"، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الحقوق، 2002-2003، ص 02.
- ⁸ معاوية أحمد حسين، الاستثمار الأجنبي المباشر وأثره على النمو والتكامل الاقتصادي بمجلس التعاون لدول الخليج العربية، جامعة ظفار كلية التجارة وإدارة الأعمال، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، 2014، ص 104.
- ⁹ ميلود سلامي وجمال بوسته، مرجع سابق، ص 148.
- ¹⁰ محمد طالي، أثر الحوافر الضريبية وسبل تفعيلها في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد السادس، ص 314.
- ¹¹ محمد طالي، المرجع السابق، ص 315.
- ¹² والي نادية، التحكيم كضمان للاستثمار في إطار الاتفاقيات العربية الثنائية والمتعددة الأطراف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير "فروع قانون الأعمال"، كلية الحقوق والعلوم التجارية أحمد بوقرة بومرداس، 2006، ص 21.
- ¹³ للاطلاع أكثر أنظر المادة 09 من الاتفاقية المبرمة بين الحكومة الجزائرية والحكومة الكويتية للتشجيع والحماية المتبادلة للاستثمارات، الموقعة الكويت في 30 سبتمبر 2001، المصادق عليها بالمرسوم الرئاسي رقم 03-370 مؤرخ في 20 أكتوبر 2003، ج. ر. ج عدد 66، صادر في 02 نوفمبر 2003.
- ¹⁴ لمزيد من الاطلاع أنظر المادة 8 من الاتفاقية المبرمة بين الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وحكومة الجمهورية الفرنسية بشأن التشجيع والحماية المتبادلتين فيما يخص الاستثمارات وتبادل الرسائل المتعلقة بهما الموقعين بمدينة الجزائر في 13 فيفري 1993، المصادق عليه بموجب المرسوم الرئاسي رقم 94-01 المؤرخ في 02 جانفي 1994 ج. ر. ج، عدد 01، صادر في 02 جانفي 1994.
- ¹⁵ والي نادية، مرجع سابق، ص 22.
- ¹⁶ اتفاقية واشنطن المتضمنة تسوية المنازعات المتعلقة بالاستثمارات بين الدول ورعايا الدول الأخرى للمركز الدولي، والمصادق عليها بموجب المرسوم الرئاسي رقم 95-346 المؤرخ في 30 أكتوبر 1995، ج. ر. ج، عدد 66، صادر في 15 جانفي 1995.

- ¹⁷ نص المشروع الجزائري في المادة 1008 فقرة 01 من القانون 08-09: "يثبت شرط التحكيم تحت طائلة البطلان بالكتابة في الإتفاقية الأصلية أو في الوثيقة التي تستند إليها"
- ¹⁸ أنظر المادة 1008 فقرة 02 من القانون 08-09 المتعلق بقانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ¹⁹ رشا موسى محمد، دور اتفاق التحكيم في حل منازعات الاستثمار الأجنبي، مجلة أهل البيت، العدد 11، ص 186.
- ²⁰ أنظر المادة 1012 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ²¹ زهيرة كيسي، مبدأ استقلالية الشرط التحكيمي عن العقد، مجلة الإجتهد للدراسات القانونية والإقتصادية، الجزائر، العدد 08، جوان 2015، ص 52.
- ²² أنظر المادة 1013 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ²³ نادية خراز، مبدأ حرية التحكيم التجاري الدولي، المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية، جامعة حمه لخضر الواد، بدون س، ص 83.
- ²⁴ ابراهيم أحمد ابراهيم، التحكيم الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1997، ص 86.
- ²⁵ رشا موسى محمد، المرجع السابق، ص 187.
- ²⁶ للمزيد من الاطلاع أنظر المادة 1008 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ²⁷ للمزيد من الاطلاع أنظر المادة 1009 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ²⁸ للمزيد من الاطلاع أنظر المادة 1010 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية.
- ²⁹ حازم كمال، الموسوعة الشاملة في التحكيم في المنازعات المدنية والتجارية محليا ودوليا، دون طبعة ودار نشر، ص 281.
- ³⁰ جلال وفاء محمد، التحكيم تحت مظلة المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار، دون طبعة، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 43.
- ³¹ زهيرة كيسي، مرجع سابق، ص 59.
- ³² ميلود سلامي، جمال بوستة، مرجع سابق، ص 147.
- ³³ بشير سليم، أهمية التحكيم في إبرام العقود التجارية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، بدون س، العدد 7، ص 139.
- ³⁴ ميلود سلامي، جمال بوستة، المرجع السابق، ص 147.
- ³⁵ بشير سليم، مرجع سابق، ص 139.
- ³⁶ منى بوختالة، التحكيم كوسيلة لتسوية المنازعات في مجال الإستثمار، مذكرة مقدمة استكمالاً لنيل شهادة الماجستير في القانون العام "فرع التنظيم الإقتصادي"، جامعة قسنطينة 1، 2013-2014، ص 81.
- ³⁷ الطاهر براك، تسوية منازعات الإستثمار الأجنبي عن طريق التحكيم التجاري لدى التشريع الجزائري، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، المجلد العاشر، العدد 2، الجزء 2، ص 266.
- ³⁸ نفس المرجع، ص 264.

L'exploitation du patrimoine culturel pour la promotion du développement touristique durable

Cas des sites historique et archéologiques dans la wilaya de Jijel (Algérie)

Dr. MEDJITNA Wafa
Université Alger2

Résumé :

Aujourd'hui, le tourisme se considère comme pilier essentiel de l'économie mondiale de par sa contribution dans les PIB estimée à 9.8% en 2014, et le nombre des emplois qu'il révèle ; de ce fait, plusieurs Etats dans le monde donne une grande importance et s'intéressent davantage à ce secteur producteur de la richesse et moteur du développement, notamment de la part des pays rentiers qui affrontent ces dernières années une crise suite à la chute des prix du pétrole ; ils se trouvent dans situation critique et obligés de chercher une source de revenue plus efficace et plus durable.

L'Algérie a pris conscience de la question, elle a accordé une grande importance à ce secteur, qui reste encore d'une dynamique timide notamment en ce qui concerne l'exploitation du patrimoine culturel. La wilaya de Jijel, cette wilaya littoral dispose aussi bien de potentiel naturel que culturel, notamment historique et archéologique ; néanmoins, la wilaya à l'instar des autres wilaya du pays se voit concentrer sur la mer et la forme balnéaire du tourisme

A travers le présent papier, nous voulons mettre le point sur l'importance du tourisme culturel notamment par l'exploitation du patrimoine culturel représenté essentiellement par des sites historiques et archéologiques pour l'Algérie et la wilaya de Jijel en particulier afin d'assurer des revenus considérables pour l'intérêt local et national dans le but de voir les stratégies de développement réalisées sur terrain ; cependant, il convient d'insister sur la prudence nécessaire pour ne pas compromettre ce potentiel touristique et ne pas priver les générations futures leur droit de l'exploitation, dans un regard, contexte, regard du développement durable.

Mots clés : tourisme, patrimoine culturel, sites archéologiques, Algérie, Jijel, développement durable, tourisme durable.

الملخص: تعتبر السياحة اليوم ركيزة أساسية في الاقتصاد العالمي سواء من حيث مساهمتها في الناتج الداخلي الخام المقدر بـ 9.8 % (2014)، أو من خلال توفير مناصب الشغل، كل هذا دفع بالدول خاصة التي مستها الأزمة الاقتصادية بعد انخيار أسعار المحروقات إلى الاهتمام بهذا القطاع من أجل ضمان مصادر تمويل أكثر استدامة.

على غرار باقي دول العالم، خاصة الربيعية منها، الجزائر اليوم واعية بهذه الحقيقة، لذلك فقد أولت القطاع أهمية كبيرة، لكن ورغم ذلك تبقى الديناميكية السياحية ضعيفة تركز أساسا على السياحة الشاطئية الفصلية دون أن استغلال أكبر للموارد السياحية الأخرى خاصة منها المرتبطة بالتراث الثقافي، وبالأخص التاريخي والأركيولوجي الذي تزخر به كثيرا.

من خلال ورقتنا البحثية، نود الإشارة إلى أهمية السياحة الثقافية من خلال استغلال التراث الثقافي و ترميم المواقع الأثرية والتاريخية في البلاد عامة و ولاية جيجل خاصة، هذه الأخيرة التي تحوز على مواقع تراثية عديدة قليلة الاستغلال أو غير مستغلة ومهملة ومهمشة في مختلف استراتيجيات تطوير القطاع السياحي في الولاية. و ذلك رغم قدرتها على المساهمة في ضمان تنمية سياحية مستدامة تعود بالفائدة على الولاية و البلاد عامة.

كلمات مفتاحية: السياحة، التراث الثقافي، المواقع الأثرية، الجزائر، جيجل، التنمية المستدامة، السياحة المستدامة.

Introduction : Aujourd'hui, tous les pays du monde cherchent des ressources de financement durable en se basant essentiellement sur le secteur touristique qui ne demande pas de grands investissements et budgets. L'Algérie, le pays rentier, se voit aussi consciente de cette réalité notamment depuis le début de la crise économique engendrée par la chute des prix de baril, chose qui l'a poussé à marcher sur les mêmes pas en adoptant une stratégie en la matière et qui demeure encore faible et non efficace notamment en ce qui concerne l'exploitation du patrimoine culturel à l'inverse de ses voisins (la Tunisie et le Maroc), malgré son potentiel énorme de toutes sortes : matériel et immatériel.

La wilaya de Jijel n'échappe pas de ce contexte général; elle recèle aussi d'important potentiel en matière du patrimoine historique et archéologique; cependant, la stratégie touristique dans la wilaya délaisse ces trésors et se concentre essentiellement sur la forme balnéaire estivale.

Le présent travail vise à examiner d'une manière générale la durabilité du tourisme dans la wilaya de Jijel par le volet d'exploitation du potentiel en patrimoine culturel « historique et archéologique » dans la wilaya de Jijel

1. Concepts clés : Platon a dit : « la connaissance des mots, conduit à la connaissance des choses » ; de ce fait, on a préféré d'entamer le travail par éclairer certains concepts clés et essentiels.

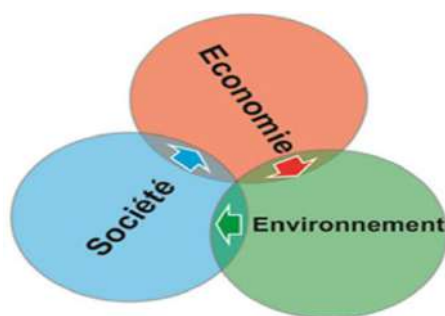
1.1. Le tourisme : on peut adopter la définition standard donnée par l'Organisation mondiale du tourisme (OMT) qui considère le tourisme comme étant « *les activités déployées par les personnes au cours de leurs voyages et de leurs séjours dans les lieux situés en dehors de leur environnement habituel pour une période consécutive qui ne dépasse pas une année à des fins de loisirs, pour affaires et autres motifs* »¹. De toute manière, le tourisme occupe une place importante dans les économies des pays qui cherchent diversifier leurs sources de revenus ; il se présente aussi sous diverses formes : le tourisme balnéaire, le tourisme sportif, le tourisme d'affaires, culturel, sexuel, et encore l'écotourisme qui signifie la forme la plus durable.

1.2. Le développement durable: la définition la plus originale pour le développement durable demeure celle de madame Brundtland dans son rapport « *notre avenir à tous* » ; elle a mentionné que le développement durable est le développement qui « *répond aux besoins du présent sans compromettre la capacité des générations futures à répondre aux leurs* »². Le développement durable se base donc sur trois piliers : le pilier économique, le pilier social et le pilier environnemental très important pour assurer l'équilibre des écosystèmes, chose qui est indispensable pour la vie de l'homme sur la terre. Ces trois piliers (figure 01), doit fonctionner en interaction ce qui nécessite un autre mécanisme et qui est la bonne gouvernance.

¹ Site officiel de l'OMT :

² BRUNDTLAND Gro Harlem: *Notre avenir à tous*, rapport de la commission Mondiale sur l'Environnement et le développement, Les Editions du Fleuve, 1987. P14

Fig. 01 : les trois piliers du développement durable



1.3. Le tourisme durable: le tourisme durable consiste en une expression composée de deux concepts: tourisme et développement durable; les deux concepts sont tellement attachées, c'est avec l'apparition de celle de développement durable que le tourisme est devenu un secteur économique essentiel dans la réalisation d'une croissance efficace, il devient aussi le garant pour assurer l'équilibre entre le développement économique et la préservation de la nature. Il devient aussi un sujet d'importance que les politiciens l'utilisent même dans leurs discours pour convaincre les auditeurs.

1.4. Le patrimoine culturel: La notion du patrimoine est une notion moderne inventée par le monde occidental ; en Algérie elle est apparue au lendemain de la conquête française en 1830, la définition et la découverte du patrimoine sur le territoire de l'Algérie était l'œuvre d'un corps savant constitué d'archéologues, d'explorateurs scientifiques, d'architectes et de dessinateurs

Associé à une volonté militaire exprimée par de nombreuses expéditions.³

On entend par patrimoine culturel « *Le patrimoine culturel est, dans son sens le plus large, à la fois un produit et un processus qui fournit aux sociétés un ensemble de ressources héritées du passé, créées dans le présent et mises à disposition pour le bénéfice des générations futures. Il comprend non seulement le patrimoine matériel, mais aussi le patrimoine naturel et immatériel* »⁴. Et comme dit un proverbe arabe : « *le passé n'est pas derrière nous, il est sous nos pieds* ». Cette définition exprime une vision à long terme qui cherche à la fois de satisfaire (répondre) les besoins des générations actuelles et préserver la nature sur la planète terre pour les générations futures. Il doit permettre à tous et leur donner une chance pour se bénéficier des ressources disponibles sur notre planète ; il propose une autre façon d'envisager le développement.

2. PRESENTATION DE LA WILAYA DE JIJEL :

2.1. Cadre géographique: la wilaya de Jijel est une wilaya littorale de l'Est algérien, limitée par : la mer méditerranéenne par le Nord, Skikda par l'Est, Mila, Constantine, Sétif par le Sud et Béjaïa par l'Ouest (*Figure 02*).

³ Malika BOUSSERAK, Mohamed Salah ZEROUALA : *INVENTAIRE DU PATRIMOINE URBAIN : CAS DES VILLES MÉDIÉVALES DU NORD DE L'ALGÉRIE ET DES villes RESTRUCTURÉES AU XIXe SIÈCLE* ; Cinq Continents, revue roumaine de géographie, Volume 8 / Numéro 17, Été 2018. P04

⁴ UNESCO: Rapport Sur La Durabilité Du Patrimoine, 2016

Fig. 02 : La localisation géographique de la wilaya de Jijel



D'une superficie de 2350 km², elle a la forme allongée, ce qui permet à la wilaya de disposer un étendu littoral étroit estimé à 120Km (1/10 le littoral algérien)⁵ ; ça constitue un élément favorisant l'ouverture de Jijel sur la mer par diverses activités (pêche, transport et tourisme), ce qui n'est pas tellement exploité. La plus part des cotes jijilienne se trouvent aujourd'hui à l'état vierge si on écarte certaines exploitations touristiques estivales.

729

Coté climat, la wilaya de Jijel présente un climat de type méditerranéen, caractérisé par une période de sécheresse estivale de 3 à 4 mois

2.2. Aperçu historique: la wilaya a connu la succession de plusieurs civilisations, phéniciens (le 6^{ème} siècle A.J.C), romains (le 2eme siècle A.J.C), ottomans (1515) et français (1839). il convient de rappeler ici l'origine du nom « Jijel » Ighil-Ighil (berbère) qui signifie de colline en colline ; IGILGILI (mot romain) qui signifie le cercle de la pierre Néanmoins, la ville n'a pas pris ce nom Jijel qu'avec l'arrivé des musulmans au Maghreb ; puis Djidjeli à l'époque française, pour revenir enfin après l'indépendance à JIJEL⁶.

2.3. Contexte économique: la wilaya procède un grand potentiel agricole et touristique, et pourtant, la priorité s'est donnée au secteur industriel par l'installation, dès les années 70-80 de plusieurs projets industriels qui accompagnent les chefs-lieux de daïra : El Milia, Taher et Jijel. Une grande importance se donne encore à l'industrie via le grand projet de Bellara, qui consiste en un complexe sidérurgique, sur lequel la population de la wilaya compte et espère voir des retombés bénéfiques sur le développement de leur wilaya, notamment en ce qui concerne l'emploi.

2.4. Secteur touristique: La wilaya de Jijel, à l'instar du Pays en général et de plusieurs wilayas du littoral algérien, dispose d'énormes potentiels en matière de

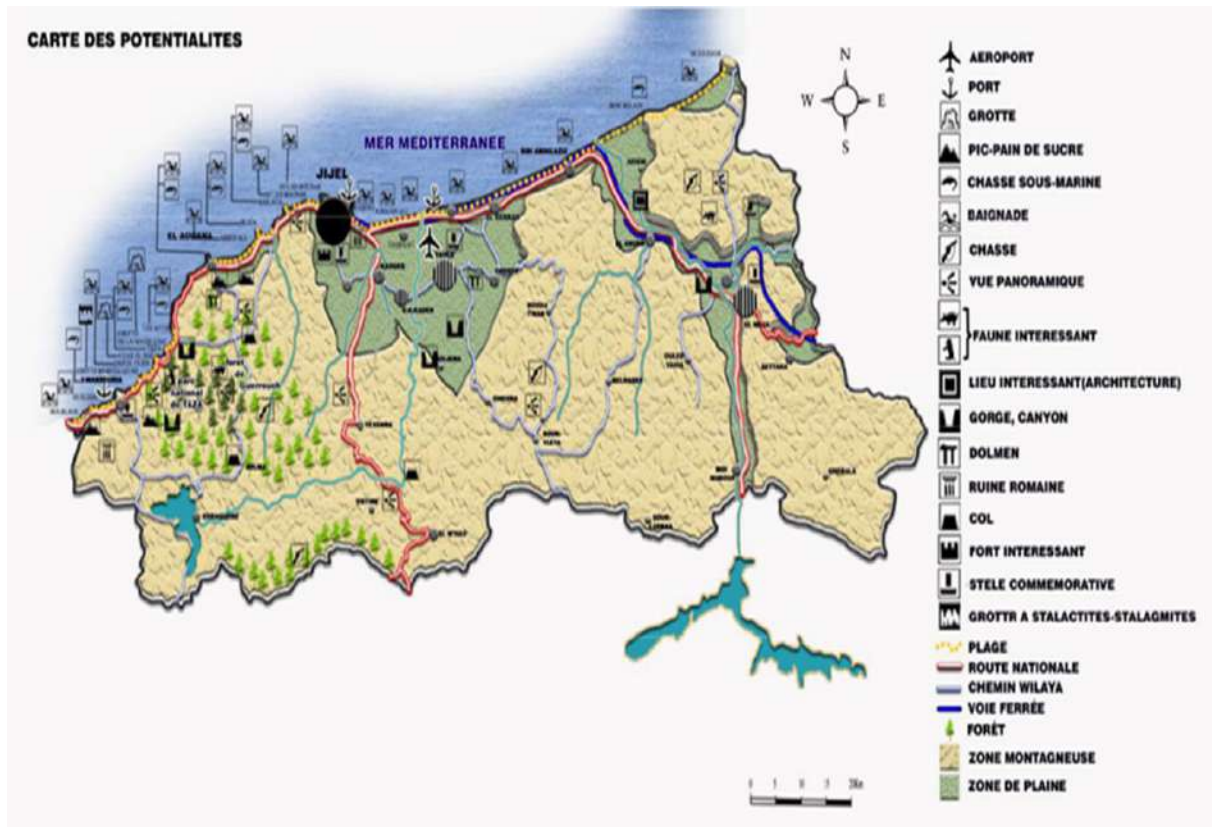
⁵ PDAU de la commune de Jijel, révision 2015.

⁶ Agence Nationale d'Intermédiation et de Régulation Foncière (ANIREF): Rubrique monographique de la wilaya de Jijel, 2011

tourisme(Figure 03), longue façade maritime (120Km), plages diverses entre la forme sableuse et la forme rocheuse, des îles et des îlots, biodiversité faunistique et floristique, sous-marine et forestière, paysages paradisiaques, montagnes et forêts à l'état sauvage, des sites naturels classés et parcs nationaux(le parc national de Taza et la réserve de Beni Belaid), des sites historiques et archéologiques multiples, ...

Tous ces éléments constituent des facteurs pouvant favoriser la promotion d'un développement touristique à long terme et qui va en harmonie et en cohérence avec les spécificités du milieu naturel fragile aussi bien que l'anthropique. C'est le tourisme durable ou d'une autre manière l'éco-tourisme. Néanmoins, le terrain nous illustre une réalité autre du secteur dans la wilaya, une dynamique timide et qui touche beaucoup plus le tourisme balnéaire saisonnier (la saison estivale) ; l'exploitation des potentiels culturel est tellement négligeable et les sites historiques et archéologiques sont délaissés et peu ou pas aménagés et maintenus.

Fig. 03 : Le potentiel touristique dans la wilaya de Jijel



3. LE POTENTIEL EN PATRIMOINE CULTUREL, DES SITES ET DES VESTIGES HISTORIQUES NON OU PEU EXPLOITES:

Comme on a déjà mentionné, la wilaya de Jijel dispose d'énorme potentiel touristique tellement diversifié ; le potentiel culturel par son volet patrimonial est présent aussi ; cependant, son exploitation demeure faible si on ne dit pas absente. Donc, on a préféré de rassembler le maximum des données sur les sites pouvant être classé parmi le patrimoine historique et archéologique et soutenir la diversification de l'activité touristique dans la wilaya. Ces sites peuvent être classés en trois classes comme suit :

3.1. Sites archéologiques : il s'agit de :

- ❖ *La nécropole punique de la Pointe-Noire* : connu chez les jijiliens par *Rabta* ; c'est l'une des plus importantes nécropoles en Algérie, elle est située sur une éminence en tuf battue par la mer et les vents. Découvertes par les français depuis leurs explorations l'entourage de la ville en 1888, elles représentent plusieurs centaines de tombes de type punique des différents genres: simples fosses et caveaux avec ou sans escaliers¹.

Fig. 04 : La nécropole punique de la Pointe-Noire (Rabta)



731

- ❖ *Le site de Aïn Tissillil* : ces ruines se trouvent à 7km au sud de la commune de Settara, daïra d'El Milia ; il s'étale sur une superficie d'environ 08 hectares. Le site est entièrement sous les terres, n'émergeant en surface qu'une succession de pierres taillées qui délimitent légèrement certaines parties de la cité avec quelques monuments diversement reconnus tels que une huilerie, des bains et diverses mosaïques éparpillées ça et là et en dégradations permanentes.

Fig.05 : Aïn Tissillil , Settara



- ❖ **Les Mosaïques** : plusieurs pièces peuvent être mentionnées, dont la plus importantes demeure celle d'El Akbia ; cette mosaïque a été découverte en 1895 par Charles Ménéret, administrateur de la commune d'El-Milia et publiée dans le Recueil de Constantine de l'année suivante.

¹ www.jijel-archeo.123.fr

Fig.06 : Mosaïque d'El Akbia, El Milia

Cette découverte est venue dans le cadre de plusieurs travaux menés par les français sur les vestiges archéologiques de la basse vallée de l'Amsaga, c'est-à-dire entre le Hammam des Beni Haroun et la mer¹.

Une autre pièce de mosaïque a été retrouvée toujours par les français en 1839 sur le site de la citadelle dans la ville de Jijel.

Fig.07 : Mosaïque de la citadelle

- ❖ **Des murs témoins de la vieille ville :** le premier (*Fig. 08*) s'agit d'un mur qui faisait partie de la ville qui remonte à l'époque turque en Algérie, et qui a été détruite en sa totalité par le séisme qui l'a frappé en mois d'Août 1856 ; plusieurs histoires ont raconté l'existence d'importants vestiges sous-marins retrouvés par des plongeurs près de ce site qui reste, malheureusement, marginalisé et sous-estimé dans les stratégies de valorisation du patrimoine et de promotion du tourisme dans la wilaya.

Le deuxième (*Fig. 09*), remonte à l'époque romaine, une partie restante du rempart construit par les romains afin de protéger la ville à l'époque, ainsi que son comptoir commercial, reconstruit ultérieurement par les français (port Bouddis).

Fig. 08: mur de la ville turque. Jijel

¹ <http://www.algerieinfos-saoudi.com>, consulté le 10/02/2019.

Fig.09 : le Fort Romain (port Bouddis)

3.2.Monuments et sculptures : la wilaya de Jijel, notamment la ville chef-lieu de wilaya, est riche en travaux artistiques qui remontent à l'époque coloniale à l'instar du grand phare à Ras-El Afia, et le musée au centre ville, ainsi que la sculpture de l'homme pêcheur, symbole de la liberté. En contrepartie, le monument du bateau de Baba Arroudj qui a libéré la région des menaces des espagnoles depuis plus de quatre siècles, accueille les visiteurs de la ville en arrivant par l'Est (en face l'hotel Kotama).

Fig.10 : Le Grand Phare à Ras Elafia

733

Fig.11 : Statue de pêcheur*Fig.12 : Musée Kotama*

Fig.13 : Bateau BABAARROUDJ

3.3.Constructions réunies :représentées par le cœur ancien de la ville de Jijel, chef-lieu de wilaya, couramment appelé « le triangle historique colonial ». Il s'agit d'un ensemble de constructions qui datent de l'époque coloniale et qui présentent des spécificités architecturales et urbaines (plan en damier. La présence de l'ancien port converti en un port militaire, soutien d'avantage l'importance de cet espace dans les études architecturaux et urbaines.

Fig. 14:Le triangle colonial de la ville de Jijel

CONCLUSION : l'activité touristique dans la wilaya de Jijel présente une dynamique faible en se limitant dans la saison estivale, aucun intérêt n'est accordé au patrimoine culturel de son volet historique et archéologique qui demeure non exploité et non valorisé pour la promotion du secteur touristique durable dans la wilaya ; le facteur humain demeure essentiel et le premier responsable:

- ✓ L'insuffisance des infrastructures routières ce qui laisse certain site archéologique en situation isolée ;
- ✓ L'insuffisance aussi en ce qui concerne la structure de réception, notamment les hôtels qui se concentrent sur la zone littorale notamment dans le centre-ville, chef-lieu de wilaya ;
- ✓ Absence quasi-totale d'un intérêt accordé à ce type de patrimoine dans les stratégies de développement touristique de la wilaya, c'est un potentiel sous-estimé ;

- ✓ Les sites archéologiques délaissés, peu ou pas maintenus ;
- ✓ Absence d'un intérêt chez les habitants et même chez les agences touristiques qui n'accordent pas grand intérêt pour ces sites dans leurs visites programmées.

BIBLIOGRAPHIE :

- BRUNDTLAND Gro Harlem: Notre avenir à tous, rapport de la commission Mondiale sur l'Environnement et le développement, Les Editions du Fleuve, 1987.
- GRIMES Said : Le tourisme environnemental et l'aménagement urbain du littoral « cas de la ville de Jijel »; mémoire de magister en architecture, université de Constantine, 2007.
- Malika BOUSSERAK, Mohamed Salah ZEROUALA : INVENTAIRE DU PATRIMOINE URBAIN : CAS DES VILLES MÉDIÉVALES DU NORD DE L'ALGÉRIE ET DES villes RESTRUCTURÉES AU XIXe SIÈCLE ; Cinq Continents, revue roumaine de géographie, Volume 8 / Numéro 17, Été 2018
- UNESCO: Rapport Sur La Durabilité Du Patrimoine, 2016,
- Direction du Tourisme de la wilaya de Jijel, 2018.
- PDAU Jijel, révision 2015.
- ANIREF: Monographie de la wilaya de Jijel, 2016
- www.jijel-archeo.123.fr
- Office jijelien de tourisme: www.ojt.dz/

L'IMPACT DES DECISIONS MINISTERIELLES SUR L'UTILISATION DES MATERIAUX LOCAUX AU SUD ALGERIEN

DJEDOUANI Racha¹, Université le 08 Mai 1945 Guelma - Département d'architecture

Dr GHERZOULI Lazhar² Université Larbi Tebessi - Tébessa - Département d'architecture

الخلاصة: تتلائم هندسة الطين مع مفهوم التنمية المستدامة، فهي الحل الامثل لحماية البيئة دون المساس بمستقبل الأجيال القادمة. إذا كان البناء بالطين في انخفاض بشكل كبير ، فإن هذا يرجع إلى انقطاع الخبرة ومعاناة الطين من احتكار المواد الأخرى التي تعتبر حديثة، ما زلنا نعتقد أن الطين لا تتكيف مع الدول المتقدمة وأنها غير قادرة على تقديم نفس الضمانات من المتانة والراحة، إذا لم يتم استخدامها كثيراً، فذلك لأن عددًا قليلاً من الشركات ورجال الأعمال يعرفون كيفية تنفيذها، ففي الجزائر هم غير موجودين عملياً. لذا فإن العيب في مادة الطين ليس فقط نفسياً بل أيضاً تقنياً، بالإضافة إلى هذه العوامل، نذكر القرارات السياسية التي تتخلى عن مصير المنشآت التقليدية والتي تشجع، دون وعي، على ترك هذا النوع من المساكن، فإن تدهور هذا التراث أمر لا مفر منه. حيث نتساءل عن دراسة تأثير القرار الوزاري على استخدام وحماية المساكن الطينية، والإجراءات الرئيسية لوزارة الإسكان ، ووزارة الثقافة لاستخدام الطين كمادة بناء ، ثم العثور على العقبات الرئيسية التي تعوق تعزيز الهياكل الترابية ، ومن ثم اقتراح التوصيات الأساسية للمستقبل لتسهيل استخدام هذه المواد وحماية التراث.

الكلمات المفتاحية: المباني الطينية، القرار الوزاري، المواد المحلية، التراث، الجزائر.

Résumé : L'architecture de terre s'insère dans le concept du développement durable, elle consiste la solution adéquate pour la protection de l'environnement sans compromettre l'avenir des générations futures. Si la construction en terre a considérablement diminué, cela est dû à la rupture dans la transmission des savoir-faire. Elle souffre, également, du monopole des autres matériaux jugés modernes. On pense toujours que la terre n'est pas adaptée aux pays développés et qu'elle est incapable d'offrir les mêmes garanties de pérennité et de confort. Si elle est peu utilisée, c'est parce que peu d'entreprises et de maitres d'œuvre savent la mettre en œuvre, en Algérie ils sont pratiquement inexistantes. Donc le principal défaut du matériau terre n'est pas uniquement de nature psychologique, mais également technique. En plus de ces facteurs, s'ajoutent des décisions politiques qui abandonnent à leur sort les constructions traditionnelles et qui encouragent, par perte de conscience, le laisse faire de ce genre d'habitations, la dégradation de ce patrimoine est inévitable. Ce travail s'interroge sur l'étude d'impact de la décision ministérielle sur l'utilisation de la terre, et les actions majeures du ministère de l'habitat, et le ministère de la culture pour le recours à l'utilisation de la terre, et de trouver les obstacles majeurs qui entravent la promotion des architectures en terre, et ensuite proposer des recommandations indispensables pour l'avenir afin de faciliter l'usage de ce matériau.

Mots clé : la terre, la décision ministérielle, les matériaux locaux, patrimoine, l'Algérie.

1. Introduction :

L'architecture de terre est l'une des expressions les plus originales et les plus puissantes de notre capacité à créer un environnement construit avec des ressources locales facilement disponibles, son importance culturelle dans le monde entier est évidente et a conduit à la considérer comme patrimoine commun de l'humanité, et par conséquent méritant d'être protégée et préservée par la communauté internationale. En 2011, plus de 10% des biens culturels inscrits sur la Liste du patrimoine mondial incluaient des structures en terre.

2. Problématique :

L'industrialisation massive choisie par l'Algérie au lendemain de l'indépendance, ainsi que l'augmentation rapide de sa population urbaine, avaient des répercussions négatives sur la qualité de l'habitat. En effet, devant ce besoin urgent en logements sociaux, l'état a eu recours à l'importation de modèles étrangers dits bon - marchés, qui se sont généralisés sur tout le territoire algérien, en l'espace de trois décennies. Inappropriées au contexte culturel, social et climatique du pays, ces expériences ont été des échecs, cela oriente actuellement le gouvernement vers la recherche, de solutions plus appropriées, on s'intéresse à rechercher des modèles qui valorisent le patrimoine local : l'architecture en terre entre autres. En 2014, le Ministre d'habitat, d'urbanisme et de la ville a ordonné à tous les organismes et aux superviseurs de suivre les projets de logements de différents types, en utilisant des produits locaux, à fournir tous les ateliers d'achèvement des projets résidentiels, et que, dans le but de promouvoir la production nationale, on s'interroge dans ce travail sur l'importance de la décision ministérielle dans l'application des lois, et est-ce que la décision ministérielle peut résoudre les problèmes de l'utilisation des matériaux locaux dans le sud algérien, et quels sont les moyens qui mènent à l'application de cette directive.

3. Les hypothèses :

Pour répondre à la problématique posée, nous avons construit les hypothèses suivantes :

1-La décision ministérielle peut résoudre les problèmes de l'utilisation de matériaux locaux dans le sud algérien, par : création des normes, règles-professionnelles. ; L'industrialisation de ce matériau par la création des carrières et des usines pour la fabrication de brique de terre, pierre... etc. faire appel à des entreprises étrangères et bénéficier de leurs expériences dans ce domaine ; des formations universitaires et professionnelles.

2-La décision ministérielle ne peut pas résoudre les problèmes de l'utilisation de matériaux locaux dans le sud algérien, à cause de la crise financière vécue en Algérie.

4. Les actions majeures du ministère :

4.1. Sur le plan politique:

4.1.1. La stratégie de ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et Ville:

a. la décision ministérielle: Le développement de l'utilisation des matériaux locaux dans la construction des logements semble être la solution inéluctable. La question a fait l'objet de plusieurs études, recherches et séminaires lancés par le ministère de l'habitat notamment vers la fin des années 90, où diverses solutions ont été proposées, mais les

programmes d'exécution n'ont jamais abouti à cause des divers changements gouvernementaux qu'a connus le pays à cette période. Dernièrement, une réglementation a été disposé concernant l'utilisation des matériaux locaux, (directive n° 92/DC/PM du Janvier 2014), en application de l'instruction du Monsieur le Premier Ministre, "Abdelmalek Sellal", le Ministre d'Habitat, de l'Urbanisme et Ville a demandé de veiller à ce que toutes les dispositions nécessaires soient prises pour la production national des matériaux locaux, cette décision est destinée aux organismes suivants :

- Les Présidents des Directoires des SGP INDJAB et GENEST;
- Le Président Directeur Général de l'ENPI ;
- Les Directeurs Généraux : de l'AADL ; des OPGI ;
- Les Directeurs : du logement ; des Equipements Publics ; de l'urbanisme, de l'Architecture et de la Construction.

b. Faire appel aux entreprises : On prend comme exemple ; en mai 2015 le Ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et de la ville lance une présélection nationale et internationale restreinte pour la présélection d'entreprises ou de groupements d'entreprises solidaires pour études et réalisation ou réalisation de cités intégrées avec VRD et équipements d'accompagnement, à travers le territoire national, dont le mode de réalisation est basé sur la préfabrication en usines(e) fixe(s) ou foraine(s). Seules les entreprises ou groupements d'entreprises solidaires (Nationaux, Etrangers ou mixtes Algéro-étrangers) ayant un procédé constructif, couvert par avis technique du CNERIB dont le mode de réalisation est basé sur la préfabrication en usine fixe ou foraine, ayant déjà réalisé au moins un (01) projet de construction de bâtiments à usage de logements, avec le procédé technique proposé, et s'engageant à installer une ou plusieurs usines fixe(s) ou foraine(s) en Algérie, peuvent retirer le cahier des charges auprès du ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et de la Ville. Le ministère informe l'ensemble des entreprises et groupements d'entreprises ayant participé à ladite présélection que la Short-List des entreprises présélectionnées est mentionné dans le *tableau 01* , mais en janvier 2016, la Direction Générale des Ressources du ministère de l'Habitat, de l'Urbanisme et de la Ville informe les soumissionnaires ayant participé à l'avis de présélection nationale et internationale que la liste de présélection est annulée.¹

¹ journal El Moudjahid

N°	Pli n°	Soumissionnaire	Pays d'origine	Nature de l'entreprise
01	63	MODULCONPTY.LTD	Australie	Entreprise
02	16	CSCEC-BLCC	Chine	Entreprise
03	8	CHEC-BLCC	Chine	Groupement
04	51	GURBAG INSAAT	Turquie	Entreprise
05	31	ESSENTIAL BUILDING-INERGA	Algérie-Espagne	Groupement
06	17	PIZZROTTI-PIZZROTTI SARL ALGERIE	Algérie-Italie	Groupement
07	58	SNC ALINAC-GROUPO PICCINI SPA	Algérie-Italie	Groupement
08	33	AZMECO	Azerbaïdjan	Entreprise
09	29	CGGC-CJSUS	Chine	Entreprise
10	09	CGCOC GROUP	Chine	Entreprise
11	34	BUCG	Chine	Entreprise
12	40	SINOHYDRO CORPORATION LIMITED	Chine	Entreprise
13	6	CRCC-BCEG	Chine	Groupement
14	64	CRCEG-SANY HUNAN	Chine	Groupement
15	60	GULF PRECAST CONCRET (GPCC)	Emirats Arabes	Entreprise
16	3	IBSE INTERNATIONAL	France	Entreprise
17	59	SHAPOORDJI PALLODJI CO PVT LTD	Inde	Entreprise
18	55	MAIORA GROUP SPA	Italie	Groupement
19	48	BILYAP INSAAT	Turquie	Entreprise

Tableau.01 : Short-List des entreprises présélectionnées .Source : journal El Moudjahid.

4.1.2. La stratégie de ministère de la culture: La dévalorisation de l'image des architectures de terre, essentiellement induite par la généralisation de l'emploi des matériaux et techniques de construction industriels depuis cinq décennies, empêche l'adhésion des populations et des décideurs locaux aux opérations de réhabilitation du patrimoine bâti en terre qui constitue une part majeure du patrimoine architectural algérien. C'est la raison pour laquelle le ministère algérien de la culture a décidé de définir une stratégie nationale en matière de promotion des architectures de terre, basée sur l'idée de la réhabilitation de l'image des matériaux locaux en général et de celle des architectures de terre en particulier. Sa mise en œuvre a permis, depuis 2009, la réalisation de diverses actions en faveur de la promotion des architectures de terre dont plusieurs expositions, l'institutionnalisation du Festival Culturel International de Promotion des Architectures de Terre, Archi'Terre, et la création d'un établissement public, le Centre Algérien du Patrimoine Culturel Bâti en Terre, CAP Terre.

a. CAP Terre: Centre Algérien du Patrimoine Culturel Bâti en Terre, Établissement public à caractère administratif sous tutelle du ministère de la culture (Décret n° 12-79 du 12 février 2012), les actions de ce centre est représenté dans: la recherche appliquée pour ré acquisition, développement et diffusion savoir-faire (manuels de construction, de réhabilitation et d'entretien); l'assistance technique (projets publics ou privés de réhabilitation ou de construction); l'organisation de cycles courts de formations qualifiantes (professionnels du bâtiment); l'identification et l'inventaire du patrimoine culturel bâti en terre et des savoir-faire liés à sa production; l'organisation manifestations culturelles et scientifiques promotion et valorisation.¹

b. Archi'Terre: Institutionnalisé par arrêté du 13 juillet 2011 de la Ministre de la Culture, le festival Archi'Terre s'ouvre aux professionnels de la construction avec la

¹ Journées d'information et de sensibilisation à l'EPAU d'Alger les 22 & 23 avril 2015

possibilité de participer à un workshop intitulé «Les architectures de terre : une tradition millénaire au service de la modernité». En plus de leur participation aux ateliers pratiques d'initiation aux techniques de construction en terre, ces professionnels participeront à une table ronde dans laquelle interviendront certains des plus grands spécialistes mondiaux du domaine. Ce festival permettra en effet de sensibiliser, chaque année, quelque deux cent cinquante des meilleurs étudiants architectes et ingénieurs en génie civil de tout le territoire national à l'importance de la sauvegarde du patrimoine algérien bâti en terre et au bien-fondé de la volonté de relancer la production d'un cadre bâti en terre, totalement ancré dans la modernité.¹

4.2. Sur le plan pratique:

Selon A. Boudaoud, président du Collège national des architectes (CNEA), à Liberté: « *Les matériaux locaux sont très peu utilisés en Algérie* »² En Algérie, et malgré les difficultés enregistrées dans tous les domaines, ces architectures de terre ne jouissent pas d'assez d'intérêt, des pratiques inappropriées de conservation et d'entretien. Nous assistons par conséquent, à la perte des savoir-faire traditionnels, et d'une production architecturale originelle. En effet, notre pays a manifesté très tôt son intérêt pour la revalorisation de l'architecture de terre mais l'échec des premières opérations (Moustafa Ben Brahim, Bel Abbes, 1973-1975), qui n'ont pas réussi à surmonter l'obstacle psychologique a limité leurs effets. Les programmes de développement ne sont pas tentés par les avantages que représente l'architecture de terre.

Cependant, l'architecture de terre pose le problème de la perte du savoir-faire, de ces règles qui sont négligées, oubliées ou encore mal interprétées et donc très souvent mal appliquée. Il y a de la résistance dans le sens où l'on est tombé dans la facilité. Des cimenteries se sont installées, le parpaing est produit en grosses quantités, il est maçonné facilement, il en est de même pour la brique cuite. Par contre et pourtant qu'il y a maintenant une réglementation concernant l'utilisation des matériaux locaux, les cimenteries de brique de terre crue n'existent pas pour le moment, et plusieurs programmes ne sont pas lancés à cause de la chute des prix du pétrole, pour cela cette décision n'est pas encore appliquée.

4.2.1. Les entreprises étrangères:

a. Lafarge en Algérie, Activités et Stratégie : L'Algérie est un marché d'importance stratégique pour le Groupe Lafarge dans le Bassin méditerranéen (fondé en France en 1833). Le secteur de la construction est en croissance constante depuis 2000, avec d'importants besoins en matériaux de construction et solutions constructives. Le Groupe Lafarge est aujourd'hui présent en Algérie à travers ses activités « Ciment, Granulats, Béton et Plâtre ». Lafarge Algérie possède 2 cimenteries (M'Sila & Oggaz) avec une capacité totale de production de 8,6 mi T/an, gère en partenariat avec le GICA la cimenterie de Meftah (1.2 mi/an) et compte 30 centres de production de béton, réseau en croissance continue, d'une capacité actuelle d'un million de mètres cubes. Lafarge vient de lancer la première enseigne

¹ <http://www.epau-alger.edu.dz>

² publié dans Liberté

de supermarché des matériaux de construction BATISTORE, permettant un accès stable aux matériaux de construction en termes de qualité, de choix, de services à des prix abordables.¹




Carte.01 : localisation de l'entreprise Lafarge en Algérie Source: www.lafarge.dz



Fig.01 : les cimenteries de Lafarge en Algérie Source: www.lafarge.dz

¹ www.lafarge.dz

b. Une solution alternative: La brique de terre compressée stabilisée:

Brique de terre compressée stabilisée (BTCS)	Bénéfice pour la construction
Un mélange de terre, sable et ciment, compressée dans une presse manuelle ou automatique.	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Plus économique 'Abordable' que la plupart des autres techniques. ▪ Des Bâtiments sains– moins d'humidité, confort thermique. ▪ Performances mécaniques: 5 MPa vs 1,5 Mpa pour des briques cuites artisanales.
<i>Fig.02 : BTCS</i>	Bénéfices environnementaux
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Réduction des émissions de CO2 – ration de 1 pour 10 comparé à la brique. Pas d'utilisation de bois. ▪ Fabrication sur site (transport limité) Utilisation des matériaux locaux (terre) ▪ Résistance aux chocs, pluies, insectes.
<i>Source: www.lafarge.com</i>	Social benefits
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Création d'emploi : Formation sur site de la main d'œuvre locale .

Après avoir traité une nouvelle technologie déjà appliquée par une entreprise, nous pouvons affirmer qu'il y a des entreprises qualifiées dans ce domaine qui a la capacité et l'expérience de réaliser en terre, l'Algérie pourrait bénéficier de leurs expériences.

4. les enjeux et les défis majeurs :

D'après cette recherche, nous avons relevé les enjeux et les défis majeurs pour l'utilisation des matériaux locaux qui se traduisent par :

- La méconnaissance des avantages et caractéristiques du matériau terre, à l'heure actuelle il est complètement négligé, Si les conditions de logement des populations habitant dans une maison en murs de terre ne sont pas satisfaisantes, ce n'est pas à cause du caractère inapproprié du matériau, mais à cause des conditions de mise en œuvre et du cadre général.
- L'insuffisance de l'utilisation des matériaux locaux dans la construction, à cause de l'absence des usines et de carrière, ça provoque un problème de disponibilité et facilité de l'utilisation de la terre.
- L'existence d'une volonté politique et d'initiatives locales en matière de l'utilisation des matériaux locaux, ceci se reflète dans les directives de Monsieur le Ministre de l'habitat, l'urbanisme et la ville, et les diverses action de ministère de la culture, par la création de Festival Culturel International de Promotion des Architectures de Terre, Archi'Terre, et la création d'un établissement public, le Centre Algérien du Patrimoine Culturel Bâti en Terre, CAPTerre.

- L'insuffisance de moyens financiers dans cette période, à cause de la chute de prix du pétrole et la crise financiers vécu dans notre pays, qui touche le secteur de l'habitat et influe sur le taux de réalisation des projets dans tous les domaines.
- L'absence de normes spécifiques en matière de matériau terre, il reste l'un des matériaux non codifiés par une norme, au contraire du béton, par exemple; quand le CTC fait une suivie d'un projet construire en terre, il ne peut pas faire des essais sur la qualité de matériaux, parce qu'il n'y'a pas des réglementations technique concernant les matériaux locaux.

6. Recommandations:

D'après cette recherche, on est maintenant en mesure de présenter une tentative de réponse aux problèmes posés ultérieurement avec les recommandations suivantes afin de stopper les projets de logements destructeurs du patrimoine, et apporter d'autres alternatives pour répondre à la forte demande en logement, et aussi répondre aux besoins de la population en terme d'espaces et aux nouvelles exigences de confort :

1. Car il y a une vraie méconnaissance de ce matériau, l'état doit créer un programme de formation, de recherche et d'application, mis en place en concertation avec les partenaires nationaux et internationaux : il faudrait également renforcer la formation technique existant dans les centres de formation technique et professionnelle : comme la création de nouvelles filières par exemple technicien en maçonnerie BTS ou bien BTC...etc. Dont le but est de former, d'informer et de sensibiliser les artisans à ces matériaux et de faire des formations communes artisans architectes sur ces thèmes, qui sont oubliés.
2. Pour résoudre le problème de la mécanisation et de l'industrialisation :le département ministériel doit parvenir à un accord avec des entreprises étrangères pour le transfert des techniques de construction modernes ,moyennant des avantages accordés par les pouvoirs publics en Algérie, dans le cadre de la modernisation des moyens nationaux de réalisation et qui permettront de réduire les coûts et les délais de réalisation et d'augmenter l'attractivité du secteur de la construction .

À travers la création d'usines de fabrication de matériaux locaux (brique de terre) et la création de carrières (terre brute emballée dans des sacs pour faciliter le transport et la commercialisation) avec des équipements sophistiqués (extracteurs de terre, presses automatiques...), et des laboratoires pour contrôle de qualité.

3. Les politiciens peuvent insuffler une nouvelle façon de faire, donc une stratégie sur le moyen et long terme, dont il est nécessaire de définir une politique claire de l'habitat adaptée au contexte local : des normes et des lois pour la réalisation en terre, acquises auprès des expériences des entreprises étrangères. Mais à condition de suivre l'application de ces lois. Il est intéressant aussi que les collectivités locales et les projets étatiques, comme au Sud, doivent prendre l'initiative en utilisant les matériaux locaux.
4. Il existe un arsenal juridique qui permet de le faire. Les architectes doivent montrer la voie : Demain, s'il faut bâtir des logements, par exemple, autant utiliser la brique de terre, on ne peut pas demander à un cimentier de changer de métier et de faire du lobbying pour la brique de terre, mais la balle est dans le champ des architectes qui peuvent proposer des techniques de construction en conseillant le matériau terre, c'est leur responsabilité en

tant que maîtres d'œuvre. Encore une fois, il faut souligner que les matériaux industriels sont énergivores. Et puis, les cimenteries sont à l'origine de presque 10% des gaz à effet de serre. Le bâtiment en béton consomme de l'énergie et fournit beaucoup de déchets.

5. Il faut qu'on prenne une halte pour s'entendre sur l'avenir de l'Algérie dans un contexte énergétique global. On n'assure pas la sécurité énergétique avec le gaz de schiste. La fabrication de brique de terre consomme moins d'énergie que le béton armé. Utiliser la terre permet de s'inscrire dans une logique de préservation des ressources et de l'énergie.

Conclusion :

Le sud Algérien ne manque pas de ressources en terme de matériaux naturels : la terre, la pierre, le bois, toute une variété de fibres. Néanmoins, la terre constitue sa principale richesse, c'est un matériau renouvelable. En termes d'énergie, c'est un des matériaux les plus écologiques qui soit : très peu d'énergie pour le transport, sa transformation, et son recyclage. Couplée avec la brique, la pierre ou le béton, elle permet une très grande richesse d'utilisation. En dehors des effets de mode, la terre est en passe de devenir un matériau d'avenir dans les pays industrialisés, en Algérie, cet engouement pour ce matériau ancestral peut être l'occasion d'un retour aux sources insufflé de nouvelles inspirations, porter un regard nouveau et innovant ce qui a toujours été lié à au passé et à la tradition.

Dans un pays où le prix du pétrole continue de baisser, il est important de trouver des solutions pour réduire les coûts de réalisation des logements. Construire durable dans un contexte de crise, c'est composer avec ce qu'il y a de disponible et saisir toutes les potentialités de l'environnement immédiat pour explorer de nouveaux modes d'expression et de nouveaux champs d'action. Il ne s'agit pas d'appliquer des règles pour atteindre une quelconque performance mais plutôt de construire un projet qui offre tout le confort nécessaire à son usager et dont sa construction et son avenir participent au développement économique, social et culturel de son territoire.

La directive de ministère d'Habitat, de l'Urbanisme et Ville, concernant l'utilisation des matériaux locaux, aura un impact positif, en ce qui concerne les nouvelles technologies de la réalisation avec les matériaux locaux, qui nous bénéficions par faire appel des entreprises étrangères pour construire des logements au sud algérien. On pouvons affirmé que la décision ministérielle peut résoudre le problème de l'utilisation des matériaux locaux, mais face aux problèmes économiques que connaît le pays, c'est un peu difficile, pour atteindre notre objectif, le ministère d'Habitat, de l'Urbanisme et Ville, doit suivre les directives et non pas seulement donner des instructions .

"Impacto de los movimientos de traducción trasladando culturas sobre la estimulación y el desarrollo turístico"

-Argelia como caso-

"أثر حركات الترجمة في التعريف بالثقافات على تفعيل وتنمية السياحة - الجزائر أنموذجاً"

Dra. HAMIDECHE Mounira
Universidad de Argel 2. Argelia

Resumen:

Argelia está distinguida por una gran riqueza en vestigios, se extiende sobre una superficie geográfica caracterizada por varios relieves, lo que lo convierte en Un lugar de descanso para los amantes del camping y del descubrimiento.

Debido a que Argelia es un país de historia y civilización, algunas de sus ciudades y regiones se han clasificado como parte del patrimonio arqueológico del mundo. Como la "Casba" de Argel, "Yémila" en la provincia de Setif y "Tassili n'Ajjer" en Illizi.

La popularidad del turismo local, desde el Amasijo hasta los Árabes, ha vuelto a varios factores, en particular los movimientos de traducción de un conjunto de obras literarios, obras cinematográficas y música folclórica que cantan la historia y la naturaleza del país, a otros idiomas, y los medios de comunicación también han viajado con estas especificidades culturales transmitiéndolas por los canales.

A pesar de estos sitios arqueológicos, el turismo en Argelia conoce una cruda recesión, debido a una ardua escasez de recursos humanos formativos en el domino. Asimismo el desarrollo que hace falta, como la inconciencia de la necesidad de mejorar el turismo local.

Entonces, preguntamos sobre la entidad del turismo, así ¿Cuál es el impacto de los movimientos de traducción de la cultura argelina a los entornos extranjeros, en la promoción de ese sector, y garantizar el desarrollo social y económico?

Palabras clave: Movimientos de traducción, cultura, patrimonio, turismo.

الملخص:

تزخر الجزائر بجملة من الثروات، فهي تمتد على مساحة جغرافية تمتاز بتنوع تضاريسها، الامر الذي يجعلها فسحة لمحبي التخييم والاكتشاف، ولأن الجزائر بلد ذو تاريخ وحضارة فقد صنفت بعض مدنها ومناطقها ضمن التراث الاثري العالمي، على غرار "قصبه" العاصمة، "جميلة" بسطيف و"الطاسيلي ناجر" باليزي، رجع رواج السياحة المحلية في التعريف بالثقافة الجزائرية على اختلاف أصول سكانها، من الامازيغ الى العرب، الى عوامل عدة أبرزها حركات النقل المعرفي التي تنوط به الترجمة. فقد ترجمت الكثير من الاثار الأدبية والانتاجات السينمائية والموسيقى الشعبية التي تتغنى بتاريخ وطبيعة البلاد الى لغات أخرى، كما ان الاعلام سافر هو الاخر بهذه الخصوصيات الثقافية فبثها على قنواته.

ورغم ما تملكه الجزائر اليوم من مواقع اثرية، الا ان السياحة فيها تعرف ركودا حادا، ما يعود الى النقص الفادح في العامل البشري للتأطير في هذا المجال، وكذا غياب التنمية والوعي بضرورة الارتقاء بالسياحة المحلية. ومنه، نتساءل عن ماهية السياحة؟، وما هو

أثر حركات الترجمة في نقل الثقافة الجزائرية الى بيئات اجنبية، على النهوض بهذا القطاع، وضمان التطور المجتمعي والاقتصادي؟

الكلمات الدالة: حركات الترجمة، الثقافة، التراث، السياحة.

1. Introducción:

Argelia ha sido entre los miembros de la Organización Mundial del Turismo. Entonces nuestro país; fue el cuarto destino turístico en el continente africano. Lo que le permite alcanzar el puesto ciento once (111) en la escena del turismo internacional, según el "World Tourism and Travel Council" (WTTC) con sede en Londres.

Argelia es el país, en términos de superficie, más grande del continente africano y el décimo país en el nivel mundial.

Ubicado en el norte de África, tiene muchos sitios atractivos, como *el Sahara*, segundo desierto más grande del mundo, *Casba*, *Yémila*, *Tipasa*, *Timagd*, *Tassili n'Ajjer*. Lo que insita a los demás visitarla, descubriendo estos sitios históricos.

A señalar que el turismo argelino conoció un auge en los años setenta y ochenta, debido a los procesos de traducción, que han tomado la carga de transmitir estas dimensiones culturales en otras lenguas, y entornos extranjeros.

O sea obras literarias, como la novela de Ben Hadouga " *Rih El Djanoub/le vent du sud/ el viento del sur*", había sido traducida al francés por Marcel Bois. *Obras de Tahar Ouettar, Wassini Laaradj "La maison andalouse/ la casa andaluz"*.

Papel miso hizo por las medias, que han difundiendo las películas cinematográficas históricas, como " *la batalla de Argel*" del realizador italiano Gillo Pontecorvo 1966, "el opio y la porra" 1969, fue adaptado por la televisión, comunicado en Mosco, Roma, Burkina-Faso, y París. " *Waqai' sanawat el-djamr*", " *Crónica de los anos de brisa*" 1975, que ha recibido el premio mundial máximo (entregado en el Festival de Cannes Palma de Oro).

Patrimonio oral, piezas musicales folclóricas, como las canciones populares, "Ya rayeh win mssafer? Tú que vas, adónde viajas? de Dahmane El Harachi, así como "El Bahdja" que es un denominación de Argel, ya que fue muy activa y viva, como en la televisión.

Entonces, la traducción influyó muchísimo el progreso del turismo, seguidamente el desarrollo social así como económico del país.

2. Problemática:

Como todo estudio científico, necesita una problemática clara. Pues que estamos tomando el tema del patrimonio y turismo cultural, alcanzamos las presentes preguntas, o que interrogaciones siguientes a ver:

Qué realidad destacamos del turismo argelino, cuales son las aspiraciones referidas?

Y para responder a estas preocupaciones, tomáramos la realidad del turismo en Argelia, propasando al cabo unas aspiraciones provenientes claro, por fin motivarnos y levantarnos en postura de persona una en beneficio de todos los demás. No impedí promover, mejorar este sector por parte de los jefes, así sus dirigentes.

3. Importancia y objetivos del estudio:

El turismo ya está una puerta que se abre al mundo entero. Por lo siguiente naciones se acercan cada vez más.

Lo que facilita el establecimiento de las relaciones, así como el dialogo entre las diferentes civilizaciones.

Notamos que en lo largo de ese punto, los movimientos de traducción así como las medias, sin olvidar los estudios históricos archeológicos, desempeñan un papel imprescindible en el acercamiento, y la interculturalidad entre los varios pueblos.

Estas obras, sirven como ejemplo que es mejor seguirlo o referencia, es decir se debe buscarla, para instruirse más. De visión general, toda búsqueda o documento científico, subraya una importancia única. En lo se refiere al presente trabajo, su valor es bien lo siguiente:

1. aclarará la entendida del turismo, sobretodo en Argelia.
2. Luego, dará una serie de aspiraciones visando a través promover este sector.
3. Es decir, buscar el auge económico, mejoramiento social así como progreso general del país, ! no ;

Ahora tomamos los objetivos levantados por del presente estudio, resumiéndolos en los siguientes puntitos:

1. El estudio trata los embargas que impiden el desarrollo del turismo, sugiriendo serie de soluciones posibles.
2. Despertar la conciencia de la gente, Motivándola y Suscitando acciones que levantaran ese sector más allá.
3. Elucidara que cuando se adopta el turismo, no será un comportamiento o tema social, pero una máquina que sirve para adelantar no solo el razonamiento de la persona, sino de la sociedad. poco tiempo después, el país saldrá de la oscuridad, afrontándose los impuestos en el mundo de hoy.

4. Definición de las palabras clave:

Para conseguir los objetivos de toda búsqueda o estudio científico, el indagador tiene que precisar los conceptos clave, primordiales de su trabajo. Por fin, aclarar su tema general de un lado, a los que no son del mismo dominio.

Y de otro lado, saber poner los límites a su búsqueda, facilitando su tarea, y evitando ser perdido.

Entonces, la definición de las palabras clave es un elemento básico, que se hace antes de comenzar o poner toda otra formalidad.

Tomamos en los puntos siguientes ordenados, estas palabras clave:

A. Movimientos de traducción:

Cuando decimos movimientos, queremos hablar de un acto que se hace meneando, es decir efectuar o cumplir o producir algo en desplazamiento.

Entonces, el movimiento, como es definido en el diccionario de la lengua española del verbo "Mover de un extremo a otro" ¹.

El otro termino es la traducción, pues, la traducción es un proceso durante aquello el traductor traslada informaciones y culturas de un entorno y lengua dada a otros diferentes.

Pero, lo más importante, en este transcodaje, aunque sea un simple, es mantener imperativamente la fidelidad en transmitiendo el sentido del discurso original al lector. Es decir, asegurar la sacudía correcta del mensaje.

¹ Zorrilla Alicia María, *Diccionario de las preposiciones españolas: Norma y uso*, segunda edición, universidad de Texas, usa, 2002. P. 63

Dicen los traductólogos y teóricos que la traducción debe alcanzar la norma de la obra de arte "A translation should be perceived as a work of art"¹. Es decir haber el mismo efecto al síquico del receptor que el original.

Entonces, el presente proceso, obtendrá su objetivo, cuando sus requisitos serán presentes en el traductor, que abarcan, todo lo que ha adquirido a través sus aventuras y experiencias de vida, que son: "Los conocimientos y habilidades que debe poseer el traductor para llevar a cabo una traducción"²

Señalemos, que la expresión movimientos de traducción significa, el que toma el presente dominio está en desplazamiento aunque en realidad es hacer mudas en su lugar mismo, haciendo transcodaje de culturas de una lengua a otra. Que desempeña un papel imprescindible en transmitir el mensaje objeto con toda fidelidad, a la lengua así como el entorno meta "Translator is concerned to identify equivalents which share the greatest possible number of common denominators with the source"³

Entonces el traductor asuma la carga de trasladar con equivalencia misma el tema y sentido del documento origen al diana.

B. cultura:

La cultura se identifica como una entidad, explicada y justificada a sí misma, es decir, el término representa una serie de rasgos propios descriptivos a un entorno y sociedad dada, que sean diferentes de los demás.

La cultura es pues, las dimensiones específicas incluyen patrimoniales propiedades que pertenecen a una esfera. Y que reflejan las costumbres y razonamiento de los hombres.

Por lo consiguiente, semejantes direcciones operativas presentes en las ciencias, tales la filosofía, historia, geográfica.

Tomamos el término de visión etimológica lingüística, nos da lo siguiente, cultura viene del verbo cultivar, " Dar la tierra las labores necesarias para que fructifique...cultivar las artes, las ciencias, ejercitarse en ellas." ⁴

Que quiere decir laborar y trabajar la tierra. Pues, el término se evalúa para notar todo lo que diferencia naciones entre ellas, haciendo una comparación con la agricultura en lo que se refiere el producto obtenido, después una serie de deberes. Mismo que cuando se mantienen las peculiaridades propias a las sociedades, tendrá su meta, pues, aquellos rasgos se persisten a través las eras de la ruina.

C. Patrimonio:

Es importante tener en cuenta que el patrimonio, aunque existe variados ámbitos; algo que mantiene la civilización del pueblo, o sea del país, refleja la historia, la mentalidad y la realidad. Estos elementos constituyen armoniosamente el patrimonio común de un lugar dado. Cuando decimos el patrimonio, según el diccionario de lengua española, es una palabra que lleva unas peculiaridades culturales de una ciudad o población.¹ Heredad, o bien alodial salvado. Es decir Especie de censo sobre bienes inmuebles.²

¹ Levý Jiří, *The art of translation*, trans. by Patrick Corness, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam · Netherlands, 2011, p.3.

² Gil Bardají Anna, *Procedimientos, Técnicas, Estrategias: Operadores del proceso traductor*, Universitat Autònoma de Barcelona, España, 2003, p.11

³ levý, *The art of translation*, *opp. cit.*, page 7.

⁴ Agustín Chaho, *Diccionario Vascongado, Francés, Español y Latino*, Edición Biblioteca Galega, Francia, 1856-1857, p. 249

Los característicos culturales de una sociedad, o sean lingüísticos u otros, no pueden indicar una absoluta realidad de ella, siempre correcta, pero como dice Lévi-Strauss : " N'ont jamais de signification intrinsèque ; leur signification est « de position », fonction de l'histoire et du contexte culturel d'une part, et d'autre part, de la structure du système où ils sont appelés à figurer"³

Ejemplo:



La ropa "El Hayak blanco" vestido propio de Argel, no significa siempre, que la mujer que le lleva es de Argel. Puede ser de otra ciudad, como este traje le gusta, le toma, no más. Aunque se queda constantemente como patrimonio material de Argel solamente, diferente con sus atributos de los demás vestidos semejantes, argelinos o no.

Recuperado el: 11/03/2019 a las 6.22 P.M. de:

<https://www.google.com/search?q=%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%8A%D9%83&client=firefox-b-d&source=lnms&tbn=isch&sa=X&ved=0ahUKEwiZiqvq09zhAhWr5aYKHZ>.

Podemos decir que la salvaguardia y la manutención de los bienes propios a un pueblo o sociedad, son actos que velan por la amparo debidamente para las generaciones futuras, conocer a través de aquellos, sus rasgos de cultura propia.

No impedi también, que puedan ser centro de estudios culturales, históricos o más arqueológicos etnográficos. Constituyen numerosas fuentes científicas, y lazos plenos de aventuras y experiencias apasionadas para todos aquellos que les visiten o acercan de ellas, disfruten, en adición a sus carga estudiantil.

Aclaremos, que el patrimonio cultural se divide en dos partes distintas, que la primera sea lo material y la segunda lo inmaterial, veremos los dos abajo:

C.1. Patrimonio cultural material:

El patrimonio cultural material o tangible sea patrimonio de la herencia de vestigios naturales esfinges, tales los mausoleos, monumentos, sepulturas, huesas, tumbas, estatuas, capitolios, altares, hendeduras.

Estuvieron vinculados con la naturaleza, pero les tacaron unas alteraciones en efecto del mal tiempo o del humano. Lo que podría persistir está en forma de ruinas o casi.

Y que el patrimonio asegura el turismo, y este último garantiza el desarrollo económico.⁴

C.2. Patrimonio cultural inmaterial:

El Patrimonio cultural inmaterial o Patrimonio cultural impalpable forma parte de la herencia general de la comunidad. Es un conjunto de riquezas y propiedades orales, tanto en la canciones, la producción de cosas artesanales tradicionales, y en la supervivencia de las omnipotencias personas, deidades, mitos y leyendas populares.

¹ Vita Juan Alvar, *Diccionario de peruanismos: El habla castellana del Perú*, segunda edición, Biblioteca Nacional del Perú, Lima, abril de 2009. P. 14.

² REAL ACADEMIA ESPAÑOLA, *DICCIONARIO DE LA LENGUA ESPAÑOLA, VIGESIMA PRIMERA EDICION*, 2011. EN LINEA. DICCIONARIO/ESPANOL/REALACADEMIAESPANOLA-DICCIONARIOLLENGUAESPANOLA.EPUB

³ Lévi-Strauss Claude, *La pensée sauvage*, Librairie Pion, Paris, 1962, p. 74.

⁴ Barretto Margarita, *Turismo y cultura*, colección pasos, asociación canaria de antropología, Tenerife, España, 2007, p. 10.

Esas herencias orales permanecen siempre, acaso de la destrucción de la naturaleza que desfigura la identidad natural de los pueblos. Entonces, será muy imprescindible, conservar por parte de cada nación sus prácticas, tradiciones, ritos o cosmovisiones, como suele ser el caso de los nativos u foráneos.

La Unesco define¹ el patrimonio oral como un conjunto de creaciones culturales basadas en la tradición de una comunidad, hechas por sus habitantes. O que sea la lengua de comunicación, obras literales como la música popular o folclórica, la danza, juegos de placer, comidas tradicionales, reglas y practicas culinarias, rituales religionarios y mitologías, instrumentos y artefactos arcaicos, de varios usos y más.

El patrimonio inmaterial es visto como un almacén abarca diversidades peculiares, que forman una fuerza impulsora para que las civilizaciones persistan.

Pero, eso, puede ser vulnerable a las potencias exteriores, como la globalización, el cambio social.

Ese patrimonio cultural inmaterial, esta transmitido de generación a generación, en respuesta a su entorno, y su historia, y les sirve como algo de identidad.

Ejemplos:²



La Sebeiba, es un ritual anual, se celebra en el la ciudad oasis argelino de *Yanet*, por los tuareg, en el décimo día de muharrem del calendario musulmán.

Simboliza la paz, y la cooperación social. (Porque fue un conflicto entre los habitantes de dos tribunas *Zuloaz*, *Mihen*.



El Imzad es un instrumento musical, hecho en base de cuero, prohibido por los hombres, destinado a las mujeres. Ellas reproducen música, cuando los hombres cantan aplaudiendo. Su misterio en una superstición, que esta música sanara los enfermos, aliviara el dolor de los pacientes mentales, y excluirá los espíritus malignos.

¹ Véase : [UNESCO to protect masterpieces of the oral and intangible heritage of humanity](#). UNESCO Press. 10 de mayo de 2000. Consultado el 5 de septiembre de 2009.

² Véase: Patrimonio cultural inmaterial en Argelia. Consultado el 11/02/2019. A los 9.00 P.M. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%A7%D8%A6%D9%85%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%AA_%D8%B1%D8%A7%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A7%D8%AF%D9%8A_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1



Ahlil, es una ceremonia musical nocturna, se celebra en la ciudad de *Gourara*/ Timimoun provincia de Adrar, en el sur de Argelia. Es un rito de los *sufistas*. Acá una sección de la canción en árabe. →

صلى الله على صاحب المقام الرفيع
والسلام على الطاهر الحبيب الشفيق
قدر الداعي والمدعي ومن هو سميع قدر
الشاري في السوق ومن جاء يبيع قدر
الطابع للحق رآه في أمره سميع قدر ما
قبضت اليد الكافلة بالجميع قدر الحلفة
والدوم والزرع والربيع

D. Turismo:

El **turismo** comprende "las actividades que realizan las personas durante sus viajes y estancias en lugares distintos a su entorno habitual por un período de tiempo consecutivo inferior a un año, con fines de ocio, negocios u otros".¹

Entonces, el conjunto de excursionistas, turistas forman el cuerpo de los visitantes. Porque el turismo puede ser doméstico, es decir los habitantes de un país se desplazan dentro, o el turismo internacional, cuando los personas salen fuera de sus países, se llaman turistas.

En fin, el turismo se considera como el conjunto de viajes que se hacen por distintos fines descanso, profesional, estudiar, visitar familias, buscar médicos, comercial, y otros más, durante los cuales la ausencia de la residencia habitual es temporal.

Živadin Jovičić un geógrafo y científico yugoslavo considera que ninguna de las ciencias podía estudiar el turismo en todas sus dimensiones, por. Porque tiene un aporte considerable, sobre todos los demás sectores. Por eso, él se permite la creación de una ciencia independiente, denominada **la turismología**.

5. Argelia, sitios arqueológicos en brevedad:

Argelia, oficialmente **República Argelina Democrática y Popular**, forma parte de los cincuenta y cuatro países del continente africano.

Argel es Su capital y la ciudad más poblada. El país, Está ubicado al norte del continente, limitando con el mar Mediterráneo, al este con Túnez y Libia, al sur con Níger y Malí, al suroeste con Mauritania y al oeste con el Sahara Occidental y Marruecos. Señalemos así que Argelia es el país más extenso del continente.

Argelia ha estado habitada por los bereberes desde hace mil años. Ellos construyeron los primeros monumentos de la Antigüedad, de los que aún quedan numerosos vestigios. Levantaron varios mausoleos importantes entre los citamos:

1. La Casba de Argel:

Un ejemplo de medina único en su género². Está apostada en los más bellos paisajes costeros del mar Mediterráneo. La Casba está construida de una estructura urbana tradicional. Conserva vestigios de fortalezas, mezquitas antiguas y palacios otomanos.

¹ Sancho Amparo, *Introducción al turismo*, Editorial: OmtI, 1998, p. 11.

² Véase : (<https://whc.unesco.org/ar/list>, consultado el 20/03/2019 a las 1.30 P.M)



2. Cuicul o Djémila o Yemila :

Es un yacimiento arqueológico romano en la provincia de setif en Argelia. Inscrito en 1982, como Patrimonio de la Humanidad de la Unesco.¹ (United nation educational, scientifique and cultural organization/ unión de las naciones unidas para la educación, ciencia y cultura)



752

(Recopilado de: https://es.wikipedia.org/wiki/Anexo:Patrimonio_de_la_Humanidad_en_Argelia, cosultado el 20/03/2019, a las 3.00pm)

3. Tipasa:

Es denominada en lengua con "*Tefessedt*", declarada como patrimonio mundial por el UNESCO en 1982. Fue conquistada por los *Fenicios* pues los *Romanos*. Quienes construyeron sus fortalezas, pero por efectos climáticos, no se queda hoy día que las ruinas.²



¹ Véase: (<http://whc.unesco.org/es/list/191> , consultado el 20/03/2019 en las 1.05 P.M)

² Véase: <https://es.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D8%B2%D8%A9/tipasa>, Consultado el 11/02/2019, a las 10.30 P.M.

4. Timgad:

Es una urbe colonial romana. Situada en la ciudad de Batna. Fue declarada en el año 1982 por la Unesco, como Patrimonio de la Humanidad.¹



5. Tassili N'Ajjer:

Es una serie de montes ubicada en el extremo sur de Argelia, en la provincia de Illizi. El sitio fue inscrito en el patrimonio mundial de la humanidad en 1982.



Fuente: (https://commons.wikimedia.org/wiki/Category:Tassili_n%27Ajjer, consultado el 11/02/2019, a las 10.45 P.M)

5.1. Otras sitios históricos turísticos:

5.1.1. Djeddar o Yedar :

Es un monumento también funerario bereber. De un pedestal cuadrado et une elevación piramidal. Situado al oeste de Medrosa, en el comuna de Tousnina, provincia de Tiaret.



(Fuente: <https://fr.wikipedia.org/wiki/Djeddar>, consultado el 19/03/2019 a las 7. 46 P.M)

¹ Véase : (<http://whc.unesco.org/es/list/194>, Consultado el 5 de septiembre de 2009, a las 14 pm)

Los romanos dejaron de otra parte, importantes ciudades en el norte de Argelia, entre las destacamos:

5.1.2. Medracen o en correcta grafía bereber **Medghassen**

Significa en bereber “El tumbo”. De un estilo líbico, es un mausoleo de los reyes nómadas, de zócalo/ basa cilíndrico, situado en la



(Recuperado de la página web. <https://es.wikipedia.org/wiki/Medghassen>, consultado el 19/03/2019 a las 7.44 pm)

5.1.3. El Mausoleo real:

Es un monumento funerario, representa una tumba donde están enterrados los bereberes reyes Juba II y su esposa. Ubicado en la carretera entre la ciudad de *Cherchel* y *Argel*.

Lo más a señalar, es que este monumento se cambia de color, según las horas de tiempo del día, así como las estaciones. Variando entre el amarillo, o del gris o de un azul ligero cuando hay encima nubes.



(Recopilado del enlace:

https://commons.wikimedia.org/wiki/Category:Mausol%C3%A9_royal_de_Maur%C3%A9tanie?uselang=fr, consultado el 20/03/2019, a las 12.50 pm)

6. Papel e impacto de la traducción en el turismo:

La sociedad Argelina está cambiando hacia el positivo, hoy día, la cultura argelina conoce un auge remarcable. Desde el desarrollo científico, todas las naciones corren hacia la utilización de los medios tecnológicos de comunicación e intercambio cultural.

Pues, el porcentaje de la lectura no se disminuya que un poquito en comparación con los tiempos pasados. Entonces, las naciones a través el mundo conocen un específico enlace, o sea en el nivel lingüístico, científico, social u otro. Veremos bien que los individuos ya están intercambiando sus puntos de razonamiento, modos de vida, aprender nuevas maneras y visiones de ver y tratar las cosas. Saber manejar circunstancias inhabituales, y mucho más.

Sin olvidar en todo eso, el papel de las medias, quien comunican todo lo nuevo en directo, o sea informaciones, o programas de placer, como obras de teatro, películas históricas, sociales, dramas, canciones.

Entonces, la sociedad ya está desarrollando poco a poco. Lo más importante en todo esto, y después esos buen resultados, a señalar el efecto, y el imprescindible papel de los movimientos de traducción, quien transmiten las culturas de diferentes entornos a otros, para una sola meta que es asegurar el diálogo, y la coexistencia pacífica entre los pueblos extraños del mundo entero.

Por lo consiguiente, auge de turismo, significa que la traducción está bien planeada desde el principio, resumido en criterios, equipo, calendario, procedimientos hasta en sus fines, Así se aseguraría la continuidad, la unidad, pues será un arte que se alimenta la ciencia, y vis versa.

Porque todo proceso de traducción implica comprensión e interpretación correctamente y objetiva.

Podemos limitar unos aportes de la traducción en el sector turístico así:

1. La traducción, será una carretera por aquella las personas pueden pasar al otro lado, pues establecer contactos con los extranjeros. Porque cuando se lee las obras traducidas, la persona aprende estrictamente la lengua, igualmente como unas visiones culturales del otro. Lo que resuelta el contacto fácil entre ellos. "De ordinario se traduce para los que no dominan la lengua original".¹
2. Durante el proceso de traducción, sin por ello olvidar que estamos hablando de una acción de conocimiento. En este sentido, se puede decir que los traductores, en la forma que fueren, son fundamentales para la resolución de los problemas sociales. Y enriquecer la mente humana. En ese punto justamente, aparece la aptitud del buen traductor o non.

Ejemplo:

Tomamos la canción "*Es la vida*", del cantante argelino Khaled. El contenido ya alcanza los problemas y conflictos sociales, que van influir la vida de la persona por lo siguiente, afecta el psíquico, y la dicha cae enferma. Por evitar todo eso, o a lo menos, aliviar esas presiones, se canta haciendo un espectáculo significativo. Que todo el mundo participa, repite, danza, aplaude.

¹ Zurro Alonso Schokel, *La traducción bíblica: lingüística y estilística*, Ediciones Cristiandad, Madrid, 1977, p. 24.

Porque la Gente le gusta escuchar en la traducción la lengua original, sentirla sonar en las orejas, careciendo las emociones, así comprobando su pericia particular.

3. Otro punto, es que toda traducción de obra, cualquiera fuera, significa trasladar o llevar un mundo dado a otro, mezclando las especificadas, y creando un atmosfera común entre los pueblos.¹

Razón de que todavía, hay un complementaridad mundial, personas intercambian con otros con sencillo, paz, aunque cada una conserva sus propios rasgos culturales.

4. Mas traducimos las obras históricas y archeológicos, ilustradas, en otras lenguas, más tendremos un vasto público lector, que va a ser, afectado por lo que le ha leído y visto, en tempa una voga de turistas.

7. Aspiraciones de promover el turismo:

Tras lo tratado más allá, descubrimos unos puntitos que deben ser resueltos, a fin de promover el sector turístico, por consiguiente intervenido con los esfuerzos dando auge a la sociedad como la economía.

Resultamos, bajo, las aspiraciones y recomendaciones requisitas, para el impulso del turismo en Argelia:

1. Tentar resolver los problemas sociales, o sea alcanzar la media.
2. Desarrollar las técnicas educativas, añadiendo programas, lecciones que tratan de la identificación del turismo, y sus aportes en los demás sectores.
3. Enseñar la gente que el buen tratamiento con el extranjero, no es por miedo, sino por amistad y bondad. Aunque el residente no tenga lo que esperaba, no volverá jamás.
4. Consagrar un presupuesto definido al sector de turismo.
5. Formar gente sincera y activa para dirigir y girar los establecimientos de dirección turística.
6. Garantizar el consuelo y la paz al visitante, o sea habitante del país o no.
7. Buscar mano obrera correcta, que puede trabajar al sector turístico con fidelidad.
8. Asegurar un equipamiento material en los sitios destinados a la residencia de los visitantes.
9. Aprender vivir con los homólogos de diferentes entornos, en el mismo ámbito, legos de todo conflicto de lengua, raíz, religión...
10. vallarse en el hecho de series televisadas sobre el turismo argelino, mostrando las ventajas y la calorosa recepción y la buen acogida a los huéspedes.
11. conservar las herramientas culturales, de todo abuso.

8. Conclusión:

A cabo de lo que hemos tomado ya arriba, podemos decir que el turismo, aunque sea una actividad social, que se hace por varias metas, o que sea por motivos de estudiar, por placer, intercambiar, salir de la rutina, buscar algo personal, y muchísimas razones más. Que el turismo en brevedad es un acto civilizacional.

¹ Eco Umberto, *Obra abierta*, Trad. Roser Berdagué, Editorial Ariel, España, 1962/ 1967, p. 190.

Porque cuando la persona decida de desplazar a tal lugar, esa decisión no viene de un vacío, pero ya está basada sobre diferentes impulsos.

Acá, se aparece el papel de los movimientos de traducción que buscan a transmitir las propiedades específicas de una nación a otra, en lengua diferente, pues enseñar la gente, educarla y lo más importante crear un dialogo pacifico entre naciones.

A través, las obras traducidas, o sea de patrimonio material u oral, la civilización persistiera y la cultura vivirá y la entendida humana se conservara.

Pues, sin traducción, no se puede alcanzar los misterios de los demás, ni entretener con ellos. A fin, los movimientos de traducción forman un camino sencillo a través aquello las personas críen y mantienen el enlace human, que se aparece en la comprensión y la cooperación. Buscando un auge alternativo y sostenible.

9. Referencias bibliotecas:

- Agustín Chaho, *Diccionario Vascongado, Francés, Español y Latino*, Edición Biblioteca Galega, Francia, 1856-1857.
- Barretto Margarita, *Turismo y cultura*, colección pasos, asociación canaria de antropología, Tenerife, España, 2007.
- Eco Umberto, *Obra abierta*, Trad. Roser Berdagué, Editorial Ariel, España, 1962/1967,
- Gil Bardají Anna, *Procedimientos, Técnicas, Estrategias: Operadores del proceso traductor*, Universitat Autònoma de Barcelona, España, 2003.
- Lévi-Strauss Claude, *La pensée sauvage*, Librairie Pion, Paris, 1962.
- Levý Jiří, *The art of translation*, trans. by Patrick Corness, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam · Netherlands, 2011.
- Real Academia Española, *Diccionario de la Lengua Española*, Vigésima Primera Edición, 2011. En línea:
Dictionary/Espanol/RealAcademiaEspanola-diccionarioLlenguaEspanola.epub
- Sancho Amparo, *Introducción al turismo*, Editorial: OmtI, 1998.
- Vita Juan Alvar, *Diccionario de peruanismos: El habla castellana del Perú*, segunda edición, Biblioteca Nacional del Perú, Lima, abril de 2009.
- Zorrilla Alicia María, *Diccionario de las preposiciones españolas: Norma y uso*, segunda edición, universidad de Texas, usa, 2002.
- Zurro Alonso Schokel, *La traducción bíblica: lingüística y estilística*, Ediciones Cristiandad, Madrid, 1977.

Conciliation Développement Durable Et Valeurs Patrimoniales Dans Les Opérations De Réhabilitation De L'architecture Domestique Patrimonialité

1. Dr MAHIMOUD Aissa:DEPARTEMENT D'ARCHITECTURE -UNIVERSITE SALAH BOUBNIDER CONSTANTINE 3
2. TAIB Hania:DEPARTEMENT D'ARCHITECTURE -UNIVERSITE SALAH BOUBNIDER CONSTANTINE 3

Mots Clés: Efficacité Energétique, Valeurs Patrimoniales, Architecture Domestique Patrimonialité, Réhabilitation durable, médinas algériennes.

Introduction

Aujourd'hui, toutes les nations à travers la planète souhaitent, conserver son patrimoine et protéger son identité et ses racines. Nous vivons en effet une époque où la plongée dans le passé, agit comme une fascination et le retour aux sources comme une marque d'attachement à des valeurs historiques que les vicissitudes de la vie moderne ont pu parfois altérer. Cependant le passé ne peut être patrimoine que lorsqu'il est reconnu comme tel par les communautés, groupes et individus qui le créent, l'entretiennent et le transmettent ; sans leur avis, personne ne peut décider à leur place si une expression ou pratique donnée fait partie de leur patrimoine.¹

Le patrimoine, dans un sens plus largement admis, comprenant les richesses matérielles et immatérielles, a gagné une importance considérable aussi bien au niveau national qu'international. Il a connu une expansion considérable dans le temps et dans l'espace en englobant tout ce qui a trait à l'homme et à son environnement. Il touche ce qu'on appelle les édifices mineurs et les ensembles urbains dotés d'une valeur architecturale et historique,

L'Algérie est l'héritière d'un patrimoine riche et variée qui traduit dans toute sa plénitude une histoire millénaire, façonnée par des apports civilisationnels multiples, par des habitudes, des traditions et des coutumes qui plongent leurs racines dans une façon de vivre qui reflète bien le génie du peuple. Appréhendée de la sorte dans la continuité de l'histoire, la culture algérienne a su absorber les apports des différentes civilisations qui l'ont traversée tout en préservant des caractéristiques propres, de styles comme de techniques. Dépassant l'émotion esthétique, ce parcours met en exergue l'adaptation de l'homme à un milieu qui n'a cessé d'évoluer au fil du temps à travers l'édification des établissements humains appropriés.

Ces établissements humains, connus sous le nom des médinas ou centres historiques, sont caractérisés par un tissu urbain dense avec une profusion de monuments historiques et de maisons traditionnelles. Ces dernières constituent un modèle d'habitat urbain à travers

¹ RECOMMANDATION DE L'UNESCO . Convention de 2003 pour la sauvegarde du patrimoine culturel immatériel [document électronique]. France, UNESCO, 2003, <https://ich.unesco.org/fr/qu-est-ce-que-le-patrimoine-culturel-immateriel-00003>.

l'histoire. Il s'est maintenu au fil du temps. Il s'est affiné, sophistiqué, et continue même à être d'actualité. En effet Il s'agit d'un modèle d'habitat universel, répandu dans une diversité de régions géographiques, de climats, de sociétés et de cultures diversifiées. Ce patrimoine aux aspects tangibles et intangibles continue de vivre, et d'être une source d'inspiration pour contribuer, dans un esprit de développement durable, à notre adaptation au monde d'aujourd'hui et de demain.¹

Le patrimoine domestique bâti, aujourd'hui, court le risque d'être partiellement ou totalement détruit sous la pression d'actions guidées par l'ignorance des qualités uniques de ce bâti et par la vague de modernisation que subit les vieilles villes. Outre ces raisons, le manque d'entretien, la disparition des métiers et des techniques traditionnelles de construction et du manque de connaissances et de valorisation des utilisateurs et des techniciens et la dégradation du cadre de vie de ses habitations, sous la pression démographique pour ne citer que cela contribuent fortement à sa disparition.

Face à cette situation alarmante, la nécessité de préserver ce legs s'est imposée et des projets de réhabilitation ont pris place, malheureusement sans résultat probant. La majorité des opérations de réhabilitation focalisent sur la consolidation du bâti et la décoration de l'enveloppe. La réhabilitation du patrimoine domestique bâti dépasse de loin ce stade. La prise en charge de tous les aspects du patrimoine ; organisationnel, structurel, esthétique et confort est impérative ainsi que les besoins socio-économique, et psychologique de ses habitants à l'ère du troisième millénaire. L'ère ou le changement climatique, le développement durable, les énergies renouvelables et la préservation de l'environnement, constituent des défis majeurs et immédiats.

D'ailleurs, du point de vue environnemental, les termes « préservation » et « durabilité » véhiculent des sens parallèles ou, du moins, une relation corollaire. Ils sont souvent utilisés de manière interchangeable pour exprimer le besoin de préserver les ressources naturelles afin d'assurer en premier lieu une harmonie à long terme entre l'homme et la nature et en second lieu, pour maintenir un environnement ou un cadre et des conditions de vie de qualité. Sauf que, jusqu'à présent, aucun acte international, dans le domaine de la conservation du patrimoine architectural, ne traite de la rénovation énergétique.²

Ce modeste travail de recherche a l'ambition d'aborder le patrimoine bâti domestique dans les vieilles villes algériennes à travers une double problématique, celle des valeurs architecturales et sociales d'une part et de l'efficacité énergétique d'autre part. Il met en exergue aussi l'impact des paramètres d'efficacité énergétique sur le bâti, et par conséquent sur les ambiances intérieures de ce type de patrimoine afin d'améliorer les performances énergétiques ainsi les conditions de confort à l'intérieure de ces habitations.

¹ ABDULAC, Samir. « les maisons à patio, Continuités historiques, adaptations bioclimatiques et morphologies urbaines », ICOMOS, Paris, 2011.

² LIVIO, mazzarella. « Energy retrofit of historic and existing buildings. The legislative and regulatory point of view ». *Energy and Buildings*, Vol 95, No. 10, (May 2015)
<http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0378778814009190>. [page consulté le 20/05/2017].

Problématique:

Durant ces dernières décennies, le patrimoine bâti habité à travers les centres historiques, et les ensembles vivants, a suscité un intérêt particulier de la part des états et des organisations internationales. Cette prise de conscience s'explique par la situation paradoxale vécue par ce patrimoine. Le centre historique des médinas maghrébines est composé principalement de maisons traditionnelles, cet architecture domestique patrimonialisée a accueilli pendant longtemps les différentes manifestations culturelles et sociales. Il s'agit dans la plus part des cas, d'une structure qui s'organise autour d'une cour centrale, et qui a pu être intégrée au sein de son environnement. Ce modèle correspond à la stratification d'un savoir-faire de plusieurs générations, jusqu'à toucher le cadre de vie ainsi que les traditions et pratiques socioculturelles des communautés.

L'accroissement de leur vulnérabilité, suite à la négligence, la surexploitation, les transformations anarchiques et une succession malheureuse de catastrophes naturelles qui ont gravement altéré ou partiellement détruit ce patrimoine. Le patrimoine bâti habité au sein du centre historique de la ville de Constantine illustre bien cette situation. La dégradation de son cadre bâti qui est majoritaire et qui est l'expression de trois mille ans d'histoire, de culture, de traditions, ne cesse à prendre de dimensions menaçantes, selon les données du PPSMVSS de Constantine (2011) et parmi 1164 bâtisses, 575 bâtisses se trouvent dans un état dégradé¹ et elles continuent à se périr sous l'indifférence des autorités et des habitants.

Actuellement les valeurs intrinsèques de ce patrimoine, ont besoin d'être protégées et réhabilitées afin d'éviter leur disparition, et avec elles, des jalons importants de notre histoire. Cependant, les différentes opérations de réhabilitation réalisées à travers le territoire nationale n'ont pas atteint les objectifs escomptés.

D'une part, elles sont faites de manière inadaptée souvent en rupture ou en inadéquation avec les techniques du passé, sans connaissances approfondies du bâti en question du point de vue organisationnel, spatial et structurel. Or, il est important de conserver et d'exploiter les qualités initiales du bâti ancien telles que l'inertie et l'utilisation de matériaux respirant. Des techniques adaptées doivent être mises en œuvre, est fortement conseillée.

D'autre part elles se caractérisent par un coût élevé et une lenteur dans l'exécution des travaux ce qui entraîne l'augmentation du volet financier, en plus elles se limitent uniquement à la consolidation du système constructif, or il est nécessaire que ces interventions aboutissent à des systèmes plus performants, des prestations de confort plus élevées avec des économies au niveau des consommations pour maintenir ou accroître la valeur d'usage. sinon, vu les coûts, pourquoi réhabiliter ?

Rendre cet architecture domestique patrimonialisée efficace énergétiquement est une des options qu'on peut la considéré comme une recettes de rentabilité et d'exploitation économique du patrimoine. Poser la question en terme d'enrichissement dans l'esprit de G.

¹ BET (architecture, patrimoine et décoration). J. KRIBECHE. (2007-2012). « Plan Permanent de Sauvegarde et de Mise en Valeur des Secteurs Sauvegardés ». (PPSMVSS). 1ère phase Secteur sauvegardé Vieille ville de Constantine, 2010.

Giovanoni : L'enrichissement implique sauvegarde, valorisation et production, dans une perspective durable. La sauvegarde concerne le patrimoine qui justifie une réhabilitation doit être préservé pour une éventuelle utilisation. ¹

La réhabilitation énergétique du patrimoine bâti habité constitue ces derniers temps un levier pour l'amélioration du cadre de vie en matière de confort thermique. La réhabilitation énergétique d'un bâtiment offre beaucoup d'avantages : diminue sa consommation de chauffage et d'énergie, réduit les émissions de polluants dans l'atmosphère, améliore le confort intérieur, valorise et pérennise son bien immobilier. ² Il est temps que le secteur du patrimoine accélère ses efforts pour l'inclure dans cette réflexion. Economiser de l'énergie tout en respectant le patrimoine bâti ; c'est deux buts tout en étant un défi. De même, la bonne santé de l'immeuble et celle de ses occupants peuvent aller de pair.

Cependant, les travaux de réhabilitation du patrimoine bâti domestique se trouvent confrontés à des nouvelles exigences économiques, réglementaires et culturelles visant à renforcer les performances énergétiques du bâti. Notons que si ces nouvelles exigences peuvent (sans trop de difficultés) être intégrées dans le processus de construction des bâtiments neufs, leur application à des travaux de réhabilitation des bâtiments anciens pose de nombreux contraintes techniques, esthétiques et risque de faire perdre à ce patrimoine fragiles son authenticité, mais posent aussi la question de la valeur culturelle du bâti ancien, en regard de sa valeur d'usage.

Partons de ce constat et du fait que la réhabilitation du patrimoine a pour objet de mettre en exergue une complémentarité entre une intervention *contemporaine* et un bâtiment d'*origine*, tout en donnant à ce patrimoine réhabilité une nouvelle nature sans le dénaturer, de respecter son passé tout en exprimant la modernité et en intégrant l'évolution des attentes et des usages, la questions qui mérite d'être posée: ***Quelle est la stratégie approprié pour assurer l'intégration de l'énergie efficace dans l'architecture domestique patrimonialisée sans pour autant compromettre son authenticité ?***

Plusieurs interrogations s'imposent aussi:

- quelles sont les valeurs ou bien les caractéristiques intrinsèques les plus significatifs de la maison traditionnelle à sauvegarder?
- quels sont les besoins énergétique de ce type de maison ainsi les besoins de ces habitants ?
- quelle intervention énergétique peut on mettre en œuvre pour concilier le confort des hommes aux signification et valeurs du patrimoine ?

Hypothèse:

Pour répondre à la problématique posée, nous avons émis l'hypothèse suivante :

- L'intégration de l'efficacité énergétique dans le processus de réhabilitation permet non seulement la réduction des couts énergétiques et l'amélioration du confort thermique

¹ GIOVANNONI, G. *L'urbanisme face aux villes anciennes*. Paris, Edition Seuil, 1998.

² PEISSEI, G. *le bâti ancien, le patrimoine et l'énergie*. cahier de recommandation. Grenoble, Edition Des Deux Ponts, 2010.

intérieur, mais peut également assure la durabilité des opérations de réhabilitation du patrimoine bâti domestique.

objectifs:

Notre recherche s'articulera autour de la problématique liée à la réhabilitation énergétique du patrimoine domestique bâti. Autrement dit cette recherche vise à concilier « **efficacité énergétique et qualité patrimoniale** » donc les objectifs attendue de ce travail se résumant comme suit:

- Intégrer l'étude de l'efficacité énergétique dans le processus de la réhabilitation du patrimoine domestique, un tel outil aide l'administration publique à élaborer des politiques d'économie d'énergie dans ce secteur.
- Elaborer des stratégies qui visent la protection du patrimoine domestique bâti, l'économie de l'énergie et l'amélioration des conditions de vie dans le patrimoine domestique en gardant à l'esprit la préservation de ses valeurs architecturales et urbaines.
- Etablir un diagnostic des performances énergétiques de ce patrimoine afin de proposer des systèmes plus performants et des prestations de confort plus élevées avec des économies au niveau des consommations.

Méthodologie de recherche:

762

Afin de mener à bien cette recherche une certaine démarche méthodologique est plus que nécessaire en vue d'une bonne gestion du temps et une meilleure maîtrise du sujet. Globalement, le travail s'organise comme suit :

analyse de contenu

Qui a pour but de collecter les informations théoriques nécessaires, en mobilisant plusieurs types de sources (thèses, articles, livres, rapport) qui s'orientent principalement vers la question du patrimoine bâti domestique. L'investigation doit impérativement toucher aussi la politique de réhabilitation en Algérie et plus particulièrement celle du secteur sauvegardé (les textes juridiques, les documents d'urbanisme, le PPSMVSS, les données statistiques,...), des fiches documentaires, des fiches de lectures sont indispensables pour accumuler et organiser les informations nécessaires. Parallèlement à ces investigations un autre soubassement théorique relatif à la réhabilitation énergétique doit être élaboré mettant en lumière tous les concepts inhérents à notre thématique.

enquête

D'abord ces valeurs assignées au patrimoine ne peuvent qu'être relatives. Elles ne prennent tout leur sens que comparées aux valeurs accordées aux autres patrimoines historiques. Cela étant, l'évaluation des résultats de ce type d'approche peuvent entacher, de manière constitutive d'ailleurs, la collecte de l'information au moyen d'un questionnaire composé de questions fermées qui visent à clarifier les valeurs du patrimoine vue du côté des résidents d'aujourd'hui dans la médina ? quel sont les valeurs ressentie envers ces maisons? .

Investigation in situ

Cette partie expérimentale est basée essentiellement sur un travail de terrain où des campagnes de mesures seront effectuées dans une les échantillons " maison traditionnelle réhabilitée", présentant les problèmes d'ordre climatiques qui causent une consommation élevée de l'énergie.

Ceci, nous permet de procéder à une analyse quantitative de certains paramètres: « l'inertie des matériaux , la température , la consommation énergétique » afin d'aboutir à des résultats concrets et convaincants qui mettent en évidence l'impact réel des effets du climat en particulier aussi bien sur les constructions que sur la consommation énergétique .

Le modelage et la simulation

Un travail de modélisation de notre cas d'étude suivi d'opérations de simulation portant sur les aspects énergétique que nous recherchons suivi d'une interprétation des résultats.

Bibliographie:

• Les ouvrages

- ALEXANDROFF. GET, J.M. *Architectures et climats - Soleil et Energies naturelles dans l'habitat*, éd. Berger-Levrault, Paris,1982.
- COURGEY, S, OLIVA J. P. *La conception bioclimatique des maisons confortables et économes, terre vivante*, éd. Mens, France.2007.
- GAUZIN-MULLER, D. *L'architecture écologique*, éd. Moniteur, Paris, 2001.
- GIVONI, B. *L'homme, l'architecture et le climat*, éd. Parenthèses, Paris, 1986.
- GONZALO, R, HABERMANN, K. *Architecture et efficacité énergétique*, éd. Birkhauser. Paris, 2008.
- GRANDET,D. *Architecture et urbanisme islamique*, éd.OPU, Alger, 1988.
- GUECHI, F. *Constantine, une ville, des héritages*, éd. Media-Plus, Algérie, 2004.
- GUIDONI, E. *Architecture Primitive*, éd. Gallimard, Paris, 1995.
- JOFFROY, P. *La réhabilitation des bâtiments conserver, améliorer, restructurer les logements et les équipements*, éd. Le Moniteur, Paris, 1999.
- LIEBARD, A. *Traité d'urbanisme et d'architecture bioclimatiques*, éd. Observ'ER. Paris,2005.
- MECHTA,K. *Maghreb architecture et urbanisme patrimoine, tradition et modernité*, éd.Publisud, Alger, 1991.
- MISSOUM, S. *Alger à l'époque ottoman la médina et la maison traditionnelle*, éd.isud, Paris, France,2003.
- RAVEREAU,A. *La Casbah d'Alger, et le site créa la ville*. éd.Sindibad. 1989.

• Dictionnaires

- Dictionnaire de la langue française de E-Littré. Hachette 1992.
- Petit Larousse illustré, Dictionnaire encyclopédique pour tous – 1983. Librairie Larousse, Paris, France.

• Thèses et Mémoires

- ACHAB, Samia. *Élaboration d'un guide technique de réhabilitation du Patrimoine : Habitat de la période ottomane*. Mémoire de magister, Université de Tizi-Ouzou, 2012.
- ATEK, Amina. *Pour une réinterprétation du vernaculaire dans l'architecture durable : cas de la Casbah d'Alger*. Mémoire de magister, Université de Tizi-Ouzou, 2012.

- BELAID, Wafa. *Patrimoine architectural, entre technicité, confort et durabilité : Cas de la maison de L'Oukil du Sanctuaire de Sidi Boumediene*. Mémoire de magister, Université Abou baker Belkaïd Tlemcen, 2014.
- BELLARA, Samira. *Impact de l'orientation sur le confort thermique intérieur Dans l'habitation collective*. Mémoire de magistère, université de Mentouri, Constantine. 2005.
- BOUMAUCHE, Nasreddine. *prise en compte de l' humidite dans le projet de rehabilitation des maisons vernaculaires cas de la medina de constantine*, Mémoire de magister, Université Mentouri Constantine. 2005.
- DIDI, Ilies. *Habitat traditionnel dans la ville de Tlemcen, cas de Derb Sensela*, Mémoire de magister, Université Abou baker Belkaïd Tlemcen, 2013.
- HASSAS, Naima. *Etude du patrimoine architectural de la période ottomane*. Mémoire de magister, université Mouloud Mammeri, Tizi-Ouzou, 2012.
- KEDISSA Chahrazed. *Impact de la géométrie des espaces extérieurs sur le microclimat urbain*. Mémoire de magister, Université de Constantine, 2010.
- NAIT, Nadia. *La réhabilitation énergétique dans les logements collectifs existants : cas du climat semi aride de Constantine*. Mémoire de magistère, université de Constantine, 2011.
- SEOUD, Souhila. *audit énergétique des bâtiments tertiaires: cas de trois bâtiments existants à Alger*. Mémoire de magistère, EPAU-Alger, 2016.
- TANGUY, Loren. *Leçon de l'habitat vernaculaire islamique*. Mémoire de fin de stage, Architecture et Ingénierie à Haute Qualité Environnementale Formation continue, Ecole d'Architecture de Paris La Villette. 2006.

• Revues

- ABDULAC, Samir. « les maisons à patio, Continuités historiques, adaptations bioclimatiques et morphologies urbaines », Icomos, Paris, 2011.
- BELKHAMSA, Sarah. « Eco-conception et architecture bioclimatique », *Cours Master n°1*, école des beaux Arts, Tunis. 2013
- BESIM, Hakim. « Le rôle du Urf dans la diversification de l'architecture des cités islamiques », université du roi Faisal Dammam, Saudia Arabia. 1994.
- CHAUVOT, Myriam. « solaire, architecture et patrimoine », Journée d'étude, 2008.
- des etats gerneraux du Vieux-Quebec, *organisé par du nouveau monde*, Québec, 2010.
- IZARD, Jean-Louis. « Outils de représentation de la course apparente du soleil ». *école nationale supérieure de d'Architecture*, Marseille. 2009.
- KASSAB, Tsouria. « Réécriture des espaces, entre discours idéologiques et pratiques La Casbah d'Alger ». colloque international organisé dans le cadre
- SIDLER, Olivier. « *L'Inertie thermique en climat méditerranéen. Confort et consommations d'énergie* » Colloque, Montpellier, 2003.

• Article public

- AI-AZZAWI, Subhi. « *Dally impact of climat on the patern of urban family life, Indigenous Courtyard Houses of Baghdad* », WREC. 1996.
- BENCHERIF, M et CHAUCHE, S. « la maison urbaine à patio, réponse architecturale aux contraintes climatiques du milieu aride et chaud », *John libbey eurotext*. [en ligne]. Vol. 24 N°3 (septembre 2013), p42-86.
- CHARRON, R et al. « Optimization of the performance of double facades with integrated photovoltaic panels and motorized blinds ». *Solar Energy*. 2011, (80) p 482–491.

- DEBBIE, crockford. « Sustaining Our Heritage: The Way Forward for Energy-Efficient Historic Housing stockhttp», *The Historic Environment: Policy & practice*. Vol. 5, No. 2 (July 2014). Practice://www.tandfonline.com /doi/full/10.1179/1756750514Z.00000000051?src=recsys [page consulté le 11/06/2017].
- ENES, Y et VILDAN, O. « Evaluation of the effects of courtyard building shapes on solar heat gains and energy efficiency according to different climatic regions » *Energy and buildings*. Vol 73, No. 3 (July 2014). https://www.researchgate.net/publication/260212094_Evaluation_of_the_effects_of_courtyard_building_shapes_on_solar_heat_gains_and_energy_efficiency_according_to_differnt_climatic_regions. [page consulté le 13/06/2017].
- FABRIZIO, ASCIONE ET AL. «ENERGY RETROFIT OF AN EDUCATIONAL BUILDING IN THE ANCIENT CENTER OF BENEVENTO. FEASIBILITY STUDY OF ENERGY SAVINGS AND RESPECT OF THE HISTORICAL VALUE ». *ENERGY AND BUILDINGS*. VOL 95, NO. 10, (MAY 2015) [HTTP://WWW.SCIENCEDIRECT.COM/SCIENCE/ARTICLE/PII/S0378778814009189](http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0378778814009189). [PAGE CONSULTÉ LE 20/05/2017].
- GADI, Mohamed. «Effect of courtyard proportions on solar heat gain and energy requirement in the temperate climate of Rome», *Building and Environment* 41, 2006, p 245–253.
- GUOSHU, B et PAUL, P. « Measuring buildings for sustainability: Comparing the initial and retrofit ecological footprint of a century home – The REEP House ». *Applied Energy*. Vol 93, No. 3, (Mai 2012). <http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0306261911003655>. [page consulté le 13/06/2017].
- HISARLIGIL, Hakan, «Exploring the Courtyard Microclimate through an Example of Anatolian Seljuk Architecture: The Thirteenth-Century Sahabiye Madrassa in Kayseri». *Sustainability in Energy and Buildings, Smart Innovation, Systems and Technologies*. Volume 22,2011, p 59-69.
- JRADI, M . «A DYNAMIC ENERGY PERFORMANCE-DRIVEN APPROACH FOR ASSESSMENT OF BUILDINGS ENERGY RENOVATION—DANISH CASE STUDIES ». *ENERGY AND BUILDINGS*. VOL 105, NO. 10, (JANVIER 2018) [HTTP://WWW.SCIENCEDIRECT.COM/SCIENCE/ARTICLE/PII/S037877881731126X](http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S037877881731126X). [PAGE CONSULTÉ LE 20/05/2017].
- KALLIOPI, F et MAY,C . «Energy Efficiency in Heritage Buildings — Future Challenges and Research Needs», *The Historic Environment: Policy & practice*, Vol 5, No. 2 (July 2014). <http://www.tandfonline.com/doi/full/10.1179/1756750514Z.00000000058> [page consulté le 13/06/2017].
- KESKAS, Imène, DERRADJI, Mohamed. «Repenser l’architecture de la maison à patio en s’inspirant de l’architecture traditionnelle : cas d’étude la Casbah d’Alger» *Conférence internationale de l’architecture et des arts islamiques*. Constantine, 2014, p 60-94.
- PETONNET, Colette. « Espace, distance et dimension dans une société musulmane ». In: L’Homme, 1972, tome 12 n°2. pp. 47-84.
- LIVIO, mazzarella. « Energy retrofit of historic and existing buildings. The legislative and regulatory point of view». *Energy and Buildings*. Vol 95, No. 10, (May 2015) <http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0378778814009190>. [page consulté le 20/05/2017].
- RAYMOND, Albert. « Espaces public et espace privé dans les villes arabes traditionnelles, in Maghreb, Machrek, Monde arabe», *La documentation française, 1er trimestre*, n°123,1989.

Site web

- EFFICACITE ENERGETIQUE DES BATIMENTS TERTIAIRE. Pompe à chaleur, installation réversible rafraichissement. [En ligne] <http://www.energieplus-lesite.be/index.php?id=17100> [page consultée le 06/04/2016].
- SCUDO, Gion. « Climatic design in the Arab courtyard houses Environmental Design», Journal of the Islamic Environmental Centre, disponible sur; <https://archnet.org/library/pubdownloader/pdf/4926/doc/DPC0762.pdf>. [consultée le 8avril2016].
- SUPIC, Pierre. « Aspects bioclimatiques de l'architecture vernaculaire ». Arch. & Comport./ Vol.10, disponible sur : <http://www.habiter-autrement.org/11.construction/contributions-11/Habitation-vernaculaire-et-contraintes-climatique.pdf>. [consultée le 05mars2016].

Tourisme culturel: valorisation du patrimoine et développement local cas de Constantine

BOULHILA Sabrina¹, Département Géographie et aménagement du territoire

Alouat Mohamed², Département Géographie et aménagement du territoire

Rezzaz Mohamed Abdessamad³, Département Géographie et aménagement du territoire

Résumé : Le tourisme peut jouer un rôle déterminant en tant que secteur moteur du développement économique et sociale d'une métropole comme Constantine.

Constantine est un pôle de production artisanal, interne jusque là. Mais qui prétendre à une renommée internationale, à travers la valorisation du riche patrimoine culturel de la ville.

Le patrimoine archéologique, les monuments, édifices religieux, les fêtes locales et traditionnelles, les arts populaires sont des atouts dont Constantine dispose. Une motivation pour les jeunes à la recherche d'épanouissement identitaire.

De nos jours, tout le monde reconnaît l'intérêt de la culture et du patrimoine pour la qualité de la vie d'un quartier, d'une communauté, les retombées en emplois et les revenus générés par les touristes fréquentant les monuments, les expositions, les sites patrimoniaux ou les festivals. Culture et patrimoine jouent un rôle fondamental en contribuant à la conservation de la mémoire, au développement du sentiment d'appartenance et au renforcement de l'identité et de l'image de marque d'une localité ou d'une région, tout en étant des facteurs d'attractivité indéniables. Mais au-delà de ces constats, il est aussi reconnu que la culture, en général, et la protection du patrimoine, en particulier, constituent désormais des facteurs non négligeables de développement durable viable des communautés

Mots-clés : Tourisme culturel, patrimoine culturel, développement local, valorisation du patrimoine, ville de Constantine.

Abstract: Tourism can play a determining role as a driving sector for the economic and social development of a metropolis like Constantine.

Constantine is a center of artisanal production, internal until then. But who claim to an international reputation, through the enhancement of the rich cultural heritage of the city.

The archaeological heritage, monuments, religious buildings, local and traditional festivals, popular arts are assets that Constantine has, A motivation for young people looking for identity development.

Nowadays, everyone recognizes the interest of culture and heritage for the quality of life of a neighborhood, a community, and the repercussions on jobs and the income generated by tourists frequenting monuments, exhibitions, heritage sites or festivals. Culture and heritage play a fundamental role in contributing to the preservation of memory, the development of a sense of belonging and the strengthening of the identity and image of a locality or region, while being undeniable attractiveness factors. Beyond these findings, however, it is also recognized that culture, in general, and heritage protection, in particular, are now important factors in the sustainable development of sustainable communities.

Keywords: Cultural Tourism-Cultural Heritage-Local Development-Heritage Development-Constantine City

¹ Doctorante en aménagement touristique et protection du patrimoine, Université des Sciences et de Technologie Houari Boumedienne-Algérie

² Maitres de Conférences, Ecole Normale supérieure de Bouzereah, Algérie

³ Professeur de l'enseignement supérieure, Université des Sciences et de Technologie Houari Boumedienne-Algérie

Choix de la zone d'étude :

* La ville de Constantine :un tel choix est justifié par l'ampleur des richesses naturelles propre à cette région .

* la spécificité de cette région réside dans l'importance est la diversité du patrimoine culturel : matériel et immatériel qui constitue une source potentielle du développement local

L'objectif de ce travail :

Le développement touristique ne dépend pas de la présence d'un potentiel patrimoniale sur un territoire ; mais du regard accordé a celui-ci par les différents acteurs et de leurs capacité a le valoriser pour extraire les différents usages touristiques.

-Notre objectif dans un premier temps est de clarifier la notion de patrimoine culturel et de cerner son périmètre, dans un premier chapitre nous allons nous focaliser sur l'étude du patrimoine culturel ses différents dimensions ; son attractivité territoriale et ses apports.

Les raisons du choix du thème :

Le tourisme occupe une place importante, dans le développement de l'économie d'un pays, c'est aussi un reflet de la puissance nationale générale, d'ailleurs le tourisme contient une riche culture leur combinaison a donné naissance a une forme touristique : « **tourisme culturel** »par conséquent la recherche de la situation actuelle du tourisme culturel et des façons d'exploitation est de grande importance par le développement de la société et pour résoudre les problèmes existants.

768

Méthodologie de travail :

(Enquête semi structure, méthode boule de neige)

Un travail de terrain est indispensable pour mener notre analyse, vérifier nos hypothèses et répondre aux interrogations que nous avons posées

Introduction :

Le secteur touristique est un secteur vital qui présente l'un des leviers de rupture avec la dépendance de l'économie algérienne à l'égard des hydrocarbures. C'est dès lors l'une des voies de la diversification économique de notre pays. En revanche, il convient de souligner que beaucoup d'insuffisances sont à l'origine du retard connu par ce secteur en Algérie. Dynamiser ce secteur passerait sans équivoque par une réelle volonté politique qui tenterait de remédier à l'insuffisance des budgets alloués au secteur ; de libérer le foncier pour permettre un maximum d'investissements ; d'améliorer le climat des affaires... Concrètement les défis à relever sont nombreux, il s'agit de valoriser le patrimoine immatériel (gastronomie, savoirs faire locaux, artisanat...), le patrimoine archéologique, d'accroître l'attractivité des villes, d'améliorer la mobilité et les transports, de renforcer la sécurité, de construire des infrastructures adaptées, de former le personnel... Il s'agit également de réanimer le tourisme domestique et donc de commencer par satisfaire une demande intérieure exigeante et urgente à côté d'une demande extérieure soumise à une très forte concurrence en transformant les richesses dont est dotée l'Algérie en produits touristiques.

Le tourisme peut être un outil d'émancipation permettant de s'ouvrir à d'autres cultures et mentalités apprendre à se connaître et connaître d'autres cultures, s'enrichir et de communiquer intellectuellement, émotionnellement, et spirituellement et les flux de ces échanges entre les individus donne naissance à une forme de tourisme que l'on appelle : « tourisme culturel ».

Le tourisme culturel a été et demeure un des principaux véhicules d'échanges culturels, une occasion d'expériences professionnelles non seulement de ce qui a survécu du passé mais aussi de la vie actuelle d'autres groupes humains. Il est de plus en plus reconnu comme une force positive qui favorise la conservation du patrimoine naturel et culturel. , ce type de tourisme représente un enjeu économique essentiel pour de nombreux pays et de nombreuses régions, et peut être un facteur important de développement, lorsqu'il est géré avec succès

L'Algérie possède des potentialités naturelles, architecturales et culturelles pour figurer parmi meilleures destinations touristiques du bassin méditerranéen

Elle est le plus grand pays (africain/arabe /méditerranéen),a été cité dans la liste des « sept destinations phares de l'année 2019 » établie par le tour opérateur français Voyageurs du Monde, en partenariat avec la version française du magazine américain Vogue.

Le tourisme et ses avantages pour un pays :

QU'EST-CE QUE LE TOURISME?

Le tourisme signifie visiter un endroit étranger. Le mot « Tourisme » signifie aussi l'exploitation d'entreprises comme les hôtels ou le secteur du voyage.

POURQUOI LES TOURISTES VISITENT D'AUTRES PAYS?

Il y a de nombreuses raisons pour une personne de voyager dans d'autres pays, comme les affaires, visiter la famille et les amis, ou simplement pour le plaisir. Les touristes veulent généralement jouir de l'expérience unique offerte par l'endroit qu'ils visitent, que ce

Soit les monuments culturels ou des sites naturels.

QUELS SONT LES AVANTAGES DU TOURISME?

Le tourisme apporte de nombreux avantages à un pays. Premièrement, le tourisme rapporte de l'argent au pays – pas seulement les dépenses au sein du secteur du tourisme, mais aussi les entreprises locales allant des restaurants aux magasins. Deuxièmement, un secteur du tourisme prospère peut amener la création de nouvelles entreprises et donc créer de nouvelles opportunités d'emplois pour les locaux. De plus, l'argent amener dans le pays par le tourisme peut être utilisé par le gouvernement afin d'améliorer les routes, les bâtiments, les transports ou autres aménagements publics.

QUE PEUVENT FAIRE LES LOCAUX?

Même si vous ne travaillez pas dans l'industrie du tourisme, en tant touristes de votre pays.

L'interaction avec la population locale représente une partie importante de l'expérience des touristes pendant leur voyage. Pour cette raison, il est important que les locaux soient amicaux et serviables avec les touristes – par exemple, même une chose simple qu'un sourire à

l'attention des touristes peut les faire aussi se sentir bienvenues. Si les touristes trouvent leur expérience agréable au sein du pays qu'ils visitent, ils sont susceptibles de revenir, d'encourager d'autres personnes à faire le même voyage, ou même d'écrire des commentaires positifs sur internet. Sur le long terme, cela aidera l'industrie du tourisme à prospérer et le pays

Présentation de la zone d'étude :

Constantine possède une beauté unique. Elle recèle des potentialités touristiques : les sites de la ville sont d'une beauté à couper le souffle : Constantine est elle-même une entité à part sur le plan du tourisme. Elle est constituée principalement d'un site rocheux sur lequel elle a été construite, et scindée en deux parties par les fameuses Gorges du Rhummel. Les ponts, les monuments antiques, les inscriptions romaines, le musée, le Palais de Salah Bey, les mosquées, les universités.

Ville touristique par excellence, Constantine demeure le trône de l'histoire du pays, la plus ancienne dans le Bassin méditerranéen mais surtout un berceau de la civilisation. Elle est la perle de l'Algérie, majestueuse et rebelle autant que ses anciens héros tels que Massinissa. Elle reste mystérieuse pour la plupart et pour beaucoup c'est la ville dont on tombe amoureux et qu'on n'a plus envie de quitter

- Quels sont les attractions touristiques de Constantine ?

- Comment le tourisme peut jouer un rôle vital pour la préservation et la valorisation du patrimoine (tangibles et intangibles) ?

- Comment la culture peut-elle contribuer au développement local ? et quels sont les contraintes qui entravent son développement ?

I-Evaluation du potentiel touristique de la ville de Constantine :

Aperçu historique :

Différentes civilisations, dont la première remonte à la 4e ère géologique, se sont succédées à Cirta, aujourd'hui Constantine : punique, numide, romaine, Byzantine, vandale et, enfin, musulmane (fatimide, hammadite, almohade, hafside, turque).

Ces civilisations ont laissé des traces et vestiges nombreux, notamment mégalithiques (à OuledRahmoune et à Sidi M'Cid avec les cavernes d'ours et du mouflon), numides (mausolée de Massinissa, stèles provenant du sanctuaire d'El-Hofra visibles au musée Cirta), romains (arcades) et musulmans (mosquée Sidi Lakhdar, palais du gouverneur turc Ahmed bey).

Les ponts de Constantine constituent des témoignages de plusieurs époques.

Constantine a joué d'importants rôles dont celui de la Numidie, qui s'étendait de Gafsa (Capsa-Tunisie) à Muluccha (Moulaya-Maroc).

De son rayonnement intellectuel et spirituel attestent plusieurs historiens et hommes de culture qu'elle a vu naître ou qu'elle a accueillis tels IbnKounfoud, Ibn El-Khatib, Ibn Hamza, IbnLefkoun, Réda Houhou, Malek Haddad, et les chanteurs juifs.

Constantine ,ville de créativité dans chaque coin et recoin des sites remonte dans le temps pour offrir aussi bien a l'homme qu'a la terre des traditions et des coutumes qui constituent un patrimoine unique qui la distingue des autres villes du monde qui l'entourent .

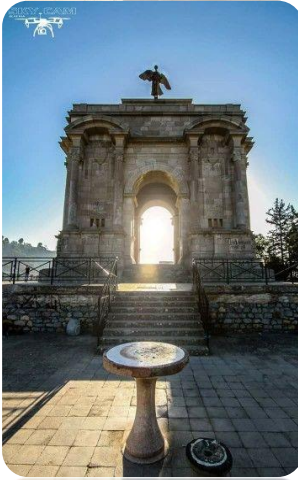
Constantine, ville d'art avec ses différentes écoles qui ont immortalisé de célèbres artistes dans différents domaines d'arts, les a inspirés et les faits rêver au point de croire qu'ils sont venus au monde ensemble.il s'agit la d'une harmonie de souhaits qui ont emprunté de l'imaginaire des humains le plaisir et la passion de la recherche du secret qui lui confère sans cesse magnificence unique.

La ville de Constantine (en arabe Qacentina) est une ville de nord-est de l'Algérie, elle est également le chef-lieu de la Wilaya du même nom. La population de la ville est estimée à 448 374 habitants (2008). Constantine est aussi connue sous d'autres noms comme « la ville des ponts suspendus » ou bien « la ville des aigles ».

Constantine possède un charme unique en son genre de par son histoire et ses richesses naturelles, une ville littéralement coupée en deux par un vide abyssal que relie de multiples ponts...

La situation géographique de Constantine :

La ville est située sur un plateau rocheux à 640 mètres au-dessus du niveau de la mer. Elle est littéralement coupée en deux par un profond ravin où coule l'oued Rhummel. Le ravin est traversé par quatre ponts qui relient la ville entre elle. Le canyon fait 1 800 m de long et atteint une profondeur de 135 m à son début à près de 200 m au niveau du pont de Sidi M'cid. Constantine bénéficie d'un climat de type continental caractérisé par des minimales de 0 à 12° en hiver et des maximales de 25 à 45° en été.





Le journal américain « USA Today » a classé, sur son site Internet, Constantine parmi les onze villes « hors radar » du monde à visiter en 2018 « Construit sur et autour des montagnes, cet ancien avant-poste romain est appelé la ville des ponts en raison de ses nombreuses travées de ravin », indique cette publication en présentant la ville algérienne. Pour établir ce listing, « USA Today » s'est appuyé sur les explorations de Sal Lavallo, un jeune américain de 27 ans qui a visité tous les 193 États membres des Nations Unis. D'après ce voyageur, « les destinations les plus obscures sont les plus mémorables ». « Les vues sont magnifiques. C'est une combinaison de la culture nord-africaine, berbère et française », dit Lavallo à propos de Constantine.

772

I- Les Potentialités touristiques de la Wilaya :

La wilaya de Constantine présente des grandes potentialités touristiques, Ces potentialités se présentent comme suit :

Les Potentialités touristiques Naturelles :

Les ponts: Les sept ponts : en raison de la topographie de la ville et l'existence de la vallée d'Oued-Rhumel. Constantine est dotée de sept ponts pour permettre à joindre les deux rives.

Les endroits à visiter de Constantine :

- Le Pont Suspendu de Sidi M'Cid a été construit en 1912 juste en haut d'une arche naturelle. Le pont est d'une longueur de 164m et d'une hauteur de 175m, depuis le pont la vue offerte sur les gorges et la vallée du Hamma est fantastique.



- Le Pont d'El Kantara, est le plus ancien de la ville, construit en 1792 par Salah bey sur les ruines d'un pont romain, reconstruit par les Français en 1860, il fut ouvert à la circulation en 1863.

- Le Pont Sidi-Rached Ouvert à la circulation en 1912 comprend 27 arches dont la plus large est de 70 m de diamètres avec une longueur de 447 m et une largeur de 10.5 m. Le pont est un grand repère fascinant, occupe une bonne place dans la carte de la ville, il est l'un des plus hauts ponts de pierre du monde.

773



- Le Pont des Chutes : achevé en 1928, se trouve sur la route de la piscine et enjambe le Rhumel au niveau des chutes.



- La Passerelle Mellah Slimane (ex Pérregaux) : Est une petite réplique du pont du pont suspendu long de 125 m large de 2.50 m aidé par un ascenseur qui relie le quartier de la gare au centre de la ville



- Le Pont du Diable : un petit pont qui relie les deux extrémités du fleuve el Rhumel se situant à l'inférieur du gouffre ainsi le petit pont des béliers.

774

- Inauguré en juillet 2014, le pont Salah Bey est très design et impressionnant. D'une longueur de 756 mètres, il relie le centre-ville et la nouvelle ville. C'est le huitième pont de Constantine.



2- les jardins : La wilaya de Constantine est représenté par des multitudes de jardins

- jardin « BEN NACER » (BAB EL Oued)
- jardin “BEYROUTH” (SIDI Mabrouk)
- jardin du palais du bey
- plusieurs jardins à travers l’ensemble des communes

3-Le chemin des touristes : C’est au bout du pont des chutes qu’aboutit le célèbre chemin des Touristes qui permet de visiter le fond des gorges, dont l’entrée se situe à 1800 mètres en amont, au pont du diable crée par monsieur REMES en 1895.

4-Les forêts : sur le territoire de la wilaya s’étend une superficie importante couverte de forêt une superficie de 18000 HA avec plusieurs espèces très diversifiés (pin, pin d’alpe, eucalyptus, chêne, chêne liège.....) tous ces sites sont un milieu écologique et permet de développer plusieurs activités touristiques :

Forêt de DJEBEL EL OUAHCH: c’est une forêt qui se situe à 7 Km de la ville à 1200 m d’altitude, riche par sa flore et sa dense végétation, c’est l’un des endroits les plus attractifs de la région de Constantine.

Forêt CHETTABA : 800 Ha, massif boisé peut devenir un espace de détente et de loisirs.

Forêt EL M’RIDJ : 200 Ha, massif boisé lieu de chasse.



Les Potentialités culturelles, Historiques et Archéologiques :*** Les Dolmens de Bounouara :**

***Mausolée MASSINISSA** : implanté à 16 Km de Constantine, dans le croisement des deux voies importantes du territoire numidien, à savoir, le parcours CIRTA –THEVESTE (Tébessa) et celui reliant CALAMA-SITIFIS (Guelma- Sétif). Contrairement à tous les autres monuments funéraires du territoire national, le mausolée de MASSINISSA a la particularité d’être de forme carrée de 8 m 40 de coté. Il s’élève à une hauteur allant de 80 cm à 2 m. Ce mausolée est attribué à MASSINISSA vaillant roi numide qui fit de Cirta la plus riche cité qui ne tarda pas à devenir capitale numide en l’an 202 avant J.C.

776



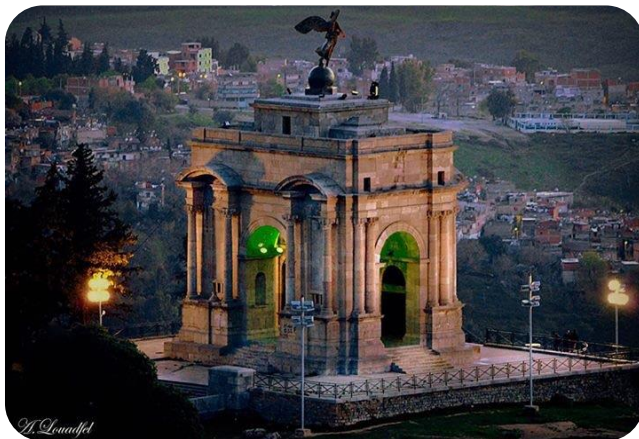
Les ruines Romaines de TIDDIS : a 30 Km de Constantine sur la RN 27, un merveilleux site étagé s’offre au regard, c’est le site de TIDDIS implanté sur un ensemble de rochers durs, de grande hauteur, c’est une ville qui à connu la conquête romaine, mais son non berbère prouve qu’elle avait existé bien avant eux. Elle reçut l’empreinte des civilisations : Libyque, Punique, Romaine, Chrétienne et Musulmane.



Les AQUEDUS : la ville de Cirta recevait l'eau de la source de BOUMERZOUG, située à 35 Km environ au Sud a la source même. Il y'avait un sanctuaire orné de colonnes corinthiennes, des vestiges du canal souterrain se trouvent sur divers points de parcours.



Le Monuments aux Morts : C'est un magnifique arc de triomphe, élevé à la mémoire des soldats morts durant la première guerre mondiale, il est la réplique de celui de Trajan qui s'élève au milieu des ruines romaines de Timgad, est un Arc de Triomphe situé en haut d'une falaise de la rive droite offrant une superbe vue sur Constantine.



La Kalaade Ain Smara : une valeur historique importante.

Palais du BEY : au centre ville un monument architectural unique. « Patrimoine architectural. »



OUDJEL : grotte historique au niveau d' IbnZiad.

Le théâtre : le théâtre de Constantine et le Musée Cirta sont des véritables monuments historiques qui imitent une architecture unique

La veille ville : Malgré l'extension de la ville et l'apparition de nouvelles cités, les noms des anciens quartiers, ont toujours une admirable résonance, en effet c'est une fierté d'évoquer Souk El asser, Rahbatessouf ,Erssif,Eldjazarine....

- La Brèche : (Place du 1er Novembre) est une place du centre ville de Constantine, elle tient son nom du fait de l'invasion française, c'est à cet emplacement que les soldats français furent une percée et ainsi occupé la ville.



Les ressources artistiques, culturelles et du patrimoine historique :

La Medersa : patrimoine de la ville.



Le Musée « Cirta » : Le Musée de Cirta date de 1930 et présente divers vestiges antiques, numides et romains ainsi que des collections de peintures orientalistes du XIXe siècle.



Constantine - Quartier du Bardo - Intérieur de boutique d'artisan dinandier



Site de l'APC et de l'APW : patrimoine architectural très important.

Les mosquées : La grande Mosquée, la mosquée Emir Abdelkader- La Mosquée Emir Abdelkader qui partage les bâtiments de l'Université des Sciences Islamiques est un chef d'œuvre architectural de l'art arabo-andalou, Mosquée Sidi Lakhdar, Mosquée El kattania.

Le patrimoine à Constantine: des richesses inestimables à l'abandon:

Le centre historique de Constantine a été déclaré en état de dégradation alarmante selon une étude faite par l'URBACO en 1984. Plusieurs sites et monuments sont délaissés, tels que :

Les dolmens qui sont considérés comme un patrimoine protégé depuis 1900.

Les anciennes mosquées de la ville concentrées dans le centre historique comme le cas de Djamaa el bey, la grande mosquée, Souk el ghazel... sont fermées pour des raisons de dégradation.

Les grottes du rocher, lieu de localisation de l'identité historique de la ville et de sa datation sont fermées et oubliées.

Les gorges du Rhumel : patrimoine protégé depuis 1928. servent de décharge à ciel ouvert, il n'existe aucune protection physique réelle, elles sont victimes de l'incivilité des habitants, et de la passivité des pouvoirs publics pour des raisons plurielles.

II- Le tourisme culturel: Les tendances actuelles confirment que le tourisme culturel occupera dans les prochaines décennies une place importante dans l'offre touristique mondiale. Les atouts de l'Algérie dans ce domaine la prédestinent à développer une offre touristique riche, compétitive et très appréciée qui intégrera2 :

- Le patrimoine archéologique,
- Les monuments et édifices culturels
- Les fêtes locales et traditionnelles et les arts populaires et jeux traditionnels,
- Les pôles de production et d'animation artisanale.

Ce patrimoine est fortement porteur et nécessite sa mise en valeur, afin de prétendre à une part de marchés touristiques proches et lointains.

Enjeux d'emploi et de développement local : le tourisme crée des emplois et génère des emplois indirects.

C'est un moyen efficace pour l'absorption du chômage et un facteur important dans le développement local des territoires.

- Enjeux environnementaux et d'aménagement du territoire : le tourisme est facteur prépondérant dans la préservation de l'environnement du fait qu'il requiert des espaces non pollués et bien aménagés pour une exploitation rationnelle et durable.
- Enjeux culturels : Le tourisme contribue aux échanges interculturels entre les peuples de diverses contrées. Il permet également la valorisation et la préservation du patrimoine culturel matériel et immatériel

- Enjeux d'image : l'attractivité d'un pays dépend de l'image de ce dernier au sein des touristes qui le fréquentent et qui font sa promotion en tant que destination touristique

1-1-Le tourisme culturel comme vecteur de développement local :

En effet, l'économie touristique entretient un rapport étroit avec le territoire, lieu d'expression de la culture et de sa diversité: ce sont tous les éléments constitutifs du patrimoine territorial (humain, naturel, climatique, historique, etc...) qui fondent son image, son attractivité, son positionnement et sa production. C'est sur le territoire que le touriste se déplace, produit et consomme. Ce sont les acteurs du territoire dans leur multiplicité et leur diversité (publics, privés, ONG, etc.) qui contribuent à la production touristique.

Le tourisme est devenu un outil efficace de développement et de lutte contre la pauvreté et le désenclavement des régions marginalisées en contribuant à leur «redéveloppement» tout en créant des espaces porteurs de petits projets rentables et dans la plupart des cas, cette affirmation économique, liée au développement touristique, a bénéficié au patrimoine en justifiant l'attribution d'importants crédits publics à des programmes de valorisation qui non seulement préservaient mais le plus souvent accentuaient ses fonctions éducatives et identitaires tout en renforçant son utilité économique et sociale.

La définition de « patrimoine » est ouverte à un éventail plus large de biens patrimoniaux matériels et immatériels. En 2003, l'UNESCO (Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture) adopte dans sa convention pour la sauvegarde du patrimoine culturel immatériel la définition suivante : « les pratiques, représentations, expressions, connaissances et savoir-faire R ainsi que les instruments, objets, artefacts et espaces culturels qui leurs sont associés R que les communautés, les groupes et, le cas échéant, les individus reconnaissent comme faisant partie de leur patrimoine culturel» (UNESCO, 2003).

II -Le tourisme et le patrimoine: Le patrimoine étant défini comme : « l'ensemble des éléments matériels et immatériels qui concourent à maintenir l'identité et l'autonomie de son titulaire dans le temps et dans l'espace par l'adaptation en milieu évolutif » (Ollagnon, 1989 : 266).

Les liens que cherche à établir le secteur touristique avec le patrimoine sont multiples. Ces liens et rapports illustrent de façon remarquable les besoins mutuels qu'ont les deux secteurs pour un développement réfléchi.

2-1-Le patrimoine culturel : facteur de développement touristique :

Dans son ouvrage intitulé "Patrimoine culturel et tourisme alternatif", Jean-Marie a expliqué l'intérêt que peut représenter le tourisme culturel pour le développement économique et l'emploi local en estimant que "les pouvoirs publics prennent conscience que la fréquentation touristique liée à l'attrait du patrimoine culturel constitue une manne financière conséquente à la fois pour les collectivités publiques, mais aussi en terme d'emplois induits ou de développement économique local Françoise CHOAY va dans le même sens dans son ouvrage "l'Allégorie du patrimoine" en généralisant l'intérêt à toute la nation en affirmant que "l'industrie patrimoniale représente aujourd'hui, directement

ou non, une part croissante du budget et du revenu des nations. Pour nombre d'états, de régions, de municipalités, elle signifie la survie et l'avenir économique, et c'est bien pourquoi la mise en valeur du patrimoine historique est une entreprise considérable."

Yves Bonard et Romain Felli résumant ces points de vue en stipulant que "pour la mise en tourisme culturel, la valorisation patrimoniale constitue un volet stratégique essentiel."

2-2-Le tourisme : facteur de mise en valeur du patrimoine:

le patrimoine peut être un levier de l'activité touristique. Quel est l'effet du tourisme sur le patrimoine ? A-t-il un effet bénéfique ?

La Charte Internationale Du Tourisme Culturel explique que "le tourisme a été et demeure un des principaux véhicules d'échanges culturels... Il est de plus en plus largement - reconnu comme une force positive qui favorise la conservation du patrimoine... le tourisme peut saisir les caractéristiques économiques du patrimoine et les utiliser pour sa conservation en créant des ressources, en développant l'éducation et en infléchissant la politique." Elle rajoute plus loin que "le tourisme, sous certaines conditions, est un atout pour la conservation du patrimoine à travers la fonction économique qu'il peut lui offrir.

Les flux financiers dégagés grâce aux visites et achats de touristes permettent l'entretien et le maintien en état de ce patrimoine." Ajoutant aussi que "l'intégration des politiques culturelles fondées sur la valorisation du patrimoine... est opérée, en grande partie par le tourisme culturel. car il permet la prise en conscience de la diversité culturelle ainsi que l'expérience de l'intégration culturelle par les touristes. Cela se passe, d'une part, grâce aux relations qui se nouent entre les visiteurs et les hôtes, et d'autre part, par l'intégration entre les visiteurs et le patrimoine culturel visité (musée, sites et villes historiques, etc.)".

III-Charte Internationale du Tourisme Culturel :

« Le tourisme, utilisateur du patrimoine culturel de l'humanité et contribuant à son enrichissement » se résume dans les points suivants :

1. Les ressources touristiques appartiennent au patrimoine commun de l'humanité; les communautés... ont vis-à-vis d'elles des droits et des obligations particuliers.
2. Les politiques et activités touristiques sont menées dans le respect du patrimoine artistique, archéologique et culturel, qu'elles doivent protéger et transmettre aux générations futures.
3. Les ressources tirées de la fréquentation des sites et monuments culturels ont vocation, au moins partiellement, à être utilisées pour l'entretien, la sauvegarde, la valorisation et l'enrichissement de ce patrimoine.
4. L'activité touristique doit être conçue de manière à permettre la survie et l'épanouissement des productions culturelles et artisanales traditionnelles ainsi que du folklore, et non à provoquer leur standardisation et leur appauvrissement.

Les avantages du tourisme culturel:

L'activité touristique engendre de nombreux effets bénéfiques sur la ville.

Les avantages du tourisme culturel : Les effets du tourisme peuvent être très positifs en termes de dynamisme économique, diversification des activités, de création d'emplois,

de perspectives de profits et de rentrée de devises. Il apparait donc comme une issue possible pour lutter contre la pauvreté.

Connaissances, rencontres, échanges et abaissement de préjugés sont aussi des biens faits du tourisme.

Avec la massification du tourisme et le renouveau du tourisme culturel, les villes historiques ont découvert leur patrimoine et sa valorisation et nombreuses d'entre-elles ont fait du tourisme un axe principal dans leurs stratégies de développement économique.

Ainsi, le patrimoine s'est vu investi d'une valeur marchande. Il est également devenu l'image de marque de nombreuses destinations.

La fréquentation touristique permet également de récolter des fonds (par le biais d'entrées payantes dans des monuments ou musées, de taxes touristiques diverses, de consommation sur place, etc.) utiles pour la restauration et la conservation du bâti.

Une tentative de synthétiser l'ensemble des biens faits du tourisme culturel est regroupé dans le diagramme suivant :

Les emplois directs: sont dans les activités répondant à la demande immédiate des touristes et des visiteurs :

La restauration, hébergement, agences de voyage, office de tourisme...

Les emplois indirects : ou les emplois induits: sont encore plus diversifiés ; ils sont dans les secteurs et les branches liées à l'activité touristique et aux loisirs

La mesure de l'impact du patrimoine, et l'empreinte culturelle pour une ville, ce pourrait être à travers des indicateurs simples reflétant :

- l'emploi culturel et l'emploi lié aux industries créatives
- le nombre de lieux culturels ouverts au public et leur fréquentation
- la dépense culturelle publique par habitant
- la qualité des équipements culturels via des études de satisfaction auprès de la population
- la proportion de catégories peu aisées dans les publics des établissements culturels.

La culture influence ainsi le développement local de trois manières :

- En disséminant des références favorables à la synergie des acteurs et la mise en œuvre de projets.
- En créant un milieu attractif pour ses habitants comme pour les visiteurs et les touristes.
- En servant de levier à la création de produits associant des dimensions esthétique et utilitaire.

La culture agit en quelque sorte comme mise en synergie des acteurs, bien de consommation final, et bien de consommation intermédiaire.

La reconnaissance de ces effets doit être tempérée par le fait que tous les territoires n'en bénéficieront pas de la même manière.

Leurs dimensions et leurs caractéristiques rendent plus ou moins possible la réalisation des effets attendus.

Ainsi les villes d'art ou les districts culturels apparaîtront-ils comme des territoires héritant d'une forte densité de ressources culturelles là où des quartiers déshérités ou des zones rurales en tireront plus difficilement profit.

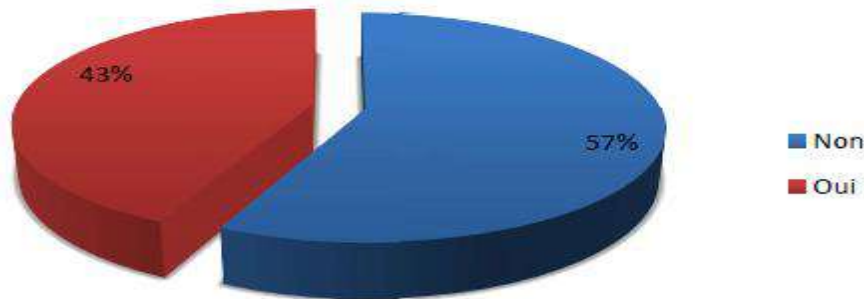
De manière plus générale, les villes apparaîtront plus à même de bénéficier de cette association entre culture et développement local : la densité des relations permet d'y satisfaire localement un certain nombre de besoins, de renouveler les formes culturelles grâce à des passages entre le global et le local, etc.

Ainsi chaque effet attendu des ressources culturelles prendra-t-il un profil spécifique selon les caractéristiques de ces territoires. Si le développement local relève de la culture, ce sera à des degrés variables et dans des formes différentes.

Partie pratique :

Analyse des données : Cette partie s'attache à présenter et étudier l'ensemble des résultats obtenus grâce à la collecte d'informations auprès des touristes locaux et étrangers qui ont visité la wilaya de Constantine durant les deux mois de juillet et août 2017

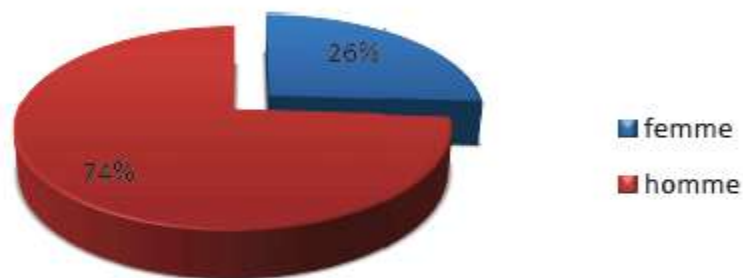
1-Première visite a la wilaya se Constantine :



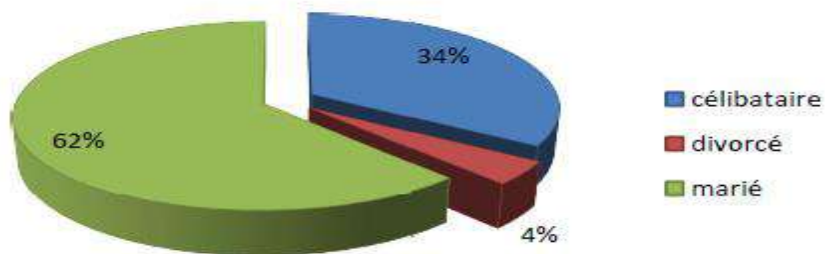
2-Répartition des touristes par nationalité :



3-Répartition des touristes par sexe :

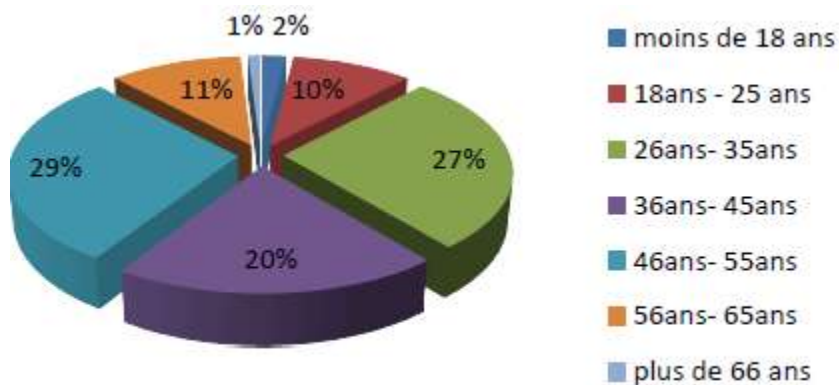


4-La Situation matrimoniale :

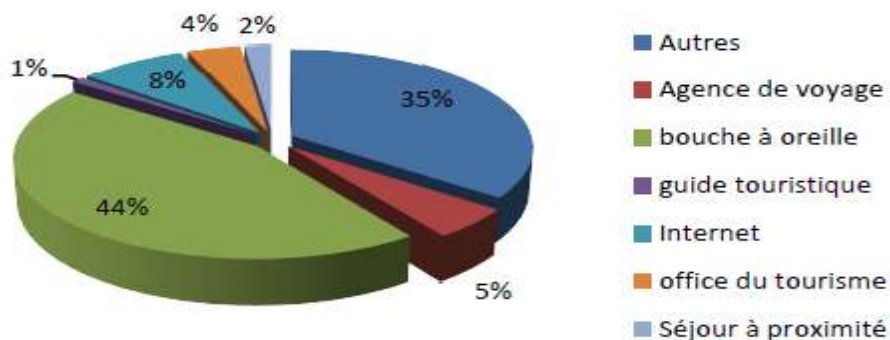


785

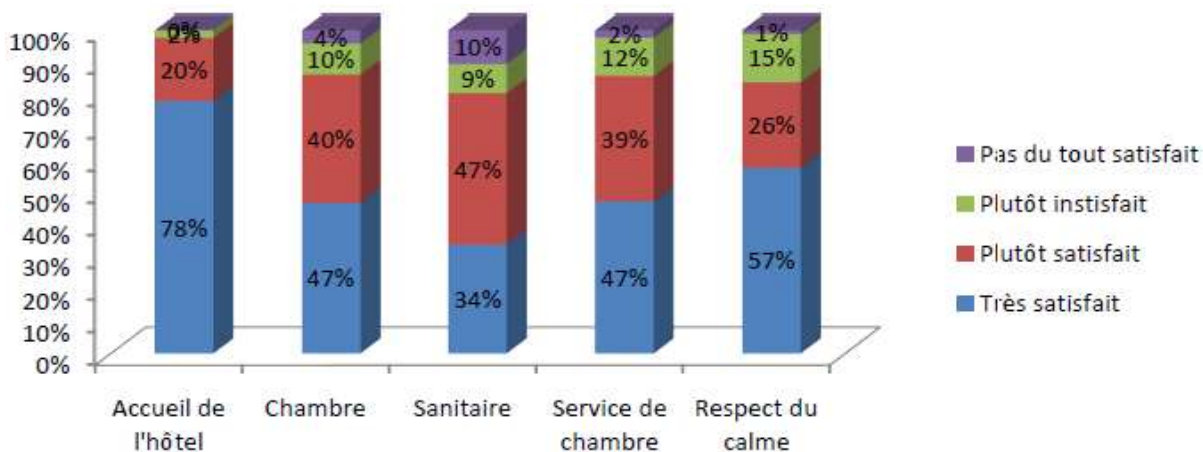
5-La répartition des touristes par tranches d'âge :



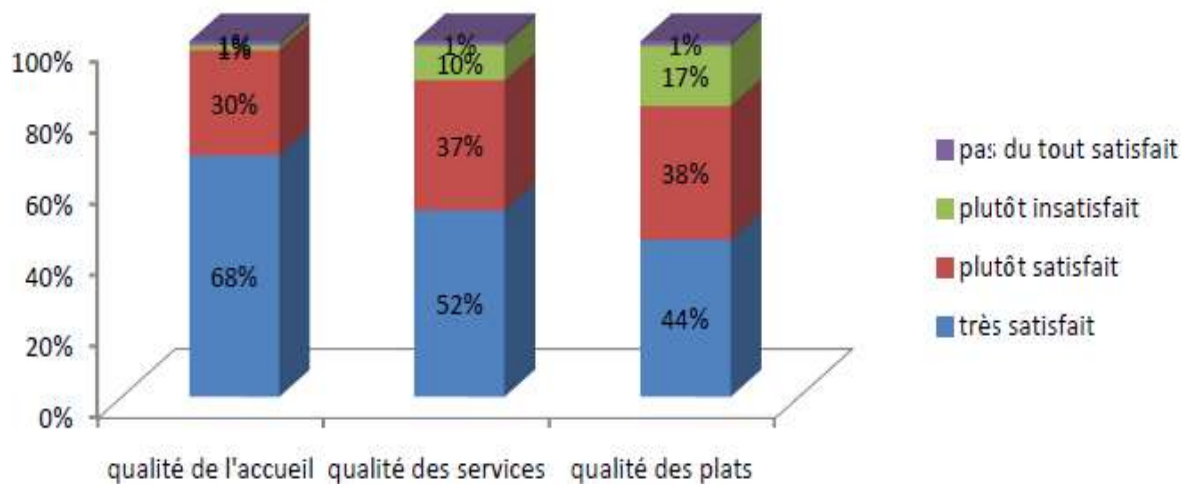
6-Comment avez-vous connu la wilaya de Constantine :

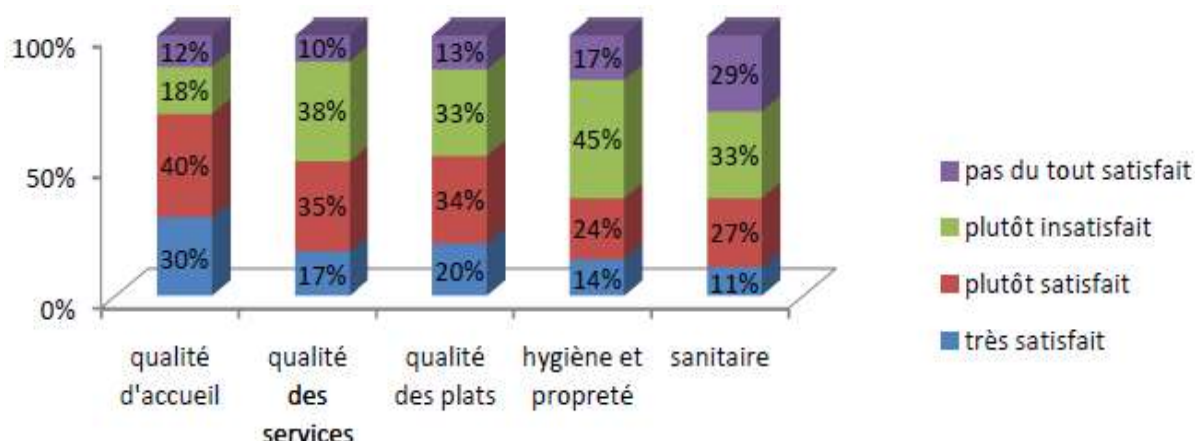
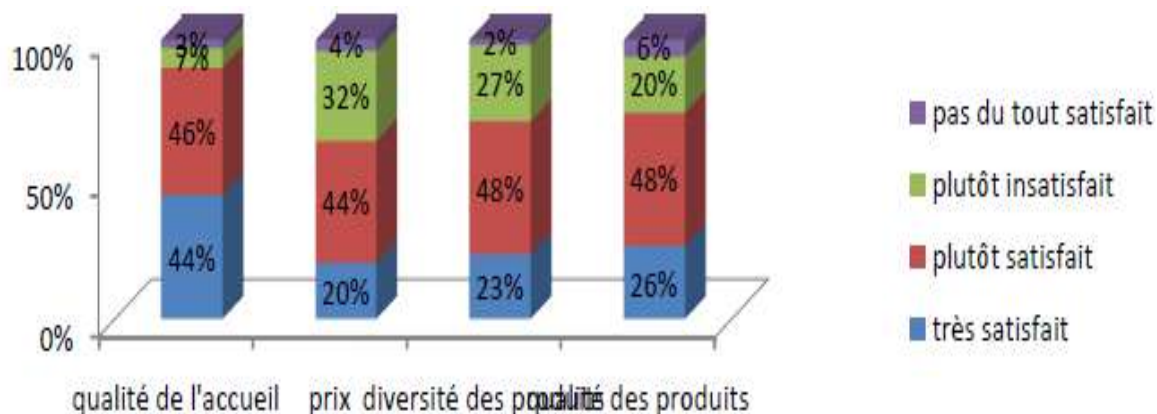


7- Hébergement hôtel :



Restaurant hôtel :



Restaurant hors hôtel :**L'artisanat :****Résultat :**

Si nous nous appuyons uniquement sur les résultats de l'enquête que nous avons menée auprès d'un nombre restreint des visiteurs dans la Wilaya Constantine en 2017, pour tirer des extrapolations au niveau de tout le pays, nous risquons d'aboutir, sur un diagnostic qui ne reflétera pas l'image réelle de ce secteur, et sur un plan d'actions qui risque d'être éloigné de la réalité.

En effet, les résultats auxquels nous sommes parvenus, mettent en relief, des insuffisances (Insatisfactions) de l'accueil au niveau, de l'hygiène et la propreté et des sanitaires.

Les résultats ne reflètent pas toute l'étendue des faiblesses identifiées par les professionnelles du secteur.

Pour cela, nous avons décidé de pondérer, les résultats de notre enquête avec :

- ☑ Nos observations personnelles ;
- ☑ Les entretiens que nous avons eu avec certains professionnels du tourisme, tels que les agences de voyages, les restaurants, les hôteliers, etc....
- ☑ Les recommandations émises lors des différentes rencontres consacrées au tourisme ;

☑ Les articles de presse publiés périodiquement par les différents quotidiens nationaux sur ce thème.

Cette approche nous autorise à avancer une opinion partagée par beaucoup de professionnels, à savoir que le développement du tourisme en Algérie, passe impérativement par la mise en œuvre des actions non exhaustives suivantes:

La déclaration d'une volonté politique claire et audacieuse, pour le développement du tourisme ;

* La mobilisation de l'ensemble des partenaires concernés (professionnels et pouvoirs publics) pour la promotion de la destination ;

* Le lancement d'une campagne de sensibilisation de la population, visant à expliquer, l'importance du secteur du tourisme sur le plan économique, dans un avenir proche, pour amener tous les algériens à adhérer à cette idée et créer les prémices d'une culture du tourisme

* La mise en place d'une politique adaptée de formation, de mise à niveau et d'actualisation des connaissances des professionnels du secteur pour améliorer les compétences managériales dans le domaine touristique;

* L'augmentation de capacités d'accueils, des structures hôtelières en quantité et en qualité;

* L'amélioration de la qualité de l'accueil dans les aéroports, et les hôtels tout en œuvrant pour, comme le disait un journaliste, atténuer et pourquoi pas faire disparaître notre « **Taghanet** » et notre « **Tghandif** » légendaires pour donner une image plus accueillante, plus amicale et plus chaleureuse de l'Algérie. En effet, le tourisme repose sur l'amabilité des gens et sur la qualité des prestations offertes à tous les niveaux de la chaîne des fonctions touristiques ;

* Le développement du tourisme domestique, qui peut être l'amorce et le complément du tourisme international

* La simplification des procédures d'entrée en Algérie ;

* Le contrôle des prix appliqués au niveau des différentes prestations touristiques;

* Le développement de l'artisanat.

* Le développement de l'industrie des loisirs et du sport.

Ces actions s'appuieront, se nourriront et se développeront rapidement avec les fameux atouts de notre pays, à savoir :

- ✓ L'Algérie est le pays le plus vaste du continent africain avec une superficie supérieure à deux millions de kilomètres carrés.
- ✓ Une position géographique idéale avec une proximité de l'Europe ;
- ✓ Un climat exceptionnel ;
- ✓ Un littoral de 1200 Km de côtes ensoleillées presque toute l'année, et qui peut favoriser
- ✓ Le développement du tourisme balnéaire ;
- ✓ Le deuxième plus grand beau désert au monde, qui regorge de sites naturels exceptionnels et des fresques uniques.
- ✓ Un patrimoine historique remarquable et un passé particulièrement riche et diversifié sur les plans historique et culturels

Conclusion générale :

La situation du tourisme et des sites archéologiques disséminés à travers la wilaya reste peu reluisante et nécessite une redynamisation harmonieuse en vue de booster ce secteur, car il serait illusoire de parler de tourisme dans la wilaya sans omettre de mettre en exergue l'histoire et le patrimoine archéologique de la ville de Constantine, qui a été classée comme site touristique par l'ordonnance du 31 janvier 1974, compte tenu de son emplacement sur un rocher, et qui constitue une curiosité unique au monde. De ce fait, Constantine, une cité millénaire est considérée comme un pôle touristique par excellence dans divers domaines, à savoir ses coutumes et traditions, son riche patrimoine archéologique, vestiges des différentes civilisations qui se sont succédé au niveau de la région. C'est dans ce prolongement que les responsables en charge de ce volet doivent réfléchir aux moyens à mettre en œuvre pour redynamiser ce secteur afin qu'il puisse contribuer au développement économique de la wilaya pour peu qu'il soit réhabilité et valorisé afin que la ville retrouve sa place d'antan et redevienne une destination privilégiée pour les touristes locaux ou étrangers. Cela dit, et malgré les nombreux sites archéologiques qui existent au niveau de la wilaya, force est d'admettre que beaucoup reste à faire en matière de réhabilitation de ce patrimoine, à l'image de l'ancienne ville Romaine de Tiddis appelée aussi « kastala » et qui s'apparente à une cité garnison avancée pour défendre la grande ville (Cirta) contre les attaques ennemies. Le tombeau de Massinissa situé sur les hauteurs de la ville d'El Khroub et distant d'environ 16 km du chef lieu de wilaya, bien qu'il ait été restauré par les pouvoirs publics à coups de milliards, le résultat escompté n'a pas été au rendez-vous et ce mausolée se retrouve abandonné à son triste sort, et livré à lui-même en l'absence d'une réelle prise en charge par les autorités locales (gardiennage, et sécurité des lieux). Pourtant le projet prévoyait initialement la création d'un « village touristique » avec espaces pour les expositions, un théâtre en plein air, et des espaces verts, une salle d'exposition et enfin un musée. Toutes ces infrastructures n'ont pas encore vu le jour. Nous citerons sur le même volet (les Arcades romaines, qui sont situées sur les berges de Oued Rhumel , le palais de Ahmed Bey , le tombeau de Lolius , les cimetières de Dolmens et qui existent un peu partout à travers la wilaya , les différentes grottes des ours ,des mouflons et des pigeons) et bien d'autres sites aussi intéressants les uns que les autres (le monument aux morts, notre dame de la paix etc...). Mais la ville peut aussi s'enorgueillir d'en posséder 7, d'où son autre appellation de la ville des Ponts dont les plus importants demeurent, le pont de Sidi Rached, celui de Sidi M'cid, les ponts Mellah Slimane et Bab El Kantara.

La nécessité donc de réhabiliter ces sites pour qu'ils redeviennent une destination touristique attractive est devenue un impératif. Cependant, il est regrettable que le tourisme dans la wilaya de Constantine reste le parent pauvre de la politique de développement prônée par les pouvoirs publics, et le moins nanti en termes de moyens. En tout état de cause, il est grand temps de mettre à profit ce riche patrimoine civilisationnel dans le circuit du tourisme, et rendre à la ville ce qui appartient à la ville, autrement dit exploiter toutes ces potentialités pour en faire une véritable ville touristique digne de ce nom, car à l'heure actuelle ce patrimoine demeure toujours en friche et à l'abandon malgré les promesses quant à sa réhabilitation et à son exploitation.

Sources :

- 1-Le tourisme culturel durable comme facteur de mise en valeur du patrimoine architectural
Le cas de la ville historique de Tlemcen
- 2- Actes des états généraux des pays, Mâcon, supplément au n°231 de la Revue Correspondance Municipale (France), Juin 1982.
- 3- GREFFE, Xavier, Territoires en France, les enjeux économiques de la décentralisation, Economica,1984.
- 4- GUIGOU, Jean-Louis, Le développement local : espoirs et freins, Revue Correspondance Municipale, n°246, mars 1984
- 5-<http://bib.univoeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/691/1/Croissance%20et%20%C3%A9talement%20urbain%20de%20la%20ville%20de%20Constantine.pdf>
- 6-Livre Constantine ville des aigles /Abou obeid el bakri (le margheb dans la mémoire de l'Afrique)
- 7-<https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00967954/document>
- 8-<http://dspace.univ-tlemcen.dz/bitstream/112/4693/1/harouat-fatima.mag.pdf>
- 9- Evolution de la notion du patrimoine et de la notion du tourisme
- 10-Alain HESPLIER, Pierre BLOC, BURAFFOUR. Op cite; p.53
Les emplois directs: sont dans les activités répondant à la demande immédiate des touristes et des visiteurs : restauration, hébergement, agences de voyage, office de tourisme...
Les emplois indirects : ou les emplois induits: sont encore plus diversifiés ; ils sont dans les secteurs et les branches liées à l'activité touristique et aux loisirs
- 11-Jean-Marie BRETON. Op cite; p. 25
- 12- Françoise CHOAY, *l'Allégorie du patrimoine*. Op cite, p.169
- 13- Yves Bonard et Romain Felli. Op cite.
- 14- Charte Internationale du Tourisme Culturel. Op cite.
- 15-Céline BONNAMY ; D.E.S.S. Etudes Germaniques : *la mise en œuvre du tourisme durable en Allemagne* ; institut des hautes études européennes ; Université Robert Schuman, Strasbourg ; 2004 / 2005 ; p.15 et p.16.
- 16-Valorisation du patrimoine, tourisme et développement territorial en Algérie : cas des régions de Béjaïa en Kabylie et Djanet dans le Tassili n'Ajjer Mohamed Sofiane Idir
- 17- Komla E.E. and Veirier L. *Tourism, Culture and Development in West-Africa: For a Cultural Tourism Consistent with Sustainable Development*. UNESCO Publishing, Paris, 2008.
- 18-lecourrier-dalgerie.com/tourisme-a-constantine-le-parent-pauvre-de-la-wilaya
- 19-L'événementiel : moteur de valorisation du patrimoine et de mise en tourisme? Cas de Constantine Capitale de la culture arabe 2015
SOUALAH Amira 1 et BENABBAS-KAGHOUCHE Samia2
- 20-COMMENT PROMOUVOIR LE TOURISME EN ALGERIE ? Melle HAROUAT Fatima Zohra.

Le système BIM comme outil de gestion du patrimoine

Zaouia Khalid^{1}, Said Mazouz²*

¹doctorant a l'universite l'arbi ben mhidi oum elbouaghi, Algerie

²enseignant chercheur, université l'arbi ben m'hidi oum lbouaghi, Algérie

Résumé -

Les gestionnaires du patrimoine sont mis continuellement au défi de standardiser et améliorer la qualité des informations à leur disposition. Ceci afin d'utiliser des informations fiables pour leurs tâches quotidiennes ou pour les transmettre à leur management à des fins de planification et gestion. Les logiciels de gestion du patrimoine sont souvent limités au niveau des performances graphiques. Le BIM pourrait amener de nouvelles possibilités en offrant, via son modèle 3D, un référentiel de données unique de tous les composants d'un ouvrage. Dans cette optique, l'apparition du BIM (building information modeling) a bouleversé le domaine de bâtiment parallèlement à ce qui été dit la prise en charge du patrimoine représente une priorité de l'état Algérien. qui cherche toujours le sauvegarde d'une identité culturelle et architecturale.

791

Dans ce travail on vise à montrer comment le système BIM servira à la gestion du patrimoine à l'aide des différents solutions BIM tel que : REVIT ou ARCHICAD combiné avec logiciel scène pour les nuages des points, a fin améliorer la gestion du patrimoine, et montrer comment la technologie serve à la sauvegarde du patrimoine.

Ce travail se compose de deux parties : une qui parle sur les concepts théoriques, et la deuxième partie montre comment appliqué ou travaillé avec le BIM pour une bonne gestion du patrimoine et on termine avec une comparaison entre les deux méthodes de la gestion du patrimoine en mode virtuel (3D).

Mots-clés : BIM, patrimoine, sauvegarde, gestion, REVIT, ARCHICAD

1. Introduction

Les gestionnaires du patrimoine sont mis continuellement au défi de standardiser et améliorer la qualité des informations à leur disposition. Ceci afin d'utiliser des informations fiables pour leurs tâches quotidiennes ou pour les transmettre à leur management à des fins de planification et gestion. Les logiciels de gestion du patrimoine sont souvent limités au niveau des performances graphiques. Le BIM pourrait amener de nouvelles possibilités en offrant, via son modèle 3D, un référentiel de données unique de tous les composants d'un ouvrage. Donc la question principale c'est

Comment ce processus servira à la sauvegarde de notre patrimoine ?

Quel est la méthode ou le chemin le plus approprié ?

2. La définition du système BIM

- Le BIM est une base de données numérique structure, composée d'objet paramétrique

Permettra une interopérabilité entre différents acteurs, (Karen kensek, page 35)

- Le paradigme de BIM c'est une maquette numérique qui va essayer de concilier les différents acteurs, l'idée de BIM est de trouver un format de fichier qui puisse voyager entre tous les logiciels IFC.
- Une représentation des paramètres physiques et fonctionnels du bâtiment en modèle 3D, on peut accéder à ces informations tout le temps en tant qu'architecte ou maître d'ouvrage. (Omar Salim, BIMarabia, page 03)

On peut conclure que le BIM consiste à dématérialiser chaque élément d'un projet sous forme d'une base de données servira ensuite de socle commun aux différents intervenants et à chaque étape du cycle de vie du projet.

3. Les niveaux de développement du système

LOD : c'est le niveau de détail des objets en 3D de la maquette selon l'échelle il varie de LOD 100 jusqu'au LOD 600

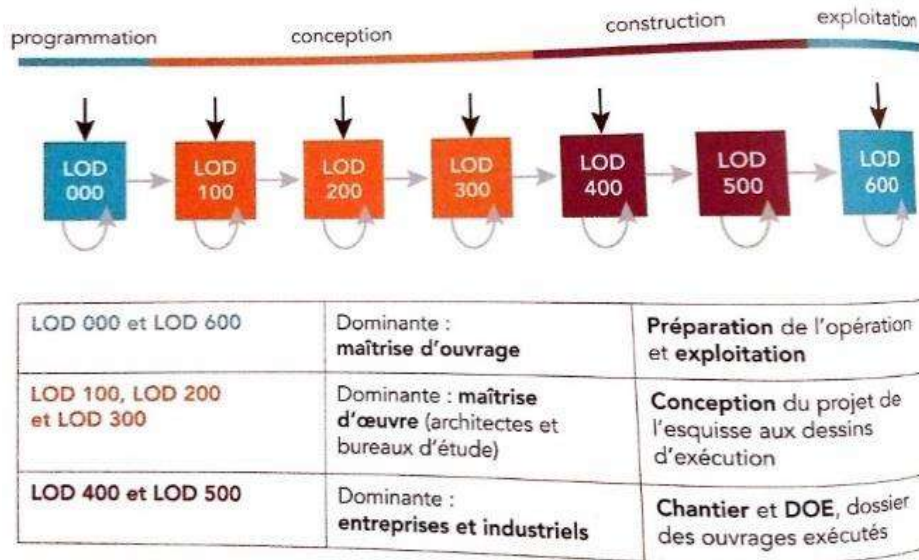


Fig. 1. Le processus d'élaboration de la maquette source BIM ET ARCHITECTURE

4. la modélisation 3D

La modélisation 3D consiste à restituer ou reconstituer, à l'aide d'un logiciel 3D, un édifice ou partie d'édifice en images virtuelles trois dimensions. L'image virtuelle reconstituée à partir de relevés, de documents d'archives ou de photographies sera plus ou moins léchée selon le degré de restitution souhaité ou de l'utilisation qui sera faite du modèle 3D (étude du bâtiment, mise en valeur, restauration, suivi de projet, communication) Les connaissances en architecture et la qualité des graphistes d'AGP combinées à la qualité de nos relevés assurent l'obtention d'un excellent modèle 3D favorisant lisibilité et compréhension du sujet.

4. 1. Les logiciels BIM dédié à cette recherche pour la modélisation et la restitution

Les logiciels dite BIM se sont les logiciels qui supportent le fameux format IFC (international founded classes).ils sont divisés en plusieurs familles on cite :

4.1.1 La famille Autodesk : le fa mous logiciel pour cette famille c'est le REVIT

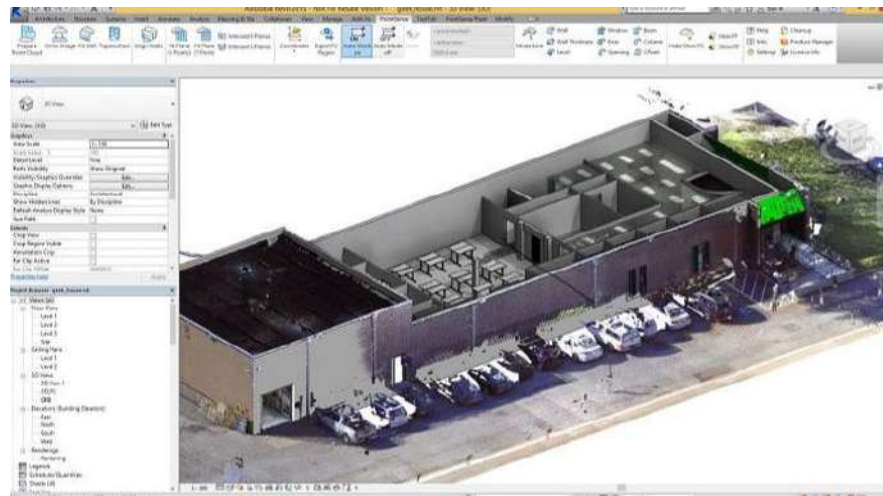


Fig. 2. Source : Dahbia madahi / IPFIG /2018

Le logiciel Revit® BIM inclut des fonctionnalités pour la conception architecturale, le MEP, l'ingénierie structurelle et la construction. Revit prend en charge un processus de conception multidisciplinaire et collaborative.

794

4.1.2 La famille graphisoft : graphisoft précurseur du system BIM a fait l'ARCHICAD

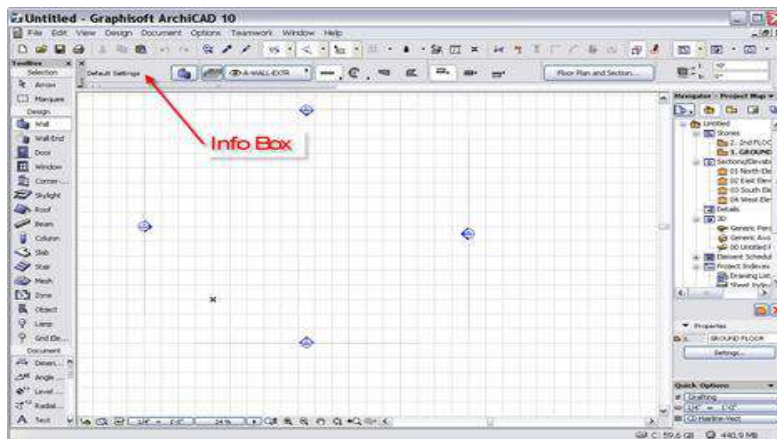


Fig. 3. Source : google photo / 2018

Archi CAD est un logiciel d'architecture édité par la société hongroise Graphisoft, du groupe allemand Nemetschek, qui permet de créer un modèle en 3D d'un bâtiment puis de créer divers documents nécessaires à sa construction (plan, perspective, ...)."Virtual Building"

est le concept, mis en avant par ArchiCAD. Il s'apparente au BIM (Building Information Modeling) dont ArchiCAD est ainsi l'un des pionniers.

5. Le FARO laser et le scanning 3D

La technologie du scan 3D permet un relevé extrêmement précis aussi bien en intérieur qu'en extérieur, vous garantissant ainsi d'obtenir un plan « tel que construit », véritable archive numérique, utilisable aussi bien en 2 dimensions qu'en 3 dimensions. Le faro laser c'est un appareil numérique qui a nous permet de faire ca



Fig. 4. Source : Le traitement des données sous le logiciel scène dahbia madahi ,ipfig / 2018

6. la méthode de travail lors d'un scanning

6.1 Etape 01 :c'est de scanner avec le faro.

La distance entre le laser et le mur doit être supérieure à 60cm

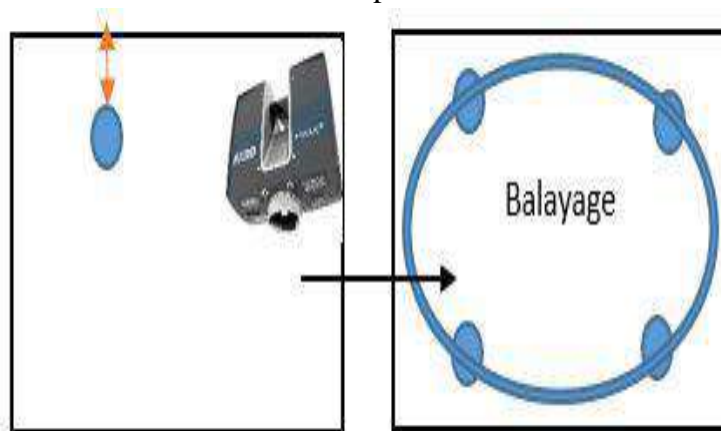


Fig. 5. Scanner avec le faro source : interprétation auteur

6.2 Etape 02 :



Fig. 6. Traiter dans le logiciel scène : interprétation auteur

6.3 Etape 03 :

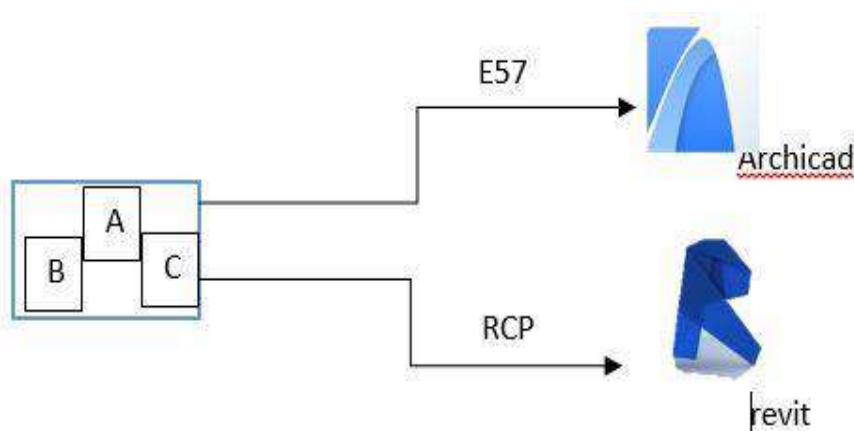


Fig. 7. Lire les donnes dans revit ou archicad : interprétation auteur

7. La comparaison entre les deux types de sauvegarde numérique du patrimoine bâti

Table. 1. Tableau de comparaison entre les deux méthodes source : interprétation auteur/2018

	Restitution 3D	Scanning 3D
Le nombre des Logiciels de travail	N=1 Basé sur les plateformes Archicad,revit allplan,rheno,grasshopper.....	N=2 Logiciel scene puis ARchicad ou revit
Niveau de détail	fort	moyen
Information	riche	faible
temps	large	petit

4. Conclusion

La nouvelle technologie donne un avantage pour le sauvegarde de notre patrimoine matériel, elle offre les possibilités aussi de l'exploiter virtuellement et ce que on dit dans cette recherche c'est de combinait les deux méthodes pour aller à un résultat plus précis .

Les références

- Richard Garber, 2014,bim design , 32-33
- Chuck Eastman, Paul Teicholz et Rafael Sacks , 2011,bim handbook, new jersey ,40-47
- Brad Hardin , 2015,bim and construction management ,52-60 , ISBN: 978-0-470-40235-1
- Catherine charlot-valdieu philippe Outrequin , 2016 ,Nouvelles architectures ecologiques
- Eddy K ygiel bradley , 2008,GREEN BIM successful sustainable Design with building information Modling.
- francois levy , 2012,BIM in small scale sustainable design, ,
- Karen M.Kensek LEED BD+C , 2014,Building information modeling BIM in current and future practice, ,Association Douglas Noble,FAIA,PhD,
- Randy deutsch,AIA ,BIM and integrated design « stratégies for architectural practice » , ,LEED AP, Canada ,2011
- ROBERT S.WEYGART, 2011, BIM content development, standards, strategies,and best practices , ,canada,
 - Nadia Hoyet, Fabien Duchène, Marc de Fouquet , BIM ET ARCHITECTURE ,dunod,
 - BIMARABIA .14 edition ,janvier 2017
 - BIMARABIA .15 edition ,fivrier 2017
 - BIMARABIA, mars 2017,16 édition
 - BIMARABIA, avril 2017,17 édition
 - BIMARABIA, mai 2017,18 édition
 - BIMARABIA, May 2017,19 édition
 - BIMARABIA. juillet 2017,20 édition

Sites webs :

- <http://www.objectif-bim.com/index.php/bim-maquette-numerique/le-bim-selon-votre-metier/le-bim-et-la-gestion-du-patrimoine> , consulté le 15/10/2018
- <https://bimbt.com/exploitation/gestion-de-patrimoine-et-facility-management/>, consulté le 15/10/2018
- <http://www.artgp.fr/-bim-41-.html>, consulté le 15/11/2018
- <http://www.espelia.fr/fr/blog/le-bim-et-la-gestion-dynamique-du-patrimoine.html>, consulté le 24/09/2018
- <https://evenements.infopro-digital.com/lemoniteur/formation-le-bim-pour-la-maitrise-d-ouvrage-et-la-gestion-de-patrimoine-p-1948> , consulté le 05/06/2018
- <https://www.so-edia.fr/bim-exploitation-maintenance-patrimoine> , consulté le 28/11/2018

La rue comme mi-lieu d'exposition plastique Djerbahood le projet d'un musée d'art en plein air

Imene Ouadhén, l'Institut Supérieur des Beaux-Arts de Sousse, Tunisie.

Résumé:

Dans cet article, je vise à valoriser ce genre des projets artistique qui contribue au développement de patrimoine et de la culture de chaque artiste participant, tant que ce dernier et à sa façon doit spontanément définir son pays, sa région et sa trace à l'autre et avec l'autre. D'où le point fort de ce projet est son lieu d'exécution qui est L'île de Djerba qui présente une bonne destination touristique distingué par une architecture spécifique et un lieu authentique et traditionnel. Aussi bien ce projet à regrouper cent cinquante artiste de trente nationalités différentes, qui ont créer 250 œuvres individuelles et d'autres en collaborations, tout en s'inspirant de lieu et de ses spécificités. Parmi les artistes participants citant, Add Fuel, Aya Tarek, C215, eL Seed, Fintan Magee, Jace, Pantonio, Phlegm, Roa, Swoon ou encore Julien Malland aka Seth...

A ce stade, comment ses artistes peuvent contribués d'une façon directe et ou indirecte au développement et à l'évolution du patrimoine de son pays, aussi bien du pays d'accueil ? Alors comment ce projet va-t-il participé au tourisme culturel tout à fait comme un investissement durable pour cette région, pour le pays et pour l'art ? Comment ces artistes ont-ils agis et réagis avec cette région comme un espace d'exposition d'art durable à la fois éphémère, telle qu'il (lieu d'exposition) est nommé « un musée à ciel ouvert » ?

Mots clés : Djerbahood, itinérance, mi-lieu, patrimoine, tourisme culturel, art de la rue, origine, racine, enracinement, déracinement, intra-culture, expansion, développement...

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تشجيع هذا النوع من المشاريع الفنية التي تساهم في تطوير تراث وثقافة كل فنان مشارك في مثل هذه التظاهرات، بما أن هذا الأخير وبطريقته الخاصة يمكن أن يعرف خصائصه التراثية التي ينتمي إليها. ومن أهم ما يميز هذا المشروع هو مكان تنفيذه وهي جزيرة جربة التي تمثل وجهة سياحية جيدة تتميز بمهندسة معمارية محددة وأيضاً كموقع يتميز بالأصالة والتقليدية. جمع هذا المشروع مائة وخمسين فناناً من ثلاثين جنسية مختلفة، كما أنشأوا 250 عملاً فردياً وجماعياً، مستلهمين أعمالهم من خصائص المكان ومميزاته..

إذا كيف أمكن للفنانين المشاركين، المساهمة بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تطوير تراث بلده، والتعريف به؟ إلى أي مدى تبرز مساهمة هذا المشروع في تطوير السياحة الثقافية كاستثمار مستدام لجزيرة جربة بصفة خاصة وللبلاد التونسية بصفة عامة؟ كيف كان تفاعلوا الفنانين مع هذه المنطقة كمساحة عرض احتوت أعمال زائلة أبدية في نفس الوقت؟

الكلمات المفتاحية: جربة، التحول، بينمكان، التراث، السياحة الثقافية، فن الشارع، الأصل، الجذر، التحذير، اقتلاع، الثقافة الداخلية، التوسع، التنمية...

Durant l'été 2014 cent cinquante artistes de trente nationalités différentes on étaient bien accueilli au village d'Erriadh à Djerba à l'occasion du grand projet artistique « Djerbahood ¹ ». Tout d'abord « Erriadh », est un lieu authentique et traditionnel, qui est devenu un espace d'expression pour chaque artiste, issus de des cultures diverses. Il s'agit d'un panorama du Street Art mondial ainsi qu'une attraction culturelle incontournable en Tunisie.

Dans cette approche critique, je vise à valoriser ce genre des projets artistique qui contribue au développement de patrimoine et de la culture de chaque artiste participant, tant que ce dernier et à sa façon doit spontanément définir son pays, sa région et sa trace à l'autre et avec l'autre. D'où le point fort de ce projet est son lieu d'exécution qui est L'île de Djerba qui présente une bonne destination touristique distingué par une architecture spécifique et un lieu authentique et traditionnel. Aussi bien ce projet à regrouper cent cinquante artiste de trente nationalités différentes, qui ont créer 250 œuvres individuelles et d'autres en collaborations, tout en s'inspirant de lieu et de ses spécificités. Parmi les artistes participants citant, Add Fuel, Aya Tarek, C215, eL Seed, Fintan Magee, Jace, Pantonio, Phlegm, Roa, Swoon ou encore Julien Malland aka Seth...

799

A ce stade, comment ses artistes peuvent contribués d'une façon directe et ou indirecte au développement et à l'évolution du patrimoine de son pays, aussi bien du pays d'accueil ? Alors comment ce projet va-t-il participé au tourisme culturel tout à fait comme un investissement durable pour cette région, pour le pays et pour l'art ? Comment ces artistes ont-ils agis et réagis avec cette région comme un espace d'exposition d'art durable à la fois éphémère, telle qu'il (lieu d'exposition) est nommé « un musée à ciel ouvert » ?

Bien évidemment, les œuvres d'arts de la rue enrichissent notre patrimoine tant qu'elles se trouvent fréquemment sous forme des fresques murales. La rue offre aux passants et aux publics des graphismes souvent éphémères, qui naissent puis disparaissent au fil du temps. Djerbahood par exemple est une expérimentation de ce que pourrait être un musée à ciel ouvert du mouvement *street art* tout en respectant l'espace et les normes muséales avec une lumière, une scénographie déjà présente. Selon le journal tunisien « Le Temps », il s'agit

¹ « Djerbahood » est une manifestation d'art urbain, lancée par la Galerie Itinérance de Paris, durant laquelle des artistes du monde entier investissent le village tunisien pour réaliser 250 œuvres individuelles et d'autres en collaborations créées pour l'occasion.

d'une aventure artistique unique dans l'univers de l'art urbain, un mouvement « en effervescence dans un pays en devenir » le confirme Mehdi Ben Cheikh¹.

Les artistes issus de la culture graffiti² et street art ont eu l'opportunité de donner un nouveau souffle à ce village bien évidemment symbolique là où les deux religions musulmane et juive cohabitent ensemble depuis des siècles aussi bien ce village représente une bonne destination touristique. De plus ce genre des rencontres artistiques, représente une occasion unique pour se plonger dans un pays étrange et original à la fois.

Pour mettre en valeur la continuité spatiotemporelle de milieu prédéfini, que la prolongation du passé avec le temps présent se manifeste bien avec les exemples suivants. Ici il faut bien mentionner l'originalité de ce village bien choisi par les organisateurs de l'évènement. On remarque bien l'harmonie de l'aspect antique et l'aspect authentique ; de la couleur des maisons, de l'architecture aussi bien des voies. Ces caractéristiques cèdent au village son charme spécifique qui vas par conséquence influencer les inspirations des artistes participants.



Comme vous voyez dans les photos précédentes, ce village présente bien l'originalité tunisienne, tout à fait par la couleur blanche et le « bleu tunisien » aussi bien le beige qui est la couleur de la terre et de la nature. Ces spécificités et ces détails sont bien remarqués et propose une source d'inspiration au artistes participants, également C215, Dan23, Pantonio et El Seed, qui ont transformés l'espace et les murs à un musée en plein air, dont les œuvres présentés sous forme des fresques murales sont accessibles à tous les passagers sans frontière et sans frais d'entrée. C'est l'art de la rue par excellence, l'art de la confrontation directe du spectateur avec l'œuvre, là ce dernier peut agir et réagir spontanément dans son espace, afin de redéfinir les significations de l'œuvre notamment pour donner des autres lectures.

¹ Fondateur de la Galerie Itinérance de Paris et l'organisateur de l'évènement de Djerbahood.

² La « graffiti » représente avant tout une forme d'expression extrêmement ancienne permettant aux artistes de déposer leur marque, signature et leur siglet sur les murs ou plutôt l'espace urbain, afin de communiquer et de transmettre des messages à l'aide des mots ou des images.



Boite aux lettres détournée par C215
Erriadh à Djerba 2014



Boîte aux lettres décorée par C215, exposée au Musée de La Poste puis vendue en 2012 au profit de la restauration de la fresque réalisée par Keith Haring en 1987 à l'hôpital Necker à Paris et pour l'accès à l'art des enfants handicapés et des familles défavorisées eu Musée en Herbe.

Les photos précédentes présentent un détail pour une boîte aux lettres transformée et interprétée plastiquement par l'artiste parisien C215. Le confirme le graffeur Honet, disant que « *Le graffiti n'est pas le seul fait de peindre à la bombe, c'est une aventure, repérer, fouiller, tenir compte de centaines de petits détails...* » comme il a fait C215. Cette boîte aux lettres représente un détail présent dans l'espace remarqué par l'artiste sur laquelle il a marqué sa trace et son identité artistique déjà connue dans le monde entier, comme étant l'implantation et l'extension de ses racines dans la Tunisie.

Christian Guémy alias, C215¹ est un artiste français majeur de la scène du street art. Il travaille essentiellement au pochoir avec un style très reconnaissable dans le domaine de l'art de graffiti. En dehors de ses interventions dans les rues du monde entier, il présente des œuvres peintes sur des objets de recyclage récupérés puis réinterprétés dans de plusieurs galeries. Son style va de la bichromie² jusqu'à des compositions multi couleurs. Les dimensions de ses œuvres demeurent à l'échelle humaine afin d'être plus réaliste et accepté de la part des spectateurs.

C215 veut mettre en valeur de la poésie et de l'émotion au centre des villes désincarnées. Selon lui ses visages anonymes avec des traits expressifs témoignent de son besoin de retrouver une certaine humanité, une certaine simplicité, une vérité aussi bien une beauté artistique vue par l'artiste lui-même. Il confirme « *Mes œuvres placent des invisibles au rang des célébrités. À travers ces visages, je souhaite que les passants se confrontent à leur propre humanité.* »

L'art chez C215 est de capter la lumière, la profondeur et de l'humanité. Le pochoir est une technique a tendance d'aplatir les images et à les rendre statiques. Au contraire, C215 a développé un style d'illustration et de découpe bien précis qui révèle la personnalité profonde de ses sujets, leur apportant un éclairage impressionniste.



Dan23, « OPEN YOUR EYES », Erriadh à

¹ Agé de quarante ans, il habite Vitry-sur-Seine où il a ses ateliers. Christian Guémy débute le pochoir en 2006. Il participe au MUR dès 2007 et réalise, en 2013, un mur peint de 25 mètres à Paris, métro Nationale, représentant un chat. En 2013, il peint également le visage de la ministre de la Justice, Christiane Taubira, alors cible d'attaques racistes. En 2016, C215 « signe » un timbre pour la Poste qui met à l'honneur Léo Ferré. L'auteur, compositeur et interprète aurait fêté ses cent ans. Ses sujets de prédilection sont l'enfance, les laissés-pour-compte, les anonymes, les amoureux, mais aussi les animaux (chiens, chats et oiseaux), particulièrement présents dans ses tableaux urbains.

² Technique d'impression en deux couleurs.



Dan23, « OPEN YOUR EYES », France

Après de nombreuses années à peindre des artistes musicaux à l'aquarelle, l'artiste Dan23 ouvre en 2006 sa galerie à Strasbourg. Sa première peinture en live se déroule non pas dans les galeries mais sur les scènes de concerts et des festivals à travers le monde. Il confirme « *En 2013, j'abandonne la scène pour intervenir plus intensément dans la rue en plaçant ici et là des portraits lumineux portant le nom d'une chanson. Le projet **TOUR PARIS 13**, m'ouvre les portes de la reconnaissance ce qui me permet en 2014 d'être présent dans des manifestations telles que **DJERBAHOOD**, **In situ art Festival** ou **la nuit blanche**. L'année suivante, j'ouvre mon show-room **OPEN YOUR EYES** à Strasbourg et j'ai la chance de recevoir l'agrément de pouvoir peindre dans ma ville sans poursuite pénale. Je décide, 20 ans, plus tard de faire renaître le projet **CES HEROS** pour rendre hommage à ces hommes et ces femmes d'exception »*

La rue, affirme l'artiste urbain Gil Bensmana « *c'est la confrontation avec un public éclectique, hétérogène, non averti, non complaisant et surtout très réactif* ». L'artiste Dan23 nous invite à sortir du cadre de l'œuvre classique et à tourner la tête, en effet pour admirer le regard qu'il a peint sur les murs qui nous entourent, bien évidemment avec sa technique et son choix pertinent de couleurs. Il affirme « *En arrivant en Tunisie j'ai tout de suite pensé à réaliser un regard féminin, pour créer des rencontres et un débat, afin que les tunisiens me parlent de leur pays. Je l'ai posé sur le lieu idéal, en face de l'ancienne école et j'ai opté pour un regard doux dans les couleurs locales pour ne pas engendrer des réactions trop fortes, dans une Tunisie en pleine mutation.* » Selon l'artiste, ce fut le cas, cette fresque a engendrée de nombreuses discussions passionnantes sur ce pays qui prend son destin en main.



Fresque murale faite par Pantonio¹ à Djerba en Tunisie en 2014

Très souvent, on retrouve dans son travail des créatures marines qui paraissent en mouvement grâce à un effet de cordage qui a devenu sa signature et son identité artistique distinctive dans la scène de street art dans le monde entier. **Ses fresques s'intègrent parfaitement à l'architecture de l'environnement urbain du village.** Son but à travers son travail est de revaloriser l'espace. Ses couleurs dominantes sont les dégradations de la couleur bleu et le noir. Il reprend le bleu comme une couleur atlantique qui s'harmonise avec le noir des fonds marins et des roches volcaniques.

Les œuvres semblent être animer grâce à la maîtrise et à la souplesse du trait ondulatoire qui rappelle le mouvement continue des vagues de sa terre natale. Le spectateur est d'abord projeté, parfois inquieté mais finalement toujours soulagé après avoir des informations sur le parcours de l'artiste et ses intérêts. Il a été remarqué en France lors de son intervention à la Tour 13², dans un appartement du deuxième étage avec ses lapins noirs apeurés.

¹ Pantonio, street artiste portugais est né en 1975 sur l'île de Terceira aux Açores. Il est l'un des artistes les plus influents et prolifiques de son pays. Depuis toujours son travail est illustré par des références aux richesses du Tage (fleuve du Portugal).

² Un projet de restructuration du site prévoit la destruction pour laisser la place à une nouvelle construction. Mehdi Ben Cheikh, directeur de la Galerie Itinérance, spécialisée dans le street art, prend l'initiative de le transformer en exposition temporaire. Une centaine d'artistes utilisent les murs extérieurs et intérieurs comme support pour leurs œuvres.



EL Seed au village Erriadh Djerba Tunis

2014



Nova Planet à l'Institut du monde arabe 2014 à Paris



Minaret de la mosquée de Gabès en Tunisie. Été 2013

Le « calligraffiteur » francophone, tuniso-français eL Seed est devenu, depuis quelques années, le symbole de toute une génération de « nouveau » graffiti, en créant son propre style où ses racines arabes sont emmêlées avec une innovation et une singularité. De Paris à Dubaï, en passant par Gabès, les deux Corées ou encore le Brésil, eL Seed vise loin vers le mondialisme et cherche à passer des messages de paix et de fraternité, partout dans le monde là où se situe.

Il confirme que son originalité lie à la connexion de deux styles différents et d'origine étrange ; la calligraphie entant qu'un art ancien et le graffiti entant qu'un nouvel art. Il affirme : « dans mon travail, je fais un mix entre la calligraphie arabe et le graffiti et ce que je fais c'est que je m'inspire de la tradition arabe et partout où je vais j'essaye de peindre des messages qui sont en rapport avec le lieu où je suis. Si je suis en Tunisie, j'essaye de parler du peuple tunisien mais surtout mettre en valeur l'endroit où je suis ». Le lieu occupe un intérêt primordial dans le travail de l'artiste. Cet intérêt nécessite le déplacement de l'artiste vers son site afin de marquer sa trace en tant qu'un artiste francophone. « J'ai commencé à

peindre il y a longtemps, mais ça fait quelques années que j'ai la chance et le privilège de voyager un petit peu partout et de poser ma trace. » confirme l'artiste.

Son vrai nom est Faouzi Khlifi. eL Seed vient du Cid de Corneille. Quand il avait 16 ans, il était en cours en français et la prof les disait que le Cid ça vient de « Al Sayed », c'est-à-dire l'homme ou le maître. A cette époque-là, il commençait à faire du graffiti et il a bien aimé l'intonation du mot, et depuis il est eL Seed. C'est la culture arabe en général qui lui influence. Quand il était jeune à Paris on lui disait qu'il n'était pas français, et quand il était en Tunisie on lui disait qu'il n'était pas Tunisien. Il se redirigé vers ses origines tunisiennes, il a pris des cours d'arabe, il a appris à lire à écrire et il préparait de revenir en Tunisie une fois le bac en poche. Il était dans une sorte de quête identitaire. « *La Tunisie fait certes partie de mon identité. Quand je voyage, je dis fièrement que je suis tunisien. D'ailleurs je pense que je ne serais pas capable de faire ce que je fais aujourd'hui si je n'étais pas franco-tunisien ou tuniso-français. C'est l'amour de la Tunisie qui a fait que j'ai besoin de retourner vers mes origines arabes »*

Pour conclure il faut bien mentionner que les œuvres sélectionnés de l'évènement et interprétés dans cet article peuvent être porteuses de message politique, de représentations mémorielles, des expressions identitaires et visent, des interrogations, aussi bien de s'afficher dans un dialogue direct avec les passants. Tandis que l'art urbain est réalisé dans la rue c'est pour que le message soit lisible par tous et pour que tout le monde puisse avoir une réflexion, une opinion et un avis différent et enrichissant. La rue est un espace public, un lieu de passage ou encore un lieu de vie. L'artiste la considère aussi comme un espace sans frontière, libre et de découvertes multiples. Il est là pour investir la culture du lieu et de revisiter son patrimoine autrement artistiquement.

Les murs, l'architecture de village de L'île de Djerba, sont devenues une source et un support d'expression artistique qui touche directement toute les habitants, les touristes, toutes les classes sociales et tous les âges. Tout en exposant les cultures, les patrimoines, les origines et les spécificités des milieux revêtes et ceux qui sont originaires des artistes. Le street art, est présent ici comme un outil de valorisation territoriale et touristique. Il est ainsi une opération d'aménagement du territoire consistant à établir la pratique du street art. c'est une initiative nouvelle et originale pour la réorientation des espaces publics afin de les survivre.

Comme les œuvres faites à l'occasion de cette rencontre artistique sont éphémères, là il nous faut forcément visiter le site internet de l'évènement et de la galerie itinérance « <http://www.djerbahood.com/> ». Ce dernier joue un double rôle le premier est celui de conserver virtuellement des œuvres et le deuxième rôle est d'être une stratégie de marketing et une forme logistique destiné au curieux et pour ceux qui sont intéressés à visiter le pays mémé à distance sur Facebook et Instagram.

Bibliographie:

- ✓ BAQUE Dominique, « Histoires d'ailleurs », Regard, Paris, 2006
- ✓ Boukraa Ridha, « Passage, jardins, espaces-lieux de mémoire, espace et mémoire », ATEP et Maghreb diffusion, Tunis, 2005.
- ✓ Yvan Tessier et Stéphanie Lemoine « Les murs révoltés : Quand le street art parle social et politique », Ed Alternative, Paris 2015
- ✓ Alessandra Mattanza « Street Art - Les 20 plus grands artistes livrent leurs secrets », Ed Hugo Disigne, Paris 2017
- ✓ Floriane Gaber « Quarante ans d'arts de la rue », Éditions Ici et là, Paris 2009
- ✓ Mansour Guillemette « Tunisie musée à ciel ouvert », Ed M C M, Tunis 2019

Le tourisme culturel en Tunisie : Aménagement et stratégie de mise en valeur dans le cas des maisons d'hôtes à Kairouan

MAKTOUF Nour El Imen

Enseignante chercheuse à l'Institut Supérieur Arts et Métiers de Gabes
Doctorante à l'Institut Supérieur des Beaux-Arts de Sousse

Résumé:

Le tourisme culturel permet de mettre en valeur les traditions et le mode de vie des tunisiens, et de promouvoir les spécificités des différentes régions du pays, les sites historiques et les circuits culturels, notamment là où les hôtels ne sont pas implantés.

L'Etat a tout intérêt à encourager cette dynamique, comme axe transversal dans les plans de développement local et communal, en encadrant les projets de maisons d'hôtes, afin de les mettre au niveau des standards internationaux du tourisme durable.

Le développement du tourisme culturel est une responsabilité nationale. Elle n'est pas l'apanage des seules institutions de l'Etat, mais exige la participation de toutes les parties concernées : promoteurs, investisseurs, agents de voyages et créateurs de tous bords, d'autant que de nombreux organismes et institutions internationaux se montrent disposés à nous aider dans ce domaine, tels que l'UNESCO, l'ALECSO, la Banque Mondiale, la Fondation américaine Guetty ou certains organismes japonais.

Une autre raison de motivation : c'est que les maisons d'hôtes ont toujours été le centre d'intérêt de plusieurs chercheurs, dont l'architecte et le décorateur, notamment.

Elle a intéressé l'architecte d'intérieur avant l'urbaniste, a inspiré l'écrivain et le peintre, a émerveillé les sens, dans des villes, telle que Tunis, où elle reflète le riche héritage architectural et culturel qui fait référence aux différentes dynasties qui ont traversé l'histoire de notre pays.

Ces maisons d'hôtes sont devenues, avec le temps, un élément très important, qui pousse le secteur du tourisme vers une amélioration continue. Ce secteur joue un rôle dynamique dans la promotion de l'activité économique et sociale en Tunisie, surtout en matière d'emplois et d'équilibre de la balance des paiements.

A mon niveau, et en tant qu'architecte d'intérieur, je n'ai pas été insensible à la richesse de la maison d'hôtes et de son contenu qui m'ont attirée, par le rapport de cohérence et d'homogénéité entre le cadre architectural et les objets qu'elle abrite.

Ainsi, l'objectif de ces hébergements touristiques est de mettre en valeur tous les créneaux propres à chaque région intérieure, tels que le patrimoine, l'artisanat, le terroir, la gastronomie».

Les exemples de ces maisons d'hôtes que nous présentons dans cette communication ont été sélectionnés de par la valeur patrimoniale des demeures reconverties. Les entretiens recueillis auprès de leurs promoteurs d'hébergement alternatif, témoignent toute la passion qu'ils portent à la valorisation et au partage de la richesse architecturale et de l'art du vivre-local.

En effet, la restitution des valeurs originales et la mise en scène du patrimoine nécessitent une délicate et subtile alchimie entre aménagement de l'espace et choix d'ameublement.

Mots clés : Tourisme Culturel en Tunisie, Reconversion du patrimoine, Maisons d'hôtes à Kairouan, patrimoine architectural

الملخص :

من أبرز أهداف السياحة الثقافية هو تسليط الضوء على التقاليد اليومية للجهة ونمط الحياة التونسية وتعزيز خصوصيات مختلف المناطق والمواقع التاريخية والجولات الثقافية، خاصة في الجهات التي تفتقد للفنادق، فان

مصلحة الدولة هنا هي تشجيع هذه الديناميكية، كمحور عرضي في خطط التنمية المحلية والبلدية، من خلال تأطير مشاريع دور الضيافة والارتقاء بهم إلى مستويات المعايير الدولية للسياحة المستدامة. حيث أنّ تنمية السياحة الثقافية هي مسؤولية وطنية، تتطلب مشاركة جميع الأطراف المتداخلة: من مطورين ومستثمرين، ووكلاء السفر ومبدعين من جميع المشارب. لا سيما وأن العديد من الهيئات والمؤسسات الدولية تظهر استعداداً لمساعدتنا في هذا المجال مثل اليونيسكو والألكسو والبنك الدولي. Guetty الأمريكية أو بعض المنظمات اليابانية.

لقد كانت ومازالت إلى حد الآن بيوت الضيافة محور العديد من الباحثين، منهم المهندس المعماري ومصمم الديكور وغيرهم...، كما شغلت أيضاً اهتمام المصمم الداخلي قبل مخطط المدن، واستوحى الكاتب والرسام، ونخص بالذكر هنا مدينة تونس التي تزخر بالتراث المعماري والثقافي الغني الذي يشير إلى مختلف العصور التي مرت بها بلادنا. وقد أصبحت هذه الدور، مع مرور الوقت، عنصر مهم جداً، يدفع القطاع السياحي نحو التحسين المستمر. كما لهذا القطاع دوراً حيويًا في تعزيز النشاط الاقتصادي والاجتماعي في تونس، لا سيما من حيث العمالة والتوازن في ميزان المدفوعات.

وفي تقديري الخاص كمهندس معماري داخلي، أقر بشراء دار الضيافة ومحتوياته التي جذبتني، ونسبة التناسق والتجانس بين الخصائص المعمارية ومكونات الفضاء التي يضمها.

هكذا، فإن الهدف من دور الضيافة هو إبراز الخصائص المعمارية والعمرانية لكل جهة وتثبيت مكانتها، مثل التراث والحرف اليدوية، وفن الطهو، والعادات اليومية... إلى غير ذلك، وفي هذا الإطار تم اختيار أمثلة من هذه الإقامات السياحية التي سنقدمها في هذه المداخلة والتي تتمثل في منازل تقليدية تم تغيير صبغتها إلى دور ضيافة دون المساس بخصائصها المعمارية والعمرانية.

ولقد لمسنا من أصحاب هذه الإقامات السياحية البديلة ومن معظم أهالي المنطقة، إرادتهم القوية لتدعيم هذا التراث المحلي وتقاسم الهندسة المعمارية الغنية وإبراز نمط الحياة المحلية بالجهة، فإن عودة القيم الأصلية وإعادة إحياء التراث تتطلب التناسق بين تصميم الفضاء واختيار الأثاث المناسب.

الكلمات الدالة: السياحة الثقافية بتونس، إعادة إحياء التراث، دور الضيافة بالقيروان، التراث المعماري

1 INTRODUCTION :

Depuis les premières années de l'indépendance, l'Etat a choisi de faire du tourisme une composante essentielle du tissu économique tunisien. Au cours des cinq dernières décennies, plusieurs grands pôles touristiques se sont ainsi développés, contribuant d'une manière effective au développement de la richesse nationale, et à la création de centaines de milliers de sources de revenus et de postes d'emplois directs et indirects.

Au cours de ces dernières années, l'intérêt pour la Tunisie est orienté surtout vers le tourisme alternatif qui est basé sur l'exploitation du tissu culturel, historique, environnemental, naturel et social.

Les spécialistes du tourisme ont souligné que, si un tourisme alternatif était utilisé correctement, il contribuerait à attirer un meilleur segment de clientèle à différentes saisons, et offrirait ainsi davantage d'opportunités d'emplois dans ce domaine vital.

Le tourisme alternatif ne se limite pas aux destinations traditionnelles telles que Djerba et la côte, mais s'ouvre aux nouvelles destinations, telles que Sidi Bouzid, Kasserine, au nord-ouest, et au centre, comme « Kairouan », c'est le cas de notre cadre d'étude.

Dans le contexte de la poursuite du soutien au tourisme alternatif en Tunisie, le ministre du Tourisme et de l'Artisanat "Roni Trabelsi", a annoncé, le mois dernier, «Zaghuan" comme capitale du tourisme alternatif.

Ce type de tourisme peut contribuer à la création de mobilité à l'intérieur du territoire, il est généralement lié à la pratique du tourisme par des activités artisanales, telles que «l'industrie de la poterie traditionnelle», l'équitation dans les corridors forestiers, l'organisation de voyages à pied et la fourniture de produits alimentaires biologiques.

D'autre part, les maisons d'hôtes soutiennent le développement du tourisme alternatif, à travers la conservation du patrimoine architectural et urbain, et la définition des spécificités de la région.

2 1. ETAT DE L'ART :

1.1. Les concepts de base : tourisme culturel, patrimoine, et maisons d'hôtes :

Le tourisme culturel est un déplacement d'au moins une nuitée, dont la motivation principale est d'élargir ses horizons, de rechercher des connaissances et des émotions, à travers de la découverte d'un patrimoine et de son territoire. C'est une forme de tourisme centré sur la culture, l'environnement culturel, les valeurs et styles de vie, les traditions et les ressources de loisirs de la communauté d'accueil. Il ne doit pas être considéré comme une activité économique identifiable, mais plutôt, comme englobant toutes les expériences vécues par les visiteurs d'une destination, au-delà de leur cadre de vie habituel.

Ainsi, il se définit selon l'OMT¹ : « comme *un mouvement de personnes obéissant à des motivations essentiellement culturelles telles que, les voyages d'études, les tournées artistiques et les voyages culturels, les déplacements effectués pour assister à des festivals ou autres manifestations culturelles, la visite de sites et de monuments, les voyages ayant pour objet la découverte de la nature, l'étude du folklore ou de l'art, et les pèlerinages* ».

On considère ainsi, le tourisme culturel comme une catégorie spécifique de lien entre culture et tourisme, c'est considérer qu'il est lié à une décision consciente de « *se cultiver par divers*

¹ Organisation Mondiale du Tourisme

moyens touristiques »¹. Le patrimoine, objet du tourisme culturel, est donc matériel et immatériel : patrimoine matériel des sites consacrés à la culture, réalisations de la main de l'homme : musées, monuments, villes et villages d'art ou de caractère, sites archéologiques et préhistoriques, jardins, édifices religieux, militaires... ; patrimoine immatériel : fêtes et manifestations, traditions et savoir-faire dont le passé et le présent sont profus.

L'encyclopédie **UNIVERSALIS** explique que "Le patrimoine est étymologiquement défini comme l'ensemble des biens hérités du père (de la famille par extension). En effet, « patrimonium » signifie héritage du père en latin. Le patrimoine fait donc appel à l'idée d'un héritage légué par les générations qui nous ont précédé, et que nous devons transmettre intact aux générations futures, ainsi qu'à la nécessité de constituer le patrimoine de demain».

La charte internationale du tourisme culturel² a élargi la notion du patrimoine, en estimant que "le patrimoine est un concept vaste qui réunit aussi bien l'environnement naturel que culturel. Il englobe les notions de paysage, d'ensembles historiques, de sites naturels et bâtis aussi bien que les notions de biodiversité, de collections, de pratiques culturelles traditionnelles ou présentes, de connaissance et d'expérimentation.

En effet, une maison d'hôtes » ; est un nom composé de deux termes : maison qui est définie comme un édifice ou un bâtiment construit destiné à l'habitation de l'homme, et l'hôte ou « الضيف » est défini comme une personne que nous pouvons recevoir dans notre demeure. Le concept maison d'hôte ou en arabe « دار الضيافة » est une forme d'hébergement qui connaît un engouement certain depuis des décennies, et qui commence à avoir l'intérêt des spécialistes dans le secteur touristique, à la base, économique culturel et social.

Le choix de l'emplacement de la maison d'hôte ne se fait pas par hasard, le touriste ou le client cherche un dépaysement complet, autre que son environnement quotidien, une nouvelle organisation spatiale, la découverte d'une nouvelle culture, ou l'aventure et la nouvelle expérience³. Cette expérience, peut s'expliquer par une « réincarnation » dans un cadre spatio-temporaire et une époque de l'histoire, relative au concept de la maison d'hôte, elle peut être aussi un réaménagement et une mise en scène qui représente la vie d'un groupe social.

1.2. Les spécificités culturelles et architecturales de Kairouan, au service du tourisme culturel :

La ville de Kairouan dispose de nombreux atouts culturels (architecture, arts, artisanat, traditions, gastronomie, festivals, produits culturels, symbolique religieuse, ...) et environnementaux, qui lui confèrent un statut en matière de tourisme culturel.

Elle est déjà reconnue et classée patrimoine mondial par l'UNESCO, et peut tirer, grâce à son passé prestigieux, tant culturel qu'économique, sa position géographique et ses ressources naturelles, à un surplus de rayonnement spirituel, culturel et artisanal, et à un développement économique et touristique certain. Les riches formes architecturales de ses monuments et la diversité de leur répertoire ornemental reflètent le rôle qu'a joué Kairouan dans l'élaboration, le mûrissement et la diffusion de l'art musulman.

¹ Claude Origet DE CLUZOT, *le tourisme culturel*, coll. Que sais-je ?, PUF, Paris 2006

² Charte Internationale du Tourisme Culturel. Op cite.

³ Sophie FLOUQUET, « Les nouveaux enjeux du tourisme culturel », *Le journal des arts*, Septembre 2005, n°21, p 18.

Kairouan doit essentiellement sa réputation à ses monuments historiques, à l'instar de la Grande Mosquée, le Mausolée Sidi Sahbi et les Bassins des Aghlabides et à ses sites naturels et archéologiques dont quelques-uns remontent à la dynastie romaine ou byzantine, comme le palais «lemsa», le palais de «la tente», les quartiers résidentiels de Jloula et Bouhajla et le bassin de Cherarda.

La région de Kairouan dispose d'une pléiade d'associations artistiques et culturelles, et de festivals. A titre d'exemple, nous citons le festival du Printemps des Arts, le Festival du Tapis, le Festival Fruits et Mémoire, le Festival International du Film de l'Environnement et le Festival du Théâtre Moderne.

Kairouan est la capitale de l'artisanat en Tunisie. A ce niveau, le tissage manuel du tapis, et le travail du cuivre notamment le classique de Kairouan, très connu en Europe, demeurent les activités principales. Pour le Tourisme, Kairouan est l'un des quatre sites les plus visités en Tunisie avec Carthage, El Jem et Le Bardo. L'activité touristique est essentiellement, voire quasi exclusivement, une activité à caractère culturel, axée sur les sites et les monuments de la ville.

Les projets touristiques de randonnées et de Trekkings au sein du Gouvernorat de Kairouan peuvent être divers et multiples, tant des points de vue moyens de déplacement utilisés (à pieds, chevaux, ânes/mulets ou moyens mécaniques tels que les quads, VTT, ...) que du point de vue lieux visités, chemins empruntés, et durées des randonnées (dans la journée, sur plusieurs jours).

2. PRESENTATION ET ETUDE DE LA MAISON D'HOTES DAR ALLOUINI A KAIROUAN:

2.1. Présentation de Dar Allouini :



Figure n°1: L'implantation de Dar Allouini à Kairouan

Dar Allouini se trouve au cœur de la vieille ville de Kairouan, à quelques mètres de la grande mosquée Okba Ibn Nafaa. C'est une maison traditionnelle qui a été reconvertie en maison d'hôtes en 2018. Bien que le propriétaire soit un expert-comptable, il a pensé ouvrir une maison d'hôtes à Kairouan dès sa jeunesse, afin de retourner à ses origines, et conserver une habitation traditionnelle sous forme de « wikala » à l'époque.

Son objectif est de garder les caractéristiques propres de sa région Kairouan dans l'architecture intérieure de cette maison d'hôtes.

Deux entrées dans cette demeure : l'entrée principale est réservée aux hôtes hébergés, donnant sur le patio, et l'autre pour les populations locales dans le cadre de la réservation dans le restaurant traditionnel, ou pour les intervenants aux séminaires.

Deux skifas¹ sont aménagées à l'entrée au patio : le premier sert comme espace de bagages, et l'autre est composée du bureau du propriétaire pour l'accueil des hôtes, et d'un coin d'attente pour les visiteurs, des salles d'eau jouxtant la salle des séminaires, coin de « Maydha » pour la préparation à la prière, signe de la ville Kairouan reconnue par ses mosquées.

La maison d'hôtes est composée du RDC, d'une salle de séminaire, d'un ascenseur pour les hôtes et les personnes à mobilité réduite, d'un restaurant authentique, proposant les plats typiques de la région de Kairouan, et d'un patio fleuri. On trouve « le majeless » qui est la pièce principale², un petit Hammam traditionnel, un Majel avec sa décoration authentique, et la cuisine de la maison d'hôtes, qui répond aux exigences de préparation du Makroudh³ aux hôtes.

A l'étage, on trouve les sept suites haut-standing, associant le traditionnel avec le moderne. Le service buanderie, un coin spa près des suites pour les hébergeurs, et chaque chambre a sa particularité par rapport à l'autre dans la décoration d'intérieur. Le revêtement des sols et des murs est original, typique de toute la Tunisie, ce qui donne une spécificité à chaque suite dans cette demeure.

Dans chacune des suites, le propriétaire impose la diversification des matériaux dans la salle de bain et les chambres, comme un véritable atout de décoration. Dans les façades extérieures, des suites et dans les couloirs habillés de faïence « faits mains » en Tunisie, on trouve des niches au couloir, où on expose les objets traditionnels, les parchemins, les habits traditionnels de l'artisanat local.

Un coin-lecteur à l'étage est réservé aux hôtes, notamment par la mise à leur disposition des livres, des brochures, montrant plus particulièrement la région de Kairouan. Il encadre le «client » de façon originale, en lui conseillant des circuits de découverte, des activités sélectionnées par lui, pour toute la journée.

La première suite, qui s'appelle Jasmin, donne sur un jardin d'hiver. Chaque suite comporte une chambre avec ameublement en thème de plante, un grand dressing, un coin salon, une salle de bain en marbre Kadhal. Le plafond de chaque chambre de suite, porte une ornementation de plâtre unique, faite par un artisan local. Les noms des suites portent le nom des fameuses plantes de Kairouan telles que : Eau de Jasmin, Eau d'oranger, Eau de rose, Eau aromatique, Eau d'Ambre, Eau de Musk, Eau de Jasmin d'Arabie.

Le nom de chaque plante est retrouvé dans la décoration, comme la deuxième suite au nom « Eau aromatique », dès qu'on y entre, on vit l'expérience unique et inoubliable de cette odeur, et on se rappelle la décoration typique harmonieuse. Ainsi, la suite prend en considération l'une des caractéristiques d'architecture arabo-musulmane de Kairouan, le « moucharabieh⁴ » avec vue, donnant sur la grande mosquée Okba Ibn Nafaa. La construction de la cabine de douche est en marbre Jrida, posé par un artisan local.

¹ Une antichambre qui permet de recevoir les visiteurs sans les faire entrer dans la maison même. Cette entrée est en chicane, même porte ouverte on ne distingue pas l'intérieur de la maison.

² Espace salon qui est situé dans chaque maison traditionnelle à Kairouan

³ Gâteau tunisien caractéristique de la gastronomie de Kairouan.

⁴ Balcon en avant-corps, muni d'un grillage.

2.2. Etude topographique :

Dar Allouini est située au cœur de la médina de Kairouan. Elle constitue un véritable musée vivant d'art et d'architecture arabo-musulmane, par ses monuments (un peu plus d'une centaine), ses souks, ses maisons et ses ruelles, qui restent encore un éloquent témoignage de son prestigieux passé.

Cette valeur historique, architecturale et spirituelle lui a valu d'être classée sur la liste du patrimoine mondial, et elle a été proclamée capitale de la culture islamique en 2009. Le charme et l'authenticité de la vieille médina, avec ses imposants remparts, se reflètent dans les profondeurs des tableaux du peintre suisse Paul Klee.

Dar Allouini est située à proximité de nombreuses mosquées, et autres édifices religieux. Cette maison d'hôtes donne sur la grande mosquée Okba Ibn Nafaa¹, non loin des sites archéologiques et des centres de « curiosité ». Elle raconte une histoire, celle d'une passion que porte le propriétaire, à l'endroit, et le besoin de le partager pour le rentabiliser ou simplement le garder. Un respect de paysage environnemental architectural s'accroît par le propriétaire, avec la construction des façades extérieures identiques, par rapport à la majorité de typologie des maisons de Kairouan.

2.3. Étude architecturale et architectonique :

Dar Allouini est une maison traditionnelle qui a été reconvertie en maison d'hôtes, elle a gardé les caractéristiques architecturales de la demeure. Elle reste un type des maisons arabes de Kairouan, qui attire l'attention des visiteurs. Elle est construite en "Yajour arbi"² en double rangée, dont l'épaisseur peut atteindre les 110 cm, liés par un mortier traditionnel "baghli" avec remplissage intérieur de briques de blocage, garantissant une isolation thermique et acoustique bien naturelle.

Les fondations sont en "nisf", mélange de gros tessons de briques, de sable et de chaux, compressés selon un plan quadrilène, formés de chambres encadrées de part et d'autre par deux fenêtres en ferronnerie d'art, symétriques, ouvrant sur une cour intérieure carrée de dimensions identiques "ouest eddar", où se déroule la plupart des activités familiales.

La cour peut être dallée de blocs de "sawen", ou même de marbre et les murs décorés de faïences artisanales. Le système de "bortal" est rarement présent dans le logement Kairouainais, contrairement au logement Tunisois, Soussien ou Sfaxien.

La façade comprend un grand portail à deux battants, richement décorés d'une immense arcade en pierre et de gros clous noirs, selon le statut social du propriétaire, et qui ne s'ouvre qu'à l'occasion d'un grand événement, familial : un mariage, une circoncision ou un décès. Le battant droit est généralement percé d'un portillon d'entrée, pour un usage quotidien « qamja ».

La chambre à coucher "majeless", comprend en principe, deux alcôves symétriques : la première est réservée au lit conjugal "serir" construit en maçonnerie "sedda", avec matelas au fourrage séché "kort" ou en laine "souf", isolée par un panneau en bois richement décoré "hanout hajem", et couverte par un léger voile.

¹ Fondée au VIIe siècle par Okba Ibn Nafaâ. Construite sous sa forme actuelle au IXe siècle. A l'intérieur vous découvrirez de très belles voûtes, colonnes et chapiteaux. Le Minaret, le Mihrab, le Minbar, la maqsoura, la coupole et la somptueuse salle de prière constituent un véritable musée d'art et d'architecture musulmane.

² Briques cuites.

Cette maison d'hôtes comporte deux « majeless », dont chacun est subdivisé en deux alcôves sous forme de T, celle du milieu (médiane) qui tient lieu de salon avec bancs en bois sculpté, longeant les murs, et appelée "Kbou" ou "Rotba". Les deux alcôves latérales symétriques sont appelées "traken". Le plafond est richement décoré en solives de bois peint et plâtre sculpté. Les artisans Kairouainais excellent dans ce domaine.



Figure n°2: Plafond sculpté par un artisan Kairouainais



Figure n°3: Façade de Suite Ambre

La même chambre à coucher peut contenir une ou deux "Maqsura", où sont rangées des affaires privées ou même un petit canapé "divan". Une chambre sert à stocker les vivres "Bit el oula" ou "Bit el mouna", ou bien un petit souterrain juste sous une chambre qu'on appelle "Dahliz" caractérisée par une température ambiante, aidant à conserver les denrées alimentaires. Jouxant le 'dehliz', une petite pièce appelée "kommi" ou "bit el harka", est réservée aux travaux de préparation du blé, des épices et des gâteaux etc. Située à l'étage supérieur, on l'appelle "Hari" ou "matlaâ" : ces lieux d'emmagasinage constituent les éléments architecturaux spécifiques au logement Kairouainais, qui les distinguent fortement du logement traditionnel Tunisien.

2.4. Étude socioculturelle :

La ville est aussi réputée, par ses tapis artisanaux en laine, et ses pâtisseries dont les makrouds. On trouve aussi les ateliers de cuivre spécifique aux ustensiles de cuisine, utilisés pendant les fêtes de mariage traditionnel, chants populaires, sites historiques.

Dar Allouini, propose au résident un coin bibliothèque qui montre des livres sur la Tunisie, et plus particulièrement Kairouan. Les résidents découvrent le patrimoine culturel aussi, par des expositions aux niches du couloir de l'étage. Parmi les activités culturelles de Dar Allouini, le propriétaire propose une visite en vélo, pour découvrir les alentours de Dar (le musée national d'art islamique à Rakkada¹, les bassins aghlabides¹, le mausolée Abu Zamaa Balaoui²), café

¹ Le musée est particulièrement célèbre pour ses superbes pièces d'arts islamiques tels que manuscrits coraniques, monnaies, verreries céramiques et sculptures en bois datant du VIII et XI siècle.

barouta³, marché des tapis, les souks de Kairouan⁴, séjours à thème (soirée gastronomique, atelier cuisine).

On doit mettre en valeur la ville de Kairouan, étant donné que, c'est une ville riche historiquement. Des guides spéciaux montrent aux invités des circuits culturels, de la médina avec ses nombreuses mosquées originales et ses sites archéologiques, et la maison d'hôtes Dar Allouini, puis vers d'autres types des maisons d'hôtes, comme la maison-musée Dar Hassine Allani.

2.5. Étude socio-économique :

La visite de la propriétaire avec les touristes au complexe de l'artisanat kairouainais, peut revivre certains emplois traditionnels comme : les ciseleurs⁵, les tisserands⁶ et les selliers⁷.

Mais la plus grande activité artisanale, celle qui fonde la célébrité de la ville, demeure l'art de la tapisserie. Ces métiers d'artisanat restent toujours vivants grâce à la visite des touristes.

Le rôle de cette maison d'hôtes est de développer les emplois autour de l'environnement de ses monuments remarquables de l'ancienne capitale des émirs aghlabides (la grande mosquée, le mausolée Sidi Sahbi, les bassins aghlabides...), comme les agents de sécurité de site archéologiques, les agents de musées.

3. QUEL IMPACT DU TOURISME CULTUREL SUR LE DEVELOPPEMENT REGIONAL DE KAIROUAN ?

3.1. Marketing culturel pour faire revivre le patrimoine tunisien dans les maisons d'hôtes :

Les propriétaires des maisons d'hôtes cherchent à promouvoir leur patrimoine et leur culture, directement, ou par le biais de plateformes de réseaux sociaux, dans le but de le faire revivre et de restaurer la mémoire populaire de leur pays. Ils ont créé une chaîne You Tube avec plus de 30 000 abonnés, et créé une page "Contes tunisiens et oubliés", qui intéresse de nombreuses personnes.

Ces sites comprennent des photographies et des clips vidéo, ainsi que des textes concis, résumant les vieux contes et les contes populaires tunisiens, dans le but de découvrir "l'histoire, les faits, les légendes, les mythes, les histoires écrites ou entendues, d'ancêtres, et de nombreuses coutumes oubliées".

Les professionnels des maisons d'hôtes sont les acteurs indispensables au développement de ces structures touristiques. Autrefois, les maisons d'hôtes « rurales » se découvraient au fil

¹ Datant du IX siècle est un système ingénieux de deux cuvettes circulaires (le grand et le petit bassin) connectées par une ouverture laissant drainer l'eau d'une mare à une autre avec une parfaite maîtrise des techniques hydrauliques.

² Sidi Saheb-Essayed comme l'appellent fidèlement les Kairouanais compagnon du Prophète. Appelée aussi mosquée du barbier. Merveilleux complexe architectural dont les principales caractéristiques sont la cour, la coupole, le mausolée et la medersa richement garnies de panneaux de faïences médiévales. C'est le monument le plus visité de Tunisie.

³ Le plus ancien de Kairouan (796 ap JC) protégé par un petit édifice à coupole l'eau est puisée par une noria en bois actionnée par un dromadaire.

⁴ Formant un labyrinthe sans fin de ruelles couvertes, occupent le centre de la médina et répartis par branches d'activités depuis sa création par l'émir Yazid Ibn Hatem el mehallibi (773 ap JC).

⁵ Artisan ou artiste qui cisèle des motifs décoratifs sur des métaux, parfois sur le cuir ou le bois.

⁶ Ouvrière qui fabrique des tissus.

⁷ Le sellier est un artisan qui travaille le cuir afin de réaliser des pièces de harnachement pour les chevaux et leurs cavaliers.

des randonnées dans les campagnes, et la publicité était peu performante, car elle marchait de bouche à oreille.

Aujourd'hui, en Tunisie, certaines maisons sont gérées par des « indépendants » qui s'occupent eux-mêmes de la location de leurs maisons, et se font connaître par leur propre site Internet, par des publicités dans la localité ou quartiers, ou d'autres sont membres de sociétés spécialisées qui font office de centrales de réservation.

On a en effet vu apparaître dans les deux dernières décennies une professionnalisation dans le monde des maisons d'hôtes.

Les professionnels, véritables intermédiaires entre le client et l'hôte, facilitent la rencontre des acteurs entre eux, sous le nom d'agences, elles apparaissent d'abord dans le monde rural, en Tunisie, et depuis peu, s'investissent dans des régions intérieures¹.

Nous nous focaliserons, seulement sur les hôtes passant par des agences. Il est en effet difficile de connaître le nombre de chambres d'hôtes indépendantes, leurs caractéristiques, leurs stratégies. Et même, en interrogeant certaines d'entre elles, nous n'aurions pas de résultats exhaustifs, puisqu'il n'est pas possible de les dénombrer, celles-ci ne se déclarant pas dans les instances officielles (ONT, Municipalités ...).

3.2. Pour une stratégie nationale de développement régional de la région de Kairouan:

Dans le cadre de la valorisation du patrimoine archéologique et historique, la politique culturelle tunisienne s'appuie sur le stock culturel tunisien, riche de milliers d'années, pour diversifier l'offre touristique.

À une époque où la concurrence touristique se développe de manière féroce, et que les attraits touristiques se diversifient, la communication est très importante pour atteindre ces objectifs, ce qui équivaut à la force de son influence, la coordination des efforts des différents acteurs du patrimoine et du tourisme culturel.

Le défi de la concurrence aujourd'hui est de diversifier l'offre en tant que clé de la réussite, le tourisme culturel peut être un facteur de diversification du tourisme. La Tunisie a été tout au long de son histoire le Forum des civilisations, et la journée d'étude faite par certains propriétaires des maisons d'hôtes fait partie du plan de communication avec le Ministère de la Culture et de la Sauvegarde du Patrimoine, afin de présenter le patrimoine archéologique et historique tunisien à l'intérieur et à l'extérieur.

¹ Nadia SELMI RASSAS, « Tourisme écologique et valorisation du patrimoine en Tunisie : Cas des maisons d'hôtes à Tozeur et à Nefta », Thèse de doctorat en Sciences et techniques des Arts, Institut Supérieure des Beaux-Arts de Tunis, Université de Tunis, Février 2017, page 34.

CONCLUSION :

L'architecture des maisons d'hôtes tient une place remarquable dans le contexte de notre cadre d'étude « Dar Allouini », car elle est le témoin constant de l'Histoire d'une région, et le vecteur de la découverte, comme du développement. La préservation et la mise en valeur du patrimoine dans des circuits touristiques cohérents et aménagés, permettra, non seulement de développer le secteur du tourisme culturel, mais également de participer à l'essor économique des régions intérieures de la Tunisie.

Cet hébergement touristique est bien établi selon les réglementations de l'ONTT, et qui répondent à des exigences, qu'il est important de bien connaître pour réussir dans le développement régional des zones intérieures. Cette maison d'hôtes a conservé la spécificité culturelle et architecturale de la région de Kairouan. Le patrimoine culturel et architectural est affirmé dans cette maison d'hôtes, comme richesse locale d'une population donnée.

Cette structure d'accueil a enrichi d'autres formes de tourisme, comme le tourisme sportif qu'on pratique à partir de Dar Allouini, en utilisant les vélos dans le circuit touristique de la médina, ainsi que le tourisme solidaire, car elle améliore les métiers d'artisanat dans leur atelier.

L'Etat doit encourager ces maisons d'hôtes, par le développement des alentours de ces hébergements, comme les musées, les moyens de transport. Il faut aussi alléger les normes de sécurité pour les propriétaires lors de la construction des maisons d'hôtes.

Zaghouan est l'un des exemples réussis dans le cadre du développement régional. Les maisons d'hôtes dans cette ville servent, avec leurs enjeux territoriaux, le tourisme culturel. La médina de Zaghouan est composée des cités nommées selon les civilisations qui ont traversé Zaghouan : par exemple la cité Andalouse, la cité turque, avec chacune, son architecture.

L'intervention de la société civile est primordiale devant l'absence de vision politique, afin de valoriser et rendre profitable le patrimoine. Les maisons d'hôtes et les gîtes ruraux, qui s'établissent petit à petit dans certaines régions, non loin des sites archéologiques, pourraient progressivement créer l'alternative, et fonder les bases d'un véritable tourisme culturel en Tunisie.

L'Etat doit encourager le développement du tourisme culturel, par la conservation des sites archéologiques, et faire installer des toilettes pour le public de proximité. Il y a lieu aussi de construire des espaces verts bien soignés, contrôlés, lumineux, et avec de l'eau potable. On doit toujours travailler pour assurer leur inscription à l'Unesco.

RÉFÉRENCES BIBLIOGRAPHIQUES :❖ **Ouvrages :**

- AMIROU Rachid, *Imaginaire du tourisme culturel*, Édition Presses Universitaires de France, Paris, 2000,155 pages.
- Claude ORIGET du Cluzeau, *Le tourisme culturel*, Édition Que sais-je ?, Paris, 2006,125 pages.
- CAPO-CHICHI Christelle, *Ouvrir un gîte ou une chambre d'hôtes*, Édition Focus Carrière, France, Janvier 2013,189 pages.
- DJADOU Pascal, *Stratégie de valorisation du tourisme culturel dans l'espace UEMOA*, Edition Universitaires Européennes EUE, Paris, Mars 2015,100 pages.
- Virag GYORG, Krug GUNTHER, *Promotion du tourisme culturel en tant que facteur de développement des régions*, Editions du Conseil de l'Europe, France, Novembre 2005, page 110.

❖ **Mémoires :**

- Salma BELHAJ SOULAMI, « *Les maisons d'hôtes : naissance et développement* », Mémoire de fin d'étude, Département : technique de management, École Supérieure de Technologie-Fès : Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Juin 2009, page 57.

❖ **Articles :**

- EVELYNE LEHALLE, Qu'est-ce que le tourisme culturel ?, Avril 2014, disponible sur : nouveautourismeculturel.com
- Leila DAAMI, « Sur les traces des activités navales en Tunisie: proposition d'un circuit de visite pour un tourisme culturel », *Patrimoine et créativité*, n°3, Mars 2014, page 45-47.

❖ **Conférences :**

- B. Ben Youcef, *Le patrimoine au cœur du tourisme culturel*, Octobre 2008, Université Ibn Zohr Agadir (Maroc), Faculté Poly-disciplinaire de Ouarzazate, 2011,7 pages.
- DERNIERES Michel, *La contribution du patrimoine au développement local : enjeux et limites de sa mesure*, Février 2012, CES-Université de Paris 1, 2012,11pages.

❖ **Sites :**

- <http://kharjet.tn>
- <https://tunisie.com>

Le tourisme culturel comme facteur de développement économique - Cas de la ville de Tébessa –

Doctorants : Sai Said, Tourghi Hani, Kihel Amel, Kolli Faouzi.

Résumé :

Notre sujet met en exergue une réflexion sur le tourisme culturel en tant que facteur contribue au développement économique. Il a comme objectif d'examiner les obstacles qui empêchent la ville de Tébessa de s'élever au rang de destination touristique.

Les résultats de cette modeste recherche nous ont montré que le potentiel touristique de la ville de Tébessa n'est pas exploité de manière efficace pour plusieurs raisons : l'insuffisance quantitative et surtout qualitative des infrastructures touristiques, l'absence des publicités sur le potentiel touristique et le patrimoine culturel destiné à la consommation touristique dans la ville, l'absence de professionnalisme ...

Mots clés : patrimoine culturel – tourisme culturel – économie du patrimoine-tebessa.

الملخص :

يدور موضوعنا حول السياحة الثقافية كعامل محفز للتطور الاقتصادي. حيث يهدف هذا البحث إلى دراسة العراقيل التي منعت هذه المدينة من أن تصبح وجهة للسياحة.

تفيد نتيجة هذا البحث أن مدينة تبسة وجهة سياحية لم يتم استغلالها بشكل كامل وفعال لعدة أسباب منها قلة البنى التحتية السياحية من حيث الكمية والتنوع، عدم ترويج مؤهلاتها وتراثها الثقافي الموجه للاستهلاك السياحي في المدينة.

الكلمات المفتاحية : التراث الثقافي – السياحة الثقافية – اقتصاد التراث – تبسة.

❖ **Introduction général**

Chaque ville s'est développée selon un certain nombre de logiques, qui font et faisant sa structure semblant généralement plus diversifiées et riches de nombreuses significations¹. Les villes historiques se trouvent de nos jours dans un développement indéniable fondé sur une tendance touristique, cette tendance en passe de devenir un secteur fondamental et de premier plan dans le développement économique et social le plus important à l'échelle mondiale. L'impact économique du secteur touristique de pend en grande partie de la diversification des formes de tourisme à concevoir.

Le tourisme est une activité florissante. Elle est l'une des plus grandes industries au monde, véritable gisement de richesses et l'une des seules possibilités viables de diversification économique. Il constitue un soutien à la croissance et une source de création de richesses, d'emplois et de revenus en devises.

L'Algérie est aujourd'hui une destination touristique quasiment vierge qui n'a malheureusement pas été encore suffisamment exploitée contrairement aux autres pays du pourtour méditerranéen loin derrière le Maroc et la Tunisie, elle enregistre presque 1 million et demi de touristes en 2006, elle ambitionne d'accueillir, en 2015, 04 millions de touristes mais jusque-là la contribution au PIB est à peine de 1%.²

Pour cela l'Algérie a décidé de donner au secteur du tourisme, l'accompagnement, l'encadrement et les conditions nécessaires et propices afin d'assurer sa montée en puissance et de l'insérer dans les réseaux de commercialisation internationaux pour assurer l'émergence de l'Algérie comme destination emblématique au plan international.

La prise de conscience nationale de l'enjeu du développement touristique en tant que vecteur de développement économique et social aux côtés des autres secteurs productifs (Industrie, Agriculture ...) impose à l'état de se doter d'un cadre stratégique de référence et d'une politique spécifique et ambitieuse pour la promotion d'une industrie multiforme et compétitive du tourisme. Depuis 1967 Plusieurs études ont été lancées pour aboutir à la création de zones d'expansions touristiques pour développer son tourisme, les premières mesures prises dans ce domaine étaient de prendre en charge le patrimoine touristique³.

La région des Hauts Plateaux a connu un patrimoine culturel d'une très grande richesse historique, témoignage des civilisations diverses qui ont successivement façonné ce territoire : depuis les sites préhistoriques jusqu'aux sites ottomans (El Atik, Tobna) en passant par les sites berbères (IKidjene), romains (Djemila, Timgad, Tébessa), byzantins (Baghāi). Un patrimoine qui peut servir pour la relance de l'activité touristique et artisanale avec des retombées locales permettant sa conservation et son entretien.

À la grande diversité des peuplements, des sociétés tribales, qui caractérise cette région, correspond une diversité remarquable des éléments de la culture dite traditionnelle : chants, danses, costumes, fêtes, culinaire ... ainsi que la production toujours vivante d'un artisanat d'art : tapis, poteries, bijoux.

La politique de développement touristique dans la wilaya de Tébessa s'inscrit dans un contexte global traduisant un ensemble de données qui facilitent les services afin de répondre aux besoins et vœux des touristes qui peuvent affluer, et contribuer, ainsi à la création de nouveaux postes d'emploi pérenne. Ce développement touristique englobe tous les aspects liés aux types des sites à promouvoir, la répartition géographique du produit touristique, le flux touristique etc.

Attentive aux expériences des pays voisins et à ceux considérés comme ayant enregistré des succès en matière d'activités touristiques, s'inspirant de leurs réussites mais aussi de leurs déconvenues, l'Algérie entend donner au secteur du tourisme une dimension à la mesure de

¹ François Ascher, Métapolis ou l'avenir des villes, N° 21997, Paris, 1995, p 98.

² Schéma d'aménagement touristique 2013.

³ SRAT, Schéma Régional d'Aménagement du Territoire Région Programme Hauts Plateaux Est, 2008, p 05.

ses potentialités et de ses atouts. En termes d'objectifs, et au-delà des aspirations à contenu essentiellement économique, les textes en vigueur réaffirment la volonté de l'État de préserver l'environnement, d'améliorer le cadre de vie, de valoriser le capital naturel, culturel et de mettre en valeur le patrimoine touristique national et local.

❖ **Problématique**

Le tourisme a créé un développement indéniable sur les villes historiques. Après cela, le tourisme est devenu une manifestation de la prospérité et le développement des villes, De nos jours il est devenu une pièce importante sur le développement des sociétés et le développement économique des états.

L'économie de l'Algérie fondée principalement sur la commercialisation des hydrocarbures, a reçu un coup dur suite des prix de pétrole en 2014, ce qui a entraîné le pays dans une crise financière, obligeant les responsables à penser à d'autres alternatives.

Le tourisme, se trouvant l'une des alternatives les plus prometteuses, cela s'entend dans le discours des politiques (.....). Mais il faut dire le regain d'intérêt porté au secteur touristique dans le discours politique remonte à plus loin, en 2008 le président de la République Abdelaziz Bouteflika, dans une déclaration officiel affirme que le tourisme est devenu une priorité nationale, et qu'il peut faire contrepoids aux hydrocarbures, quasi unique des revenus en devise de l'Algérie, affirmant qu'il est devenu impératif de pousser le développement du secteur touristique, sachant que l'Algérie exporte plus de touristes qu'elle n'en reçoit¹.

L'intérêt porté au secteur touristique en Algérie, remonte à beaucoup plus loin, depuis l'indépendance, et principalement sous le mandat du défunt président Houari Boumediene, des complètes des villages touristiques ont été édifiés. Malheureusement, malgré les efforts fournis à cette époque les résultats restent insatisfaisants, l'Algérie se trouve très loin derrière les pays voisins qui sont le Maroc et la Tunisie.

Le tourisme culturel repose sur la culture et de visiter les sites archéologiques, monuments historiques, musées et en savoir plus sur les industries traditionnelles ou toute forme d'expression artistique et assister à certaines manifestations culturelles telles que des expositions, festivals, mais c'est aussi principalement le fait de découvrir la culture et les coutumes d'une région.

Riche de son histoire, l'Algérie dispose d'un patrimoine culturel des plus diversifié, plusieurs études ont pété lancer pour le développement du secteur touristique en Algérie ainsi que la mise en tourisme du patrimoine culturel, ou ce qu'on appelle plus communément sous le nom de tourisme culturel.

La ville de Tébessa est une image réduit de l'Algérie, elle dispose d'atouts considérables, de richesses naturelles, historiques, architecturales, patrimoniales et culturelles. L'ambition de notre travail de recherche et de faire connaître cette ville ancestrale, afin d'en faire une destination touristique de choix.

En effet bien que Tébessa est incluse dans la région programme haut plateau Est, il est fait partie des sept pôles touristiques au niveau national (pôle nord Est)². Depart son riche patrimoine culturel et cultuel, elle est considérée comme l'une des importantes régions touristiques en Algérie. Ainsi, l'élaboration d'une stratégie de développement de l'activité touristique dans la ville de Tébessa est devenue une priorité nationale pour contribuer au développement touristique de la wilaya.

Suite à l'argumentaire dressé ci-dessus, notre question de recherche sera formuler construit ; vu tous les atouts et potentialités dont dispose la ville de Tébessa, en plus de son intégration dans la région programme hauts plateaux Est, et son inclusion dans les sept pôles touristique au niveau national ; quels sont les obstacles qui empêchent cette ville de s'élever

¹ Assises du Tourisme. Le Président algérien, Abdelaziz Bouteflika, février 2008.

² SRAT, Schéma Régional d'Aménagement du Territoire Région Programme Hauts Plateaux Est, 2008, p 21.

au rang de destination touristique de choix, bénéficiant d'un développement touristique qui répond à la fois, à l'accueil des touristes étrangers et nationaux comme aux besoins des habitants de la région, tout en s'inscrivant dans une perspective respectueuse des équilibres et créateur d'emplois ?

Ce qui engendre les questionnements suivants :

- A quel point cette promotion touristique peut-être bien concret et réalisable ?
- Qu'est-ce que la promotion du secteur touristique peut réellement faire contreponds aux hydrocarbures ?
- Comment peut-on valoriser les potentialités patrimoniales et culturelles de Tébessa et passer de l'état potentiel touristique a une ville touristique ?

Hypothèses

La dominance du secteur minier dans la wilaya de Tébessa marginalise et met à l'écart l'ampleur de sa fonction touristique.

La ville de Tébessa avec son potentiel culturel exerce une certaine fonction touristique.

❖ Objectifs de la recherche

Nos objectifs sont clairs : faire du tourisme culturel un vrai levier du développement économique, créateur d'emplois, mettre en valeur toutes les richesses patrimoniales et culturelles de la région et accroître la notoriété de ses territoires, attirer une clientèle plus large et plus diversifiée, moderniser l'offre en suscitant et en soutenant des projets d'envergure.

À cet égard, l'objet de ce mémoire est d'évaluer la position du tourisme culturel de la ville de Tébessa. Pour cela nous dégagerons les potentialités patrimoniales et culturelles existantes, et nous tenterons par la suite de faire un constat des lieux relatif à la situation du tourisme culturel où nous ferons ressortir les enjeux et soulever les contraintes qui entravent la mise en place d'une stratégie pour promouvoir le secteur touristique.

❖ Méthode et démarche

1. l'observation

Un diagnostic observe l'existant et, par ses données et ses analyses, il donne un cadre de réflexion, aide au jugement et précise l'information. Ce socle de connaissances communes peut servir de point de départ pour agir et améliorer la situation actuelle de tourisme culturel dans la ville de Tébessa et proposer un plan d'action pour ce secteur.

Pour construire ce diagnostic du secteur, nous nous sommes appuyés sur deux cadres :

Le cadre de référence national pour les projets territoriaux d'aménagement et de développement. Le SRAT, Le SDAT, à ce moment, viendront comme une plate-forme pour mettre en cohérence toutes ces politiques et ses projets, dont devrait bénéficier la ville.

L'état des lieux s'opère, d'une part, par la perception des atouts, faiblesses, menaces, opportunités du territoire, à partir d'éléments d'appréciation dynamiques du développement économique. D'autre part, par une analyse quantitative qui vient éclairer, dans la mesure du possible, les appréciations qualitatives.

- La technique d'analyse utilisée s'est inspirée de la méthode AFOM.
- La démarche s'est inspirée de l'approche analytique de développement économique.

2. La synthèse AFOM

AFOM est un acronyme signifiant **Atouts, Faiblesses, Opportunités, Menaces**. En anglais, **SWOT** est un acronyme signifiant **Strengths, Weaknesses, Opportunities, Threats**. C'est une technique d'analyse aujourd'hui très répandue et appliquée à plusieurs types d'organismes, des institutions aux entreprises.

Son application n'est pas nouvelle en soi. Mais ici il s'agit d'une approche innovante, car en l'appliquant au cas des sites urbains, elle intègre les techniques de participation publique dans le projet.

L'analyse AFOM (SWOT) permet de mettre en évidence les atouts et les faiblesses de la ville et d'identifier les opportunités et les menaces présentes à l'extérieur, dans le contexte où l'on opère. Il est important d'avoir la conscience que les atouts et les faiblesses sont des éléments foncièrement placés sous le contrôle de l'organisme (à quelques limites près), tandis que ceux qui sont relatifs à l'extérieur sont des phénomènes dont on peut éventuellement profiter ou vis à vis desquels il faut prendre des précautions. Ils ne peuvent pas, sinon dans une moindre mesure, être modifiés par l'organisme à laquelle l'analyse AFOM (SWOT) se réfère.

Voici une série de questions typiques utilisées couramment dans l'analyse AFOM (SWOT).

Atouts : Quels sont les avantages dont peut disposer notre territoire ? De quelles compétences disposons-nous ? Que savons-nous bien faire ? De quelles ressources culturelles La ville de Tébessa dispose-t-il dans une perspective de développement local ?

Faiblesses : Quelles sont les difficultés que nous pouvons rencontrer dans nos initiatives ? Où se situent nos limites et nos carences ? Quels sont les inconvénients et les obstacles aux processus de développement local par rapport à d'autres réalités territoriales ?

Opportunités : Quels avantages visons-nous par nos initiatives ? Quelles sont les opportunités d'intervention pour la valorisation du patrimoine territorial ?

Menaces : Quels sont les obstacles qui pourraient émerger ou qu'il faudra affronter ? Quels sont les risques qui peuvent influencer négativement le développement du territoire ?

Les réponses à ces questions aident à éclairer les conditions internes et externes avec lesquelles actions, projets ou décisions déterminées doivent se confronter. Il est bien de savoir que certains aspects peuvent constituer en même temps des atouts ou des faiblesses, de même que certaines opportunités peuvent aussi représenter des menaces. Souvent, les points de force sont des ressources compétitives, qui pourront s'avérer utiles même dans un second temps, les faiblesses peuvent aussi être des opportunités de développement.

1 / le patrimoine culturel.

1-1 Définitions du patrimoine et les villes historiques

Lorsque nous parlons de tourisme culturel, c'est plus généralement de fréquentation sur les villes historique « *centre historique* »¹, ou bien des villes qu'ont un patrimoine. Et avant de traiter la relation qu'entretiennent La culture, le tourisme avec la ville, il faut défini le patrimoine.

2-1-1 Définition du patrimoine : Le mot est ancien et a pour origine le terme latin « *Patrimonium* », avec l'apparition de la charte de Venise de 1964, qui a lutté contre l'idée de « *monuments-objets* » de la charte d'Athènes, le patrimoine a connu de nombreuses évolutions.²

Selon Larousse : « *le patrimoine est un bien, héritage commun d'une collectivité, d'un groupe humain* »³

Selon les économistes : le patrimoine est l'excédent des actifs sur les engagements des unités économiques.

Selon Françoise CHOAY⁴ : « *Ce beau et très ancien mot était, à l'origine, lié aux structures familiales, économiques et juridiques d'une société stable, enracinée dans l'espace et le*

¹ L'icomos

² Collectif, MAGHREB ARCHITECTURE ET URBANISME. Patrimoine, Tradition et Modernité, sous la direction de Karim Mechta, Préface de Pierre SIGNOLES, Ed. PUBLISUD. Année 1991

³ Le petit Larousse

⁴ Françoise Choay, née le 29 mars 1925 à Paris1, est historienne des théories et des formes urbaines et architecturales. Elle était professeur aux universités de Paris I et Paris-VIII.

temps. Requalifié par divers adjectifs (génétique, naturel, historique...), qui en ont fait un concept "nomade", il poursuit aujourd'hui une carrière autre et retentissante »¹

2-1-3 Définition du patrimoine culturel :

L'UNESCO² utilise le terme de «patrimoine culturel», qui englobe à la fois et désigne de façon distinctive le monument, le site et l'ensemble historique.

Selon la présente loi : Le patrimoine culturel est tous les biens culturels immobiliers et mobiliers existant sur et dans le sol des immeubles du domaine nationales, appartenant à des personnes physiques ou morales de droit privé, ainsi que dans le sous-sol des eaux intérieures et territoriales nationales légués par les différentes civilisations qui se sont succédées de la préhistoire à nos jours.

Les biens culturels immatériels produits de manifestations sociales et de créations individuelles et collectives qui s'expriment depuis des temps immémoriaux à nos jours.³

Le patrimoine culturel considéré comme biens culturels, quelles que soient leur origine ou leurs propriétés selon la convention de la Haye 1954 : Les biens, meubles ou immeubles, qui présentent une grande importance pour le patrimoine culturel des peuples, tels que les monuments d'architecture, d'art ou d'histoire, religieux ou laïques, les sites archéologiques, les ensembles de constructions qui présentent un intérêt historique ou artistique, les œuvres d'art, les manuscrits...

2-3-1 le processus de patrimonialisation :

En général, les processus de patrimonialisation ont besoin d'évènements déclencheurs pour qu'ils soient enclenchés. Ces processus s'enclenchent aussi en général comme réponse à une remise en cause ou comme une prise de conscience d'un risque de disparition ou de détérioration d'un objet patrimoniale.

Les processus de patrimonialisation selon Guy Di Meo sont cinq étapes successives et enchaînées les unes aux autres⁴, Elles vont de la prise de conscience patrimoniale à la valorisation du patrimoine, en passant par les phases essentielles de sa sélection, de sa justification, de sa conservation et de son exposition.

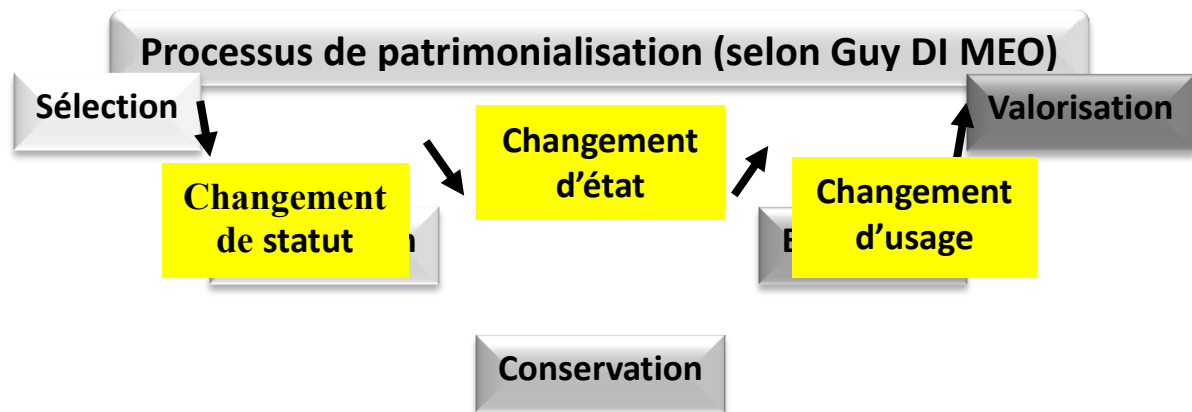


Diagramme n° les étapes du processus de patrimonialisation.

II- le tourisme et le patrimoine :

¹ Françoise Choay, l'Allégorie du patrimoine, édition du seuil 1992, nouvelle édition revue et corrigé (actualisée en 2007), p 09.

² Organisation des Nations Unies pour l'Education, la Science et la Culture, Créé le 16/11/ 1945 à Londres, Place de Fontenoy à Paris.

³ Art 2 de la loi 98/04 de 15 juin 1998, relative à la protection du patrimoine culturel, p 02.

⁴ Guy Di Meo, Castaingts Jean-Pierre, Ducournau Colette, 1993, « Territoire, patrimoine et formations socio-spatiales », Annales de géographie, p. 472-502.

II-1- le tourisme.

Le tourisme parmi les secteurs de développement économique dans le monde, jouer un rôle de régénérateur et un levier économique, ce secteur est

II-1-1- Définitions du tourisme : le mot tourisme a connu plusieurs traitements dans sa définition, Laissant plusieurs définitions différentes et multiples relatifs et variables selon le temps et le lieu, il donc difficile à définir d'une manière précise

✓ **Selon le dictionnaire Larousse :** Action de voyager pour son plaisir, ensemble des questions techniques, culturelles, ou financières que soulève dans chaque pays ou région, l'importance de nombre de personnes qui font des voyages d'agrément.¹

✓ L'ensemble des rapports et phénomènes résultants du voyage et de séjour des personnes pour lesquelles le bien de séjour n'est ni résidence principale et durable, milieu de travail usuel.²

✓ C'est un art de satisfaction des aspirations les plus diverses qui incitent l'homme à se déplacer hors de son univers quotidien.³

II-1-6- Le tourisme comme secteur d'appui de l'économie

Selon Larousse l'économie est : « ensemble des activités d'une collectivité humaine, relatives à la production, à la distribution et à la consommation des richesses »⁴

Le tourisme est considéré comme un puissant facteur de développement économique, Son importance et sa place sont variables selon les pays. Aujourd'hui, le voyage dans le monde fait de l'industrie touristique une industrie à potentiel énorme, source inépuisable de devises et d'emplois⁵.

II-1-6-1- Le tourisme et la consommation :

Depuis les années 1990, Le tourisme a connu une évolution très rapide et une résistance ce qui lui permet d'occuper une place importante dans la consommation globale, ainsi certains économistes le considèrent désormais comme un bien de première nécessité.

La consommation touristique est « la valeur des biens et services utilisés pour la satisfaction directe des unités touristique »⁶.

II-1-6-2- Le tourisme et la production nationale :

Les entreprises de tourisme contribuent à la production nationale. Dès lors, les dépenses des touristes internationaux et nationaux procurent un revenu aux employés et employeurs des branches du tourisme.

Si l'on considère les seules recettes touristiques internationales on s'aperçoit que leur part dans le PNB de nombreux pays industrialisés est loin d'être négligeable.

Toutefois, « la dépense touristique des visiteurs internationaux ne peut être considérée comme la contribution nette du secteur touristique au produit national du pays : il faut en effet déduire de cette recette brute du tourisme le coût de la part de biens et services importés se trouvant intégrés dans les biens et services touristiques »⁷.

II-1-6-3- Le tourisme et création d'emploi :

Le développement touristique a pour objectif de création de l'emploi, les entreprises de tourisme apportent une aide précieuse à des nombreux Etats. Toutefois « En réalité, si les effets du tourisme sur l'emploi sont certains, ils restent difficiles à apprécier. De plus, rien ne

¹ Le petit Larousse, dictionnaire encyclopédique pour tous, Canada, 1980, p 931.

² Economie touristique P : 103

³ Définition des professeurs, « HUNZIKER ETKRAPE » tiré de la revue économie touristique

⁴ Larousse-Bordas, n° 107295, imprimé en France, 1997, p 135.

⁵ Noureddine Haddad, Les déterminants du choix stratégique des entreprises touristiques, master 2005, p 08.

⁶ O.M.T (1980) « Essai de détermination des activités économiques touristiques dans le cadre de la comptabilité nationale ». Madrid

⁷ Noureddine Haddad, Les déterminants du choix stratégique des entreprises touristiques, master 2005, p 09.

prouve que le secteur du tourisme crée davantage d'emplois que d'autres secteurs productifs de l'économie »¹

L'étude du phénomène de tourisme en matière d'emploi nous permet de répondre à la question : combien d'emplois créés par les entreprises de tourisme, pour envisager des aspects quantitatifs d'une part et qualitatif d'autre part.

II-2 le tourisme culturel

II-2-1- définitions de tourisme culturel : Le tourisme culturel est une forme de tourisme qui a pour le but de découvrir le patrimoine culturel d'une région est pour découvrir le mode de vie de ces. **Maria Gravari-Barbas** souligne qu'il y a une relation étroite entre le tourisme et la culture, le terme culture intégrant non seulement les créations artistiques mais aussi l'ensemble d'expressions urbaines.²

L'Organisation mondiale du tourisme le définit au sens étroit en tant que « *mouvements de personnes obéissant à des motivations essentiellement culturelles telles que les voyages d'études, les tournées artistiques et les voyages culturels, les déplacements effectués pour assister à des festivals ou autres manifestations culturelles, la visite de sites et de monuments, les voyages ayant pour objet la découverte de la nature, l'étude du folklore ou de l'art, et les pèlerinages* »³

La force du lien entre culture et tourisme trouve son explication dans l'acte de loisir (temps libre), hors de son lieu de résidence et mû par des motivations diverses (plage, découverte, campagne, soleil, affaires, pèlerinage, croisière, séjour linguistique etc.). « Celles-ci se concrétisent dans un choix de destination et de forme de voyage et séjour qui renvoient tous deux à des paramètres de l'ordre de l'identitaire, de l'imaginaire et de la représentation »⁴

Partie 02 :

Introduction

La ville de Tébessa est l'objet de notre choix comme cas d'étude, motivé par la richesse de son histoire, sa position stratégique exceptionnelle à l'est de l'Algérie ainsi que son patrimoine et son aire d'influence.

La ville de Tébessa a connu des civilisations et des cultures diverses depuis des temps lointains. Chaque civilisation laisse des traces devenue un héritage et une richesse patrimoniale culturelle et cultuelle. Aujourd'hui, ce dernier est devenu potentiel culturel d'appui au développement du tourisme

Dans cette phase de l'étude nous allons analyser l'offre touristique dans la ville sur le plan socio-culturels et patrimoniaux pour but d'amélioration le tourisme culturel et de création un développement économique local.

Nous nous devons d'étudier son Histoire, sa position géographique, et d'analyser le contexte démographique et urbain de la ville de Tébessa et d'analyser l'offre touristique culturel et son offre touristique en infrastructures de base.

I- Une situation géographique stratégique à fort potentiel :

I-1- situation régionale :

Tébessa occupe une position stratégique à l'extrême Est de l'Algérie, c'est une ville carrefour à la frontière du désert et de la Tunisie, aboutissement de voies de circulation importantes et constitue un point de transit entre l'intérieur et l'extérieur du pays d'une part et entre le Tell et le Sahara d'autre part.

¹ Même référence précédent, page 09

² Maria Gravari-Barbas, "Villes et tourisme : images, espaces, acteurs", *Norois*, n° 178, 1998, p 48.

³ L'organisation mondial du tourisme culturel, *Le tourisme en bref*, Réseau de veille en tourisme - Chaire de tourisme Transat de l'ESG UQAM, 2011.

⁴ Mario d'Angelo, "L'attractivité culturelle et touristique de la Méditerranée", *Eurorient* n° 27, 2008, le Harmattan, p. 139-148.

La wilaya de Tébessa couvre une aire de 13878 kilomètres carrés, elle fait partie des hauts plateaux est, s'étend sur un territoire très vaste. Elle située à 635 kms à l'est d'Alger, située à une altitude variant entre (800 m à 1000 m), avec une superficie d'environ 14.339 km². Elle est limitée :

Au Nord par la wilaya de Souk-Ahras.

Au Nord-Ouest par la wilaya de Oum-El Bouaghi et de Khenchela.

A l'Est, par la Tunisie (sur une bande de 300 kms de frontières).

Au Sud par la wilaya d'El-Oued.

C'est l'une des wilayas frontière de l'Est de pays, ayant une bande commune avec la Tunisie s'étendant sur 300 kms, sur laquelle sont installés 04 (quatre) postes de frontière à : El Oyoum, Bouchebra, El Mridj et Echaga. Sont caractérisent par sa position stratégique, en tant que portière du Sud-est et passage vers la Tunisie.

La wilaya de Tébessa est issue du découpage administratif de 1974 et comprend actuellement 12 Daïâtes et 28 communes, sa population est estimée selon le dernier recensement de 2008 à plus de 648 703 habitants. Son armature urbaine a connu un essor important en matière d'urbanisation d'où l'on note une augmentation dans le taux d'agglomération dû essentiellement à l'effort de développement consenti à ce jour et ce depuis sa promotion au rang de chef-lieu de wilaya en 1974 .

I-2- Le contexte communal :

Sa position géographique au centre de la wilaya est remarquable à tout point de vue : de sa proximité de la frontière et de sa situation sur un nœud important de voies de communication (nord-sud et est-ouest).

Elle est limitée :

- o au nord : par la commune de Boulhef Dyr ;
- o au sud : par la commune d'El Malabiod ;
- o à l'est : par la commune de Bekkaria ;
- o à l'ouest : par les communes de Bir Mokkaddem et El Hammamet.

La ville de Tébessa est implantée sur les piémonts de Djebel Ozmor, à une altitude qui varie entre 800 et 900 mètres, d'une superficie de 184 kilomètres carrés, et occupe une position prédominante dans le réseau urbain de sa région.

La commune de Tébessa est marquée par son pôle urbain – la ville – qui était organisé bien avant l'arrivée des carthaginois ou des romains, ce dont témoignent les industries acheuléennes, les gisements et les nombreux restes capsien de la région.

Tébessa une histoire glorieuse, des civilisations et des cultures diverses :

La ville de Tébessa a tissé l'étoffe de son histoire depuis des temps lointains, de l'âge de la pierre en passant par les civilisations les plus répandues dans le bassin méditerranéen, et jusqu'aux époques modernes. D'abord, la civilisation Carthaginoise (3ème siècle avant J.C), puis romaine (début de 3ème siècle après J.C), vandale (an 44 après J.C), Byzantine Salamon (534 après J.C) la civilisation arabe (depuis l'an 647 après J.C jusqu'au début du 19ème siècle) et enfin la colonisation française (1842). Tébessa est en fait, la citadelle des cultures et la terre du patrimoine et des arts.

II-1- De la préhistoire à l'occupation romaine :

Pendant cette période, on a retrouvé des traces des ancêtres supposés être des berbères. Ainsi les archéologues affirment que l'ancienne Théveste, garde jusqu'à aujourd'hui des traces et vestiges nombreux marquant sa longue occupation par les romains.

II-2- Occupation vandale et byzantine :

Après la chute du royaume vandale par les Byzantins en 531 Théveste fut réduite en une place fortifiée élevée en 539 au cœur de la cité Solomon. Cet événement fut commémoré par une épigraphie dont le panneau surmonte aujourd'hui l'arceau de la façade Nord du tétra pile de

Caracalla. L'une de ces quatre portes est un arc de triomphe (porte de Caracalla) datant de 214 après J.-C. Cet édifice servait.

II-3- Occupation musulmane :

A la fin du VIème siècle, en devenant Arabo musulmane, Théveste change de nom et devient Tébessa, après les conquêtes musulmanes dans la région. Après Oqba Ibn Nafi Al Fihri eut conquis Carthage, il se dirigea vers Théveste la deuxième grande ville de ces territoires, en compagnie d'Abdallah ibn Djaâfar, à la tête de la conquête musulmane. A cette époque les populations étaient chrétiennes, et exerçaient d'autres religions. L'armée d'Oqba Ibn Nafi Al Fihri marcha sur Tébessa, forcée par de grandes murailles, cette dernière résista contre son entrée dans la ville, ce qui l'arméra à l'assiéger pendant de vingt jours. Abdallah ibn Djaâfar parvint à entrer dans Tébessa, gagner les faveurs d'Elhadjeb ; deuxième personnalité de la ville qui embrassa l'islam, influencée par la grande mortalité et principes de l'islam. En collaboration avec l'armée d'Okba, elle ouvra la porte de l'Est de la ville aux conquérants musulmans, et forma son gouvernement. Tébessa a connu une seconde campagne de conquête, après qu'Okba soit tombé dans la bataille de Tahouda près de Biskra. Commandée par Hassan Ibn_Naâmane al Ghassani, qui attaqua la région sous le règne de la Kahina (tribus Zenâta). Cette dernière fut morte à Bir El Ater à l'endroit qui porte aujourd'hui de son nom (La Kahina).

Après cette période l'islam se propagea entièrement à Tébessa grâce aux conquérants musulmans, qui enseignaient la langue arabe et le Coran dans cette région. Tébessa géra la région durant le règne des Oumaouiines et Abbassides. Et fut rattachée à Kairouan durant le règne des Aghlabides comme elle a connu le règne des Fatimides et Banou Hilal ainsi que les Moudjahidines, où il a régné sur tout le Maghreb arabe de (1160 à 1226).

Les turcs s'installent après la prise de Tunis par Sinan Pacha en 1573, Tébessa devint alors l'une des principales villes du baylek de Constantine, d'autant qu'elle se situe sur la route reliant Alger à Kairouan, ce qui en fait un important passage du circuit des princes (Mohamed III Ibn Hassan bey). Le pouvoir turque ne trouvera pas la bienvenue à Tébessa, et les tribus ne tardent pas à s'insurger contre lui. Les révoltes éclatèrent à nouveau.

II-4- Occupation française :

En 1842, La ville tomba sous l'occupation Française, et Tébessa a pu maintenir son indépendance à l'égard de la domination française, même après la prise de Constantine jusqu'en 1851, cette région a constitué un chemin difficile pour la colonisation française. Les français construisent la caserne militaire au Sud du fort Byzantin, et garnison. Tébessa connut aux 19ème siècle le développement intellectuel. Des écoles coraniques, des zaouïas et des médersas furent construites. Ce qui renforça les comportements sociaux et religieux à travers la création de l'association des Oulémas musulmans Algériens en 1931, et des personnalités telles CHEKH Larbi Tébessi dans le paysage du réformisme.

Pendant la guerre de libération nationale, Tébessa joue un rôle stratégique notamment par son relief montagneux laborieux et sa proximité des frontières tunisiennes, ce qui fit d'elle un paysage pour les munitions de tous genres. Dans cette période, la colonisation française continua ses plans coloniaux dans cette région .

II-5- Après l'indépendance :

Après l'indépendance, Tébessa a connu un essor démographique, économique et urbain. Cependant le patrimoine matériel qui constitue sa fierté et témoigne sur son passé glorieux se trouve actuellement victime de dégradations par les assauts du vieillissement et la pollution ainsi que de l'action destructrice de l'homme...

III- Identification du patrimoine culturel de la ville de Tébessa

III-1- Le patrimoine matériel : des biens culturels immobiliers, et des sites archéologiques

Les monuments et les sites archéologiques et historiques, sont les identifiants et les référents culturels du territoire. Ils sont les clés de lecture des modèles de distribution et de répartition des établissements humains sur des échelles de temps requises.

Tébessa, l'héritière d'une longue histoire qui a vu défiler Phéniciens, Romains, Byzantins, Vandales, Arabes, Turcs et français, et d'un parc archéologique immense, ses œuvres sont des pages ouvertes sur l'histoire et autant de messages transmis par nos aïeux, elle représente aujourd'hui un musée vivant des civilisations successives.

Monuments historiques et sites archéologiques classes :

La muraille byzantine :

Le site le plus important après Carthage, le mieux conservé dans la province romaine. Bref, un site suffisamment riche pour se faire classer patrimoine universel et faire de la région une destination touristique de première classe. Un rêve qui semble si loin à réaliser, et pourtant ! En plein centre, la muraille byzantine ou citadelle de Solomon ceinturant la ville ancienne, est flanquée de quatorze tours carrées et s'ouvre sur l'extérieur par quatre portes : Bab Chahla, Bab K'sentina, Solomon et Caracalla.

Ce mur d'enceinte se développe sur 1200 m, à une épaisseur de 2m et atteint une hauteur de 7m.

L'arc de triomphe Caracalla :

L'un des principaux monuments à Tébessa, et sans doute le plus beau, L'arc de Triomphe, dit « porte de Caracalla » érigé en 214 après J.-C. par un riche Thévestin, Caius Cornelius Egrilianus à l'honneur de la famille de septime sévère, père de l'empereur Caracalla. Disposé en carré avec quatre façades identiques percées d'arcs flanqués de colonnes. La hauteur de l'édifice atteint les 10m. Ce monument peut être considéré comme un bijou rare que les archéologues n'ont pas hésité à comparer à l'arc de Janus de Rome.

L'amphithéâtre romain :

Tout près de l'arc de triomphe, coincé entre deux marchés, on découvre l'amphithéâtre romain avec ses gradins et son arène. Il est le plus grand d'Afrique du Nord après celui de Carthage.

La basilique chrétienne :

Situé à l'extérieur des enceintes de la vieille ville au nord de l'arc de Caracalla. Élevée au-dessus d'une nécropole chrétienne souterraine, acquit son statut suite à l'édit de Milan, décrété en 313 par l'empereur romain Constantin, qui officialisa le christianisme dans Rome et son empire. Cet ouvrage monumental, d'une beauté unique consacré à une sainte locale, Sainte Crispine, est entouré de jardins, baptistères, catacombes, et de plusieurs chapelles dont l'une est en forme de trèfle. Cette ambition architecturale, motivée par la ferveur religieuse des chrétiens, incita les païens de la cité à en faire autant en construisant le temple de tous les dieux, communément appelé.

Le temple de Minerve :

Une certaine ambition architecturale, motivée par la ferveur religieuse des chrétiens, incita les païens de la cité à en faire autant en construisant le temple de tous les dieux, communément appelé Temple de Minerve, déesse de la sagesse. L'ouvrage, autrefois témoin de la cohabitation religieuse, abrite aujourd'hui un musée où sont exposés divers outils préhistoriques (monnaies, armes, lampes, etc.), et ses murs intérieurs sont ornés de belles mosaïques.

Le cimetière de l'école du Dr. Sâadane

Le cimetière antique fut découvert à l'occasion de travaux publics, effectués pour la construction de l'école du Docteur Sâadane, le 26 janvier 1976. on y a trouvé nombre de tombeaux, dallés de mosaïques funéraires, des sarcophages et des objets anciens. Ce site est unique dans son genre, et remonte aux quatrième et cinquième siècle de notre ère, coïncidant avec l'époque vandale, ce que confirment les gravures, et les indications sur les objets

trouvés, dont des inscriptions relatives au christ et des symboles oméga ... Le cimetière antique a été classé parmi les monuments protégés en 1980 .

Tébessa El-Khalia

Les romains la considéraient comme un pivot dans la région, c'est la première de leurs villes, à être élue siège de la troisième compagnie Aghista. Elle est connue aussi du nom de « Tébessa la déserte », et « le palais aux amulettes ». Elle est construite sur le flanc nord du djebel Doukkane, et comporte plusieurs bâtiments, ce qui témoigne de sa grandeur et son importance. Entourée de seize 16 enceintes, elle comporte un temple principal, où se dressent des colonnes en marbre, des piscines, ruines de forts et d'huilerie, et un forum orné de statues joliment sculptées. Les fouilles archéologiques ont conduit, à la découverte de plusieurs pièces de mosaïque, couvrant le sol des maisons et des bains, de tombeaux portant des inscriptions symbolisant le Christ, des temples chrétiens et des demeures de prêtres.

Le vieux palais

Le vieux palais se trouve au Sud-est de l'enceinte byzantine, dans le quartier de Zaouïa .la date de son édification remonte aux cinquième et sixième siècle de notre ère, selon les indications historiques .il parcourt différentes époques, car on y découvert des pièces de monnaie de la période punique, mais aussi des ruines islamiques, telles les pierres tombales avec des inscriptions, ou encore des squelettes humains, et des bijoux de la même époque. On y a découvert également, des sarcophages contenant des ustensiles en argile, des lampes à huile, et des coupes en verre, le palais comprend douze maisons, tapissées de belle mosaïque de l'époque romaine.

Le patrimoine colonial :

Les premiers travaux d'urbanisme entrepris par les français consternaient la création des rues carrossables et l'aménagement d'une place d'arme, on retrouve ainsi un urbanisme militaire. Les opérations réalisées sous la direction du génie, répondaient d'abord à des objectifs militaires. Elles permettent le rassemblement et le mouvement des troupes et le déplacement du matériel de guerre.

De 1857 à 1858 ont assisté à une nouvelle extension de la ville, qui s'est faite dans la partie sud à l'extérieur du rempart byzantin. Grâce à la construction d'une nouvelle fortification d'une longueur de 170m environ. Cette priorité donne aux objectifs militaires dans l'aménagement de la ville constitué une des caractéristiques dominantes de la première phase de l'implantation urbaine française en Algérie.

Il n'y a aucune construction dans la proximité immédiate du centre, car la construction sur des terrains situés près du mur de l'enceinte de la ville était interdite. Ces terrains étaient des propriétés militaires, frappes d'une servitude de non aedificandi

Il s'en est suivi la démolition de porte de Cirta, et la création d'un cours (esplanade) entre le quartier civil et le quartier militaire.

III-2- Le patrimoine immatériel

□ L'artisanat : le savoir-faire local

S'il y a un secteur dont le sort est intimement lié à celui du tourisme c'est bien celui de l'artisanat .En effet, quel que soit le type de tourisme pratiqué, et le type de touristes pratiquants, un visiteur étranger ne manque pas de ramener avec lui l'indispensable souvenir.

A Tébessa, l'artisanat rayonne grâce à des objets faits à main, les artisans s'expriment à travers ces objets, ils y mettent une partie de leur âme, en chantant leur patrimoine immatériel ancestral. L'artisanat dans la ville étudiée se concentre plus particulièrement sur le tissage, l'habit traditionnel et la bijouterie.

□ L'art culinaire

L'alimentation des TEBESSIS était très variée, autant que le sont les produits, qu'ils soient végétaux, tels que les légumes, les céréales et les fruits, ou encore animaux, viandes et miel.

Des mets Salé ou sucré, dont les cuisiniers s'évertuent à doser les ingrédients et les épices. Il est à noter que les habitudes culinaires de la ville de Tébessa, provenant d'autres régions qui l'entourent, influencées par 3 axes principaux qui sont, Tunis (Est), Constantine (Nord), et les Nomades.

□ **Le folklore**

L'ensemble des danses accompagnées de musique ; produisent des scènes folkloriques, illustrées par des groupes locaux traditionnels, en dévoilant les profondeurs de l'âme humaine.

A Tébessa, la musique locale intervient principalement au niveau des rythmes, cette dernière est la résultante des musiques aurassiennes berbères, locales et tunisienne.

□ **Les jeux populaires**

A Tébessa, la vie était marquée par un grand nombre de jeux populaires et de moyens de distractions divers, autrefois considérés comme le seul moyen de détente, exercés dans des atmosphères de compétition.

□ **Les manifestations et fêtes locales :**

A Tébessa, l'ennui n'a pas sa place, tous les mois plusieurs festivités culturelles ou touristiques d'envergure locale, nationale et également internationales, sont organisées, en offrant l'opportunité pour un développement touristique important

□ **Chevalerie et fantasia :**

Parmi les traditions ancestrales acquises par les TEBESSIS, celle de la chevalerie et de la fantasia, dont elle est conservée précieusement au fil des générations.

VIII- La synthèse AFOM :

a- Des atouts incontestables

Le potentiel touristique de la ville de Tébessa repose sur une offre touristique particulièrement riche et diversifiée offrant aussi de nombreuses possibilités.

✓ Le "positionnement stratégique" de la ville de Tébessa considéré comme un avantage comparatif absolu, reconnu par le client.

✓ Une grande diversité dans les paysages (Montagnes, plaines, Plateaux...)

✓ De nombreux sites de visites ; le patrimoine naturelle les sites historiques et archéologiques, le patrimoine religieux ...etc.

✓ Patrimoine culturel, et architectural très riche et très diversifié.

✓ Un savoir-faire locaux diversifié.

✓ Un artisanat d'art présent sur l'ensemble du territoire.

✓ Une image de bonne gastronomie.

✓ Des filières identitaires à fort potentiel en matière de patrimoine et de loisirs.

✓ Un maillage infrastructurel conséquent (routes nationales, chemin de fer, aéroport international.

✓ Histoire riche.

✓ Potentiel archéologique et historique

✓ Un axe de transport routier, ferroviaire et aérien est un atout très important pour la ville.

b- Mais également des faiblesses

Malgré les atouts évoqués ci-dessus, il reste des faiblesses auxquelles la ville de Tébessa se trouve confrontée, Parmi celles-ci :

✓ Le climat, que ce soit pour les habitants, les acteurs du tourisme et les visiteurs, constitue une faiblesse.

✓ Des atouts touristiques indéniables mais peu connus du grand public.

✓ L'insuffisance de l'offre touristique apparaît également comme l'une des faiblesses majeures.

✓ Disparité de territoire en termes d'équipements touristiques et structures

d'accueil.

- ✓ La faiblesse de l'hébergement, en quantité et en diversité ; (hôtellerie de qualité, résidence de tourisme, village de vacances, chambres d'hôtes)
- ✓ Pas de véritables projets structurants permettant d'influer rapidement sur le volume des nuitées.
- ✓ Une faible pénétration de l'outil internet dans les activités touristiques.
- ✓ Aucune signalisation n'est installée pour définir les potentialités touristiques de la ville aux visiteurs.
- ✓ Une commercialisation à renforcer en ciblant mieux les clientèles à potentiels.
- ✓ Un territoire n'attire pas les investisseurs privés. Concernant notamment les équipements touristiques
- ✓ Faible intégration d'un management adapté aux conditions du marché
- ✓ Insuffisance d'un travail en réseau des acteurs du tourisme.
- ✓ Rapport qualité/prix pas toujours satisfaisant.
- ✓ Faiblesse d'innovation en matière de création de produits touristiques.
- ✓ L'absence de professionnalisme.
- ✓ La faiblesse des services.
- ✓ Insuffisance dans la protection, la gestion, des milieux patrimoniaux ;
- ✓ Faible de la valorisation du patrimoine
- ✓ Manque des études spécifiques au développement de tourisme culturel.
- ✓ Une politique touristique en retard.
- ✓ Une absence de professionnalisation du secteur.
- ✓ Un manque d'école et de débouchés dans le tourisme.
- ✓ Manque d'associations exerçants dans ce secteur.

c- Des opportunités à saisir

Le tourisme est créateur d'emplois. L'étalement de la fréquentation est la condition majeure pour favoriser cette dimension. Cela passe par une meilleure exploitation des potentialités touristiques culturelles de la ville et par la pérennisation des emplois. A cet égard, il conviendra de créer les conditions de formation, de mobilité et d'accueil des personnels du tourisme, notamment les saisonniers, entre les différents territoires.

- ✓ Une aspiration pour mise en réseau et un développement de l'offre en réponse aux besoins des clientèles urbaines ;
- ✓ Tébesa pouvant répondre aux nouvelles aspirations de l'offre touristique : quête d'authenticité, d'histoire, de culture, de dépaysement, de connaissance des populations locales.
- ✓ La simultanéité et le dynamisme de différents études territoriales SEPT du SUD EST et le PAW en plus de SRAT dans le projet régional de développement de l'attractivité du territoire ;
- ✓ La forte demande de concertation et de coopération de la part des acteurs ;
- ✓ Une réelle prise de conscience des problèmes de dégradation des sites historiques.

d- Des menaces à maîtriser :

- La concurrence, sur le court- séjour à bas prix est sans doute la première menace.
- ✓ La mobilisation des investisseurs et des porteurs de projets est difficile.
- ✓ Dynamisme de l'offre touristique proche: Tunisie en particulier.
- ✓ Une destination de passage avec une durée de séjour courte
- ✓ Un risque accru en accidentologie routière
- ✓ Une clientèle circulant dans la majorité par route et des temps de déplacements relativement longs
- ✓ La disparition progressive des traditions.

✓ Le développement non contrôlé du commerce « informel » source de pollution et de nuisances.

✓ Dégradation des sites archéologiques et historiques

Les premières orientations stratégiques

La prise de conscience de l'enjeu du développement touristique culturel comme vecteur de développement économique impose la nécessité de tracer une stratégie touristiques claire et bien défini, cette stratégie doit se base sur les axes suivants :

□ Mise à niveau des prestations des services touristiques

- Formation
- Réhabilitation des installations et équipements
- Mise à niveau du parc hôtelier aux standards internationaux.

□ Incitation l'investissement touristique

- Favoriser l'accès au foncier touristique
- Encourager la relance de l'investissement touristique

□ Ressources humaines

• Identification, analyse et évaluation des besoins en formation de tous les acteurs du tourisme

• Refonte de l'appareil de formation conformément aux normes internationales plus la mise en place d'un système de suivi et d'évaluation de la « fonction formation »

- Mise en place d'un fichier national du potentiel humain dans le secteur du tourisme
- Elaboration de la nomenclature des métiers de l'hôtellerie et du tourisme culturel.

• Mise en place de cadres de concertation avec les secteurs de la formation professionnelle

□ Promotion et communication...

- Renforcement des moyens.
- Conception et mise en œuvre de campagnes de promotion modernes.
- Intensification de la présence de l'Algérie dans les salons et foires spécialisés.
- Multiplication des éducateurs et des rencontres professionnelles en direction des organisateurs de voyages, des investisseurs et des médias spécialisés.
- Implication des opérateurs nationaux et étrangers dans les activités de promotion et de commercialisation.

Soutien aux associations et offices locaux de tourisme...

Les recommandations :

Progression la valeur de la destination Tébessa par la culture en :

- Transformer le projet touristique à une activité structurée de l'économie local
- Faire progresser l'attractivité touristique
- La mise en valeur de patrimoine culturel de la ville.
- Actualiser l'industrie traditionnelle dans les marchés mondiaux
- Créer des postes d'emploi en considérant le tourisme comme une activité productive très importante
- Créer des centres d'industrie traditionnelle pour faire ranimer les productions locales.
- Développer un plan à court, moyen et à long terme pour restaurer et maintenir les monuments historiques.
- Organiser le marché quotidien et personnaliser une suite de celui-ci pour l'industrie traditionnels et certains artisanats et de produits traditionnels.
- Réhabilitation de l'offre hôtelière, soit pour transformer l'offre résidentielle en spectacle touristique en stimulant les incitations pour la population locale et pour créer de nouvelles capacités de logement.

- La création d'institutions spécialisées pour la vente d'"un ensemble intégré de produits touristiques" et la réalisation de tracts et de cartes postales avec des photographies des sites et des attractions les plus importants.
- est reconnu comme levier de développement économique.
- met en valeur les multiples cultures présentes à Tébessa et tire profit de l'ouverture sur le monde de la ville
- Promouvoir l'identité touristique et culturelle de la ville.
- fournir des installations touristiques pour les festivals et de fournir toutes les conditions de préparation et d'organisation.
- Valoriser la qualité du patrimoine culturel de la ville.
- La réhabilitation de l'offre hôtellerie soit par la transformation de l'habitat à une offre touristique (création des chambres d'hôtes)
- L'intégration de l'habitat dans un système touristique dans la ville
- Le contrôle des prix des services durant la période touristique
- La création des associations de voyage pour la vente d'ensemble de produits touristique »
- Renforcer les fonctions de l'activation économique et ranimer les produits locaux afin de consolider ses activités économiques et culturelles
- Organiser un festival pour les arts et les traditions de la ville
- Encourager et soutenir les différents artisanats traditionnels en tant qu'élément d'attractivité touristique
- Déterminer et consolider les habilités et l'industrie traditionnelle
- Faire revivre les événements culturels en tant qu'opportunité de tourisme culturel
- l'identification des quartiers et des villes urbains à potentiel culturel et touristique élevé
- mettre en valeur les principes de tourisme culturel
- La promotion de l'offre culturelle
- Déterminer les liens majeurs entre le triple « tourisme - culture - patrimoine »

❖ **Conclusion générale :**

Tébessa est l'une des villes les plus riches en Algérie, elle dispose d'atouts considérables, que ce soit sur le plan naturel, culturel, historique, architectural ou encore patrimonial. Malheureusement, toutes ces potentialités ne sont pas exploitées pour le développement touristique de la ville.

Face à ce constat, nous avons essayé de comprendre dans ce travail de recherche, les obstacles qui empêchent la ville de Tébessa de s'élever au rang de destination touristique de choix, bénéficiant d'un développement touristique qui répond à la fois, à l'accueil des touristes étrangers et nationaux, ainsi qu'aux besoins des habitants de la région, tout en s'inscrivant dans une perspective respectueuse des équilibres et génératrice d'emplois.

Pour répondre à l'objectif de notre recherche, nous avons utilisé en premier lieu l'observation de l'état des lieux, suivi d'une comparaison entre les déclarations et documents officiels prenant en charge le développement touristique de la ville de Tébessa, en dernier lieu, nous avons essayé de synthétiser toutes les données recueillies à travers l'analyse des atouts et faiblesses de la ville et l'identification des opportunités et menaces (AFOM).

En somme, les résultats obtenus nous ont permis de confirmer nos hypothèses de départ ; que la wilaya de Tébessa possède une position géographique stratégique et bénéficie d'une accessibilité facile, grâce à des liaisons routières, ferroviaires et aériennes. Que le secteur industriel de la wilaya de Tébessa, représenté principalement par le pôle minier réalise d'importants revenus à l'échelle nationale, et est la source des principaux revenus de la wilaya.

Le patrimoine à l'épreuve de l'orientalisme: voyage de Paul Klee

Réalisé par : Ben Mahfouh Yasmine

Introduction

Depuis toujours, le patrimoine occupe une place très importante dans le secteur de tourisme et de la culture. Cette présence du passé fait un rappel à nos ancêtres. A cet égard, on ne peut pas nier que le tourisme représente un relais entre les différentes civilisations ce qui donne naissance à un enrichissement dans plusieurs domaines tel que le domaine de l'art. C'est à ce propos qu'on peut affirmer que le voyage et le tourisme peuvent être considéré comme étant une partie intégrante de l'orientalisme. Autrement dit, si on retourne sur la manière dont cette inspiration a pu être aussi répandu c'est grâce au voyage qui est une partie indispensable de l'orientalisme.

Quel est le rapport entre le patrimoine et l'orientalisme? Quel est l'impact du patrimoine Tunisien sur l'art notamment la peinture occidentale dans les œuvres de Paul Klee? Comment le voyage de Paul Klee a pu marquer l'histoire de l'art de 19^{ème} siècle?

837

L'orientalisme est une notion assez large apparue entre le 18^{ème} siècle et le 19^{ème} siècle et c'est en 20^{ème} siècle qu'elle a commencé à disparaître exactement jusqu'au 1962 lors de l'indépendance de l'Algérie qui a marqué sa fin en France. En effet, c'est une inspiration qui s'intéresse aux cultures d'Afrique du Nord, turque et arabe, s'attache à l'atmosphère du monde arabe orientale et désigne le pourtour méditerranéen surtout l'Afrique du Nord. Or, on ne peut ni parler d'un courant artistique ni d'une appartenance à une école de peinture; c'était seulement les sujets traités qui sont exotiques par rapport à l'occident.

L'orientalisme a approuvé une grande volonté de dominer non seulement la politique, la culture et l'économie mais aussi tout ce qui est coutume, héritage et

idéologie¹. En fait, les œuvres produites pendant les premières décennies n'est qu'un miroir qui reflètent l'état social-politique en Tunisie.²

En 1893, un salon d'artistes orientalistes a été fondé à Paris et qui a assisté au rayonnement de cette inspiration. En outre, il y avait une école Italienne, une Anglaise et une autre Russe. En ce qui concerne l'orientalisme en Tunisie, il a commencé en 1894 avec le premier salon. Et c'est en 1907 qu'une institution algéroise nommée "Villa Abd-El-Tif³" a été construite dans l'objectif de réunir des artistes peintres orientalistes influencés par l'orient et voulant travailler sur la culture arabo-musulmane notamment sur l'Afrique du Nord.

En effet, l'attrait pour l'orient a conduit des artistes peintres et des écrivains séduits par une culture à la fois mystérieuse et étrangère et les mène à partir vers des nouvelles destinations et à y chercher une nouvelle inspiration. Ainsi leurs sujets étaient trouvés à partir l'imagination ou bien à partir des scènes regardés.

Depuis toujours, les conceptions orientalistes ont séduit les artistes européens comme Eugène Delacroix, Dominique Ingres, Théodore Chassériau, Jean-Léon Gérôme, Rudolf Ernst, Frederik Arthur Brigdman...etc. A ce propos Edward W Saïd, un théoricien littéraire et critique palestino-américain intéressé par le terme "orientalisme" et la construction de l'identité occidentale par son discours sur l'orient, constate que l'orient *"est partie intégrante de la civilisation et de la culture matérielle de l'Europe"*⁴. Il ajoute : *"L'orientalisme: une manière de traiter avec l'Orient qui est fondée sur la place particulière qu'occupe l'Orient dans l'expérience occidentale européenne. L'Orient n'est pas seulement le voisin de l'Europe ; c'est aussi le lieu des colonies européennes les plus anciennes, les plus vastes et les plus riches, la source de sa civilisation et de ses diverses langues, son rival culturel, et l'une de ses plus profondes et plus récurrentes images de l'autre. En outre, l'Orient a aidé l'Occident à définir l'Europe comme son opposé sur le plan de l'image, de l'idée, de la personnalité, de l'expérience "*⁵. Alors l'orientalisme se définit par l'intérêt que donne les

¹ ترجم لنا الاقتباس رغبة كبيرة في الهيمنة، لا على مقدرات الشعوب او مدّخراهم، بل كذلك على رؤيتهم للعالم وعلى تصوّراتهم ومعتقداتهم وما الى ذلك من اشكال وسبل الحياة وتمظهراتها نمطا وأساليب.العظمة (عزيز)، التراث بين السلطان والتاريخ. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية، 1990، ص 61.

² "وفي الواقع لم تكن مجمل الاعمال المقدّمة في العشرينات الثلاث الأولى ممن تاريخ هذه الفنون غير انعكاس وترجمة لهذا البعد السياسي او للفكر الاستعماري إزاء البلاد والمواطنين الأصليين من سكانها." فاتح بن عامر، الحداثة في الفنون التشكيلية التونسية دار محمد علي للنشر الطبعة الأولى 2014، ص 5.

³ Elisabeth Cazenave, LA VILLA ABD-EL-TIF, http://www.clan-r.org/portail/IMG/pdf/La_Villa_Abd-el-Tif.pdf

⁴ E W Saïd 1995 pp 1-2

⁵ Edward W Saïd, L'orientalisme, L'orient crée par l'occident, 1978

artistes ainsi que les écrivains pour les pays de Maghreb et le moyen orient et surtout pour l'empire ottoman.

Contrairement à plusieurs artistes, qui sont restés derrière leurs chevalets et ont pris appui sur des photographies ou même des histoires racontées d'autres voyageurs afin de faire leurs scènes sur la toile, les peintres orientalistes sont ceux qui ont voyagé à travers le monde. Le voyage est ce qui a permis à l'orientalisme de rayonner à travers le monde. En fait, ce rapport entre le voyage et l'orientalisme a autorisé aux artistes de découvrir l'orient et s'inspirer des rues, des paysages, des monuments et des architectures du monde arabe. Ces artistes influencés par l'orient ont peint les couleurs de moyen orient. Ils ont utilisé des couleurs chaudes qui font un appel au climat des pays du Maghreb, à la chaleur et à la lumière. C'est pour ça qu'on trouve généralement que la palette varie entre le rouge, le brun, le jaune et les camaïeux ocre.

On sait bien que la notion de patrimoine a un rapport avec d'autres notions tel que la mémoire, l'identité, la transmission, la tradition et l'héritage. En fait, c'est ce qui relie les générations du présent à celles du passé et de la future. Le patrimoine est la propriété transmise de génération en génération, autrement dit, il est l'héritage paternel tels que les monuments historiques, les sites, les trésors, les choses rares, les folklores, les chefs-d'œuvre outre la richesse publique. Il ya deux types de patrimoines, un patrimoine matériel et un autre immatériel ou oral. Le premier réunis tous ce qui est paysages cultures, monuments et objets d'arts et l'autre rassemble la langue, la poésie, la musique et les folklores.

Depuis plusieurs décennies, l'Afrique du Nord et particulièrement la Tunisie, vu la richesse de son patrimoine, occupe une place importante dans le secteur de tourisme. Elle est considérée comme l'un des meilleures destinations pour les étrangers et l'un des lieux favorisés de l'histoire de l'art. Ce pays a séduit beaucoup d'artistes peintres aventureux qui cherchent à créer leurs propres touches personnelles. Autrement dit, ce pays influence et fascine les artistes européens ainsi bien leurs inspirations et leurs œuvres. En fait, outre Wassily Kandinsky, Paul Klee, le fondateur de l'abstraction, fait partie de ses artistes orientalistes qui se distingue dans ces œuvres par les couleurs vives de l'Orient. Celui ci a visité la Tunisie accompagné de deux autres artistes peintres qui sont August Macke et Louis Moilliet. La découverte de l'orient avec l'œil d'un artiste occidental a permis d'évoluer un nouveau style de peinture inspiré par une nouvelle culture. Dans cette recherche, je veux mettre en exergue l'un des divers artistes occidentaux qui ont été séduit par les pays de Maghreb spécifiquement la Tunisie et j'ai mis l'accent sur ce que la Tunisie a pu leurs apporter.

Paul Klee est un artiste peintre très connu d'origine Germano-suisse qui a commencé sa carrière en tant que graphiste mais son voyage en Tunisie en Avril 1914 a fait de lui un des pionniers et fondateurs de l'art abstrait en Europe. Dans ce séjour et en s'inspirant de patrimoine Tunisien, Paul Klee s'est libéré du figuratif et il a réalisé plusieurs œuvres entre aquarelles et dessins avec un nouveau style. Ce voyage l'a rendu un peintre majeur de 20^{ème} siècle comme il a dit: "*La couleur me possède. (...) La couleur et moi sommes un. Je suis peintre*"¹

L'intérêt porté au patrimoine tunisien, à la lumière, aux formes, aux couleurs, à la composition ainsi aux lignes architecturales se révèle de plus en plus lors de sa visite en Tunisie et même après. C'est ainsi, qu'il a dit "*ce pays qui me ressemble*"². En effet, son chemin vers l'abstraction a débuté en Tunisie et ce voyage a marqué l'histoire de la peinture et de Paul Klee. Venant en Tunisie avec un projet celui de trouver son propre art, le séjour de Paul Klee a débuté par la Médina de Tunis, Saint-Germain "Ezzahra" et la Goulette. Puis, il a visité Carthage, Hammamet et enfin il s'est arrivé après huit jours de son voyage artistique à Kairouan. Cette ville, qui se distingue par les motifs de tissages des tapis kairouanais qui caractérise son patrimoine, aussi bien la richesse architecturale et la calligraphie, l'a attiré le plus. Comme il a dit dans son Journal lors de son voyage: "*une région du monde où tous les sens peuvent être comblés*".

Le thème général des œuvres orientalistes est la nostalgie des civilisations disparues, rêve d'exotisme et voyage. En fait, l'envahissement des signes et symboles ancestraux dans la vie quotidienne rend la culture populaire plus vive. Ce voyage qui est décisif dans l'œuvre à venir de Paul Klee, illustre d'une part la fécondité entre l'orient et l'occident et d'autre part le croisement des styles entre la peinture occidentale et la Tunisie orientale. Il a influencé en trop l'art mondial et a gardé une empreinte de l'âme tunisienne.

¹Claudie et Valentine, L'architecture de la plaine-Paul Klee, 22 Mars 2016, <http://histart.over-blog.com/2016/03/1-architecture-de-la-plaine-paul-klee.html>

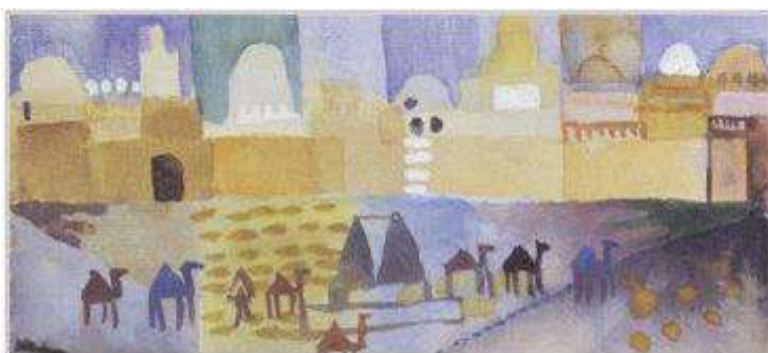
² INÈS BEN AZOUZ, expo " Quand Paul Klee découvrit la Tunisie", 2018, <https://www.ideomagazine.com/la-tunisie-de-paul-klee/>



Vue de Kairouan1, Paul Klee, 1914

Paul Klee s'est intéressé à l'architecture comme il a dit: "*Architecture blanche strictement rythmée... incarnation d'un conte de fées...*". En fait, ses aquarelles se marient harmonieusement avec le patrimoine urbain tunisien et l'architecture arabo-musulmanes et plus précisément avec les mosquées, les remparts de Kairouan, le Bassin des Aghlabides...etc.

841

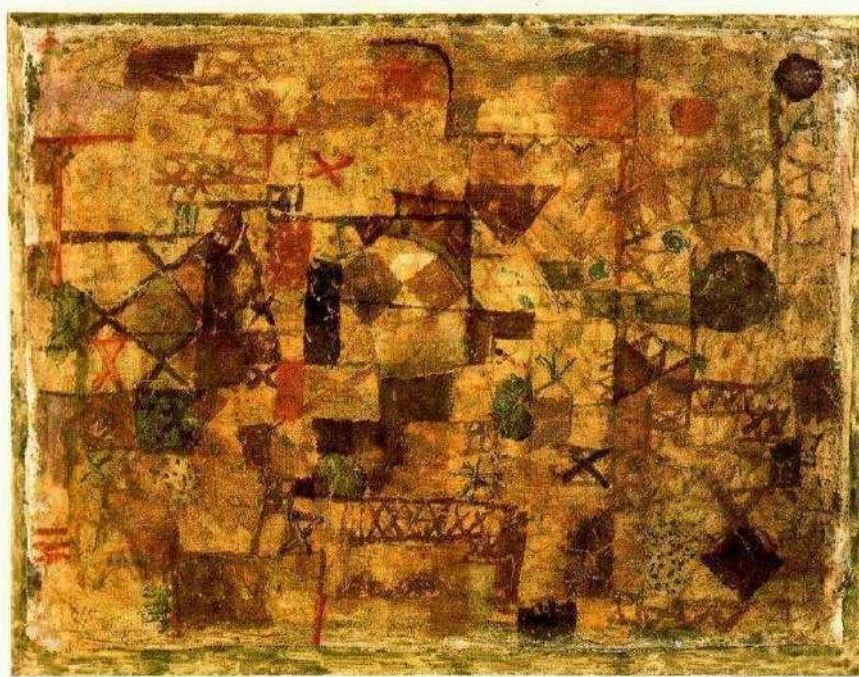


Vue de Kairouan 2, Paul Klee, 1914



Dômes rouges et blancs, Paul Klee

La calligraphie, étant la gloire de la civilisation arabo-musulmane, s'est développée sous plusieurs styles. Elle était détournée et autrement employée dans les œuvres abstraites de Paul Klee. Ses peintures se distinguent par la présence des lettres séparées, des points, des flèches et des lignes qui fait appel à l'art de la calligraphie ou aux symboles berbères. Donc Paul Klee a créé son propre alphabet pictural.



Tapis de souvenir, huile sur toile et carton, 1914

Ce tableau désigne un tissu de souvenir et de pensée tournée vers le passé qui fait allusion à la Tunisie. Les formes comprises dans cette œuvre sont les croix, les cercles et les symboles faisant appel à des lettres. A travers la superposition des couleurs, on a l'impression qu'on observe un ancien tapis abimé, longtemps utilisé et profondément apprécié. Donc un nouveau style est naît du rencontre de Paul Klee avec les tapis et kilims tunisiens

Conclusion:

On conclue ainsi que l'orientalisme n'est pas un mouvement artistique mais une inspiration qui a pris comme sujet l'orient et qui a influencé à la fois la peinture et la littérature. C'est une vision occidentale de l'orient qui cherche comme sujet l'exotisme et des sujets inspirés de la culture d'Afrique du Nord et des scènes tirées de voyage. Et avec le séjour de Paul Klee avec ses deux amis artistes peintres en Tunisie, l'histoire de l'art a été marquée par un nouveau style d'art abstrait. En fait, ce pays, étant connu par sa richesse en patrimoine, a poussé Paul Klee à se demander dans son journal de voyage: "Patrie?". Donc c'est une histoire de rencontre profonde entre un artiste peintre européen et un pays arabe.

Bibliographie:

Livres:

- Edward W Saïd, L'orientalisme, L'orient crée par l'occident, 1978
- Susanna Partsch, Klee, edition Benedikt Taschen, 1993.

Sites web:

- INÈS BEN AZOUZ, Expo" Quand Paul Klee découvrit la Tunisie", 2018, <https://www.ideomagazine.com/la-tunisie-de-paul-kee/>
- Abdulaziz Othman Altwaijri, PATRIMOINE ET IDENTITE, <https://www.isesco.org.ma/fr/wp-content/uploads/sites/2/2015/11/patrimoine-identite.pdf>
- Claudie et Valentine, L'architecture de la plaine-Paul Klee, 22 Mars 2016, <http://histart.over-blog.com/2016/03/1-architecture-de-la-plaine-paul-kee.html>.
- Elisabeth Cazenave, LA VILLA ABD-EL-TIF, http://www.clan-r.org/portail/IMG/pdf/La_Villa_Abd-el-Tif.pdf
- ايناس حسني، التلامس الحضاري الاسلامي - الاوروبي، عالم المعرفة، اغسطس، 2009.
- العظمة (عزيز)، التراث بين السلطان والتاريخ. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية، 1990.
- فاتح بن عامر، الحداثة في الفنون التشكيلية التونسية، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى، 2014.